

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتوري - قسنطينة

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

قسم التاريخ والآثار

رقم التسجيل: .....

الرقم التسلسلي: .....

الموضوع

المجتمع والعمران في مدينة سكيكدة خلال الحقبة الكولونيالية  
1838 - 1962

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

تخصص تاريخ وحضارات البحر المتوسط

تحت إشراف:

الأستاذة الدكتورة / فاطمة الزهراء قشي

إعداد الطالب:

توفيق صالح

تاريخ المناقشة: 2009/09/14.

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم و اللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
1 حسني بوكرزازة	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة منتوري / قسنطينة
2 فاطمة الزهراء قشي	أستاذة التعليم العالي	مشرفة ومقررة	جامعة منتوري / قسنطينة
3 بادية بلعابد صحراوي	أستاذة التعليم العالي	مناقشا	جامعة منتوري / قسنطينة
4 كريمة بن حسين	أستاذة التعليم العالي	مناقشا	جامعة منتوري / قسنطينة

السنة الجامعية 2008-2009

**المقدمة:**

نحاول في هذه الدراسة الأكاديمية معالجة الموضوع الموسوم " المجتمع والعمران في مدينة سكيكدة خلال الحقبة الكولونيالية 1838-1962 "، الذي يعتبر من الموضوعات التي تعالج جزء من تاريخ الجزائر الحديث بكل أبعاده، لأنه يدرس إحدى المدن الجزائرية التي نشط فيها التعمير الأوروبي، كما تساهم هذه الدراسة المونوغرافية في كشف واقع هذه المدينة الكولونيالية من حيث تركيبة سكانها ونسيجها العمراني ونمطها المعماري ونشاطاتها الاقتصادية والخدماتية وحركيتها السياسية والثقافية والصحافية والجموعية، ومكانتها ضمن الإستراتيجية الاستعمارية حيث تعتبر أهم الموانئ الجزائرية المرتبطة بالميتروبول الفرنسي من جهة، ومن جهة أخرى تتجلى أهميتها في النضال في إطار نشاط الحركة الوطنية الجزائرية حيث تعد إحدى قلاع الوطنية الثورية.

وبناء عليه سنعمل على مقارنة هذا الموضوع الذي وقع عليه اختيارنا من خلال معالجة تاريخ هذه المدينة الساحلية خلال الحقبة الفرنسية، لتوضيح التطورات التاريخية الذي شهدته سكيكدة عبر الحقب الزمنية (الفينيقية، الرومانية، الوندالية، البيزنطية، العربية، العثمانية)، وصولا للاحتلال الفرنسي للمدينة أكتوبر 1838، ثم التطرق لمباحث تعالج سوسيولوجية المجتمع بالمدينة، من بينها القبائل والأعراش التي عرفتها منطقة سكيكدة، على اعتبار أن سكيكدة كانت عبارة عن تجمع بشري قليل العدد تتركز به قبيلة بويعل، التي أبعدت باتجاه واد فندق، لهذا يتضح بأن هناك دراسات فرنسية تحاول إبراز دور المجتمع الأوروبي في تطور هذا المركز القديم، لذا نحاول جمع المعطيات لتبيان دور المجتمع المحلي في تعمير المدينة وازدهارها الاقتصادي، رغم افتقارهم لسياسة عمرانية تستجيب لأعدادهم وقندانهم للتمثيل السياسي المستجيب لتقلهم السكاني، نتيجة لجوئهم للأحياء القصدية في ضواحي المدينة كملاذ من أحوالهم الصعبة في الأرياف الفقيرة التي انتقلوا منها جماعيا، بحثا عن فرص العمل أو التعليم أو الاستقرار... لكن وجودهم في سكيكدة جعلهم يعيشون على هامش الحياة الحضرية التي عرفت بها المدن الكولونيالية، فلم يجدوا إلا الأحياء العربية والمقاهي للاحتكاك ببعضهم البعض في هذه الفضاءات الضيقة التي استغلتها فروع الحركة الوطنية وخاصة قسمة حزب الشعب في تقوية تمثيلها للأهالي في المجالس المحلية والدفاع عن الخيار الاستقلالي في مواجهة النظام الاستعماري.

وباعتبار أن المدينة هي مركز السلطة الإدارية لمقر الدائرة ومحور التمرکز السكاني والمبادلات التجارية والنشاطات الاقتصادية، فإنها أصبحت محل التحولات الاجتماعية بما تفرضه من اختلاط واحتكاك وتأثر وتأثير في العلاقات بين الفئات السكانية التي يتشكل منها المجتمع في المدينة، ويمكننا تتبع حياتهم اليومية عن طريق الدراسات المونوغرافية التي اهتم بها الباحثون في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي خلال القرنين 19م و20م لمعالجة التطور المدني للمجتمعات، ويرجع انتشار اختصاص المونوغرافية للحقبة الاستعمارية في الجزائر، وذلك بفضل اهتمام عدد من الضباط الفرنسيين بالدراسات المحلية التي تم تدوين أغلبها في المجلة الإفريقية<sup>1</sup>، من بينهم المترجم شارل فيرو<sup>2</sup>، في مقاطعة قسنطينة.

ويمكن عن طريق المونوغرافية معرفة التحولات الاجتماعية والعلاقات الأسرية والنشاطات الاقتصادية والتجارية، والبحث في مظاهر العمران، حيث يسمح التاريخ المحلي بالتعمق في القضايا المطروحة التي يفترض فيها الدقة وشمولية الظاهرة، ويغذي التاريخ المحلي في الواقع روح الانتماء<sup>3</sup>. ورغم أهمية المدينة فإنها لم تحظ بالاهتمام الكافي من لدن الباحثين الجزائريين، حيث اقتصرت الكتابة حولها على المجال الجغرافي، التي قام بها عدد قليل من الفرنسيين الذين ابرزوا الطابع الاستعماري للمدينة، وبيّنوا أهمية نشاط الفئة الأوروبية في نهضة هذا المركز القديم، وتحديثه حضريا وعمرانيا.. وتبقى المدينة في حاجة ماسة إلى دراسات تاريخية، لكشف الغموض الذي يكتنف تاريخها في العديد

<sup>1</sup> المجلة الإفريقية La Revue Africaine، التي تصدرها جمعية علمية تشتهر بأبحاثها التاريخية، منذ سنة 1855، وأستمرت لغاية سنة 1959.

<sup>2</sup> شارل لوران فيرو Charles Féraud ولد في 5 فيفري عام 1829 بنيس الفرنسية، بدأ مسيرته في الجزائر كمترجم، ثم شغل منصب قنصل في طرابلس عام 1878، توفي بطنجة عام 1888، كان مترجما متمكنا من اللغة العربية في المسائل الأهلية، عمل مع الحاكم العام مكماهون ينظر: فركوس صالح، احتلال ومقاومة المكاتب العربية بمقاطعة قسنطينة 1871-1844، ج1، أطروحة دكتوراه الدولة، جامعة قسنطينة، 2001، ص.199.

<sup>3</sup> قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، ميديا بلوس، قسنطينة، 2005، ص.5-18.

من الحقب، خاصة فترة الفراغ التي سبقت الاحتلال، والتي تتجلى في سكوت المصادر عن ذكرها، كما تفنقد للدراسات المتكاملة عن واقع المدينة أثناء الحقبة الكولونيالية 1838-1962، التي تحتاج لمقاربة مونوغرافية متكاملة الأبعاد، قصد الإلمام بجوانب هذا الموضوع من زوايا مختلفة تشتمل على (الجزائر الاستعمارية، مقاطعة قسنطينة، منطقة سكيكدة، المدينة الكولونيالية).

تتطلب المقاربة الأولية لدراسة مختلف الحياة الداخلية للمدينة، الرغبة في التعرف على بنية مجتمعها، والافتتاح بأبعاد مجالها الواسع، والنظرة إليها كظاهرة اجتماعية وعمرانية ذات نظام اقتصادي رأسمالي منفتحة على السوق الفرنسية والأوروبية.

وتعتبر المراكز الاستيطانية، نموذجا جديرا بالدراسة والبحث لما كان لها من أثر في تنظيم الحياة في مختلف مجالاتها بالمدن الجزائرية، ذات الطابع الكولونيالي، حيث تركز الوجود الاستعماري بهذه المراكز، من بينها مدينة سكيكدة بين سنتي 1838-1962.

لهذا من الضروري الرجوع إلى الوثائق المهمة في هذا البحث، من مصادر الرحالة العرب والأوروبيين، مثل مرامول، وحسن الوزان، مع الاعتماد على المصادر الأرشيفية المحلية من مراكز الأرشيف بقسنطينة وسكيكدة كالتقارير والقرارات البلدية لعدد من المجالس المتعاقبة على المدينة التي وظفت لمعرفة مستوى الاهتمام بالفئات الاجتماعية الأوروبية القاطنة بسكيكدة، كما أردت الاعتماد على عدد من الصحف والمجلات والمنشورات المفيدة في الدراسة العمرانية للمدينة.

ويبقى الاعتماد على الوثائق الأرشيفية الفرنسية مكمل للعديد من مباحث هذه الدراسة التي تحتاج للتعلمق في حيثياتها ومضمونها مستقبلا.

وتظل المصادر الأرشيفية إحدى أهم المصادر الأساسية لمعالجة تاريخ المدينة المعاصر، خاصة في الحقبة الكولونيالية والتي تحتاج بدورها إلى ترتيبها حسب أهميتها ونوعيتها وطبيعتها وفائدتها. حاولت من خلال هذه الدراسة، التطرق إلى هذه المدينة معتمدا على المصادر والوثائق والدراسات التي تمكنت من الحصول عليها، ودراستها، وكشف محتوياتها، ومناقشتها بمنهجية علمية معتمدا في ذلك الاستقصاء والتحليل والاستنتاج.

وأما الإطار المكاني للدراسة فهو الجزائر الكولونيالية عموما ومدينة سكيكدة خصوصا، والإطار الزمني للدراسة، فهو يمتد بين سنتي 1838-1962.

أسباب اختيار الموضوع: يواجه الباحث في تاريخ المدن الجزائرية خلال الحقبة الاستعمارية صعوبات جمة من بداية اختيار الإشكالية وصولا للخاتمة والنتائج التي يجب على الدارس استخلاصها، ويمكن حصرها في النقاط التالية: وهي:

أولا- تزايد اهتمامي بالدراسات المونوغرافية المحلية.

ثانيا- تلبية لرغبة ذاتية للتعرف على وضع المدينة خلال فترة الدراسة.

ثالثا- نقص الدراسات التاريخية حول مدينة سكيكدة، وضرورة القيام بمحاولة لمعالجة هذا الموضوع من عدة مستويات: التراب، المجال، الاستعمار، الاستيطان، الاستغلال.

رابعا- حاجة المدرسة التاريخية الوطنية لهذه الدراسة، لكسر الحاجز النفسي الذي يعيق تناول الحقبة الاستعمارية بالدراسة.

إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية هذه الرسالة في البحث عن مقاربة مونوغرافية عن العمران والمجتمع في مدينة سكيكدة، وعلاقتها بباقي المجالات الاقتصادية والسياسية، وذلك من خلال الإجابة على جملة من التساؤلات التي يمكن حصر معطياتها وطرحها على الشكل التالي:

مجال الدراسة وحدودها:

وحتى يأخذ البحث العمق المطلوب والإحاطة بجوانبه المتعددة، حددت فترة الدراسة (مجاله) فيما بين احتلال سكيكدة وتغيير تسميتها إلى فيليب فيل أي تمجيذا لملك فرنسا لويس فيليب لغاية خروج الأوروبيين من المدينة بعد استرجاع الجزائر لسيادتها عام 1962 الذي يمثل نهاية الوجود الفرنسي في المدينة مركزا على تطوراتها مما يسمح بالوصول إلى ملاحظات واستنتاجات.

إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية هذه الرسالة في البحث عن مقارنة إشكالية العمران والمجتمع في مدينة سكيكدة وعلاقتها بباقي المجالات الاقتصادية والسياسية مع تتبع تخطيطها المجالي وتطورها العمراني.

مناهج البحث:

سنوظف في هذه الدراسة المنهج التاريخي الوضعي في سرد الأحداث والوقائع التاريخية والمفاهيم والنصوص، واستخلاص وملاحظة تطور استغلال وادي الصفصاف.

ومن أجل الوصول للنتائج المتوخاة، حاولت الاعتماد على منطلقات أساسية تتجاوز التناول التقليدي للتاريخ المعتمدة على الجوانب الحديثة للتاريخ، وهذا بالعمل على الاستفادة من المناهج التاريخية الحديثة، ومنها المدرسة الوضعية، تسمح باهتمام الباحث بطرح تساؤلات، وصياغة إشكالية الموضوع من الجدلية التاريخية المتمثلة في تفاعل الأفراد والجماعات ببيئتها وظروفها، لهذا عملت وفق شروط محددة للتوجه إلى دراسة المصادر الأولية والثانوية المتوفرة حول الموضوع المعالج.

وتوجهت إلى قراءة لمختلف الدراسات المنشورة التي تتناول بالدراسة الظاهرة الاجتماعية والعمرانية الاستعمارية في مدن المستعمرات عموما، والجزائر خصوصا، وأخذ عينات ونماذج عنها للبحث في الظاهرة الحضرية التي عرفتها مدينة سكيكدة إبان الاحتلال الفرنسي والاعتماد على قراءات مقارنة تساعد على الوصول إلى توضيح الرؤية عن إشكالية الموضوع المعالج.

أهم مصادر البحث ومراجعته:

حاولت الإلمام بأطراف الموضوع ودراستها، معتمدا على جملة تقارير وقرارات ومداولات المجالس البلدية المتعاقبة لسكيكدة، بالإضافة إلى ذلك عملت على دعم بحثي بعدد من البيانات الإحصائية للحكومة العامة في الجزائر، حول السكان، والمنتجات الاقتصادية وغيرها من الوثائق التي تعد مصدرا هاما لكتابة التاريخ لما تقدمه من المعلومات المساعدة للوصول على الحقائق التاريخية، إذا ما استخدمت حسبما تقتضيه النظرة الموضوعية للأحداث التي عايشت تطور مدينة سكيكدة في مختلف المجالات خلال الحقبة الكولونيالية، كما أن لهذه الوثائق فائدة تاريخية بالغة لأنها تقدم معلومات وأخبار متنوعة عن الموضوع المعالج خلال مراحل البحث، الصحف والمجلات والمنشورات والكتب المطبوعة التي تم توظيفها في هذا العمل، ودراسات مؤرخين جزائريين عالجا ظاهرة الاستعمار والاستيطان والاقتصاد الكولونيالي والحركة الوطنية الجزائرية ونشاطاتها، والدراسات المعالجة للعمران والمدن.

ونذكر في هذا الصدد دراسة صولال عن سكيكدة وضواحيها بين سنتي 1837-1870، الذي قدم دراسة جغرافية متطرقا للقبائل المحلية بمنطقة سكيكدة ولنشاط الاحتلال والتعمير والاستيطان الأوروبي وظهور بعض المراكز الاستيطانية في منخفض وادي الصفصاف مدعما كتابه بأرقام وإحصائيات ومخططات (لسنتي 1844-1869)، ويضاف إليها دراسة فيرو المونوغرافية حول التوزيع الجغرافي لقبائل المنطقة.

وتعد كتابات المؤرخ محمد حربي (سنوات التمرد: حياة تحد وصمود 1945-1962، الثورة الجزائرية سنوات مخاض) مهمة في تكملة هذه الدراسة خاصة في معرفة حيثيات الواقع الاجتماعي والسياسي بالمدينة في المرحلة الأخيرة من التواجد الاستعماري 1945-1962، وهي من المصادر

الأساسية في البحث لأنها نابعة من أحد إطارات الحركة الوطنية الذين عاشوا تلك الأحداث، يضاف لهذه الأعمال مصادر أخرى: الجنرال بول أوساريس (شهادتي حول التعذيب)، وعباس محمد (ثوار عظماء، رواد الوطنية)، ومذكرات الرئيس علي كافي، ومحمد قديد وكتابه (الرد الكافي حول النشاط الثوري في سكيكدة، ..)، ومحساس أحمد (الحركة الوطنية الثورية في الجزائر)، إلى جانب كتاب فرحات عباس (الليل الاستعماري: ثورة الجزائر المباركة).

وحتى نتعمق في معالجة هذه المذكرة، استفدت من دراسات أكاديمية وتاريخية هامة في توسيع مجال الدراسة، مثل كتابات أبو القاسم سعد الله (الحركة الوطنية الجزائرية، وتاريخ وأبحاث وأراء في تاريخ الجزائر)، عمير اوي حميدة (السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة 1838-1858، من تاريخ الجزائر الحديث، ..)، ومحفوظ قداش (الجزائر في تاريخ المقاومة السياسية، ..)، نصر الدين سعيدوني في مقارنته للمجتمع الجزائري خلال الحقبة الكولونيالية (أساسيات منهجية التاريخ، منطلقات وافاق، ..)، وكريمة بن حسين (الحياة السياسية في مدينة قسنطينة، الجمعيات في عمالة قسنطينة)، وغيرهم من الباحثين الجزائريين الذين أفادوني بدراساتهم المتعددة الجوانب في التاريخ والجغرافيا والعمران والاجتماع، في مقالاتهم وأبحاثهم مما أسهم في تبلور الموضوع .

واستفدت من دراسة العربي ايشبودان (مدينة الجزائر: تاريخ عاصمة)، كمنط حضري عايشت النظام الاستعماري، مستعرض لوظائف هذه المدينة وفضاؤها العمراني، ويعتبر هذا العمل مساهمة بارزة في حقل البحث السوسولوجي وتاريخ المدن الكولونيالية، وهو من دون شك مرجعا مهما في دراسات علم الاجتماع الحضري.

ورأيت من الأجر الاستعانة بعدد كبير من الرسائل الجامعية المنشورة وغير المنشورة، لتوسيع مجال الدراسة لمختلف المباحث المعالجة، لما تتميز به من الجدية في الطرح الأكاديمي والبحث العلمي، بحيث تمكنا من التطرق إلى مسائل جديدة تخص التاريخ الاجتماعي للجزائر مع إثراء المعرفة في التاريخ المحلي.

#### هيكلية الدراسة:

خطة البحث: تتكون هذه المذكرة من مقدمة وفصل تمهيدي وخمسة فصول وخاتمة:

ففي الفصل التمهيدي: استهلقت هذه المذكرة بتناول مدخل تمهيدي حول مفهوم المدينة عبر الحقب والأزمنة، وإبراز الفرق بين المدن القديمة والوسيطه والحديثة والمعاصرة، ثم انقلقت لدراسة تاريخ مدينة سكيكدة منذ العهد البوني-الفينيقي والروماني مرورا بفترات العصور الوسيطه، حيث تراجع دورها لمصلحة مرافئ شرقية أخرى (بونة، القل، وبجاية)، واقتصر استخدامها في العهد الحفصي، ليبقي الوضع على حاله أثناء الوجود العثماني، خاصة وأنها تقع ضمن منطقة غير خاضعة نفوذهم المباشر، لهذا عانت من العزلة السياسية عموما، لغاية خضوع هذه المدينة القديمة للاحتلال الفرنسي في أكتوبر 1838، ليتم تحويلها إلى مركز عسكري وتجاري مهم في الإستراتيجية الاستعمارية (المدينة الثكنة) ضمن مقاطعة الشرق.

أما في الفصل الأول: فتناولت فيه المجتمع المحلي من حيث تركيبته قبائله وأعراسه التي تتميز منطقة سكيكدة قبل الاحتلال الفرنسي، الذي يغلب عليها الطابع الريفي الفلاحي التقليدي، بينما تفتقر للطابع المدني، على اعتبار أن سكيكدة كانت عبارة عن مركز تجمع مشتى الأمر الذي تم استغلاله من طرف المحتلين لتشجيع ظاهرة الاستيطان لمركزها القديم الذي تعرض للتجديد في مجاله والتحديث في عمرانها بما يتناسب مع التعمير بالعناصر الأوروبية الوافدة عليها من مختلف الجاليات المتوسطية (الإيطالية، المالطية، الإسبانية، الفرنسية خاصة الكورسيكية منها...) نحو المدينة المستحدثة (فيليب فيل) حسب التسمية الفرنسية الجديدة الذي حملته عقب الاحتلال مباشرة.

وانطلاقا من هذا، عرجت لدراسة التطور السكاني لهذه المدينة الكولونيالية، وعلاقتها بالهجرات الخارجية (الدولية) الوافدة من أوروبا بصفة عامة والميتروبول الفرنسي خصوصا في النصف الثاني من القرن 19م من جهة، والهجرات الداخلية (النزوح الريفي) الآتي من المناطق الجبلية الوعرة بمنطقة سكيكدة في النصف الأول من القرن 20م من جهة أخرى، ما جعل المدينة تنقسم ضمن فضائين (أوروبي وأهلي) متناقضين، رغم أن الديموغرافية السكانية انقلقت من سيادة العنصر الأوروبي، نحو

التوازن بين المجموعتين مطلع الثلاثينات من القرن 20م، لتميل الكفة لمصلحة المجتمع المسلم، لكن لم تواكبهم سياسة اجتماعية (التشغيل) و عمرانية (الإسكان) متناسقة مع تفوقهم العددي، بل ظلوا يعيشون على هامش النظام الكولونيالي، وذلك حسب رغبات المحتلين وتوجهات السياسة الاستعمارية المتبعة في الجزائر.

أما الفصل الثاني، فمت بدراسة المجال العمراني للمدينة اعتمادا على عدد من المخططات العمرانية (1844-1869-1920-1928-1935-1937-1955) التي وضعها عدد من المهندسين والطبوغرافيين الفرنسيين التابعين للهندسة العسكرية والحكومة العامة للجزائر في المدينة، والذين استطاعوا استغلال وضعية المدينة الساحلية ذات الربوتين (جبل الموارد -سكيكدة شرقا، وبويعلى غربا)، لإقامة هندسة معمارية جديدة تتناسب مع مظهرها الطبوغرافي، حيث سادها الطابع الشطرنجي المتسلق الذي يستجيب مع موضع المدينة، ما جعلها تتحول إلى مركز كولونيالي جذاب يتمتع بنظام دفاعي قوي يشتمل على التكنات والتحصينات والأسوار ما جعل الجزء الشرقي من المدينة يعرف بالقسم العسكري، بينما يختلف في الجزء الغربي الذي خصص منذ بدايات الاحتلال للبنائيات السكنية الجماعية (العمارات) والفردية (الفيلات)، أصبح يعرف بالقسم المدني، حيث يتوفر على أحياء مرتبة وشوارع متدرجة، والتي حملت تسميات أوروبية عموما وفرنسية على الخصوص، لكن هذه التراتبية المجالية تغيرت تدريجيا نتيجة ضيق مساحتها وكثرة سكانها الأمر الذي تطلب البحث عن التوسع العمراني نحو الضواحي (بني مالك، الأمل، القبية) بشكل منظم متحكم فيه بالنسبة للإسكان الأوروبي، وبشكل مغاير فوضوي (الصفوح) بالنسبة للإسكان الأهلي، على الرغم من المحاولات التي قامت بها السلطات المحلية في نهاية الخمسينات من القرن 20م التي سمحت بإنشاء أحياء جديدة في الجنوب الغربي من المدينة، لا تستجيب بتاتا للاحتياجات الحقيقية، وللتظاهر بأن العملية جاءت استجابة طوعية لأزمة السكن الخانقة التي واجهتها في نهاية الحقبة الاستعمارية.

وعالجت في الفصل الثالث، ملامح النشاطات الاقتصادية التي عرفت هذه المدينة الكولونيالية، في كافة القطاعات الاقتصادية والخدماتية، من الحرف النسيجية وبعض الصناعات التقليدية والصيد البحري والوحدات الصناعية (تعليب الأسماك، الطباعة، الخمر، التبغ ..). وظل القطاع الفلاحي الحديث الأكثر أهمية في اقتصاد هذا المركز، حيث ظهرت الملكيات الزراعية بحوزة كبار الملاك الأوروبيين في الأرياف المحيطة بالمدينة وخاصة حول مراكز الزرمانة ووادي الصفصاف، لاستغلالها في المحاصيل التجاري المربحة والمرتبطة بالأسواق الخارجية (الفرنسية والأوروبية)، وفي المقابل نجد بأن الاقتصاد الأهلي عانى من تأثير الكوارث الطبيعية والأزمات الاقتصادية، مما انعكس على أوضاع الفلاحين المسلمين الذين عانوا من تدهور أحوالهم المعيشية، نتيجة السياسة الاستعمارية التي جردتهم من أراضيهم الخصبة عن طريق المصادرة والقوانين التعسفية.

كان لانتقال القوة البشرية الأهلية من الريف نحو المدينة وضواحيها للعمل بمينائها أو الاشتغال في الضيعات الفلاحية، أثره البالغ في نشأة الوعي النقابي وتطور نشاطهم المطالبية ضمن النقابات العمالية، مما ساعد على ظهور الاضطرابات العمالية لتحسين أجورهم وظروف عملهم، وفي هذا الصدد برز عدد من النقابيين الجزائريين الذين التحقوا بالنشاط الوطني والثوري المعادي للنظام الاستعماري الاستغلالي.

وفي الفصل الرابع، خصصته للحياة السياسية في المدينة، من نشاطات الأحزاب الفرنسية وممثليها المحليين، من الشخصيات الفرنسية الفاعلة التي تركت بصماتها على ذاكرة المدينة مستعرجا أهم التطورات السياسية والإدارية التي أثرت بشكل أو بآخر، على الحياة المحلية بالمدينة، التي ظل فيها التمثيل السياسي للمسلمين ضعيفا، ما حرمهم من الدفاع عن حقوقهم في كافة المجالات، ولهذا وجد بعض ممثليهم في المجالس البلدية صعوبة في كسب الإعانات والمساعدات والاحتياجات للجزائريين، ولم يبق لهم سوى الالتحاق أو التأييد لصفوف الحركة الوطنية بمختلف اتجاهاتها وخاصة الاستقلالية، الذي وجد قاعدته الشعبية ورواده (حسين لحول، موسى بولكرو، وغيرهما من الشخصيات الوطنية) في مواجهة النظام الاستعماري.

وبعدها تجذر الوعي السياسي بأهمية العمل الثوري المنتهج من طرف التيار الاستقلالي لاسترجاع السيادة، وكانت أحداث الشمال القسنطيني 20 أوت 1955، بمثابة نقطة تحول حاسمة في إحداث القطيعة النهائية لأي مجال للتعايش والتقارب بين المجموعتين الأوروبية والأهلية المشكلة لمجتمع المدينة، بل عجل بنهاية التواجد الأوروبي بها عام 1962، نتيجة الهجرة الجماعية للمستوطنين نحو فرنسا.

وأنتهت البحث بالفصل الخامس، الذي تطرقت فيه إلى نشاطات الجمعيات المحلية الرياضية والثقافية والاجتماعية التي سيطرت عليها العناصر الأوروبية التي تتمتع بفضاءات متنوعة، بينما كان نصيب الأهالي عدد قليل من الجمعيات، وهذا ما يعكس حجم التمثيل.

بعدها عالجت مسألة التعليم بالمدينة الذي لا يخرج عن دائرة التعليم الفرنسي المفروض في المدن الكولونiale والبلديات الكاملة الصلاحيات، المخصص لأبناء الجاليات الأوروبية، ما جعل الأهالي يبحثون عن الظروف المناسبة لفتح المدارس الحرة لتعليم بعض أبناء الجزائريين، أما مبحث الصحافة المحلية فظلت تحت سيطرة الأوروبيين في الغالب، رغم وجود عدد معتبر من العناوين الصادرة بسكيكدة، واقتصرت الجرائد الأهلية على عنوانين، مدتهما قصيرة، وتأثيرهما محدود.

وينتهي البحث بخاتمة، استعرضت فيها النتائج المتوصل إليها، بعد إتمام دراسة المادة وتبويبها ومناقشتها وتحليلها، طبقا للمناهج المعتمدة، ومراعاة لتوجيهات الأستاذة المشرفة، متبوعة بملاحق وصور، وببيلوغرافية، وفهارس الأعلام والأماكن والموضوعات.

وعند التوقف عند أهم المحطات التاريخية التي مرت بها المدينة قبل الاحتلال الفرنسي وبعده، لإبراز أهميتها وعلاقتها بالبحث، نطرح جملة من التساؤلات: لهذا نتساءل عن وضع المدينة قبل الاحتلال الفرنسي سنة 1838، ولماذا تم اختيار هذا التاريخ بالذات لإخضاعها لسلطة الاحتلال، ما علاقتها بأهمية وجود مدينة كولونiale جديدة، وما هي أشكال التدخل الاستعماري فيها؟ وما أهمية المجال الاقتصادي والبيئي والتجاري لهذه المدينة الاستيطانية؟ ما هي العوامل التي جعلت من سكيكدة مركزا جذابا بالنسبة للأوروبيين؟ وكيف عمل الاستعمار الفرنسي على تدعيم الاستيطان الأوروبي؟ وما طبيعة العلاقات الاجتماعية وأنماط الإنتاج الاقتصادي لهذا المرفأ التجاري؟ ما هي قدرة المدينة على الاستقطاب والاستيعاب؟ كيف تجمعت المعالم في مركزها، وهل يمكن اعتبار سكيكدة، مدينة جديدة أم تسمية جديدة؟ وكيف يمكننا كتابة التاريخ المحلي الحديث للمدن الجزائرية وفق رؤية استعمارية أو بناء رؤية تاريخية جديدة تتجاوز العموميات والأحكام المختلفة؟

قائمة المختصرات باللغة الفرنسية:

وقد استعملنا في هذا البحث عدد من المختصرات نوردتها كالاتي:

AMP; Archive Municipale Philippeville

CMP; Conseil Municipale de Philippeville

GGA; Gouvernement Générale D'Algérie

CNRS; Centre National des Recherches Scientifiques Française

Vol; Volume

ENL; Entreprise Nationale du livre

PLM; Paris Lyon Méditerranée

Le GAMT; Généalogie Algérie Maroc Tunisie

MSH; La Maison de Sciences de l'homme

S.D; Sans Date

PUF; Presses Universitaires France

R.A; Revue Africaine

OPU; Office de Publications Universitaires

CFNSP; Cahiers de la Fondation National des sciences politiques

ENL; Entreprise National du Livre



## الفصل التمهيدي:

المبحث الأول: مفهوم المدينة.

المبحث الثاني: سكيكدة عبر العصور.

المبحث الثالث: الإحتلال الفرنسي.

## المبحث الأول: مفهوم المدينة:

شكلت المدينة منذ زمن بعيد حقلا مهما للبحث العلمي من طرف عدد معتبر من الباحثين في مختلف التخصصات، ذلك لما تنطوي عليه من وظائف متعددة، وتخضع لسياسات تخطيط حضري وهندسي ينعكس في شكل تصورات نظرية وأنماط واقعية.

وتحدد خصائص المدينة حسب عدة نماذج فمثلا يذهب بعض الدارسون مثل مارك جيفرسون إلى إبراز دور الكثافة البشرية وأهمية حجم المدينة، فمدن العواصم هي أكبر الحواضر في العمران البشري<sup>1</sup>، والحجم هو المعيار الجوهرى لتحديد ما هو حضري، ولم ينظر الباحث زييف ZIPF إلى الحجم بقدرما التفت إلى نمط السلوك الإنساني كمعيار لكل الخصائص الحضرية، وأما أثر سميلز نظر إلى التسلسل الحضري ومدى اتصاله بكيفية اشباع حاجات الانسان الفيزيقي الضرورية كألوان الأطعمة والملابس والمجوهرات، وتعدد المدارس والمعاهد والجامعات، بينما أكد روبرت بارك على التفاعل الاجتماعي الذي يعد جوهر التجمعات الحضرية، فهناك علاقات متعددة ومتشابكة بينها<sup>2</sup>.

من الصعب تتبع قيام المدن ونموها العمراني بدرجة ملحوظة لعدة أسباب، لهذا تبقى معظم المدن تقريبا في كل الأزمنة والأمكنة لم تدرس بدرجة كافية من الدقة. فتطورت المدن والعمارة<sup>3</sup> معها، وانعكست صور هذا التغيير الاجتماعي على تغيير المدن ونمو العمارة، وأكد الكاتب الألماني بارنس هذا المعنى في قوله: (أن العمارة هي سجل لعقائد المجتمع)، ويقوم التخطيط الفيزيقي للمدينة على أهداف اجتماعية واقتصادية. ولم تنشأ المدينة من فراغ، وإنما جاء نموها نتيجة مجموعة من المؤثرات المرتبطة بعوامل الموضع والمواقع، والمقصود بالموضع هي تلك النقاط التي تنشأ فيها المدينة وتتطور باستمرار مستفيدة من خصائصها، وتمتعة بموضعها ساعد على تزايد سكانها واتساع مساحتها، فاحتاج المدينة إلى الاستقرار البشري بشكل دائم، ولذا تنشأ المدينة وتنمو بالهجرة الداخلية، فالانتقال من الريف الطارد نحو الحضر الجاذب ينتج عن هذا الاستقرار السكاني تشكل مجتمع حضري مستقر<sup>4</sup>.

إن المدن لا تقوم لذاتها وإنما لخدمة السكان الذين يعيشون من حولها، وهي تتوسع استجابة لنشاط الأرياف المحيطة بها، وتقوم المناطق المحيطة بها بخدمتها، فترتبط بينهما مصالح متبادلة، فالمدينة

<sup>1</sup> العمران: اصطلاح عام يستخدم من طرف الجغرافيين لمختلف أنواع ونماذج المساكن البشرية، فيقال عمران حضري، عمران مبعثر وعمران مركز. فالعمران المبعثر هو إحدى نماذج العمران الريفي، وفيه يعيش أغلب السكان في مساكن منعزلة، عكس العمران المركز حيث يجتمع السكان في قرى ينظر: توني يوسف، المصطلحات الجغرافية، دار الفكر العربي، دار الثقافة العربية، ممفيس، مصر، د.ت، ص 351.

<sup>2</sup> القباري محمد، علم الاجتماع الحضري ومشكلات التهجير والتغيير والتنمية، الناشر دار المعارف، مصر، د.ت، ص 455.

<sup>3</sup> العمارة: فن يشتمل تخطيط المدينة وميادينها وشوارعها وأسواقها ونمط السكن وتأثير الظروف المناخية والاقتصادية في عمارة البيوت وبنائها، فالعمارة هي الطرق والدروب والأسواق والشوارع وكلها تراعي الأبعاد السيكولوجية وتغطي رغبات الفرد وطموحه، وتشمل كذلك المرافق كالمدراس والمستشفيات ودور الرعاية الاجتماعية وأماكن التسلية واللهو كلها تقاس بالمقياس الانساني، ينظر:

Alblagh ORG, All rights reserved@balagh.

<sup>4</sup> رشوان أحمد، المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري، ط6، المكتب الجامعي الحديث الاسكندرية، 1998، ص 81-106.

تشرف على إدارة شؤون القرى وتزويدها بخدمات التجارة وتجمع حاصلاتها وتضمن لها الأمن، لكن بمجرد اتساع نطاق المدن ونمو التخصصات تتوسع حدود القرى لتصبح مدنا فيها عدة أنشطة<sup>1</sup>.

وتعد القرى أولى المراكز التي شيدها الإنسان منذ ظهور الحضارة المدنية، ليشهد العالم ظهور حركة عمرانية حضرية، بحيث ظهرت للوجود عدة مدن بمختلف المناطق، فبلاد ما بين النهرين تعد مركزا لنشوء القرى والمدن القديمة منذ فجر التاريخ بل أن طلائع المدن الأولى اتضحت في هذه المنطقة حوالي 4000 سنة ق.م حيث ظهرت فيها دلائل التحضر<sup>2</sup>، ونمت المدن القديمة منها بابل، آشور على طول الأنهار حيث تتوفر المياه والتربة الخصبة، وفي المناطق السهلية الرسوبية في وادي النيل، كذلك نشأت قرى ومدن في منطقة وادي حضرموت. وتمثل المنطقة العربية احدى أقدم مناطق الاستقرار البشري في العالم، بعدما ازدهرت الحياة الحضرية فيها، وذلك لأن جوهر الحضارة العربية هي المدن<sup>3</sup>.

أما المواقع فهي مجموعة العلاقات التي ترتبط بين هذه المواضع وما يحيط بها من المناطق التي تشكل سندا ورصيда لنموها وازدهارها. والمقصود بالظهير تلك المنطقة التي تتفاعل معها المدينة وتزودها باحتياجاتها، وتتزود هي ذاتها من منتجاتها وثرواتها. واستخدمت تعابير مختلفة للإشارة إلى المناطق المحيطة بالمدن، فهناك من أطلق عليها بالمناطق الرافدة ومناطق النفوذ وأحزمة التأثير والمناطق التابعة، كما ترتبط حياة المدينة وأنشطتها بما يحيط بها من مناطق<sup>4</sup>.

ويخضع اختيار مواقع المدن لعدة عوامل من بينها العامل الأمني لتحسين المدن من الأخطار الخارجية ببناء الأسوار والأبراج والقلاع، وهذا منذ العهد القديم<sup>5</sup>، يضاف إليه العامل الديني حيث العلاقة بين الدين والمدينة علاقة قديمة، وأخذت المدن صبغة دينية عند البابليين والآشوريين والمصريين وتسمى بأسماء الآلهة، واستمر اهتمام الكنيسة بعمارة المدن في العصور الوسطى.

وتختلف هندسة التخطيط العمراني للمدينة حسب العوامل المؤثرة فيها، وبالمدن اليونانية القديمة نجد بأن كل الشوارع المستقيمة تصب في ساحة السوق الدائرية الكبرى، وتتجمع الشوارع كلها في هيئة نجم يرسل أشعته في كل الجوانب في خط مستقيم، وتمتد الشوارع وفقا للتخطيط الشبكي للمدن في خطوط متوازية ومستقيمة ومقاطعة في رقعة شطرنجية.

<sup>1</sup> أبو عياش عبد الله، أزمة المدينة العربية، المرجع نفسه، ص.23.

<sup>2</sup> التحضر هو تغيير في العلاقات القائمة بين البادية أو الأرياف والمدن، وتشمل تبدل في صور التوزيع السكاني وطبيعة الأنشطة والوظائف المرتبطة به، فالحرف والوظائف التي يمارسها أهل الريف تختلف عن نظيرتهم لدى سكان المدن، فحتى يصبح الإنسان حضريا، فإن عليه أن يتأقلم مع حياة سكان المراكز الحضرية، ينظر: معجم العلوم الاجتماعية، المرجع السابق، ص 123. الغلايين عبد الرحمان، دراسة التحضر وعوامل نمو المدن، مجلة المدينة العربية، العدد 31، السنة السابعة، ماي 1988، رمضان 1408 هجري، منظمة المدن العربية، الكويت، ص.48.

<sup>3</sup> فاعور علي، جغرافية تاريخية المدينة العربية: نشأتها وموقعها في كتابات الجغرافيين العرب، ص.107.

<sup>4</sup> أبو عياش عبد الله، أزمة المدينة العربية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط، 1980، ص 53.

<sup>5</sup> محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1988، الكويت، ص.106-108.

وظهرت مدن السهول هي العواصم التاريخية الأولى في أودية الأنهار الكبرى، حيث نشأت بها أوائل الجيوش والشرطة، دور القضاء، وظهر الحراس والعسكر حول القلاع وبدأت الحرف<sup>1</sup>. ونجد بأن اليونانيون تأثروا في بناء مدنهم ومبانيهم بالنظام الاجتماعي، واتسمت المدن القديمة أثينا، كنوسوس، بصغر حجمها وإنسانيتها، بينما بنيت المدن الرومانية وعمارتها حسب احتياجات التنظيم المحلي، لأن نمط المدينة تفرره السلطة العسكرية لتعزيز سلطة الحاكم، واهتم الرومان بجوانب أهملها اليونان مثل تشييد الطرق وإقامة القنوات والمجاري، وأنشأوا لكل منزل مستودع ومواسير للمياه مع اهتمامهم بجمال مدنهم رغم اشتراك المدينة اليونانية والرومانية في صغر حجمها واستقلالها السياسي. وقامت مدن العصور الوسطى على أساس العمل والتجارة، في الوقت الذي كان يسيطر على هذه المدن قوى روحية خالصة، حيث يجتمع القصر والقلعة والكاتدرائية كأسس جوهرية في بناء المدن. وتأثر شكل المدن والمباني في عصر النهضة، حيث كانت المدن الباروكية أجزاء من كيانات اقليمية في حالة مستمرة من النمو الصناعي والتغيير الاقتصادي والاجتماعي. أنشأ الغزاة الرومان عمائر مدنية كالبوابات والأقواس والمسارح والحمامات وفق الطراز الروماني في تخطيطها وزخرفتها باستخدام الأعمدة الكورنثية وبناء المنشآت العامة من الأحجار، واستمر إقامة المدن لغاية مطلع القرن 20م اعتمادا على الدفاعات العسكرية ثم تحول الاهتمام في فن التحصين من التصميم المتسم بالصفات الجمالية إلى التقديرات المادية للوزن والعدد والموقع<sup>2</sup>. ويختلف تعمير المدن والنسج العمرانية المتبعة من منطقة لأخرى بحيث أن لكل مدينة نظامها وخصوصيتها الهندسية ويشكل التخطيط أساس نمو المدينة وتوسعها يستخدم فيها أفضل الموارد المتاحة. فهناك تباين بين المدن الساحلية أو الداخلية من جهة، وبين المدن السهلية أو الجبلية من جهة أخرى، ويتأثر عمران المدن باستقرار الأوضاع واضطرابها حسب التطورات التي عرفتها الحضارة الإنسانية . وتنشأ المدن في مواضع تتسم بالحصانة تبحث عن وسائل لحماية مواضعها وسكانها من الأخطار، لهذا أقيمت الأسوار حول المدن لصد المهاجمين، وبني على الأسوار أبراجا للمراقبة، ويتم الدخول إلى المدينة عبر بوابات عليها حراس، وإن تحول المدن إلى قلاع تعكس سطوتها وقوتها أثر على روعة البناء والمعمار ودقة الهندسة والتصميم وجمال الزخرفة<sup>3</sup>.

وأولى الرحالة الجغرافيون العرب والمؤرخون وعلماء الاجتماع أهمية كبرى للدراسات والأبحاث حول نشأة المدن ومواقعها وأحوال مجتمعتها وخصائص عمرانها ووظائفها وفق العديد من التفسيرات

<sup>1</sup> القباري محمد، علم الاجتماع الحضري ومشكلات التهجير والتغيير والتنمية، الناشر دار المعارف، مصر، د.ت، ص.657.

<sup>2</sup> رشوان أحمد، المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري، المرجع السابق، ص.84-85-86-138.

<sup>3</sup> أبو عياش عبد الله، أزمنة المدينة العربية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط، 1980، المرجع نفسه، ص 25.

والمؤثرات يظهر ذلك جليا عند دراسة مدينة بعينها دراسة تفصيلية<sup>1</sup>.

وهناك العديد من الكتب التي اختصت بمسائل البنين وأفردتها بالبحث ككتاب الإعلان بأحكام البنين لابن الرامي، وكتاب الجدار لعيسى بن موسى التطيلي وغيرهما، وهي مصادر تتابع حركة البناء والعمران في عصورهما، مع التعرف على العقار، وإتقان عمليات الإنشاء المعماري<sup>2</sup>.

إن التعريف القرآني للعمران البشري هو إسكان في منطقة معينة لهدف محدد، يتطور مع الزمن إلى اجتماع بشري يسوده الأمن ويتوفر على أسباب المعيشة.

ومن خصائص العمران البشري التي دلت عليها آيات القرآن، هي أن القرية تعتبر وحدة التركيب، والتنظيم التي ذكرها المولى عز وجل في كتابه، فمن المبادئ العامة التي وردت في سورة سبأ في قول الله تعالى (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير، سيروا فيها ليالي وأيام آمنين)<sup>3</sup>. ويذهب الطبري في تفسيره لهاته الآية، أن الله جعل القرى متوضعة الواحدة تلو الأخرى، بحيث أن المسافر ينتقل من قرية لأخرى، مستفيدا من توفر النقل والأمن والمعيشة<sup>4</sup>.

وكانت للفنوحات العربية واستقرارها في افريقيا الشمالية دورا أساسيا في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية، وبناء القرى والمدن وتعميرها وتوسيع العلاقة مع الأهالي، وأسهمت الهجرة الجماعية للعرب خلال مراحل التوسع في تشجيعهم على الاستقرار والتحول من البداوة إلى الحياة الحضرية.

فقد استقر معظم الوافدون في البداية في القلاع والحصون ومدن المعسكرات ثم تطورت هذه المدن إلى حواضر شهيرة ارتبطت بمسالك تجارية نشطة، وأريافها في فترة ازدهار الاقتصاد بالمغرب.

واتجه العرب إلى امتلاك الأراضي عن طريق الشراء أو الإقطاع، وأغلب الملاكين العرب استقروا في المدن ويديرون مزارعهم بالوكلاء، كما أعتمدت جماعات عربية مقيمة بالريف على الزراعة، فنسبت إليها عدة قرى التي توسعت إلى مدن صغيرة، واستحدثت مدن جديدة أصبحت حواضر شهيرة<sup>5</sup>.

تمثل المدينة الإسلامية نموذجا مدينيا واجتماعيا ولها تنظيم هندسي، مركز ثقلها حول المسجد الذي يتوسط المدينة ويجمع كل أبعاده، وتتميز هندسة المنازل بوجود ساحة صغيرة وسط المنزل تعد بمثابة المركز الذي يجمع كل عناصر الأسرة، وتتأثر فن العمارة ونمط البناء والسكن لهذه المدينة بالعرف الاجتماعي والروابط الاجتماعية، وتتفرع عن مركز المدينة الشوارع والأسواق والقلاع والمرافق .

وكان من أهم نتائج الفنوحات الإسلامية بناء مجموعة من المدن الجديدة كالبصرة والكوفة بالعراق،

<sup>1</sup> محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، المرجع السابق، ص.29

<sup>2</sup> عصر النهضة العربية، مقدمات ليبرالية للحدثة، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 2000 ص.23.

<sup>3</sup> سورة سبأ الآية 17، القرآن الكريم.

<sup>4</sup> تومي إسماعيل، العمارة والعمران في ظلال القرآن، دار الهدى، عين مليلة، 2004، ص.16-19.

<sup>5</sup> بوخالفة نور الهدى، استقرار العرب وإنشاء المدن والقرى في المغرب الوسيط، مجلة الحوار الفكري، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، 2002، ص.51.

والفسطاط في مصر، والقيروان في تونس، والرباط ومراكش في المغرب التي أصبح الإسلام دين غالبية سكانها مثل سمرقند وطاشقند ونيسابور والموصل واسطنبول والجزائر وأشبيلية وقرطبة وغرناطة من أهم مراكز الحضارة الإسلامية، وسارت مدن المغرب العربي في نفس الاتجاه الذي حرص على تحسين التحصين لقصر الحاكم ودواوين الإدارة، فاختر لها أحسن المواضع في المدينة المحصنة بالأسوار والمزودة بالقلاع التي يطلق عليها بالمدينة القصبة وأما في هندسة المباني الجديدة، نجدها تفرق أكثر مما تجتمع، يشعر فيها الإنسان بالاغتراب رغم تنظيمها المحكم<sup>1</sup>.

وحاولت عدة أبحاث ودراسات وضع معايير معينة تميز المدينة كمركز حضري منطلق من توجهات بحثية محددة برؤية خاصة<sup>2</sup>.

فالمدينة مستقر حضري يمارس أهله حرفا غير زراعية أي أن حياة سكان هذا المستقر البشري تعتمد على حرف كالتجارة والصناعة والخدمات، ولئن اختلف الباحثون في تحديد مفهوم المدينة، فلأنهم جميعا يستندون في تعريفهم للمدينة إلى عدة معايير منها: العددية الحجم السكاني والإدارية كأن تكون مركز دائرة أو بلدية والتاريخية اكتسبت دورا تاريخيا قديما من خلال حمل تسميتها القديمة<sup>3</sup>، بحيث أن كل مدينة قديمة في المغرب مثلا تشترك مع بعضها البعض في القدم والعراقة، فالمدينة المغربية تنقسم إلى قسمين أحدهما قديم ويسمى السويقة، ويكون في كثير من المدن محاطا بالأسوار العالية والأبواب التي تشبه أبواب القلاع، والقسم الثاني من المدينة حديث المباني والشوارع والطابع<sup>4</sup>.

وأخذت ملامح المدينة تنمو وتتغير وتتبدل، وعن طريق الإبداع والابتكار ظهر التخطيط أساسا لتشييد المدن الذي بدوره يحتاج إلى مهندسين، والتخطيط ينظم شكل المدينة ويتوزع السكان على أساس الخطة. ويتخذ تخطيط المدن أشكالاً مختلفة فمنها ما كان دائريا كأور وأربيل، ومنها ما كان نصف دائري كأشور، ومنها ما أمتد طوليا كتل العمارنة على طول مجرى النيل، ومنها ما تقطعت شوارعها بأشكال طولية وعرضية متعامدة مع بعضها بعضا في مدن الرومان مثل بعلبك في لبنان<sup>5</sup>.

وطبق ابن خلدون دراساته وآراءه حول الحضارة والعمران<sup>6</sup> على المدن العربية محددًا أوضاعها ومشخصا مشكلاتها، دارسا عوامل نموها وازدهارها وخرابها ودمارها، وكانت المدينة بالنسبة له عبارة عن مجتمع ومباني وعمارة وثقافة واقتصاد وإدارة ذات تركيبات متشعبة، تشمل عناصر الزمن والفلسفة مضافا إلى فائدتها، فابن خلدون يركز على أهمية الموضع للمدن التي تراعى فيها قربها من البحر،

<sup>1</sup> لسان العرب، المحيط العلامة معجم، عبد الله العلابي، المصدر السابق، ص 455.

<sup>2</sup> أبو عياش عبد الله، أزمة المدينة العربية، المرجع السابق، ص: 11.

<sup>3</sup> الغلابيين عبد الرحمان، دراسة التحضر وعوامل نمو المدن، مجلة المدينة العربية، الكويت، العدد 31، السنة 7، ماي 1988، ص. 49.

<sup>4</sup> خواسك أميرة، رائحة التاريخ وأنف الواقع، مجلة المدينة العربية، العدد 66، ماي يونيو 1995، ص. 98.

<sup>5</sup> أبو عياش عبد الله، أزمة المدينة العربية، نفس المرجع، ص. 24.

<sup>6</sup> تحتوي دراسات ابن خلدون حول الحضارة والعمران على تفاصيل تتعلق بنشوء المدن وتطورها وتصنيفها حسب الموضع والموقع والعناصر الطبيعية السكانية والوظائف والنشاطات الاقتصادية وعلاقتها الخارجية.

السلامة من الأمراض، وتوفير الأمن و والمرافق والمياه والمزارع، والحصانة .

وأسهمت عدة عوامل عسكرية وسياسية وحتى دينية في تشكيل المدن العربية وتعميرها، وازدهارها، حيث بدأت هذه المدن منذ القديم كقواعد عسكرية أوجدتها الجيوش كمراكز إدارية في الأمصار، لإرسال الأوامر والنجادات من قاعدتهم الأساسية بشبه الجزيرة العربية إلى المناطق المفتوحة . ويهتم ابن خلدون بالعناصر المتوفرة لموضع المدن العربية واستمراريتها<sup>1</sup>، ولاختيار مواقع المدن الساحلية يجب (أن تكون في جبل وبين أمة موفورة العدد)<sup>2</sup>، كالإسكندرية وطرابلس وبونة وسلا وبجاية. وأصبحت المدن المغربية والإفريقية حواضر تضم قصورا تسمى الدروب والأزقة والحارات والفنادق والأسواق والمساجد بأسماء من بناها أو استقر حولها من العناصر العربية من قادة الجند وأهل العلم والتجارة والبلاد من العناصر البربرية، وتميزت هذه التجمعات السكانية بميزتين أساسيتين:

- قيام ارتباط بين سكان العرب والبربر في أماكن الاستقرار عن طريق الولاء والمصاهرة والتجارة.
- ظهور تجمعات سكنية مرتبطة بالحرفة أو المهنة تارة أو أبناء الدين الواحد أو المذهب الواحد تارة أخرى. وحصل في العصور الإسلامية الأولى نمو ديموغرافي واقتصادي برزت معه مدن كالقيروان<sup>3</sup> . وتتميز المدينة الأوروبية عن المدينة الإسلامية باستمراريتها في مسيرتها التاريخية لأن عملية الهدم وإعادة التمدن قائمتان في كل وقت في أوروبا، وبذلك صارت ظاهرة التمدن عملية مستمرة، أما المدن الإسلامية فهي قصيرة العمر، ولهذا تشهد خلال كل بضعة أجيال أنماط تمدنية جديدة.

ويمثل الأمن والأمان قيمة أساسية لنشأة المجتمع الحضري المستقر، حيث عكست نشأة المدينة أهمية التحصين لحمايتها ولتنمية عمرانها، وكانت التجارة وراء نموها، وانطلاقا من أهمية الأمن الذي يتوفر بتحصين المدينة، وظلت الأسوار والاستحكامات من خصائص المدن حتى القرن 18م في أوروبا والعالم. ومن الملامح الرئيسية للمدن التجارية الذي تمثله الأسواق التي تتنوع مساحتها حسب نشاطاتها<sup>4</sup> . وكان الهدف من كل تخطيط للمدن في العصور الوسطى يتمثل في تحقيق النظام والجمال، أما النظام فهو التصميم الهندسي البديع، يتحقق الجمال في طراز باروكي قوطي متقدم، وتجتمع كل الطرز المعمارية مع طراز عصر النهضة في شارع ما، ومزج مهندسو البناء في تخطيط المدن بين القديم والجديد، وبرز نظام موحد للمدينة الباروكية في القرن 17م، وللتخطيط الباروكي سماته كتخطيط مستقيم الأنفاق، يتميز بالخطوط العريضة والثابتة الذي يتلاءم مع الطبقات الوسطى خاصة بإيطاليا.

إذ بلغ عصر الباروك درجة عالية ببروز الفن الفرنسي في باريس خلال القرنين 15م و16م ثم

<sup>1</sup> فاعور علي، جغرافية تاريخية المدينة العربية، مجلة العكر العربي المعاصر، العدد 12 أيار 1981، ص.ص: 116-118

<sup>2</sup> محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، المرجع السابق، ص.31.

<sup>3</sup> بوخالفة نور الهدى، استقرار العرب وإنشاء المدن والقرى في المغرب الوسطى، نفس المرجع، ص.52.

<sup>4</sup> محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، المرجع نفسه، ص.252-135-306.

انتقلت النماذج الفرنسية من فرنسا إلى ألمانيا، وهاجرت معها الكثير من عناصر الفن الباريسي عن طريق الاقتباس والاستعارة الثقافية، وامتألت ملامح طابع الركوكو الفرنسي التي استوردها الإقطاع في القلاع والقصور الألمانية، لتنتقل الزعامة نحو بريطانيا في القرن 18م، أدى إلى ظهور المدن الحضرية. وكان التخطيط الهندسي أرسقراطيا في فرنسا ثم سيطرت النزعة البورجوازية على سائر اتجاهات الفن والعمارة والأدب، فغلبت عليها الجوانب الحسية والوجدانية ومع تطورها ظهرت المدن الصناعية<sup>1</sup>. إن بداية ظهور الشارع الذي تصطف على جانبيه المنازل كان له دلالاته الهامة، ويكشف هذا النظام عن وجود كيان اجتماعي وسياسي كفل هذا التنظيم.

وتعكس أهمية الشوارع في تخطيط المدن باعتبارها الهيكل الأساسي الذي يحدد تكوينات المدينة المعمارية، وكلما كبرت المدينة وازداد النشاط والرخاء جذبت إليها أعدادا أكبر من الناس، فتنضم وتتلاصق المباني<sup>2</sup>، انطلاقا من قول الفيلسوف الفرنسي جون جاك روسو أن المنازل تشكل المدينة، وأن المواطنين يشكلون الحاضرة العقد الاجتماعي فإن تصرف البشر هو الذي يظهر من خلال تاريخ المدن والحضر على حد سواء ويرسون قواعد الحاضرة، بإعادة تملك فضاءات المدينة والتكيف معها<sup>3</sup>. استهدف تخطيط مدن أوروبا ومبانيها في العصر الحديث تحقيق عدة جوانب، وذلك من أجل تحقيق عملية الابتكار الفني، أما في عصر النهضة يتم إنشاء مساكن صحية مخصصة للطبقة الوسطى<sup>4</sup>. وأصبحت بريطانيا رائدة تخطيط المدن الجديدة مستفيدة من تحولها الهائل في القرن 19م الذي كان له دور هام في تخطيط المدن وتشكيل تجمع حضري<sup>5</sup> في مجال محلي محدد الذي يحمل دلالة وبعدا رمزيا وتساهم التسمية في تكوين اقليمية تنجم عن نظام ثلاثي البعد: (مجتمع، مجال، زمن) وتؤدي الى التملك والشعور بالانتماء إلى جماعتها<sup>6</sup>، وغالبا ما يكون المكان معمورا، بينما التعمير هو أولا- معرفة المكان الذي يعبر عن ارتباط الجماعة بالاقليم.

إن رسم الاقليم في المجتمعات البشرية عملية تعبر عن الامتلاك، وأثر السلطة في نطاق معين، كما يتضمن انسجاما داخليا للجماعة، فالحد إذن يعني مفهومي الضم والطرء معا، والطرء هو ما يوجد خارج

<sup>1</sup> بيلاك نورة، المجال الحضري والقيم السوسيو- ثقافية للمدينة الجزائرية، الدراسة الميدانية بمدينة قسنطينة، ماجستير في علم الاجتماع الحضري، اشراف دليمي عبد الحميد، 2006، ص.ص.36-37.

<sup>2</sup> محمد عبد الستار، المدينة الاسلامية، المرجع السابق، الكويت، ص.170.

<sup>3</sup> لقعج عبد القادر، مجلة إنسانيات، العدد 05، ماي - أوت 1998، CRASC، وهران، ص.1.

<sup>4</sup> رشوان أحمد، المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري، نفس المرجع، ص.204.

<sup>5</sup> تطلق لفظة التجمع على أشخاص وأشياء معا أي على مجموعة بشرية مميزة، وعلى مجموعة من العمارات، وعلى السكان والأبنية أي كائن وشكل للتجمع هما في حالة تغيير مستمر ضمن ظروف متغيرة، فالكائن يتجدد وفق نمط السكان أو بواسطة دفعات من الهجرة، وعلى فترات بناء تدريجية. ولتحقيق التوازن الداخلي للتجمعات المدنية يستوجب تدخلا منظما تقوده السلطات العامة، وقد أكد الدستور الفرنسي لعام 1946 في مقدمته (تؤمن الأمة للفرد والعائلة الشروط الضرورية لتطورهما، وتضمن للجميع، وقاية الصحة والسلامة المادية والراحة وأوقات الفراغ إلخ)، وتدل كلمة التجمع على وحدة إجتماعية مؤقتة، والتجمع يختلف طبعا عن الجماعة التي يرتبط الأفراد فيها بعادات وتقاليد واحدة وتاريخ طويل، ينظر: أوزيل روبير، فن تخطيط المدن، ترجمة بهيج شعبان، ومراجعة هنري زغيب، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1974، ص.10-11.

<sup>6</sup> معجم العلوم الاجتماعية، الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة (بونسكو)، تصدير ومراجعة مذكور ابراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975، ص.119.



الحدود، وإن الدخول في علاقات مع الاشخاص والاشياء يعني رسم حدود، وفي نطاقاتها تمارس السلطة فيها تبادلات وعلاقات داخلية وخارجية<sup>1</sup>.

وإذا كان المجال المحلي يعبر عن مجموعة العلاقات السكانية مع المكان، فإنه يطرح مسألة المقياس: من الحجم والمساحة والمدى، وهو في الواقع يعبر عن مستويات مختلفة من الاقليم إلى المزرعة، والحي والقبيلة والفرقة وصولاً إلى الدوار، ويعتبر كوحدة حياة وعمل وعلاقات فهو مجال معيشي يوميًا. والمجال المحلي هو نسيج مجالي متكون من أماكن ملتحمة وأخرى منفكة، فالامتلاكات هي المساحات التي تبرز فيها قوة التضامن وتقارب أماكن الحياة والعلاقات والانتاج، أما الاماكن المنفكة والممتدة في اتجاه الحدود والاطراف، فتعرضت الحدود القديمة للنظام القبلي إلى المحو من طرف الاستعمار التي تترجم وجود سلطة محلية، تعبر عن انتماء السكان لمجتمعات بشرية متمسكة بالاقليم ثم فرض نسيج جديد بمستويات مختلفة أصبح فيه الدوار والبلدية يمثلان المستوى المحلي لانتماء ترابي جديد<sup>2</sup>.

واهتم المسؤولون بالنمو التدريجي لنسق الإسكان والصحة، وإيجاد حلول لمشاكل السكن والمراكز المكتظة بالسكان مع تنظيم الشؤون المحلية مما انعكس إيجاباً على الحياة اليومية للسكان، بعد إنشاء المدن الجديدة والمسكن الواسع والشوارع العريضة، وأمدت الحكومات المواطنين بالمياه والمجاري والوقود والكهرباء والتعليم والصحة والرعاية الاجتماعية<sup>3</sup>.

فالمدن هي أماكن للاقامة بها وهي مركز للتجمع السكاني، ويشمل المجتمع المدني، ويقال للأمة: مدينة أي مملوكة<sup>4</sup>. فأكتسبت المدن عدة أنماط عمرانية ومخططات هندسية ومباني مختلفة الوظائف، ومن بين ما تضمه المدن منذ القدم أماكن للتحصين وتأمين الأخطار عبر أسوار أو قلاع أو ثكنات أو أبواب.

وفي العمائر الحديثة أصبحت البوابات من أكثر العناصر التي تضطلع بأهمية الموقع والمعالجة، ويعتبر اختيار موقعه بالنسبة للبناء مهمة جوهرية في عقلانية التخطيط بما يتناسب مع حركة الناس والشوارع، وإمكانيات الخروج الاضطراري ومستلزمات الإنقاذ.

وأقترن اختيار موضع البوابة بخصوصية تخطيطية، كان للمحورية فيها غلبة وسطوة، ولاسيما في المخططات الكبرى، وعولجت الأبواب الدفاعية لتكريس الحماية للمدن، وفي شمال أفريقيا نجد أقدمها في رباطي سوسة والمنستير في تونس المبنية إبان الحقبة الأغلبية في أواسط القرن 9م، وقد جهزت الأبواب والأسوار بفتحات وأبراج للحراسة وتتميز البوابات وفق خصائص عمارة الحقبة التي أقيمت بها<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> بوكرزازة حسني وبوغابة عبد الحميد، الجبال الثلجية الشرقية: مقاربة احادية المجال محلي، مجلة انسانيات العدد 16، جانفي-أفريل 2002، ص 29.

<sup>2</sup> بوكرزازة حسني وبوغابة عبد الحميد، الجبال الثلجية الشرقية، المرجع نفسه، ص 30-32.

<sup>3</sup> رشوان أحمد، المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري، المرجع نفسه، ص 205.

<sup>4</sup> لسان العرب، المحيط العلامة معجم لغوي قدم له عبد الله العلابي، اعداد يوسف، ج1، دار لسان العرب، بيروت، ص 455.

<sup>5</sup> ثويني علي، المقرئص في العمارة الإسلامية، عالم متركب من الوظيفة والروحانية والجمال، الباب في العمارة، مقالة في الانترنت.

وتختلف طبيعة هذه المدن حسب المشاريع التي تعدها الامبراطوريات والممالك والامارات والدول وإرادة قادتها في البناء والانشاء والهندسة بشكل مؤقت أو دائم وفق صيرورة التفاعل. ويحل علم الاجتماع الحضري المدينة كظاهرة اجتماعية لها مشكلات خاصة، ويعتبرها سابا جورك: (إن المدينة تعني الفن بتشعباته من هندسة ونحت وأدب،..الشوارع والعمارات والإنشاءات، ولا يمكن الفصل بين المدينة والتحضر، فلفظة المدينة مرادفة لمفردتي التحضر والحضرية معا..)<sup>1</sup> ويتبين مدى أهمية الدراسات حول الظاهرة العمرانية والعوامل المؤثرة في تطور العمران البشري الذي يحتاج إلى تخطيط وإنشاء التي تتغير من حقبة لأخرى حسب تأثيري التفاعل أو الانفعال، وتعدد المفاهيم والمخططات التي تقاس بها المدن، وما ينعكس على قوتها أو ضعفها، وبقائها أو ديمومتها<sup>2</sup>. نستخلص بأن العمران البشري عرف تغييرات مستمرة في عوامله ونشأته وتطوره عبر الزمان والمكان من مدن المدنية القديمة على ضفاف الأنهار وصولاً إلى المدن الحديثة مروراً بمدن العصور الوسطى الشرقية الإسلامية والغربية اللاتينية، تختلف معها الهندسة والنمط المعماري المعتمد، وما بين المدن القصيرة العمر أو المعمرة، والمدن الجبلية أو السهلية، والمدن الساحلية أو الداخلية.

<sup>1</sup> Ibid, Alblagh Org.

<sup>2</sup> أوزيل روبر، فن تخطيط المدن، ترجمة بهيج شعبان، ومراجعة هنري زغيب، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1974، ص.ص.10-11.

### المبحث الثالث: التطور التاريخي

يعتبر الموقع الاستراتيجي للمدن الساحلية الجزائرية القديمة في الحوض الغربي للبحر المتوسط كمنفذ طبيعي يربط بين المسارح التي قامت عليها الحضارات القديمة التي استوطنتها شعوب بحرية كانت في حالة مد وجزر وصراع دائم للفوز بهذه المنطقة، مما أثر على مدن الساحل المتوسطي<sup>1</sup>. يمكننا أن نصف مدينة سكيكدة (فيليب فيل) الساحلية موضوع الدراسة على أنها مدينة تاريخية قديمة، كانت موضع اهتمام منذ العصور الغابرة، واستطاعت المحافظة على دورها التاريخي من خلال الآثار المادية والكتابات التاريخية التي تشير إلى هذه المحطة التجارية الواقعة قرب خليج أسطورة الهادي غرب وادي الصفصاف<sup>2</sup> أي ضمن المنطقة الليبو-فينيقية الممتدة من موقع قرطاجة حتى رأس بوقرعون<sup>3</sup>. وتقع مدينة سكيكدة شمال شرقي الساحل الجزائري، المطل على البحر المتوسط عبر ميناء سطورة الرئيسي، وتظهر بصفة واضحة في الفترة الرومانية، أين كانت تمثل مستودعا تجاريا لمقاطعة سيرتا<sup>4</sup>. ويعد ميناء سكيكدة من الموانئ الجزائرية الهامة قديما، في نقل السلع المختلفة، ولم تكن الأهمية الاستراتيجية لسكيكدة كميناء جيد خافية فهو يحتل في خليج سطورة موقعا ممتازا على البحر المتوسط ويحتمي من الغرب برؤوس أهمها رأس بوقرعون، ومن الشرق رأس الحديد<sup>5</sup>. وكانت منطقة خليج سطورة مسرحا نشيطا للتبادل التجاري منذ القديم، ولم تظهر أهمية هذا الخليج إلا في النصف الأول من القرن 19م، بعد استيلاء الفرنسيين على إقليم قسنطينة. وتحتل منطقة سكيكدة سلسلة جبلية تعد آخر تفرع لمرتفعات بلاد القبائل، بحيث تنتهي بسهل سوننجة وبحيرة فتزارة، وترتفع هذه السلسلة باتجاه الجنوب حتى تدرك القمم التي يحدها سباو جبل الوحش ومتاية، كما تخترق هذه المرتفعات العديد من الوديان التي تصب في البحر: القبلي، الصفصاف وفندك. ولا تمثل المناطق المجاورة بإستثناء السهول إلا كثبانا رملية ومنحدرات تغطيها أشجار الفلين، بينما نلاحظ سهولا خصبة ومياه كثيرة وحقول أشجار الزيتون بالمنطقة الجنوبية للمدينة التي فضل السكان الاستقرار بالمدن الساحلية، بالإضافة إلى السهول والمرتفعات الجنوبية المحاذية لها<sup>6</sup>. يعد الموقع من العناصر المؤثرة في عمران المدينة وحياتها بل يعد من مبررات وجودها في الغالب، وتبرز أهمية موقع سكيكدة في كونها بوابة إقليم قسنطينة ومنفذه القريب على البحر المتوسط، ويتأثر

<sup>1</sup> Vars Charles, *Rusicade et stora, au philippeville dans l'Antiquité, constantine, 1896*, p.7

<sup>2</sup> وادي الصفصاف Saf-Saf من أهم أودية منطقة سكيكدة الذي يشكل أهم الأودية الدائمة في الجزائر ويعتبر وادي الصفصاف ممر طبيعي ومحور مركزي يفصل بين كتلة قبائل الفل في الغرب وحوض عزابة في الشرق، ممتد في شكل رواق مزدوج على مستوى الحدائق يمتد على طول 40 كلم من الحروش حتى سكيكدة في اتجاه جنوب شرق شمال غرب، حيث يقوم بتصريف مياه حوض تجميحي، ينظر:

Boukerzaza Hosni, *Décentralisation, développement locale et aménagement du territoire en algérie, le cas de la wilaya de skikda*, thèse de 3<sup>e</sup> cycle université paul valery montpellier, 1985, p.17.

<sup>3</sup> غانم محمد الصغير، *التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، جامعة منتوري دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2003* ص.290.

<sup>4</sup> Gsell Stéphane, *Atlas archéologique de l'algérie, T2, 2<sup>ème</sup>, alger, 1997*, p.12.

<sup>5</sup> حمادة صالح، *دراسة في جغرافية المدن حول مدينة سكيكدة، المرجع السابق، ص.166.*

<sup>6</sup> De Marcilly, *Notice Sur les vestiges de l'occupation romaine dans le cerle de philippeville.R.S.A.C, 1853*, p.20-21.

موضعها بالعوامل الطبيعية من تضاريس ومناخ وشبكة مائية بشكل واسع فيما يتعلق بنمو المدينة وتخطيطها، ونجدها تتحكم إلى حد كبير في شبكة الطرق وخطوط الحركة بين المدينة وأقاليمها أي منافذها، في حين يكون لعالمي المناخ والمياه تأثير كبير في حياة السكان ونشاطهم الاقتصادي، فالمناخ بعناصره المختلفة يؤثر على المباني وتوجيهها، وتطافرت تلك العوامل مجتمعة لتجعل من المدينة ذات طابع عمراني مميز ومركز حضري ديناميكي<sup>1</sup>، حيث تتركز في الجزء الجنوبي من خليج واسع على البحر المتوسط، يعرف بخليج سطورة أو الجيب النوميدي<sup>2</sup>.

وكان بطليموس هو الجغرافي الوحيد من بين القدماء الذي وصف خليج نوميديا الذي يمتد بين رأس الحديد في الشرق إلى رأس بوقرعون في الغرب لمسافة 36 ميلا بحريا وقدم قياسات دقيقة لأبعاده. تأخذ سكيكدة مكانة هامة بين مدن شرق الجزائر، وهي أفضل مكان لربط الساحل بالداخل ثم المدن الجنوبية في قلب الصحراء عبر مدن بسكرة وباتنة وقسنطينة عاصمة الإقليم التي تبعد بحوالي 86 كلم، لتنتهي عند ميناء سكيكدة على البحر المتوسط. ولا تقل أهمية هذه المدينة بالنسبة للعالم الخارجي عن أهميتها بالنسبة للداخل كميناء تصدير واستيراد، وقرب ميناؤها من بعض الموانئ الأوروبية، فميناء مارسيليا الفرنسي لا يبعد عنها إلا بحوالي 395 ميلا بحريا، وعن ميناء جنوة الإيطالي 460 ميلا ونابولي 425 ميلا، وجبل طارق 610 ميلا<sup>3</sup>، أما بالنسبة للشرق العربي فإن المسافة بين سكيكدة والاسكندرية تمثل 1177 ميلا بينما المسافة بين سكيكدة وبيروت هي 1390 ميلا بحريا.

أما عن موقع سكيكدة الفلكي فهي تقع عند تقاطع خطي طول 35°-6° شرق غرينتش مع دائرتي عرض 35°-36° شمال خط الاستواء، وذلك على ارتفاع متوسط 42 م فوق مستوى سطح البحر. وتتمتع سكيكدة بعدة مزايا كالحصانة الطبيعية، ففي خلفها جبال صعبة المسالك، تقوم هذه الكتل الجبلية المحيطة بها بحمايتها في الشتاء من الرياح الغربية بما تحمله من عواصف تؤثر على الملاحة البحرية. ونتيجة أهمية موقعها اختار الفرنسيون في القرن 19م موضع روسيكادا القديم لإنشاء مدينة سكيكدة أو فيليب فيل التي ظلوا يطلقون عليها مدة وجودهم وذلك لكونها حصينة برا وبحرا من ناحية، وقربها من قسنطينة ولسهولة الاتصال بها عبر وادي الصفصاف من ناحية ثانية، كذلك ميزتها الاقتصادية كمرفأ هام لتصريف منتجات الإقليم والأقاليم المجاورة وجلب المواد الضرورية للإقليم من ناحية ثالثة<sup>4</sup>. تقع سكيكدة على وادي الصفصاف، وهو كما ذكر مانير<sup>5</sup> ما عرف عند الرومان باسم تريبوس<sup>1</sup>، ولم يذكر من القدماء سوى فيبيوس سيكستر دي فلومينبوس<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> حمادة صالح، دراسة في جغرافية المدن حول مدينة سكيكدة، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، مصر، 1979، ص.1.

<sup>2</sup> Feraud charles, Documents pour servir l'histoire de Philippeville, R.A., 1875, p.9.

<sup>3</sup> ينظر الملاحق خريطة موقع مدينة سكيكدة (فيليب فيل الفرنسية) ضمن مدن البحر المتوسط.

<sup>4</sup> حمادة صالح، دراسة في جغرافية المدن، المرجع السابق، ص.2-3.

<sup>5</sup> مانير Mannert

وهناك من الأثريين من يشتق إسم اسطورة ميناء سكيكدة من اسم الآلهة الفينيقية أستورات<sup>3</sup>، وهي آلهة الجمال الآسيوية التي بقي منها رصيف عديم الأهمية ومدرج، وعثر على نقوش عديدة أثناء الحملة الفرنسية، تم حملها إلى باريس، ولم يترك الفرنسيون منها شيئاً<sup>4</sup>.

بدأ تاريخ سكيكدة مع فجر التاريخ وأستمرت حتى القرن 7م، وكانت تنتمي إلى عالم البحر المتوسط القديم والذي تميزت أحداثه بالتواجد الفينيقي على السواحل منذ القرن 8 ق.م، ثم عرف الإستعمار الروماني الذي ارتبط بالتوسع الزراعي منذ القرن 2 ق.م، والذي أعقبه الإجتياح الوندالي 431م، والتوسع البيزنطي 534م، فظهرت نتيجة هذه الأحداث التاريخية المراكز العمرانية الساحلية<sup>5</sup>.

تأسست مدينة روسيكاد بعد وصول الفينيقيين إلى سواحل الجزائر، حيث كان المغرب مركزا تجاريا تابعا لقرطاج مما أدى إلى انفتاح المدينة على المدنية، وتأثر العالم الليبي بالتيارات المتوسطية المختلفة. ويرجع الفضل إلى الفينيقيين في إدخال الكتابة والبضائع على متن سفنهم إلى سواحل المنطقة التي شكلوا بها مستوطنات منها مركزي روسيكاد وسطورة<sup>6</sup> القريب منه، وأنهم باحتكاكهم بهم عرفوا حياة الاستقرار والتمدن وبالتالي العمران البشري.

وأشير إلى روسيكاد في رحلة سيلاكس تحت اسم ثابوسوس<sup>7</sup>، حيث يمكن أن يكون هذا الاسم يمثل إحدى مراحل تطور المدينة التي عرفت فيما بعد باسم روسيكاد<sup>8</sup>، ولا يستبعد أن يكون سامي الأصل لأنه يشتمل في جزئه الأول على إسم Rus، وهو المصطلح الفينيقي الذي عرفت به كثير من مدن الساحل الجزائري ينطبق ذلك على أسماء أخرى مماثلة روس غونية<sup>9</sup>، وروسبييكاري وروسوكورو<sup>10</sup>.

وذهب بعض الباحثين إلى أن تفسير اسم روسيكاد لا يستبعد أن يكون الرأس الوقاد أو رأس النور، وقد عثر في موقع روسيكاد على أعمدة وتيجان أيونية.

ويرى الدارس لبقايا الآثار التي التقطت من موقع المدينة القديمة مدى العلاقات التي كانت تربطها بالديانة والحضارة الشرقيتين<sup>11</sup>، كذلك فإن معظم المحطات التجارية البونية في الجزائر يستهل إسمها

<sup>1</sup> تريبسوس Trepsus

<sup>2</sup> فيبيوس سيكستر دي فلومينبوس Vibius Sequeter de Flumibus

<sup>3</sup> أستورات Astorath

<sup>4</sup> هاينريش فون مالنتسان، ثلاثة سنوات في شمال إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، ج 2، SNED، الجزائر، 1979، ص.222.

<sup>5</sup> سعيدوني ناصر الدين، الجزائر منطلقات ومفاهيم، المرجع السابق، ص.166

<sup>6</sup> يعتبر مرفأ ستورة أو سطورة stora الذي يقع على بعد 4 كلم إلى الغرب من ميناء سكيكدة مكملا لهذا الميناء، لاسيما خلال الفترة القديمة، ويعتقد بان إسم ستورة سامي الأصل وهو مأخوذ من إسم آلهة قابلها اللاتينيون بالآلهة جونون junon

<sup>7</sup> ثابوسوس Thapsus.

<sup>8</sup> روسيكاد Rusicade.

<sup>9</sup> روس غونية Rusgunia، (برج البحري حاليا).

<sup>10</sup> روسبييكاري Rusubbicari (مرسى الحجاج حاليا)، وروسوكورو Rusuccuru (دلس حاليا).

<sup>11</sup> غانم محمد الصغير، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، المرجع السابق، ص. 21 .

بكلمة روس<sup>1</sup> واستمرت التأثيرات الحضارية البونية في سكيكدة حتى بعد ميلاد المسيح، ولم يقض على هذه الحضارة بانتهاء الكيان السياسي القرطاجي<sup>2</sup>، ويرجع عهد المدينة إلى القرن 12 ق.م. كانت المدينة في تلك الفترة عبارة عن قرية صغيرة، تدعى تصاف (الصفصاف) اكتشفت آثارها في القرن 19م<sup>3</sup>، بعدما توافدت على هذه المدينة الساحلية القديمة جماعة من التجار الفينيقيين في هذه الفترة التي أصبح البحر المتوسط مفتوحا على مصراعيه أمام البحارة الفينيقيين<sup>4</sup> للمتاجرة مع كل الشعوب المتوضعة على شواطئه<sup>5</sup>.

وتعتبر سكيكدة مستعمرة فينيقية يستنتج من إسمها كمدينة تجارية لأنها كانت لها منارة تتضح من الاسم الفينيقي روس اكاوه الذي يعني رأس النار في ترجمة غيسينيوس، والنار تعني المنارة<sup>6</sup>. ويشير الجغرافي بطليموس إلى وجود مدينتين في الخليج النوميدي، إحداهما تدعى روسيكادا والأخرى تدعى توسيكادا<sup>7</sup>، ربما أنه من المحتمل أن تكون قد وجدت في القديم محطتان روميتان في موضع استورة وموضع سكيكدة، ويشكل رصيف استورة<sup>8</sup> جزءا من الخليج النوميدي<sup>9</sup>. أما اسم روسيكادا فمأخوذ في رأي غيسينيوس من الكلمة الفينيقية بيت أوسكات<sup>10</sup> ويعني بيت استصلاح الأرض. كانت روسيكادا مستعمرة زراعية مثلما هي مدينة تجارية<sup>11</sup>، وهي إحدى المحطات التجارية في سواحل المغرب غربي قرطاجة التي انشأها البحارة الفينيقيون إلى جانب عنابة<sup>12</sup>، وعثر في مركز روسيكادا<sup>13</sup> التي كانت لها صلات قوية بمدينة سيرتا على بقايا أثرية تعود إلى القرن 3 ق.م.<sup>14</sup>. أبقى الرومان على نوع من الاستقلالية في تسيير شؤون المدن النوميديّة على الطريقة المعهودة في العهد البوني النوميدي<sup>15</sup>. بعدها أصبحت مستعمرة روسيكادا الرومانية تابعة لنظام البروقنصلية، وهذا

<sup>1</sup> روس أي Rouch، هي سامية الأصل وتعني في اللغات السامية القديمة رأس، وحاليا تحمل نفس المعنى في اللغة العربية.

<sup>2</sup> غانم محمد الصغير، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، المرجع نفسه، ص. 254.

<sup>3</sup> Ibid, Gsell Stéphane, Atlas archéologique de l'Algérie, p.12

<sup>4</sup> مجيء الفينيقيون إلى بلاد المغرب بعد انتهاء غزوة شعوب البحر التي اجتاحت بلاد الإغريق وأسيا الصغرى ثم الساحل الفينيقي، تأسيس قرطاجة تشير المراجع التاريخية إلى أن اسم قرطاجة Carthage وباللاتينية Corthago هي صورة محرفة من الاسم الفينيقي "قرت حدنش" الذي يعني "المدينة الجديدة"، لتأسيسها هو 814 ق.م.

<sup>5</sup> Lieussou M.A, Etudes sur les ports d'algerie, imprimerie administrative de paul dubond, paris, 1850, p.80.

<sup>6</sup> وقدر بطليموس المسافة بين سكيكدة والقل بعشر درجات من خط الطول.

<sup>7</sup> توسيكادا Thusicada.

<sup>8</sup> غانم محمد الصغير، التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط، المرجع السابق، ص. 97.

<sup>9</sup> رصيف استورة، وهو: كولبوس الكليكتس Kolpus Alkalektes.

<sup>10</sup> الكلمة الفينيقية "بيت أوسكات Beth usikath.

<sup>11</sup> يطلق عليها الأهالي اسم سكيكدة وهي تسمية عربية، اعتبرها الرحالة الألماني هاينريش فون مالتسان مدينة نسخة طبق الأصل من مدينة ضواحي باريس، مكتظة بالمقاهي وهذا عندما أقام بها عام 1840، قبل يواصل سفره من اسطورة نحو عنابة. ينظر: هاينريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، المصدر نفسه، ص. 223.

<sup>12</sup> عنابة Hippo- Rigius

<sup>13</sup> روسيكادة Rusicada سكيكدة حاليا.

<sup>14</sup> هاينريش فون مالتسان، المصدر نفسه، ص. 224.

<sup>15</sup> شنيّتي محمد البشير، أعضاء على تاريخ الجزائر القديم: بحوث ودراسات، دار الحكمة، الجزائر، 2003.

الأمر ساعد على ازدهار هذه المدينة ذات العمران القديم الذي بدأ في منطقة سكيكدة مع قرية تابسا<sup>1</sup> وميناء سطورة قبل مجيء الرومان إلى شمال إفريقيا<sup>2</sup>.

ولعل من أهم معالم المدينة آنذاك الخزانات أو الصهاريج التي جلبها الرومان من الجبال المجاورة ضمن قنوات تحت الأرض<sup>3</sup>. أما الساحة العامة أو الفوروم فكانت تتوسط المدينة، عند المسرح البلدي الحالي، وبالغرب منها الاسواق، وهناك معالم أخرى كالحمامات الرومانية وغيرها، لم تحظى بالدراسة والتقيب بسبب انشاء المدينة الجديدة على تلك الأنقاض، وفي ظروف صعبة لم يتمكن الدارسين من تتبع بقايا أثار المدينة القديمة التي يحتل تمركز أثار كثيرة مدفونة تحت المدينة الحالية، وهناك بقايا اركيولوجية أخرى نقل بعضها إلى متحف سيرتا بقسنطينة، وبعض الأواني والأدوات والأضرحة والجرار والمكايل موجود في متحف سكيكدة، وكلها تعكس مدى توسع المجال العمراني للمدينة قديما<sup>4</sup>.

أسس الفينيقيون عدة موانئ على سواحل بلا المغرب، على شكل مراكز تجارية ساحلية، بحيث تجمع حول هذه المدن ذات الطابع السلمي التي نزل بها التجار الفينيقيون، سكان المناطق القريبة منهم، وتكون ما يعرف بنظام المدينة الدولة على غرار ما كان سائدا في شرقي المتوسط، وفي الغالب اختار الفينيقيون لموانئهم الخلجان الطبيعية المحمية من الرياح الشمالية التي تتعرض لها سواحل شمال إفريقيا<sup>5</sup>.

ويعتقد ان روسيكادة لم تكن موجودة في العهد الفينيقي أو أنها لم تكن سوى قرية صغيرة من قرى نوميديا على ساحل المتوسط، بعدها أسس الرومان روسيكادة على أنقاض تلك القرية واتخذوا موضعها بين جبلي سكيكدة وبويعلا، وعند استقرارهم اخذوا في بنائها وتوسيعها، منذ سنة 46 ق.م، بعد القضاء على الزعيم البربري يوبا الأول، وأطلقوا على الميناء اسم فنيريا<sup>6</sup> أي المقدسة، وجعلوا منها جزء لا يتجزأ من مدينتهم روسيكادة، وعموا التسمية اللاتينية على كل الممتلكات التي تحولت إليهم<sup>7</sup>.

إذن مدينة روسيكادا قامت مكان Thupsa البربرية الفينيقية كما يذهب بعض (فيناش)<sup>8</sup>، بينما اسم سطورة التي رفقتها، هي تسمية فينيقية قديمة لبلدة وميناء صغيران، وكلاهما يقعان على خليج نوميديا، وقريبان من بعضهما البعض، مما خلق التباس بين الاثنين، ويورد الباحث الفرنسي شارل فار<sup>9</sup> عن هذين الموقعين: (أنه من المحتمل أن اسم سطورة الحالي الذي ذكره الادريسي باسم Estora، كما ذكره الرحالة

<sup>1</sup>Thupsa

<sup>2</sup> حمادة صالح، جغرافية سكيكدة في تاريخ الحضرة، المرجع السابق، ص.33.

<sup>3</sup> Vars Charles, Rusicade et stora, au philippeville dans l'antiquité, Op cit, p.59.

<sup>4</sup> حمادة صالح، جغرافية سكيكدة في تاريخ الحضرة، المرجع السابق، ص.40-42.

<sup>5</sup> غانم محمد الصغير، نظرة في العلاقات الحضارية الفينيقية البيية القديمة من خلال المصادر المادية، مجلة سيرتا، العدد 10، أبريل 1988، جامعة منتوري، قسنطينة، ص.50.

<sup>6</sup> Veneriae

<sup>7</sup> حمادة صالح، جغرافية سكيكدة في تاريخ الحضرة، المرجع السابق، ص.36.

<sup>8</sup> Fenech, Histoire de philippeville, Op cit, p.6.

<sup>9</sup> Vars Charles, Op cit, p.04.

العربي البكري Istora، كان المقصود به روسيكادة أو سكيكدة، ثم يتساءل أيضا هل اسم سطورة هو نفس الاسم الذي استخدمه اللاتينيون في كتاباتهم باسم روسيكادة؟.

وما دام هناك اختلافات بينهما رغم القرب الجغرافي والامتداد البحري المشترك بين الموضعين، ومن ثم لا يمكن ان نؤكد بأنهما عبارة عن مدينة واحدة أي سطورة هي نفسها روسيكادا، ذلك لأنه لا توجد كتابات ونصوص للقدماء تؤكد هذه الرؤية التاريخية<sup>1</sup>. لكن المؤكد بأن الفينيقيين عملوا على إتباع مبدأ الميناءين في المدينة الساحلية الواحدة، بهدف وضع سفنهم في مأمن من تقلبات الطبيعة وهيجان البحر وتسهيل رسوها، بعدها أصبح الغرض استراتيجيا ومثل موضعي سطورة وروسيكادا<sup>2</sup>.

إن جذور مدينة سكيكدة قديمة النشأة، حيث يعتقد أن كلمة روسيكاد بونيقية الأصل وتعني الرأس الحامي الذي تعلوه منارة بحرية وقد اتضح دورها خلال عهد الاحتلال الروماني.

يعتبر بطليموس<sup>3</sup> الجغرافي القديم الوحيد الذي ذكر خليج نوميديا<sup>4</sup> الذي ينقسم إلى قسمين شرقي وغربي، ففي عمق القسم الأول أقيمت مدينة سكيكدة التي تم التعرف عليها بفضل العديد من النقوش<sup>5</sup> مثل نقيشة حملت اسم المدينة<sup>6</sup>، كما قد تكون Veneria ترجمة لفينوس Venus الفينيقية أستوارات أو استورا، ولا تبعد ستورا حاليا إلا بحوالي 4 كلم إلى الشمال الغربي من سكيكدة Rusicade<sup>7</sup> وتعد أحد المعابر الواقعة الى الغرب من رأس بوهارون التي أسست على طول الساحل المتوسطي من طرف الفينيقيين لإستعمالها كأسواق أو محطات تجارية<sup>8</sup>، وتضمنت لائحة بوتينغر<sup>9</sup> العديد من أسماء المدن الساحلية الرومانية لشرق الجزائر كالقل<sup>10</sup> وسكيكدة التي كتب تسميتها القديمة بعدة طرق.

كتبت سكيكدة القديمة بعدة طرق منها Rusicada و Rusicadis، إلا أن هاتين الطريقتين لا تتطابقان مع ما احتوتة لائحة بوتينغر حيث كتبت المدينة بالشكل الآتي Rusicade التي ربما تكون إسما أو مفعولا فية، ونفس الامر يلاحظ بالنسبة لنقيشة سبقت الاشارة اليها وتضمنت ما يلي Genio Rusicadis ولا يمكن اشتقاق المضاف اليه Rusicadis إلا من الاسم Rusicas أو Rusicade، ولذلك تبنى الكثير من المؤرخين

<sup>1</sup> حمادة صالح، جغرافية سكيكدة في تاريخ الحضرة، المرجع السابق، ص.34.

<sup>2</sup> غانم محمد الصغير، التوسع الفينيقي في غربى البحر المتوسط، جامعة منتوري، دار الهدى عين مليلة، 2003، ص.62.

<sup>3</sup> بطليموس Ptolemée

<sup>4</sup> Ptolemée, Geographie, IV, 3, Paris, ed. muller, 1901.

<sup>5</sup> مثل نقيشة حملت اسم المدينة Genio Coloniae Veneriae Rusicadis

<sup>6</sup> Feraud charles, Documents pour servir l'histoire de Philippeville, R.A, 1875, p. 81; Renier I, L'inscriptions romaines de l'algérie, N°2174, d'après Bertrand louis, Monographie du théâtre romain de philippeville, R.S.A.C, 1908, p.3.

<sup>7</sup> Ibid, Feraud, Documents pour servir l'histoire de philippeville, p.87.

<sup>8</sup> Julien Charles André, Histoire de l'afrique du nord, des origines à la conquête arabe, alger, SNED, 1978, p.80.

<sup>9</sup> Table de Peutinger, d'après De Marcilly, op.cit., p.21.

<sup>10</sup> القل حاليا، الواقعة ضمن قمم جبلية مسننة، وتعرف شولو Chulu أو كوللويس Collops ويسميتها بطليموس كوللويس ميغاس Collops megas في زاوي خليج صغير بسفح جبل الكدية، وتعد اسقفية القل من أقدم الاسقفيات الافريقية، وكانت هذه المدينة المتوسطية من الموانئ المهمة في العصر الوسيط، خاصة خلال الحقبة العثمانية، حيث ظلت تتواجد بها حامية عسكرية تركية، فقد ذكر ليوا فريكانوس أن جميع المعاملات التجارية الراحبة في افريقيا تتم بالقل، واشتهرت المدينة بصباغتها الارجوانية التي بقيت حتى العصر الروماني، وكانت القل آخر المدن الساحلية التي تعرضت للاحتلال الفرنسي في 11 افريل 1843، وبقي التعمير الاوروبي بها محدود العدد، ينظر: هاينريش فون مالتسان، ثلاثة سنوات في شمال افريقيا، المرجع السابق، ص.217-218.



القدامى والمحدثين الإسم الثاني أي Rusicade، عوض روسيكاس Rusicas<sup>1</sup>، ذكر الكثير من أصحاب المصادر القديمة مثل كبطليموس<sup>2</sup> وبلينوس<sup>3</sup> مدينة سكيكدة كمستعمرة رومانية.

ويحتمل أن تابسة التي ذكرت في رحلة سيكلاس<sup>4</sup> التي شيدت في عهد الفينيقيين وجدت في نفس موقع سكيكدة، وأنها حملت إسم الواد المجاور صفصاف<sup>5</sup>.

لقد ولت المدينة كغيرها من سواحل البلدان المغاربية ظهرها طويلا للبحر الذي جلب إليها أغلبية الغزاة المحتلين، فعلى امتداد التاريخ كانت المرافئ التجارية تتحكم في منافذ المسالك البرية<sup>6</sup>.

أسس القرطاجيون بدورهم مراكز جديدة، لكن نفوذهم انحصر في الساحل فقط، من هذه المرافئ: روسيكاد، شولو، صلداي، جيجل، روساكوري (تاكسابت)، رأس قونا (برج البحري)، اكوسيوم (الجزائر)، إيول (شرشال)، كارتان(تنس)، سيقا (رشقون)، وهي مراكز متباعدة عن بعضها البعض<sup>7</sup>.

وبعد القضاء على قرطاجة سنة 146 ق.م على يد الرومان إيذانا بمصير المنطقة المتوسطية بأكملها<sup>8</sup>، وفي فترة الإحتلال الروماني لشمال إفريقيا أنشئت مدينة روسيكادة في القرن 45 ق.م كمركز تجاري بحري الذي زادها أهمية وجود ميناء سطورة الفينيقي الأصل.

يعتقد أن سكيكدة القديمة بنيت من طرف الرومان في سنة 45 ق.م خلال عهد الإمبراطور يوليوس قيصر<sup>9</sup>، إثر إكتساح القوات الرومانية لنوميديا نتيجة التطورات المهددة لمصالحها التي عرفتها نوميديا بعد انفجار الوضع حول العرش النوميدي، واستيلاء يوغرطا على العرش الذي أعقب هزيمة الملك يوبا الأول والبومبيين في سنة 46 ق.م<sup>10</sup>، حول الرومان نوميديا إلى مقاطعة إمبراطورية تخضع لحكم عسكري مباشر من روما، وأصبحت سكيكدة بوابة للإتصالات بين روما ومقاطعة نوميديا مما يعكس أهميتها الإستراتيجية والتجارية. فاهتم الرومان بمد الطرق وإقامة الجسور لتسهيل حركة التنقل بين المستعمرات ونقل المؤونة، وربط المدن ببعضها البعض، وخاصة الطريق الروماني بين روسيكادا وسيرتا مرورا بوادي الصفصاف في عهد إدرياس 118-137م، حيث يبلغ عرض هذا الطريق 8م وطوله 72 كلم، وهو مبلط بالحجارة السوداء.

<sup>1</sup> De Marcilly, Notice Sur les vestiges de l'occupation romaine dans le cerle de philippeville. op.cit, pp.21-26.

<sup>2</sup> Ptolémée, IV, 3.

<sup>3</sup> Pline, Histoire naturelle, V, 22, Texte établi et traduit par Jehan Desange, Paris, Les Belles Lettres, 1980.

<sup>4</sup> سيكلاس Scylax

<sup>5</sup> Feraud Charles, Op.cit., P.82.

<sup>6</sup> شنييتي محمد البشير، الجزائر في ظل الإحتلال الروماني، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص.ص.45-48.

<sup>7</sup> Kaddache Mahfoud, L'Algerie des algeriens de la préhistoire à 1954, Ed paris mediterranné, 2003, pp.30-31.

<sup>8</sup> على إثر ظهور روما في شبه جزيرة إيطاليا في حوض المتوسط القديم حوالي القرن 3 ق.م، اصطدمت مصالح روما بالآغريق في جنوبي إيطاليا ثم بالقرطاجيين أحفاد الفينيقيين الذين كانوا يواجهونهم في حوض المتوسط الغربي.

<sup>9</sup> الإمبراطور يوليوس قيصر Julius Caesar

<sup>10</sup> Benabou Marcel, La Résistance Africaine à la romanisation, Paris, Maspero, 1976, p.407.

ويعتبر وادي الصفصاف الظهير الزراعي لروسيكادا حيث تمكن الرومان من إستغلال هذا السهل الفيضي، بعدما أنشأوا مزارع وقنوات للري على جانبي واد الصفصاف، وكانوا يسكنون أقدم الجبال<sup>1</sup>. وسمح موقعها البحري ونشاطها التجاري بإستقرار العديد من الناس سواء من السكان الأصليين أو من المهاجرين، كما إشتهرت بيد عاملة غنية، وتم ذكر هذا النشاط التجاري واليد العاملة من خلال النصوص التي إحتوتها آثار المدينة كالمسارح والخزانات<sup>2</sup>.

تحولت روسيكادا إلى مستعمرة رومانية تابعة لبيستيموس عام 47 ق.م وبقيت تحتفظ بتسميتها، وبعد قرن من الاحتلال الروماني تحولت روسيكادا إلى كيان بلدي يدار حسب قوانين خاصة، وتحول سكانها تدريجيا إلى مواطنين كاملي الحقوق تحت إدارة والي معين وولاية مختارين ولم يول الرومان أهمية لأغلبية الأهالي خاصة الذين حافظوا على التقاليد البونيقية خاصة المتمركزة في المواقع الجبلية<sup>3</sup>. وتحتوي المدن الرومانية في تخطيطها على متطلبات الحياة العامة<sup>4</sup>، وأعطت هذه المدن المغربية صفة الحضرية، واجتذبت إليها الكثير من البربر خاصة الذين يعملون في مزارع أثرياء الرومان. واقتصر الإستعمار الروماني على بعض البرجوازية والمتقنين وملاك الأراضي والتجار والعسكريين في المدن، وكانوا هم وحدهم الذين يتكلمون اللاتينية عند الضرورة، بينما بقيت الأغلبية من السكان تتكلم البربرية، وهذا ما يؤكد الطابع الإستغلالي للمنطقة، حيث ارتبط التعمير مباشرة بمصالح روما<sup>5</sup>.

اعتمدت السياسة الرومانية في شمال إفريقيا على استغلال اقتصادي شامل لأقاليمها، وتطوير الزراعة بالمنطقة الخاضعة لسيطرتهم التي اعتبرت مخزنا للحبوب الذي كان الرومان في حاجة إليها، لذلك عملوا عن طريق التوسع الزراعي وإقامة المشروعات المائية، والسدود لتخزين مياه الري، وحفر الآبار وبناء مجاري المياه، وكذلك جمع مياه الأمطار وتخزينها، وحفر القنوات في مختلف الزراعات. وأعطى الرومان أهمية خاصة للمواصلات لكي يحققوا سيطرتهم على كافة المناطق التابعة لهم، وبعد انهيار الحكم الروماني بشمال إفريقيا خلال القرنين 4م و5م وبعد غزو الوندال للمنطقة في القرن 5م تبع ذلك إعادة إخضاع هذه المناطق بواسطة العناصر البيزنطية خلال القرن 6م<sup>6</sup>.

تعتبر سكيكدة والقل المنافذ البحرية الرئيسية للمقاطعة على الخارج<sup>7</sup>، كما تشير بقايا أثرية عثر عليها بسكيكدة يعود تاريخها الى القرن 3 ق.م، أن للمدينة صلات قوية بقسنطينة الواقعة في الداخل<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> الجوهري يسرى، جغرافيا المغرب العربي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 2001، ص.60.

<sup>2</sup> Feraud.Charles, Documents pour servir l'histoire de philippeville, op.cit., pp.82-83.

<sup>3</sup> حمادة صالح، دراسة في جغرافية المدن حول مدينة سكيكدة، المرجع السابق، ص. 37.

<sup>4</sup> متطلبات الحياة العامة من حوانيت ومنازل ومعاصر للزيتون والمطاحن والساحات والمسارح والملاعب والاسطبلات والحمامات.

<sup>5</sup> جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، ط2، مطبعة بابوت باريس، 1972، ص.ص 150-269.

<sup>6</sup> الجوهري يسرى، جغرافيا المغرب العربي، نفس المرجع، ص.ص 60-61-62.

<sup>7</sup> حارش محمد الهادي، التاريخ المغربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1995، ص. 213.

<sup>8</sup> غانم محمد الصغير، المملكة النوميديّة والحضارة البونيقية، الجزائر، دار الأمانة للطباعة والنشر والتوزيع، 1998، ص.97.

وتبرز هذه الصلة أيضا من خلال الطرق التي ربطت سكيكدة بمختلف مدن المقاطعة وخارجها، وضمن هذا السياق نشير إلى ثلاثة طرق، الأول ساحلي غربي يخترق بجاية وجبل ليصل إلى سكيكدة ثم يمتد إلى عنابة، أما الثاني فداخلي يربط سكيكدة بعنابة في حين يمتد الثالث نحو سيرتا<sup>1</sup>. وسمح الطريق الرابط بين لامبيز وقسنطينة وسكيكدة بجلب الإمدادات العسكرية الضرورية بسرعة كبيرة لمعسكر "كتيبة أوغسطس الثالثة"<sup>2</sup> بلامبيز، أفضل من أن تجلب قوات عسكرية من قرطاجة أو تبسة<sup>3</sup>.

خلف الرومان العديد من الآثار التي تم الكشف عنها خلال القرن 19م من جراء عمليات التنقيب والحفر الاستعمارية التي عرفتها مدينة سكيكدة، وتضم هذه الآثار المسرح الروماني الذي تبلغ مساحته 4900م<sup>2</sup>، ويتسع لحوالي 6 آلاف متفرج وخزانات مياه رومانية فوق مرتفع يعلو بحوالي 119م فوق مستوى سطح البحر<sup>4</sup>. وأنشأ الرومان ضيعات وحفروا الآبار واستغلوا المحاجر على طول الطريق الروماني الذي يربط سيرتا بسكيكدة<sup>5</sup>. وربما يعود تاريخ بناء مسرح سكيكدة إلى فترة حكم الإمبراطور هادريانوس<sup>6</sup>.

بعد قرن من الاجتياح الروماني الذي دام في الفترة الممتدة من سنة 45 ق.م إلى سنة 439م أصبحت مستعمرة روسيكادا تسير نفسها بنفسها غير أنها لا تزال تدفع ضريبة الأنونة<sup>7</sup> إلى روما. وبعد فترة الاحتلال الروماني الذي استمر لمدة أربعة قرون عرفت روسيكادا نوعا من الاستقلالية ثم كرسست جهودها للتخلص من النفوذ الوندالي منذ خضوعها له عام 439م فالبيزنطي<sup>8</sup>، وذلك بعد استيلاء خنسريق على نوميديا واتخاذها بونة عاصمة لمملكته مستغلا ضعف روما في الدفاع عن مستعمراته<sup>9</sup>. وتعرضت سكيكدة إلى أعمال تخريبية خلال العهد الوندالي حيث تم تهديم المدينة سنة 439م، ويبقى هذا التاريخ غير مؤكد لاستمرار تمثيل المدينة إلى غاية 485م ولم يتغير الوضع الإداري للمدينة، رغم تغير نظامها العقاري، وبقي سكانها يعتمدون على نظامهم القديم، واقتصر عمل الوندال على تأسيس

<sup>1</sup> Feraud Charles, Documents pour servir l'histoire de Philippeville, op.cit , p.86.

<sup>2</sup> كتيبة أوغسطس الثالثة Legio III Augusta

<sup>3</sup> Rachet Marquerite, Rome et les berbères, Un problème militaire d'auguste à dioclétien, bruxelles, latomus, 1978, note 3, p.166.

<sup>4</sup> وهي عبارة عن خزانات كانت تزود العيون والحمامات العمومية، التي تتسع لحوالي 8 ملايين لتر بواسطة مياه واد بني مالك المجلوب بواسطة قناة عثر على جزء من تخطيطها، ولهذا تتوفر سكيكدة على الماء وتمول اليواخر التي ترسو بها.

<sup>5</sup> صحراوي عبد القادر، سكيكدة خلال عهد الاحتلال الروماني، ملتقى سكيكدة عبر التاريخ، أوث 2004، تنظيم جمعية روسيكادا الثقافية لولاية سكيكدة.

<sup>6</sup> هادريانوس Hadrien الممتدة ما بين سنتي 177 و138 م.

<sup>7</sup> كان المزارعون يدفعون قسما من الضريبة العقارية عينا، لتزويد روما بالحبوب التي تعرف باسم الأنونة، وبقيت على كاهل صغار المزارعين أثناء القرن 4م، ينظر: العروي عبد الله، المغرب كمفهوم، المرجع السابق، ص.65.

وضريبة الأنونة، وهي ضريبة فلاحية سنوية من المحاصيل الزراعية تدفعها الاقاليم الافريقية البروقنصلية، وتشمل الحبوبين الزيوت، الخمر، تعيل عدد كبير من الموظفين والعبيد، وتخصص لنقل شحنات الأنونة أهم السفن التجارية، أنظر:

Ledermann Emile, Philippeville et ses environs, histoire et tourisme, éd du syndicat d'initiative, philippeville, 1935, p.95.

<sup>8</sup> تراون جان فرنسوا، المغرب العربي الإنسان والمجال، تعريب كارم دانسي وعبد الكريم سالم، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1997، ص.126.

<sup>9</sup> شينيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص.251.

المراكز العسكرية بها. ولم يكن لهم في الجزائر عدد كبير من القوات إنما كانت لهم فرق للحراسة محصنة بالسواحل التي استقروا بها خاصة هيبون عناية بعدما لم يتوغلوا في الداخل<sup>1</sup>.

والمؤكد أن المدينة تهدمت سنة 533 م بعد ذلك على يد آخر ملوكها<sup>2</sup> بعد إخضاعهم للبربر لفترة دامت حوالي قرن أي لغاية تعرض الجيش الوندالي لهزيمة ساحقة عام 523م مما أدى إلى طردهم من شمال إفريقيا<sup>3</sup>. ووضع الوندال حدا لفترة الإزدهار التي عرفتها المدينة بتدميرها في سنة 429م ويتضح تاريخ تدمير المدينة من خلال كتابة الكنائس الإفريقية، ففي سنة 256م أي في عهد الأباطرة فالريان<sup>4</sup> وغاليان<sup>5</sup>، وكانت للمدينة أسقفية قديمة، فحضر أسقف سكيكدة فيرولوس<sup>6</sup> إجتماعا بقرطاجة عام 255 و آخر بسيرتا<sup>7</sup>. وفي سنة 411م حضر إجتماع قرطاجة أسقفان للمدينة، الأول كاتوليكي فاستينوس<sup>8</sup>، والثاني دوناتي جونيور، وتعتبر وثيقة الحضور هذه آخر مصدر ذكرت فيه سكيكدة فلم تحتو قائمة الأساقفة المدعويين من طرف هونوريك الوندالي إلى قرطاجة في سنة 484م أي أسقف المدينة.

وبقيت سكيكدة قائمة في سنة 411م لغاية اندثارها في سنة 484م خلال عهد إمبراطور زينون<sup>9</sup>، وبالتالي عمرت حوالي 450 سنة<sup>10</sup>. ولم يراقب البيزنطيون سوى أحواز المدن لغاية اندحارهم في القرن 7م. عرفت المدينة الفتح العربي ابتداء من القرن 7م التي تتميز بقلة المعلومات المتعلقة بوضع المدينة في العصر الوسيط العربي، ويمكن حصر ذلك الإهمال للعوامل التالية:

- \* مدينة سكيكدة لم تكن ضمن خطوط الفتح الإسلامي الأول لبلاد المغرب التي انتهجت الطرق الداخلية والصحراء، بينما أهملت المناطق الساحلية بعد القضاء على الوجود البيزنطي في المنطقة.
- \* التهديد البيزنطي البحري المستمر لأي تقدم للعرب في السواحل واستخدامه القبائل كرهائن التي تتعرض للعقوبات الجماعية من طرف مما عرقل التوسع العربي الضعيف بحريا في ساحل سكيكدة.
- \* سكيكدة لم تكن ضمن البطون القوية لقبيلة كتامة إحدى الفروع القوية في المغرب الأوسط، وهذا ما جعل المدينة تخضع لغيرها.
- \* إن إستراتيجية الفتح العربي انبنت على مناجزة القوى الكبرى التي لم تشكل بطون سكيكدة إحداها.

<sup>1</sup> الكعك عثمان وأخرون، موجز التاريخ العام للجزائر، مراجعة شنيتي محمد البشير وأخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2003، ص1، ص78.

<sup>2</sup> الجوهري يسرى، جغرافيا المغرب العربي، المرجع السابق، ص60.

<sup>3</sup> المبلي محمد، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج1، بيروت، 1968. ص257.256.

<sup>4</sup> فالريان Valerien

<sup>5</sup> غاليان Galien

<sup>6</sup> فرولوس Verulus

<sup>7</sup> Feraud Charles, Documents pour servir l'histoire de philippeville. op.cit, p.85.

<sup>8</sup> فاستينوس Faustinus

<sup>9</sup> زينون Zenon

<sup>10</sup> صحرأوى عبد القادر، سكيكدة خلال عهد الإحتلال الروماني، ملتقى سكيكدة الثاني حول تاريخ منطقة سكيكدة، أوث 2004، تنظيم جمعية روسيكادا الثقافية لولاية سكيكدة.

\* سياسة العزلة التي انتهجتها قبيلة كتامة بشتى بطونها على اعتبار أنها كانت نقطة تماس بين الخلافة الإسلامية (الأموية ثم العباسيين) من جهة، والحركات المذهبية المعارضة من جهة أخرى، كونها اذا مالت إلى أحد الطرفين فإنها سوف تكون الضحية الأولى للطرف الآخر مما أدى بالجغرافيين والمؤرخين إلى إهمال ذكر سكيكدة ومنطقة بلاد كتامة المنتمية إليها في مختلف مصادرهم وتاريخهم.

\* حال وقوعها بالقرب من مراكز حضرية ضخمة كمدينتي عنابة وبجاية دون بروزها كإحدى أقطاب المغرب الأوسط في بلاد كتامة.

ومهما يكن من أمر فإن هذا لا يعني بأن المدينة كانت محل إهمال تام من قبل مؤرخي ورحالة هذه الفترة، رغم أن البكري ذكر بأن مرسى سكيكدة يمتد ضمن نطاق الساحل الشرقي<sup>1</sup>، وتعد من المحطات البحرية الثانوية آنذاك، وأشار الرحالة إلى قدمها وغناها بالآثار القديمة التي أثارت دهشتهم<sup>2</sup>.

ولم يظهر دور سكيكدة خلال الفتح الإسلامي 681-1550م، حيث تركزت الكتابات التاريخية للمؤرخين على المناطق التي ظهر دورها في أحداث المغرب، حيث لا نجد حديثاً مفرداً عن سكيكدة، التي نالها الإهمال وعدم تأريخ تلك الفترة، وكانت تنتمي إلى إقليم كتامة<sup>3</sup>، التابع بدوره إلى عمالة إفريقية الممتد من طرابلس إلى وادي الشلف، وتحيد سكيكدة من أواخر جبل الرحمن إلى مرسى رأس الحديد.

وكانت سكيكدة تسمى في القرن الخامس الهجري أسقدة أو تاسقدة<sup>4</sup> التي كانت توجد فيها آثار للروم وصفها الأوروبيون بالعجيبة ولم يشر إلى وجود سكان أهليين بها.

وفي سنة 889م خضعت المنطقة كلياً لحكم الإغالية، وشهدت بروز الشيعة في المنطقة منذ 893م، ودعاة الفاطميين في المنطقة، وكانت في تاسقدة على غرار باقي قرى بلاد كتامة ووطنها جمعية التحكيم في النزاعات، وجمعية أعيان<sup>5</sup>. وبعدها تمكن المعز بن باديس أحد أمراء بنو زيري سنة 378 هـ، من تأليف مذهب الرفض وحمل الناس على مذهب الإمام مالك<sup>6</sup>، وفي أيامه جاءت أعراب بني هلال وبني سليم من أجل إضعاف الدولة الفتية التي أقامها بنو زيدي الصنهاجيين، تعربت معها إسم روسيكادا التي تتحول من حيث النطق إلى رأس سكيكدة، كذلك تعربت معها منطقة سكيكدة بعد وصول هذه الهجرة العربية إليها، كما خلفت هذه الهجرات أساطير في المنطقة أخذت أشكال أغاني وأشعار.

<sup>1</sup> لاحظوا بأن سكانها يتشابه مع سكان مدينة القل وكلامهما ينحدر من بطون كتامة مما يدل على تكامل البلديتين ونشاط حركة الهجرة بينهما.

<sup>2</sup> لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص. 141.

<sup>3</sup> جل الكتب التاريخية التي تتحدث عن هذا الإقليم تشير إلى مدن تتحدث عن معركة أو تركب على قبيلة كبيرة من القبائل أو العربية، وكذلك مؤرخي المسلمين يطلقون على سكيكدة اسم تاسقدة مرة أو سفدة مرة أخرى، قريب منها مرسى سطورة ينظر: شخوم سعدى، سكيكدة من الفتح الإسلامي في العهد الحفصي 957هـ-1550م، ملنقى سكيكدة الثاني، تنظيم جمعية روسيكادا الثقافية، أوث 2004.

<sup>4</sup> القيرواني الدقيق، تاريخ إفريقيا والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي، نشر رفيق السقطي، مطبعة الوسيط، د.ت، ص 42-43.

<sup>5</sup> طالب محمد، الدولة الأغلبية 909/800 م، التاريخ السياسي، ترجمة المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، 1985، ص 653.

<sup>6</sup> ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم الرعين، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، دار المسيرة، بيروت، ط1993، ص. 103-165.

وبدأت تتغير أسماء المناطق بعد خضوع كتامة لسيطرة الموحدين سنة 533 هـ، وفي عهدهم ظهر دور القل التي تعد إحدى ما تبقى من بطون كتامة، وهم بنو ثابت في الجبل المطل على القل، وفي عهد الحفصيين 1227-1493، اتضح دور سكيكدة نتيجة إلى للعوامل التالية:

\* سقوط أغلب المدن الأندلسية ومواصلة الإسبان احتلال السواحل المغربية مثل مراسي سكيكدة والقل.  
\* ظهور أهمية دور التجارة البحرية خاصة مع دول الجنوب الإيطالي عبر سلسلة الاتفاقيات التي أبرمها الحفصيون معهم وهكذا كانت تصل عشرات السفن الأوربية إلى سواحل القل<sup>1</sup>.  
\* الاضطرابات الداخلية في المنطقة بسبب زحف بني هلال، وبني سليم وتدميرهم لأغلب مدنها.  
\* ظهور دور القبائل العربية فيما بعد استقرارهم وكان لقبائل رياح بزعامة الذواودة أو الزواودة، هذا رغم انقسام الدولة الحفصية سنة 1284 فإنها بقيت مؤيدة من طرف الذواودة، وأحيانا يلجأ إليهم بعض حجاب وموظفو الدولة الحفصية المطاردين، مثلما حدث مع ابن خلدون<sup>2</sup> عندما حل فارا عند يعقوب بن علي أحد رؤساء أولاد محمد.

تمكنت جيوش الحفصيين من حماية مراسي سكيكدة من قوات بيدرو ملك أراغون التي برزت أهميتها خلال عهد الدولة الحفصية، حيث برز إنتاجها الزراعي ودورها التجاري، وفي مرسى اسطورة كانت تصنع أغطية ذات خطوط حمراء المعروفة بإسم الحميل<sup>3</sup>.

كانت منطقة سكيكدة تضم من البربر من قبائل كتامة وما تبقى منها من بطون آخرها بني ثابت بجانبها قبائل الأعراب من رياح بزعامة الزواودة، التي من أهم بطونها أولاد محمد المسيطرين على المنطقة لم يكن سكانها أهل استقرار فقد كانوا بينون ديارهم ثم يهجرونها في فترات مختلفة، رغم محاولة الحفصيين في القرن 16م إعادة بناء المدينة إلا أن الأمر اقتصر على التجار الجنوبيين، وأشار الأدريسي إلى وجود رباط أو رباطة قرب مرسى تكوش إلى رأس الحمراء<sup>4</sup>.

وبقيت بقايا من سكان قبيلة كتامة بعد رحيل اعداد منهم نحو المشرق<sup>5</sup> وتلاها الزحف الهلالي على بلاد المغرب نحو البسائط ما بين مدينتي قسنطينة وبجاية في وطن كتامة خلال القرن 10م. ويتفق المؤرخون على أن هذه الهجرات الجماعية المتبادلة كانت لأسباب سياسية، مما أثر بشكل جذري على سكان شمال افريقيا من حيث الأصول والتوزيع واللغة والخريطة السياسية وبعض العادات

<sup>1</sup> روجر إدريس الهادي، الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقيا في عهد بني زبيدي، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، 1992، ص 225.

<sup>2</sup> ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، مطبوع ضمن السلسلة السابقة، ج7، ص.898.

<sup>3</sup> وهم من أولاد محمد المستقرين في منطقة سكيكدة، والزواودة من أولاد داود بن مرداس من أولاد رياح: أبوضيف، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبن مرين 1130-1472، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط2، 1982، ص 124.

<sup>4</sup> الرباط هو عبارة عن مركز ديني كان موجودا في الفترة الإسلامية ينزل به المسافرون يحتوي على مسجد وغرف لطالبي العلوم الدينية ينظر: أبوضيف، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية، المرجع نفسه، ص. 126.

<sup>5</sup> ساهم الكتاميون في تشكيل الدولة الفاطمية بالقاهرة

والأسماء والألقاب، وكان على سكان قبيلة كتامة لها خيارات الاندماج والالتحام والاحتماء بالقبائل الهلالية أو الاعتصام بالجبال، وهذا ما يفسر ارتفاع الكثافة السكانية للجبال وسر انتشار اللغة العربية<sup>1</sup>. وتتصف منطقة سكيكدة في هذه الفترة بأنها منطقة تجارية أكثر منها ثقافية أو عمرانية، وظلت محافظة على طابعها التجاري، وبقيت مركزا للتعامل مع الجنوبيين، لكنها لم تخضع للوجود العثماني بل كانت تحت تصرف أمراء وزعماء محليين<sup>2</sup>.

وفي نهاية العصر الوسيط وبداية العهد العثماني، يمكن حصر بعض المعلومات القليلة حول سكيكدة بواسطة الرحالة والجغرافيين العرب مثل: ابن جبير، ابن بطوطة، والتمقروتي صاحب النفحة المسكية، إلى جانب الرحالة الأوروبيين (مارمول كارباخال الأسباني، ديبغو دال كستيلو، لوجي ديتاسي، وهانريش فون مالتسون)، رغم ذلك بقيت هذه الحقبة أحداث المنطقة مجهولة بسبب انعدام المصادر واقتصار الأمر على ذكر مدينة القل، ويذكر حسن الوزان سكيكدة<sup>3</sup> في كتابه المعروف وصف إفريقيا<sup>4</sup> (بأنها مدينة أزيلية بناها الرومان على ساحل البحر، بعيدة عن قسنطينة بنحو خمسة وثلاثين ميلا، والمعروف أنها من المراسي التجارية القرطاجية، وكان اسمها رأس ايكاد، وبعد أن خربها الوندال أعاد العرب تأسيسها وسموها رأس سكيكدة، فعاد لها عمرانها، حيث أمر أمير قسنطينة ببناء منازل ومخازن للجنوبيين...، ويتم توجيه السفن من أعلى جبل مجاور يقيم بها حارس نحو مينائها، ويدفعون لهم القمح مقابل الأقمشة ومنتجات أوروبية<sup>5</sup>).

ولم تحظ سكيكدة باهتمام كبير من طرف الحكام المتعاقبين، ووجد عنها بعض الاشارات في كتب الرحالة الذين زاروا المنطقة في فترات مختلفة، فالرحالة أبو عبيد البكري<sup>6</sup> في القرن 11م وصف الاقليم ككل بقوله بأنه إقليم كثير المعادن والأشجار المثمرة والمروج والأنهار، بينما في القرن 16م كان ميناء سطورة يزود البحارة الإيطاليين بالسلع الإفريقية مروراً بوادي الصفصاف، وكانت التجارة الرئيسية لسطورة في يد الجنوبيين كالحبوب، الجلود، السجاد، كذلك يتعامل البريطانيون تجارياً مع سطورة والقل<sup>7</sup>. واعتبر الرحالة الحسن بن الوزان أن هناك نشاطاً تجارياً في المنطقة، يعبر الطريق بين سيرتا وروسيكادا الذي شده بالطرق الإيطالية. وكان يقطن وادي الصفصاف عدة قبائل يزاولون الجمع بين الزراعة وتربية الحيوانات<sup>8</sup>، ونتج عن المظالم الإجتماعية كالضرائب التي فرضها بايات قسنطينة على

<sup>1</sup> خنوف علي، السلطة في الأرياف المالية لبايلك الشرق الجزائري، المرجع السابق، ص. 17-18-

<sup>2</sup> برانشفيك روبر، تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي، تعريب حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ج 2، 1988، ص. 242.

<sup>3</sup> شخوم سعدي، مقال سكيكدة من الفتح الإسلامي حتى العهد الحفصي، الملتقى الوطني الثاني حول تاريخ سكيكدة أوث 2004، جمعية روسيكادا.

<sup>4</sup> ينقسم إلى تسعة أقسام حيث يحتوي القسم الخامس الحديث عن مدينة سكيكدة والقل.

<sup>5</sup> بالحيمسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، المركز الوطني للدراسات التاريخية، SNED الجزائر، 1981، ص. 23.

<sup>6</sup> فكاير براهيم، مقال سكيكدة من خلال المصادر، ملتقى سكيكدة الثاني 2004.

<sup>7</sup> البكري أبو عبيد، المغرب في ذكر ميلاد إفريقيا والمغرب، مكتبة المثنى بغداد، د.ت، ص. 83.

<sup>8</sup> Mercier Ernest, *Histoire de constantine*, marle et biron imprimeurs editeurs, constantine, S.D, P.219.

<sup>8</sup> Leon L'Africain, *Description de l'Afrique*, poularde, T2, paris, 1952, p.43.

القبائل المحلية، انصراف الفلاحين عن النشاط الفلاحي المستقر، والتوجه نحو النشاط الرعوي الذي يمكنهم من الفرار من وجه الجباة مع ممارسة بعض الزراعات من أجل تحقيق الاكتفاء الذاتي<sup>1</sup>. وصنفت سكيكدة خلال الفترة العثمانية ضمن المناطق التابعة لبابلك قسنطينة التي أقاموا بأحدى مراسيها القل حامية عسكرية أستقر بها الأتراك، حيث تعاون معهم أهل السهول، بينما احتفظت القبائل الجبلية (أولاد عطية<sup>2</sup>، بني مهنة) باستقلالها الذاتي، وظلت تقاوم الحكم الأجنبي بإستمرار<sup>3</sup>. فرغم أن المد التركي وصل عسكريا إلى بسكرة جنوبا، بقيت أجزاء كبيرة من شمال المغرب الأوسط مستقل لا تخضع للوجود العثماني بل هي تحت تصرف أمراء وزعماء محليين<sup>4</sup>، ويبرز ذلك أكثر من خلال علاقة بابلك الشرق الجزائري مع القبائل التي تقيم على أراضي جبلية وعرة مثل القبائل الكبرى والشمال القسنطيني (قبائل القل، سكيكدة، جيجل) التي تخضع لشيوخها، فالوسيلة الوحيدة لأخذ الضريبة منها هي القوة العسكرية أو منعها من أستيراد الأسواق التجارية<sup>5</sup>، وهذا ما يفسر عزلة منطقة سكيكدة في هذه الفترة، ومهما اختلفت الأوضاع والمبررات المبررة لأسباب أبتعاد المدينة عن مجرى الاحداث المهمة بالجزائر، واقتصارها على بعض المعاملات التجارية على ساحلها.

وبعد عقود من الجمود عرف مركز المدينة تجديد في مجالها وأهميتها إبان الاحتلال الفرنسي الذي قام بجملة من الاجراءات لاستغلال هذا الموضع الهام بالنسبة للاستراتيجية الاستعمارية الراحبة في البحث عن منفذ بحري قريب من قسنطينة، هذا ما أكدته التقارير الفرنسية قبل سنة 1838 التي أكدت على حتمية خضوع سكيكدة وسطورة لسيطرتهم، واجراء استكشاف لهذه المنطقة الغنية بالثروات والغابات والأثار، تطلب قيام الجنرال نيقرييه بحملة استكشافية لها ومعرفة نقاط ضعفها ومجالات استغلالها. نستخلص بأن سكيكدة مرت بعدة محطات تاريخية وعمرانية وتجارية هامة خلال مراحل التواجد الفينيقي والروماني من جهة، بينما عانت من الانكماش والاهمال بعد ذلك أي الفترة الوسيطة، حيث تراجع نشاطها وقل عمرانها وسكانها من جهة أخرى.

<sup>1</sup> بوشامة ليديا، شبكة المراكز في وادي الصفصاف بولاية سكيكدة، المرجع السابق، ص.38.  
<sup>2</sup> قبيلة أولاد عطية:تستقر غرب القل على بعد 40 كلم، يقدر عدد سكانها 3500 نسمة، مقسمة إلى ثلاثة فروع وهي: أولاد جامع، جيزية Djezia، زيايرة، ولايشكل حدود قبيلة أولاد عطية:حيث بتجمع متجانس ومتماسك، فهي تجمع 6 أقسام أو تشعبات، فهم يحتلون واجهة الجبال التي تقطع سكيكدة بقسنطينة في المكان المسمى التوميات، وتتكون المجموعة الرئيسية من أولاد مسعود، هزابرة، وقنداك عسلة kende asla ومجموعة أخرى متشكل من خرفان وريرازلة Rerazla والصوادي قرب سمندو، هذه التجمعات السكنية يقدر عدد سكانها بحوالي 4500 ساكنا من أصول مختلفة، البعض جاء من تونس، والحصنة، ومن ضواحي سطيف، وآخرون نازحون من القبائل الجبلية الكبرى للقل، ينظر: Feraud Charles, R.A., 1875, Op Cit, P. 100-112-113.

<sup>3</sup> جوليان شارل اندري، تاريخ افريقيا الشمالية، المرجع السابق، ص.171.

<sup>4</sup> بالحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد لعثماني، المرجع السابق، ص.28.

<sup>5</sup> سيساوي أحمد، النظام الاداري لبابلك الشرق 1791-1830، رسالة ماجستير، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، 1988، ص.23.



### المبحث الثالث: الإحتلال الفرنسي:

عقب إخضاع مدينة الجزائر من طرف الماريشال دي بورمون احتل الجيش الفرنسي بعض المراكز الهامة<sup>1</sup>، ثم توجهت السلطة الفرنسية إلى سياسة إخضاع الجزائر بعد تخليها عن خطتها الأولى المتأثرة بالتجربة الاسبانية أو العثمانية أي الإبقاء على سلطة محلية موالية بالجزائر<sup>2</sup>، وذلك بعد تمكنت الحملة الفرنسية على الجزائر من تحقيق أهدافها العسكرية والسياسية بإحتلالها لأهم المدن الساحلية: الجزائر 1830 تلتها وهران عام 1831، وعنابة عام 1832، وبجاية عام 1833<sup>3</sup>، لغاية تمكنا من إخضاع مراكز ساحلية كسكيكدة سنة 1838 وجيجل عام 1839<sup>4</sup> والقل عام 1859<sup>5</sup>، وامتدت التوسعات الفرنسية نحو المدن الداخلية القريبة من الساحل كالمدينة والبليدة وقالمة عام 1836 وقسنطينة 1837<sup>6</sup>.

فتمكنت فرنسا من تحقيق أهدافها التوسعية في شمال الجزائر بفضل دور الجيوش التي شاركت في هذه الحملة العسكرية من بينها جيش قناصة أفريقي<sup>7</sup> الذي كانت نواته الفرقة الخاصة المكونة من الخيالة التابعة لجيش زواف(زواوة) وهي أهم قوة محلية جزائرية أعتمد عليها القائد العام كلوزيل منذ عام 1831 أخذ هذا الجيش إسمًا رسميًا جيش زواوة، فكان له دور في التوسع الفرنسي داخل الجزائر وخارجها.

ويعد الملك لويس فيليب المؤسس الحقيقي لجيش زواوة في 10 مارس 1831، وأصبح هذا الجيش مشكلا من المرتزقة الأجانب منذ 17 نوفمبر 1838 بحيث ساهم في الإحتلال العسكري والتوسع المدني، وفي مساعدة المعمرين على الأستيطان في كامل أنحاء الجزائر ومن بينها منطقة سكيكدة<sup>8</sup>.

عرفت مدينة سكيكدة أسماء متعددة طوال الحقب التاريخية التي مرت بها، روسيكاد، ورأس سكيكدة، حصن فرنسا، فيليب فيل لهذا جلب الاهتمام الخارجي لمركزها المرفئي في خليج نوميديا المحيط حول ساحلها البحري، القريب من ميناء سطورة التجاري، وترجم هذا الإهتمام بقيام السلطة الفرنسية بإرسال بعثات استطلاعية لمعرفة أوضاع المنطقة، وقام القائد العام فوارول<sup>9</sup> بتذكير وزير الحربية الفرنسي في 7 جوان 1833 بأهمية سطورة في الماضي وبآفاقها في المستقبل التي ستكون بثروتها الغابية، كما كلفت السلطة الفرنسية عام 1835 ثلاثة جزائريين للقيام برحلة استطلاعية دامت ستة أيام تعرفوا خلالها على

<sup>1</sup> De Castellane maréchal (lettres), *campagne d'Afrique 1835-1848*, librairie plon et cie imp Ed, paris, 1898, P.1.

<sup>2</sup> العروي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، ج3، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1999، ص.123.

<sup>3</sup> احتل الجيش الفرنسي مدينة بجاية في 29 سبتمبر 1833، حولت إلى بلدية بمرسوم مؤرخ بتاريخ 17 جوان 1854، حيث كان عدد سكانها 1800 نسمة، من بينهم 123 أوروبي.

<sup>4</sup> احتل الفرنسيون مدينة جيجل في 13 ماي 1839، وحولت إلى بلدية كاملة الصلاحيات بأمرية مؤرخة بتاريخ 18 فيفري 1860، وقدر عدد سكانها 3034 نسمة عام 1871.

<sup>5</sup> عمير اوي احميدة، *السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة 1838-1858*، دار الهدى عين مليلة، 2004، ص26

<sup>6</sup> احتلت قسنطينة في 13 أكتوبر 1837 في الحملة الفرنسية الثانية، حولت إلى بلدية كاملة الصلاحيات بتاريخ 18 فيفري 1854.

<sup>7</sup> جيش قناصة إفريقيًا: les chasseurs d'Afrique.

<sup>8</sup> الأشرف مصطفى، *الجزائر الأمة والمجتمع*، ترجمة حفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص.76.

<sup>9</sup> الجنرال تيوفيل فوارول Théophile Voirol القائد العسكري العام للجيش الإفريقي بالجزائر الذي خلف الدوق دوروفيغو في أبريل عام 1833 لغاية نهاية مهتمه في 27 جويلية 1834.

المنطقة الممتدة من عنابة إلى سطورة، ودعى دامريمون<sup>1</sup> من جهته في مراسلته لوزير الحربية يوم 12 ماي 1837 لتشكيل إدارة بحرية بها، وبعد احتلال قسنطينة مباشرة في أكتوبر 1837، ازدادت رغبة الفرنسيين لاحتلال سطورة للوصول إلى البحر بأقل التكاليف، ولحاجة قسنطينة الكبيرة للاخشاب، مما شجع الفرنسيين على الإحتلال واخضاع القبائل للسلطة الفرنسية، ويسهل احتلال سطورة عملية وصول القوات الفرنسية إلى ميناء القل الذي كان غاية العديد من الضباط الفرنسيين، وأكد الجنرال برنار سيمون<sup>2</sup> بأن الإحتلال العسكري يتحدد في الساحل، حول المدن والأراضي التي لها القدرة على التوسع وتشكيل مراكز مخصصة للسكان الأوروبيين من أجل استقرارهم وارتكاز القبائل الموالية.

وفي ماي 1837 وجهت أوامر للجنرال دانريمون، توضح فيها المنطقة المحددة للاحتلال حول عنابة يمتد بخط يبدأ من الحدود التونسية مرورا بقالة لغاية رأس فلفلة الأمر الذي يسمح بإقامة مركز تجاري في خليج سطورة<sup>3</sup>. ولتجسيد هذه الطموحات الفرنسية أمر وزير الحربية الفرنسي برنار في 10 ديسمبر 1837 حاكم قسنطينة بدراسة الامكانيات لإحتلال الشرق الجزائري بدءا بإقامة إدارة بحرية عسكرية بسطورة، يتم ربطها بقسنطينة عن طريق تعبيد الطرقات التي وضعها الرومان خلال وجودهم بالمنطقة<sup>4</sup>. وطالب الجنرال برنار من الجنرال فالي حاكم عام الجزائر<sup>5</sup> بإعادة تنظيم الجيش والأراضي المحتلة<sup>6</sup>. في الوقت واجه التوسع العسكري الفرنسي صمود من المقاومين الجزائريين الراضين الخضوع للاحتلال الأجنبي في شمال الجزائر، لهذا أعتمد الجيش الفرنسي على القمع ضد المناطق المتمردة<sup>7</sup>. وقبل الإحتلال الفرنسي لم تكن منطقة سكيكدة إلى غاية البحر مأهولة بالسكان، وهذا بعدما قامت قبيلة بني مهنة بطرد عرب سكيكدة وتهجيرهم نحو الشرق مما سهل مهام الإحتلال الفرنسي للإنتقال من قسنطينة إلى البحر والوصول إلى سطورة بدون وجود مقاومة حقيقية، وكان هذا بالخصوص النتيجة المنتظر الحصول عليها عند بداية الغزو<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> شارل ماري دينيس دامريمون Damrémont Denys جنرال فرنسي 1783-1837، شارك في الجيش الامبراطوري وفي القيادة باسبانيا، وتولى عدة وظائف ادارية وديبلوماسية، ساهم في الحملة الفرنسية لاحتلال الجزائر عام 1830، عين حاكم الجزائر عام 1837، قاد الحملة الثانية لاحتلال مدينة قسنطينة أكتوبر 1837، حيث قتل أثناء حصارها بضربة قاتلة على أسوارها، ليخلفه الجنرال فالي، ينظر:

Damrémont Denys, Article De Wikipédia, L'Encyclopédie Libre.

<sup>2</sup> وزير الحربية الفرنسي البارون سيمون برنار 1779-1839، جنرال في الهندسة الفرنسية، دخل إلى المدرسة التطبيقية بمانز، حيث تخرج منها عام 1797 ثم التحق بالجيش الفرنسي المتمركز بالراين، قام بتجربة نحو الولاية المتحدة الامريكية، التي وضعته على رأس الأشغال العسكرية، بعدها عاد إلى فرنسا عقب ثورة عام 1830، ليتم تعيينه وزير الحرب لفترتين: الأولى قصيرة من 10 نوفمبر إلى غاية 18 ديسمبر 1834، ليعود لنفس الحقيبة الوزارية من 19 سبتمبر 1836 لغاية 31 مارس 1839. ينظر:

Simon Bernard, Un Article De Wikipédia, L'Encyclopedie Libre.

<sup>3</sup> Julien Charles André, Histoire de l'algérie contemporaine, la conquete et les débuts de la colonisation, PUF, p.140.

<sup>4</sup> Solal Edouard, Philippeville et sa région 1837-1870, alger, pp.6-37

<sup>5</sup> الجنرال فالي حاكم عام الجزائر بتفويض مؤقت عقب مقتل دانريمون أثناء حصار قسنطينة من 25 أكتوبر 1837 بعدها رفع لرتبة ماريشال في 11 نوفمبر 1937، عقب احتلال قسنطينة في الحملة الثانية، وعين حاكم عام بصفة رسمية منذ 1 ديسمبر 1837 لغاية نهاية سنة 1841.

<sup>6</sup> Julien Charles André, Histoire de l'algérie contemporaine, op cit, p.142.

<sup>7</sup> نوشي اندري وأخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، ديوان المطبوعات، المرجع السابق، ص.288.

<sup>8</sup> Feraud Charles, R.A, 19<sup>e</sup> Année, Documents pour servir l'histoire de philippeville, 1875, Alger, Journal Des Travaux De La Société Historique Algerienne, P.53.

وخلالها لم تكن المنطقة مجهزة مثلما عرفته خلال الوجود الروماني، وتواجهها مستنقعات خطيرة محيطة بمراعي وأراضي بور مع وجود لبعض بساتين الفواكه وأشجار الزيتون وزراعة القمح بوادي الصفصاف الذي تقطن حوله العديد من القبائل، وتعد قبيلة بني مهنة أهم قبيلة في إقليم سكيكدة حيث أغلبية مجال وادي الصفصاف تابعة لها<sup>1</sup>.

ولم تكن سكيكدة الحديثة موجودة قبل عام 1837م اعدا أطلال المدينة الغابرة والسكان في هذه المنطقة موزعين على الأرياف المجاورة ضمن قرى ومشاتي متعددة<sup>2</sup> تضم مجموعة من المساكن الريفية، سواء في المناطق السهلية أو على حواف الأودية مثل قبائل بني مهنة وبني بشير شرقا أو قبائل المجاجدة<sup>3</sup> والزرامنة<sup>4</sup> وأولاد نوار وثعابنة<sup>5</sup> غربا، ثم تعرضت المنطقة ككل لحمالات استعمارية عنيفة احدثت تقهقرا في نمو السكان وتغيير توزيعهم خاصة في المناطق السهلية التي أصبحت من نصيب المعمرين بالقوة الأمر الذي نتج عنه بروز مقاومة وطنية للغزو الفرنسي في المناطق الجبلية المحاذية، كقبائل القل التي لها نفوذ كبير على الإقليم حسب بعض المصادر المؤرخة للاحتلال الفرنسي وتوسعه بالمنطقة<sup>6</sup>.

وجاء التوسع العسكري نحو سكيكدة بعد معرفة الفرنسيين لأهمية منطقتها، فأعطى فالي أوامره بتحضير دراسة طبوغرافية عنها، وقام ضباط الهندسة العسكرية بوضع تقرير دقيق عن المناطق الهامة، وعن المسافات الفاصلة بينها، وعن منابع المياه وطرق المواصلات الممتدة من قسنطينة إلى عنابة، وبموجب تقرير قائد الأركان الفرنسي بتاريخ 31 جانفي 1838<sup>7</sup>، توصلت السلطة الفرنسية إلى قناعة مفادها أن ربط قسنطينة بعنابة أمر في غاية الصعوبة، وكان عليها إيجاد منفذ بحري أقرب لقسنطينة، وهذا عن طريق مركز سطورة ليكون المنفذ الرئيسي الذي يمكن من احتلال الشرق الجزائري كله، وإما التخلي النهائي عن الإحتلال لكن هناك مستجدات ساعدت الفرنسيين على معرفة حقائق مهمة ساعدتهم على تنفيذ مخططاتهم في المنطقة، استقبال بعض السكان لهم وتزويدهم بمعطيات ميدانية اعتمد عليها الماريشال فالي في تجسيد المرحلة الأولى من تعبيد الطريق الممتد من قسنطينة إلى الكنتور<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> Solal Edouard, *Philippeville et sa région 1837-1870*, alger, p.23.

<sup>2</sup> R.A, 1875, *Op Cit*, p.86.

<sup>3</sup> قبيلة المجاجدة: التي قدر عدد سكانها 1300 نسمة، استخدم الاتراك عائلة سي الأزرق ذات النفوذ الروحي، ومنحها عدة امتيازات

*Ibid*, P.110

<sup>4</sup> تعيش قبيلة الزرامنة التي يقدر عدد سكانها 150 شخصا في غابة واسعة، حيث كان للأهالي الوسائل لتجريف الغابة وتحضير الأراضي الزراعية الضرورية لوجودهم عن طريق قطع أشجار البلوط المعمرة في الغابة. وقبيلة الزرامنة هي عائلة أتت من خمس مناطق مختلفة في نفس الفترة تقريبا، وهي عائلة العيفة أصلها من الولجة من قبيلة بني توفوت، عائلة العيفة في الزرامنة والآخرين في واد قبلي، وعائلة مساحر أصلها من بني فرقان، وعائلة قنادلة أصلها من قبائل جرجرة، وعائلة الخرباش جاؤوا من أولاد عواط، وعائلة أولاد تامر أتوا من إيدوغ بعنابة، ينظر:

Feraud Charles, R.A, 19 Année, *Documents pour servir l'histoire de Philippeville*, 1875, *op cit*, P.105.106-

<sup>5</sup> الثعابنة: تقع في إقليم جبلي في الجنوب الشرقي للقل، تبعد عنها 35 كلم، أرضها مخصصة لزراعة الحبوب والأشجار المثمرة، عدد سكانها يقدرون بألف نسمة. *Ibid*, P.111.

<sup>6</sup> Solal Edouard, *Philippeville et sa région*, *Op Cit*, P.163.

للتوسع: حمادة صالح، دراسة في جغرافية المدن حول مدينة سكيكدة، الفصل الثالث، لمحة تاريخية عن سكان سكيكدة وإقليمها.

<sup>7</sup> *Ibid*. A.M.G.H 226.

<sup>8</sup> الكنتور تبعد الكنتور عن مدينة قسنطينة بحوالي 40 كلم ناحية أسطورة من الشمال.

وبعد إخضاع قسنطينة<sup>1</sup> كان من الواجب ربط هذه المدينة بالبحر بأقصر الطرق، حيث أن صعوبة نقل الامدادات إلى عاصمة المقاطعة عن طريق عنابة أو قالمة<sup>2</sup>، وتم حل لهذه المعضلة عبر نقطة عبور ساحلية عبر خليج سطورة، وللوصول إليها تطلب القيام بأعمال ضخمة، ومعرفة التعامل مع سكان القبائل من أجل الحصول على هذا الممر من دون مقاومة ولا قتال<sup>3</sup>.

فوجدت السلطة الفرنسية سهولة في استغلال تلك الأراضي لأنها اعتبرت أرض عزل فهي أراضي خاصة بقيادة أتراك وجزائريين كانوا في خدمة النظام العثماني، وهي إذن أرض ملك للدومان<sup>4</sup>.

كلف فالي<sup>5</sup> حاكما عاما للجزائر لمواصلة مهمة التوسع في المناطق الشمالية للجزائر. وعقب إحتلال مدينة قسنطينة يوم 13 أكتوبر 1837 أصدر وزير الحربية الفرنسي يوم 10 ديسمبر 1837 أوامر إلى الجنرال فالي بإحتلال إقليم الشرق الجزائري بكامله<sup>6</sup>، لذلك شن الفرنسيون ثلاثين حملة عسكرية ضد سكانه، منها الحملات العسكرية الكبرى المتتالية التي تعرضت إليها المنطقة بين سنتي 1851-1860<sup>7</sup>.

وطورت السلطات الفرنسية جهازها الإداري باستمرار بعد إحتلال قسنطينة بهدف تكريس سيادتها عليه، وضمان إستغلاله<sup>8</sup>، خاصة بعدما أعتد فالي على الإحتلال الكامل لأغلب إقليم قسنطينة بعدما عوضت عنابة بقسنطينة كعاصمة لعمالة الشرق، وتعمل سلطات الإحتلال على ادارة المثلث سطورة-قسنطينة-القالمة ليتمكن فالي من تنفيذ مشروع احتلال ساحل خليج سطورة<sup>9</sup>.

قرر فالي القيام بحملات عسكرية من قسنطينة إلى الساحل خاصة سطورة، وكان ذلك مرهونا حسب رأيه باحتلال منطقة الحروش أولا فكانت الحملة إلى أسطورة بقيادة حاكم قسنطينة نيقرية<sup>10</sup> يوم 7 أبريل 1838 على رأس قوة 2510 محاربا بمساعدة كل من الضابط نيال<sup>11</sup>، وبعض الجزائريين حيث وصلت

<sup>1</sup> كانت قسنطينة مدينة منيعه، حيث فشل الفرنسيون فشلا ذريعا في إقتحامها في خريف 1836 ثم عادوا الكرة في السنة التالية، وبعد معارك عنيفة وخسائر فادحة استطاعوا الإستيلاء عليها معتمدين على اتفاقية تافنة، وقف القتال مع الأمير عبد القادر، ينظر: العروي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص.122.

<sup>2</sup> سارع قادة الجيش الإستعماري في البحث عن منفذ نحو البحر أقرب إلى قسنطينة من مدينة القل البعيدة المسافة والصعبة المسالك ذات الطرق الخطيرة أمينا التي تبعد عنها 114 كلم، فتمكنت قوات فرنسية يقودها الجنرال نيقرية من التقدم نحوها، وفرض الإحتلال العسكري المباشر عليها.

<sup>3</sup> Feraud Charles, R.A, 1875, Op Cit, P.51.

<sup>4</sup> الدومين Domaine وهي ممتلكات الدولة الفرنسية.

<sup>5</sup> الكونت سيلفان شارل فالي، 1845-1773، ولد شارل فالي في برين-لوشاتو بفرنسا في 17 ديسمبر 1773، انظم إلى الجيش حيث ترقى في صفوفها بعد توليه وظائف هامة، أحيل إلى التقاعد عام 1830 عقب مشاركته في حرب بروسيا واسبانيا ليعود بعدها للخدمة سنة 1834، حيث تمت ترفيته إلى رتبة مارشال بعد معركة قسنطينة الثانية في أكتوبر 1837، شغل منصب حاكم عام للجزائر بعد مقتل الجنرال دامريمون في الفترة الممتدة من ديسمبر 1837 إلى 29 جانفي 1841، لم يشارك في الحملات الأولى لإحتلال الجزائر، مات في 15 أغسطس 1846. ينظر:

Wikipedia L'Encyclopedia Libre, Valée.

<sup>6</sup> وعرف إقليم قسنطينة عدة أزمات حادة في أواخر العصر العثماني، حيث أعقبت أزمة القحط والمجاعة الشديدة، ثورة الشريف ابن الاحرش التي اندلعت في وادي الزهور، غرب منطقة سكيكدة، ينظر: العنثري صالح، مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم راجح بونار، دوائر المغرب العربي، SNED، 1394، ه، 1974، ص.13.

<sup>7</sup> Solal Edouard, Philippeville et sa région, Op cit, p. 63.

<sup>8</sup> بورغدة رمضان، الجزائريون والعدالة الفرنسية في عمالة قسنطينة خلال النصف الثاني من القرن 19م، رسالة الماجستير في التاريخ، 2000، جامعة منتوري قسنطينة، ص.3.

<sup>9</sup> Julien Charles André, Histoire de l'algérie contemporaine, op cit, p.147.

<sup>10</sup> الجنرال فرنسوا دي نيقرية: 1848-1788Négrier حاكم قسنطينة بين سنتي 1838-1841، ليعود إلى نفس المقاطعة لفترة أخرى قصيرة، ويضطر إلى العودة لفرنسا، وانتخب نائب في البرلمان عام 1848، قتل في جوان 1848 بعد تولى قيادة القوة المكلفة باخماد التمرد بفرنسا، ينظر:

Petit le Robert Dictionnaire illustré des noms propres, paris, 1996, p.1470.

<sup>11</sup> نيال Niel ضابط في الجيش الفرنسي بسكيكدة.

هذه القوة إلى الحروش يوم 8 أبريل ثم إلى سطورة يوم 9 أبريل من نفس السنة، وبوصولها تمكنت الحملة من تحقيق عدة مكاسب منها: انضمام بعض الشيوخ الجزائريين إلى الصف الفرنسي والتعرف على المنطقة ووضع دراسة طبوغرافية وتحديد الثروة الغابية، واختبار قوة السكان وردود فعلهم الأولى مما ساعد على التأكد من حتمية احتلال الساحل كله، والمنطقة برمتها، لهذا تم مواصلة تعبيد الطريقتين الرابطتين: بين الكنتور والحروش على مسافة 15 كلم، وبين سطورة والحروش على مسافة بحوالي 35 كلم، حيث ساعدت هذه النجاحات الأولية لحملة الجنرال نيقريه<sup>1</sup> على قيام السلطة الفرنسية بمحاولة لاحتلال سطورة<sup>2</sup>، مع اقتراب أطار فصل الخريف، قدم الجنرال فالي أوامره من أجل تجمع قوات مشكلة من ثلاثة فيالق<sup>3</sup> في 6 أكتوبر 1838 قوامها 4000 جندي بالحروش<sup>4</sup> تحت قيادة الجنرال قالبو<sup>5</sup> سرعان ما التحق بهم الماريشال فالي في المساء. والروابط التي أقامها منذ فترة مع عدد من شيوخ القبائل أكدت بأن سكان المنطقة سيحافظون على هدوئهم<sup>6</sup>. وأمر فالي باحتلال سكيكدة وتأسيس بها ثكنة ومركزا عسكريا دائما بمكان معبد بيلون: القلعة الرومانية.

كما تم اختيار وادي الزرمانه لبناء المدينة الاستعمارية على اطلال روسيكادا وتقرر اتخاذ تسمية جديدة (فيليب فيل<sup>7</sup>) تمجيدا للملك الفرنسي لويس فيليب يوم 17 نوفمبر 1838، بدلا من اسم حصن فرنسا التي

<sup>1</sup> ساهم الجنرال نيقريه في تحضير الحملة العسكرية لإحتلال سكيكدة في أبريل 1838، حيث قاد قوات صغيرة العدد لإستكشاف هذا المركز ومعرفة نقاط ضعفها، وتعد حملة نيقريه الاستكشافية ممهدا لتحقيق التوسع الفرنسي شمال مدينة قسنطينة نحو البحر، وغرب عنابة. وتمكن الجنرال نيقريه من الاقتراب من سكيكدة وميناء سطورة القريب منها انطلقت أيام 7-8-9 أبريل 1838 من قسنطينة على رأس جيش قوي للتعرف على المنطقة، ووصل إلى قبيلة بني مهنا في 10 أبريل 1838، وقف أمام أطلال روسيكادا التي اطلق عليها اسمه ماملون نيقريه ويعرف باسم دار بن حورية ثم عاد الجنرال نيقريه إلى قسنطينة مساء يوم 12 أبريل 1838، بعد توقف مؤقت بالحروش.

<sup>2</sup> عمير اوي أحميدة، مقال عن الاحتلال والمقاومة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، العدد 17، 2002، ص. 181.

<sup>3</sup> Du 61<sup>eme</sup> ligne, du 3<sup>e</sup> bataillon d'infanterie légère, 3<sup>e</sup> bataillon d'Afrique et trois escadrons du 3<sup>e</sup> Chasseurs d'Afrique.

<sup>4</sup> الحروش El Harrouch، اسم مسلان الكيش، عبارة عن مكان النقاء القبائل المتفرقة وحتى لتجارة الأغنام، غير أن الاسم الحالي الحروش جاء حسب رأي بعض كبار الشيوخ إلى وجود بالمنطقة قبائل متعددة (عروش) ومنها حرف الإسم إلى الحروش، تكونت بها أول قرية استعمارية بين قسنطينة وسكيكدة مكونة من مباني متواضعة خصصت للجيش الفرنسي. ينظر: Monographie D'El harrouch P.1-2.

وتأسست قرية الحروش رسميا بمرسوم مؤرخ بتاريخ 22 مارس 1844 بمجال جغرافي 1621 هكتار، أستقر بها المعمرين الوافدين من بلجيكا وألمانيا منذ عام 1840، بنيت بها ثكنة عسكرية، وكنيسة عام 1848، تحولت هذه القرية إلى بلدية ذات الصلاحيات الكاملة حسب مرسوم 22 أوت 1861، حيث عدلت حدودها بموجب مراسيم 10 ديسمبر 1868، و3 نوفمبر 1874، وقرار ولاية قسنطينة 15 ديسمبر 1870 لتصل مساحة مجال المركز إلى 11719 هكتار، منها 10120 مساحة البلدية وحضبت هذه البلدية الواقعة في مجال وادي الصفصاف كمنطقة عبور: سكيكدة التي تبعد عنها 32 كلم وقسنطينة 52 كلم وعنابة، وصل عدد سكانها عام 1849 إلى 252 ساكن أوروبي ينظر:

Bulletin Du GGA, 1861, P. 503. - AWC, El Harrouch, P.119.- Solal E, Philippeville, P.251.

لقد تحولت الحروش إلى نقطة استقطاب للهجرة الجزائرية من عدة قبائل (العشاشة، مجادة، الثعابنة، الزرمانه، بني توفوت، بني صالح، بني مهنة، ولد الحاج)، وذلك عقب استقرار مجموعات من المعمرين الأوروبيين في مركز الحروش الفلاحي بين سنتي 1840-1856، كما ألحقت بها بعض الدواوير (مسونة، الزفزف)، بهدف توسيع حلقة دفاعي الضرائب، وصل عدد سكان الحروش 6580 نسمة من بينهم 317 أوروبيا عام 1936 ثم قدر عددهم 9900 نسمة عام 1948، أغلبيتهم من الفقراء، ينظر: نربي محمد، حياة تحد وصمود، المرجع السابق، ص. 33.

السنة	1861	1876	1886	1896	1901	1906	1911	1921	1926
الأوروبيون	659	488	539	500	582	534	482	380	426
الأهالي	1689	3004	3784	3739	3820	4434	437	4655	5055
المجموع	2348	3492	4323	4239	4402	4968	4853	5035	5481

جدول حركة السكان بمدينة الحروش بين سنتي 1861-1926: ينظر: AWC, Ibid. Mouvement pop d'el harrouch

<sup>5</sup> قالبو Galbois جنرال فرنسي ساهم في تثبيت الوجود الفرنسي في بعض مدن مقاطعة قسنطينة التي تولى ادارتها خلفا للجنرال نيقريه.

<sup>6</sup> Solal Edouard, Philippeville et sa région, op-cit, p.51-52.

<sup>7</sup> في 6 أكتوبر 1838 تجمعت قوة عسكرية فرنسية بتعداد 4000 محاربا فرنسايا بمركز الحروش تحت قيادة حاكم قسنطينة الجنرال قالبو، استعدادا لإحتلال سطورة بصورة نهائية التي تم دخولها يوم 8 أكتوبر 1838، مستفيدا من كافة المعلومات التي جمعها حاكم قسنطينة السابق الجنرال

دامت شهر واحد فقط. وقرر فالي تهديم الاثار العتيقة لتطويق المدينة الجديدة بجدار له عدة أبواب:باب البحر شمالا وباب قسنطينة جنوبا وباب الأوراس غربا<sup>1</sup>. في الوقت نفسه كانت سفينة سفينكس<sup>2</sup> المتوقفة بعناية من أجل ضمان الدفاع عن هذا الموضع المحتل لتوزيع التموينات الضرورية على القوات العسكرية العاملة فيه بالتموينات الضرورية نحو سكيكدة لحقتها سفينتين تجاريتين يوم 10 أكتوبر 1838 جلبت معهما مواد البناء، مما ساعد على إقامة المقر الرئيسي للجيش في الموضع القديم للقلعة الرومانية التي حافظت على أحجارها في أعالي المركز<sup>3</sup> لتصبح ثكنة فرنسا<sup>4</sup>.

وبقيت المدينة خاضعة تحت حكم النظام العسكري في عهد الحاكم العام فالي<sup>5</sup>، وكانت الصلاحيات بيد القيادة العسكرية، في الوقت الذي تزايد عدد السكان المدنيين الأوروبيين بشكل سريع، وقدر عددهم 1700 نسمة عام 1839 مما سبب ضيقا شديدا لهؤلاء الوافدين<sup>6</sup>.

وفي الحقيقة فإن الحملة الفرنسية على سكيكدة، واجهتها صعوبات جمة، يمكن تلخيصها في مايلي:  
الوضع الأمني التي واجهها التوسع العسكري الفرنسي بمنطقة سكيكدة عقب ظهور مقاومة شعبية عرقلت التوسع العسكري بها، وألحقت بهم خسائر فادحة.

الوضع الصحي المتردي نتيجة الذي واجهته السلطات الفرنسية بسكيكدة وضواحيها بسبب وجود مستنقعات خطيرة نتجت عنها تعرض أغلبية الوافدين لأمراض فتاكة، وارتفاع عدد المرضى، والقتلى.  
ساهمت ظروف تاريخية وإستراتيجية في انشاء مدينة سكيكدة الفرنسية (فيليب فيل)، كتأمين الملاحه، واستغلال موقعها الحصين، وربط المناطق الداخلية بأقرب نقطة ساحلية. وبعد احتلال قسنطينة توجهت أنظار القادة والمهندسين العسكريين نحو المدن الساحلية حتى تكون ظهيرا لهم، وتضمن الدعم العسكري

---

نيقريبه من 7 أبريل 1838 إلى 9 أبريل 1838 من جهة، والشروع في تعبيد الطريق الرابط بين سطورة والكنتور، وخضوع ساحل سكيكدة للسيطرة الفرنسية، حيث حملت سكيكدة حصن فرنسا، وأطلق فالي إسم فيليب فيل على المدينة يوم 11 أكتوبر 1838، وفي 17 نوفمبر 1838، وافق الملك الفرنسي على إقتراح المارشال سيلفان فالي تسمية المدينة الجديدة المبنية على أنقاض المدينة القديمة باسمه التي وجدت فيها آثار قيمة، والذي فور علمه بالنتائج المحققة من طرف قائد هذه الحملة الفرنسية، بواسطة المعلومات التي أوصلها وزير الحربية سيمون بيرنار يوم 30 أكتوبر 1838، لأنها ستكون مدينة فرنسية ناشئة بالكامل في موقع موجود بوسط سهل قريب من جبال القبائل الشرقية على ضفة خليج سطورة، وعلى الساحل القسنطيني. وتعيش بهذه المنطقة قبائل أو أعراش، يحكمها قادة محليون بعضها يسكن السهول يقال أنها موالية، وبعضها الأخر يقطن الجبال يقال عنها أنها متمردة. ينظر عميرايو احميدة، الاحتلال والمقاومة بمنطقة سكيكدة، المرجع السابق، ص. 181.

Ibid. Philippeville et sa region.

<sup>1</sup> Ouldennebia Karim, la commune mixte dans la région de skikda, actes 3° colloque national, organisé par association rusicada culturel w.skikda, le 26/12/2005.

<sup>2</sup> Le Bateau à vapeur le sphinx.

<sup>3</sup> Débarcadère

<sup>4</sup> Solal Edouard, Philippeville et sa région, op-cit, p.53.

<sup>5</sup> أشرف المارشال فالي بنفسه على تنظيم إدارة هذه المدينة من أجل مساعدة الأوروبيين على الإستقرار بها، لذلك وفرت لهم المساعدات والخدمات المختلفة بعد نجاح مهمته بسكيكدة، عاد فالي إلى قسنطينة 13 أكتوبر 1838، ربما للإحتفال بالذكرى الأولى لإخضاعها ليخلفه العقيد فايون Vaillant من الهندسة في مركز سكيكدة الذي أطلق عليه مركز فرنسا.

<sup>6</sup> وحسب الشهادات التي جمعها الباحث إدوارد صولال حول تلك الفترة، بأن المدنيين يعاملون كالكتيبة العسكرية، حيث يقوم القائد العسكري بجمعهم وينقل العقيد أفونسو للسجن، كل ساكن يهمل الكناسة أمام باب منزله، وبمجرد مرور ابن الملك الفرنسي الأمير دوريون على مدينة سكيكدة بمناسبة الذكرى الأولى لإحتلالها أكتوبر 1839 تلقى عدة شكاوي متعلقة بالمعاملة التي تلقوها من طرف العسكريين ينظر:

Ibid. Philippeville et sa region.

نحوهم، وتسهل نقل الثروات وتحويلها إلى فرنسا، فكانت أنقاض روسيكادا هي وجهتهم، على عكس الفترة العثمانية لم يحظى هذا المركز القديم باهتمام من طرف بايات قسنطينة.

وحسب فالي هذا الاستطلاع الذي قام بها الجنرال نيقربيه تولى حكم مقاطعة قسنطينة بعد الجنرال فالي<sup>1</sup>، كان ناجحا، بعد دراسة الأرضية التي تعتبر الطريق المباشر بين قسنطينة و سطورة، وتم اقامة علاقات مع القبائل التي لم يزرها موظفو بايات قسنطينة منذ 40 سنة. واعتبر فالي بأن النظام الذي وضعه واتبعه ساعدت على احتلال سطورة في 8 أكتوبر 1838، مما يدل على مدى نجاح هذه الحملة<sup>2</sup>.

وقسمت منطقة سكيكدة إلى أربع قيادات هي: بني مهنة<sup>3</sup>، رجاته<sup>4</sup>، أولاد عطية، العلمة<sup>5</sup>، وعين على كل قيادة شيخ يعمل بالتنسيق مع رئيس المكتب العربي الذي من مهامه جمع الضرائب وتنظيم شؤون الجزائريين، والكل يعمل تحت أوامر قائد الناحية وهو قائد عسكري، لكن هذا التقسيم الإداري عرف تغييرات مستمرة وتطورات تماشيا مع ما عرفته الجزائر- باريس من تغييرات سياسية، حيث وصف بلانكي السياسة الإدارية الفرنسية المتبعة في الشرق الجزائري، بالبطيئة والمجحفة في حق الجزائريين<sup>6</sup>. منذ المراحل الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر، مثلت الطرق مفتاح النجاح أو الفشل في الحملات العسكرية، حيث كان قائد قوات هذه الحملة في قسنطينة الجنرال فالي متأكدا من أن السيطرة العسكرية في المقاطعة لن تتم إلا بربط من خلال إنشاء طرق تربط قسنطينة بالمينائين الرئيسيين لكل من سكيكدة وعنابة، وهذا للتمكن من نقل سريع للفرق والمؤن، وهذا عند الحاجة<sup>7</sup> وحسب رأيه، كان من الضروري تأمين طريق سكيكدة قسنطينة، لأن طريق عنابة هو الأطول والأكثر خطورة كونه يمتد على مناطق الأعداء، والتي كانت تعتبر منطقة للدفاع والعمليات الحربية والنشطة التي كان يجب أن تنتهي للحفاظ على حامية قسنطينة وكذا توفير المؤن في المدينة<sup>8</sup>.

ولهذا عمل الجيش الافريقي على استغلال بقايا مسلك الطريق الروماني الرابط بين سكيكدة وعنابة الذي تم اكتشافه من طرفهم في 25 فيفري عام 1839، وحددوا المسلك المناسب في الطريق الفاصل بين سكيكدة وعنابة في 6 أفريل 1839، ثم دعم التنظيم الإداري لمركزي سطورة وسكيكدة في جوان

<sup>1</sup> العنثري صالح، مجاجات قسنطينة، تحقيق وتقديم رابح بونار، دوائر المغرب العربي، SNED، 1394هـ، 1974، ص.47.

<sup>2</sup> Solal Edouard, Philippeville et sa région, op-cit, p.48-54.

<sup>3</sup> قبيلة بني مهنة، وهي قبيلة كانت تعيش في جبال الفل ثم نزلت في القرن 17م إلى منطقة سكيكدة، حيث انتشرت أراضيها على مناطق سماها الفرنسيون بعد غزوهم (فالي، دامريمون، قاسطون فيل) ينظر: سعدي فاطمة، البراءة المسلوقة، مجررة 20 أوت 1955، المصدر السابق، ص.114.

<sup>4</sup> قبيلة رجاته Redjata التي يقدر عدد سكانها بألف نسمة، وتشمل حدود هذه القبيلة من قمة جبل فلفلة إلى حدود مقاربة لبحيرة فزارة Fezzara بمنطقة واسعة تركز إلى الشمال والشرق من قريبات Guerbés وصنهاجة إلى الجنوب زردازة وتحتوي في الغرب كل حوض فندق، ينظر:

Ibid. R.A, 19 Année, N :110, Mars 1875, P.97.

<sup>5</sup> عميرايوي حميده، المرجع السابق، ص.76.

<sup>6</sup> عميرايوي حميده، السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة، المرجع السابق، ص.78.

<sup>7</sup> Solal Edouard, Philippeville Et Sa Region, Op Cit, P.37.

<sup>8</sup> Gistove M.S.D, Rapport sur l'établissement de l'armée d'afrique près de stora par le colonel vaillant, directeur des fortifications d'algerie, 10 Octobre 1838.

1839، وفق الاستراتيجية التي أقرها فالي منذ تواليه مسؤولية الحاكم العام، الذي حدد بوضوح السياسة الاستعمارية المطبقة في الجزائر لغرس الوجود الفرنسي بالجزائر، وكتب فالي في هذا الصدد ماي 1838 (سيكون تدريجيا فقط كلما كانت هناك طرق، ورغبتنا هي إعادة السلم إلى البلاد، وسيتم ذلك وسنتجه إلى الأمام عندما تقوي سيطرتنا على المناطق المحيطة بقواعدنا)<sup>1</sup>.

وتم إنشاء المدينة الجديدة مكان المدينة القديمة وعلى أنقاضها بعد تعرض الجزء الأساسي من المدينة، لعمليات هدم، تحول معها المركز إلى مدينة كولونيالية ذات بنايات جديدة وأغلبية سكانها أوروبيين. ومع البدايات الأولى للاستعمار، تقرر انتهاج سياسة هيمنة قوامها طرد المجتمع المحلي مع السيطرة على ملكياتهم التي وجدوها في حالة اهمال، وكانت هناك عمليات مصادرة وحجز تعسفية.

فالتحصينات والتكنات التي أنجزها سلاح الهندسة الفرنسية في القسم الشرقي للمدينة، مع إقامة شوارع مستقيمة وسالكة للمركبات الذي قام بإدخال المقاييس الطبوغرافية للجزائر، لاستغلال الفضاءات وتهيئة المجالات وفق نماذج الهندسة المعمارية الأوروبية، لتتوسع المدينة في الاتجاه الشمالي الغربي.

وبسرعة شرع العسكريون في عمليات الهدم للبنى القديمة، وإنشاء بنايات جديدة داخلها، وتم القيام بهذه التغييرات الضرورية بوتيرة متسارعة، فالأهم عندهم هو إنشاء فضاء أوروبي بمعايير حديثة وأبعاد كبيرة، يتلاءم مع التدريبات العسكرية، وفتحت العديد من الممرات الجديدة، وتشكلت شبكة من الشوارع، وكذلك تم استبدال المشاتي بنظام يقوم على استمرارية وترانجية الطرق<sup>2</sup>.

واستمر تعيين القادة الفرنسيين إلى غاية صدور القرار الوزاري المؤرخ في 17 فيفري 1840 والقاضي بتعيين محافظات مدنية، ولتطبيق هذه السياسة وجه القادة الفرنسيون حملات عسكرية رادعة إلى المنطقة الممتدة من قسنطينة إلى جيجل والقل وتواصلت إلى عام 1858 لمحاولة فرض السيادة على سكانها، ومعتمدين على دعامين أساسيين هما الهجرة الأوروبية وبناء المستوطنات الفلاحية<sup>3</sup>، وواصل الجنرال قالبا نفس سياسة نيقرييه في شن الحملات العسكرية وتعبيد الطرق واستمالة شيوخ المنطقة<sup>4</sup>.

ومنذ احتلال مدينة قسنطينة، كان عدد الأوروبيين يتزايد سنويا، وإذا كانت فكرة الاستيطان قد أخذت الطابع الرسمي عام 1845 لدى الاستعمار<sup>5</sup>، إلا أنها عمليا سبقت هذا التاريخ<sup>6</sup>، وبدأت هجرة المعمرين إلى الجزائر عام 1843، وقام الجنرال نيقرييه بتأسيس مركزا عسكريا بالحروش من أجل دراسة أولا البلاد ثم ضمان طرق المواصلات مع البحر، وبناء على طلب من الدوق دومال صدر مرسوم وزارتي

1 حوحو رضا، شبكة السكك الحديدية الفرنسية في الجزائر وأثرها في تدعيم سلطة الاستعمار 1830-1914، ماجستير، إشراف سكفالي، 2005، جامعة قسنطينة، ص.10.

<sup>2</sup> أيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، دار القصبه للنشر، 2007، الجزائر، ص.148-160-161-209-201.

<sup>3</sup> عمير اوي اميدة، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط2، دار الهدى، عين مليلة، 2004، ص.33.

<sup>4</sup> عمير اوي اميدة، السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة 1838-1858، المرجع السابق، ص.33.

<sup>5</sup> Yacono, *Op. cit*, P.149.

<sup>6</sup> Feraud Charles, *Op. Cit*. p 107.



في 22 مارس 1844 يعطي مركز الحروش وجودا فعليا، بتخصيص إقليم خصب منه مساحته 1600 هكتارا، كما تم تأسيس ضيعات فلاحية بضواحي سكيكدة هيئت للمعمرين كقرية فالي<sup>1</sup> على جهة النهر الأيسر بواد الصفصاف التي أعطيت 600 هكتارا وكذا قرية دامريمون<sup>2</sup> على ناحية النهر الأيمن<sup>3</sup>. ورافق إرساء المستوطنات رغبة مسؤولين الإدارة الفرنسية في تثبيت معمرين حقيقيين عن طريق العمليات الاستيطانية الهادفة لتجريد القبائل من أراضيها، وفي عام 1846 الجنرال بيدو، مخططا للاستعمار للمقاطعة، تسمح باستقرار واسع للمعمرين، ومنحهم أراض تمتد في شكل زاوية كبيرة تبتدئ قممها من عنابة فسكيكدة لتصل إلى قسنطينة، على طول الطرق الرئيسية تؤسس مراكز استيطانية<sup>4</sup>. وشمل التوسع المدني مناطق هامة أقام فيها الاستعمار الفرنسي مراكز استيطانية: الحروش 22 مارس 1844، وسان شارل (رمضان جمال<sup>5</sup>) 6 أبريل 1847، وروبيرت فيل (أمجاز الدشيش<sup>6</sup>) 16 نوفمبر 1847، كذلك تأسيس مركزين استيطانيين جديدين بالقرب من مركز الحروش في 14 فيفري 1848 قاسطون فيل صالح بوالشعور<sup>7</sup>، وجيماب (عزابة<sup>8</sup>)، مما شجع على تزايد الهجرة الأوروبية بشتى

<sup>1</sup> قرية فالي Valée حمروش حمودي حاليا، أنشأ علم 1844 فوق ارتفاع يصل إلى 45 م في جزء الجنوبي الشرقي من سهل سكيكدة.

<sup>2</sup> قرية دامريمون Damrémont حمادي كرومة حاليا تأسست عام 1842، كقرية استيطانية على الضفة الغربية لوادي الصفصاف.

<sup>3</sup> *Recueil des actes du gouvernement de l'Algérie (1930-1854)*, p. 276.

<sup>4</sup> فركوس صالح، احتلال ومقاومة المكاتب العربية لمقاطعة قسنطينة، المرجع نفسه، ص 123.

<sup>5</sup> قرية سانت شارل Saint Charles مركز رمضان جمال تبعد 18 كلم عن مدينة سكيكدة، على طريق قسنطينة، وتأسست هذه القرية في 6 أبريل عام 1849، وخصصت لهذه القرية مساحة تقدر بحوالي 1400 هكتارا، انتزعت من أراضي قبيلة بني مهنة، حيث استقرت بها آنذاك 15 عائلة سويسرية، وفتح المجال لقدم معمرين جدد إليها، منحت لهم تنازلات كبيرة في وادي الصفصاف، وأنشأ مركز سان شارل الأوائل الذين قاموا بإنجاز الطريق بين سكيكدة وقسنطينة، يعرف باسم المحطة الكبرى، بتاريخ 06 أبريل 1847 ثم تشكلت البلدية عن طريق مرسوم 22 أوت 1861، ومرسوم 13 مارس 1895، وتم تعديل حدودها بواسطة مراسيم 10 ديسمبر 1868 و 18 جانفي 1875 في مساحة تقدر 10.949 هكتارا. وعرفت حركة السكان بهذه القرية تغييرا ملحوظا خاصة بالنسبة للمسلمين الجزائريين الذين نزحوا إليها من مختلف النواحي المحيطة بها. واستمر الإستيطان في تزايد حسب ما يتبين في جدول تطور تعداد سكان سان شارل: ينظر:

السنة	الأوروبيون	الأهالي	المجموع
1861	294	616	910
1886	350	2216	2566
1901	325	2525	2850
1911	297	2520	2817
1926	233	3467	3700

Feraud, op. cit, p.112. AWC, Saint Charles, p.124. BULLETIN du G G, 1861, p.503. BULLETIN du G G, 1895, p.288.

<sup>6</sup> قرية روبرت فيل Robertville أمجاز الدشيش التي شهدت هجرة استيطانية باريسية في أكتوبر عام 1848، تبعد هذه القرية عن مركز الحروش 8 كلم، و4 كلم عن قاسطون فيل، وهي هضبة غنية بالآثار الرومانية يعتمد سكانه على زراعة القمح، الذرة، أنجزت بها منازل وكنيسة مخصصة للمعمرين، ثم توقفت الأشغال في جوان 1849 بسبب اوبئة مستنقعات الصفصاف، أدت إلى وفاة العشرات من سكانها، وتحويل أعداد أخرى نحو مستشفيات سكيكدة وقسنطينة، وبعد تحسن ظرفي للحالة الصحية بها، ظهرت من جديد الكوليرا منذ 9 أكتوبر 1849، ودامت 42 يوما، خلقت مقتل 164 من مجموع السكان 429 نسمة، وتقلص عدد سكانها عام 1854، ينظر:

Acep, *Ensemble*, N.225, Octobre 2000, P.P.31-36, Les Convois De 1848 Pour Le Constantinois.

<sup>7</sup> تأسست هذه القرية الاستيطانية في الطريق الرابط بين سكيكدة وقسنطينة، بالقرب من مشتي دير علي التي تقسم المسافة الطويلة نسبيا ما بين سانت شارل والحروش لغرض حماية المزارع المقامة على وادي الصفصاف، تضمنت توزيع 20 ألف نسمة بها، ولم يترك لقبيلة بني مهنة إلا 800 هكتار على الضفة اليمنى لوادي الصفصاف. ينظر بوشامة ليديا، رسالة ماجستير، المرجع السابق، ص 50-51.

تم خلق هذا المركز السكاني قاسطون فيل بتاريخ 16 نوفمبر 1847 بمجال يقدر مساحة 535 هكتار لمصلحة 40 عائلة أوروبية، وتحول من مركز عسكري إلى مستعمرة فلاحية عام 1848، وخلالها انجزت مشاريع سكنية للمعمرين الوافدين، الذين تعرضوا للأمراض الفتاكة الناتجة عن مستنقعات الصفصاف عام 1849، ومعظم سكانها الأوروبيون أصولهم من المقاطعات الفلاحية أو من قدماء العسكريين في الجزائر، منحت لهم السلطات الاستعمارية قطع أرضية وامتيازات، قدر عدد السكان الأوروبيون لهذا المركز 350 نسمة عام 1850، 423 نسمة عام 1854، 401 نسمة عام 1861، بينما تطور سكانها المسلمون من 213 نسمة عام 1866، إلى 4224 نسمة عام 1920. أنظر:

Solal Edouard, *Philippeville et sa région*, P.228-329- 330.

<sup>8</sup> جيماب عزابة حاليا: قرية فندق القديمة، البعيدة عن سكيكدة 32.5 كلم، يرجع أصل تسمية جيماب إلى معركة تغلب فيها الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال دوموريي Dumouriez على النمساويين، بالأراضي البلجيكية، في 6 نوفمبر 1792، في 14 فيفري 1848، أمضى أمرية إنشاء 17 مركز استيطاني من بينها جيماب، التي تمركزت في مساحة 1850 هكتار، بين الطريق الرابط بين عنابة وسكيكدة والحروش، استقر بها 851

أنواعها (الحرية الفردية، المنظمة الجماعية) نحو منطقة سكيكدة، حيث قدر عدد سكانها 13456 نسمة عام 1860 موزعين إلى 11868 أوروبيا و 1469 جزائريا، 119 يهوديا<sup>1</sup>.

وتبرز أهمية المدينة في السياسة الاستعمارية التي تسمح بخدمة مصالح المستوطنين، عن طريق الفضاءات السكنية داخل نسيجها العمراني، وضمن قرأها الاستيطانية مثل سانت أنطوان<sup>2</sup> المجاورة التي لقيت التشجيع المتواصل للاستقرار فيها رغم الصعوبات التي كانت تشكل تحد حقيقيا صعبا<sup>3</sup>.

وساعدت المراسيم الصادرة بين عامي 1844 و 1846 عددا من الأوربيين على الإستقرار بالضواحي القريبة من المدن، حيث وزعت عليهم قطع أرضية للاستغلال الخاص.

وكان الأوروبيون لا يهتمون إلا بمصلحتهم العاجلة غير مبالين بمشكل الأهالي وأبدوا حرصهم الشديد على المطالبة بانتشار النظام المدني في الجزائر بعدما جردوا القبائل من ممتلكاتهم وأراضهم.

وقامت السلطات الفرنسية منذ احتلال منطقة سكيكدة إتباع سياسة الإخضاع الاقتصادي للأهالي، وتفكيك مقومات الاقتصاد الأهلي<sup>4</sup>، وتوزيع الأراضي المستولى عليها من أصحابها الأهالي، على العدد المتزايد من المعمرين، وذلك قبل أن تأخذ فكرة الإستيطان الأوروبي الطابع الرسمي عام 1845 لدى الإستعمار الفرنسي، على الرغم من أن هذه الهجرة الأوروبية نحو الجزائر قد سبقت ذلك التاريخ، بحيث بدأت هجرة المعمرين بصفة جدية عام 1843<sup>5</sup>، وذلك بتجنب حالات الغضب الأهلي.

مستوطن، تم اختيارهم في باريس، ضمن الدفعة Convoi العاشرة، تضم حرفيين وبائعي مجوهرات. وفي عام 1846 اعتبر الجنرال بودو Bedeau هذا الموقع، أمام لجنة التعمير، ذات أهمية وغنية بالآثار والدولمان، وأراضيها ذات إمكانات هامة من حيث الأراضي، أخذ هذا المركز تسمية جيماب رسميا، بموجب أمرية ملكية مؤرخة بتاريخ 10 مارس 1848، الذي تعرض لموجة من الأوبئة الفتاكة الكوليرا والملاريا، وفي عام 1851 أقيمت بالقرب من جيماب، مستوطنات سيدي ناصر وأحمد بن علي، حيث تغيرت تسميتهما: فوي Foy وبيار Bayar، أصبحت جيماب محافظة مدنية عام 1857، وفي عام 1871 أنشأت قرى استيطانية، خصصت لعائلات من إقليم الأتراس، لاروبرتسو La robertsau وأوريبو D' Auribeau عين شرشار حاليا، ولانوي Lannoy جندل حاليا، والركنية، ومنذ 11 ماي 1884، أنجزت بها عدة مرافق خدمتية مدارس وبلدية جديدة عام 1884، وأصبحت ملجأ للوافدين إليها من أريافها، ليزداد معها عدد سكان المدينة، المرجع :

Jean Benoît, Les Pieds Noirs D'Hier Et D'Aujourd'hui- Revue Ensemble 1999 -Amicale Des Jemmapes

<sup>1</sup> عميرواي احميدة، مقال عن الاحتلال والمقاومة بمنطقة سكيكدة، مجلة العلوم الاجتماعية، المرجع السابق، ص. 184-185.

<sup>2</sup> تسميتها الأولى قرية أو ضيعة برانكار Brincard نسبة إلى اسم نقيب في الهندسة، قام بتوجيه الأشغال الأولى، صارت تسمى سانت أنطوان التي خصصت لها 700 هكتار، قسمت إلى أربعين قطعة أرضية، وبعد إنشاء قرية إستيطانية سانت أنطوان التي قدر عدد القاطنين بها 25 شخصا عام 1843 يعتمدون على زراعة المروج وتربية المواشي وطالب مدير الداخلية المحافظة على سانت أنطوان مع القيام بتهيئة مجالها الصحي، وتم الموافقة على هذا المشروع من طرف مجلس الإدارة في 22 ماي 1844. وبعد ذلك صدر قرار من الحاكم العام في 2 أوت 1844 بموجبه أنشئ رسميا مركز سكاني لسانت أنطوان في مساحة تقدر 600 هكتارا.

<sup>3</sup> حسب المادة الرابعة من هذا القرار، أراضي هذا الجزء الإقليمي يجب أن توافق استنادا للقرار الوزاري 18 أبريل 1841 حسب نظام الامتياز، وحسب هذا القرار يفرض على كل معمر إثبات موارد ضرورية من 1200 فرنك إلى 1500 فرنك، لكي يتحصل مجانا على قطعة للبناء وقطعة للزراعة من 4 إلى 12 هكتار كأقصى حد، ومواد للبناء، والمواشي، والبنور، عتاد فلاحي. واهتمت الإدارة بأشغال المنفعة العامة لهذه القرية: حفر للمكان، طرق، ينابيع آبار، وفي عام 1845 وصل عدد قطع البناء بها إلى 42 استقر بها 112 أوروبيا، ووزعت في عام 1848 كل المساحة، لكن تعداد السكان بقي ثابتا 92 نسمة. ينظر :

Solal Edouard ; Philippeville et sa région ; op-cit ; p.p :190-191-193.

<sup>4</sup> بو عزيز يحي، المجاعة بالجزائر أواخر عقد الستينات من القرن 19م، مجلة الأصالة عدد 33، الجزائر، 1976، ص:8.

<sup>5</sup> Feraud Charles., Op.Cit, P.107

وفي عام 1846 قام الجنرال بيدو<sup>1</sup> قائد ناحية قسنطينة بإعداد مخطط للإستعمار بالنسبة للمقاطعة، تسمح بإستقرار أكبر عدد ممكن من المعمرين. واعتمد الجيش الفرنسي في البداية على كبار الجماعة والمرابطين في تركيز إحتلاله لمنطقة سكيكدة، مع إهتمامه بالبحث في خفايا السلطة بالأرياف، وتم تكليف ضباط رؤساء المكاتب العربية و مترجمي الجيش بهذه المهمة لتسهيل مهمة حكم المجتمع الريفي. فقد حافظ سكان القبائل الشرقية على العادات والتقاليد القديمة، وهي شعوب متمردة ترفض السيطرة والخضوع ولم تكن لها سلطة قضائية، ويعتبرون الجماعة سلطة معنوية يتم التحكم فيها حسب العادات<sup>2</sup>. ولهذا تعرض النظام القبلي في الجزائر إلى عمليات تفكيك واسعة هدفها إخضاع المجتمع الجزائريين تحت سلطة الفرنسيين، فمهد قانون سيناتوس كونسيلت لعزل الفرد الجزائري عن محيطه القبلي، وشكل دعما قويا للملكية الفردية<sup>3</sup>، وحسب الجغرافي نوشي لم يعرف الأهالي من الاستيطان سوى مظهره السلبي<sup>4</sup>، حيث تركوا أراضيهم رغبة منهم أوكرها ودون أن يأخذوا التعويضات عنها، والحقيقة أن الأهالي أخرجوا منها بغير وجه حق، وكانت تعليمة الحاكم العام في 30 أكتوبر 1847 التي أكدت: (إن استيطان الأهالي هو التجربة التمهيدية التي لا يمكن الاستغناء عنها بالنسبة للاستعمار الأوروبي)<sup>5</sup>.

وقام الجنرال هربيون<sup>6</sup> بتشيد القرى الفلاحية للمعمرين التي قدر عددهم حوالي 400 معمرا في نهاية عام 1848 من بينها قرية روبيرت فيل بتاريخ 16 نوفمبر 1847 بأمازج الدشيش على بعد 24 كلم جنوب سكيكدة. وقدرت مساحتها 2500 هكتارا<sup>7</sup>، كما أنشئت قرية قاسطون فيل<sup>8</sup> على بعد 24 كلم من سكيكدة على طريق قسنطينة، بينما أقيمت قرية جيماب بمقتضى مرسوم 28 مارس 1848 على بعد 41 كلم من شرق سكيكدة بالمكان المسمى (فندك) الذي تعد أراضيها من أخصب الأراضي الجزائرية<sup>9</sup>. وتعرضت القبائل القاطنة حول سكيكدة للطرد، حسب حاجيات الاستراتيجية الاستعمارية وأهداف الاستيطان الأوروبي، وقدر عدد سكان مقاطعة سكيكدة 41000 نسمة عام 1854، منهم 28000 امرأة وطفل وكهل<sup>10</sup>. وكان قلق الأهالي يتزايد نتيجة توافد الآلاف من الأوروبيين إليها، وعكس صورة هذا

<sup>1</sup> الجنرال ماري ألفونس بيدو Alphonse Bédeau الحاكم العام للجزائر من 6 جويلية 1847 لغاية 24 فيفري 1848 وقام بعدة حملات عسكرية في الجزائر، خاصة في منطقة سكيكدة.

<sup>2</sup> خنوف علي، السلطة في الأرياف الشمالية لبابك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي، مطبعة العناصر، الجزائر، 1999، ص.ص. 22-23.

<sup>3</sup> Addi Lahouari, *De l'algerie pré-coloniale, économique et société*, ENL, alger, 1985, p.57.

<sup>4</sup> Nouschi André, *op. Cit.*, p. 268.

<sup>5</sup> فركوس صالح، احتلال ومقاومة المكاتب العربية بمقاطعة قسنطينة 1844-1871، ج1، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري، 2001، ص 124.

<sup>6</sup> الجنرال هربيون Herbillon أحد قادة الجيش الفرنسي، أطلقت تسميته على قرية واقعة بين عنابة وسكيكدة.

<sup>7</sup> Feraud Charles, *Op. Cit.* P.119

<sup>8</sup> أسست قرية قاسطون فيل Gaston Ville فوق أراضي قبيلة بني مهنة في المكان المسمى عند الأهالي بدير علي، حيث قدم حوالي 600 معمرا للإستقرار بتلك القرية، فوق حوالي 300 هكتارا بضواحي الصفصاف.

<sup>9</sup> *Idem*, pp. 120-121.

<sup>10</sup> Thuriez Daniel, *les journaux de Philippeville et le problème de la Sécurité 1890-1914*, p.73-82.

القلق الشديد<sup>1</sup> المكاتب العربية بسكيكدة حيث تبين في تقريره إلى الإستياء العام الذي انتاب القبائل المرحلة من أراضيها<sup>2</sup>، رغم مساعي ضباط المكاتب العربية لإقامة علاقات جيدة ما بين المعمرين والأهالي<sup>3</sup>، مما أجبرهم على الطرد والهجرة والثورة والمقاومة وعلى إحراق الغابات كوسيلة للإحتجاج. ووزع قانون السيناتوس-كونسولت لسنة 1863 القبائل على تجمعات إصطناعية تسمى الدوار، إذ يتشكل الدوار من مجموع بقايا القبائل المفتتة غير متجانسة، ويؤكد أحد منظري الإستعمار الجنرال الأار<sup>4</sup>، أن الهدف من صدور قانون 1863، هو (التخفيف من تأثير الزعماء وتفتيت القبيلة)<sup>5</sup>. تفتنت السلطة الفرنسية إلى أهمية الأعيان، فعينت قادة عرب على مناطق حساسة لضمان الأمن والتوسع في البلاد، فنصبت ابن عيسى على الساحل ليخلفه علي با أحمد ثم القائد السعودي بن اينال<sup>6</sup>. تمكن الجنرال باراغاي<sup>7</sup> الذي عوض الجنرال نيقرييه في جانفي 1843، من العمل على إخضاع المثلث الجبلي الرابط بين قسنطينة، عنابة وسكيكدة، وعرض على قبائلها الخضوع للسيطرة الفرنسية، ثم اتجه إلى الجبال الواقعة بين قسنطينة وسكيكدة والقل، من أجل حماية نهائية للاتصال بين قسنطينة والبحر، وبعد انتهاء مهمته بالجزائر عاد باراغاي إلى فرنسا تاركا بدله الدوق دومال<sup>8</sup>. نستخلص بأن الأهمية التي تمتعت بها منطقة سكيكدة غايبا وزراعيها وتجاريا وجغرافيا وحتى عسكريا جعلتها إحدى المراكز المهمة في استفاد منها الاستعمار الفرنسي والاستيطان الأوروبي المرافق له، الأمر الذي جعل مدينة سكيكدة تجدد مجالها العمراني ونمطها المعماري وتركيبية سكانها الجدد الوافدين من نقاط بعيدة أو قريبة من البحر المتوسط، بينما يجد السكان الجزائريون أنفسهم مطرودين من ديارهم ومحرومين من أرضهم ومهمشين في وطنهم ومستغلين في إقتصادهم، وهنا ننسائل عن مصير التركيبة السكانية للمجتمع الجزائري في مواجهة خطط المستعمر ونواياها في منطقة سكيكدة.

<sup>1</sup> فركوس صالح، احتلال ومقاومة المكاتب العربية لمقاطعة قسنطينة، المرجع نفسه، ص 175.

<sup>2</sup> F80 510 Cercle De Philippeville, Rapport De La Quinzaine De Novembre 1848.

<sup>3</sup> 30 KK45, Philippeville, Le 17 Mars 1849, N° 24.

<sup>4</sup> الجنرال أيار Allard

<sup>5</sup> العمري الطاهر، دور بني المجتمع الجزائري في مقاومة الاستعمار 1830-1900، ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، ص.186.

<sup>6</sup> عميرايوي حميده، السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة، المرجع السابق، ص.75.

<sup>7</sup> Général Baraguay d'huilliers

<sup>8</sup> Rozet et carette, Etats Tripolitaines, 2éme Edition, E.Bousslama, Tunis, s.d, p.322.

## الفصل الأول: المجتمع في المدينة

- المبحث الأول: الأعراش والقبائل.
- المبحث الثاني: الجاليات الأوروبية.
- المبحث الثالث: التطور الديموغرافي.

### المبحث الأول: الأعراش والقبائل:

إن التطرق لدراسة التركيبة الاجتماعية للمدينة خلال الحقبة الكولونيالية 1838-1962 يظهر التباين الواضح بين فئات المجتمع التي تشكلها آنذاك، فيتضح مظهران مختلفان يمثلان سكان المدينة، وهما المجتمع الأهلي الأصلي الذي تمثله قبائل وأعراش المنطقة من جهة، والجاليات الأوروبية المختلفة المشارب والجنسيات التي وفدت إليها مع سياستي الإحتلال والإستيطان من جهة أخرى. وتختلف الأصول العرقية للمجتمع المحلي على حسب المناطق التي وفد إليها النازحون الذين كانوا يأتونها من كل جهات المنطقة للإستقرار بها، مقابل تراجع الهجرة الأوروبية مطلع القرن 20م وتوقفها فيما بعد، ثم توسع النزوح الريفي نحو المدينة حيث شكل بالنسبة لهم مجال مهم للتجارة أو العمل أو للدراسة، ورغم قلة المعطيات الإحصائية حول السكان الاصليين، مما يصعب على الباحث الإلمام بكل مكوناتها ومجموعاتها وتحولاتها.

إن محاولة معالجة الجوانب المتعلقة بالمجموعتين من السكان القاطنين بالمدينة من حيث تطورهما والعلاقات السائدة بينهما، وكافة الأنشطة الإجتماعية والثقافية والتعليمية والصحفية، يوضح التفاوت بين الفئتين، إذ كانت السيطرة الكاملة على الفضاء السوسيوثقافي للفئات الأوروبية التي شكلت تجمعا بشريا جديدا في المدينة، بينما وجد الأهالي أنفسهم يعيشون على هامشه فلجأوا إلى وسائل تعبير أخرى للتعبير عن خصوصيتهم ومعاناتهم وطموحاتهم.

وتفرض طبيعة موضوع الظاهرة القبلية اتباع المنهج التعددي، خصوصا حينما يجد الباحث نفسه أمام موضوع له أبعاد مختلفة ممتدة في المكان وفي الزمان. فالوحدة الإجتماعية التي يستند إليها البحث في متابعة التحولات الإجتماعية والإقتصادية هي القبيلة، وهي ظاهرة اجتماعية تاريخية التي تبرز تساؤلا أساسيا عن مدى تعميم وتطبيق الأطروحات والمفاهيم التحليلية حول أنماط الإنتاج والتشكيلات على المجتمعات المحلية والأطراف وهوامش الدولة<sup>1</sup>.

فالتعريف العربي للقبيلة يتميز بالدقة من خلال الاتفاق على أنها تمثل جزءا يندرج في إطار تصنيفات أخرى مندرجة، فللعرب تقاليد عريقة في علم الأنساب، وهذه التدرجية هي: الجذم، الجمهور، الشعب، القبيلة، العمارة، البطن، الفخذ، العشيرة، الفصيلة، الرهط<sup>2</sup>.

أفرزت تقاليد البحث وإجراءات الميدان الاجتماعي وتنوعاته أعمالا قيمة في هذا المجال وملاح الدراسات الاجتماعية حول القبيلة في الجزائر التي أنجزت خلال الفترة الاستعمارية، بحيث تندرج هذه

<sup>1</sup> بوطالب محمد نجيب، نفس المرجع، ص. 21-23-26-27.

<sup>2</sup> الجذم Race، الجمهور Ethnie، الشعب Peuple، القبيلة Tribu، الفخذ Segment، العشيرة Clan، الفصيلة Lingnage، الرهط Famille، أنظر: العروي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، ج 3، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1999، بيروت، ص.ص. 100-101

الابحاث ضمن استراتيجيات الاستعمار التي تبحث عن حلفاء أو خلق انقسام في المجتمع ينطلق من مبدأ (فرق تسد) من جهة أخرى، وأصبح الاستقرار أو التوطين ايدولوجية مجندة وينفذه الضباط الباحثون<sup>1</sup>. وظلت القبيلة تشكل المحيط الاقتصادي والاجتماعي لسكان المغرب، فأخذت زعاماتها حجما يتجاوز الحدود القديمة التي عملت على الحفاظ على مصالحها وصيانة وحدتها الاجتماعية والدفاع عن محيطها. وفي المناطق التي عرفت السلطة القبلية ظل عامل العصبية هو المحرك الأساسي للمجتمع، حيث كان دور الزعامة القبلية يكبر ويقل بمدى قوة وضعف عصبيتها التي كانت خاضعة لأعراف تقنن علاقة الزعامة القبلية وأعضاء القبيلة عن طريق الجماعة القبلية التي تقوم بتوزيع عادل للأراضي بين العائلات، وكلما استبدت زعامة قبلية بالسلطة حصل تزعزع في الهيكلة الاجتماعية ومنه انكسار في الكيان القبلي. ولم يكن هناك دور محرك لعامل الدعوة نظرا لحرية الاعتقاد والتدين وشبه مشاعة الأرض المورد الأساسي لاقتصادهم، وكان دور العامل الاقتصادي ضعيفا بالنسبة لعامل العصبية لبدائية نمط الإنتاج، مقتصرًا على الإنتاج الزراعي والرعي الخاص وفي التبادل السلعي المحصور<sup>2</sup>. أما الإطار الحقيقي عند عبد الرحمان ابن خلدون فهو النسب في معناه الواسع والرمزي، ويمثله من أشكال التحالف والولاء، فابن خلدون يؤكد دور المكان أي الأرض الذي يشكل محور التحام الجماعة. فالقبيلة عند Montagne Robert لا تتحد بانتمائها الى جد مشترك فقط، بقدر ما تتحدد أيضا في وحدة التسمية ومجال العيش وفق تقاليد وأعراف موحدة، بما يؤدي إلى تمحور أطرافها في المغرب العربي. أما جاك بيرك<sup>3</sup> فهو يمثل النموذج الأمثل للقراءة المتأنية والعميقة للمسألة القبلية في أطرافها حول سوق أسبوعية أو ضريح ولي أو بما يجمع بين فرقتها في عداء للقبيلة المجاورة، ويعتبر بأن القبيلة بناء اجتماعي كلي، يرتبط ببقية العناصر الأخرى وأن العادات والأعراف والرموز الجماعية والمعتقدات الدينية والقيم وصولا إلى الاقتصاد والايكولوجيا تعتبر عناصر متفاعلة تشكل نظاما أو نسقا اجتماعيا<sup>4</sup>. ويحمل المجتمع في داخل أنساقه، أسباب انتظامه وعدم انتظامه بما يعلنه عادة من تبدلات، علاقة وظيفته بين الجزء والكل، وبين الفرع والأصل، وبينت الدراسات أن الأرض والسياسة والقرابة لا تنفك، في فترات متقطعة، وبأن البنية القبلية عرفت عملية تفكيك واسعة لكنها استمرت رمزيا وثقافيا. وتمثل الظاهرة القبلية في المنطقة العربية إحدى الظواهر التي هجرها البحث الاجتماعي، رغم أهمية دراسة مشكلات الظاهرة القبلية، بحيث تناولت عدة دراسات الكثير من القبائل والزوايا والمجموعات

<sup>1</sup> العروي عبد الله، المرجع نفسه، ص. 65-70.

<sup>2</sup> سلامة ببيير وغلبيون برهان وآخرون، جدلية الدولة والمجتمع بالمغرب، مطابع إفريقيا الشرق، ط2، الدار البيضاء، 1994، ص. 155-160-161.

<sup>3</sup> جاك بيرك Berque من مواليد فرندة بتيارت، الذي تحدث عن ضعف الدراسات الميدانية والإحصائية حول القبيلة في الفترة الاستعمارية، فأغلب الأعمال المونوغرافيات تتدرج في المهمات العسكرية بالجزائر، ينظر العروي عبد الله، المرجع السابق، ص. 58-60-65-71.

<sup>4</sup> العروي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، المرجع نفسه، ص. 54.

الأهلية في المرحلة الإستعمارية، مع اختلاف في أسباب التناول باختلاف المراحل والسياقات، وتتميز الدراسات حول البنية القبلية المغاربية بالضعف، رغم أنها عرفت الظاهرة وتأثر تاريخها بها<sup>1</sup>.

استطاع البحث الكولونيالي أن يوضح مفاهيم وتصورات عن الريف والقبيلة في الجزائر بواسطة الدراسات الإحصائية والتسجيلات المونوغرافية المنجزة حول الأرياف والمجموعات لم يتم دراستها أو التأريخ لها مما يدل على الحضور البارز للمادة القبلية منذ بدايات البحث الكولونيالي في الجزائر، ثم المغرب وخاصة تقييم جاك بيرك سنتي 1850-1950 التي كتبها في الحوليات<sup>2</sup> عام 1956<sup>3</sup>.

إن اختبار بعض الأطروحات التي تراكت عبر إنتاج المعرفة العلمية حول مجتمعات المغرب، بدءا من إين خلدون وعالمي الإجتماع الفرنسي Hanoteau و Letourneux، وتنظيراتهم حول المسألة القبلية التي انقطعت مع مونتاني، وصولا إلى الأطروحات الأنثروبولوجية التقليدية والوظائفية.

تشكل القبيلة في منطقة سكيكدة قاعدة الهرم الإجتماعي، وتتولى المهام السياسية والإدارية والإقتصادية والإجتماعية، وتنقسم إلى فروع وكل فرع ينقسم إلى أسر، ويدير أمور هذه القبائل الشيوخ بمثابة هيئة إدارية تدعى مجلس الأعيان والجماعة، ومن صلاحيتهم التشريع والتنفيذ والتمثيل معتمدين على قانون شفهي متوارث وسلطة تقليدية، لا يخرج على قوانين الشريعة الإسلامية والعرف السائد.

إن تحليلات العلوم الإجتماعية المعاصرة لظواهر المجتمع التقليدي (القرابة والقبيلة)، أسهمت فيها وطورتها الاثنولوجيا والانتروبولوجيا المعاصرتان بشكل خاص (مقاربة سوسيو- أنثروبولوجية).

فالتركيز على القبيلة يهدف أساسا إلى إظهار الطابع التقليدي والبدائي لمجتمع قابل للرسالة الحضارية التي تكفل الغرب بنشرها في المغرب العربي هدفها الاستفادة من توظيف المعارف الاجتماعية في التعرف على الميكانزمات الداخلية لهذه المجتمعات للتمكن من السيطرة عليها، فتباين البيئات أدى إلى اختلاف المجموعات واحتماء القبائل البربرية بالجبال نتيجة لعوامل أمنية في الغالب.

وبمجيء الاحتلال الفرنسي تغير الوضع الإداري لمنطقة سكيكدة، وأطلقت تسمية فيليب فيل<sup>4</sup> على سكيكدة التي تم تهيئتها من طرف 3000 عاملا، وشيدوا مركز جديد لاستقبال الهجرة الأوروبية<sup>5</sup>، حيث اختار السكان الإقامة بهذه المنطقة التي كانت تتجمع فيها قبائل تحت امره شيوخ ذوي سلطة واسعة يقومون بحماية حدودهم بكل طاقتهم مما جعل هذه المنطقة صعبة المنال للجيش الفرنسي.

<sup>1</sup> يمكن القول بأن النفور من الإستعمار هو الذي أدى إلى الابتعاد عن موضوعات السوسولوجيا والاثنولوجيا الكولونياليتين. بوطالب محمد نجيب، سوسولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 2002، ص.ص. 11-12-13.

<sup>2</sup> الحوليات les Annales والمعنونة: "مائة وخمس وعشرون سنة من علم الاجتماع الشمال أفريقي" وأتمته مجموعة المقالات المختارة التي تضمنتها كتاب الأنثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي.

<sup>3</sup> العروي عبد الله، مجلد تاريخ المغرب، ج 3، ص.ص. 56-57-64-65.

<sup>4</sup> يستعمل المؤرخون الجزائريون التسميتين معا فيليب فيل-سكيكدة، ويذهب البعض إلى استعمال التسمية الفرنسية، واستعمل المؤرخ الفرنسي جاك سيمون إلى استعمال كلمة سكيكدة دون التسمية الاستعمارية القديمة، ينظر:

Simon Jacques, Messali hadj 1898-1974, La passion de l'algerie, paris, ed-tresias, 1998, p.246.

<sup>5</sup> عميرايوي أميدة، السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة 1838-1858، دار الهدى عين مليلة، 2004، ص.74.



وكان لقيادة الأهالي<sup>1</sup> بقسنطينة المرتبطين بالفرنسيين في السابق مجمع اقطاع في الماضي أو مجموعة أراضي العزل أو أراضي الدومين التابعة لإدارة قطاع الساحل مما يشكل شريطا طويلا لأكثر من نصف الطريق من قسنطينة نحو سطورة، يعيش فيها السكان المزارعون العرب والقبائل التي يشرف عليها المسيرون القدماء. وتنتمي التفرعات القبلية المقيمة بضاف الصفاصاف والزرامنة بالقرب من البحر، إلى قبيلة بني مهنة<sup>2</sup>، وتشكل تجمعات عديمة الاهتمام<sup>3</sup>.

قام الاحتلال الفرنسي بتفكيك عميق للهياكل الاجتماعية في المجتمع الجزائري، وبالتالي فقد حطم كيانه، واستطاعت النزعة الإستيطانية في الجزائر أن تحدث انقساما بين المجتمع البدوي، وبين المجتمع المستقر، حيث كانت تعتبر المجتمع غير المستقر خصمها الأول، حيث خاضت معه صراعا عنيفا، بينما ينظر إلى المستقرين على أساس أصدقاء يحتاجون إلى الحماية والمساندة، ولذلك عملت مختلف الهياكل الاستعمارية على تعميق إيديولوجية الانقسام بين فئتي البربر والعرب، بين المستقرين والقبائل<sup>4</sup>.

وتشكلت البنية السكانية للمغرب بتمازج العنصرين: البربري والعربي، وقد ساعد الإشتراك في نمط المعيشة (الرعي والزراعة)، وكذا العادات والتقاليد على دعم هذا التمازج، وضمان إستمراره عبر التاريخ، فإن البنية الإقتصادية في الجزائر قبل الإستعمار الفرنسي، قائمة على نمط من الإنتاج يخزن داخله قيما إجتماعية، تظهر في ارتباط الجزائري بأرضه، وإستماتته في الدفاع عنها بالسلاح، وساهمت الملكية الجماعية للأرض في ترسيخ معاني التوازن والإنسجام في المجتمع الجزائري<sup>5</sup>.

كان أساس المجتمع الجزائري القاطن في الريف قبليا، رغم خضوعه لسلطة العثمانيين في دفع الضرائب والحرب عند الخطر، فقد كان يؤمن بوحدة العرش والولاء للقبيلة والطاعة للشيخ والمرابط، وكانت بين المدينة والريف علاقة مصالح اقتصادية، أكثر منها علاقة إحترام أو ولاء سياسي<sup>6</sup>. تشكل منطقة سكيكدة المشكلة من مثلث رؤوسه عنابة وبجاية وقسنطينة ثقلا هاما في إقليم الشرق الجزائري خلال الفترة العثمانية، وكانت أعراش قيادات (سكيكدة، أولاد براهيم، زردازة)<sup>7</sup>. على صلة بالنظام العثماني، على خلاف القيادات المستقلة الأخرى التي لم تتمكن السلطة العثمانية من إخضاعها.

<sup>1</sup> الأهلي تقابل في اللغة الفرنسية L'indigène وهي تسمية استعمارية لعت الجزائر وتأخذ بتحفظ في المصادر الإحصائية استعملت كلمة مسلمين Musulmans لوصف الجزائر.

<sup>2</sup> يقدر تعداد سكان إقليم قبيلة بني مهنة 3000 ساكنا شكلوا مراكز سكيكدة، وفالي، ودانريمون، سانت شارل، قاسطون فيل فأقيمت على منطقة نفوذ واسعة تابعة لها وعقب التوسع الاستيطاني، قام أهالي هذه القبيلة المنتشرة على امتداد الواجهة اليمنى لواد الصفاصاف بخلق الملكية الفردية.

<sup>3</sup> Feraud Charles, Documents pour servir l'histoire de philippeville, R.A, 19<sup>e</sup> Année, 1875, Alger, P.52.

<sup>4</sup> العروي عبد الله، مجلد تاريخ المغرب، ج 3، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1999، بيروت لبنان، ص.60. للتفصيل أنظر: فضة مصطفى، حول مفهوم القبيلة في علم الاجتماع الاستعماري، الثقافة الجديدة، المغرب، العدد 29، 1983، ص.79.

<sup>5</sup> العمري الطاهر، دور بني المجتمع الجزائري في مقاومة الاستعمار 1830-1900، المرجع السابق، ص.71.

<sup>6</sup> سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص.255.

<sup>7</sup> تتشكل قبيلة زردازة من عدة فروع، أصلها عربي وبربري الذين استقروا تدريجيا حول قبيلة عربية أولاد موسى، تمتعت باستقلال شبه كامل عن الأتراك، يستقر سكانها التي يقدر تعدادهم 12000 نسمة في الجبال الصخرية، الغنية بالأشجار المثمرة، وبها غابات الفلين، ينظر:

Feraud Charles, op cit, p.108.109

وكان لهذه التشكيلات القبلية الريفية تعتمد على الزراعة والرعي، وتعد الأرض أساس الحياة الاجتماعية والأرض والقبيلة أو الأسرة هي الإيديولوجية المحددة للعلاقات بين السكان والنظام السياسي ومصيرها<sup>1</sup>. وبعد الإحتلال الفرنسي لمنطقة سكيكدة، انتزعت الأراضي الخصبة من أصحابها، وأقيمت عليها المدينة، والقرى المجاورة لها وهي: سانت شارل، سانت أنطوان، قاسطون فيل، دانريمون، حيث وزعت الأراضي السهلية على المعمرين الذين استقروا في هذه القرى المشيدة من أجلهم.

وقام الإستعمار الفرنسي بتوظيف القبيلة والعشائرية لضرب وحدة القبائل وكسر شوكة الزعماء المحليين، مستخدمة في ذلك طرقا مختلفة، مكنتها من بسط نفوذها العسكري في منطقة سكيكدة.

قام المحتلون بالعزل الجماعي للقياد والشيوخ الذين تعاملوا معهم بعد الغزو مباشرة، وتعيين غيرهم بعد سنة 1853 لأن مكانتهم وسمعتهم الواسعة بين أفراد الأعراس لا يتناسب مع طموحات المعمرين.

ويحتل عرش بني مهنة بسكيكدة المنطقة الساحلية الممتدة من شرق القل إلى سكيكدة، وحسب الأخبار المتوارثة فإن نسب العرش ينحدر من رجل يدعى مهنة، حل بشرق القل في القرون السابقة في مكان يطلق عليه أولاد مهنة، وترك خمسة أولاد، وهم: بشير، نعيم، خزر، نوار، مسلاوي، ومن أبنائهم تكونت العشائر، حيث توسعوا نحو الشرق بمساعدة صالح باي، وطردوا عرش عرب سكيكدة من مصب واد الصفصاف، ودخلوا في خدمة بايات قسنطينة.

وحسب الإحصاء الفرنسي المعد بين سنتي 1866-1890 لكل عرش بالشمال الشرقي للجزائر، يعتبر عرش بني بونعيم صفيصة هو الذي شيد مدينة سكيكدة، حيث قدر تعداد سكانه 369 نسمة عام 1866، بينما يعتبر عرش فرجيو المقدر 29307 نسمة عام 1886<sup>2</sup> أكبر عرش<sup>3</sup> في المنطقة.

وهناك وثائق قليلة عالجت أصل سكان منطقة سكيكدة أعتمدت على تقارير بحوث أعدها ضباط الجيش الفرنسي والمكاتب العربية، حيث تنحصر قبائل سكيكدة بين بحيرة فزازة في الشرق، وواد الزهور في الغرب، وبين البحر المتوسط في الشمال نحو واد سمنو في الجنوب تقطنها عدة تجمعات بشرية: بني مهنة، رجاته، أولاد عطية، بني ولبان<sup>4</sup>، الزرامنة، مجادة، زردازة، بني فرقان<sup>5</sup>، ثعابنة،

<sup>1</sup> عمير اوي أمبدة، السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة 1838-1858، المرجع السابق، ص.ص. 16-17.

<sup>2</sup> خنوف علي، السلطة في الأرياف الشمالية، المرجع السابق، ص. 34-38. ينظر: جريدة الميشر، العدد 433، تاريخ: 22 أوت 1864.

<sup>3</sup> العروش: مفردا عرش، وهو القبيلة بمعناها الواسع، وهي التسمية الأكثر استخداما في أرياف المغرب العربي، كذلك العرش: العشيرة وهي تجمع سكاني قبلي يضم عددا من القبائل والأفخاذ ويخضع لكبيرها يسمى شيخ العرش، ينظر: سعدالله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج9، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998، ص. 10.

<sup>4</sup> تتواجد بني ولبان في منطقة تبعد 25 كلم جنوب شرق سكيكدة تحتل الواجهة الشمالية لجبل سيدي ادريس، وتتكون من عدة أحواض صغيرة، حيث تتجمع المياه في واد قبيلي، ويقدر عدد سكانها 300 ساكنا هاجروا إلى القسم الجبلي، وتنقسم هذه القبيلة إلى خمسة فروع.

<sup>5</sup> قبيلة بني فرقان: أصلها من زامورة دائرة برج بوعرييج التي استقرت قرب وادي الزهور، 50 كلم غرب القل عدد سكانها 600 نسمة، ينظر Feraud Charles, op cit, p. 110.

مسالية<sup>1</sup>، شاوية ريفية<sup>2</sup>، عشاش، اولاد احميدش<sup>3</sup>، بني توفوت، بني صالح<sup>4</sup>، وهي قائمة غير دقيقة وليست كاملة باعتبارها تنتمي لمنطقة تنتسب للقبائل الشرقية الجبلية التي تعرضت لعمليات تفكيك واسعة، وابداء وترحيل للسكان الاصليين. ومن خلال هذه العينات نتساءل عن الدوافع التي حملت القبائل والأعراش والعائلات الكبيرة المكونة لها على مقاومة الاستعمار، ألم يكن تحالفها مع الاستعمار أضمن لبقائها ومصالحها في المنطقة.

إن الأسرة التقليدية تحكمها قواعد السلطة وتستند إلى الأعراف والدين، أكثر من استنادها إلى القانون<sup>5</sup>. إن مجتمع منطقة سكيكدة قبلي أسري ريفي، يقوم نظام حكمهم على سلطة تقليدية، والأرض بالنسبة لمخيل سكان هذه المنطقة مقدسة، غير قابلة للتجزئة، واستفادت السلطات الفرنسية من هذا الوضع<sup>6</sup> وبفعل إجراءات تحديد أراضي القبائل، والملكية والمصادر التي أخضعت أراضي القبائل لإجراءات القوانين الفرنسية، فانون 1887 الذي أخضع أراضي العرش للبيع والتملك الفردي، فتح المجال لعمليات المضاربة لصالح الأوروبيين. ونتج عن تطبيق مراسيمه الخاصة بالأرض إلى إلغاء كيان القبيلة أساس النظام الاجتماعي بالجزائر الذي تعرض للتجزئة إلى دواوير أو مشاتي<sup>7</sup>، وأدى إلى فقدان الجزائريين في الريف الإطار المنظم لحياتهم والمحافظ لمصادر رزقهم مما جعل الفرد معزولا في مواجهة إجراءات الإدارة الفرنسية الجائرة<sup>8</sup>. ورغم التطور الإيجابي الذي وجد الجزائريون أنفسهم منجرين إليه مع الإستعمار، إنتقلت حياة بعض الجزائريين من وضع قديم من الخضوع إلى وضع متطور لمجتمعها<sup>9</sup>. ويذكر إيميريت أن أونفتان<sup>10</sup> الذي زار سكيكدة وعنابة والقالة لعدة أيام، ونشر تقريرا حول قوانين الملكية العقارية عند العرب، جاء في مضمونه ما يفيد بأن الملكية الفردية لا وجود لها بالجزائر باستثناء المدن وما حولها، ولم يكن لشيوخ القبائل فيها سوى حق الانتفاع ولم تكن أراضي القبائل ملكا لأحد<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> قبيلة المسالية Msalia تقع شرق القل قريبة من البحر، تبعد عنها 45 كلم في منطقة جبلية، تحتوي على أشجار مثمرة خاصة الزيتون، عدد سكان هذه القبيلة 1300 نسمة التي اعترفت بالسلطة التركية. مار، زرادة، بقرش، التي تضم زاوية بن بقرش وسيدي ادريس، ينظر: *ibid* p.102-103.

<sup>2</sup> قبيلة الويشاوة الريفية Ouichaoua Rifia: تستقر في منطقة جبلية غابية صعبة المسالك والاتصالات، يقدر عدد سكانها 1500 نسمة، تنقسم إلى فرعين: المرابطين وبني مروان، ينظر: *Ibid*, P.111.

<sup>3</sup> قبيلة اولاد احميدش Ahmidech: تستقر قرب البحر في منطقة جبلية غابية، تبعد عن القل 2 كلم غربها، عدد سكانها 400 نسمة.

<sup>4</sup> قبيلة بني صالح: أصل هؤلاء السكان من عنابة، لم يعترفوا بالسيطرة التركية بالجزائر.

<sup>5</sup> حربي محمد، حياة تحد وصمود، مذكرات سياسية 1945-1962، ترجمة بوبكير وقسايسية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2004، ص.08.

<sup>6</sup> عمراوي احميدة، السياسة الفرنسية والمقاومة الشعبية في منطقة سكيكدة 1838-1858، المرجع السابق، ص.23.

<sup>7</sup> المشتة هي تجمع بشري متجانس نسبيا يتكون من عائلة أو عدة عائلات تجمعها عادة رابطة الدم وعلاقات تضامنية قوية، ويمكن أن تكون عوامل التوحيد ذات طبيعية اجتماعية (الانتماء لنفس الدوار، استخدام مشترك لمصادر المياه) أو ثقافية (استعمال مشترك لآماكن العبادة والترفيه) أو اقتصادية (شراكة في أداء النشاطات الخدمية، تعاون في الأعمال الفلاحية، وبناء المساكن). ينظر: بوكرزازة محسن، بوكرزازة حسني وبوغابة عبد الحميد، الجبال الثقلية الشرقية: مقاربة احادية المجال محلي، مجلة انسانيات، عدد 16، الجزائر، ص.34.

<sup>8</sup> سعيدوني ناصر الدين، الجزائر منطلقا وأفاق، مقاربة للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، دار الغرب الإسلامي، 2000، ط1، بيروت لبنان، ص.29.

<sup>9</sup> حربي محمد، حياة تحد وصمود، المصدر السابق، ص.11.

<sup>10</sup> أونفتان *Enfantin* المعروف بكونه أب السانسيمونيين، بالنسبة للمفكر الفرنسي سان سيمون (1760-1825) يشكل المجتمع ورشة واسعة المطالب بالسيطرة لا عن طريق الأفراد، بل بواسطة الطبيعة، واعتبر الصناعة القوة الحقيقية للمجتمع، وتربط بين التركيبة الاجتماعية، الانتاج الاقتصادي، الملكية، النظام السياسي، أفكار المثقفين وحتى الصراعات الممكنة، التي تهم الانظمة العسكرية (الحملة، الاستعداد)

Georges Gurvitch (Sous sa direction), *traité de sociologie*, T1, PUF, paris, 1967, p.32-33

فقد قننت التقاليد الأهلية الوظائف الإجتماعية لكلا الجنسين (الذكور والإناث) عن طريق تخصيص مجال عمل لكل واحد منهم، لكن المرأة تسيطر بدون منازع على الحياة المنزلية، وتقيس حاجة كل واحد من العائلة، وتقرر طريقة الإستجابة لذلك تبرز في الأعياد الدينية والختان والزواج، وأيضا في المأتم<sup>2</sup>. واجهت سلطات الاحتلال الفرنسي منذ البداية عدة صعوبات لتحقيق حاجياتها الاقتصادية وخصوصا في قطاع الفلاحة التجارية، بل عرف المحتلون بأنهم مطالبون بالقضاء على التنظيم القبلي الموروث وتعويضه بشبكة إدارية ذات رقابة صارمة، فقد عمدت السلطات الفرنسية إلى تفكيك النسيج الاقتصادي التقليدي، واستبدال المنظومة القيمية والعلائقية في الريف الجزائري، حيث أدت اجراءات (التدمير من أجل البناء) إلى تهيش المزارعين الريفيين وخلق فئات جديدة (فلاحون بدون أرض) و(بروليتاريا المدن)، كما أدت التحولات المفروضة إلى أزمة في نظام القيم والنسيج الاجتماعي وروابطه، وتم نقل الفاعلين بشكل سريع وعنيف من نمط الحياة الجماعية القائمة على الوحدة العشائرية ذات التضامن القرابي إلى الجماعية الاصطناعية القائمة على الفردانية، واعتبرت القبيلة في حالة احتضار في نهاية القرن 19م. واعتبر كل من بيبير بورديو<sup>3</sup> وعبد المالك صياد<sup>4</sup> بأن ظاهرة المقهى التي انتشرت في المدن الجزائرية العصرية قد عوضت ظاهرة العشيرة التي كانت متركزة في الريف الجزائري<sup>5</sup>. وتواصلت سياسة الاقتلاع التي عانى منها الأرياف، وقضت على آخر هيئات النظام الاجتماعي التي بقيت صامدة لوقت ما، وتعمت ظاهرة الهجرة، فوصل القرويون إلى مشارف المدن الكبرى التي يقطنها المعمرون أين أنشأوا الأحياء القصديرية. وانهارت آخر القواعد التقليدية للمجتمع القروي بسبب اختلال توازن هذا المجتمع الذي تعرض للتفكك، وتأثره بتغلغل الاقتصاد الاستعماري<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> العمري الطاهر، دور بني المجتمع الجزائري في مقاومة الاستعمار 1830-1900، المرجع السابق، ص. 124.  
<sup>2</sup> حربي محمد، حياة تحد وصمود، مذكرات سياسية 1945-1962، ترجمة بوبكير وقسايسية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2004، ص. 16.  
<sup>3</sup> بيبير بورديو Bourdieu عالم اجتماع فرنسي ولد في 1 أوت 1930، كان فيلسوف التكوين، تخرج من المدرسة العليا ثم اجتاز التبريز في الفلسفة ثم بدأ مسيرته بكلية الآداب بالجزائر سنة 1958، اهتم بالأبحاث حول النظام التربوي، شغل بمدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية بفرنسا، جمع حوله مدرسة اجتماعية لها مجلة: أشغال البحث في العلوم الاجتماعية التي أسسها سنة 1975، وهو من أتباع المدرسة البنوية الفرنسية، توفي بباريس 23 جانفي 2002، فهو شخصية مؤثرة في تحويل دروب التحليل الاجتماعي والاقتصاد وعلم السياسة، من أعماله: سوسولوجيا الجزائر 1962، الورثة 1964 إعادة الإنتاج في التعليم: المجتمع والثقافة 1970، مخطط تمهيدي لنظرية الممارسة 1972، التمييز: نقد اجتماعي للحكم على الذائفة 1979، منطق الممارسة 1980، الإنسان الأكاديمي 1984، الانطولوجيا السياسية لمارتن هايدغر 1988، أفعال المقاومة: ضد استبداد السوق 1999، نقل العالم 1999، بؤس العالم 2000، ينظر. Le monde, N=17729, 25/01/ 2002  
<sup>4</sup> عبد المالك صياد سوسولوجي جزائري يمثل جيل من الباحثين المخضرمين الذين عاشوا فترتي الاستعمار والاستقلال، من مواليد عام 1933 بقرية أقبالة الجبلية بالقبائل الصغرى، تدرس بثانوية بجاية ثم واصل تعليمه بمعهد بوزريعة للمدرسين، درس بمدرسة القصة بالجزائر، ثم بجامعة الجزائر حيث ألتقى بالعالم الفرنسي بيبير بورديو، بعدها استقر في فرنسا عام 1963، عمل متعاقد في المركز السوسولوجي الأوروبي، مدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية، انخرط في مركز CNRS عام 1977، ليعين مدير للبحث في السوسولوجيا، وتوفي عام 1998، ينظر: الشروق اليومي 3 جوان 2007، مقال عبد المالك صياد أحسن من بحث في الهجرة والغربة، الملحق الدولي حول الهجرة.  
<sup>5</sup> العروي عبد الله العروي، المرجع السابق، ص.ص. 100-101.  
<sup>6</sup> غولدزيفر أني راي، جذور حرب الجزائر 1940-1945 من مرسى الكبير إلى مجازر الشمال القسنطيني، ترجمة لبنان وردة، مراجعة حاج مسعود، وزارة المجاهدين، دار القصة للنشر، 2005، الجزائر، المرجع السابق، ص. 79.

وكانت قبيلة عرب سكيكدة تتركز بالمدينة القديمة روسيكادا على امتداد البحر في حوض الصفصاف، لتتراجع تدريجيا بواسطة قبيلة بني مهنة، وتتجه للتمركز في هضبة واد فندق، عند قبيلة رجاته، حيث توجد زاوية للمرابط سيدي أحمد بن علي، والذي يقال بأنه ينتمي الى شرفاء فاس<sup>1</sup>.

ونتيجة عملية الطرد بالقوة التي واجهتها قبائل المنطقة وسكانها الأصليين الذين واجهوا ضغوطات عليهم، رغم أن سهول الزرامنة والصفصاف تملكها قبائل عربية، وبقي الوضع في المدينة على حاله<sup>2</sup>. وإذا كان المسلمون الجزائريون يرفضون الإختلاط والإندماج مع المسيحيين بسبب إختلاف الدين وتباعدهما في التاريخ والعادات والتقاليد، فلأن الفرنسيين-أنفسهم-كانوا يرفضون بدورهم بدافع أولا عقائدي، ثانيا التمييز العنصري والطبقي وخشية المعمرين على أبنائهم وذواتهم، كذلك من الإختلاط بالجزائريين، لأن هذا الإختلاط قد يؤدي، حسب رأيهم إلى إنتقال عدوى الأمراض إلى أبنائهم، إذ راح الكثير منهم ضحية الفقر والمجاعة وإنتشار الأمراض والأوبئة، ناهيك عن ظلم وقهر<sup>3</sup>.

ومقابل حرمان أغلبية سكان الجزائر من التعليم الفرنسي، تمكن البعض منهم من الاستفادة منه وتحصلوا على شهادات، كالطب والمحاماة والتدريس، واستطاعوا خلق إنتلجانسية جزائرية تبنت مشاكل الأهالي وحاولت خدمتهم<sup>4</sup>، من بينهم الطبيب يوسف كسوس الذي عين في 1 مارس 1946 مدير دار الرعاية الصحية والخدمات الطبية للبلدية الواقعة بالقرب من باب قسنطينة، مع ممارسته لمهنته طبيب رئيسي<sup>5</sup>.

ويقول محمد حربي<sup>6</sup> عن المدينة التي استقر بها في أكتوبر عام 1945: (فقد وجدت في سكيكدة تنوعا للناس، مماثلا لما كنت أعرفه في الحروش، تقليديون في غاية التقوى، مستأصلون من طبقتهم متحررون من الأحكام المسبقة، وجماعة من المتطورين<sup>7</sup> من رواد الحانات، والفرق الوحيد... هو نوع العنف المميز للمدينة، وأكتشفت أن سكيكدة هي بالطبع مدينة، ولكن هي في نفس الوقت تجمع للقرى، .. وكان سكانها منحدرين من القرى، ومازالوا متجزرين في قريتهم، وكل واحد منهم يقول عن نفسه: أنا من القل، من جيماب، من الحروش، وأصلي من القبيلة الفلانية، وكل واحد ينسب نفسه إلى أصوله، وهو ما كان يضي على سكيكدة مظهر المدينة-العبر، وكانت المقاهي التي توطر المدينة يديرها أناس جاءوا من

<sup>1</sup> Ibid, P.98.

<sup>2</sup> حمادة صالح، دراسة في جغرافية المدن حول مدينة سكيكدة، رسالة ماجستير، المرجع السابق، ص.64.

<sup>3</sup> فرкос صالح، احتلال ومقاومة، رسالة دكتوراه، جامعة منتوري، ص.216.

<sup>4</sup> خمري الجمعي، حركة الشبان الجزائريين 1900-1930، ماجستير، إشراف حماد حسين، جامعة قسنطينة 1994، ص.44.

<sup>5</sup> A.M.S, Del N : 49, le 28 /02/1946.

<sup>6</sup> محمد حربي من مواليد: 16 جوان 1933 بالحروش بدائرة سكيكدة، مناضل في صفوف حزب الشعب وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، أمين عام جمعية طلبية شمال إفريقيا سنة 1954، من أوائل المسؤولين السريين لفدرالية جبهة التحرير في فرنسا، ثم سفير الحكومة المؤقتة بغيانيا، ثم تقلد مسؤوليات عديدة قبل وبعد الاستقلال. تعرض للسجن خمس سنوات لمعارضته انقلاب 19 جوان 1965، ثم اختار المنفى والتفرغ للكتابة، والكتابة التاريخية، من مؤلفاته بالفرنسية: في جذور جبهة التحرير، الشعبوية الثورية في الجزائر 1975، جبهة التحرير الوطني السراب والحقيقة 1980، أرشيف الثورة الجزائرية 1981، الجزائر وقدرها.

<sup>7</sup> إن المطورين ومعناه باللغة الفرنسية من يبدل لباسه، ولكنها لم تكن تعني فقط تغيير الدين بل تخص أيضا تغيير الهوية.

جهات أخرى، وروادها أيضا، جاعوا من نفس الجهات لم تكن سكيكدة خليطا من الناس، ما عدا وبطريقة نسبية في أوساط الطبقات الوسطى..بدأ يرتسم..ولاء خاص للحي، ويبرز ذلك من خلال سلوك القروي في المدينة، ونظرة سكان الأحياء بأنه إنسان خشن وسط المدنيين، ويعتبر براني- غريب<sup>1</sup>.

وحاول غير الفرنسيين تعويض هذا العائق بالتعبير عن تعلقهم الشديد بالوطن الجديد فرنسا، هم لكن اختلاف المشارب، يعيق تحقيق الانسجام الكامل لاسيما وأن تقسيم العمل كان يطابق غالبا التقسيم العرقي للمجتمع بحكم وضعهم كأقلية في الجزائر، وأغلبية في المدينة ذات امتيازات توحد الأوروبيين بالرغم من الخلافات التي تفصلهم، ولأن أمنهم متوقف على إتحادهم، وجدوا أنفسهم مضطرين للتقارب فيما بينهم.

فالخطر الذي يهددهم جميعا خلق بينهم تضامنا وتلاحما فعليا أدى إلى تفشي العنصرية الفظة وسيطرتها على العلاقات الإنسانية، لهذا وجد الجزائريون أنفسهم محل احتقار وخوف في الوقت نفسه<sup>2</sup>.

كان الرأي الاستعماري يعبر عن خشيته من الوطنية الانفصالية ونيته في مواصلة الهيمنة وتطويع واستغلال هذا البلد الذي يعتبرونه ملكا لهم، وتضع العنصرية الاستعمارية الأهالي في الدرك الأسفل، ومصدر هذه العنصرية هو الانتماء إلى جنس متفوق ومتحضر بفعل انتسابه إلى الثقافة اللاتينية وعقيدته المسيحية. وتبقى العلاقة بين الغالب والمغلوب أساس هذه العنصرية التي تدعو إلى احتقار العرب، المجتمع ذي الأغلبية العرقية ومنزلة منخفضة منحتة، والخوف من ارتفاع عدد أفراد مجتمع الأهالي هو سبب هذا الهاجس الذي يطبع نفسية المعمرين.

وظل المعمرون يعارضون الإصلاحات الخاصة بالأهالي بكل إصرار، وأصرروا على أن التفوق الأوروبي، يجب أن يبقى مبدأ ثابتا، وحتى اليسار انحازوا إلى اليمين متعلقين بأطروحاته العنصرية.

توجد بالمدينة أماكن اجتماعية لمختلف الطبقات السوق والشارع التجاري والساحة العمومية، وهي أماكن تسمح بامتزاج الجميع، فيتبادلون الأخبار والمناشير، وفي يوم السوق تمتلئ المقاهي عن آخرها.

تمثل المدينة مجتمعا يكاد يدير ظهره للحياة القبلية التي تطبع الأرياف في الظاهر، يخفي تضامن العالم الريفي لحساب الفردانية والعلاقات الأسرية نتيجة ضيق السكن بالمدن<sup>3</sup>.

تشعر كل مجموعة اجتماعية في المدينة بأنها تملك شخصية أساسية تعتمد على عوامل ترغب في المحافظة عليها، تتمثل في الدين الإسلامي واللغة العربية، تنتزع الطبقات لشعبية للانغلاق ضمن الوعي العرقي الذي يمثل شعورا عميقا لديهم، لإنتمائهم إلى الثقافة والحضارة التي شكلها الإسلام.

وتملك شريحة ضئيلة من الأهالي آتي لها علاقة دائمة مع الأوروبيين، تصورا شخصي لمسألة التدين بسبب ضعف الحياة الدينية وقلة الكنائس القرآنية وتأخر إنشاء مدرستين حرتين بالمدينة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> حربي محمد، حياة تحد وصمود، المرجع السابق، ص.65.

<sup>2</sup> حربي محمد، الثورة الجزائرية سنوات مخاض، المصدر نفسه، ص.82.

<sup>3</sup> غولديغر أني راي، جذور حرب الجزائر 1940-1945، نفس المرجع، ص.27-28-29-74.

<sup>4</sup> حربي محمد، مقال الوطنية الشعبية بمدينة سكيكدة، إنسانيات، عدد 16، جانفي- أفريل 2002، ص.14.

ولفتت الحرب العالمية الثانية انتباه السكان الجزائريين الذين اهتموا بحوادثها التي من شأنها افادة الجزائر المناضلة، وتساعد معطياتها على تحقيق تحولات مهمة في المستقبل.

وأضعفت الانتصارات الألمانية معنويات الأوروبيين بالجزائر، ففقدوا شيئاً من غطرستهم، بينما كان السكان اليهود يتحصنون في أحيائهم اليهودية، فوجدت الطائفة اليهودية نفسها، منعزلة ومتيقظة، في آن واحد، وكان قلق الاسرائيليين شديداً لأن كافة الملكيات العقارية والمتاجر كالتأمين بالجملة ودور السينما والمتاجر الكبيرة وتجارة الحلي والمجوهرات في حوزتهم التي أصبحت مهددة بتجميد ممتلكاتها أو تجريدها منها. وكانت الهوة تزداد اتساعاً بين بين المسلمين والأوروبيين، فنتج عن ذلك وضع متوتر، وعداء كامن في النفوس، فالسكان الأوروبيين الذين لم تكن هذه أول معركة يعكسون فيها اتجاههم، فغيروا سلوكهم وأراءهم، مكرهين من لدن حكومة فيشي، وكشفوا علانية عن موهبتهم الاستعمارية. وشكل الجزائريون دعامة للطائفة اليهودية في تلك الفترة التي تميزت بأعمال القمع والإرهاب<sup>1</sup>، على الرغم من تبعات نهاية الحرب القاسية عليهم، فقد دفع الجزائريون ثمناً غالياً من التضحيات:البؤس، بطاقات التموين بالمواد الأساسية، وعواقبها الوخيمة على الأسر ذات الدخل المحدود.

وبقي أغلب السكان الجزائريون يعيشون في فقر مدقع، في طوابير على المكتب الخيري للحصول على ما يسد رمق أطفالهم من الصدقة، بعدما يسجلون أنفسهم لدى مكتب المحتاجين بالبلدية، وعانوا من الأوبئة الفتاكة، واغلب الاهالي لا يتوفرون على أدوية ولا حتى على مواد تنظيف صحية<sup>2</sup>. وأصبحت المقاومة المعنوية هذه رأسمال المجتمع الوحيد، بعد فشل المقاومة المسلحة، بحيث احتفظ الشعب الجزائري بكامل أنفته، وهذا رغم تردي أحواله من جهة، ومن جهة أخرى تزايد الإستغلال الإقتصادي من طرف النظام الإستعماري الذي واجه العداء الشعبي، بتدعيم سيطرته على الجزائريين. والعمل على فرض الإدماج عليهم، في المقابل وجد الإستيطان الأوروبي في خدمته إدارة طيعة<sup>3</sup>. وتنعكس خطوط الانكسارات بأوساط الأوروبيين في الحياة الجموعية التي تميزت بالكثافة في سكيكدة، وكانت الجمعيات تضم اشخاصاً منحدرين من جهات مختلفة في فرنسا الميتروبولية وكورسيكا<sup>4</sup>.

وكان الوضع الكولونيالي والدين يقويان اللحمة بين المجموعات، ويتضح ذلك خلال المناسبات الدينية والوطنية، فأتثناء طواف 15 أوت الذي يجلب إليه المتسكعين يقوم الصيادون الايطاليون والسباخون المالطيون بتناول القران بورع ديني مما يلقي نظرة سيئة من باقي السكان، وبينما يتم استقبال أعياد

<sup>1</sup> يوسف محمد، الجزائر في ظل المسيرة النضالية، المنظمة الخاصة، ترجمة محمد الشريف بن دالي حسين، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، 2002، ص.ص.20،21.

<sup>2</sup> كشيده عيسى، مهندسو الثورة، تقديم عبد الحميد مهري، منشورات الشهاب، باتنة الجزائر، ص.ص.41-42.

<sup>3</sup> محساس أحمد، المصدر السابق، ص.34.

<sup>4</sup> كورسيكا Corse جزيرة فرنسية في البحر المتوسط، تقع شمال سردينيا، تبعد 160 كلم عن ساحل فرنسا، مساحتها 8682 كلم<sup>2</sup>، عاصمتها أجاسيو، ومن مدنها باستيا، معظم مساحة سطحها جبلي، تتخلها أودية سحيقة، يسودها المناخ المتوسطي المعتدل، غاباتها واسعة، يعتمدون على تربية الماشية، وزراعة الكروم والمضيات والزيتون، تعد الجزيرة موطن نابليون بونابرت، باعته مملكة جنوة لفرنسا عام 1768. أنظر: المنجد في اللغة والاعلام، منشورات دار المشرق، بيروت، ط1، 31، 1991، ص.473.

الطوائف الدينية الممثلة بالمدينة<sup>1</sup>، بعواطف التسامح والتراضي في هذه المناسبات والأعياد الدينية وفي أيام الأعياد اليهودية تقول فاطمة سعدي عنها: (كان لباس أكبرهم سنا يشبه لباس الجزائريين، فالرجال منهم كانوا يلبسون سراويل فضفاضة أو سروال اللوبيا ومعه صدارية تحت السترة، وعلى رؤوسهم يضعون شاشية أو طربوشا مزينا بشارة طويلة سوداء تتدلى على الكتف وتتحرك مع حركة المشي... وأما النساء فكن يتزينن بمعاطف حريرية غنية بالألوان الزاهية، أما الجميلات منهن، فإن منتهى الرشاقة عندهن هو ذوقهن الراقى في تناسق اللباس الذي يضيف إلى جمالهن الطبيعي شيئا من الحلاوة... وفي بعض الأحيان كن يلبسن سترة مطرزة بالذهب على النمط التركي...)<sup>2</sup>.

ويشعر السكان الجزائريون في المدن بالكبت لأنهم كانوا معزولين بداخل أحيائهم، ولا يسمح لهم بالجلوس على شرفات المقاهي العصرية<sup>3</sup>، لكن بعدما هاجر سكان القرى إلى المدن هروبا من البؤس والمجاعة للإقامة في ضواحي المدينة، ولا يترددون في تحدي قوات القمع، ويعارض هؤلاء الفلاحون سكان المدينة في أساليبهم، ويريدون فرض وجهات نظرهم بالقوة، ويروي محمد حربي في هذا الصدد: (هم مستعدون للعمل الثوري ويتصفون بحدة الطباع مقارنة بسكان المدن، لا يأبهون بأي برنامج مهما كان بسيطا، ولا يبالون بالنقاشات السياسية، ففي سكيكدة مثلا تعارض الضاحية الأسلوب المرن لسكان المدينة، وتفرض رؤيتها بالقوة). لكن هذا العنف، سواء في الضواحي أو المدن، يتم تطويقه بفضل النظام تحت شعار الجهاد في سبيل الله، ومن هنا جاء بعض الشباب مثل حسين<sup>4</sup> الذين عرفوا كيف يوجهون حماسة الشباب.

ويعتبر السوق الأسبوعي الحبل السري الذي يربط المتمدنين الجدد بقراهم ومداشرهم، فهم يعيشون ممزقين بين موطنهم الأصلي (الأرياف) والمدينة التي توفر لهم أسباب العيش، وتزودهم بالأفكار.

<sup>1</sup> أعياد الميلاد، العيد الصغير والكبير، ويوم الكيبور، وهي أعياد النصارى والمسلمين واليهود على التوالي.

<sup>2</sup> سعدي فاطمة، البراءة المسلوقة، مجزرة 20 أوت 1955، المصدر السابق، ص.38.

<sup>3</sup> غولدزيغر أني راي، جذور حرب الجزائر 1940-1945، من مرسى الكبير إلى مجازر الشمال القسنطيني، المرجع السابق، ص.203.

<sup>4</sup> حسين لحول من مواليد 17 ديسمبر 1917 في سكيكدة، من منخرطي النجم وأحباب الأمة، ثم إيقافه يوم 27 أوت 1937 رفقه مصالي الحاج ومفدي زكرياء وغرافة ابراهيم وفي 1946، ترشح للانتخابات بوهرا وأصبح أمين عام المنظمة الخاصة في 1950، والتحق بجبهة التحرير الوطني في 1955، من مواليد 17 ديسمبر عام 1917 بمدينة سكيكدة، ألتحق بنجم شمال أفريقيا، عندما كان تلميذا في ثانوية المدينة الكولونيالية، حيث تمكن من الحصول على أخبار نشاط النجم في فرنسا، عبر أعداد من الجرائد التي تحصل عليها، وعمل على نشرها وتوزيعها داخل المدينة، بعدها حدث تحول كبير في حياته السياسية، عند انتقاله رفقة عائلته، إلى الجزائر العاصمة، حيث نشط ضمن مكتب قسمة الجزائر، وعين من أوائل الدائمين في صانقة عام 1936 في النجم بالعاصمة إلى جانب مجموعة من المناضلين الشباب مثل: مفدي زكريا 1908-1977، وبعد حل النجم في جانفي 1937 كان من بين وفد أصدقاء الأمة الذي زار تونس في عام 1937 لتوضيح الأسلوب الجديد المتبع من طرف المنظمات الوطنية الجزائرية، وكان محرر جريدة الأمة، وكتب فرع الجزائر لحزب الشعب، وبعد سلسلة تجمعات شعبية أشرف عليها، ألقى القبض عليه رفقة مصالي الحاج، ومفدي زكريا، وقرافة ابراهيم، حيث تم سجنهم، وقام الحزب بترشيحه في الانتخابات المحلية في 17 أكتوبر 1937 بالمدينة، وهو في السجن، وحصل على حقوقه كسجين سياسي، بعدما قام بإضراب على الطعام، قد درس اللغة الفرنسية للسجناء، أطلق سراحه عام 1939، وبقي تحت الرقابة خلال الحرب العالمية الثانية، أنتخب أمينا عام الحركة الانتصار للحريات الديمقراطية إلى غاية استقالته في مارس 1951، بعد تطور خلافه مع رئيس الحزب مصالي الحاج حول طريقة تسيير الحزب، حيث كان من أكبر المعارضين للتسيير الانفرادي لمصالي، تولى عدة مهمات داخل الحزب الإشراف على نشاط المنظمة السرية العسكرية، ينظر: عباس محمد، مقال حسين لحول المناضل الغني، الخميس 16 جانفي 1986-1406، جريدة الشعب، الجزائر. Stora B, Dictionnaire biographie des militants nationalistes algeriens, ed l'harmattan, paris, 1985, p290-291.



أما الأحياء القصديرية التي يقطنون بها، فهي امتدادا للمشاتي التي أتوا منها، ومع تعاقب الأجيال بدأ الجزائريون يقتربون من المدينة الاستيطانية<sup>1</sup>.

وما كان يميز سكيكدة عن مدينة قسنطينة، هو انبهارها بالنموذج الأوروبي، والنفوذ الذي يكاد ينعدم للأعيان الحضريين والعلماء، وكان الشعب يعرف مقارنة بالأغنياء، بالرجلة والشجاعة ويتم معارضة البورجوازيين الجبناء الماديين، أي المبهورين بالمثل الاستهلاكية، المستعدين للتكرار لجماعتهم في سبيل مزايا تافهة، حيث يظهر أن البورجوازيين، وكانوا يتميزون بتصورهم الخارجي للحياة السياسية وتعجرفهم إزاءها، وأنانيتهم، وهكذا تفسر الهوة الذهنية التي تفصل البورجوازيين عن الشعب.

كانت الخرافات الشعبية التي تشكل جوهر الثقافة الوطنية آنذاك، نجحت MTLD في تجنيد الشعب، ولم تكن تهاجمها بصورة مباشرة، بمثابة ديانة شعبية حيث ينتقل آلاف السكيكديون سنويا إلى الزفاف قرب سكيكدة وإلى بني زويت، في ضواحي القل من أجل التبرك بالأولياء الصالحين المحليين.

وتتواجد المقاهي المحيطة بساحة مارك في الحي الأوروبي الذي تقطنه العائلات الأوروبية التي تختلف عن المدينة العربية، لوجود ألعاب للتسلية كلعب البيلوط، والبينج بونغ، كما تمكن روادها من تناول كأسا من الخمر، لذلك فإن هذا الوسط الاجتماعي يختلف في عاداته وأنماطه عن الوسط الأهلي<sup>2</sup>.  
ويجد الشباب ضالته في المدينة خاصة في المقاهي التي تلعب دورا نضاليا هاما، وهذا لأن المدينة تتدفق فيها الأخبار ويلتقي الشخص بمعارفه، وتقل الضغوط العائلية بها، وتبقى الأعياد مناسبات هامة للترفيه والتلاقي، فالزردة التي تنظمها الزوايا، وحفلات الزفاف تستقطب حشودا كثيرة من الناس<sup>3</sup>.  
وحافظ سكان المنطقة على عملية التوزيع، وهي في تقاليدهم عبارة عن عمل ينجز جماعيا، فيتم الحصاد ضمن العائلة وبمساعدة الأصدقاء ويجري في جو سعيد، وتنظم التوزيعة من مجموعة سكنية مع مجموعة أخرى ويقوم بذلك التنظيم كبار القوم الذين لا ينتقلون إلى المدينة إلا نادرا<sup>4</sup>.

وعرفت دائرة المصاهرة والاختلاط بين العناصر الأوروبية عرفت اتساعا متزايدا خاصة المنتسبين لنفس الديانة أو المهنة مع وجود حالات مرتفعة للطلاق، ونادرا ما تتم المصاهرة بين مسلمات مع أزواج أوروبيين، على أن يتخلى أحدهما عن عقيدته الأصلية. ومهما يكن فإن هذه المصاهرات تجد معارضة من كل الأطراف المعنية بل حتى داخل أسرهم، خاص من طرف المجتمع المسلم المحافظ على تقاليد<sup>5</sup>.  
ونجد أن العصاميين الأميين أحيانا، هم الذين ارتقوا في السلم الاجتماعي بفضل علاقاتهم بالمتحكمين في الصادرات الزراعية، وبرزت عائلات حضرية<sup>6</sup> في الثلاثينات والأربعينات من القرن 20م، وكل

<sup>1</sup> غولدزيغر أي راي، جذور حرب الجزائر 1940-1945، المرجع السابق، ص. 326. 212-213-326.

<sup>2</sup> حربي محمد، حياة تحد وصمود، مذكرات سياسية 1945-1962، المصدر السابق، ص. 71.

<sup>3</sup> غولدزيغر أي راي، جذور حرب الجزائر 1940-1945، المرجع السابق، ص. 75.

<sup>4</sup> سعدي فاطمة، البراءة المسلوقة، مجزرة 20 أوت 1955، المصدر السابق، ص. 124-125.

<sup>5</sup> Le quotidien D'Oran, N : 3268, Jeudi 22/09/2005, p.17.

<sup>6</sup> تضم العائلات التالية: بولكرو، بلاسكا، بن كازة، قرين، حرايق، بلوكيل، بلبصير، بوغابة، بو عيطة، بداي، كتنوش، حمودة، بغلول، كلابطي، حماني.

عائلة تحاول تدعيم ثروتها بالاستثمار في العقارات والأرض، وإيجاد حماة لهم من المستوطنين والإدارة<sup>1</sup>.

فقد حول الاحتلال الفرنسي السكان المسلمين إلى كادحين، وهذا أدى إلى تأخر ظهور النخبة بالمدينة، لقلّة تلمذت في الجزائريين، وضعف فرص الترقية الاجتماعية عن طريق المدرسة الفرنسية، والدراسة ذات الأجل الطويلة ليس في متناول السكان البروليتاريين، لهذا كانت سكيكدة تضم عددا قليلا من الأطباء (يوسف كسوس، خالدي، زايد، لزرق، يوراس رشيد)<sup>2</sup>.

كان الجو النفسي مختلفا بين هذه الطوائف الدينية في الأربعينات من القرن 20م، وذلك حسب انتمائهم العرقي والسياسي وحظوظهم في الارتقاء الاجتماعي التي ظلت قائمة، فإذا كانت الأحياء الجزائرية تنتم بالفقر الدائم، فإن الأحياء الإيطالية بالمدينة<sup>3</sup>، المتميزة بغياب النظافة وحالة ملابس أطفالهم المرقعة.

ورغم هذه الوضعية فإن سكان الأحياء الإيطالية ينتمون إلى معسكر المنتصرين، لهم القدرة على الارتقاء الاجتماعي كلما سمحت الظروف لبعض العائلات الإيطالية التي تغادر الحي الذي تقطن به نحو أحياء جديدة، لكنها تبقى تحافظ على الروابط المتينة مع جاليتها، يتجلى من خلال الولاء الانتخابي.

وفي هذا الفضاء الاستعماري المتعدد الطوائف وغير المتساوي، كانت الطبقات الوسطى تقيم علاقات خاصة، يطبعها الحس المدني والاحترام المتبادل، وتعكس صفو هذه العلاقات في بعض الأحيان، عبارات عنصرية مع احتفاظ البعض بذكرات جارحة نتيجة العجرفة الاستعمارية التي عانى منها المسلمون.

وتتميز علاقات الجيرة بالتحفظ نوعا ما، هذا بالنسبة للطبقات الوسطى عموما التي تعيش بدون مأس كبيرة، مقارنة بالطبقات الشعبية والمهمشين الذين لا يتمتعون بهذا الحظ بل كانت تعاني من الاقصاء وعرضة للعنصرية على الدوام. وبقيت العلاقات بين الأوروبيين والمسلمين علاقات مهنية بحتة، تقل فيها الصداقات وتكاد تنعدم المصاهرات بينهما<sup>4</sup>. والمعروف عند العائلات اليهودية تنقلها اليومي على الأقدام في الشارع، بينما العائلات الغنية تأتي في سيارتها، واللباس الرفيع والزينة التي تظهر عليهم<sup>5</sup>.

كان الاحتكاك بين المجتمعين الأوروبي والمسلم يوميا، وأصبح مفروضا بحكم القرب والعلاقات للمحيط، وبذلك فرضت العلاقة المسيطر والمسيطر عليه بطريقة شرعية، من خلال مجموعة قوانين ومراسيم تنظم حياة المجتمعين.

<sup>1</sup> Harbi Mohamed, *L'Algerie Et Son Destin, Croyants Et Citoyens*, Alger, Media Associes, 1994, P.231.

<sup>2</sup> Ibid, *Algerie et son destin*, P.232.

<sup>3</sup> تذكر هذه الأحياء الإيطالية في بعض جوانبها بأحياء نابولي الفقيرة بإيطاليا، يرجع ذلك إلى الطابع العمراني الجماعي الذي يسودها من جهة وتقطنها جاليات إيطالية من خليج نابولي وجزيرة صقلية وبعض المقاطعات الإيطالية الفقيرة التي جاؤوا منها.

<sup>4</sup> حربي محمد، *حياة تحد وصمود*، المرجع السابق، ص.68-69.

<sup>5</sup> سعدي فاطمة، *البراءة المسلوقة*، مجرزة 20 أوت 1955، المصدر السابق، ص.39.

وساعدت الأغلبية الديموغرافية المسيطر على ترسيخ هيمنته على المدينة طيلة قرن كامل 1838-1938 لسيطرة العنصر الاوروبي سكانيا<sup>1</sup>.

ويلاحظ أن كل حي يحافظ على خصوصيته ليس من حيث الطابع العمراني بل من الناحية الاجتماعية والوظيفية، وتتمثل الخصوصية في الحضور المزدوج للحي سواء في المدينة القديمة أو الجديدة في الوقت ذاته<sup>2</sup>.

ويوجد في الحي العربي<sup>3</sup> بشارع قسنطينة جامع اليهود (الكنيست)، حيث يعيش الاسرائيليون بجانب المسلمين في جو واحد، ويخيم عليه مظاهر الفقر. ومن بين قاطني هذا الحي بعض الصناعيين اليدويين والتجار<sup>4</sup>، وأما التجار الاخرون فإنهم يبيعون الملابس الجاهزة أو القديمة.

ونجد على طول الطريق منازل قديمة ودكاكين ومقاهي عربية، وزاوية تقوم مقام الكتاب والمسجد، ومدرسة أو مكتب ابتدائي، أما في وسط الشارع فنجد معبد يهودي، وبجانبه بعض المتاجر التابعة لهم مثل روني النقاش وجوزيف دانتشي وعويزرات خرف الله، الذين كانوا يندمجون مع عامة الناس، حيث يتكلمون العربية الدارجة مثل العرب<sup>5</sup>.

يتميز الحي العربي بسكيكدة بالتضامن التام والجيرة الحقيقية بين سكانه على الرغم من أنهم يعيشون حياة البؤس وصعوبة الحياة، رغم ذلك يؤلفون مجتمعا متماسكا ولا يتنازلون عن عاداتهم وتقاليدهم. ويعرف هذا الحي نشاطا مكثفا يوم الأحد، الذي يلتقي فيه أهل المدينة وسكان القرى والأرياف الذين ينزلون من الجبل لقضاء حاجاتهم المختلفة، وتكثر فيها حركة البيع والشراء، ويعرض الباعة سلعهم على الارصفة أو القائنها على الأرض أو على طاولات صغيرة، وهذا منذ مجيئهم (الباعة أو الممولين) في الصباح الباكر على هذا الشارع الرئيسي، كذلك الدباغون وصناع الجلود والأطباء التقليديون يتصارعون من أجل احتلال الأمكنة ويصل بهم الأمر إلى حد تبادل الشتائم<sup>6</sup>.

ونشأ تضامن بين أفراد الحي، والذي أخذ طابع إتحاد أخوي، وتعاون جوارى، وشكل ذلك دفعا كبيرا للحركة من أجل الاستقلال، وبذلك فتحت المجال أمام حزب الشعب الجزائري فيما بعد، لأن يتحول إلى حركة اجتماعية، فضلا عن كونه حركة سياسية، وهذا ما يدل عليه النضال الأخوي الذي تميز به الحزب في العديد من المدن الجزائرية، نذكر منها: الإخوة فيلالي في الشرق، وبوقادوم بالحروش، بالإضافة إلى ذلك تأثير عامل المصاهرة التي لعبت دورا رئيسيا في تمثين الروابط بين المناضلين، وتدعيم أوامر

<sup>1</sup>أيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص.348.

<sup>2</sup>Carlier Omar, et d'autres, Lettrés intellectuels et militants en algérie 1880-1950, CRAS Oran, OPU, alger, p.119.

<sup>3</sup> يقع الحي العربي وهو شارع طويل في وسط سكيكدة التي كانت تسمى فيليب فيل، وتحتل جانبي الطريق منازل قديمة تتكدس فيها عائلات كبيرة العدد، وينزل هذا الطريق مع منحدر يؤدي إلى حي الأمل أو شارع قسنطينة الذي يحتل المركز الحساس للمدينة.

<sup>4</sup> مثل الصانع خرف الله الذي يشتغل على النحاس وهو اختصاصي في صنع الصواني بالحي العربي.

<sup>5</sup> يقوم مسؤولهم الديني موبز اطالي في الخمسينات من القرن 20م كل صباح بذبج الأرناب والدجاج ذبجا حلالا.

<sup>6</sup> سعدي فاطمة، البراءة المسلوقة، مجزرة 20 أوت 1955، المصدر السابق، ص. 27-28-29-38.

الإخوة والتكافل بين أفراد الحي، كما تدعمت تلك الوحدة بالعلاقات الاقتصادية وأنماط الانتاج ومستوى الدخل، فهي أساسية مثل السكن والأصول والجغرافيا وعلاقات العمل وطبيعة الانتاج.

تشكل الأحياء المركزية في المدينة مجالا خصبا لانتشار الأفكار والصحافة بشكل تدريجي، وتجرب معها أحيانا الضواحي الجديدة والأحياء القصديرية، وأحيانا أخرى بعض الدواوير المجاورة.

وهكذا تجذر نجم شمال إفريقيا وظهور أولى خلاياه في قلب المجموعة العمرانية المسلمة، على الرغم من أن بعض مناضليه كانوا تحت إشراف قيادات انحدرت من المدينة الأوروبية.

وتتشكل المجمعات داخل الأحياء في عدة مدن، تنتمي لمنطقة القبائل الصغرى، يعود ذلك إلى خلفية قبلية، لأن القبيلة حافظت على ترابطها، فعرفت هجرة داخلية لدوافع تجارية، ومع تأزم الأوضاع في الأرياف، ظهر دافع اقتصادي وهو البحث عن العمل، مما أدى لظهور مفهوم الشغل لدى السكان<sup>1</sup>.

وتقول فاطمة سعدي في هذا الصدد: (.كنا نعيش بتواضع ونكتفي بالقليل بما يجعل حياتنا بسيطة للغاية والنظام الذي طبع مجتمعنا هو الذي كرس المحافظة على تراثنا الثقافي..). يتجلى ذلك في قيام أعيان المدينة بأداء فريضة الحج إلى مكة وقف القواعد الدينية والحياتية للمسلمين، لان الدين الاسلامي هو الذي كان ينظم حياتهم اليومية ولا زال هو جوهر وجودهم، إن الذين يختارون تغيير دينهم كانوا يسمون عند السكان بالمطورين أي المرتدين، وهذه الصفة كانت تلحق أكبر لعنة تصاحبها<sup>2</sup>.

كما استعمل الاستعماريون تسمية بونيول وهو ازدراء لتعيين عرب شمال إفريقيا، وهناك ألفاظ ازدراء أخرى منها، بيكو، راطون، أنديجان<sup>3</sup>.

وفي هذه الظروف نشأ جيل من الشباب يطالب بجزائريته، يرفض كل أنواع الإدماج ومستعد للتضحية من أجل استقلال بلده. بعدها أراد هذا الجيل من الشباب الذي كونته الحرب العالمية الثانية، والحرمان والفقر والأوبئة، أن يكون فاعلا وليس خاضعا<sup>4</sup>.

ولدراسة التحضر في المدينة نتوقف على مسألة منهجية حول طبيعة مجتمعها ومميزات سكانها، ومدى اعتبار السلوك والمواقف العامة والعادات والمعاملات وامتلاك العقارات والممتلكات بسكيكدة، ضمن صفة الحضري التي ظلت حكرا على الأوروبيين الذين مارسوا عدة وظائف حضرية<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> Carlier Omar et d'autres, Lettrés intellectuels et militants en algérie 1880-1950, P.126-127.

<sup>2</sup> سعدي فاطمة، البراءة المسلووية، مجزرة 20 أوت 1955، المصدر السابق، ص.23-24.

<sup>3</sup> عباس فرحات: الليل الاستعماري، المصدر السابق، ص.19.

<sup>4</sup> غولديغر أني راي، جذور حرب الجزائر 1940-1945، المرجع نفسه، ص.77-107.

<sup>5</sup> قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة: المدينة والمجتمع، دكتوراه دولة، جامعة تونس، ص.146.

## المبحث الثاني: الجاليات الأوروبية:

يمثل الأوروبيون قاعدة النظام الاستعماري المستفيدة منه أساسا في المدينة، المتشكلة من تدفقات أفواج المهاجرين الأوروبيين على سكيكدة منذ نهاية سنة 1838. وأطلق السكان المسلمون على الوافدين الجدد اسم النصارى أي إبتاع عيسى بن مريم أو الروم أو الفرنسيين، ولم تكن المجموعة الأوروبية تتميز بانسجام كبير، وكان يوجد فيها الفرنسيون الأصليون والأوروبيون الشماليون والسويسريون، أكثرهم يأتي من بلدان البحر المتوسط، وهم الذين يكونون طبقة الأقدام السود، بينما يعرف أهالي البلاد الأصليين بالعرب والمسلمين والأهالي مع ما في هذه التسميات من نزعة احتكارية أو أبوية<sup>1</sup>.

أعتمدت فرنسا في تشجيعها للهجرة الأوروبية على توزيع المناشير، حيث عرضت على الأوروبيين التوافد على الجزائر، خاصة ذوي الأصول اللاتينية منهم الإيطاليون والإسبان، لكن هؤلاء المهاجرين لم يكونوا من خيرة المجتمع، فبعضهم من المجرمين أو السياسيين، والعاطلين عن العمل<sup>2</sup>.

ومهما يكن من أمر تطلب التوسع إبتاع سياسات متميزة بدأتها مؤسسات ومدارس فكرية ركزت اهتماماتها على الإجابة على أسئلة رئيسية مثل: كيف يتم إقناع المهاجرين الأوروبيين بالانتقال إلى مدينة وضواحيها، وإقناع الحكومة الفرنسية في باريس بقبول الهجرة الأوروبية بدل الهجرة الفرنسية فقط؟ وهل كان بالإمكان الاعتماد على العنصر الفرنسي الخالص لتعمير المدينة دون غيره من العناصر<sup>3</sup>؟

وكانت التركيبة الإجتماعية لهذه الفئات، بالنظر إلى مواطنهم الأصلية القادمين منها إلى الجزائر، تتكون من عناصر بشرية مختلفة تجمع بينهم المصالح فقط، وهذه العناصر تشمل العنصر الفرنسي، ويأتي على رأس القائمة، ثم يليه الإيطاليون والمالطيون والكورسيكيون والسويسريون والإسبان والألمان، إضافة إلى الأقلية اليهودية التي كانت موجودة في الجزائر قبل عام 1830<sup>4</sup>.

قام الاستيطان الأوروبي على الهجرة، وهي ظاهرة بشرية تاريخية مرتبطة بعدة ظروف، لتتضاعف في بداية النصف الثاني من القرن 19م نتيجة المتغيرات الاقتصادية والسياسية، وتعد الجزائر من أهم الحقول الخصبة للهجرة في شمال إفريقيا التي لها علاقة بنجاح البرجوازية في أوروبا الأمر الذي أدى إلى البحث عن مواطن نفوذ خارجية للتصدير والمصادرة.

كانت سنة 1830 بداية قوية للهجرات الأوروبية، وهدفها البقاء في الجزائر، فظهر المستوطنون بجانب المواطنين. ولهذا التوسع المدني مخططون ومنفذون، فرنسيون وأوروبيون، إذ انطلق هذا التوسع من فكرة مفادها (إن الأراضي غير الأوروبية تعد مناطق خالية من الحضارة، فهي ملائمة للاستعمار)، وكانت وراء تنفيذ هذه الفكرة مدارس كثيرة، منها المدرسة الألمانية التي تعتمد على مبرر المجال الحيوي.

<sup>1</sup> حربي محمد، الثورة الجزائرية سنوات مخاض، المصدر السابق، ص 81.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر العام، ج 2، دار الغرب الإسلامي، دت، ص 105.

<sup>3</sup> عمير اوي أميدة، من تاريخ الجزائر الحديث، ط 2، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2004، ص 68.

<sup>4</sup> فرحات عباس، ليل الإستعمار (حرب الجزائر وثورتها)، المصدر السابق، ص 22.

ولتشجيع الهجرة الأوروبية نحو المناطق الساحلية، أقامت سلطات الاحتلال الفرنسي مراكز عمرانية، تم مصادرتها من أصحابها الأصليين لتقدم للجاليات الأوروبية الراغبة في الاستقرار بالجزائر<sup>1</sup>، وتم نقلهم نحو مناطق الاستيطان المخصصة لهم للاستقرار في أحياء المدينة المنجزة على النمط المعماري الأوروبي من قبل الجيش الفرنسي أو في الأرياف، حيث وفرت شروط نجاح الاستيطان الفلاحي، الأمر الذي ساعد على تشكل طبقة إقطاعية أوروبية في الريف لها ملكيات واسعة، بينما في المدن ظهرت طبقة برجوازية أوروبية مهيمنة بالجزائر<sup>2</sup>.

وحاولت السلطة الفرنسية أن توطن في الجزائر أعدادا كبيرة من الجاليات الأوروبية في محاولة تحويل الجزائر إلى مستعمرة توطين أو حتى امتداد لفرنسا عبر البحر، ولم يكن هذا الإستيطان مجرد الإستيلاء على الأراضي الزراعية الخصبة والغابات بل الواقع كان أعمق من ذلك، إذ كان الإستيلاء على أراضي السكان الأصليين هو المظهر المادي الواضح للاستيطان، وهو في واقع الأمر جوهر السياسة الفرنسية في الجزائر نتيجة بصماته الواضحة في الجزائر، بحيث ظلت العلاقة التأثيرية بين الاستيطان من جهة، والتشريع، والسياسة الأهلية<sup>3</sup> من جهة أخرى.

ظهرت أسطورة الأراضي الشاغرة التي أرادت فرنسا استصلاحها وزراعتها، حيث لجأت إلى طرق أخرى للسيطرة على أراضي جديدة كالإيجار أو البيع الصوري، عن طريق تطبيق مرسوم 1844 الذي جعل الوثائق العرفية ووثائق رسمية، كذلك القرارات الصادرين عامي 1846 و 1863. وشكلت منطقة (قسنطينة، عنابة، وسكيكدة) إحدى المناطق التي عرفت إقبالا كبيرا من المهاجرين الأوروبيين، خاصة خلال السنوات الممتدة من 1845-1850، حيث تضاعف عددهم من 11507 فرد نهاية عام 1846 إلى 24672 فرد في 31 ديسمبر 1850 ليصل نهاية عام 1851 إلى 27382 مهاجر ليكونوا نهاية عام 1856 حوالي 33979 فرد<sup>4</sup>، وبدورها ظلت مراكز نواحي سكيكدة في تزايد مستمر وهذا ما يبينه احصاء عام 1860<sup>5</sup>.

المدينة	أوروبيون	جزائريون	يهود	المجموع	المساحة/ هكتار
سكيكدة (فيليب فيل)	11868	1469	119	13456	16854,12
عزابة (جيماب)	902	69	35	1006	7562,95
رمضان جمال (سان شارل)	334	1043	00	1377	5392,45
صالح والشعور (قاسطون فيل)	333	359	00	892	2832
المجموع	13437	2940	254	16751	32641,52

<sup>1</sup> عميرواي أمحمد، من تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص.ص 66-67.

<sup>2</sup> حربي محمد، الثورة الجزائرية سنوات مخاض، الجزائر، ص 81.

<sup>3</sup> مياسي ابراهيم، الاستيطان الفرنسي في الجزائر، المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، العدد الخامس، 2001، ص.ص: 113-114.

<sup>4</sup> Nouschi André, Enquete sur le niveau de vie des populations constantinoises, de la conquete jusqu'à 1919, Paris, 1961, P 190-238

<sup>5</sup> عميرواي أمحمد، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط2، 2004، دار الهدى عين مليلة، ص.ص 36-37.

وتحول بؤس الأهالي الذين فقدوا أراضيهم إلى سخط تمثل في استمرار المقاومة الشعبية في شكل ثورات، ليستغل الفرنسيون الجهاد للاستيلاء على الأراضي، كذريعة لمصادرة أراضي القبائل الثائرة وذلك عن طريق مجموعة تشريعات جائزة التي لم تكن الهدف منها تنظيم الملكية العقارية بقدر ما ترغب في الاستيلاء على أخصب الأراضي لتوزيعها على المستوطنين الذين ظلت أعدادهم في تزايد مستمر. وأطلق على المستوطنين اسم الجزائريين، أما أصحاب البلاد الأصليين فكانوا يسمون بالمسلمين، ونتيجة لمحاولة فرنسا تثبيت وجودها، والقضاء على تراثهم وقوميتهم، قامت بتسمية أبناء الجزائر المسلمين بالفرنسيين، وذلك لتضليلهم ومحو شخصيتهم.

وكان المستوطنون يمثلون في البلاد طبقة مستفيدة من كل المزايا، بينما سكان أهل البلاد الأصليين أبعدها من المناطق التي كانوا يعيشون. فوجد بأن قبيلة عرب سكيكدة التي إعدت عن المنطقة التي ألفت العيش بها في ساحل سكيكدة، حيث كانت تمتن مهنتي الرعي والزراعة نحو ناحية شرق سكيكدة. فمزق الاستعمار الفرنسي الكيان الاجتماعي لهذه القبائل المحلية، وفي المقابل فتح باب الاستيطان والتهجير، وأصبح المستوطنون بعد فترة من الزمن يشعرون أنهم أصحاب البلاد الأصليين، وقد وحدث فيما بينهم المصالح المشتركة، كما وحد بينهم الشعور بالتعالي على أهل البلاد الأصليين<sup>1</sup>.

إن النظام الاستعماري المركز على الحكم المباشر، أعتمد على نظرية القوة التي كانت في نظر المعمرين تحل محل القانون<sup>2</sup>.

وأراد نابليون الثالث منح الجزائريين فرصة التجنيس بالجنسية الفرنسية، بالتقيد بشروط أقرها القانون الصادر عام 1865 يبيح لهم ذلك، مقابل أن يتخلى طالب الجنسية عن قانون أحوال الشخصية الإسلامية، وهذا الأمر لم يكن مقبولا عند الأهالي. وتواصلت الهجرة الأوروبية إلى ما بعد عام 1930، وفي الوقت نفسه تمكن السكان الأهالي من السيطرة على المدن المعمره بالسكان الأوروبيين لجاذبيتها للعمل الموسمي والاستقرار في الأحياء القصديرية<sup>3</sup>.

وقدر عددهم في مقاطعة قسنطينة حسب الجدول التالي<sup>4</sup>:

السنة	1838	1839	1844	1845	1849	1853	1854	1855
السكان - نسمة	3317	3470	10833	11827	19551	20288	31062	32926

وتعددت التسميات لتعريف المستوطنين الأوروبيين بسبب صعوبة إيجاد تعريف محدد لهذه الفئة بل تتضارب وتختلف التسميات، ومن الكلمات المتداولة: فرنسيون أصليون، أوروبيون، فرنسيون غير

<sup>1</sup> قدورة زهية، تاريخ العرب الحديث، المرجع نفسه، ص. 509.

<sup>2</sup> عباس فرحات، الليل الاستعماري، المصدر السابق، ص. 10.

<sup>3</sup> Menleman Johan Hendrik, Le Constantinois entre les deux guerres mondiales, l'évolution économique et sociale de la population rurale, 1984, P.199.

<sup>4</sup> مياسي ابراهيم، الاستيطان الفرنسي في الجزائر، المصادر، المرجع السابق، ص.ص: 116-117-118.

مسلمين، الأقدام السوداء. وأما أقدم تسمية للمستوطنين فهي فرنسيو الجزائر التي تعتبر التسمية الأكثر استعمالاً، وهي تحدد الموطن الأصلي الذي يعيش فيه هؤلاء السكان<sup>1</sup>.

وهناك من أطلق على الأوروبيين المولودين بالجزائر، اسم المولودين البيض<sup>2</sup>، لكن هذا المصطلح حصر في مستعمرات الأنتيل، ومن جانب آخر فقد ولدت هجرة الأوروبيين الجماعية من الجزائر نحو فرنسا الذين انسحبوا إليها سنة 1962، رفضهم للتسمية الجديدة أي المعادين إلى وطنهم<sup>3</sup>.

وقد عبر الكثير من فرنسيي الجزائر عن هذا المصطلح المفروض عليهم، قائلين بأن وطنهم الأصلي هو الجزائر وليس فرنسا، كما انتشرت بشكل واسع عبارة الأقدام السوداء<sup>4</sup> على هؤلاء المستوطنين، حيث طبق عليهم هذا المصطلح الذي اختلف المؤرخون حول أصله الأمر الذي جعل بعضهم يعبر عن صعوبة تحديد هذا المصطلح من خلال قوله: (إننا ننتيه في الحس، ويبدو من النادر أن نجد شرحاً مقنعاً لهذا المصطلح). ويذكر البعض على أنها الأحذية السوداء التي يلبسها المهاجرون الأوائل أو تلك التي يلبسها العسكريون الاستعماريون في تعاكسها مع الأرجل العارية للسكان الأصليين<sup>5</sup>.

وتعتبر الفئة الأوروبية خليط من أجناس متعددة من أوروبا، منهم من جاء بدافع الوطنية، ومنهم بدافع المغامرة وكسب المال، ولذلك ليس غريب أن يكون سلوكهم مخالفاً للشعار الذي جاءت به الثورة الفرنسية من مساواة وإخاء وعدالة بين فئات المجتمع<sup>6</sup>.

وتوفرت عدة عوامل مؤثرة على مجرى الأمور في الجزائر من جيش، وكنيسة، وبرجوازية، وطبقة كادحة مهاجرة إلى الجزائر، ومنفيين سياسيين وأفكار إشتراكية وملكيين وجمهوريين وإنسانيين وشعوبيين وملحدين، وهي كلها عوامل تتجه نحو مصب واحد، وتعطي للإستعمار من وجهة نظر الإنسان الخاضع له صورة وكيانا شاملاً قائماً على الإستبداد، كيانا يحاول أن يتجسم في أمة غالبية، وفي تراث مغمور، وحاضر مهجور، ومستقبل غامض، وأخلاق ممتهنة، وسمعة ملطخة وكرامة مداسة، وهي كلها متولدة عن الحرب أو معدة لتجديد الحرب باستمرار في صور أخرى<sup>7</sup>.

قامت السلطات الفرنسية بتسخير كافة الموارد لدعم الأوروبيين وتمكينهم من إخضاع أبناء البلد لنفوذهم وسيطرتهم، وعندما اكتملت مرحلة الإدماج تلتها مرحلة جلب المهاجرين ومنحهم الأراضي الخصبة، وأنجزت لهم القرى الاستيطانية في الريف لتأتي مرحلة الحكم الذاتي الذي إستفادت منها الجالية الأوروبية يسمح لها بإستعمال كل الوسائل لفرض نفوذها على الجزائريين والتحكم فيهم.

<sup>1</sup> حماميد حسينة، المستوطنون الأوروبيون والثورة الجزائرية 1954-1962، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 2001-2002، ص.2.

<sup>2</sup> المولودون البيض Oreoles.

<sup>3</sup> المعادين إلى وطنهم Les Rapatriés.

<sup>4</sup> الأقدام السوداء Les Pieds Noirs.

<sup>5</sup> Manoni Pierre, *Les Français D'Algérie, Vie Moeurs Mentalite*, Paris, Edit L'Harmattan, 1999, P.6.

<sup>6</sup> جيلبسي جوان، ثورة الجزائر، ترجمة عبد الرحمن صدقي، مراجعة راشد البراوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ص.21.

<sup>7</sup> الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص.280-281.



وعمل الأوروبيون على سد الأبواب في وجوه الجزائريين، بعدما قهروهم بالسلاح، وأخذوا منهم الأرض بالقوة حتى لا يتحرروا، ولم يقبلوهم شركاء في تسيير شؤون بلدهم<sup>1</sup>. وبعد تحسن وضعية الأوروبيين قوي جانبهم مما جعل هؤلاء الدخلاء ينسون أصلهم الوضع الحقيق وماضيهم التعس الفقير مستفيدين من القوة والقانون التي وضعتها فرنسا لمصلحتهم، إن الأوروبي الدخيل منحتة فرنسا الجزائر كهدية رغم جهله لهذا البلد وسكانه بل بقي الأهلي أو الأنديجين بعيدا<sup>2</sup>. كان السكان المسلمون يعيشون في وضع معيشي متدني يتحصلون على طعامهم بصعوبة، كما لا يتوفرون على الرعاية الصحية، ولم تجسد فرنسا العمل الحضاري الذي نادى به عند احتلالها للجزائر، بل أنها ساهمت في ارتفاع معدلات الفقر والامية في صفوفهم، وفي المقابل فإن المعمرين الأغنياء الذين يمثلون أقلية ضمن المجتمع الأوروبي بالجزائر يسيطرون على كافة القطاعات. ونجد أن المستوطنين الصغار الذين ولدوا في الأرض الجزائرية وتمركزوا في مدنها، يشتغلون كتجار، مستخدمين وعمال وموظفين صغار، يعيشون أقل من نظرائهم في المتربول الفرنسي. ويشكل المستوطنون الصغار أغلبية الأوروبيين، لكنهم سياسيا يتبعون المعمرين الأغنياء المسيطرون على الجزائر، ويستحوذ البعض منهم على الاقتصاد، الأراضي، الصحف، مشكلين مجموعة ضغط قوية سياسيا في باريس، رافضة لكل إصلاح وراغبة في ابقاء الوضع على حاله<sup>3</sup>. حاول بعض الضباط الفرنسيين تحقيق التوافق بين مصلحة المستوطنين والمواطنين، وهذا النوع من الحكام الإداريين، هم من عرفوا بالأنديجينوفيل<sup>4</sup>، أي المتعاطفين مع الأهالي نظرا لمواقفهم الإنسانية المعتدلة مع السكان الأصليين<sup>5</sup>، وهذا بعدما أصبح أغلبهم خاضعين لأقلية من الداخلين الجدد، ودفعوا بالتالي ثمن إخضاع الجزائر للرأسماليين الذين يستغلونهم وحدهم<sup>6</sup>. لم تكن المصالح الاقتصادية وحدها تحكم موقف معمرى الجزائر من الأهالي فحسب بل هناك عامل يتعلق بهذه الفئة الأوروبية نفسها، من حيث أصلها والموطن الذي هاجرت منه، إذ أن أغلب الفئات التي هاجرت إلى الجزائر كانت من مشارب مختلفة، فهم خليط من عدة أجناس أوروبية جاءت من حوض المتوسط، جاءت لعدة دوافع (الوطنية، المغامرة، وكسب المال)، لهذا ليس من الغريب أن يكون سلوكهم مخالفا للشعار الذي جاءت به الثورة الفرنسية من مساواة وإخاء وحرية وعدالة بين فئات المجتمع<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> بوحوش عمار، تاريخ الجزائر السياسي، المرجع السابق، ص. 200.

<sup>2</sup> فرحات عباس، ليل الإستعمار، المصدر السابق، ص. 97.

<sup>3</sup> Rotman Patrick, *L'Ennemi intime*, édition chihab- du seuil, 2002, p.17-24.

<sup>4</sup> الأنديجينوفيل Les Indiginophilles وهي مجموعة أوروبية متعاطفة مع الأهالي، وهم في الغالب تتشكل من أولئك الفرنسيين الذين يبنون المذاهب الأساسية الفلسفية المثالية مثل السانسيمونية والماسونية والاشتراكية والشيوعية.

<sup>5</sup> Ageron Charles Robert, *Les Algériens musulmans et la France 1871-1919*, T1, 1 edition, paris, 1968, p.194.

<sup>6</sup> نوشي أندري وآخرون، الجزائر، المرجع السابق، ص. 309.

<sup>7</sup> فرحات عباس، الليل الاستعماري، المصدر السابق، ص. 128.

لا شك في وجود الاستعماريين المتعنتين الذين لا تربطهم بالجزائر سوى مصالحهم الأنانية، ولا هم لهم سوى استغلال ما يمكن استغلاله من البلاد، ففي نظر جاك شوفالييه<sup>1</sup> (لا يمكن اعتبار هذا الصنف من الأشخاص ذوي خصائص جزائرية)، ولا يمكن اعتبار هذا الصنف من الأشخاص منتمين إلى المعمرين الأوروبيين القاطنين بالجزائر، ليست لديهم الرغبة والامكانيات للمغادرة إلى بلد آخر.

لا يتشكل الاستعمار فقط من صنف من الأشخاص بل هؤلاء لا يمثلون سوى فئة المتطرفين الذين لم يكونوا يستطيعوا البقاء في الجزائر لولا الاعتماد على دعم الجماهير الأوروبية والنظام الإمبريالي الفرنسي في آن واحد، فقد تختلف سلوكيات الأشخاص والجماعات الفرنسية وتتنوع، وتتضارب أحيانا، ولكنها تمثل في كل الحالات حقيقة الظاهرة الاستعمارية في شتى مظاهرها، وكثيرا ما كان العوام الأوروبيون، أكثر عنصرية في مواقفهم مقارنة بكبار الملاك الذين كانوا يستحذون على الوسائل الاقتصادية والسياسية القوية التي يمارسون بواسطتها عنصريتهم<sup>2</sup>.

فهما اختلف موقف المستوطنين من الأهالي، فإذا تباينت نظرة المعمر الاقطاعي اتجاه الأهالي عن نظرة الموظف الأوروبي، فإن مواقفهم تبقى موحدة في حالة المساس بمصالحهم المشتركة<sup>3</sup>.

وبعد تأكد الجزائريون استحالة تغيير في وضعهم، عن طريق المقاومة المسلحة، لذلك عدلوا عن الأسلوب التقليدي في مواجهة قوة فرنسا واتخذوا من المعارضة السلمية أسلوبا إلى تحسين أحوالهم<sup>4</sup>. وأنتهى هذا الوضع إلى اعتقاد المعمرين بتفوقهم العنصري مما أدى إلى تشبثهم بامتيازاتهم المختلفة<sup>5</sup>. فهل من الممكن أن نتصور أي شكل من اشكال التعاون بين الأغلبية المحرومة من كل شيء وبين الأقلية الأوروبية الجشعة التي الت إليها الحكم والمتصرفة في معظم ثروات البلاد<sup>6</sup>.

لقد ندد القانوني الفرنسي لارشي الذي حلل بصفة موضوعية أوضاع الإستعمار، بالجهاز الإستعماري الإداري من خلال قوله: (إن إدخال دواليب إدارية راقية دقيقة في بلاد جديدة ومتخلفة لمن العبث والسخرية، وكذلك تأسيس مجالس بلدية يسيطر عليها بعض الأوروبيين حديثي العهد بالجنسية الفرنسية، يطبقون قوانينهم على آلاف من الأهالي، وكذلك إنشاء محاكم يهيمن عليها محلفون من المعمرين، ويحكمون على العرب والقبائل بمحاباة مزرية وتحيز مخجل، وكذلك تطبيق القانون المدني الفرنسي في

<sup>1</sup> شوفالييه جاك: شخصية سياسية فرنسية تولى مستشار عام ورئيس بلدية الجزائر 1953-1958، ونائب برلماني جمهوري حر 1946-1951 ثم بين سنتي 1952-1955، تولى كتابة الدولة للحرب لمدة شهرين جانفي وفيفري 1955، ولد شوفالييه ببوردو 11 ديسمبر 1911، وتوفي بالأبيار 15 أبريل 1971، ينظر: [Wikipedia L'Encyclopidie Libre](https://fr.wikipedia.org/wiki/Jacques_Shouvalier)

<sup>2</sup> مهساس أحمد، الحركة الوطنية الثورية في الجزائر، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، 2002، الجزائر، ص. 352.

<sup>3</sup> جيليسي جوان، ثورة الجزائر، ترجمة عبد الرحمن صدقي، مراجعة راشد البراوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ص 22.

<sup>4</sup> Nouschi André, La naissance du nationalisme algerien 1914-1954, Les éditions de minuit, paris, 1962, p.19.

<sup>5</sup> العقاد صلاح، المغرب العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1969، ص. 167.

<sup>6</sup> الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، المرجع السابق، ص. 99.

الملكية الذي أفضى إلى تجريد قبائل قاطبة من كل ممتلكاتها)، ويجد التفوق العنصري مرتعا خصبا في نفسية الأوروبيين، فالعربي في نظر الأوروبي شخص اجتمعت فيه كل الرذائل<sup>1</sup>.

ورغم التباين العرقي وعواطف البغض والكراهية التي تسود بين الأوروبيين، إلا أنهم كانوا يشتركون في نظرة الحقد والعنصرية الطافحة إتجاه الجزائريين، واستطاعوا التمتع بالسلطة والتتعم بالأمن، وبفضل ذلك كله فرضوا على الأهالي نمطا معيناً من الحياة، وميلاً إلى الرغد في العيش<sup>2</sup>.

وكتب جول فيري عام 1894: (من الصعب علينا أن نقنع المعمر الأوروبي بأن هناك حقوقاً أخرى غير حقوقه في بلاد عربية، وأن العربي ليس بالعبد الذي يساق بالعصا، وأن الأوروبي الذي لا يجد بداً من استخدام العربي لا يعطيه إلا أجوراً تافهة، فإنه يكرهه كل الكره، ويتجلى ذلك الكره في العواطف والأقوال، نعم إننا نحس أن في القلوب أمواجاً متلاطمة من الحقد والإزدراء، والخوف والحذر...)<sup>3</sup>.

عمل المعمرون الأوروبيون على فرنسا الجزائر أرضاً وتشريعاً وثقافةً لمحو جميع المعالم المميزة للمجتمع الجزائري، إلى أن تغدو جمهورية فرنسية مصغرة، لا مكان فيها سوى للأوروبيين المحافظين على مصالحهم، وتظل إرادتهم نافذة، وانتصاراتهم متواصلة أدى إلى انتهاء سياسة الإدماج سنة 1896<sup>4</sup>. فقد توسع نمط الحياة الأوروبية بالمدينة، حيث لم يعد التعامل مع الكفار حراماً في نظر العديد من السكان في المدينة لأن الزمن تغير بالنسبة للأهالي، لأنهم بدأوا يتعودون على وجود الفرنسيين، ومن تجنس بالجنسية الفرنسية من القادمين من إيطاليا أو مالطا<sup>5</sup> أو إسبانيا.

فالناس بطبيعتهم براغماتيين يراعون مصالحهم، يسلمون بالوجود الفرنسي على أنه قضاء وقدر ولا يشاهدون أية علامة تدل على زواله القريب. ويمتد تأثير التعليم حتى لدى العائلات الجزائرية التي كانت لها مواقف معادية للوجود الفرنسي، وأصبحت ترسل أبناءها للتعلم على أيدي معلمين فرنسيين.

وبعد استقرار الفرنسيين ومعهم باقي الجاليات الأوروبية تزايد أعدادهم في المدينة الجديدة المشيدة على أنقاض أطلال روسيكاد، وبنوا مدارس مخصصة لأبناء الأوروبيين، حتى في القرى المجاورة للمدينة: فالي، دانريمون، سانت أنطوان، وفلفلة، سطورة. وازداد التعامل التجاري بين السكان الأهالي الذين شكلوا أقلية في مطلع القرن 20م، والسكان الأوروبيين الذين يمثلون غالبية قاطني المدينة آنذاك.

<sup>1</sup> فرحات عباس، نفس المصدر، ص. 99.

<sup>2</sup> الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، المرجع السابق، ص. 38.

<sup>3</sup> فرحات عباس، الليل الاستعماري، المصدر السابق، ص. 105.

<sup>4</sup> زوزو عبد الحميد، تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا، OPU، الجزائر، 1997، ص. 72.

<sup>5</sup> جزيرة مالطا إحدى جزر البحر الأبيض المتوسط التي استقلت عام 1964 عن الاستعمار البريطاني، بعدما كانت ضمن أجزاء الدولة الإسلامية في عهد الأغلبية منذ عام 800 م إلى غاية عام 1090م أي نحو ثلاثمائة سنة، وبقي التأثير العربي واضحاً على اللغة العربية بحيث 65 % من اللغة المالطية هو من اللغة العربية، ثم تعرضت فيما بعد غزو الجيوش الفرنسية بقيادة نابليون بونابارت، وظلت لسنوات تحت السيطرة الفرنسية حتى مجيء الاحتلال البريطاني لهذه الجزيرة الصغيرة المساحة ذات موقع استراتيجي، حيث تعد بوابة الحوض الغربي المتوسطي، القريبة من إيطاليا، وتقدر المسافة بينهما 90كلم، أما المسافة بين مالطا والمغرب العربي فتصل إلى 320 كلم، قدر عدد سكانها 400 ألف نسمة عام 2002، ينظر: جريدة الأهرام المصرية بتاريخ 18 جانفي 2002، ص. 11.

وأصبح المعمرون بمختلف فئاتهم الاجتماعية (الموظفون والمعلمون والمزارعون والصيادون وأصحاب الورشات والمطاعم والمقاهي والحانات)، يشكلون جزءا هاما من مظاهر الحياة الاجتماعية للمدينة، بعاداتهم وثقافتهم وألعابهم ولهجاتهم، وانتشرت مظاهر الحياة الأوروبية داخل محيط المدينة الكولونيالية تدريجيا، خاصة مع وجود الكنيسة<sup>1</sup> وسط المدينة يعلوها صليب ضخمة، ومثل بعض الأهالي منازلهم على الطراز الأوروبي، بحيث التأثير الفرنسي لم يشمل الملابس والمنزل بل تعداه للأكل على الطاولة والكرسي مثل الفرنسيين، كما انتشرت المقاهي العربية وتقابلها الحانات الأوروبية<sup>2</sup>، واشتملت حتى على الطقوس المسيحية<sup>3</sup>.

إن دراسة تطور التعداد السكاني الأوروبي يوضح مدى التزايد الذي وقع بفعل الهجرة الأوروبية نحو الجزائر، رغم ذلك فإن الفئة الأوروبية واليهودية التي تعرف بفرنسيي الجزائر، يعتبرون أقلية مقارنة بتعداد السكان المسلمين الجزائريين<sup>4</sup>، من بين النسبة الأوروبية الجالية اليهودية المقدرة 70 ألف يهوديا.

وكان المراد من السياسة الإستيطانية المتماشية مع سياسة الإدماج تسهيل التزايد العددي للأوروبيين تدريجيا لتحقيق التفوق الديموغرافي في المدن الجزائرية على حساب الأهالي، بما يساعد على فرض السيطرة الإستعمارية عليها، وهذا باعتبار الرهانات الديموغرافية مهمة لسياسة الإدماج.

وتعد هذه السياسة استمرار لعملية تدمير الأسس المعنوية والمادية للأمة الجزائرية، وهذا لأن الإدماج كان يعني في البداية إلحاق التراب الجزائري بفرنسا، ولم يكن أنذاك ينطبق على غير الفرنسيين والأوروبيين المتجنسين الذين تعترف لهم بحقوق المواطنين وحررياتهم.

وظلت سياسة الإدماج، رغم تعددها لم تكن في الحقيقة سوى مذهب لمحاربة المجتمع الجزائري<sup>5</sup>. هكذا ظهرت تدريجيا مجموعات عديدة، في البداية قسم من الجزائريين، مهمشين وقليلي العدد فكانوا يسعون إلى الاندماج بالأوروبيين، لكن لم يكن لمحاكاتهم الثقافية أي أثر يذكر على الجزائريين.

وعلى النقيض من هذا القسم، كانت هناك الجماهير العربية البربرية الواسعة المتمردة على الاستعمار، أما المجموعة الهجينة كانت متفوقة بين المجموعتين الأوروبيين والمتمردين، حيث تتعرض

<sup>1</sup> وأصبحت كنيسة سانت ماري تشكل أهم معلم ديني تؤكد سيطرة الأوروبيين على المدينة، وغير بعيد منها، أقيمت حدائق جذابة وساحات عمومية، ونصب تذكارية ترتفع فيها التماثيل المنحوتة.

<sup>2</sup> مذكرات محمد الميلي، العدد: 1469، الاثنين 29 أوت 2005، جريدة الشروق، ص. 10.

<sup>3</sup> ويعد سانت لويس، مرج أخضر واقع بالقرب من المدينة، وهو المكان الوحيد الذي يزوره المسيحيون والمسلمون، مكان يجتمع فيه الناس ويطلب فيه كل واحد ما يريد بالإضافة إلى التنزه حيث تزور الشابات قبر الراهبة إما للتزوج أو الولادة أو تجنب الطلاق من أزواجهن، وكان هذا التنازل الوحيد المقدم للديانة المسيحية، ينظر: سعدي فاطمة، البراءة المسلوقة، مجررة 20 أوت 1955، المصدر السابق، ص. 56-57.

<sup>4</sup> تطور عدد السكان الأوروبيين 245000 نسمة عام 1872 ثم 750000 عام 1914 ليصل تعدادهم 984000 نسمة عام 1954، وفي المقابل ازداد عدد الجزائريين المسلمين من يقدر 2.125000 نسمة عام 1872، ثم 5ملايين نسمة عام 1914، ليصل إلى 9 ملايين عام 1954، ينظر:

Naissance d'une nation, l'algerie en 1954, Les collections de l'histoire, n15, mars 2002, p.20.

<sup>5</sup> محساس أحمد، الحركة الوطنية الثورية في الجزائر، ص. 35.

إلى ضغوط متناقضة وتعدد في التصورات، وردود أفعال متعايشة دون أخرى. وصعب عليها إيجاد نظرة دقيقة مع الجماعة، وليس من السهل أن تختار التفرد، دون أن تحكم على نفسها بالفناء أو العزلة<sup>1</sup>. وفي 25 جويلية 1933 أقامت الجالية اليهودية بالمدينة، أول صلاة للمعبد الاسرائلي بشارع قسنطينة في أجواء من الاحتفال والأمن<sup>2</sup>، فقد تحقق الالتحام بين اليهود والأوروبيين، فكان غير الفرنسيين يعوضون هذا العائق بالتعبير عن تعلقهم الشديد بفرنسا، وطنهم الجديد لكن اختلاف المشارب رغم كل التغييرات، كان يقف حائلا دون تحقق الانسجام الكامل لاسيما وإن تقسيم العمل كان يطابق غالبا التقسيم العرقي للمجتمع بحكم وضعهم كأقلية في الجزائر وأغلبية في المدينة ذات امتيازات توحد الأوروبيين، رغم الخلافات التي تفصلهم الا أن أمنهم وسلامتهم متوقفة على اتحادهم، وجدوا أنفسهم مضطرين للتقارب والتلاحم نتيجة التضامن الفعلي الذي خلق بينهم، بفعل الخطر الذي يهددهم جميعا.

ومع مطلع القرن 20م هدأت الأوضاع وتوجهت اهتمامات المعمرين وجهود اليهود إلى استغلال طاقات الشعب الجزائري، وعلى عكس موقف المعمرون بالجزائر نجد أن الجزائريين المسلمين حاولوا جاهدين التعامل مع اليهود وخلق علاقات تتصف بحسن الجوار والتعامل الأخوي، ولكن بدون طائل، وهذا نتيجة موقف اليهود المعادي لهم بدافع الشعور بالتفوق والرغبة في التسلط على الجزائريين مما جعل الجزائريين يتحفظون منهم، ويقفون من اليهود موقف الحذر، ثم التذمر العميق منهم، تسبب فيه غطرسة اليهود الأثرياء مما أدى إلى حدوث القطيعة بينهما نتيجة أحداث قسنطينة أوت 1934<sup>3</sup>، حيث عجزت السلطات المحلية لمدينة قسنطينة على السيطرة على الأوضاع مما دفعها إلى إستحضار الرماة السينغاليون من سكيكدة لتدعيم القوات العسكرية، على رغم من أن علاقات المسلمين بالجالية اليهودية بالمدينة تميزت بأنها مسالمة، فقد حصلت مناوشات بين المجموعتين عقب أحداث 1934، إذ أرسل مجموعة من التجار اليهود إلى السلطات المحلية، مشتكين من تعرضهم لتهديدات من بعض الجزائريين<sup>4</sup>. فقد تمكن اليهود من تحقيق تضامنهم الفعلي بينهم في الظروف الصعبة، وتعاونوا فيما بينهم، إضافة إلى نفوذهم في جميع الأجهزة الإدارية (الشرطة، البريد، والبنوك..) وثرواتهم المحققة، وعملت عناصر من اليهود على التحالف مع العناصر الأوروبية القوية لإبقاء الأهالي خاضعين للقوانين الخاصة<sup>5</sup>.

عرفت الجماعة اليهودية طيلة الفترة الإستعمارية تطورا ديموغرافيا ملحوظا تمثل بالخصوص في تزايد عدد أفرادها الذين استقرت غالبيتهم في المدن الكبرى، حيث يتوطن المستعمرون الأوروبيون وتتوفر الخدمات الإجتماعية، وصاحب هذا التطور الديموغرافي تزايد نفوذ اليهود الإقتصادي إذ أصبحوا

<sup>1</sup> حربي محمد، سنوات التمرن، حياة تحدى وصمود، مذكرات سياسية 1945-1962، المصدر السابق، ص.37.

<sup>2</sup> A.M.S, Delibération N : 103, 25/07/1933.

<sup>3</sup> سعيدوني نصر الدين، اليهود والحركة الصهيونية، مجلة الثقافة، العدد 77، سبتمبر- أكتوبر 1983، وزارة الثقافة، الجزائر، ص.111-112.

<sup>4</sup> عريضة من مجموعة من التجار اليهود في ملاحق البحث.

<sup>5</sup> بن حسين كريمة، الحياة السياسية في مدينة قسنطينة، رسالة ماجستير، المرجع السابق، ص. 149-152.

يستحوذون على جزء هام من المبادلات التجارية ويتحكمون في العديد من الوظائف الإدارية والمهن الحرة، وشبكة التوزيع التجاري لمختلف جهات الجزائر الداخلية، كما أن لديهم ممتلكات فلاحية<sup>1</sup>.

وظهرت أول جالية فرنسية كبيرة في الجزائر عام 1848، يعد نقل العمال الجمهوريون إليها، ثم توالى الهجرات نحو المدن الساحلية خاصة بعد انتزاع إقليمي الأزراس واللورين من فرنسا وتدفقت جماعة كبيرة من الوافدين الأوروبيين نحو الجزائر إلى<sup>2</sup>.

وقد تزايد التعداد السكاني للأوروبيين تدريجياً لغاية وصول هجرة كبيرة من مزارعي الكروم في إقليم ميدي<sup>3</sup> نحو الجزائر بعد سنة 1870، جاءت المراسيم التي نقلت السلطة السياسية من يد المكاتب العربية والعسكريين إلى يد الأوروبيين المدنيين الذين ارتفع عدد البلديات التي بحوزتهم<sup>4</sup>.

ونلاحظ بأن المهاجرين نحو المدينة لم يكونوا من فرنسا وحدها، بل شكلت عناصر غير الفرنسيين الأكثرية العددية، مستفيدين من صدور قانون عام 1889 يفرض الجنسية على كل أجنبي يولد في الجزائر، وكانوا دعامة الاحتلال الفرنسي والحجة التي أصبح يستند إليها في دعواه بأن الجزائر فرنسية. أثرت الهجرة الأوروبية على حالة الجزائريين من حيث فرص العمل، حيث سيطروا على المرافق الهامة واستولوا على الأراضي الخصبة، فاضطر عدد من الجزائريين للهجرة إلى فرنسا للارتزاق، متجمعين في الأماكن أو في المدن الصناعية، وكانوا يقومون بالأعمال المجهددة ويتقاضون عنها أجوراً أدنى من أجور الأوروبيين مما جعلهم يعيشون في مستوى أدنى من نظرائهم الفرنسيين<sup>5</sup>.

تخلت السلطات الفرنسية في باريس عن ممارسة نفوذها في الجزائر للمستوطنين الذين عملوا على إفراغ الأراضي من أصحابها بحجج مختلفة، وتحويل المناطق العسكرية إلى الحكم المدني وتطبيق جميع القوانين الفرنسية، وكانت أطماع المعمرين كبيرة مما أدى إلى تعميق الهوة بين المعمرين والأهالي<sup>6</sup>.

وتعد اللغة الفرنسية هي لغة التعامل بين مختلف الجاليات المشكلة لسكان هذا المركز، وعن طريقها تحققت التنشئة الاجتماعية بعمق، التي تتم في المحيط الأول أي العائلة، ويحصل الاندماج التدريجي للطفل في محيطه باللغة، وتتضح الحركتان اللتان تقضي اليهما اللغة: الأولى تتمثل في اعتراف الجماعة بالفرد باعتباره أحد أعضائها الأمر الذي يمكنه من معرفة أنه فرد، إنه كالإسم العائلي يأتي ليحدد الإسم الشخصي، أما الحركة الثانية فتتمثل في كون الفرد لا ينال هذا الاعتراف إلا مقابل قبوله لغة الجماعة،

<sup>1</sup> سعيدوني ناصر الدين، الجزائر، منطلقات وأفاق، المرجع السابق، ص.373.

<sup>2</sup> شكوا بالمدينة جمعية تضم سكان الأزراس الأصليين القاطنون بسكيكدة، تضم شخصيات فاعلة في الحياة المحلية إميل ليدرمان.

<sup>3</sup> بسبب انتشار المرض الذي أصاب إقليم ميدي جنوب فرنسا.

<sup>4</sup> Ageron Charles Robert, *Les Algeriens musulmans et la France*, op cit, P.25.

<sup>5</sup> قدورة مصطفى زهية، تاريخ العرب الحديث، منشورات دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1967، ص.508.

<sup>6</sup> فركوس صالح، المرجع السابق، ص.215.

ومما يمثل في الواقع قانونا واطارا وتصورا للعالم المحيط بالفرد مفروضا، واللغة هي القانون الذي تفرضه الجماعة على الفرد، لحصول على هويته المعترف بها<sup>1</sup>. ومن الجاليات المستقرة في المدينة:

**الجالية المالطية:** منذ تأسيسها نهاية الثلاثينات من القرن 19 م عرفت المدينة بتنوع الفضاء السكاني المستقر حولها، من كافة الجاليات التي تمكنت من الإستقرار بالمدينة متخذة من عدة أحياء مجالا لها داخل سور المدينة أو خارجها، في ضواحيها، حيث أنشأت مباني فردية، وأقامت مزارع لإنتاج المحاصيل التجارية أو في المناطق الجبلية لتسهيل عملية تربية المواشي ومنها الماعز وهي مهنة جلبتها الجالية المالطية التي استقرت على طول السواحل الجزائرية وخاصة الشرقية<sup>2</sup>.

وشكلت الجالية المالطية ثالث جالية أجنبية استقرت في الجزائر لممارسة مهن وحرف مختلفة، نذكر منها صغار التجار كوسطاء بين الأهالي والأوروبيين، وعملت على المحافظة على شخصيتها<sup>3</sup>.

وعرف المالطيون الأوائل بالجزائر عموما بالغلظة في التصرف والتعامل خاصة في نظر فرنسيي الأصول الذين كثيرا ما اشتكوا منهم، ورغم ذلك استطاعت هذه الجالية التأقلم مع البيئة المحلية. ووجدوا عدة تسهيلات للعمل في قطاعات مرفئية وفلاحية مستغلين في ذلك توفر الظروف المساعدة على نجاحهم في مختلف المشاريع، تحوهم رغبة جامحة في تحسين وضعهم الاجتماعي.

فقد جاءت الجالية المالطية إلى الجزائر بعدما كانوا يعتبرون رعايا بريطانيين بإعتبارهم تركوا بلادهم هروبا من وضعهم المعيشي المزري لا طالما عانوا منه فوجدوا في الإحتلال الفرنسي وسياسة التعمير للجزائر المستعمرة، فرصة هامة بالنسبة لغالبية المالطيين في نهاية القرن 19م ومطلع 20 م، وحملوا ثقافتهم الخاصة وعاداتهم المكتسبة في جزيرة مالطا المتوسطة عبر الفترات المتعاقبة من الوجود الفينيقي ثم الإستعمار الإيطالي والتأثير العربي، وصولا إلى السيطرة البريطانية.

وتميزت هذه الجالية بقلتها العددية بإعتبار أن الشعب المالطي لم يستطع فرض نفسه بشكل نهائي، تسمح له بتكوين شعب الجزيرة، ويعتبر العامل الديمغرافي (الضعف العددي لسكانه) من العوامل المساعدة للتأثيرات الخارجية. تصنف هذه الجالية إلى فئتين: الأولى مالطيون حقيقيون، وآخرون خليطون بالأجانب التي تختلف أصول أسماؤها، كما يؤكد على التأثر والتأثير لسكان هذه الجزيرة المتوسطية.

ويمكن القول بأن الشعب المختلف الأعراق وجد ضالته في سواحل الجزائر الذي بدأ يتشكل ببطء ضمن المجتمع الأوروبي الذي توافد على الجزائر على فترات متعاقبة، إلى جانب تقربهم في نفس الوقت من الأهالي ومن المهاجرين غير الفرنسيين من صقلية و نابولي والإسبان وغيرهم من المجموعات، لكن

<sup>1</sup> جليبير غرانغيوم، اللغة والسلطة و الجماعة في المغرب العربي، ترجمة محمد أسليم، دكتوراه الدولة من جامعة السوربون باريس، 1983، بعنوان العلاقة بين التحولات اللغوية والدينامية الاجتماعية في المغرب العربي المعاصر، مقارنة أنثروبولوجية.

<sup>2</sup> Dimech Pierre ; La Revue de l'association France Malte

<sup>3</sup> Xavier yacono, In L'Algerianiste, N:17/18, 15 mars Et 15 Juin 1982.

أفراد المجموعة المالطية الذين وصلوا إلى الجزائر، لهم بعد روعي، حيث كانوا مضطهدين لعدة قرون من طرف هجمات البرابرة، فاختاروا عالما جديدا (الجزائر)، الأمر الذي يذكرهم ببلادهم الأصلية.

وتميزت علاقات المالطيين بغيرهم من الجاليات الأوروبية الوافدة على سكيكدة بتغيير مواقفها من مرحلة لأخرى وطباعها من فترة لأخرى، وهذا ما يعكس طبيعة هذه الجالية المتمسكة بأصولها ولغتها وديانتها وعاداتها ونشاطاتها المهنية، ورغم هذا يمكن أخذ عدة ملاحظات تتمثل في:

\* صرامة المالطيين أثناء الصدمات الأولى مع باقي التجمعات السكانية، وتفسير ذلك يرجع إلى إحساسهم بمقدرتهم على النجاح، والمحافظة على أنفسهم، ودون قطع الصلة مع بوطنهم الأم.

\* التطور الديموغرافي للمالطيين نتيجة تزايد المواليد الجدد، وليس لقدم أفواج جدد من المهاجرين.

\* سهولة التكلم باللغة العربية، بإعتبار أن اللهجة المالطية تحتوي على نسبة هامة من اللغة العربية<sup>1</sup>.

\* العلاقات في المدن ومنها سكيكدة تتسم بكونها حميمية مع الإيطاليين الذين هم على وفاق ويتقاسمون معهم المعتقدات الدينية في مواجهة شعب من أصل مدني من الميترربول الفرنسي تخل عن المسيحية.

\* دور المدرسة والتعليم الفرنسي التي ساهمت في تحسين التقارب مع العالم الفرنسي، وتسهيل التقارب

في المعاملات والإدارة، وتمكن هذه الجالية من المحافظة على عاداتها ولغتها وتعاليم دينها بحدّة.

\* إنفتاح المجتمع الأوروبي بسهولة عن طريق سياسة إدماج الأجانب من جهة، والمصاهرات والنجاحات الصناعية والتجارية والفلاحية.

\* وصول حركة الهجرة المالطية إلى قمته في نهاية القرن 19 م ثم تراجعت فيما بعد بسرعة، ويرجع ذلك بسبب تحسن الوضعية الاقتصادية في مالطا من جهة، ومن جهة أخرى لتواجد أراضي شاسعة في مناطق أخرى التي يمكن أن تمنح إمكانيات كبيرة كأستراليا مما يعطي الانطباع بأن الجزائر قد وصلت إلى قمة التشبع من توافد موجات المهاجرين الأوروبيين<sup>2</sup>.

كان الفرنسيون يشكلون قسما هاما من سكان مدينة سكيكدة واستمر ذلك لغاية عام 1844، حيث أصبح الأجانب يمثلون 46 % من مجموع سكانها، وغالبيتهم من أنجلو مالطيون<sup>3</sup>، حيث ضاقت جزيرة مالطة بهم، لهذا كانت هجرتهم إراديا نحو السواحل الجزائرية، ويذكرهم هذا الشريط ببلدهم الأصلي.

وفي هذه المدينة الجديدة كانت اليد العاملة غير ثابتة، بحيث كلفوا بأعمال شاقة كالبستنة التي تفوقوا فيها. وتوسعت الهجرة المالطية نحو سكيكدة من عام 1840 حيث قدر تعدادها 801 مالطيا أي أقل من

الفرنسيين المقدر عددهم 1841 ليصل عددهم 1366 مالطيا بالمدينة عام 1846 .

<sup>1</sup> سعد الله أبو القاسم، أبحاث اراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996، بيروت، ص.74.

<sup>2</sup> Dimech Pierre ; La Revue de l'association france malte.

<sup>3</sup> أنجلو مالطيون باعتبارها جزيرة محمية بريطانية آنذاك، شكل هؤلاء الوافدون المالطيون جالية أوروبية هامة خاصة في مدن السواحل الشرقية، مثل عنابة وسكيكدة والقالة، حيث مثلوا ربع السكان سكيكدة الأوروبيين عام 1848. ينظر:

Donato Marc, L'Emigration des maltais en algerie Au 19<sup>ème</sup> siècle, éd africa nostra, 1985, montpellier, P.80 .

Benhassine Karima, La Vie associative dans le département de constantine 1901-1945, Op cit, P.32.



**الجالية السويسرية:** شجعت السلطات الفرنسية الهجرة السويسرية باتجاه الجزائر للعمل في النشاطات الفلاحية المنتجة للكروم والتبغ، أو المتخصصة في التجارة، وتمكنت بعض العائلات السويسرية من الإستقرار بالشرق الجزائري خاصة منذ سنة 1852، بعد إستفادتهم من الإمتيازات، حيث أنشأت لهم قنصلية بالجزائر العاصمة سنة 1842 إلى جانب قناصل مساعدين بوهران بين سنتي 1859-1888، وسكيكدة بين سنتي 1870-1904، وازداد عددهم بالجزائر من 1743 نسمة سنة 1859 إلى 3404 نسمة سنة 1886، ويعمل العمال المهاجرون الذين وفدوا من أقاليم مختلفة<sup>1</sup> في قطاع الفلاحة والتجارة<sup>2</sup>.

**الجالية الألمانية:** كانت الهجرة الألمانية نحو الجزائر ضرورية خاصة بالنسبة للمغامرين والطلبة والبطالين والمتقنين والقساوسة، لهذا وجهت الكثير من العائلات الألمانية نحو المدن الجزائرية لتعمير الجزائر، حيث غادروا أقاليمهم: Rhenamie، وBavière، وLe Duché de Bade نحو ميناء لوهافر، ليتجهوا من هناك نحو أمريكا<sup>3</sup>، لكن معظمهم غيروا وجهتهم إلى الجزائر، ليلتحقوا بفرنسيي الشمال، الذين توجهوا بدورهم إلى كل من مينائي مرسيليا أو طولون للإلتحاق بالجزائر.

إن أغلب هؤلاء المهاجرين الألمان كانوا يغادرون بلادهم بحثا عن مستقبل أفضل خارج وطنهم، وقد قبل أغلبهم هذه التضحية من أجل أطفالهم، ويجدون أنفسهم يحظون بامتيازات خاصة، واستقر المستوطنون الألمان في ضواحي مدينة الجزائر منذ عام 1832، ورغم قلة الهجرة الألمانية إلى الجزائر مقارنة بالهجرة الإيطالية والإسبانية، إلا أنها لم تتوقف، واستقرت بعض العائلات الألمانية في وهران والغزوات وتلمسان وسكيكدة. وانحصر وجود الألمان في ممارسة الحرف الحرة، وإستغلال الأراضي المحتلة، وأضطرت الظروف الصعبة عددا كبيرا منهم إلى الإلتحاق بصفوف الجيش الفرنسي، حيث عاملتهم السلطات الفرنسية معاملة عسكرية خاصة بعد إلتحاق معظمهم بصفوف قوات الليف الأجنبي<sup>4</sup>.

قدر عدد الألمان 136 فردا عام 1840 ثم وصل إلى 170 فردا عام 1842 ليستقر عام 1846 إلى 114 فردا يعملون كعمال، وبستانيين، وصناعة الخمر، أعمال الحفر، ونجد بسكيكدة جاليات أخرى كـ بعض البرتغاليين، الروس والبولنديين والسويسريين، واليونانيين، البلجيكين، والهولنديين. ومثل الأسباب أيضا جزءا من سكان المدينة، ففي عام 1840 وصل عددهم إلى 140 فردا ثم 200 فردا عام 1842، وفي عام 1846 قدر عددهم 226 إسبانيا، ولم يشهد أي تطور إلا بعد عشر سنوات.

**الجالية الإيطالية:** فقد قدم الباحث Gaston Loth جدول ديموغرافي متكامل حول الهجرة الأوروبية التي تبين بأن عدد الإيطاليين يتراجع باستمرار، فبعدها كانت الجزائر تجلب إليها العناصر الإيطالية

<sup>1</sup> وفدوا من الأقاليم Tessin, d'Argovie, de Vaud et du Valais

<sup>2</sup> Dictionnaire historique de la suisse 25/04/2001 Algérie - [www.hls-dhs-dss.ch](http://www.hls-dhs-dss.ch)

<sup>3</sup> هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1962، سلسلة المعرفة، OPU، الجزائر، 1995، ص.63.

<sup>4</sup> هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1962، المرجع السابق، ص.ص. 64-65-66-67.

المنتقلة للمراكز الجديدة المخصصة لهم خاصة الساحلية هروبا من الازمة الاقتصادية وسيطرة رجال الاقطاع عليهم، وفقر المناطق التي وفدوا منها بشكل جماعي خاصة الجنوب الايطالي، للعمل في قطاعات اقتصادية تناسبهم كالمناجم والبناء والاشغال الكبرى والصيد البحري، وتعد سكيكدة احدى المراكز الاستيطانية التي استقرت بها جالية ايطالية جاؤوا من خليج نابولي و Tarente وجزيرة ايشيا وبروسيدا، وأصبحت معظم الوظائف التي يمارسونها بسواحل القالة وسكيكدة وعنابة والجزائر مرتبطة بالانشطة البحرية، وبعد نهاية الحرب العالمية الاولى تحولت الهجرة الايطالية نحو مناطق أخرى للعمل مثل فرنسا التي وفد إليها مليون عامل ايطالي بين سنتي 1920-1930 أو للاستيطان في المستعمرات الايطالية مثل ليبيا التي استقر بها 120 ألف ايطالي، بينما انتقل 190 ألف ايطالي نحو افريقيا الشرقية (الصومال، الحبشة)<sup>1</sup>.

واستمرت الهجرة الإيطالية في التدفق نحو سكيكدة بمعدلات متفاوتة لغاية توقف هذه الهجرة السكانية من بينها هجرة جالية من سردينيا الايطالية التي انطلقت من سان انطيوكو في 1850 باتجاه سكيكدة وضواحيها، لتقطع الهجرة بين سنتي 1848-1850 بسبب الازمة الاقتصادية ووباء الكوليرا الذي يفتك بالجزائريين لينخفض وجود الإيطاليين، ثم انبعثت الهجرة بين سنتي 1853-1860 التي تزامنت مع إنطلاق مشاريع السكة الحديدية وشبكة الطرقات ومحطات تهيئة المياه ومناجم الشرق. كان معظم العاملون في بستانة محيط سكيكدة من أصول مالطية، وبعدهم يأتي العنصر الايطالي من حيث تعداد الأجانب، بحيث عرف تعدادهم تطورا من 369 فردا عام 1840 إلى 553 فرد عام 1842 لتصل إلى 676 فردا عام 1846، ويتم تشغيل معظمهم مباشرة في مؤسسات البناء التي وصلت إلى أوج نموها، كبنائين، نجارين، صناع الجص، صناع القرميد، والبعض الآخر أصبحوا يمتنون مهنة الصيد البحري أو تجار التجزئة، وأغلبيتهم جاءوا من جنوب إيطاليا الفقيرة أو من صقلية وتوسكان<sup>2</sup>. وبقيت مدينة سكيكدة لمدة طويلة تمثل المدينة الأكثر أوروبية في الجزائر مع وجود نسبة قليلة من المسلمين فيها، وقدر عددهم 366 فردا عام 1840، وبعد 18 عاما وصل تعدادهم إلى 1007 مسلما<sup>3</sup>.

**الجالية اليهودية:** أصبح اليهود، وهم أقلية دينية محلية فرنسيين بحكم قانون كريميو 1870، واعتبروا سكانا أوروبيين<sup>1</sup>، ويشكلون طائفة لها خصوصيتها، بحكم النظرة الدينية التي ينظر بها الجزائريون،

<sup>1</sup> ينظر :

Loth Gaston, le peuplement italien en algerie et en tunisie, paris, a.colin, 1905, p.503

Lacoste Louis, La colonisation maritime en algerie, collection du centenaire alger, p.146.

Liauzi claud, Histoire des migrations en méditerranée occidentale, editions complexe, 1996, p.15-274.

Gérard Crespo, Les Italiens en algerie 1830-1960, histoire et sociologie d'un migration, edit-gandini, 1994.

Emigration d'ichia à philippeville, n=67, 1999/3, Revue GAMT.

<sup>2</sup> توسكان Toscana مقاطعة ايطالية.

<sup>3</sup> Solal Edouard, Philippeville et sa région ; p.p.164-165.

وبحكم الحملات العنيفة التي تعرضوا لها في أواخر القرن 19م، وبعدها تحقق الالتحام بينها وبين الأوروبيين تدريجياً.

استطاعت الأقلية اليهودية أن تستوعب الثقافة الفرنسية، كونت نخبة تمثل صفوة المجتمع في الطب والحقوق والعلوم والأدب، وحقق البعض منهم نجاحاً اقتصادياً باهراً، فهم بالنسبة للمعمرين منافسين حقيقيين، ويظهرون ككتلة ذات تأثير اقتصادي لها دوراً جلياً في الانتخابات<sup>2</sup>.

وفي سنة 1939 كان اليهود يمثلون 3% من مجموع سكان الجزائر، وهم أقلية صغيرة تسكن المدن في أغلبيتها، مستفيدة من مزايا الجنسية الفرنسية<sup>3</sup>.

تمكن اليهود من الاندماج في المجموعة الأوروبية، خاصة عقب حصولهم على حق التجنس بالجنسية الفرنسية، عن طريق قانون كريميو، ثم توسع نفوذهم بارتفاع تعدادهم الديموغرافي ونفوذهم الاقتصادي. وتعد سكيكدة واحدة من 75 بلدية في عمالة قسنطينة يتوزع فيها السكان اليهود حسب الخريطة التي وضعها الحاخام إيزانبيت<sup>4</sup> من مجموع 257 بلدية أو مركز يقطن به اليهود في الجزائر، تبقى كثافتهم عالية في مدينتي وهران والجزائر، حيث يتركز الأوروبيون بشكل أكبر<sup>5</sup>.

ونجد معظمهم موزعين في القطاع الوهراني أكثر منهم في وسط البلاد وشرقها، وهم نادرين في الريف، لكنهم يمثلون غالبية سكان المدن بنسبة 65% وتعد المدينة رمزا من مظاهر الاستعمار<sup>6</sup>.

وكانت الهوية بين الأوروبيين واليهود تتقلص باستمرار بإعتبارهم مواطنين فرنسيين تحصلوا على حقهم في التجنيس، بينما الهوية الفاصلة بين المجموعة الأوروبية والسكان المسلمين بسبب تمركز الأموال ووسائل الانتاج بيد الأوروبيين، نتج اتساع مجال الفقر في أوساط المسلمين<sup>7</sup>.

فحدثت تحولات جذرية في العلاقة بين المدينة والريف، نتيجة حركة النزوح الريفي نحو المدينة، والاستيطان للمعمرين وتوسع الزراعة التجارية المرتبطة بالأسواق الأوروبية.

وفي هذا الإطار كانت مقاومة الإحتلال الفرنسي متمركزة في الوسط الريفي، ثم تواصلت أشكال الانتاج الرأسمالي للفلاحة الجزائرية من أجل استغلال الاراضي المجاورة، كذلك ازدادت الهجرة نحو المدن، مما فتح المجال لروابط جديدة بين المناطق العمرانية والريفية أي بين الريف والمدينة<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> قانون كريميو أصدره وزير العدل الفرنسي كريميو، بموجبه يتحصل يهود الجزائر على الجنسية الفرنسية، ودخل حيز التطبيق الفعلي بمرسوم 7 أكتوبر 1871 الذي امضاه رئيس وزراء فرنسا تيار، ونشر في الجريدة الرسمية يوم 10 أكتوبر 1871، حيث تم إدماج يهود الجزائر نهائياً في المجموعة الفرنسية. ينظر: سعيدوني ناصر الدين، الجزائر منطلقات وأفاق، المرجع السابق، ص.370.

<sup>2</sup> غولدزيغر أني راي، جذور حرب الجزائر 1940-1945 من مرسى الكبير إلى مجازر الشمال القسنطيني، دار القصبية للنشر، الجزائر، ترجمة ورده لبنان، ومراجعة حاج مسعود، 2005، ص.23.

<sup>3</sup> غولدزيغر أني راي، جذور حرب الجزائر 1940-1945، المرجع السابق، ص.24.

<sup>4</sup> قام الحاخام موريس إيزانبيت Eisenbeth بدراسة إحصائية عن السكان اليهود، قدر مجموعهم في العمالة 25614 نسمة عام 1936. ينظر: Chouraqui André, La Saga Des Juifs En Afrique Du Nord, Paris, Librairie Hachette, 1878, P.190-191.

<sup>5</sup> Chouraqui André, Les Juifs d'Afrique du nord, PUF, 1<sup>er</sup> édition, 1952, imprimerie fenech majeneuve, p.142.

<sup>6</sup> Nouschi André, Naissance de nationalisme algerien, Op Cit, p.33.

<sup>7</sup> بن حسين كريمة، الحياة السياسية في قسنطينة، رسالة ماجستير، المرجع السابق، ص.16.

والملاحظ بأن أعداد الأوروبيين متفاوتة العدد ومختلفة الجنسيات، فنجد نسبة الفرنسيين مرتفعة بسبب أن المستوطنين يجدون تسهيلات كبيرة لأنهم يعيشون ضمن البلد المستعمرة، وازداد عدد المهاجرون المالطيون تدريجيا نتيجة وقوع المدينة في الساحل ولسوء أوضاعهم في جزيرتهم، بينما يقل عدد الاسبان لصعوبة التنقل نحوها لبعدها المسافة على عكس مدن عمالة وهران، أما السويسريون فهم لا يعانون من أزمات في وطنهم تدفعهم للهجرة، ومعظم السويسريون يستقرون في مدينة الجزائر<sup>2</sup>.

وفي الحقيقة أصبحت سكيكدة مكانا مفضلا للعديد من الشخصيات الفرنسية الذين عبروا المدينة نحو عاصمة الإقليم الشرقي أو الاتجاه إلى مرسيليا الفرنسية التي جاء إليها عدد من رؤساء فرنسا سنوات 1865 و 1903<sup>3</sup> و 1925، كذلك أعلام الفكر والفن، من بين هذه الأسماء ألسكي توكفيل<sup>4</sup> الذي استقر فترة في المدينة، وسجل ملاحظاته حولها في 30 ماي 1841<sup>5</sup>، وزيارة الامبراطور لويس نابليون الثالث ماي 1865، وزيارة الماريشال جوان لسكيكدة في 25 جوان عام 1953.

يمكن القول بأن العناصر السكانية المشكلة للمجتمع المحلي خلال الحقبة الاستعمارية بأنها تختلف دينيا ولغويا ومعيشيا وحتى مصالحيا، وكل جماعة مارست تقاليدها ونشاطاتها بما يتوافق مع أصولها، على الرغم من ذلك استطاعت المجموعة الأوروبية من التحكم في كافة المصالح الإدارية والاقتصادية والتجارية في البلاد.

<sup>1</sup> Stora Benjamin, *Op Cit*, P.54.

<sup>2</sup> Ministère de L'Algérie et des Colonies; *Tableau de établissements francais dans l'algerie 1852-1854*, p.86 .

<sup>3</sup> زيارة إميل لوبي Emile Loubet 1838-1929 الرئيس الفرنسي بين سنتي 1899-1906 ورئيس المجلس عام 1895 والسينات الفرنسي 1896-1899 إلى مدينة سكيكدة في 24 أبريل 1903، حيث نزل بمينائها ينظر: *Le Petit Larousse illustré*, Paris, P.1523.

<sup>4</sup> توكفيل اليسكي 1805-1859 مؤرخ ومنظر سياسي وعالم اجتماع فرنسي، اشتهر بكتابه "عن الديمقراطية في أمريكا" و"النظام القديم والثورة"، وأعجب بالتجربة الديمقراطية الأمريكية، وكان مهتما بالشأن الجزائري، له دور في توجيه النوايا الفرنسية اتجاه الجزائر، له مؤلفاته عن الجزائر: الرسالة الثانية عن الجزائر عام 1837، والعمل في الجزائر عام 1841، تقرير حالة الجزائر عام 1847.

<sup>5</sup> تحت عنوان حزن توكفيل جاء فيها ما يلي "أحد البحارة الذي كان هنا، يمتلك الأراضي استأنف عمله بكل نشاط، وكنا نخطئ بوصف المعمرون بهذه الطريقة، إذ بدون مستعمرة لا يوجد أي شيء مستقر للإفادة في إفريقيا، ولا يوجد أفضل من القيام بسلب القبائل الأكثر قريبا لوضع الأوروبيين مكانهم. وأنا أسمع - بكل أسى - كل هذه الأشياء، وأطلب كيف يكون مستقبل البلد بأشخاص مماثلين وأبن نواصل، وأخيرا هذا الشلال من العنف واللاعزل، إلا ثورة الأهالي، وخراب الأوروبيين أنظر: Tocqueville (A), *Notes sur l'algérie*.

### المبحث الثالث: التطور الديموغرافي:

إن استعراض تطور سكان المدينة من أوروبيين ووطنيين يعطي صورة موجزة عن ثقل المدينة الكولونيالية، فرغم الدراسات المنجزة من بعض الفرنسيين عن التطور السكاني للمدينة والنقل الديموغرافي للأوروبيين، نجد بأن السكان الجزائريين فيها لم يحظوا بأية دراسة وافية خلالها. وتشخص المعطيات الديمغرافية درجة الإستقطاب المميزة لمركز سكيكدة وماتتوفر به من إمكانات إقتصادية وإجتماعية وعمرانية لاسيما في مجال المرافق والتجهيزات، الإسكان وفرص العمل<sup>1</sup>. وكان التوسع المدني مرهونا بالتوسع العسكري وامتزانا معه، ولهذا اهتمت السياسة الاستعمارية بإقامة مدن حضرية، وتأسيس قرى استيطانية جنوب المدينة، بهدف جعلها منطقة استيطان واسعة، على اعتبار أن الأرض هي القاعدة المادية الشرعية لبقاء الأهالي. وتبقى وتيرة النمو السكاني تخضع لعدة عوامل مؤثرة، ودراسة التطور السكاني تسمح بمعرفة سرعة أو بطء النمو الحاصل عبر مركز استعماري وآخر، والقوى الدافعة له. وخلال السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي عرفت منطقة سكيكدة تزايدا سكانيا مستمرا خاصة بعد توزيع الأراضي على المهاجرين الأوروبيين، ويرجع هذا التطور الديموغرافي إلى توفر عدة المعطيات: \* النجاح النسبي للتوسع العسكري الفرنسي في حملاته التي شنّها ضد السكان الجزائريين بالمنطقة. \* نجاح دراسات المهندسون والطبوغرافيون الذين تأكدوا بمستقبل واعد للتعمير بالمنطقة. \* توفر كميات هائلة من المياه حول أحواض وضايف أودية المنطقة (الصفصاف والزرامنة). \* تشجيع بعض التيارات الفكرية الأوروبية لعملية الاستيطان، مثل التيار السانسيموني. \* حدوث أزمة فلاحية وسياسية في أوروبا سنتي 1845-1850 دفعت أعدادا مرتفعة من الأوروبيين للهجرة إلى الجزائر، إذ تعدى مجموع المهاجرين الأوروبيين إلى منطقة سكيكدة من 11507 نسمة عام 1846 إلى 24672 نسمة عام 1850 أي بزيادة 114,4% ليصل نهاية عام 1851 إلى 27382 مهاجرا<sup>2</sup>. اعتبرت سكيكدة مدينة استيطان بحكم ظروفها التاريخية ووظيفتها كميناء صيد جعلها فقيرة من العنصر العربي، غنية بالعنصر الأوروبي، وظلت على هذا الوضع لمدة قرن من الزمن، ورغم تطور سكان المدينة المتواصل منذ عام 1840 التي وصلت إليها أعداد كبيرة من الجاليات الأوروبية<sup>3</sup>. وكانت الهجرة الأوروبية مرتفعة عبر سنوات الاحتلال الفرنسي الأولى، لتتعثّر في أوقات وتقل في أخرى، خاصة المراحل الأخيرة من الوجود الاستعماري، وفي المقابل ظل الريف الممول الرئيسي

<sup>1</sup> بوشامة ليديا، مراكز وادي الصفصاف، رسالة ماجستير، المرجع السابق، ص.70.

<sup>2</sup> عمير اوي احميده، السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة 1838-1858، دار الهدى الجزائر، 2004، ص.35-57-55-58. Nouschi André, *Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquete jusqu'à 1919*, paris, 1961, p.190-238.

<sup>3</sup> حمادة صالح، دراسة في جغرافية المدن، حول مدينة سكيكدة، رسالة ماجستير، ص.61.

لل هجرة المحلية التي بدأت تتوسع تدريجيا مع النزوح الريفي المرتبط بالظروف الصعبة التي تعرفها المناطق الجبلية، من انعدام الخدمات المختلفة وقساوة الطبيعة وقلة فرص العمل في القطاع التقليدي وغيرها من المعطيات التي أسهمت في حركة السكان نحو المدن بحثا عن وضع معيشي وصحي ملائم. وتبقى وتيرة النمو السكاني تخضع لعوامل مؤثرة، ودراسة التطور السكاني تسمح بمعرفة سرعة أو بطء النمو الحاصل عبر مركز استعماري وآخر، والقوى الدافعة له.

المدينة	عناية	سكيكدة	القالة
طبيعية	مدني	مدني	مدني
فرنسا	1961	2520	110
انجلترا	10	5	1
ايرلندا	14	/	/
مالطا	2361	1366	39
إسبانيا	123	226	4
البرتغال	68	5	4
إيطاليا	118	676	74
ألمانيا	277	114	4
بولونيا	8	13	/
روسيا	9	3	/
اليونان	14	1	1
سويسرا	3	64	/
بلجيكا وهولندا	10	10	/
مختلف الجنسيات	30	/	/
المجموع	6006	5003	233
الرجال	3358	2974	123
النساء	1852	758	61
الاطفال	796	1051	49

احصاء السكان الأوروبيين بالمدن الساحلية الجزائرية لمقاطعة قسنطينة في 31 ديسمبر 1846<sup>1</sup>

واستمرت السلطة الفرنسية لغاية عام 1859 في توجيه الحملات العسكرية إلى المنطقة الممتدة من قسنطينة إلى جيجل والقل لهذا إزداد عدد سكان المدينة من 769 نسمة عام 1838 إلى 7863 فرد عام 1851، وفي الوقت الذي كانت فيه أوروبا تعيش أحداثا دفعتها إلى التفكير في هجرات استيطانية، والملاحظ في الفترة الأولى للاحتلال 1846-1870 تضاعف عدد سكان المدينة مرتين على الرغم من ارتفاع الوفيات من جراء تأثير الأوبئة التي عرفها هذا المركز الجديد يتجلى ذلك من خلال جدول المواليد والوفيات بالمدينة بين سنتي 1846-1876:

<sup>1</sup> Ministère de l'algérie et des colonies; Tableau de Etablissements francais dans l'algérie 1845-1846, imprimerie royal, paris, P.87.

السنة	المواليد	الوفيات
1846	197	501
1856	284	502
1866	437	497
1870	453	590
1876	537	520

فواجه الوافدون الجدد بالمدينة ظروف صحية صعبة، ميزتها انتشار الأوبئة الفتاكة(حمى المستنقعات) المتمركزة في مستنقعات المراكز الاستيطانية المستحدثة لمصلحتهم، لينكمش عدد السكان الاوروبيين ويتراجع بصفة ملحوظة، بعد انتشار الاوبئة في الجزائر سنة 1849<sup>1</sup>.

تحولت سكيكدة إلى أكبر مركز لتواجد الأوروبيين عام 1860، حيث يمثلون نسبة 88.20 % من مجموع السكان، بينما يشكل الجزائريون أعلى نسبة عن الأوروبيين في كل من الحروش بنسبة 70.02%، ورمضان جمال بنسبة 75.74 %<sup>2</sup>.

وبلغ عدد المعمرون 15538 نسمة في تعداد سكان دائرة سكيكدة عام 1866، موزعين في 28152 هكتار، بحيث بلغ عدد المعمرين بالنسبة لكل مائة هكتار يقدر بها 5523<sup>3</sup>.

وقد ساعدت الإدارة الفرنسية المعمرين الأوروبيين القادمين على الاستقرار واكتساب الثروة بالجزائر، ويكفل العون إلى المحتاجين منهم، ويسهر على توفير الخدمات لهم، ومنحت للوافدين الأوروبيين نظاما إداريا محليا يعطي صلاحيات كاملة للبلديات ووضع لتسييرها قانون مدني صدر في عام 1884<sup>4</sup>.

وضمت المدينة عام 1891 تعداد سكاني يقدر 25 ألف نسمة، من بينهم 4000 فرنسي، 6000 إيطالي، 3000 مالطي، 1000 يهودي، 5000 أهلي<sup>5</sup>، بينما تقلص عدد سكان مدينة سكيكدة في عام 1892، ليصل إلى 22124 نسمة، من بينهم 6093 إيطالي، 2744 مالطي، 1121 إسباني، 197 ألماني، 4207 أهلي، 1021 متجنس، ولم يبقى من اليهود الأهليين سوى 147، وغلب على هذه الأرقام العناصر السكانية الاوروبية غير الفرنسية الفئة بالمدينة<sup>6</sup>، نتيجة الوجود الايطالي والمالطي كذلك الأمر للاسبان عام 1892 الذين شكلوا جالية جديدة قائمة بحد ذاتها.

\* تزايد في عدد سكان المدينة عموما بسبب زيادة الاستيطان الذي عرفته المدينة وضواحيها، ونسجل انخفاض في عدد السكان الجزائريين نتيجة عمليات الطرد الجماعي من مناطقهم الريفية، حيث انخفض

<sup>1</sup> أيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص.203.

<sup>2</sup> عمير اوي احميده، السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة، المرجع السابق، ص.60.

<sup>3</sup> فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2003/2002، الجزائر، ص.214.

<sup>4</sup> سعيدوني نصر الدين، المرجع السابق، ص.32.

<sup>5</sup> Colon 24 mai 1891, note d'un touriste d'après la petite maritime de marseille..

<sup>6</sup> Thuriez Danielle, Les journaux de philippeville et le problème de la sécurité 1890-1914, mémoires de maîtrise ; (Sous la Direction de M.Guiral), 2002, p.45.

معدل نموهم من 8,1 % عام 1876 إلى 0,3 % عام 1911، ليزداد حجم المدينة في أعقاب الحربين العالميتين نتيجة تأثير عامل الهجرة سواء الخارجية (الدولية) والداخلية (النزوح الريفي).

\* ظل معدل نمو السكان الأهالي ضئيلا مما جعل عددهم في المدينة قليلا لغاية ما بعد الحرب العالمية الأولى، وبقيت السيادة السكانية في المدينة للعنصر السكاني الوطني محل الأوروبي من جملة سكان المدينة، وبعد ذلك بقيت السيطرة فيها ديموغرافيا للعنصر الوطني محل الأوروبي.

\* الهجرة الإستيطانية القوية التي عرفتها المدينة، حيث وصل معدل نمو السكان إلى أكثر من 7% عام 1846 ويعزى هذا النمو السريع إلى الهجرة، وليس للزيادة الطبيعية للسكان الأوروبيين الضئيلة.

\* تناقص معدل النمو العام للسكان الأوروبيين عام 1896 مثلا<sup>1</sup>.

\* يمثل سكان المدينة أكبر نسبة من مجموع سكان البلدية، فقدرت عام 1948 بنسبة 68,9 %، وكانت بداية الفترة للاستعمارية تتميز بعدم تواجد السكان الأصليين بالمدينة.

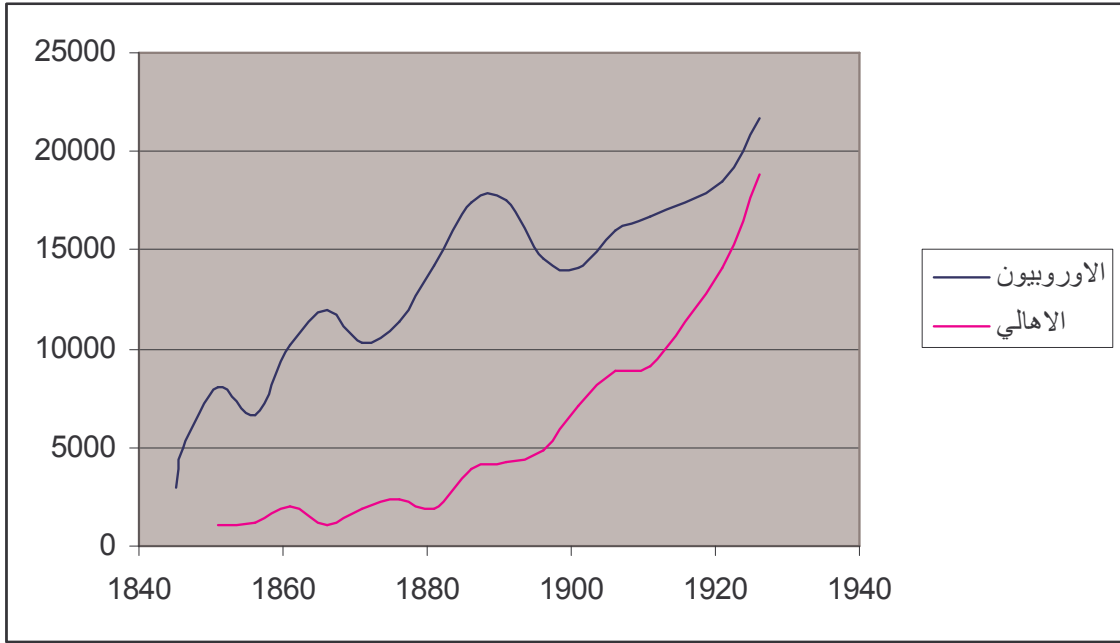
وبلغت النسبة في السنوات الأولى لنشأة المدينة 100% ثم مالبت هؤلاء السكان أن توزعوا على البلدية، وبقيت النسبة تتراوح ما بين 93 % عام 1856، و72% عام 1921، بحيث تدل هذه النسب على مدى الثقل السكاني الذي تمثله المدينة بالنسبة للبلدية. تطور سكان سكيكدة 1840-1966: (الوحدة نسمة<sup>2</sup>)

سنة التعداد	مجموع سكان البلدية	مجموع سكان المدينة	نسبة سكان البلدية إلى سكان المدينة %	نسبة الجزائريين إلى الأوروبيين	معدل نمو سكان المدينة %	معدل نمو السكان الجزائريين %
1840	3411	3411	100	8.9	-	-
1846	5003	5003	100	-	6.5	-
1856	8300	7729	93.12	13.9	4.4	-
1866	13022	10666	81.9	10.1	3.2	-
1876	15299	13736	89.2	17.2	2.5	8.1
1886	21390	18963	88.6	20.9	3.2	5.2
1896	19515	17426	89.3	28.0	0.8-	2.1
1906	24775	18314	73.9	32.8	0.5	2.0
1911	25891	20344	78.5	29.9	2.1	0.3
1921	29442	24178	82.1	29.3	1.7	3.0
1926	32489	27670	85.2	30.3	2.5	3.3
1931	40539	35214	86.8	40.1	4.9	11
1936	49257	37640	76.4	28.7	1.3	5.2 -
1948	62860	43314	68.9	38.1	1.1	3.3
1954	67685	48773	72.5	42.4	2.0	4.2
1960	84116	71739	85.2	64.4	6.6	14.2
1966	74188	61375	85.0	98.6	2.6-	4.6

<sup>1</sup> حمادة صالح، دراسة في جغرافية المدن، المرجع السابق، ص.65.

<sup>2</sup> المصدر: مصلحة السكان بسكيكدة ينظر حمادة صالح، المرجع السابق.





منحنى بياني لتطور السكان بمدينة سكيكدة بين سنتي 1851-1926:

حركة تعداد السكان في مدينة سكيكدة في الفترة الممتدة من سنة 1845 إلى سنة 1926:

السنة	الأوروبيون	الإهالي	المجموع
1845	2987	-----	2987
1846	5003	---	5003
1851	8071	1091	9162
1856	6647	1182	7829
1861	10136	2055	12191
1866	11941	1081	13022
1871	10327	1947	12274
1876	11360	2376	13736
1881	14258	1885	16143
1886	17426	3964	21390
1891	17574	4226	21800
1896	14628	4887	19515
1901	14124	7127	21251
1906	15940	8835	24775
1911	16750	9141	25891
1921	18433	14056	32489
1926	21706	18833	40539

وعرفت المدينة تحولا ديمغرافيا منذ عام 1863، حيث بلغ عدد سكانها 12056 نسمة ليصل العدد

إلى 21251 نسمة عام 1901، ثم وصل التعداد إلى 40000 نسمة عام 1930.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> A.F.N.illustré 1930.

وقد مر سكان المدينة بعنصرها العربي والأوروبي بمراحل نمو مختلفة خلال 126 سنة، وكان هذا التغيير بالزيادة في معظم مراحلها ما عدا بعض الفترات مثل سنوات 1896-1962 التي شهدت تراجع العنصر الأوروبي، مما انعكس سلبا على معدل الزيادة العامة لسكان البلدية التي كانت تقدر 4,3% سنويا منذ بداية إستيطان المدينة، وميزت تلك الفترة استمرار الزيادة السكانية لغاية عام 1886.

وتميزت الفترة التالية لها بالنمو البطيء بل وبالتناقض مثلما حصل في تعداد 1896 ولم تشر البيانات المختلفة أسباب هذا التناقض، وربما يعزى إلى حركة المستوطنين من مختلف الجنسيات الأوروبية<sup>1</sup>. كانت سكيكدة سنة 1886 تضم 547 مسلما من 10866 ساكن، فأصبح عدد المسلمين في منتصف الثلاثينات من القرن 20م 23266 مسلما مقابل 23173 أوروبيا، ثم وصل تعدادهما سنة 1954<sup>2</sup> إلى 41400 مسلما مقابل 30000 أوروبيا. وكانت سكيكدة سنة 1936 ديموغرافيا، مدينة للتعايش بين الأوروبيين والمسلمين وبنويها مدينة التناقضات، والملاحظ بأن التعايش يعني التواجد والعيش معا، في حين تهدف القوانين والمصالح والفضاءات الاجتماعية، جميعا إلى فصل المجتمعين<sup>3</sup>.

أما المرحلة الممتدة من مطلع القرن 20م حتى قبيل الحرب العالمية الثانية التي تميزت بالزيادة المرتفعة نسبيا 2,3% في المتوسط، وبقيت الزيادة بنفس المعدل تقريبا حتى سنة 1960.

وعرف السكان الأهالي نموا مطردا في مدينة سكيكدة، واستمر الإرتفاع السريع في أغلب الفترات فيما عدا خلال الظروف الإقتصادية التي سبقت الحرب العالمية الأولى ثم أثناء الأزمة الإقتصادية العالمية في الثلاثينات وما صاحبها من مجاعات، وأعلى معدل سجل بالمدينة هو 14,2% عام 1960 بسبب النزوح نحو المدينة، إلا أن الرحيل الجماعي للأوروبيين حوالي 25 ألف نسمة عام 1962 غداة الإستقلال أثر بوضوح على معدل نمو سكان المدينة، لتتخف الزيادة السكانية، وفي المقابل استمر ارتفاع نسبة الأهالي في نفس الفترة مما أثر بوضوح على معدل نمو سكان المدينة، حيث انخفضت الزيادة السكانية إلى -2,6% في تعداد 1966<sup>4</sup>.

لكن في الواقع دراسة سكان المدن الجزائرية خلال الحقبة الإستعمارية تواجهها صعوبات جمة، ولاسيما بالنسبة للمدن الصغيرة الحجم وتشمل:

\* ظلت التعدادات السكانية تقتصر على اعطاء البيانات العامة للسكان والاكتفاء في الغالب اعطاء بيانات اجمالية عن سكان البلدية دون تخصيص سكان المدينة أو المركز.

<sup>1</sup> الهجرة الأوروبية نحو الجزائر تراجعت بعد الحرب العالمية الأولى نتيجة لعدة عوامل اقتصادية وبشرية وسياسية عرقتها دول أوروبا.

<sup>2</sup> بلغ عدد سكان مدينة سكيكدة عام 1954 70406 نسمة من بينهم 40065 مسلم، بنسبة 56,9%، ينظر:

Résultats Statistiques du dénombrement de la population, GGA, Alger, 1954.

<sup>3</sup> حربي محمد، مقال الوطنية الشعبية في سكيكدة، مجلة انسانيات، عدد 12.

<sup>4</sup> حمادة صالح، المرجع السابق، ص. 63-93.

\* اقتصار هذه التعدادات السكانية أساسا على السكان الأوروبيين، فيما يتعلق بالبيانات التفصيلية كالحالات المدنية والإجتماعية المهنية دون الإهتمام بالسكان المسلمين.

\* تنقص الدقة والتفصيل في التعدادات السكانية مثل تطور الحدود الادارية للوحدات، لا تتوفر على معطيات تفصيلية حول النواحي الديموغرافية والثقافية والمعيشية.

\* اهمال البيانات والتعدادات الخاصة بالسكان المسلمين، حيث ظلت غير منشورة في معظمها، وبقي تطور سكان المدينة بفئتيه المسلمة والاوروبية هو في الواقع يخص سكان البلدية أي سكان المدينة مع الضواحي المحيطة بها، ومن خلال بعض التعدادات<sup>1</sup> يمكن تقدير نسبة سكان المدينة يتراوح ما بين 84% إلى 90% من جملة سكان البلدية<sup>2</sup>.

تعتبر دراسة التعمير والتطور الديموغرافي مسألة جد صعبة خلال القرن 19م، لعدم دقة الاحصائيات التي انجزت خلال تلك الفترة التي ستكون سهلة بعد سنة 1919، حيث بدأت الدراسات الديموغرافية الجادة تتجسد حسب شارل روبيرت أجبيرون منذ سنة 1950، لكنها نجد صعوبة في معرفة التحول الفعلي لمختلف حركة السكان بين سنتي 1906-1954.

وتعد سكيكدة من المدن الجزائرية المتوسطة التي حدثت بها تطور سكاني نوعي خلال نصف قرن 1906-1954 بنسبة تمثل +384% وهي فترة عرفت نمو السكان الحضريين، أكثر من مدن عنابة +173% وقسنطينة +164%.

في الوقت الذي تضاعف عدد السكان المسلمون على حساب نظرائهم الاوروبيين الذيت تناقص تعدادهم في تلك المرحلة مبتعدين عن سنوات النمو السكاني السريع خاصة فترة 1876-1911، بل أن معدل الزيادة السنوية للأوروبيين لم تتجاوز 1,07% عام 1950، ثم 0,99% عام 1953 وهي في تناقص مستمر، مما يدل على فشل سياسة التعمير الكولونيالي، لذلك شعر الاوروبيون بأنهم خسروا الرهان الديموغرافي بسبب قانون التعداد السكاني الذي تحول لمصلحة السكان الجزائريين<sup>3</sup>، على الرغم من أن تعداد الأوروبيين انتقل من 833 ألف نسمة عام 1926 إلى 984 ألف نسمة عام 1954<sup>4</sup>، وهو تزايد بطئ لا يتوافق مع المتغيرات الحاصلة في الجزائر، خاصة بعد انتقال أعداد كبيرة من الأوروبيين من المناطق الريفية نحو المراكز العمرانية الكبرى على غرار سكيكدة التي وصل تعداد سكانها إلى 57100 نسمة عام 1950 الأمر الذي جعلها رابع مدينة بحرية في الجزائر الكولونيالية بعد الجزائر 315210 نسمة، وهران 256661 نسمة، وعنابة 102800 نسمة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> G.G.A, Recensement de la Population 1936-1948.

<sup>2</sup> حمادة صالح، المرجع السابق، ص.60.

<sup>3</sup> Ageron charles robert, Histoire de l'algerie contemporain, T2, PUF, 1979, p. 469-470-471-475.

<sup>4</sup> Stora Benjamin, Histoire de l'algerie coloniale 1830-1954, la decouvert, Nouvelle edition, paris, p.25.

<sup>5</sup> Stora Benjamin, Histoire de l'algerie coloniale 1830-1954, Op cit, p.50-59.

واعتمادا على الاحصائيات السكانية لبلدية سكيكدة في تلك الفترة الذي وصل عدد السكان إلى 70 ألف نسمة التي تضم العديد من التجمعات السكانية المشكلة لمحيط البلدية الاداري، نصفهم تقريبا من الأوروبيين قرابة 35 ألف نسمة، أغلبهم من الميتروبول الفرنسي، أما البقية فهي من أصول إيطالية أو مالطية، بينما شهد السكان المسلمون ارتفاع سريع في عددهم أكثر من نصف سكان البلدية، من بينهم أعداد من بني ميزاب استقروا في المدينة لممارسة التجارة.

وتختلف عن تعداد سكان مدينة سكيكدة المقدر بأكثر من 50 ألف نسمة عام 1955، يتبين مدى التطور الديموغرافي الذي عرفته سكيكدة، مما جعل الكثافة السكاني تتزايد باستمرار، حيث وصلت كثافة البلدية العامة عام 1955 إلى 275 نسمة/كلم<sup>2</sup>.

وشهد تعداد سكان البلدية تطورا سريعا، يبرز ذلك خلال السنوات الأربعة التي تم إحصاؤها، ففي عام 1926 قدر عدد سكانها 30000 نسمة، ثم 66000 نسمة في عام 1936، لتعرف تراجعا نسبيا إلى 62000 نسمة عام 1948 ثم ترتفع إلى 70000 نسمة عام 1955، حيث نصف هذا التعداد هم أوروبيون أغلبهم من الميتروبول، بينما البقية فهي أصول إيطالية ومالطية.

وفي مرحلة الاحتلال الفرنسي، حيث عرفت المدينة ارتفاعا مذهلا لسكانها من الأوروبيين الذين كانوا يشكلون النثل الأكبر من مجموع السكان الكلي نتيجة سيادة النظام الاستعماري خلالها، ويرجع ذلك إلى حركة الاستيطان الواسعة نحو المدينة من طرف الجاليات الأوروبية الوافدة من جنوب أوروبا. وتميزت الفترة الأولى للتواجد الاستعماري بقلة العنصر الأصلي الذين تعرضوا إلى عمليات الطرد، بحيث انخفض معدل نمو الجزائريين المسلمين من 8,1 % عام 1876 إلى 0,3 % عام 1911.

وبقيت نسبة نمو للأهالي ضعيفة خلال الفترات التي أعقبت الحربين العالميتين بسبب الهجرة التي استقرت بالمدينة مما ساعد على ارتفاع معدل النمو إلى 4,9 % عام 1931.

يمكن التمعن في تعداد فترتي 1931-1936 حيث تعد سكيكدة من المدن الجزائرية الأكثر تعميرا، بحيث ضمت المدينة 33386 أوروبيا مقابل 32276 مسلما عام 1936<sup>1</sup>، بزيادة متقاربة نسبيا بفارق يقدر 1653 شخص لمصلحة الجزائريين.

المدينة	1931	1936	الزيادة	1931	1936	الزيادة
سكيكدة	23173	33836	10663	23266	32276	9010
الفئة	السكان الأوروبيون ( نسمة) <sup>2</sup>		السكان المسلمون (نسمة)			

إحصاء سنة 1931 يوضح المعادلة بين الأوربيين والمسلمين في أهم مدن عمالة قسنطينة، تحتل

سكيكدة المرتبة الثالثة سكانيا بعد كل من قسنطينة و عنابة.

<sup>1</sup> Les Recensements de 1931 et 1936, Annuaire statistique de l'algerie.

<sup>2</sup> Mahfoud Kaddache, Histoire du mouvement algerien, 2<sup>e</sup> éd, T1, Enl-Enal, alger, 1993, p.272.

المدن	الأوروبيين	نسبة	أهالي	نسبة	المجموع
سكيكدة	23773	49,4	23977	50,2	47750
قسنطينة	51142	48	53760	51,2	104902
عنابة	38064	55,4	30714	44,6	68778

وبعد اندلاع الثورة في الجزائر عام 1954 أجبرت ظروفها الصعبة على توقف الهجرة الأوروبية نحو المدينة، وتعد بالتالي نقطة تحول وانعطاف للسكان الأوروبيين الذين أرغموا على العودة إلى فرنسا بعد إعلان توقيف القتال في الجزائر مارس 1962.

وفي هذه الفترة الأخيرة للاحتلال الفرنسي للمدينة، انتقل معدل نموها من 1,1 % عام 1954 إلى 6,6 % عام 1960، وهذا نتيجة نمو معدل السكان الجزائريين في نفس الفترة بنسبة 14%، لتعقبها مرحلة الاستقلال حيث شهدت هجرة جماعية للأوروبيين نحو الميتروبول خاصة في جنوبه من جهة، وهجرة أخرى من الريف نحو مركز المدينة وأطرافها<sup>1</sup>.

فعرف عدد السكان المسلمين تزايدا سريعا، تضم فرعين أساسيين وهما البربر والعرب، الأكثر وجودا، وفي المقابل استقر أعداد كبيرة من الميزابيين في المدينة لممارسة مهنة التجارة.

لأن هؤلاء الوافدون من الأقاليم الإيطالية الريفية المهتمة بالزراعات التجارية أو الأنشطة الحرفية (سان بياترو، كلاسيئا، كلابر<sup>2</sup>، خليج نابولي خاصة من بروسيديا وإيشي<sup>3</sup>، كذلك الأمر بالنسبة لجيرانهم من جزيرتي صقلية وسردينيا) الذين شكلوا مجموعة مصغرة بسكيكدة، كما ساعدت المصاهرات على تشكيل مجموعات متجانسة بسرعة، لها ثقافتها وعاداتها وأطعمتها، تختلف عن باقي الجاليات الأوروبية.

عرف سكان المدينة تطورا تدريجيا بفعل العديد من التحولات، فحسب إحصاء لعام 1955 فإن العدد الإجمالي لسكان بلدية سكيكدة بلغ 70000 نسمة، بينما وسط المدينة العمراني يبلغ حوالي 45000 نسمة، وتمثل الكثافة السكانية حوالي 275 نسمة في الكيلومتر المربع في مجمل البلدية.

التجمعات الرئيسية: خارج مدينة سكيكدة، حيث ضمت البلدية التوزيع السكاني التالي:

\* دانريمون: 5 كلم عن المدينة، يقطن بهذه القرية الفلاحية حوالي 3000 نسمة.

\* سانت أنطوان: 6 كلم عن المدينة، يقطن بها حوالي 4500 نسمة.

\* فالي: 6 كلم عن المدينة، يقطن هذا المركز الاستعماري حوالي 1500 نسمة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> فيلاي سمير وآخرون (جمال، عزيزي عثمان، رباح السعيد)، إعادة تنظيم وتطوير مدينة سكيكدة، مهندس دولة في التهيئة الحضرية والإقليمية، إشراف بن ميسي أحسن، جامعة منتوري، 1991، ص.ص: 38-40.

<sup>2</sup> كلابر Calabre وهي منطقة جبلية في إيطاليا، تتميز بالخصوبة السكانية المرتفعة، أغلب سكانها مهاجرون جزء منهم انتقل إلى استراليا، ينظر: Province d'Italie, *Atals mondial. encyclopédie*, France loisirs, 1997.

<sup>3</sup> وهي جزيرة بركانية في البحر التيراني، مدخل خليج نابولي، تشتهر حاليا بطابعها السياحي. ينظر:

*Le petit Larousse illustré*, 2006, paris, p.1458.

<sup>4</sup> *Revue Municipale De Philippeville* ; Série 01, Avril Mai juin 1955 :p08.

إن التحول الديموغرافي احدى الظواهر الاجتماعية الرئيسية التي ميزت سكيكدة التي انتقلت من المدينة الأثرية إلى المدينة الكولونيالية، حيث تشكلت بها مدينة أوروبية بحسب نمط عمرانها وأغلبية سكانها من الأوروبيين، وبفضاءاتها المتميزة ووظائفها الرسمية الموزعة ضمن العناصر المحددة للمدينة الاستعمارية حيث حافظت على خصوصيتها الأوروبية، ويرجع ذلك إلى توسعها العمراني كمدينة شكلها الاستعمار ذات فضاء متميز مخصص للسكان الأوروبيين مما ساهم في تشكيل مجتمع كولونيالي مهيم، مرتبطة بالعناصر المحددة (الفضاء، السكان، الوظائف) التي رافقت التغيير الديموغرافي لاحتلال المدينة نتج عنه نجاح السياسة الفرنسية في خدمة المستوطنين الذين فرضوا ممارساتهم وقيمهم الجديدة<sup>1</sup>.

تعتبر الدراسات السكانية والاقتصادية المنطلق الرئيسي لأي عملية أو تخطيط مجالي لأي إقليم، لأنها تشكل جانبا مهما ومكملا للدراسات في باقي الميادين الأخرى سواء العمرانية والاجتماعية، ولهذا قامت سلطات الإحتلال الفرنسي بإجراء إحصائيات عامة لسكان الجزائر قصد معرفة التطور العددي للسكان وحركاتهم وتركيبهم وتوزيعهم وخصائصهم، مع استخراج معدلات مختلفة لاستخدامها في مجالات التخطيط.

شهدت المدينة تطورا ديموغرافيا كبيرا بحيث تضاعف عدد سكانها عدة مرات، فحسب أرقام الجدول لم يكن نمو السكان منتظما، وذلك تبعا للتحويلات السياسية والاقتصادية، كذلك الظروف التاريخية التي مرت بها المدينة ذات المساحة المقدرة 23311 هكتار<sup>2</sup>.

وتتداخل العناصر الثلاثة:الأغلبية الديموغرافية الأوروبية، مسندة بهيمنة سياسية، مدعمة بنظام حضري وعمراني جديد، وهو مشروع استعماري لتشكيل المدينة الكولونيالية المهيمنة .  
ويعد الفضاء والسكان مظهران أساسيان يجسد تطور هذه المدينة المستحدثة، ويجسد تطورهما، الترابط التاريخي والثقافي والاجتماعي، فهناك الفترة الأولى للاستيطان التي أحدثت تغييرا ديموغرافيا سريعا، إذ منحت أغلبية العنصر الأوروبي أساليبها لمحاكاة طريقة بناء الفضاء<sup>3</sup>.

وارتبط المجال السكني بالمدينة بمميزات خاصة، من حيث ثقافة الأفراد وأسلوب تفكيرهم، ونمط العلاقات بينهم، بحيث يتألف المجال الحضري من صنفين وهما: المجالين العائلي والإقتصادي، وتقوم بينهما علاقة تقاطع وتمفصل، وهذا التقاطع الحضري الثنائي ليس سوى انعكاسا مجاليا للمجتمع المزدوج الذي تبلور بعد الإحتلال والاستيطان والنزوح الريفي أي ساهم في تشكل مجتمعين متباينين أحدهما يرمز للحدثة والتقدم، وآخر ريفي جبلي يرمز للتقليد.

<sup>1</sup> Ichebouden larbi, Alger : Histoire et capitale de destin national, casbah édition, alger, 1997, p.208.

<sup>2</sup> Recueil Officiel des Actes de la préfecture de constantine .

Proper Alquier, Notices concernant Les communes du département de constantine1927, P.116

<sup>3</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص.238.

وتبقى الدراسات حول ظاهرة التمدن الحضري في المدن الاستعمارية جزئية، توفر معلومات قليلة على الرغم من توفر وثائق حول التعمير والتحويلات الناتجة عن انتشار الوحدات السكنية الحديثة في المراكز الاستعمارية التي أنتجت قطيعة مع الهوية المحلية وتاريخه، ذلك لأن المدينة نسيج حي ونظام حضري معقد تندمج وظائفه في كيان المدينة التي تتفاعل مع الحياة الجهوية لإقليمها<sup>1</sup>.

ويتبين من خلال دراسة القاطنين بسكيكدة سعة الدائرة التي تمول المدينة بشريا، وإذا كانت الهجرة الخارجية المصدر الأساسي للسكان الأوروبيين، فإن الريف والقرية أو ما يعرف بالدرسة يمثلان المصدر الأساسي للوافدين الجدد على المدينة<sup>2</sup>.

وتطور التعداد السكاني للمدينة من مرحلة لأخرى، ومن خلال التمعن في تعدادات السكان للمدينة، نجدها تتميز بقلّة البيانات وإفتقارها إلى الدقة والتفصيل معا التي تم جمعها في التعدادات الرسمية الخاصة بالسكن والسكان، ومن الوثائق البلدية كالسجلات اليومية وغيرها من المصادر الأخرى.

ومن العيوب التي لوحظت في هذه البيانات، أنها لم تفرق بين سكان المركز الحضري المحدود، وبين سكان البلدية أي سكان المدينة مع الضواحي، لذلك لا يمكن إعطاء صورة دقيقة ومفصلة عن عملية التحضر في بلدية سكيكدة.

ولهذا فإن نتائج التعدادات الرسمية التي أجريت في أواخر القرن 19م وأوائل القرن 20م تدعو إلى الشك في أرقامها، فيما يمكن الإطمئنان على نتائج التعدادات لسنوات 1936، 1948، 1954.

فقد شكلت الوظيفة المينائية إحدى أبرز الدعائم التي قام عليها النمو السكاني السريع بمدينة سكيكدة منذ أواسط القرن 19م، يعكس ذلك بصفة جلية التحولات الاقتصادية والمجالية التي طرأت على المدينة خلال النصف الأول من القرن 20م، وفي مقدمة تلك التحولات تركز النشاط الاقتصادي على الساحل، فإنه من جهة أخرى يندرج ضمن النتائج التي تمخض عنها النظام الإداري المخصص للمدينة في إطار الإقليم الشرقي للجزائر، وشكل ميناؤها دعامة كبيرة في بروز المدينة وتطورها<sup>3</sup>.

كان للتحول الديمغرافي تأثير إحداث تغييرات رئيسية بالمدينة التي انتقلت من مركزها القديم روسيكادا إلى مدينة فرنسية فيليب فيل لتحمل تحولا سوسيوثقافيا في مظهرها العام، ويرجع ذلك إلى أنها أصبحت مدينة أوروبية بطابعها العمراني، ومدينة كولونيالية عن طريق تركيبة سكانها، حيث غالبيتهم تمثل عناصر أوروبية، وكذلك عبر فضائهم المعزول وعبر وظائفهم الرسمية من جهة أخرى، وكيف أن الاحتلال والإنتاج للمدينة اتبع المتغيرات الديمغرافية المشكلة للمجتمع الكولونيالي.

<sup>1</sup> عويضي عادل، المدينة العربية الإسلامية والمدينة الأوروبية، مجلة العلم والتكنولوجيا، عدد 27، جانفي 1992.

<sup>2</sup> قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة: المدينة والمجتمع، المرجع السابق، ص.164.

<sup>3</sup> طنجة في التاريخ المعاصر 1800-1956، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط، بالتعاون مع جامعة عبد المالك السعدي ومدرسة الملك فهد العليا للترجمة طنجة، ص7

إن المتطلبات الموضوعية لبناء مدينة كولونiale يستوجب أن تتطابق مع العناصر المحددة للفضاء والسكان والوظائف والعدد نفسه الذي ينطوي على تغييرات أخرى للنظر في الممارسات والقيم الجديدة<sup>1</sup>. تعد فترات حركة الهجرة من الريف إلى مدينة سكيكدة، فترات التعبئة السياسية للأهالي، وهكذا فإن الأعوام 1919، ولاسيما عام 1930 و 1931 تقابل هجرة جماعات كثيرة من الفلاحين. وارتفعت نسبة سكان سكيكدة في الثلاثينات من القرن 20م من الشعب المسلم من 14% إلى 16%، لكي تبلغ ذروتها في عام 1948 وتصل 20%، وظلت هذه النسبة ثابتة حتى عام 1954<sup>2</sup>. والحق أن التزايد الديمغرافي عندما يزيد من حدة اللاتوازن بين الأوروبيين والأهالي المسلمين يزيد في خطورة أوضاع السكان المسلمين الذين يرون بأن الأراضي التي يملكونها تقل بنسبة 5% في الفترة الفاصلة ما بين 1939 وبين عام 1954.

وتتجلى نتائج هذا التطور في زيادة الهجرة من الريف بإطراد نحو مركز المدينة، وارتفاع معدل البطالة فيها، وبصورة خاصة فإن الفارق المتزايد بين الرفاهية المتزايدة للشعب الأوروبي والبؤس المتزايد للشعب المسلم هو الذي يعمق الهوة بين الفئتين<sup>3</sup>.

لقد خرجت المدينة من مركزها خارج أسوارها نحو أحياء جديدة في بني مالك، وضاحية الأمل التي أنطلقت بها المشاريع الصناعية والتجارية الأمر الذي خلق مشاكل تمويل المدينة بالمياه، في الوقت نفسه ازدادت المخاوف من تصاعد الأوبئة مع توسع النشاطات والتعمير داخل المدينة ونحو الضواحي، ولهذا طالب نائب دائرة سكيكدة<sup>4</sup> بحتمية انجاز سد زردازة في عام 1903<sup>5</sup>.

وتعد هذه الكثافة مرتفعة نسبيا، وهذا على اعتبار أن سكيكدة ميناء طبيعي لقسنطينة من جهة، ومن جهة أخرى تعتبر ضواحيها من مراكز زراعات البقول، والكروم، الحمضيات. إن أي دراسة جادة تتناول موضوع السكان لأي مجتمع أو مدينة تقتضي من الباحث أن يشير إلى الجانب التاريخي لها من أجل التعرف على مختلف مراحل تطور سكان لكل فترة معينة قبل الاحتلال الفرنسي للمدينة وخلالها، والعوامل المساعدة على تزايد عدد سكانها أو انخفاضه.

<sup>1</sup> Ibid, Ichebouden, Alger, p.20

<sup>2</sup> سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح، دراسة في تاريخ الحركة الوطنية والثورة المسلحة الجزائرية، ترجمة محمد الجمالي، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، وزارة لمجاهدين، الجزائر 2002، ص. 63.

<sup>3</sup> سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح، المرجع نفسه، ص. 64.

<sup>4</sup> فاسطون طومسون Thompson Gaston أبين معمر أرنولد طومسون الذي شارك في الحملات الفرنسية بالجزائر 1841-1844، وقاسطون من مواليد وهران في 29 جانفي 1848، توفي بعنابة 14 ماي 1932، حيث استقر فيها وأصبح نائبا لدائرة قسنطينة لمدة أكثر من 55 سنة، يعد من المقربين لتيار قامبيطا أهم شخصيات الجمهورية الثالثة الفرنسية، وأهم زعماء التيار الراديكالي الاشتراكي في الجزائر، تولى وزارة البحرية بين سنتي 1905-1908، ثم وزارة التجارة والصناعة والبريد 1914-1915، ومالك لجريدة الزرامنة عام 1910، ينظر:

Thompson Gaston, Cirta Revue historique et sociologie de constantine, 5<sup>eme</sup> Année, N:8/9, Dec1983,p.46.

Wikipedia, Encyclopedie Libre, Thompson Gaston.

<sup>5</sup> Hubert Groud : Le barrage des zardézas



ففي الفترة الأولى قبل الاحتلال الفرنسي التي تمثل الحلقة المفقودة في ميدان الإحصاء، إذ لا توجد أي إحصائيات تبين عدد السكان الفعلي في المدينة.

وتبين الدراسة التاريخية بأن سكيكدة، تضم تجمعات سكنية صغيرة كالأرياف وخاصة بالمناطق السهلية أو على حواف الوديان تقطن بها قبائل عرب سكيكدة، وبني مهنة، وبني بشير شرقا إلى جانب قبائل الزرامنة والمجاجة وأولاد نوار والثعابنة غربا، كذلك قبائل القل الشرقية والغربية.

إن المنتبِع لنمو السكان المدينة يلاحظ التغيير الحاصل لتعداد سكانها من فترة لآخرى، رغم أنه ليس له وثيرة محددة، ويتضح أحيانا ارتفاع معدلات النمو وأحيانا أخرى تتخفُض نتيجة لوجود عدة متغيرات أثرت في نمو السكان المتباين في أغلب الأحيان.

ونجد من خلال منحنى التطور السكاني للجزائريين والأوروبيين، وطوال مدة قرن من الاحتلال 1838-1938 سيطرة السكان الأوروبيين على المدينة.

وتعتبر المواليد والوفيات بمدينة سكيكدة من أهم العوامل المؤثرة في التغيرات السكانية للمدينة والزيادة الطبيعية للسكان، لكونها منطقة استقطاب لليد العاملة من مختلف نواحي منطقة سكيكدة<sup>1</sup>.

ويمكن تفسير الأسباب التي أثرت على انخفاض نمو السكان في فترة نهاية الحرب العالمية الثانية حتى قبل بداية الحرب التحريرية عام 1954 التي بلغ معدل النمو خلالها 2% إلى الأسباب التالية:

\* النقص المسجل في عدد المواليد نتيجة الظروف الصعبة التي يعيشها السكان من جراء مخلفات

الحرب: تراجع نسب الزواج، حدة مشاكل السكن التي واجهت الجزائريين.

ارتفاع في نسبة الوفيات بين السكان بسبب انخفاض المستوى المعيشي، يقابلها ارتفاع أسعار المواد الغذائية (القمح، الزيوت، اللحوم..).

\* سياسة الحد من الزيادة السريعة للسكان، والتقليل من تعداد الأسرة الواحدة بسبب تكاليف المعيشة الباهظة من جهة، ونقص الرعاية الصحية للسكان خاصة بعد تشكل الأحياء الفقيرة على حواف المدينة.

وتميزت الفترة المولية التي أعقبت اندلاع الثورة الجزائرية لغاية الاستقلال، حيث ذهب ضحية هذه الحرب العديد من السكان خاصة عقب أحداث 20 أوت 1955، رغم ذلك تزايد معدل نمو سكان المدينة، ويرجع ذلك لعدة أسباب يمكن حصرها كالآتي:

\* الهجرة السكانية المكثفة لسكان المناطق الجبلية والناحية التي عانت من سياسة الأرض المحروقة مما

نتج عنه ظهور أحياء الصفيح في ضواحي المدينة.

\* ارتفاع معدلات الزواج نسبيا مما ساعد على ارتفاع معدلات الخصوبة.

\* تحسن الظروف المعيشية على حد ما بعد انجاز شطر كبير من مشروع قسنطينة الاقتصادي في

<sup>1</sup> فيلالي سمير وجمال، عزيزي عثمان، رباح السعيد، إعادة تنظيم وتطوير مدينة سكيكدة، المرجع السابق، ص. 46.

محاولة من السلطات الفرنسية كسب سكان المدن لصفها، خاصة فرص العمل، والسكن.

\* ارتفاع نمو السكان بشكل كبير، نتيجة لمتغيرات بيئية وفيزيولوجية واقتصادية واجتماعية.

وكان الفقر المدقع هو مصير غالبية السكان المسلمين<sup>1</sup>، وهذا إلى جانب ذلك فإن الأهالي ملزمين بدفع ضرائب ثقيلة لصالح الأوروبيين جعلتهم يعانون من العجز في تسديدها<sup>2</sup>.

حاول الاستعمار الفرنسي أن يصب في المجتمع الجزائري أعدادا كبيرة من الأوروبيين في الثلث الأخير من القرن 19م، ويخصهم بالسلطة السياسية والثروة الاقتصادية مما جعل الجزائريين يقاومون هذا الوضع بكل الطرق الممكنة منها السلمية، حيث هلك منهم الآلاف في المجاعات والأوبئة، وذهب معظمهم في الريف ضحية القوانين الجائرة، وأعمال التخريب والتشريد، بينما أخرج سكان المدن من ديارهم، وأصبحوا يعيشون في المنفى.

ولم يبق للمجتمع الريفي إلا العادات والتقاليد التي حافظت على الرمز الأخير من الحياة، وكان في حاجة إلى إصلاح جذري الذي عانى من المحن القاسية<sup>3</sup>، وكان سكان الريف في الجزائر يحيون حياة صعبة، يكتفون بالخبز والماء والثياب الرثة في معظم الأحيان<sup>4</sup>.

ورغم التزايد العددي للشعب المسلم في النصف الأول من القرن 20م فإنهم ظلوا يعيشون حياة هامشية عام 1954، وأصبحوا يشكلون أكثرية سكان المدينة، ولكنها في الحقيقة هي أقلية اقتصادية وسياسية، ولهذا ازداد عدد العاطلين عن العمل أو العاملون بأجور ضعيفة لا تكفي متطلباتهم.

دفع الوضع القائم للهجرة الريفية، وجعل الفلاحين يتجهون صوب المدن بحثا عن العمل، والبعض الآخر للهجرة إلى فرنسا، وكان مصير الأطفال البؤس وسوء التغذية وافتقار معظمهم للتعليم<sup>5</sup>.

إن البيض الصغار المدللين في الجزائر انغمسوا في خضم العنصرية التي انتحلها آبائهم وتشبعوا بمبادئها، كذلك تزعجهم الديمقراطية، وخصوصا أنهم قابلون للعدوى فيصابون بسهولة بهذا الداء، لا تقيهم منه ثروتهم ولا تقنياتهم ولا ثقافتهم، ولذا تراهم يندرعون بالعنف والتمييز العنصري<sup>6</sup>.

وأعطى قانون سنة 1889 الجنسية القانونية للأطفال الذين يولدون في الجزائر من والدين أجنبيين سمح لمعظم الأوروبيين بالحصول على الجنسية الفرنسية. ويشكل الأوروبيون الاغلبية السكانية في المدن الرئيسية، نتيجة تأثير الهجرات الخارجية من أوروبا الجنوبية خصوصا. وظل السكان لأوروبيون فيها يتغلبون عدديا على المسلمين بها لغاية عام 1918<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> بوعزيز يحي، سياسة التسلط الاستعماري، المرجع السابق، ص 56.

<sup>2</sup> سعيدوني ناصر الدين، الجزائر، منطلقات وأفاق، المرجع السابق، ص 37.

<sup>3</sup> الأشرف مصطفى، الجزائر، الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص 22.

<sup>4</sup> الزبير العربي، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط1، 1984، دار البعث، ص 44.

<sup>5</sup> سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح، ص 169.

<sup>6</sup> فرحات عباس، الليل الاستعماري، المصدر السابق، ص 39.

<sup>7</sup> جيلبسي جوان، ثورة الجزائر، ترجمة عبد الرحمن صدقي، مراجعة راشد البراوي، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ص 45.

ومع بداية النزوح الريفي نحو المدينة منذ سنة 1881 تضاعف عدد سكانها تقريبا في بداية القرن 20م، حيث عرفت المدينة نفس نموذج التطور ونفس الخصائص الديموغرافية<sup>1</sup>.

وسنقدم قراءة لبعض المعطيات الرقمية للسكان الحضريين للمدينة، ومدى تأثيرها على السياسة الحضرية واستمراريتها من خلال التزايد السكاني للمدن، والدور الشكلي الذي حصر فيه المجتمع الجزائري، على الرغم من أن الناحية النظرية، يمكن للتوازن الديموغرافي أن يؤدي أحيانا إلى تحويرات في ظروف وطرق التعايش، مثل مراجعة السياسة الحضرية والتمثيل الأكثر فعالية ومراقبة النظام الحضري وتحالفاته.

وحسب الدراسات الديموغرافية الميدانية التي انجزها الدكتور ريني ريكوس سنوات 1875-1881، بتوجيه من برتيلون<sup>2</sup>، فقد تضاعف عدد سكان المدن، عرفت بسرعة ظهور أحياء جديدة، وهكذا دلت احصائيات 1896-1926 على زيادة ديموغرافية معتبرة التي تكشف عن تطور في جميع القطاعات الحضرية للمدينة<sup>3</sup>.

وتمكنت الجالية الأوربية من السيطرة على أهم النشاطات الاقتصادية في البلاد بموجبها احتلت مركزا اجتماعيا مهيما، وظل الطابع العام الذي يميز هذه المجموعة هو الانغلاق على نفسها، والتعصب والعنصرية الشديتان ضد الجزائريين باعتبارهم يشكلون خطرا على مستقبل وجودها في الجزائر بسبب موقفها العدائي<sup>4</sup>، الأمر الذي شكل مجتمعين يتميز كل منهما عن الآخر.

شكل عام 1954 بداية القطيعة بينهما بعد تأييد غالبية المسلمين الجزائريين للثورة التحريرية إلى درجة الفشل في الإتصال بين المستوطنين والجزائريين بسبب اختلاف المواقع الجغرافية، والثروة، وضروب النشاط الاقتصادي، واختلاف مستويات التعليم والثقافة<sup>5</sup>.

وفي المقابل نسجل بأن أفراد الجالية الأوربية يتنافرون عرقيا، ويتنافسون اقتصاديا، فيما بينهم بسبب اختلاف جنسياتهم لأنهم خليط من مختلف البلدان الأوربية، إلا أنهم في مواجهة الجزائريين نجدهم يتكثرون، ويوحدون موافقهم اتجاههم بقصد حرمانهم من كل تطور ممكن، يسمح لهم بتحسين أحوالهم، ولا تختلف ظاهرة التعصب والعنصرية ضد الجزائريين عند الطبقة العاملة من أصل أوروبي، رغم تعرضها مثل الجزائريين الاستغلال من الإقطاعيين والرأسماليين الأوربيين، إلا أنهم ينظرون إلى الطبقة العاملة الجزائرية، كمنافس يهدد امتيازاتها من ناحية الأجور وفرص العمل، ويتمتع أفرادها بالضمانات الاجتماعية.

<sup>1</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص. 248.

<sup>2</sup> Bertillon professeur de démographie.

<sup>3</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص. 217.

<sup>4</sup> تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية 1931-1955، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975، ص 88.

<sup>5</sup> جيلبسي جوان، ثورة الجزائر، المرجع السابق نفسه، ص 43.

وعملت الجالية الأوربية على محاربة كل إصلاح يستهدف الرفع من مستوى الجزائريين تمثيلا وحقوقهم، وتركهم في المركز الأدنى من السلم الاجتماعي يعيشون على هامش الحياة في المدينة<sup>1</sup>. كان الفضاء الحضري بسكيكدة مليئا بالمظاهر التي تفتك بالمجتمع كبيوت القمار والحانات والدعارة، وأصبحت عصابات الأحياء<sup>2</sup> تفرض قواعدها على الناس، ولم تكن لأبناء المسلمين فرص النجاح في حياتهم المهنية والاجتماعية إلا في المجالات الهاشمية<sup>3</sup>.

إن انعدام الاندماج وعدم الاهتمام، بخصوصيات الآخر جعل المجتمعين غريب عن بعضهما البعض في وقت الذي يتقاسمان فيه فضاء نفس المدينة.

إن التعايش هو احد الاسباب الخطيرة للأزمة الحضرية، تعايش أوجد مجموعات بشرية في المدن المكتظة بالسكان من خلال معتقداتهم وأخلاقهم وغالبا مصالحهم<sup>4</sup>.

وكان المجتمع الجزائري في المدن خاصة، يشهد ابتداء من مطلع القرن العشرين تحولا هاما يدل على أن سكانها لم يكونوا ينفرون من التقدم والتجديد، بل من الواقع الاستعماري المرير<sup>5</sup>. كان هناك حياة اجتماعية داخل المدينة الاستعمارية تطبعها السيطرة ونتج عن أشكال الصراع الحضري، وجود مجتمع مقهور أمام كيان استعماري، وكذلك الممارسات المدنية للفئات الاجتماعية.

استنتاج العناصر الهامة لوضعية المسيطروالمسيطرة عليه في الوسط الحضري، وأثارت هذه الوضعية بفعل ديمومتها وتوطدها، ردود فعل لدى السكان المسلمين، حيث أن كفاحهم من أجل البقاء وبحثهم عن سبيل التعبير عن وجودهم، كان دائمين، وكان الاقصاء والرفض أو التهميش الذي ثبت حوافز الأهالي في كفاحهم المتواصل، وساهم هذا الوضع على تنظيم بنيتهم الاجتماعية والسياسية ضد النظام الحضري المفروض وكأداة للتعبير عن رفضه.

وتؤثر الخاصيات السكانية الحاصلة في المدينة، تأثيرا مباشرا، ليس فقط على انتاج الفضاء الاجتماعي فحسب، بل أيضا على اشكال العلاقات الاجتماعية في المدينة. ويمكن ترتيب مبررات الزيادة الديموغرافية إلى مجموعتين من الاسباب المتعارضة من حيث طبيعتها (البؤس والرخاء) ومن خلال هدفها (البقاء والترقية الاجتماعية)، زيادة عن الجذب الذي تمارسه المدينة (صورة-وهم أو مخرج) ووفقا للوضيعات والاستراتيجيات الفردية تضاعفت الهجرات الاوربية نحو المدينة من جهة، لأنها تستجيب لمطلب المخرج نحو وضعية اجتماعية مغايرة (جديدة) سكن بالنسبة للأوروبيين المعنيين<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> تركي رابح، التعليم القومي، المرجع السابق، ص 89.

<sup>2</sup> عصابات الأحياء الشعبية (كعصابة الثلاثة عشر في الحي العربي، وعصابة الأوراس بأعالي المدينة).

<sup>3</sup> تعممت ممارسة الرياضات الفردية أو الجماعية ضمن الفرق الأوربية لكرة القدم والملاكمة، والكرة الحديدية والسباحة والتنس.

<sup>4</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص 363.255.

<sup>5</sup> غالم محمد، من أرشيف الإدارة الاستعمارية في الجزائر، الوثائق الفرنسية والهجرة إلى الديار الإسلامية، مجلة انسانيات عدد 12، سبتمبر-ديسمبر 2000، الجزائر، ص 34.

<sup>6</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص 347-346-249.

وكتبت الصحيفة الإيطالية الكومينستو<sup>1</sup> عام 1959: (كان الأهالي الذين لا يذهبون إلى فرنسا ينتقلون نحو المدن الكبرى للجزائر، .. وأن المعمرين كانوا يقفون بوحشية في وجه كل محاولة تحسين للوضعية الاجتماعية للأهالي)، أي رفض لأي مكانة داخل المجتمع الكولونيالي<sup>2</sup>.

نستخلص من خلال ما تم عرضه بأن المجتمع الأهلي لمنطقة سكيكدة تأثر بعلاقاته بالمتغيرات التي حملها النظام الاستعماري في المدينة ومحيطها، حيث تغيرت أنماط حياته وأنشطته تحت ضغط السياسة الاستيطانية القائمة على نزع الأراضي وتفكيك المجتمع القبلي واستئصال الجماعات الريفية، وهي سياسة تحمل في أبعادها الاجتماعية محاولة تغيير التركيبة الاجتماعية وخلق حدود اصطناعية بين القبائل والمداشر مستهدفة بذلك سلب القرويين أراضيهم وثقافتهم وروابطهم العائلية ليجدوا أنفسهم يواجهون أشكال فضائية جديدة وقيم متغيرة، حيث يعيشون في المدن العمرانية المشيدة من طرف المحتلين<sup>3</sup>، وهي نتاج ذلك التفاعل بين الثنائية (الإنسان الأوروبي- المحيط الجزائري) في عملية تغيير دائمة ومستمرة وما يقابلها من (مجال حضري مستحدث- قيم جديدة).

<sup>1</sup> El communisto

<sup>2</sup> بن علي نبيل، الأراضي الجزائرية من قانون فارني إلى ثورة الخماسين، مجلة الحدث العربي والدولي، عدد خاص الثورة الجزائرية، ص.82.

<sup>3</sup> Boutefnouchet Mustapha, *La Culture En Algerie. Mythe Et Réalité*, SNED, Alger, 1982, P.46.

العمارة وال عمران في المدينة

المبحث الأول: التطور العمراني.

المبحث الثاني: المعالم المعمارية.

المبحث الثالث: الأحياء الأوروبية والعربية.

المبحث الرابع: شوارع المدينة ودلالات أسمائها.

### المبحث الأول: التطور العمراني:

التعريف بمجال الدراسة مدينة سكيكدة- فيليب فيل- التي تتربع حاليا على مساحة تقدر 1697,86 هكتار حاليا<sup>1</sup>، ويبلغ ارتفاع المدينة 42 م فوق مستوى سطح البحر، يحدها من الشمال البحر المتوسط التي تطل عليه عبر الميناء، ومن الغرب السفوح المتوسطة الانحدار لكل من جبال بويغلا ذات الارتفاع 160م، بني مالك، بولقروود التي تقل انحدارها كلما اتجهنا جنوبا نحو سهل الزرامنة، ومن الجهة الشرقية منحدرات جبل موادر، ومن الجنوب كدية الزفزاف التي تتراوح ارتفاعها بين 100م-150م.

وفوضت طبيعة الموضع الوعرة وبشكل خاص في الشمال نموذجا عمرانيا متسلقا وشوارع شديدة الالتواء محدودة الاتساع التي اثرت على مجالات الخدمات والنقل والمواصلات والشبكات التقنية. تعتبر الجبال العنصر الأكثر تأثيرا على تنظيم المجال العمراني للمدينة، وتشغل أكبر نسبة من مجال المدينة، فجبل الموادر يمتاز بوضع شبه دائري، يبلغ ارتفاعه 164م، ينتهي من الناحية الشمالية بمنحدر صخري شبه عمودي، والجزء الباقي منه يشكل سفوحا محددة ذات انحدارات.

يشكل واد الزرامنة ممر طبيعي يلتقي مع وادي الصنصاف في شرق سكيكدة قبل 2 كلم، مكونا مجموعة من المستنقعات تم استصلاحها وهو محاط بإطار جبلي، ومع توسع مدينة سكيكدة قسم كبير من مصاطب الزرامنة تم استهلاكه عمرانيا من الجهة الجنوبية للمدينة.

يتوفر موضع سكيكدة على الحصانة الطبيعية الذي يقف كعائق كبير في وجه التوسع العمراني في أن واحد. فمخفض الزرامنة التي كانت تسكنها قبيلة الزرامنة، يتميز بأنه فيضي خصب رغم صغره، حيث يصل عرضه في المتوسط إلى 1 كلم لذلك تزدهر فيه زراعة الكروم والحمضيات، ومنخفض وادي الزرامنة عبارة عن وادي ضيق طوله حوالي 20 كلم، يقع إلى الجنوب الغربي من المدينة، ويعبر به شرق سكيكدة نحو الداخل، إذ تمر به شبكة طرق واسعة منها الطريق الوطني الرابط بين قسنطينة وسكيكدة من جنوبها، بينما في الغرب ترتبط سكيكدة مع مدينتي القل وجيجل.

لا تشكل المعطيات المناخية المتوسطة عائقا في عملية البناء والتعمير، كما أنها لا تفرض شكلا معيناً من التخطيط، إذ أنها تسمح بانفتاح المباني على الخارج وبرسم الطرق وفقا لأي اتجاه، غير أن عنصر الرطوبة يفرض بعض التقنيات اللازمة في عملية البناء<sup>2</sup>.

إن تراكم المدن الحديثة من ناحية الموقع وعلاقة أجزاءها وارتباطها بالمحيط المجاور يكون معقدا ومتعلقا بعدد كبير من العوامل المؤثرة على المدينة وتخطيطها التي بمجموعها تؤدي إلى إيجاد الحلول لهذه المسائل الحيوية في تنظيم وتخطيط المدن، إلى جانب الظروف المساعدة، لها أهمية جوهرية في

<sup>1</sup> مديرية التعمير والبناء لولاية سكيكدة.

<sup>2</sup> [Omranet.com](http://Omranet.com), Site Internet.

اختيار بناء المدينة ونظام تخطيطها<sup>1</sup>. فالتخطيط الحضري يعالج العمليات القانونية أو المالية التي تسمح للجماعات العمومية بمعرفة تطور المجالات الحضرية وفضاءاتها وفرضيات التهيئة التي تتركز على دراسة المعطيات الطبيعية، حيث يلعب المخططون دورا كبيرا في إعادة صياغة حياة المدينة عبر محاولاتهم يؤدي إلى تغيير الأساليب لمعالجتها، ويركز على الحيز الفيزيقي للمدينة شوارعها وطرقها ومبانيها وساحاتها، مهتمين بالعناصر المادية الطبيعية، وتكونت مفاهيم عديدة في أصول التخطيط الذي يعد عملية شاملة، هذا على اعتبار أن المدينة حيز شمولي كلي مشتمل على العناصر المكانية والموضعية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية والثقافية لتشكيل المجتمع الحضري بها<sup>2</sup>.

ويعتقد أن نواة المدينة تتوضع في مكان مجرى ضيق لا يتعدى عرضه 41م، كان في وقت مضى عبارة عن سرير مهجور كان يجري به واد الزرامنة، الذي غير مجراه ليلتحم بواد الصفصاف شرقا ويكون أحد أهم فروعها. ولم يجد الفرنسيون بدا عند مجيئهم في القرن 19م من اختيار ذات الموضع لإقامة المدينة الحديثة، المطلة على البحر المتوسط من الشمال ومع سهل الزرامنة من الجنوب، حيث يمكنها أن تنمو وتتوسع فيما بعد، وتوفرت عوامل تاريخية وأمنية وإستراتيجية وتجارية وبشرية لاختيار موضعها في تلك الفترة، مع وجود دواعي لإقامة مدينة مرتبطة بالميناء<sup>3</sup>. كانت في الأصل قرية أو نواة عمرانية قديمة، فأقام المعمرون بها قصد الإستيطان والإستيلاء على أراضيها الخصبة، ولإقامة التكامل بين المدينة وإقليمها الريفي، حيث للمدينة نفوذ عقاري واسع عليها بإعتبارها ستصبح مقر دائرة، ومركز هام لإستقطاب السكان نحوها للعمل أو الإستقرار أو التسويق وجلب حاجيات هذه المدن والمناطق<sup>4</sup>. فكانت أنقاض مدينة روسيكادا هي وجهتهم، أين انشئوا بها مدينتهم الجديدة التي أطلقوا عليها في بادئ الأمر ميناء فرنسا ثم تحول اسمها فيما بعد إلى فيليب فيل<sup>5</sup>.

وفي السابق، حاول الرومان الاهتمام عند اختيارهم لموضع المدينة بتخطيط يتماشى فيها طبوغرافية الموضع وشدة الميل مع العمران المنجز وفق تخطيط المدن الرومانية، ولا سيما المحورين أو الشارعين الرئيسين للمدينة الذي يمتد أحدهما هو كاردو<sup>6</sup> باتجاه شمالي جنوبي متعامدا مع الدوكيمانوس<sup>7</sup> باتجاه شرقي غربي، فبالنسبة للكاردو يمتد مع طول الشارع الرئيسي للمدينة، وفي هذا الصدد يصرح

<sup>1</sup> ريبوح بشير، أهمية العوامل المناخية والطبيعية في تخطيط المدينة، مجلة العلوم الانسانية، قسم الهندسة المعمارية، مجلة العلوم الانسانية، عدد 25، جامعة منتوري-قسنطينة، 2006، ص. 179.

<sup>2</sup> أبو عياش عبد الله، أزمة المدينة العربية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط، 1980، المرجع نفسه، ص 87.

<sup>3</sup> حمادة صالح، مدينة سكيكدة في جغرافية الحضر، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، مصر، 1979، ص. 5-80.

<sup>4</sup> حمادة صالح، دراسة في جغرافية المدن حول مدينة سكيكدة، المرجع نفسه، ص 249-250.

<sup>5</sup> [Omrnet.com](http://Omrnet.com), Site Internet.

<sup>6</sup> كاردو Cardo

<sup>7</sup> الدوكيمانوس Documanus



قريني:<sup>1</sup> (على طول الشارع الرئيسي يمكننا بإجراء حفر بسيط بالمعول للحصول على بقايا آثار مهمة، وعلى هذا الشارع وأمام المسرح الحالي وتحت توجد قاعدة لبناء واسع هو مبنى الكنسية).

ومن المعروف أنه في المدن الرومانية يتقاطع المحوران الرئيسيان (الكاردو، والدوكيمانوس) عموماً عند الساحة الوسطى أو الفوروم. وكانت روسيكادا تعتمد في بنائها على المواد المتوفرة بالمنطقة، من حجارة ومواد أولية أخرى كالمادة الخزفية جنوب المدينة، كذلك الرخام الأبيض والملون المستخرج من جبل فلفلة شرق المدينة على بعد 23 كلم.

ونجد بسكيكدة حسب قريني ما يعرف بالدوكيانوس في الشارع المستعرض الذي يمتد في خط مستقيم من المسرح الروماني القديم غرباً حتى ساحة الزواوة شرق المدينة ويحادي الجهة الجنوبية لساحة كارنو، حيث كانت توجد كنيسة سانت فيليب. وتكونت شبكة الطرق الرئيسية في المدينة بطريقة تتأثر بالتكوينات العامة للمدينة الرومانية، حيث تتقاطع الشوارع المستعرضة مع الشارع الرئيسي بشكل عمودي، وتحكمت في توزيع مخطط المدينة القواعد الأوروبية لتسهيل حركة المرور في شوارعها ويكفل توصيل الخدمات إلى قاطنيها، وشيدت المباني والشوارع في اتجاه الكاردو خاصة في القسم الأوسط منها، حيث يسود التخطيط الهندسي الذي يتكون من مستطيلات طول أبعادها 30×70م لهذا جاءت شوارع المدينة ضيقة ومتعرجة في بقية الأحياء، وهذا نتيجة لموضعها وقلة المساحة الملائمة.<sup>2</sup>

نشأت المدينة كظاهرة حديثة مع الثورة الصناعية وما أفرزته هذه من استراتيجية اجتماعية داخل فضاءاتها الحضرية من خلال توزيع مساحتها إلى أماكن للعمل، للسكن، للتجارة، مركز وهامش، وسط وضاف أو ضواحي، أحياء متنوعة التي تعبر عن ذاتية المجتمعات وأسلوب حياتهم.

وتمثل المدينة فضاءاً متنوعاً تضم مجموعة من البنايات يسكنها عدد من السكان يشتغلون في نشاطات مميزة، إذ تختلف عن القرية من حيث الطبيعة الاجتماعية والاقتصادية، وكذا من حيث العدد البشري ونوعية العلاقات الجماعية والعائلية مع اعتبار المدينة بنية متعددة مؤسسة على التبادلات التجارية والإدارية والتواصل الإعلامي، فإنها تملك هوية تحدها.<sup>3</sup>

استفادت سكيكدة من موقعها الجغرافي الأمر الذي ساعدها على تطور مجالها العمراني، ويرجع إلى أن مركزها الحضري ينحصر ضمن منطقة سكيكدة الواقعة في الناحية الجغرافية من الجنوب بالمرتفعات النوميديّة<sup>4</sup>، والتي تقع المدينة شمال دائرة سكيكدة<sup>5</sup> إدارياً.

<sup>1</sup> Grenier A, Note sur la topographie et quelques monuments antiques de rusicade, bulletin de S.A.C, p.52.

<sup>2</sup> حمادة صالح، المرجع السابق، ص.38-39.

<sup>3</sup> داود محمد، المدينة في الرواية الجزائرية، الفضاء القسنطيني في رواية الزلزال، مجلة إنسانيات، العدد 13، جانفي-أفريل 2001، ص.28.

<sup>4</sup> السلسلة النوميديّة تشمل: جبل سيدي إدريس 1364م من الجنوب الغربي، بينما جبل ساسنو 704م من الجنوب الشرقي.

<sup>5</sup> دائرة سكيكدة Sous Préfecture منذ 31 جانفي 1848، وأصبحت سكيكدة بلدية ذات صلاحيات واسعة عام 1842.

قام الجيش الفرنسي بإعادة بناء مركز روسيكادا القديمة باستخدام نمط عمراني يتلاءم مع طابع سطحها ويستجيب مع رغباتهم في جلب وافدين جدد نحوها للاستقرار داخلها.

فحدثت تغييرات جذرية في المواضع الحضرية للمدينة التي خضعت إلى تهيئة مجالية جديدة بها بما يتناسب مع طبوغرافيتها المميزة لها، كالتضاريس المتقطعة والانحدار الشديد، وفوارق الارتفاع الهامة بين أعالي المدينة والأحياء السفلى الملتفة حول الميناء، وخلقها بها تجمعات حضرية جديدة<sup>1</sup>.

فقد بنيت المدينة الفرنسية فوق المدينة الرومانية المبنية بدورها فوق المدينة الفينيقية التي مازال الجزء الأكبر منها مطمورا، وما تزال بعض أثارها الجنازية في أعالي سطورة، بدورها لم تسلم من الهدم الذي لحق بناياتها القديمة التي كان قائمة بأسطورة قبل الاحتلال الفرنسي، وعوضت بقرية جديدة استيطانية ذات الأسلوب الصقلي من طرف المحتلين لاستقبال جالية صقلية تمتهن قطاع الصيد البحري.

وبنيت سكيكدة مجال الدراسة ضمن خريطة إدارية تتناسب مع مخططها الجغرافي حيث تحدها من الغرب مجموعة جبال صغيرة ذات أشجار مسقية بوديان، أهمها واد قبلي في الجهة الغربية. وأما الشرق تحد المدينة مجموعة من التلال الكثيفة الشجر والمتصلة بمنخفض واسع يضم واد فندق ورجاتة والعجول، ومدن ذات تسميات فرنسية (بايار<sup>2</sup>، لانوي، جيماب)، وأخيرا الوسط الذي هو عبارة على سهل كبير يرويه واد صفصاف الذي ينحدر في جنوب شرق السلسلة النوميديية ويتضخم بالتقاءه بأودية الزرامنة وعمور في الشمال وينتهي هذا السهل بمستنقعات بساحل منخفض ممتد على طول 15 كلم إلى الشرق 5 كلم ناحية سطورة، بينما تنتهي المرتفعات الشرقية بانحدار نحو البحر (جبل فلفلة).

بعد تشييد المدينة على عجل، شهدت تحول عمراني متسارع في مبانيها المختلفة وفق النمط الأوروبي الطابع، تستجيب لموضع هذا المركز وطبوغرافيته الجبلية المتسلقة، وانفتاحه على البحر المتوسط الذي تعبره مجاري مائية بين تلاله المحيطة بين جبلي سكيكدة-المودر شرقا، وبويعلى غربا التي اختير لها تسمية فرنسية فيليب فيل<sup>3</sup> تم تزويدها بقنوات المياه لمصلحة المستوطنين.

فالمدينة هي شكل متداخل ذاتيا، وتأويل لتنظيم هذا الفضاء المتأسس على ثلاثة عناصر هي: هوية المكان، بنية عناصره وكذا دلالاته الوظيفية والرمزية، ويتم معاينة المدينة من خلال ثلاثة مستويات إدراكية مختلفة تتعلق بالنظر والتذكر والتمتين<sup>4</sup>. فنكتسب المدينة عدة خصائص تميزها كمجال بحري متوسطي، فضلا عن كونها مركز حضري مهم ضمن الشبكة الحضرية الاستعمارية في الجزائر، وظلت

<sup>1</sup> تراون جان فرنسوا، المغرب العربي، نفس المرجع، ص. 130.

<sup>2</sup> بايار Bayar إحدى قرى شرق دائرة سكيكدة بالقرب من جيماب (عزابة حاليا) وتبعد عنها 5 كلم، وأطلق عليها أحمد بن علي قريية منها قرية فوي Foy سيدي ناصر على مسافة 3 كلم في الضفة الشرقية لواد فندق، ينظر:

Histoire Bayard, un article de encyclopédie de l'AFN.

<sup>3</sup> فيليب فيل Philippeville نسبة إلى ملك فرنسا لويس فيليب تمجيد له، حيث أخذت شوارعه أسماء من عائلته وزوجته إيميلي

<sup>4</sup> Collectif, Représenter la ville, paris éditions communica, 1995, p.5-14

سكيكدة من أهم البلديات التي شكلتها السلطة الفرنسية، وتعد قطبا اقتصاديا وتجاريا بارزا، حيث حافظت على دورها المرفيء ووظيفتها الأساسية لتصدير الموارد الفلاحية وبعض المعادن الطبيعية نحو فرنسا. تكتسي الشبكة الهيدروغرافية في منطقة سكيكدة أهمية بالغة خاصة فيما يتعلق بتوسع المراكز الاستيطانية، مستفيدة من وجود أودية الصفصاف، الزرامنة، واد الوحش، بني مالك، القصب، قبلي.. وتتميز المجاري المائية بكونها موسمية الجريان، يزداد منسوبها عند نزول الامطار فتحدث فيضانات فوادي الزرامنة مثلا الذي يجري في القسم الجنوبي للمدينة يتحول في فصل الصيف إلى مصدر الأوبئة. يعتبر الموضع من العناصر المهمة في دراسات التهيئة العمرانية، لأنه يعطي شكل النمو ويتحكم في اتجاهاتها، يوفر موضع سكيكدة الحصانة الطبيعية، ويقف كعائق كبير في وجه العمران، ويعتبر الموضع عنصرا مهما لتكوين المدينة، لأنه يتحكم في شكل نمو المدينة واتجاهها، كما أن المعطيات المناخية لا تشكل عائقا في عملية البناء والتعمير، إذ أنها تسمح بانفتاح المباني على الخارج، وتسمح برسم الطرق لأي اتجاه، غير أن عنصر الرطوبة يفرض بعض التقنيات اللازمة في عملية البناء. وقد فرضت طبيعة الموضع الوعرة وبشكل خاص في الشمال كنموذجا عمرانيا متسلقا وشوارع كثيرة الالتواء محدودة الاتساع، كما أثرت على النقل والمواصلات وتوزيع مختلف الخدمات والشبكات التقنية. تتميز المدينة بتوضعها ضمن مجموعة كبيرة من العوائق الطبيعية تتمثل أساسا في الكتل الجبلية التالية: (مواد، بني مالك، بويعلا، كدية الزراف، بولقروود)، حيث تتوضع في السفوح المنحدرة لكل من جبل مواد 165م في الجهة الشرقية، وجبل بويعلا 160م في الجهة الغربية التي يقل انحدارها كلما اتجهنا جنوبا نحو سهل الزرامنة، أما في الجهة الشمالية فهي تطل على البحر بواسطة الميناء، ويبلغ متوسط ارتفاع المدينة 42م فوق مستوى سطح البحر<sup>1</sup>.

إن المعطيات الجغرافية والتاريخية لها دور في تفسير اتجاهات الظاهرة الحضرية وتطبيقاتها المجالية المادية، فإن التحضر بمعنى الاستيطان الحضري، ظاهرة قديمة في الجزائر، وكذلك الحال بسكيكدة، حيث أن الوضعية الجغرافية للمدينة لها تفسير في تعميرها المبكر، ولو أنه انقطع لفترة طويلة، ان الانبعاث الذي عرفته المدينة مع الاحتلال الفرنسي لها، كعامل تفسير الوضعية العمرانية للمدينة<sup>2</sup>. وتعد سكيكدة دائرة تابعة لعمالة قسنطينة من أوسع المدن مساحة<sup>3</sup>، وأغلبية سكان المنطقة من الأهالي<sup>4</sup>، وتحتل روسيكادا موضع ضيقا عن واد بين جبلين هما: جبل المواد في الشرق وجبل بوعلى

<sup>1</sup> [Omranet.com](http://Omranet.com), site internet.

<sup>2</sup> حركات محمد الأمين، المناطق السكنية الحضرية الجديدة في الجزائر، تعمير أو بناء، دراسة حالة مدينة سكيكدة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التهيئة العمرانية، كلية علوم الأرض، جامعة منتوري، قسنطينة، 2002، ص.4.

<sup>3</sup> حيث بلغت مساحة بلدية سكيكدة الكاملة الصلاحيات 23311 هكتار.

<sup>4</sup> Thuriez Danielle, *Les journaux de philippeville et le problème de la sécurité 1890-1914*, mémoires de maîtrise ; (Sous la Direction de M.Guiral), p.1-2.

في الغرب يصل ارتفاعهما عن مستوى سطح البحر أكثر من 160م، بينما تقع المدينة في عمق الوادي على مستوى منخفض لا يزيد إلا بضعة أمتار عن مستوى سطح البحر.

ومن خلال النظر للمركز الذي أعيد تجديد مجاله وتنظيمه العقاري وفق الهيكلة الفرنسية لخدمة مجتمعها الحضري المتأثرة بالمدينة<sup>1</sup>.

وكان بوسع المدينة أن تمتد إلا في اتجاه الأعلى أو باحتلال قسم من السهل، ففي هذه الحالة تفترض التهيئة العمرانية تنظيم العلاقات بين تلك العناصر المختلفة، فالأحياء المستحدثة داخل هذا المركز التاريخي القديم تتألف من عمارات جماعية ومساكن فردية ومنشآت مدنية وعسكرية داخل أسوار المدينة، يتم بتمدد التجمع الحضري في السهل المستتقي المنخفض<sup>2</sup>، حيث أستحدثت تغييرات عميقة في وسط المدينة، بعدما تمكن الفرنسيون من تحويل مسار واد الزرامنة نحو وادي الصفصاف عبر قناة ضخمة، وبالتالي منع وادي الزرامنة من عبور الشارع الرئيسي ديدوش مراد.

فقد خصص الماريشال فالي عددا من المواقع للجيش الفرنسي والإدارة التي تعد من أهم المواقع عموما بينما قسمت بقية الأجزاء إلى حصص عمرانية للبناء أو الزراعة<sup>3</sup>. وحسب سجل الحالة المدنية لبرتراند لويس<sup>4</sup>، أنه في 20 أكتوبر 1838 استقرت 12 عائلة ووضع مخطط تهيئة تم تطبيقه بسرعة لتجاوز المشاكل التي واجهتها سلطات الاحتلال الفرنسي بمدن أخرى.

وبعد إقامة قواعد دائمة للقوات الفرنسية بالمركز ظهرت البناءات الأولى في المدينة التي وصلت إليها أعداد من الأوروبيين وغالبيتهم من التجار يرغبون في الاستقرار بها<sup>5</sup>، حيث تمكن بعض السكان من إنشاء منازل في الحصص المقبولة للبناء، وهذا بعدما تمكنوا من جمع الأموال الضرورية.

ويبدو أن هذه الفئة استفادت من امتنانها للتجارة، بينما اضطر البقية إلى بناء مباني متواضعة، ووصل عدد المنازل المنجزة إلى 42 منزلا في نهاية عام 1838 ليرتفع العدد إلى 240 منزلا خلال بداية الأشهر الأولى لعام 1839 يقطنها 839 ساكنا الذين واجهوا الأمراض والأوبئة الفتاكة الناتجة عن مستنقعات وادي الزرامنة الذي كثرت به الحشرات الضارة على الشارع الرئيسي، بحيث تسيل مياهها عبر جانبي الجبلين المحاذيين<sup>6</sup> مما نتج عنها تدهور الحالة الصحية، وبقيت مسألة تجفيف المستنقعات

<sup>1</sup> تراون جان فرنسوا، المغرب العربي: الإنسان والمجال، تعريب علي التومي وآخرون، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1997، ص.126.

<sup>2</sup> تراون جان فرنسوا، المغرب العربي، المرجع نفسه، ص.131.

<sup>3</sup> حيث وزعت 1286 قطعة وحصص القسومات بشكل مؤقت ومجاني من طرف مهندس التحصين حسب مراسلة فالي لوزير الحربية 23 أوت 1840.

<sup>4</sup> برتراند لويس 1850-1914 يعد من الشخصيات الفكرية والإدارية التي تركت مؤلفات حول مدينة سكيكدة الفرنسية وأثارها الرومانية، أثري وخبير في المسكوكات وعين برتراند محافظ للمتحف البلدي بتاريخ 4 مارس 1890، بعدما تولى مسؤولية أمين عام بلدية سكيكدة أنظر:

Bouveresse Jacques, *les délégations financières algérienne 1898-1945*, thèse doctorat en droit, u. nancy 2, 1979.

<sup>5</sup> أغلبيتهم من التجار يمتنون مهين مختلفة وتشمل: الخياطون والخبارون والدالون والوسطاء والبيستانيون.

<sup>6</sup> ارتفاع عدد المصابين، وسجل دخول 5150 شخصا للمستشفى العسكري، المعد لهذه المهام الصحية المستعجلة، ومنح عطل مرضية لعدد معتبر من المصابين، وتسببت في وفاة 7 من ضباط الجيش و776 جنديا و46 معمرا وحول 932 مريضا نحو فرنسا.

مطروحة بحدّة في التهيئة الحضرية للمدينة<sup>1</sup>. وبعد سنة من إخضاع مركزي سطورة وسكيكدة للسيطرة الفرنسية، حيث أصبحت سكيكدة مدينة أوروبية محصنة تتمركز بها حاميات عسكرية من الجيش الفرنسي والقناصين، فوج 61 خط، المدفعية، الهندسة، التحصين، بعدما تمّ تعمير المدينة مبكراً مشكلة النواة الأولى للمجتمع الجديد، ثم انطلق في إنجاز الأشغال الكبرى والتحصينات لهذا المركز الناشيء المسير من قبل السلطة العسكرية مما أدى إلى نيل إعجاب الأمير دومال التي زارها عام 1839<sup>2</sup>.

فرافق التطور العمراني لهذه المدينة عمليات توزيع مجاني للقطع والاستفادات بمحيط المدينة لمصلحة الوافدين الجدد، حيث يتشكل معظمهم من التجار والمغامرين وغيرهم، وحول هذا المركز تركزت الحصون والقلاع وسور يحيطها من كل جهاتها، لهذا انتقل عدد المنازل المنجزة من 251 عام 1839 إلى 330 نهاية عام 1840 وتعداد سكاني إلى 1700 نسمة، وتمّ بناء 134 منزلاً جديداً في عام 1841<sup>3</sup>.

عرفت المدينة تطوراً كبيراً في نسيجها العمراني منذ خضوعها للسيطرة الفرنسية، حيث شهدت السنوات الأولى للاحتلال نجاحاً لم يسبق له مثيل على مستوى القطر الجزائري، حيث بنى 510 مسكناً في الفترة الممتدة من 1838-1844 بقيمة مالية تقدر 3696200 فرنكاً ذهبياً ليقطنها 5000 أوروبياً أي أكثر من مدينة البليدة التي يقطنها 3671 ساكناً في عام 1844<sup>4</sup>، ويرجع هذا النجاح لتوفر عوامل مساعدة من بينها عدم وجود معوقات عقارية تحول دون إنجاز المباني التي خصصت للتجمعات السكنية الأولى التي تكونت في مجال المدينة القديمة أي لا توجد مدينة أهلية من قبل حسب الجغرافي ادوارد صولال، وليس لها ملكية خاصة تشكل عقبة أمام سياسة التعمير، وبالتالي تختلف سكيكدة عن مدن جزائرية عريقة أخرى بسكانها الأصليين، لكن الوقائع التاريخية المبينة في خريطة قبائل المنطقة تفند هذه الرؤية الاستعمارية لأن سهل سكيكدة كانت تقطنه قبيلة بني مهنة التي أرغمت على الانسحاب عنوة من أراضي أجدادها، لهذا اوجد المحتلون هذا الفراغ العمراني التي وجدت عليه المدينة الأثرية، مما عجل بوضع أول مخطط للمدينة على النمط الأوروبي، فور قبول الملك لويس فيليب عرض فالي بتسمية المدينة باسمه في 17 نوفمبر 1838، ذلك بعدما عرفت باسم مركز فرنساً<sup>5</sup> لمدة شهر كامل بعد احتلالها<sup>6</sup>.

وكان لوضع المدينة الجغرافي الجذاب تأثير إيجابي في تحقيق الإنجازات العمرانية الأولى كخطوة أولى نحو جعل المدينة عامرة بالعنصر الأوروبي، بعدما اعتبرت ضمن ملكية البايك التي لا يوجد بها

<sup>1</sup> Ibid, Solal, *Philippeville et sa région*, p :151.

<sup>2</sup> Nadjer Charles, *Journal de l'expédition des portes de fer*, constantine.1839.

<sup>3</sup> Solal Edouard, *Philippeville et sa région*, op. cit.p.155.

<sup>4</sup> Ibid, P.146

<sup>5</sup> مركز فرنسا Fort De France

<sup>6</sup> عمير اوي احميدة، *السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة 1838-1858*، دار الهدى عين مليلة، 2004، ص. 57.

أية قرية حسب ادعاءاتهم، تتولت الادارة العسكرية على عمليات وضع النواة الأولى للمدينة بشكل سريع<sup>1</sup>.

واستخدم الفرنسيون أحجار المدينة القديمة في تشييد المدينة في نفس موقعها بأمر من فالي لذلك تطلب وضع ميناء مع منفذه<sup>2</sup> يساعد على نموها، وتحولها إلى مرفأ تجاري تستفيد منه إقليم قسنطينة مع ربطها بشبكة من الخط البري والسكك الحديدية، بعد توسع الاستيطان الأوروبي فيها<sup>3</sup>.

بعد إخضاع مدينة سكيكدة للاحتلال الفرنسي وإخماد المقاومة المحلية التي ما فتئت تهدد كيان هذا المركز الذي عرف ارتفاع الهجرة الأوروبية نحوها، عملت سلطات الاحتلال على تهيئة الفضاءات الضرورية، حيث أخذت معالم جديدة منذ الوهلة الأولى من عمليات إعداد المباني والأحياء المخصصة لهم لمساعدتهم على الاستقرار الدائم في هذا المجال خاصة الوافدون الأولون الذين قدموا إليها من مختلف أصقاع أوروبا، واستوطنوا المدينة، بحيث تم توزيعهم على أقسامها حسب أصولهم العرقية وطبقاتهم الاجتماعية والاقتصادية في الناحية الغربية لسكيكدة ذات الطابع المدني، حيث تتوزع فيها المباني والكباريات والمقاهي، ويفصلها عن الناحية الشرقية ذات الطابع العسكري، الساحات العمومية والمراكز التعليمية، وتتوزع في القسم الثاني المباني العمومية كدار البلدية والمستشفى والتكنات .

فقد أصبحت سكيكدة من أهم المدن الجزائرية التي تم تحديد إقليمها بحكم القرار الوزاري المؤرخ بتاريخ 8 ماي 1841 على الخط الخارجي للمراكز العسكرية بما يخدم مصالح سكانها المدنيين<sup>4</sup>.

ويراعى في إنجاز المشاريع العمرانية تهيئة المواضع الحضرية الساحلية والجبلية في آن واحد، حيث أخذت المعطيات الطبوغرافية مكانة هامة في نمو المدينة، إذ كثيرا ما تكون التضاريس متقطعة والانحدار شديدا وفوارق الارتفاع هامة بين أعالي المدينة والأحياء السفلى الملتفة حول الميناء<sup>5</sup> بعدها توسعت مدينة سكيكدة بسرعة بين سنتي 1852 و 1858 حسب رغبة المعمارين الأوروبيين<sup>6</sup>.

وتم استخدام مجال المدينة القديمة في مختلف الفضاءات الضرورية للجيش الفرنسي من جهة، والسكان الأوروبيين الجدد من جهة أخرى لأغراض وظيفية مختلفة مما أكسب سكيكدة فضاءات متنوعة وجذابة في مجموعها موزعة في مقاسم تحاكي في ذلك أساليب معمارية أجنبية تتميز بانفتاح كبير على البحر<sup>7</sup> مما جلب اعجاب المؤرخ فيناش بهذه المدينة الكولونبالية الصغيرة والجميلة على الساحل<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> Solal E, Philippeville et sa région, P.147

<sup>2</sup> أعقب نمو هذه المدينة وصول إعصار مدمر وقع عام 1854، الذي خلف خسائر مادية فادحة وتضرر عدة سفن.

<sup>3</sup> Cote Marc, Paysage et patrimoine guide d'algérie, media plus; constantine; Algérie 1996 ; p.166

<sup>4</sup> Solal E, Philippeville et sa région, P.107.

<sup>5</sup> تراون جان فرانسوا، المغرب العربي، الإنسان والمجال، تعريب كريم داسي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1997، ص.130.

<sup>6</sup> Ibid, Solal Edouard, P.127.

<sup>7</sup> تراون جان فرانسوا، المغرب العربي، الإنسان والمجال، المرجع السابق، ص.127.

<sup>8</sup> Feraud Charles, R.A, 1875, Op Cit, P.50.

فاحتلت التجزئة الطبوغرافية الضيقة للمدينة ووزعت الأحياء السكنية ضمن تلال تفصلها عن بعضها أراض منخفضة خصصت للمناطق الزراعية والصناعية والعمارات الجماعية<sup>1</sup>، وأصبحت المدينة منطقة انتدابا للسكان الحضريين نحوها.

حاول المحتلون فرض رؤيتهم المعمارية عليها في محاولة لطمس المعالم الدالة على البعد الثقافي للهوية المجتمعية لسكانها الأصليين، وإحلال معالم فرنسية محلها، وهي ظاهرة شملت المدن الجزائرية التي خضعت للهيمنة الفرنسية، ولكن بدرجات متفاوتة مما يدل على عزمهم على البقاء ومسايرة التطور العمراني والتصميمات المعمارية في مجال السكان وفق تصميم ورسم الهيكل المعماري وتصور الشكل النهائي للمبنى، في ظل بروز عناصر أخرى مثل أسعار البناء وتكلفته، وتجهيزات المبنى وغيرها. وتكمن أهمية التصميم الهندسي في أنه انعكاس للمفاهيم الحديثة في البناء، وفي التصميمات المعمارية تم الاستعانة بمهندسين معماريين فرنسيين، وحمل كل معماري أفكار ونمط مدرسته.

فتعددت في المدينة المباني والطرز المعمارية التي تشير إلى المدارس الفرنسية والإيطالية في البناء، والتي تميزت زخارفها بالاهتمام بالزينة والزخارف المعمارية، وهناك مبان تجمع بين طرز معمارية مختلفة منها الكلاسيكي وعصر النهضة والفن الحديث والباروك غزير الزخارف ليقف بعدها الاهتمام بالزخرفة المعمارية والاتجاه إلى الوظيفية مع عمل تصميمات تهدف إلى إرضاء حاجات السكان المتزايدة لإنشاء أحياء على أطراف المدينة، وتتوعد تصميمات البناء السكنية، منها الفيلات.

وكان الأسلوب المطبق في بنايات المدينة لتهوية وترطيب المكان مع تبني المهندسين لأساليب متنوعة في البناء، حيث أن تصميم المباني يعتمد على عدة نماذج تتنوع وفقاً للمساحة والتصميم الهندسي الملائم، بما يتناسب مع طبيعة المدينة، فهناك أسس للتصميم يراعى فيها وظيفية المكان ومواد البناء المناسبة للمكان وديمومته مع تصميم الفراغات وإيجاد نموذج للبناء يتوافق مع البيئة المحلية وهوية المكان، لأن المباني العامة هي التي تعطي العلامات المميزة للمدينة بنماذجها. ويقوم المصمم بتجميع وإعادة تشكيل للفراغ حيث توضح الأنماط الحياتية داخل المسكن أساليب الإنشاء والطابع الجمالي لتصميمات المدينة مع البحث الدائم عن الابتكار والتجديد في الأشكال والاحتياجات<sup>2</sup>.

تعتبر سكيكدة مدينة مفتوحة على البحر، تمتد من جهة في اتجاه ميناء سطورة، ومن جهة أخرى في اتجاه المدينة الإستحمامية بن مهدي<sup>3</sup>، وحول منحدر طمرته الهندسة المدنية وتحول إلى شارع رئيسي<sup>4</sup>، ترتفع المدينة بمدرجات، وهي نتاج معمار حديث وعاشت فترة طويلة تحت إيقاع المصالح ومبادرات المعمرين الذين استولوا على أراضي القبائل، واستصلحوا سهول الزرامنة والصفصاف.

<sup>1</sup> تراون جان فرانسوا، المغرب العربي، الإنسان والمجال، المرجع السابق، ص 132.

<sup>2</sup> [www.eltamir.net/mortgageRealEstate/Seraa-El-Agyaal.doc](http://www.eltamir.net/mortgageRealEstate/Seraa-El-Agyaal.doc)

<sup>3</sup> يطلق جان دارك عليه حالياً قرية العربي بن مهدي السياحية.

<sup>4</sup> يطلق على الشارع الرئيسي جورج كليمنصو حالياً ديدوش مراد، وحمل في بداية الاحتلال تسمية الشارع الملكي ثم الامبراطوري.

لقد خدم حضور المعمرين السياق الزمني للهيمنة الأجنبية والتحديث الجزائري، حيث عرفت المدينة توسعا عمرانيا وسكانيا أثناء الأربعينات من القرن 20م بسبب النمو الديموغرافي والزحف الريفي، مركبة من عناصر متعددة تجمع جنبا إلى جنب جماعات منقسمة بوضعها السياسي، واللغة، والدين إلى جانب تنوع الأوضاع الاقتصادية، وكان ثقل المعيار الأثني والتراتب الاجتماعي يعبر عن نفسه بتميز الفضاءات، كما كان لعامل الانحدارات دور محدد في التنظيم المجالي للنسيج الحضري للمدينة وأثره في تخطيطها العمراني ومد شبكاته، واعتبر عائقا كبيرا أمام توسعها في حالة شدتها<sup>1</sup>.

وأهتم الأوروبيون بالقرى الواقعة جنوب سكيكدة وهي: سانت أنطوان، سانت شارل، روبيرت فيل، قاسطون فيل، والحروش، كذلك سطورة<sup>2</sup> وكول الزيتون<sup>3</sup>، بقيت الكثافة السكانية بهذه البلديات جيدة. عرفت روسيكادا الرومانية العتيقة التي اشتق منها الاسم العربي سكيكدة، سماها الفرنسيون فيليب فيل ماضيا بحريا، يشهد عليه غنى تراثها الأثري الذي دمره الغزو الاستعماري.

إن المدينة في الغرب هي واقع خصوصي متميز عن الريف، كما أنها لم تتشكل بنفس الوتيرة التي تشكلت بها في العالم الثالث، حيث المجموعات الأقدم في التمدن تتريف باستمرار، وينهشها الوافدون الجدد الحاملون لنفس القيم الأصلية التي تبعت عن طريق توطينهم وترسيخ القيم المدنية بشكل دائم<sup>4</sup>. وتفرض النظرة الغربية نفسها ومعاييرها وهي الاشغال الكبرى والتهيئة والإسناد... الخ والانجازات الضخمة ذات التكلفة العالية. ومع نهاية القرن 19م، تميز بناء المدينة الاستعمارية بطموح هائل وبسرعة مثيرة للمضاربات المثيرة التي تستدعيها الحاجات المعتمدة والعاجلة لفضاء حضري عمراني لصالح الأوروبيين. وهي مدينة تستجيب لمتطلبات جديدة منها النظافة والأبعاد الحضرية وتتوفر على مخططات معدة سلفا وأراضي تناسبها<sup>5</sup>.

تشكلت مدينة صغيرة مطلة على خليج نوميديا مرتكزة على الجهة الغربية التي خصصت كمجال للتوسع المدني وكواجهة كولونيلية فضاؤها مفتوح للوافدين الجدد من أوروبا. ويواكب هذا الوضع المؤسسات الجديدة المستحدثة بواسطة نقلها بنظام إداري جديد لمصلحة المحتلين، لذلك تأثرت تركيبة الوضع بالفضاء المتشكل، وهي تغييرات عميقة ومعالمها واضحة في النسيج العمراني التي استندت بترسانة من التنظيمات والترتيبات والمراسيم والقرارات لتحقيق أهدافهم.

<sup>1</sup> حربي محمد، حياة تحد وصمود، المصدر السابق، ص. 36.

<sup>2</sup>Thuriez Danielle, *les journaux de philippeville et le problème de la sécurité 1890-1914 mémoires maîtrise* ; P.3-4  
<sup>3</sup> كول الزيتون Col des oliviers أو الكنتور El kantour إسمها العربي، وهي عين بوزيان حاليا، تتميز بموقعها الجبلي، تشكلت فيها هذه القرية في 22 مارس 1844، وتحولت إلى بلدية كاملة الصلاحيات عن طريق قرار ولائي مؤرخ في 15 ديسمبر 1870، عرف هذا المركز الذي يحتل مساحة 8362 هكتار، تزايد مستمر لعدد سكانه من الأهالي 11168 نسمة عام 1871 إلى 3613 نسمة عام 1926 مع ثبات تعداد الأوروبيين من 217 نسمة إلى 136 نسمة في نفس الفترة، حيث وصل عدد سكان الكنتور 3749 نسمة عام 1926. ينظر:

A.W.C, p.117.bulletin G.G.A.

<sup>4</sup> حربي محمد، حياة تحد وصمود، المصدر السابق، ص. 66.

<sup>5</sup> أيشودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص. 211-210-204.



وأخذت التدخلات الاستعمارية في مركز المدينة عدة أشكال من هدم البنايات القديمة القائمة وإنجاز مشاريع سكنية وبناءة العمارات الرسمية وبعدها تعميم عمليات تغيير النسيج الموجود بنمط غربي<sup>1</sup>. تشكل الواجهات العمرانية لمدينة سكيكدة مجال الدراسة الموروث عن الوجود الاستعماري مختلف المناظر الهيكلية للمجال التي أعطته خصوصية منفردة تبرز على مميزات واجهاتها العمرانية، وضوابط معمارها ونشاطات سكانها، فالمجال العمومي المرئي لبناياتها يعبر عن الهندسة المعمارية الأوروبية التي تخفي وراءها بصمات تراث معماري متنوع بزخارفه وفنياته المتعددة وأشكاله العمرانية المختلفة التي سادت المدينة خلال الفترة الاستعمارية، حيث تأقلمت وتكيفت مع المعطيات الطبيعية للمنطقة ومؤهلات الموضع محدثة تحولات مجالية واسعة وذات استمرارية زمانية ومكانية، وتمكنت من صنع نسيج حضري مميز<sup>2</sup> خاصة الواجهة العمرانية المطلة على الشارع الرئيسي ديدوش مراد والحي الإيطالي، بالإضافة إلى التقاطعات الحضرية المجالية والشوارع المتعامدة مع الشارع الرئيسي. ويزر دور الوظيفي والهيكلية على طول<sup>3</sup>، حيث تتميز المباني بتنوعها وارتفاعها من جهة، وتتاسقها وتجانسها<sup>4</sup> من جهة أخرى، فأعلى ارتفاع للواجهة الرئيسية لشارع ديدوش مراد لا يتعدى خمس مستويات، وأقلها مستويين مع وجود انقطاعات جزئية مجالية تشمل هذه الشوارع، بحيث أن هذا التناوب بين الكتل المبنية (الارتفاعات) والشوارع (الانخفاضات) أعطى تنوعا مرئيا وديناميكية كبيرة.

وإذا كانت ميزة البنايات تعرف بالارتفاعات، فإنها تتوضع الكتل المبنية وتترافق بصورة خطية على طول استقامة شارع ديدوش مراد مما جعلها تأخذ صورة عمرانية منفردة وهيكلية مجالية خاصة، ورافق هذه البنايات الخطية وجود بنايات أو عناصر نقطية، رغم قلتها حيث وضعت تبعا لدراسة عمرانية محكمة تقطعها شوارع ضيقة وعمودية على الشارع الرئيسي أقل أهمية منه. وتتنظم الواجهات العمرانية للبنايات المطلة على الشارع الرئيسي حسب توفر عناصر معينة كالعناصر الأفقية التي تشمل على الفتحات الموجودة على واجهات البنايات حيث يتواجد تنظيم بين الفراغ والمملوء (الفتحات والجدران)، لها دور مهم في تنشيط الواجهة العمرانية، وبالتالي إعطاء ديناميكية كبيرة داخل المجال (الشارع)، وتتمثل في الشرفات<sup>5</sup>، والمشربيات<sup>6</sup>، وهي عناصر تزيينية، الأولى لواجهات البنايات، أكثر تمركزا على مستوى طوابق البنايات المطلة على طول شارع ديدوش مراد<sup>7</sup>، ذات شرفات مترابطة،

<sup>1</sup> Meskaldji Ghanima, *De La ville unique à la ville duale constantine au contact de la colonisation*, media plus, 2004, Constantine, (sous direction Guechi), Op Cit, P.136.

<sup>2</sup> وهو نسيج عمراني ما يزال قائما في المدينة القديمة حاليا.

<sup>3</sup> بوشامة ليديا، ماجستير جغرافية حضرية حول مراكز ودي الصفصاف، رسالة الماجستير، جامعة قسنطينة. ص:46.

<sup>4</sup> Une Harmonie D'Hauteur

<sup>5</sup> الشرفات Les Balcons

<sup>6</sup> المشربيات Les Moucharabias

<sup>7</sup> بوحجة سهيلة ودلال زهرة ولعباني مليكة، تنظيم وإعادة هيكلة المراكز القديمة حالة مركز مدينة سكيكدة، مذكرة مهندس دولة في التهيئة الحضرية، إشراف حمادة صالح، معهد علوم الأرض، جامعة قسنطينة، 1996-1997، ص.47.

وأخرى خارجة، أما الثانية هي عناصر هندسية مستوحاة من الحضارة الإسلامية لها منظر معماري مميز متواجدة في الواجهة المقابلة لبؤرة ساحة أول نوفمبر<sup>1</sup> مع إدخال مواد بناء حديثة. ونجد في داخل النسيج العمراني للمدينة عموما والشارع الرئيسي ديدوش مراد على الخصوص وجود جميع العناصر الجمالية التي تتطلبها الحياة الحضرية مثلما هو ملاحظ على مستوى الواجهات، وهذا ما يجعل مستوى الحركة مرتفعة، وجاذبيته أكبر حيث تنتظم واجهة شارع ديدوش مراد بصورة مخالفة للشوارع الأخرى داخل مركز المدينة، بشكل يتناسب مع أهمية هذه الواجهة الأوروبية الذي يحتوي على عناصر تزيينية جمالية جعلت هذا الشارع له قيمة معمارية عالية تعكس الثقافات والأفكار الهندسية السائدة في بداية القرن 19م، وتتجلى من خلالها مدى الاهتمام بتسيير واجهات الشوارع تبعاً لأهميتها داخل المجال العمراني أي كلما كان عرض الشارع كبيراً ومهما كلما كانت واجهاته أكثر ديناميكية وجمالاً وتركيبته العمرانية والمعمارية بارزة وواضحة. وتتكون هذه الواجهة الرئيسية من عدة واجهات جزئية مترابطة الواحدة تلو الأخرى، تتوزع في كل قطعة منها حياة حضرية مما جعل هذا الشارع يتميز بالنشاط والحركة، بينما الشوارع المتعامدة معه التي تشكل تقطعات جزئية تصب جميعها فيه.

شهدت سكيكدة تطوراً في مجالها العمراني بما يتناسب مع المجتمع الحضري الذي شكله الاستيطان الأوروبي، والذي تميز بأشكاله الخارجية المزخرفة وجدرانه السمكية وسقفه المغطاة بالقرميد الأحمر<sup>2</sup>. ويتبع هذا النسيج العمراني التخطيط الشطرنجي الذي يعبر عن الهندسة الأوروبية الخاضع لنظام شبكة الطرق وتعمل شبكة التقطيع على هيكلة تنظيم الأشكال العمرانية من مباني ومجالات عمومية، بحيث نجدها تتشكل من عدة حصص متفاوتة الأحجام ومتنوعة الأشكال والمساحات تتراوح مساحتها بين 360 م<sup>2</sup> إلى 2544 م<sup>2</sup>، بحيث تتكامل وتتلاحم مع مجموعة من القطع<sup>3</sup> فيما بينها، مشكلة حصة يغلب عليها الشكل المستطيل أو المربع عموماً، بينما يغلب على الحي الإيطالي الواقع في الجهة الشمالية الغربية من المركز، الشكل شبه المنحرف، وتخضع قطعه هي الأخرى للعامل الهندسي، حيث إما أن تكون متوازية أو متعامدة مع محاور الطرق، وكل قطعة من هذه القطع لها مالكها سواء كان عاماً أو خاصاً، وفي بعض الأحيان تتشكل الحصة من قطعة واحدة<sup>4</sup>، وتتمثل في المنطقة العسكرية، المجلس القضائي، المسرح البلدي.. الخ، كذلك فإن خط التقسيم داخل الحصص متساوي البعد على طول القطع<sup>5</sup>. تتركز على طول الطوابق الأرضية للبنىات مختلف النشاطات التجارية مشكلة واجهات تجارية كثيفة ومستمرة، تنقطع عند المسرح البلدي ثم تستمر بعد ذلك إلى غاية ساحة الشهداء عند الحديقة العمومية.

<sup>1</sup> ساحة أول نوفمبر 1954.

<sup>2</sup> بوحجة سهيلة وآخرون، المرجع السابق، ص. 141.

<sup>3</sup> القطع Les Parcelles

<sup>4</sup> قطعة واحدة Illot-Monument

<sup>5</sup> تعرف بعض القطع والحصص حالياً تشوها كبيراً وتكسراً مستمراً، من خلال سلسلة التهدمات الحاصلة في هذا النسيج العمراني، وتغيرت على إثره الهندسة الأصلية. ينظر: بوحجة سهيلة وآخرون، تنظيم وإعادة هيكلة المراكز القديمة، المرجع السابق، ص. 31.

ويتبين بأن مركز المدينة العمراني يتميز بنموه الخطي المنتظم وبتقاطع طرقه بزوايا قائمة، ويتخذ هذا المجال هيكله تبعاً للشارع الرئيسي الذي يقسمه إلى جزئين شرقي، وغربي، تليها طرق أخرى، فمنها الموازية له والمتعامدة معه مشكلة بذلك شبكة من الطرق تنتج نسيجاً أحادي المظهر أي شبكة تريبعية بداخلها تتوضع المباني.

ويتوفر شارع ديدوش مراد على عنصر جمالي يشمل الأقواس المغطاة<sup>1</sup> الحاملة للواجهات مشكلة مساحات متراجعة ومحمية أي أرصفة خاصة بالراجلين، وتعد بحق شريان المدينة<sup>2</sup>.

إن دراسة التطور التاريخي لأي مدينة يعتبر أساساً لفهم التغيرات التي طرأت على النسيج العمراني من حيث المظهر العام للمدينة وكذلك من حيث استهلاك المجال. فللشارع عدة أدوار تحصر:

- خلق إطار حيوي يساهم في إنتاج المجال الحيوي للسكان وخلق فضاء مهم تتيح فرصة تواجد نشاطات اقتصادية على امتداد الشوارع
- تحقق الوظيفة الاجتماعية، لأن الطريق هو إحدى العناصر المكونة للمجال الحضري .
- تحقيق التناسق العمراني باعتباره مكاناً للالتقاء والتبادل والتنزه بين مختلف الفضاءات.
- الجمع بين النشاطات الحضرية التي تربط بين المساكن والمرافق والخدمات والنشاطات الزراعية والصناعية..
- تمكين من المرور والتواصل بين مختلف نقاط المدينة ومواقع السكن، العمل، المدرسة، الاقتصاد.
- تشكل الفضاءات الخضراء التي تدمج في النسيج الحضري وتوفر للأفراد راحة نفسية وتضفي على المجال جاذبية ونشاط، وتسمح بتهويته وتلطيف الجو في فترات الحر، وتحقيق التوازن بين المجال المبني والفراغ، وتستغل هذه الفضاءات كحدايق للراحة والاستراحة.

وتسمح الساحات العمومية بوجود مرافق جماعية تتمركز بها، فعالية الفضاءات المخصصة لحركة الراجلين التي يتم التخطيط لانشائها وفق دراسة تهتم بالتوزيع السكاني وتموقع المرافق الضرورية<sup>3</sup>.

تعتبر مرحلة 1838-1870 من أهم مراحل تطور المدينة، وتم فيها اختيار موقع المدينة وموضعها، ووضع أول مخطط عمراني لنواة المدينة الجديدة في نهاية عام 1838، وتم على أساسه إقامة العديد من المباني المستخدمة في السكن والمرافق والخدمات الأساسية، مثل إقامة الشوارع وبناء ثكنات الجيش الفرنسي وترساناته وسور الأمن حول المدينة<sup>4</sup>، كذلك تم إنشاء المستشفى العسكري عام 1839 في القسم الشرقي من المدينة، بينما خصص القسم الغربي للمباني المدنية، وهذا اعتماداً على التخطيط القائم على

<sup>1</sup> الأقواس المغطاة Les Arcades

<sup>2</sup> بوحجة سهيلة وآخرون، تنظيم وإعادة هيكلة المراكز القديمة حالة مركز مدينة سكيكدة، المرجع السابق، ص.48.

<sup>3</sup> بيلاك نورة، المجال الحضري والقيم، ماجستير في علم الاجتماع، ص.71-72.

<sup>4</sup> Solal Edouard, *Philippeville et Sa Région*, Op.cit, P.150.

فصل المباني المدنية عن العسكرية، وامتدت المباني من ساحة البحرية على طول الشارع الرئيسي حتى باب قسنطينة جنوبا، وكان تخطيط الشوارع في هذه المرحلة تخطيطا هندسيا<sup>1</sup> والتميزة بخطتها الشطرنجية وتعادم الشوارع والطرق (الكاردو شمال جنوب، الدوكيمانس شرق غرب) بما يتناسب مع هذه المدينة التي أعاد الاستعمار الأوروبي تجديد المدينة الرومانية في الفترة الممتدة بين سنتي 1838-1845 من القرن 19م وتم إحياء معالمها وتجديد مجالها لتقوم بعدة وظائف بفضل موقعها الإستراتيجي وأهميتها الاقتصادية والعسكرية وبحكم المشاريع الكبرى المحققة في هذه الفترة وبعدها، ووظيفتها التجارية كمدينة ميناء تقوم بتصريف منتجات ظهير واسع<sup>2</sup>، بحيث أقيم الميناء الصغير عام 1843، ولهذا عرف المظهر العمراني للمدينة تطورات لمجاله قابله تزايد الاستيطان الأوروبي، بحيث احتل السكن الخاص بالمدينين سفوح جبل بويعلى بالجزء الغربي، أما السكن والمنشآت العسكرية فقد أقيمت على سفوح جبل موارد بالجهة الشرقية، وتوسعت الخطة العمرانية شطرنجية في معظم جهات المدينة<sup>3</sup>.

تميزت فترة 1838-1870 بأنها مرحلة الإنشاءات الرئيسية للمدينة التي عرفت نوعين من النشاط العمراني المدني والعسكري حيث تم تأمين هذا المركز من غارات القبائل المجاورة على الفرنسيين المتمركزين فيها، وبينما كان اهتمام الجيش الفرنسي منحصر في إخضاع القبائل الثائرة في الإقليم. اهتم المدينون بالاستحواذ على الأراضي المتواجدة حول المدن والمراكز الاستيطانية الآمنة لهذا تحول التعمير تدريجيا إلى خارج أسوار المدينة، وبدأت المدينة تتوسع في تلك الفترة في كل الجهات إلى أن وصل العمران في الجزء الغربي منها إلى الصهاريج الرومانية<sup>4</sup> أو السبع أبيار كما يسميها أهل سكيكدة، وذلك في الهضبة الغربية من المدينة، وتم إنشاء مستشفى مدني<sup>5</sup> في الزاوية الغربية الشمالية لاستقبال المرضى المدينين، وفي القطاع الشرقي امتدت المباني لتتجاوز الحي العسكري وراء الكنيسة.

واستمر التخطيط الشطرنجي في هذه المرحلة ما عدا بعض الشوارع في الطرف الغربي من المدينة التي جاء تخطيطها بشكل منحنى إلى حد الالتواء بفعل التضاريس الوعرة، ونتيجة لهذا التوسع العمراني خلال هذه المرحلة استغل جزء كبير من المساحة القليلة داخل الأسوار، حيث امتدت المباني على طول الشارع الرئيسي من كلا الجانبين، من ساحة البحرية حتى باب قسنطينة<sup>6</sup>.

فتطورت السياسة الاستعمارية الحضرية خلال القرن 19م نحو الاقصاء ثم تجاهل المجتمع الاسلامي، بعد استيلاء السلطة الاستعمارية على تلك المدينة التي احتلتها كفضاء شرع العسكريون في

<sup>1</sup> حمادة صالح، دراسة في جغرافية المدن حول مدينة سكيكدة، رسالة ماجستير، المرجع السابق، ص.53.

<sup>2</sup> ظهير واسع يمثل الإقليم الذي تمتد إليه المدينة من منطقة سكيكدة التي يغلب عليها الطابع الجبلي الريفى القبلي.

<sup>3</sup> نذير حسيني، سليم براقدي، مشروع مقدم لنيل شهادة مهندس دولة في التهيئة الحضرية، مدينة سكيكدة: مشكلة التوسع الحضري والتوجهات المستقبلية، إشراف: صالح حمادة، جامعة قسنطينة، 2001.

<sup>4</sup> الصهاريج الرومانية : Citernes Romaines

<sup>5</sup> يعرف هذا المستشفى اليوم L'Hospice بعد تغير وظيفته الصحية .

<sup>6</sup> Solal Edouard, Op-cit, P.151

فرض منطقتهم التوسعي الاستيطاني، وبدا حينها واضحا أن التملك الشامل، يجب أن يمر عبر خلق وضعية من الشغور في الأملاك والفضاءات والمؤسسات القائمة بالمدينة، معتمدين على عدة شروط لنجاح مهماتهم:

• افراغ المدينة القديمة من قاطنيها من القبائل المستقرة في محيطها مما يمكنهم من الاستيلاء على املاك ضحاياها، على الرغم من التظاهر بأن العملية جاءت استجابة طوعية مقابل تعويضات مالية منحت لهم.

• وضع ترسانة قانونية تشجع الاستيطان الاوروبي في المدينة المستحدثة لهم، لإحداث التغيير الديموغرافي الذي يعد احد العناصر المفتاحية للطابع الاستعماري لسكيكدة.

• اعادة تشكيل المدينة حسب المتطلبات الحضرية الجديدة لنظام مجتمع واقتصاد كولونيالي.

غير أن غياب سياسة اندماج أو بالأحرى التعايش المنسجم جعلت المجتمعين الأوروبي والإسلامي في مواجهة بعضها البعض يتقاطعان ولا يلتقيان<sup>1</sup>.

أما الفترة الممتدة 1870-1918 فقد عرفت بمرحلة التجهيزات الكبرى أو الاستيطان الواسع نتيجة التوسع خارج الأسوار، وخلالها عرفت الخطة العمرانية انعطاف الشوارع تماثليا مع الانحدارات خاصة مع تزايد الطلب على الأرض، الأمر الذي جعل الفرنسيين يستغلون المواضع الصعبة للتعمير في مناطق بوعباز، بني مالك التي ظهر فيها النمط الفردي، وتميزت هذه المرحلة بتغييرات عمرانية أخرى كوضع إنشاءات ضخمة وإقامة الميناء بمساحة 42 هكتار ويحميه حاجز<sup>2</sup> ممتد في البحر.

ويتكون الميناء من حوضين هما: مقدمة الميناء<sup>3</sup> والميناء أو المرسى<sup>4</sup> لرسو السفن، وأمامه رصيف واسع ساهم في امتداد البنيان وتوسع المدينة شمالا نحو البحر ثم امتدت المباني الجديدة في القسم الجنوبي من المدينة، وكذلك الشوارع المتواجدة خارج الأسوار لتتفتح على سهل الزرامنة الزراعي انطلاقا من باب قسنطينة، وتم إنشاء المقبرة المسيحية خارج السور عام 1895م وفي الجنوب الشرقي.

ومن المشاريع الكبرى المنجزة شق نفق بطول 1 كلم تقريبا لعبور السكة الحديدية نحو البحر تحت جبل الموارد الذي يبتدئ جنوبا عند المقبرة المسيحية وينتهي عند الميناء مطلا على البحر مباشرة، ومن جهة أخرى استمرت عملية توسعة الشوارع ومد الطرق داخل المدينة وخارجها.

وتميزت أغلب الشوارع والطرق بالانعطاف والانحدار الشديد تماثليا مع طبوغرافية المدينة الصعبة حتى أن بعضها يكاد يوازي خطوط الكنتور أو يتقاطع معها بزوايا حادة في عدة أماكن من

<sup>1</sup> أيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص. 190-191-193-195-196.

<sup>2</sup> حاجز أو كاسر أمواج jetée

<sup>3</sup> مقدمة الميناء Avant-port

<sup>4</sup> المرسى Darso

المدينة، ومع مطلع القرن 20م أصبح العمران يتم بطريقة تكاد تكون عشوائية نتيجة ظهور أحياء جديدة قرب الأحياء القديمة، وبسبب تداخل المباني الشديد أيضا، واستمر توسع التعمير في القسم الغربي من المدينة بعد الحى الإيطالي الذي تميز بظهور مساكن من نمط الفيلا داخل السور، بينما سادت المباني ذات الطابع الوظيفي خارجه كالمخازن وورشات الحدادة والأشغال العمومية.

أما فترة 1918-1945 فقد عرفت بمرحلة التوسع الخارجي حيث شهدت المدينة خلالها تحولا هاما من الناحية التنظيمية من حيث الإنشاء والتعمير، ونمت معها الأحياء العشوائية نتيجة نقص الأراضي للبناء مع تطور سكانها من جهة، وانعدام مخططات تنظيمية معدة قبل الحرب العالمية الأولى، وهذا رغم استمرار السلطات المحلية في البناء والتعمير.

بعدها ظهرت تغيرات واسعة لعمران المدينة مما تحتم تدخل السلطات المعنية في الثلاثينات من القرن 20م لوضع برنامج لاستصلاح المدينة وفق نمطين من المباني: بنايات من نمط الفيلا على سفوح بني مالك، وأخرى في شكل عمارات سكنية، ومنشآت عمرانية ضخمة (محافظة الشرطة، قصر البلدية، محطة القطار، ومقر الدائرة) والمخازن والمستودعات<sup>1</sup>.

بدأ بعد الحرب العالمية الثانية توسيع مجال المدينة بإنشاء أحياء سكنية جديدة موزعة في عدة أقسام المدينة لا سيما في القطاع الشمالي الشرقي عند ضاحية بني مالك، حيث المواقع الهضبية، بينما استمر التوسع العمراني في الجنوب وفق مخطط المهندس شارل مارتانو<sup>2</sup> الذي اقترح فيه بأن يكون العمران من الناحية الجنوبية للمدينة حسب مخطط مثلثي قاعدته وادي الزرامنة وقمته باب قسنطينة، حيث أقيم المركب الرياضي البلدي في المكان المعروف بالمشئلة يتسع 1800 متفرج آنذاك، كذلك المسبح البلدي بحي العربي بن مهدي -جان دارك- على شاطئ البحر على بعد 7 كلم من شرق المدينة، وتم تطوير وظيفة مطار سكيكدة لغرض الرياضة الجوية والارصاد الجوية بعدما أنشأ لاغراض عسكرية خلال الحرب العالمية الثانية، وهو يقع شرق المدينة في سهل سكيكدة.

وخصص مشروع قسنطينة جزء من الأراضي الزراعية لإنشاء مباني سكنية جديدة لمواجهة متطلبات السكان المتزايدة بسبب النزوح الريفي خلال حرب التحرير نحو المدينة، حيث وصل عدد طلبات الاسكان سنة 1959 أكثر من 4000 طلب<sup>3</sup>.

ومن جهته قام الجيش ببناء طوق عسكري وأسوار جديدة لحماية المدينة الأوروبية، وسط نسيج حضري أصبحت معه المدينة غريبة عن محيطها، وعدد من المنازل تغيرت أنماطها وأحجامها

<sup>1</sup> حمادة صالح، دراسة في جغرافية المدن حول مدينة سكيكدة، المرجع السابق، ص.54-55.

<sup>2</sup> المهندس المعماري الفرنسي شارل مارتانو Charles Martanaud تولى وضع مشروع تخطيط المدينة بعد سنة 1945 للتوسع المجالي للمدينة وإعادة بناء البنايات التي تضررت خلال الحرب من جراء القصف الجوي الألماني خاصة سنة 1943.

<sup>3</sup> حمادة صالح، دراسة في جغرافية المدن حول مدينة سكيكدة، المرجع السابق، ص.57.

وساكنيها، ويعتبر تزايد السكان الاوروبيين من الاسباب التي أدت بالمضاربين إلى القيام بالبناء حتى في الضواحي وبالقرب من الأسوار المحيطة بها<sup>1</sup>.

ويأتي توسع المدن استجابة لنشاط الأرياف المحيطة بها لأن المدن تقوم لخدمة مجتمعا، وترتبط مع القرى المحيطة بها بمصالح متبادلة، فالمدينة تشرف على إدارة شؤون القرى وتقدم لها الأمن وتزودها بخدماتها<sup>2</sup>. وإذا عرفنا بان مفهوم المدينة متغير وليس ثابتا، يتأكد أن التبدلات والتغيرات التي مرت بها المدينة، يندرج ضمن إطار التوسع المجالي لمحيطها العمراني، ووفق إرادة السلطة القائمة على تسييرها الراغبة في تحويل المدينة إلى عدة تجمعات حضرية، للاستجابة لمتطلبات سكانها في مساحة ضيقة، خاصة بعدما تضاعف حجمها الديموغرافي الذي شكل صعوبات واجهت مهمة المخططين بها<sup>3</sup>.

فظهر التخطيط أساسا لتشييد المدن والتخطيط يحتاج إلى مهندسين ومبدعين وينظم شكل المدينة بشوارعها وطرقاتها ومساكنها وأسواقها وساحاتها، ويتوزع السكان على أساس خطة مختلفة الأشكال، فمنها ما كان دائريا أو طوليا، ومنها ما تقاطعت شوارعها بأشكال طولية وعرضية متعامدة معا.

وتبحث كل مدينة عن وسائل لحماية سكانها من الأخطار لذلك نشأت المدن في مواضع تتسم بالحصانة والحماية لمواقعها في أغلب أطرافها، فأقيمت الأسوار حولها وبنيت عليها أبراج للمراقبة، ويتم الدخول إليها عبر بوابات مما حولها إلى قلاع لها سطوتها ودقة الهندسة المعمارية وجمال الزخرفة<sup>4</sup>.

فتحولت المدينة إلى تجمعات حضرية في الفترة الاستعمارية مستفيدة من مجموعة متداخلة من المؤثرات ضمن إطار التوسع في مساحتها الجغرافية خاصة بعدما تضاعف حجم سكانها الأمر الذي جعل هذا المركز الاستعماري يأخذ في البداية مخططا مدينيا ذا شكل شطرنجي بطرق متوازية ومتقاطعة بزوايا قائمة مع الشارع الرئيسي، الطابع الغالب على معظم النسيج الحضري للمدينة .

تتمركز الحصص المكونة لبنايات الحي الإيطالي المتمركزة في القسم الغربي الشمالي للمدينة القريب الذي يتميز بعلو مبانيه، وتتراوح بنايات هذا المركز ما بين 1 إلى 8 مستويات، بينما بنايات التي تبلغ ارتفاعها 3 مستويات تمثل المرتبة الأولى، وتأتي في الرتبة الثانية بنايات ذات 4 مستويات، أما بنايات التي تبلغ ارتفاعها مستوى 1 و 5 تحتل المرتبة الثالثة بنسبة تقدر 1/5 من مجموع بنايات<sup>5</sup>.

إن تحليل الإطار المبني ومعرفة خصائص المدينة، تبين تفاعل العناصر الثلاث (نمط، حالة، ملكية) بين بعضها البعض، ويظهر ذلك في مختلف الأنماط العمرانية المشيدة في المدينة:

<sup>1</sup> أبشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص.202.

<sup>2</sup> أبو عياش عبد الله، أزمة المدينة العربية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980، ص.11.

<sup>3</sup> مجلة المدينة العربية، العدد 31، السنة السابعة، ماي 1988، رمضان 1408هـ، ص. 50.

<sup>4</sup> أبو عياش عبد الله، أزمة المدينة العربية، المرجع نفسه، ص.21.

<sup>5</sup> بوحجة سهيلة وآخرون، تنظيم وإعادة هيكلة المراكز القديمة حالة مركز مدينة سكيكدة، المرجع السابق، ص. 148 .

- النمط الجماعي الأوروبي القديم والحديث<sup>1</sup>.

- النمط الفردي الأوروبي القديم والحديث<sup>2</sup>.

يمكن التذكير بباقي الانجازات والأحياء المشيدة التي عرفتها المدينة سواء في المحيط القريب منها أو في ضواحيها، وسمحت هذه الانجازات للمدينة بالتوسع الطبيعي بما يتناسب وتدرج تضاريسها بحيث تصبح الأحياء الجديدة ذات قيمة حضارية كبيرة. لكن مشكل السكن يطرح في المدينة ابتداء من العشرينات من القرن 20م، كنتيجة للحرب العالمية الأولى التي حولت رؤوس الأموال وتسببت في أزمة أنشطة البناء وما أنجر عن ذلك من ندرة السكنات والزيادة المعتمدة في سعر الشقق.

أدى مشكل السكن المعقد، إلى نشوء الديوان البلدي الذي سيبحث في المحيط عن أراضي أقل ارتفاعا تسمح بالبناء بأقل تكلفة، مما سمح بتشييد أحياء جديدة في أماكن أخرى، بيد أن هذه البرامج لن تكون كافية لإيقاف توسع المدينة فوق الهضبات، ولا تجنب أكواخ مستقبلا.

كان يتعين تقييم نتائج هيكل المدينة وتناقضاتها كما تتطلب ضرورات النقاش حول السياسات الحضرية والعمرانية السائدة في المدن، بفعل وجود مجتمعين لهما وضعان متضادان، وتبدو الفروق بين الأوضاع ملحوظة ومتفاقمة أكثر، حيث تعتبر أوضاع الهيمنة والاختلالات أسبابا داعية لذلك الجدل حول سياسة بدت هشة بفعل ممارساتها داخل فضاء هذه الهندسة الاستعمارية<sup>3</sup>.

وتتحكم طبيعة سطح المدينة الجبلي المتضرس إلى حد كبير في نمط المباني وكثافتها في اتجاهات نمو المدينة، له تأثير واضح على مد الشبكات وتوزيع المرافق والخدمات مما أعطى مجالا عمرانيا ومعماريا مميزا يتسم بالمباني المتسلقة وبالشوارع والطرق الضيقة والوعرة، وبقيت المدينة محافظة على بعدها التاريخي وبموقعها الإستراتيجي بما تملكه من مؤهلات رغم التحول المجالي المنتظم لمخططاتها أو لاستخدامات غير العقلانية في توزيع المباني والسكان والمرافق الحضرية في المدينة.

وتدل الدراسة العمرانية لمجالها على سعة مجالها وتنوع مخططات التي تضم الحدائق والمجمعات السياحية وشبكة الطرق البلدية والمياه والأشجار المغروسة لتجميل منظر المدينة<sup>4</sup> التي توسعت بشكل متسارع وفق نسق المدن الجزائرية المخصصة لاستقرار المعمرين<sup>5</sup>.

وبعدما عرفت المدينة انطلاقة هامة في ميدان التعمير، استمرت السلطة الفرنسية في الاستجابة لمتطلبات المجتمع الحضري الأوروبي لغاية مطلع الثلاثينات من القرن 20م التي أعقبتها نقاش كبير عن غياب العمران الحقيقي وبقاء المجتمع الإسلامي على الهامش وانتشار البيوت القصديرية التي ردت إلى

<sup>1</sup> وهي العمارات التي تتكون من مجموعة من الطوابق، ذات مساكن متجانسة يشترك سكانها في مدخل واحد وفي مجال خارجي واحد، ظهرت في نهاية الفترة الاستعمارية عمارات تصل إلى 10 طوابق أو أكثر كعمارات HLM وهو نمط بناء اقتصادي ساد الجزائر بعد سنة 1945.

<sup>2</sup> النمط الفردي أو الفيلا هي مساكن فخمة تضم عدة طوابق تحيط بها منطقة خضراء أو حديقة تسكنها أسرة أو أكثر تتركز في الضواحي.

<sup>3</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص. 222-223.

<sup>4</sup> بوحجة سهيلة وآخرون، المرجع السابق، ص. 41-43.

<sup>5</sup> لأكوست أيف وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تعريب رابح اسطنبولي وآخرون، المطبوعات الجامعية باريس 1960، ص: 348.



الفعل الاستعماري الذي اعتمد على سياسة الاقصاء، فالمسلمون ليس لهم حق التواجد في المدينة، وأن مكانتهم هو المرتفعات أو الأطراف أي الأمكنة المفضلة لاحتضان البيوت القصدية.

لا تخلو السياسة العمرانية المنتهجة من عيوب جوهرية في تطور المدينة رغم أنها ساهمت في بناء المدينة الحديثة، وتحقيق التطور المكاني والإطار المبني في جوهرهما، وتمثل تلك الأخطاء زيادة التفرقة المفروضة من زمن طويل، وفي تلك البنائات التي توافد عليها باطراد أفواج من المهاجرين الأوروبيين، وفي غياب بعض الدقة عن العمران والنقائص في الانجاز جراء غياب مخطط شامل أو عدم احترامه على الأقل، والتسرع في التجزئة الترابية.

وهكذا ظهرت أحياء وامتدت دون شوارع ولا نوات للطرق لمجرد التأهل والنظر، وتقدم النتائج إذن كما يلي: تماثل رتيب لنمط لويس فيليب أعقبه انجاز لبناءات عرفت باسم الامبراطورية الثانية، ثم مساكن فاخرة وصلبة أثناء الجمهورية الثالثة، كما ساد في بداية القرن 20م، (طراز جوناو) الذي اشتهر في المغرب الجديد، ظهر هذا الطراز في بعض الفيلات، وفي المباني العمومية<sup>1</sup>.

وعند تحليل لمختلف أنماط النسيج العمراني السائد بالمدينة خلال الحقبة الكولونيالية، يمكننا ملاحظة ثلاثة نماذج طبقت على مراحل في مجاله، نموذج المدينة المتوسطة، الميتروبولية، الموريسكية. ففي المدينة تغطي دور الأحياء الفرنسية بسقوف من القرميد الأحمر، بينما سقوف الأحياء العربية كلها تكاد تكون في وضعية سيئة<sup>2</sup>. إذا كان المجتمع المسلم يعيش ضمن الفضاء والمجتمع الكولونيالي الموجودين في مجال المدينة، لكنهم ظلوا مبعدين نهائيا عن مشاريع ونقاشات المستقبل الحضري لسكيكدة طوال قرن من الاحتلال الفرنسي.

فبالنسبة للمجتمع الأوروبي، تكمن الحلول في تطوير نوع من الانجاز HBM ويتمثل في تشييد أحياء عديدة في المحيط الحضري، لكن القليل من المسلمين اشترك في تلك البرامج في حين أقصى السواد الأعظم منها، مما دفع بمسؤولي البلدية إلى إنشاء أنماط مختلفة من السكن أو السماح بتكاثر الأكواخ قصد مواجهة المشاكل العديدة الناجمة عن التفاوت الاجتماعي. وسيلزم انتظار سنة 1937 كي يصدر منشور حكومي (ينشئ نوعا من ميثاق السكن الأهلي).

تمتلك الجزائر الكولونيالية أحياء أوروبية وأخرى خاصة بالمسلمين، ويكشف واقع التوزيع العرقي عن تميز عميق في المكان. وأظهرت تلك الثنائية العرقية، إذن، نوعين من الجزائر في المصطلحات التالية:

- الجزائر الأوروبية وتقع في قلب المدينة الحديثة الذي يتوفر على المراكز الحيوية.
- الجزائر المسلمة وتنقسم إلى كتلتين متوزعتين على أطراف المدينة الأوروبية.

<sup>1</sup> أيشودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص. 173-224-225-226.

<sup>2</sup> سعدي فاطمة، البراءة المسلوقة، مجرزة 20 أوت 1955، دار النشر أنوتة، 2006، الجزائر، ترجمة عبد الرحمان شريط، ص. 71.

اتجه التوسع الرئيسي للمدينة نحو الجنوب، فتم تعيين أراضي البناء والصناعة والمستودعات، لكن هذه التهيئة تأثرت بتزايد السكان الحضريين الذي لم ترافقه حظيرة سكنية كافية نتج عنه زيادة الأكواخ. طبعت المدينة فضاء التناقضات، بملامح استعمارية سواء في هندستها أو في تقنياتها الجمالية الأوروبية الطابع، كونت مدينة كولونيلية جديدة علاوة على التراصف في المكان للأحياء والسكان وأدى توزع السكان الحضريين على المكان إلى إنتاج قطاعات متعارضة بحكم المعايير العرقية، فالأحياء الأوروبية توصف بالحديثة بمنزلها الفاخرة والصلبة والمجهزة وغير المكتظة، المهواة، الغنية وضعيفة الكثافة، بينما تتميز أحياء المسلمين بأنها مثل الأكواخ، وهي أحياء أهلة بالسكان وغير مجهزة وفقيرة، وترمز أزمة السكن إلى ملامح السياسة الحضرية المنتهجة ومساوئها في الأحياء غير الأوروبية بالمدينة، وتظهر الأزمة عند المسلمين حادة. ومن الجانب الأوروبي تم استدراك التأخر المسجل في البناء، جراء الحرب العالمية الثانية، خاصة وأن السكان الأوروبيين يتزايدون بوتيرة ضعيفة يخفف عنهم حدة الأزمة. ويعمل الخصائص المهيمنة للمدينة الكولونيلية على إخضاع الهيئة الحضرية ومجتمعاتها إلى وضعيات متناقضة، فهناك من جهة مجتمع مهيم يتمتع بالرفاه الذي تتيحه له التقدم المحقق، وهناك من جهة أخرى مجتمع خاضع ومسحوق تحت أعبائه ولكن مقبول على اليد العاملة المتوفرة<sup>1</sup>.

ورغم المشاريع الخدماتية والأشغال الكبرى التي انطلقت بالمدينة، والميزانية المتواضعة لا تلبى حاجياتها، فنجد بأنها ما زالت تعاني من نقص مياه الشرب والبلدية تفتقد للإسكان. ويرجع أصل هذا الخلل منذ عام 1939 نتيجة مخلفات الأزمة الاقتصادية وارتفاع اسعار مواد البناء، وتزايد أجور العمال، إعادة النظر في المناقصات، والتأخر المسجل في تحصيل الاعتمادات المالية المخصصة للبلدية<sup>2</sup>. ومنه نستنتج بأن المدينة عرفت تحولات مجالية وعمرانية هامة نتيجة وجود مخططات متتالية<sup>3</sup>، وضعت لمصلحة ساكنيها بشكل مستعجل في بدايات الاحتلال، ثم توالى المخططات التي وضعت في الحسبان احتياجات المدينة ومتطلبات سكانها، خاصة بعد ارتفاع حجمها الديموغرافي الأمر الذي جعل أصحاب القرار يخرجون مجال المدينة من داخل الأسوار إلى خارجها نحو الجنوب والشرق، في حدود الامكانيات التي يتيحها موضع المدينة وأفاقها.

<sup>1</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص. 227-228-230-231-232.

<sup>2</sup> AMS, Séance municipale, 10/03/1943.

<sup>3</sup> مخططات عمرانية سنوات (1838-1840-1844-1869-1903-1920-1928-1937-1955-1957).

## المبحث الثاني: المعالم العمرانية:

تعد سكيكدة عينة تاريخية وجغرافية لمدينة كولونيلية لها جذور تاريخية قديمة تم تجديد مجالها العمراني من طرف المحتلين لهذا فقد أعيدت الحياة لمدينة سكيكدة بعد أن ذبلت حضارتها، وشيدت حول المدينة القديمة مبان جديدة رافقتها جهود كبيرة ونشاط متزايد للأيدي العاملة المشرفة على الحركة العمرانية للمدينة وبنائها، وهذا بحكم موقع المدينة كنقطة تجميع وتوزيع في أن واحد<sup>1</sup>.

ويتم التعرف على القواعد العمرانية الموجودة في المدينة من أحياء وشوارع وبنيات التي كانت تخضع لها المدينة خلال فترة الاحتلال الفرنسي، ونوعية هذا المحيط الحضري وما مدى تأثير السلطة الفرنسية على شكل هذه المدينة المحصنة وعلاقتها بمحيطها الخارجي البحر في شمالها وهذا بالاعتماد على الميناء والصيد البحري، ويدل ذلك على انفتاحها على العالم الخارجي، وحاجتها للارتباط بالمتروبول من جهة، ومن جهة أخرى ترتبط بالضواحي للاستفادة من منتوجاتها لتصنيعها وتصديرها.

ومن خلال مكونات العمارة التي شيدها الفرنسيون بالمدينة التي ترسم في مظاهرها الخارجية، ولهذا قامت الإدارة الفرنسية المحلية بأعمال كبرى في ميدان التهيئة الإقليمية والتعمير في المدن وذلك وفق حاجيات الاستيطان، وفي ضوء المصلحة العامة وخاصة في السواحل التي أضحت في مجموعها منطقة استقطاب للجاليات الأوروبية في فترات متعاقبة<sup>2</sup>. وتتأثر الظاهرة العمرانية والممارسة الحضرية بالمدينة خلال الحقبة الكولونيلية بنوعية المحيط الحضري وبيئتها والقوانين التي يخضع إليها في الممارسة الحضرية ونقص ممتلي الإدارة والأفراد والجماعات المختلفة التي تتولى تسيير شؤون المدينة وعبرها تتضح ملامح الإدارة الفرنسية في الحياة المحلية. تم إحياء مركزها عن طريق مشاريع الأعمال الكبرى في ميدان التعمير، وطريقة التوزيع العقاري التي تقوم بتسيير خدمات الأحياء السكنية والحرفية والأسواق الموزعة بالمدينة.

وترتبط نوعية الإطار المبني للمجال السكني للمدينة الذي يميز المشاريع السكنية المنجزة خلال الحقبة الاستعمارية، بسياسة السكن وبمواد البناء المستخدمة، وتراعي فيها المنظر العمراني الجمالي لهذا المركز، لذا عملت البلديات على تجسيد مشاريع تتلاءم مع الطابع الطبوغرافي الذي تتميز به موضع هذه المدينة الساحلية، ذلك على اعتبار أن البلدية هي الهيئة المسؤولة في أية مدينة على تنفيذ اللوائح والقوانين الخاصة بإنشاء المباني والطرق والمواصلات وإقامة وصيانة جميع الخدمات والمرافق من مياه وكهرباء ومجاري، تعتمد الرسومات المقدمة لها لإقامة المنشآت قبل تنفيذها بعد التأكد من مطابقتها

<sup>1</sup> أبو عياش عبد الله، أزمة المدينة العربية، المرجع نفسه، ص 55.

<sup>2</sup> من خلال العينات المختلفة التي تمت ملاحظتها في أرشيف بلدية سكيكدة المتمثلة في المراسلات مع الهيئات الإدارية الأخرى من الدائرة والولاية والحكومة العامة وحتى الوزارات القطاعية في باريس والتي تسهر كلها على متابعة إنجاز المشاريع، بينما تسيير الخدمات العمومية في المنشآت المدنية والدينية والأحياء السكنية والنشاطات الحرفية وحركية الأسواق كذلك طريقة التوزيع العقاري.

للقوانين واللوائح الخاصة بإنشاء المباني، وتوصل المرافق والخدمات العامة إليها؛ ويدير أعمال البلدية مجلس مدينة أو بلدية يرأسه المحافظ، ويكون مقره مبنى البلدية المدينة يضم جميع الإدارات وأقسامها<sup>1</sup>. بعدها أصبحت المدينة منطقة جذب للسكان المسلمين بسبب تدهور حالة أريافهم<sup>2</sup> ما ساعد على تزايد الاقامات الرئيسية أو الثانوية المنعزلة أو المجمع في مقاسم تحاكي في ذلك أساليب معمارية أجنبية<sup>3</sup>. وتنمو المدينة وتتطور من خلال بعدين أساسيين هما الزمن والمكان، ويعني أن البعد الزمني الذي يمثله تطور الأحداث التاريخية مسؤول إلى حد كبير في فهم مؤثرات بزوغ المدن وانحطاطها سواء كانت بشرية أم طبيعية، والبعد الثاني المتمثل بالمكان ليس إلا تعبيراً عن أهمية العوامل الجغرافية والمواقع والمواقع في نشأة المدن وتغيير أدوارها ووظائفها عبر البعد الزمني، وكانت المدينة أساساً محل اهتمام المهندسين والمعماريين لنواحي البناء<sup>4</sup>.

ومن خلال دراسة النماذج تتشكل أسس لمعاينة الظواهر العمرانية وعلاقتها بتنظيم المجتمع مع معاينة النشاط الاقتصادي بالمدينة، فتمكنت المدينة من اكتساب مظهر عمراني حديث دخیل<sup>5</sup> يعبر عن تطور مادي للمدينة أخذ بعين الاعتبار خصوصية الموقع وطبيعة التواجد البشري فيها، والهندسة والتنظيم الداخلي للمدينة من حيث خصائص مجال نسيجها الحضري ومجالاتها الحرة، من حيث شبكة الطرق والساحات والحدائق وتنوع المناظر العمرانية ذات القيمة التاريخية والهندسة المعمارية المتميزة وفق مورفولوجية متناسقة ووحدة عمرانية متجانسة وهيكلية مجالية متلاحمة تتناسب مع طبوغرافيتها. وتتميز بنايات المرتفعة والمتراصة لمركز المدينة بمعالماً مختلفة في شكلين متباينين: وهي معالم مركزية، وتكون فيها المعالم مجمعة كالمركز الإداري في أقصى شمال المدينة (شارع زيغود يوسف)، ومعالم نقطية تكون فيه المعالم منفردة موزعة في المدينة كالمسرح البلدي، والمجلس القضائي.

وتوسع النسيج الحضري لمركز المدينة الأوروبية محيط مجال دراستنا عبر مراحل من تطورها التاريخي، وتزايد عدد سكانها، وطبيعة المباني من حيث سعتها أو ضيقها، المنجزة قصد الإسكان الفوري للأوروبيين القادمين مع الجيش الفرنسي داخل الأسوار خلال الفترة الأولى من الاستعمار، وفق خطط عمرانية شطرنجية اتصفت بها المركز القديم، حيث استعملت مواد بناء محلية هشة، كالخشب، والرمل الطيني المجلوب من وادي الصفصاف، تتميز بقصر عمرها، لهذا تعرض للتدهور ثم للتهديم وعمليات الترميم والتجديد التي عرفتها بناياتها وسلامها، وأسقفها وطبيعة النسيج العمراني من تلاصق المباني وارتفاعها، وطالبت البلدية من أصحاب ومالكي المساكن صيانة ممتلكاتهم<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> توني يوسف، معجم المصطلحات العمرانية، المرجع السابق، ص.71.

<sup>2</sup> A.M.S.

<sup>3</sup> تراون جان فرانسوا، المغرب العربي: الإنسان والمجال، المرجع السابق، ص. 127 .

<sup>4</sup> أبو عياش عبد الله، أزمة المدينة العربية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط، 1980، المرجع نفسه، ص 81.

<sup>5</sup> سعيدوني نصر الدين، أساسيات منهجية التاريخ، ورقات في إشكالية البحث التاريخي، دار القصب للناشر، الجزائر، 2000، ص.23.

<sup>6</sup> بوحجة سهيلة وآخرون، تنظيم وإعادة هيكلة المراكز القديمة حالة مركز مدينة سكيكدة، المرجع السابق، ص.152-153.

فرضت الطبيعة الوعرة لموضع سكيكدة بشكل خاص في الشمال نموذجاً فريداً يتمثل في العمران المتسلق إذ يبلغ سفح جبل بويغلا، أما جزئها الجنوبي فيتوضع على سهل الزرامنة وقسم من كدية الزفراف<sup>1</sup>، كما يضيف وجود المساحات الخضراء مظاهر جمالية على البيئة، بحيث خصصت حدائق ومساحات خضراء وفراغات بيئية مهيأة للراحة والاستحمام في المناطق العمرانية، ولهذا غرست أحزمة من الأشجار على طول المحاور في كل منطقة، مع سقيها وحمايتها بشكل دائم عن طريق هيئة مختصة. ومن المعروف أن لكل مدينة بنية حضرية واضحة تميزها عن باقي المدن ولها مركز أو وسط يختلف شكله وحجمه واتساعه ونمط بنائه باختلاف المعطيات المعتمدة عليها من العوامل الطبوغرافية أو السكانية أو الاقتصادية أو السياسية. انعكست الهيكلة العمرانية والديناميكية المعمارية بشكل جلي على صورة المدينة وخصوصيتها الجذابة، حيث استفادت مركزها الحضري ببنية خاصة ذات وحدة مجالية منفردة في موقعها ومورفولوجيتها وعمرانها الذي يغلب عليه الطابع الأوروبي، فركزت هيكلتها على منطقة مركزية تنظم وظائفها ومسالمتها وخدماتها وعلاقاتها مما يشكل مصدر قيمتها وقدرتها على التحكم في إقليمها، على الرغم من الصعوبات التي تميز سطحها الطبوغرافي من وجود نطاقات غير مستقرة ومواقع خطيرة تعيق التعمير في محيط المدينة وذلك تبعاً للانحدارات، وهذا ما يحتم اختيار الأراضي الصالحة للبناء أو إنجاز أساسات عميقة تصل إلى مستويات توجد بها طبقة الشيبست الصلب مع استعمال أساسات متجمعة<sup>2</sup> لأنها تتحمل ضغط وتقل المباني وتوزعه على مساحة من الأساسات المنعزلة<sup>3</sup> مع إقامة جدران الإسناد<sup>4</sup>.

وانتظمت الخصائص العمرانية والمعمارية لمركز المدينة ونمت حول مينائها التجاري الأمر الذي أمدّها بالحيوية والنشاط الدائم<sup>5</sup>، وانفرادها بمناظر مهيكلّة لمجال عمراني وبخصوصية مميزة، تبرز من خلال مظاهر معمارية متعددة موزعة بالمدينة، ولظهور العمارة المزخرفة، لا بد من وجود أحجار صالحة للبناء حتى يكون في إمكان المعماري تحويلها إلى أبنية وغيرها من التصاميم<sup>6</sup>.

ويمكن النظر في الواجهات الخارجية لمجموع البنايات المنجزة داخل محيطها الذي يحتوي على بصمات ترجع لمختلف التأثيرات الهندسية على هذه الرقعة. وهنا تبرز خصوصية واضعي التصميمات الهندسية وفق ضوابط عمرانية، فالواجهات العمرانية التي هي مجال خارجي للبنايات على طول

<sup>1</sup> كدية الزفراف تقع في أقصى جنوب مدينة سكيكدة.

<sup>2</sup> أساسات متجمعة Les Semelles Filantes

<sup>3</sup> الأساسات المنعزلة Les Semelles Isolées

<sup>4</sup> جدران الإسناد Mur de soutènement

<sup>5</sup> بوحجة سهيلة وآخرون، تنظيم وإعادة هيكلة المراكز القديمة حالة مركز مدينة سكيكدة، المرجع السابق، ص.27.

<sup>6</sup> الصمد واضح، الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1981، ص.302.

<sup>7</sup> الواجهات الخارجية Les Façades Urbaines

المحاور المحاذية للشوارع والأحياء المتركرة حولها، وتفصل هذه الواجهات بين ما هو خارجي وما بداخل هذه البنايات، فالخارجي يشكل مجالا عموميا مرئيا<sup>1</sup>، أما الداخلي فهو مجال خاص غير مرئي<sup>2</sup>.

وتتضح هذه الخصوصية المعمارية في الواجهات العمرانية المطلة على الشارع الرئيسي ديدوش مراد، والشوارع والأحياء المحاذية له على سبيل المثال واجهة الحي الإيطالي<sup>3</sup>، حيث يظهر نظام ارتفاعات المباني، والكتل المبنية به والنقطعات المجالية التي تتشكل منه مما يؤكد على وجود نسيج حضري مميز الذي ما يزال قائما إلى حد الآن، التي تخفي وراءها تراثا معماريا فريدا يحوي على زخارف وفنيات هندسية، استمدت من الهندسة المعمارية الأوروبية والتي ظهرت منذ بدايات القرن 19م إلى غاية العقد الثاني من القرن 20م، وتميزت باختلاف أشكالها العمرانية المتأقلمة مع مؤهلات الموضع ومتكيفة مع المعطيات الطبيعية للمنطقة ذات الامتداد الجبلي التي تتخللها سهول ضيقة، محدثة تغيرات عمرانية ومجالية ذات استمرارية في الزمن والمكان<sup>4</sup>.

إن توسع الطراز المعماري داخل أسوار سكيكدة جعلها تحظى بعناية فائقة من طرف القائمين على تسييرها الذين اهتموا بتوسيع المجال العمراني للمدينة، رافقه اهتمام واضح بزخرفتها وإعطائها البعد الجمالي الجذاب، ومراعاة الأهمية المعلمية لكل بناء الذي ينجز وفق المعايير الهندسية الأوروبية.

وانتقال السكان الريفيين إلى المدينة أو تجمعاتها الحضرية لا يعني تحولهم بسرعة إلى سكان حضر يزاولون مهنا وحرفا حضرية أو يتطبعون بعادات الحضر وتقاليدهم، فعملية التحضر تحتاج إلى تكيف وتأقلم المهاجرين مع الأوضاع الحضرية بعناصرها المختلفة<sup>5</sup>. فووقت حركات هجرة كبيرة بين الجزائر وفرنسا من جهة، وبين الريف والمدينة من جهة أخرى، وهذا بعد ازدياد عدد السكان، والميل نحو الحياة الحضرية موجودا في صفوف المسلمين والأوروبيين.

وكانت آثار هجرة المسلمين إلى المدن الجزائرية لافتة للنظر، وانتقل 7% عام 1866 إلى 15% من المسلمين في المدن عام 1954، حيث لم يجد الكثير منهم مأوى لهم إلا في مدن من الأكوخ، بينما كان غيرهم يضطرون إلى عبور المتوسط إلى فرنسا<sup>6</sup>، للعمل في قطاعات صعبة نتيجة تدهور الوضع

<sup>1</sup> مجال عمومي مرئي Espace Public

<sup>2</sup> مجال خاص غير مرئي Espace Privé

<sup>3</sup> يعرف بحي نابوليتان أو حومة الطليان أنجز بين سنتي 1838 و1849 لإسكان المئات من المستوطنين الوافدين من إيطاليا وصقلية تقطن به الجالية الإيطالية الآتية من مدينة نابولي والجزر المحيطة بها من بينها إيشيا وسردينيا، موزع على حوالي 5 هكتارات، يحد هذا الحي من الشمال حي رافان Ravin الذي تعرض لتدهور مستمر بسبب الرطوبة مما نتج عنه تهديم 46 بناية عام 1996.

<sup>4</sup> بوحجة سهيلة وآخرون، تنظيم وإعادة هيكلة المراكز القديمة حالة مركز مدينة سكيكدة، المرجع السابق، ص.46.

<sup>5</sup> أبو عياش عبد الله، أزمة المدينة العربية، الناشر وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980، ص.94.

<sup>6</sup> جيلبسي جوان، المرجع السابق، ص 44.

الاقتصادي على سكان الريف أن يغادروا قراهم في موجات من الهجرة إلى المدن الجزائرية الكبرى بحثا وراء العمل، حيث أصبح الأهالي يعيشون في أحياء غير صحية تنعدم فيها المرافق الحيوية<sup>1</sup>.

بيد أن هذه الزيادة الديموغرافية في عدد السكان المسلمين في المدن ما انفكت تثير القلق لدى السلطات الاستعمارية، لأنها تتيح لهم نشاطا سياسيا هاما للمجتمع المسلم التي رفضت تمدينه بالرغم من التفهق الاقتصادي للأرياف. وحاول أندري نوشي<sup>2</sup> انتقاد مغادرة المعمرين للأرياف: (لقد فقدت المدن الجزائرية التي يتمتع فيها الأوروبيون بالأغلبية بلا منازع لحد الآن هذه الخاصية بالرغم من التمركز الحقيقي للسكان الأوروبيين الذين يتجهون منذ 1919 نحو إهمال الأرياف).

سمح هذا التوازن الديموغرافي الذي فرضه عالم الريف لاحقا للجزائريين في البيوت القصدية بالوعي السياسي، بدون أن يغير الملامح الحضرية أو ممارساتها.

وتعد فترة 1930-1954، هي فترة ازدهار المجتمع الحضري الاستعماري، حيث كان الأوروبيون أكثر غنى في المجتمع الحضري مقارنة بالمسلمين، ففي مجال التعليم تم إقصاء الأغلبية الساحقة منهم من المدرسة، سواء بسبب قلة المدارس التي لم تواكب احتياجاتهم أو بسبب الفقر العائلي الذي لا يسمح بالتمدرس، وبمرور الوقت تأقلم المسلمون مع مبادئ اللغة لكسب العيش، كذلك بالنسبة لآلية العلاقات مع المؤسسات الحضرية (البلدية والمراكز الاجتماعية..). بصفة عسيرة.

وفي هذه الأثناء، حاول المجتمع الاستعماري خلق ثقافته الخاصة به (الجزائرية<sup>3</sup>) حيث لا وجود لدور المجتمع الاسلامي ولا مكانة له في كل مجالات الثقافة (الأدب، السينما، المسرح..)، حيث ينظر للمجتمع الجزائري من خلال مظاهره السلبية<sup>4</sup>.

في نهاية العهد الاستعماري عام 1959 سادت ظاهرة إقامة المحنشات وتجهيز سكان الأرياف لسد الخناق على الثوار، حيث قدرت المساحة المعمورة خلال هذه الفترة في مراكز: الحروش 41 هكتارا، صالح بوالشعور 28 هكتارا، الحدائق 7 هكتارات، رمضان جمال 24 هكتارا.

وتعد المدينة نقطة استقطاب هامة لهذه المراكز، والعلاقة بينهما وظيفية خاصة في مجال جلب العمالة التي تقترن بظاهرة القرب والبعد من المدينة وتساهم في امتصاص نسبة أكبر من العمالة<sup>5</sup>. وقد أستقر عدد مرتفع من هؤلاء العمال في أحياء المدينة الهامشية ضمن سكنات تلقائية، وهي أنسجة عمرانية ثانوية، تتكون من أحياء صفيح تجاوزت محيط المخططات العمرانية التي وضعتها بلدية سكيكدة سنوات بعد الحرب العالمية الثانية، لذلك ظهرت تجمعات سكنية تفتقد لأدنى الخدمات.

<sup>1</sup> تركي رابح، المرجع السابق، ص 86، وبوحوش عمار، دراسة أسباب الهجرة إلى فرنسا، مجلة الثقافة، العدد 13-14، 1973.

<sup>2</sup> Nouschi André, *Le sens de certains chiffres*, In études maghrébines, p.201.

<sup>3</sup> Algérieniste

<sup>4</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص. 258-259-260.

<sup>5</sup> بوشامة ليديا، شبكة المراكز في وادي الصفصاف بولاية سكيكدة، فوارق النمو وتنوع وتكامل في الوظائف، جامعة منتوري، ص. 85-127.

النزل البلدي<sup>1</sup>: كانت الحاجة ماسة لانجاز معلم اداري ضخم يعوض مركز البلدية القديم وسط الشارع الرئيسي، الذي كان مقر للمجالس البلدية 1843-1931، نحو الطرف الشمالي بالقرب من معالم أخرى ادارية وسياحية وخدمائية (محطة القطار، الميناء، البريد، البنك، مقر الشرطة، الساحة الرئيسية)، ونتيجة لرغبة السيناتور ورئيس بلديتها كيتولي في بناء مبنى جديد يليق بمقام المدينة، فأنجز النزل البلدي عام 1931، الذي يعد منتج خالص للهندسة المغربية الجديدة<sup>2</sup> ويحمل مزيجا من الطابع الهندسي الإسلامي والأوروبي، خاصة زخارف الفسيفساء، وكذلك التماثيل البيزنطية والألوان الفاتنة الرائعة المجلوبة من فرنسا، ومزخرف بمادة خزف نابل<sup>3</sup> بتونس التي وقع الاختيار عليها من طرف المهندس شارل مونتالان ليزين إنجازاته، مدعمة بأعمدة عملاقة نجدها في بهو الطابق الأرضي، بينما مدخل قاعة المحاضرات مزين بخزف أولاد الشملة<sup>4</sup> الذي يغلب عليه الألوان الهادئة، تحيط بها إنارة متناسبة مع المكان، تتشكل من ثريا ضخمة على شكل عنقود، مصنوع من البرنز في مجال متنازل من القمة إلى القاعدة بمربعات متباعدة 45°، ترصعها أجزاء متماثلة من الزجاج، ويدعمها هيكل من البرونز مع تزيين التماثيل واللوحات لكل زاوية وجدار، وغلب على الواجهة الرئيسية لنزل المدينة طابع الهندسة الإسلامية ذات إحاطات بسيطة وخطوط رقيقة بمنقوشات رائعة فيظهر النزل شامخا تحيط به شبكة حضارية مصفوفة بشكل متناسق، يهيمن المبنى على الشارع المقابل لساحة البحرية<sup>5</sup> بواسطة برجه الضخم، ويبدل التعقيد الذي يطبع العناصر الهندسية لهو نزل المدينة على إبداع واضع التصميمات<sup>6</sup>.

قصر مريم عزة: يعرف بقصر بن قانة نسبة لأحد أغنياء الزيبان الذي أستطاع شراء هذا القصر في مكان ساحر الجمال في الطريق العلوي الملتوي والضيق المؤدي إلى ميناء اسطورة الذي أنجزه المهندس شارل مونتالون<sup>7</sup> بأمر من رئيس بلدية سكيكدة بول كيتولي، حيث يدخل ضمن المشاريع

<sup>1</sup> النزل البلدي: L'Hôtel de ville

<sup>2</sup> الهندسة المغربية الجديدة Néo Maghrébine

<sup>3</sup> خزف نابل La Faïence de Nabeul بمدينة نابل الواقعة شرق العاصمة تونس على بعد 60 كلم، وتقتزن منطقتها بزهرتي الفل والياسمين، وتتميز بخزفها النابلي من أجود الأنواع، وبلغت شهرته أصقاع العالم، ويرجع تواجده منذ العهد الفينيقي والروماني. ينظر:

www.maghreb.com Djamel elarfaoui, le21/09/2007.

وتتسم صناعة الخزف التونسية بغناها وتاريخها القديم، فهي تشهد على وراثة هذه المهنة ونقل هذه الحرفة، مصدر رزق العائلات التونسية، نابل الساحلية تعد مملكة الخزف حيث عرفت بإنتاجها الوفير والمتنوع في ميدان الفخار، والتسمية القديمة لمدينة نابل هي: "نيابوليس" حسب المراجع اليونانية القديمة، ق.5.ق.م، وصناعة الخزف ورثها أهالي الوطن القبلي عن أسلافهم منذ آلاف السنين، وتستخدم الأواني الفخارية كأداة للزينة والاستعمال اليومي للمطبخ، توفر الانتاج على كل المواصفات والقدرة على الصمود، ذات قيمة جمالية، ونجد المزهريات بمختلف الأشكال والأحجام، كذلك أصبحت البراويز والثريات من الخزف المزين بشتى الألوان لها شهرة واسعة، ينظر: مجموعة الاتصالات الاعلامية، 2007. فن الخزف وصناعة الفخار عريقة في تونس منذ آلاف السنين ويوجد نوعان من الفخار: الطبيعي أو الشواط والمطلي، وتعد مدينة نابل أول وأهم مركز لصناعة منسوجات الحصر (من مادة السمار الذي ينبت في السبخ) الموجهة لتغليف الجدران وفرش أرضية المنازل والمساجد المزخرفة بأشكال بيضاء الألوان. ينظر: جريدة الحياة، سميرة الصدي، 11 فيفري 2008.

<sup>4</sup> خزف أولاد الشملة Chemla.

<sup>5</sup> ساحة البحرية(مارك) La Place de marine ou Marqué.

<sup>6</sup> Skikda, Art et Monument, Wilaya Skikda, p-p 55-65

<sup>7</sup> Charles gustave adolphe montaland architecte communal, embellissement extension de la ville, de nommé le 5/7/1905, voir ; AMS, Arreté n341, 1905. personnel petite voirie de philippeville.



الضخمة المنجزة بالمدينة خلال مطلع الثلاثينات من القرن 20م، ويختلف تاريخ إنجاز هذا القصر وتسميته بحيث يحمل تسميتين: الأولى مريم بن قانة التي يقول البعض بأنها زوجة بن قانة، بينما يرى آخرون أن تسمية مريم عزة أطلقها كيتولي لتأثره الشديد بالشخصيات العربية الإسلامية وتسمياتهم. فيبرز الطابع المورسيكي جليا في هندسته، حيث تتناظر الكامل للعناصر المزينة للقصر يدل على دقة العمل الحرفي، ونجد في مدخل الجناح الجانبي للقصر على طرفيه: نباتين استوائيتين دخيلتين<sup>1</sup>. ونجد بأن المهندس شارل مونتالون أعتمد على تناظر كامل للعناصر المزينة للقصر بما فيها التزيين بالحيوانات، حيث أعتمد المهندس على فن الخط من أجل تخليد بعض أنواع الحيوانات الموجودة في الأوهام والأساطير<sup>2</sup>، ونلاحظ في التصميم الهندسي للقصر تواجد الأقواس في كل مكان .

قصر العدالة: بني عام 1878 في مكان ساحة كورناي<sup>3</sup> بالمحكمة القديمة لسكيكدة المنجزة عام 1843 مساحة 6000 م<sup>2</sup>، الواقعة في المحور الرئيسي لشارع ديدوش مراد بوسط المدينة<sup>4</sup>. القطاع العسكري ومركز الشرطة: هما تجهيزان أمنيان يتجاوران بنهج محمد خميستي مقابل ساحة الحرية، حيث موضع كنيسة سانت ماري، يتربع القطاع العسكري على مساحة تقدر 1500 م<sup>2</sup>، بينما يحتل مركز الشرطة جزءا من البناية، وهناك مقر آخر للشرطة يقع على محور زيغود يوسف<sup>5</sup> مجاورا لمقر البلدية، يهتم بشؤون المحيط العمراني<sup>6</sup>.

محطة القطار: الواقعة قرب ميناء سكيكدة تم تدشينها رسميا في 28 مارس 1937 من طرف وفد فرنسي يضم الحاكم العام لوبو<sup>7</sup>، والأمين العام المساعد لوزير الداخلية الفرنسي راؤول أوبو<sup>8</sup>، ووالي عمالة قسنطينة بوفي<sup>9</sup>، ومدير السكك الحديدية في الجزائر أردون<sup>10</sup>، وصاحب فكرة المشروع بول كيتولي والمهندس شارل مونتالان، برافقتهم رئيس الغرفة التجارية<sup>11</sup>.

وركز في تخطيط هذه المحطة على تزيينها بشكل يتناسب مع موقعها الحيوي وأهميتها الخدمائية، لذلك إعتمد مصمم هذه المحطة النموذجية التي تعد تحفة معمارية على وضع تصاميم وتزيينات متنوعة تتشابه مع باقي المشاريع المنجزة خلال تلك الحقبة، كتزيين ساحة المحطة بخزف نابل المزخرف<sup>12</sup>، بها

<sup>1</sup> Skikda, *Art et Monuments*, p.80

<sup>2</sup> Ibid, P.94

<sup>3</sup> ساحة كورناي Place Corneille.

<sup>4</sup> بوحجة سهيلة ودلال زهرة ولعباني مليكة، تنظيم وإعادة هيكلة المراكز القديمة حالة مركز مدينة سكيكدة، ص.53.

<sup>5</sup> محور زيغود يوسف بشمال المدينة قرب الميناء وحي بني مالك.

<sup>6</sup> بوحجة سهيلة وآخرون، تنظيم وإعادة هيكلة المراكز القديمة حالة مركز مدينة سكيكدة، المرجع السابق، ص.53.

<sup>7</sup> لوبو Lebeau.

<sup>8</sup> راؤول أوبو Raoul Aubaud.

<sup>9</sup> بوفي Bouffet.

<sup>10</sup> مدير السكك الحديدية في الجزائر CFA أردون Ardan

<sup>11</sup> رئيس الغرفة التجارية لسكيكدة سافور بينيلي Saveur Pinelli.

<sup>12</sup> Skikda, *Art Et Monuments*, Op. Cit., P.P.107-108.

قصر إسلامي يذكرنا بحكايات ألف ليلة وليلة، ودار يزين الدرج من البرونز الخالص يؤدي إلى الساحة، بينما وضعت بالبهو المركزي ساحة فريدة مزينة، تضم ثريا أصلية على شكل نجمة بتزيينات ملتوية<sup>1</sup>.  
 يربط سكيكدة:يقع على محور الشارع الرئيسي زيغود يوسف مجاورا للبنك المركزي الذي يقدر مساحته 1000م<sup>2</sup>، يستحوذ على مساحة 2125م<sup>2</sup> لها دور مهم لما تستقطبه من نفوذ وحركية واستقطاب<sup>2</sup>.  
 لجأت السلطات الفرنسية خلال الفترة الأخيرة من المرحلة الاستعمارية 1945-1962 إلى استغلال محيط الأراضي الزراعية السهلية في التوسع العمراني للمدينة خارج أسوار مركزها، بعدما أصبحت سكيكدة تعاني من نقص العقار المخصص للسكن مما طرح مشاكل جادة أعاققت نمو المجال السكني. واتجهت الإدارة الفرنسية إلى إنجاز المشاريع السكنية في الأحياء الجديدة في بني مالك، والملعب الرياضي جنوبا، ومطار فالي العسكري شرقا<sup>3</sup>.

التجهيزات الترفيهية: واهتم مصممو المشاريع العمرانية بإرفاقها بمساحات خضراء ذات طابع جمالي، حيث تتوسط هذه البنايات حدائق للترفيه والراحة تحتوي على نباتات وأشجار تم جلبها من المعارض الجزائرية والفرنسية خاصة من باريس مع العناية الفائقة بتسييرها بواسطة عدد من المتخصصين في النباتات<sup>4</sup>، ومن بينها:حديقة ساحة الشهداء<sup>5</sup> المنجزة عام 1938، وهي مدخل مركز المدينة القديم عن طريق شارع ديدوش مراد جنوبا داخل الأسوار من الجنوب سابقا، تتربع على مساحة 5120م<sup>2</sup> بما فيها الحديقتان العموميتان بمساحة تقدر 2756م<sup>2</sup> من المساحة الإجمالية، وهي مكان توضع باب قسنطينة، وتتميز هذه الساحة بتجمع تجهيزات تعليمية ثقافية صحية وتجارية، بحيث أعطت لهذا المجال حركية مميزة<sup>6</sup>. وتحتصر التجهيزات الترفيهية في الحدائق العامة والمساحات العمومية، فهي تعد المتنفس الوحيد للمركز وللسكان القاطنين به، وتشمل الآتي<sup>7</sup>:

المساحات العمومية:تتوزع بمدينة سكيكدة المنتزهات العمومية منها:ساحة ماركي البحرية، حيث تقام حفلات موسيقية تنظم من طرف جمعيات محلية مختصة خلال المناسبات الوطنية، وساحة واقرام<sup>8</sup>.  
ساحة الحرية:الواقعة في الجهة الشرقية للشارع ديدوش مراد بجانب القطاع العسكري قرب كنسية سانت

<sup>1</sup>Ibid, P.P.110-109.

<sup>2</sup> بوحجة سهيلة وآخرون، تنظيم وإعادة هيكلة المراكز القديمة، المرجع السابق، ص.55.

<sup>3</sup> مطار سكيكدة العسكري في الجنوب الشرقي للمدينة، والذي تحول فيما بعد لمصالح الأرصاد الجوية.

<sup>4</sup> تؤكد المراسلات الإدارية التي تم الإطلاع عليها في أرشيف بلدية سكيكدة، طلبات اقتناء لنباتات وأشجار لتزيين حدائق المدينة.

<sup>5</sup> ساحة الشهداء، وهي ساحة فاقرام Place Wagram.

<sup>6</sup> بوحجة سهيلة وآخرون، تنظيم وإعادة هيكلة المراكز القديمة حالة مركز مدينة سكيكدة، المرجع السابق، ص.39.

<sup>7</sup> بوحجة سهيلة وآخرون، تنظيم وإعادة هيكلة المراكز القديمة، المرجع نفسه، ص.62.

<sup>8</sup> ترجع هذه التسمية نسبة إلى بلدة شمال شرق فيينا بالنمسا عرفت معركة مصيرية ليلة 5 إلى 6 جويلية 1808 حقق فيها الجيش الفرنسي انتصارا

بأهرا في الموقعة على حساب قوة الجيش النمساوي التي خلفت خسائر فادحة في صفوفهم الذين فقدوا حوالي 50 ألف جندي، بينما القوات

الفرنسية بقيادة نابوليون بونابرت فقدت 34 ألف جندي، بنظر:

Le Petit Larousse Illustré 2006, Paris, - Le Petit Robert Dictionnaire Illustré, Noms Propres, Paris, 1996, P.2193.

ماري ذات استقطاب كبير لها شكل هندسي<sup>1</sup> التي أنشئت في عام 1848 من طرف خبراء ومعماريين أجانب وتم تهديم الكنيسة المسيحية القديمة سانت ماري عام 1980، حيث تغير مظهرها العام بعد إعادة تهيئتها أدت إلى وجود حديقة عمومية صغيرة مع وجود مقاهي وأكشاك منتشرة في كل جهات الساحة، وتشهد حركات كبيرة للوافدين إلى هذا المركز مما جعلها منطقة للتلاقي والتجمع والترفيه.

ساحة الشهداء: تقع في مدخل المدينة القديمة داخل الأسوار عن طريق شارع زيغود يوسف جنوبا تتربع على مساحة 5120 م<sup>2</sup> بما فيها الحديقتان العموميتان بمساحة تقدر 2756 م<sup>2</sup> من المساحة الإجمالية، تتميز هذه الساحة بتجمع تجهيزات تعليمية ثقافية صحية وتجارية<sup>2</sup>.

فالحديقة الرائعة التي تغطيها الأشجار الضخمة النادرة، ووضع تحت ظلها مقاعد لراحة الكبار والصغار، وتقع هذه الحديقة في منحدر، وتؤدي عند مخرجها العلوي إلى الكنيسة الجميلة التي يقال أنها بنيت بحجر كبير جيء به خصيصا من مرسيليا، ويوجد إلى جانبي الكنيسة ساحتان واسعتان تقع في واحدة منهما مدرسة فيكتور هيغو، والمستشفى الواقع إلى جانب تكنة فرنسا<sup>3</sup>. ويتبين من جدول الحقائق والساعات الموزعة بالمدينة مدى سعة الفضاء الترفيهي الذي يستفاد منه أيام الراحة.

المساحة م <sup>2</sup>	الموقع	الحقائق والساحات
2756	ساحة الشهداء	حديقة عمومية
1200	بجانب المسرح البلدي، وشارع زيغود يوسف	حديقة المسرح البلدي
5875	ساحة أول نوفمبر	ساحة عمومية
560	ساحة الحرية	ساحة عمومية
14500	ساحة زيغود يوسف	حديقة عمومية

وكان بول كيتولي يريد تحويل سكيكدة إلى قطب سياحي هام على مستوى المستعمرة كلها، ولهذا عمل على وضع العديد من الإنجازات العمرانية أنجزت بين سنتي 1929-1949.

ومن مظاهرها البنايات العمومية الفخمة الموزعة شمال مركز المدينة، من محطة السكك الحديدية إلى دار البريد والمواصلات مرورا بالبنك الجزائري ودار نقابة المبادرة والسياحة<sup>4</sup>، وهي هيئة تشرف على الأنشطة الثقافية والمواسم الاصطياف، حيث أشرف على تسييرها إيميل ليدرمان<sup>5</sup>، تم استخدام هذه الدار من طرف مصالح الجيش الفرنسي خلال الثورة الجزائرية<sup>6</sup>، والنزل البلدي<sup>7</sup>، ووصولاً إلى المناطق الشاطئية، بحيث بنيت مركبات سياحية كمركب ميرامار بخليج سطورة، والمسبح البلدي ومركز صيفي

<sup>1</sup> تعرف ساحة الحرية عند أهل مدينة سكيكدة Cour أو حديقة الأرسنال حديقة الأرسنال Le Jardin D'Arseal .

<sup>2</sup> بوحجة سهيلة وآخرون، تنظيم وإعادة هيكلة المراكز القديمة، المرجع السابق، ص.39.

<sup>3</sup> سعدي فاطمة، البراءة المسلووية، مجرزة 20 أوت 1955، دار النشر أنوثة، 2006، الجزائر، ترجمة عبد الرحمان شريط، ص.78.

<sup>4</sup> بناية تغيرت وظيفتها حسب تطور المدينة من الوظيفة السياحية إلى الوظيفة العسكرية.

<sup>5</sup> إيميل ليدرمان Lederman Emile شخصية سياسية فرنسية، تقلد العديد من المناصب الإدارية بسكيكدة، من بينها نيابة رئيس البلدية بول كيتولي المكلف بالسياحة.

<sup>6</sup> بعد الاستقلال أصبحت هذه البناية إحدى مصالح أمن ولاية سكيكدة.

<sup>7</sup> عرفت هذه البناية أشغال ترميم مستمرة قامت بها شركة تكتو Tecto منذ عام 1936 خاصة بعد تعرضه لعدة تسربات المياه خلال شتاء 1939-1940، واستمرت لغاية عام 1945، حيث كلفت مؤسسة SABAG بأشغال ترميم سطوحها.

بحي بن مهدي<sup>1</sup>. وتحققت مشاريع عمرانية ثقافية كالمرح البلدي<sup>2</sup> وقاعة سينما أفريقيا<sup>3</sup> عام 1930، ودار الصناعات التقليدية<sup>4</sup>، كما أنجزت مرافق تربية كثاوية موباس إيميل<sup>5</sup>، وتوسعة ثانوية لوسيان<sup>6</sup>.  
المباني العسكرية في المدينة: قلعة القوات البرية<sup>7</sup> وهي تكتة عسكرية أخرى في اتجاه البحر بين الموقع المعروف بالبلاطان<sup>8</sup> وشاطئ بن مهدي دورها يتمثل في الدفاع عن المدينة من أي هجوم من الناحية الجنوبية الشرقية<sup>9</sup> ومن البحر.

شهدت المدينة نموا عمرانيا متزايدا بعد الحرب العالمية الأولى لذلك واجهت سياسة التعمير مشكلة الأراضي الجيدة للبناء تطلب من المسؤولين المحليين البحث عن حلول ميدانية عن طريق الإشراف على مشروع تقسيم الأراضي المحددة للبناء وبيعها من أجل استغلالها في البناء بشكل منتظم.

ويمكن تميز نوعين من المباني: النوع الأول يعرف بالأحياء المقسمة<sup>10</sup> الموزعة على سفوح بني مالك الذي يعرف بحي بني مالك شمال غرب المدينة، حيث زحفت بهذه المنطقة<sup>11</sup> المباني ذات نمط الفيلا، أما النوع الثاني من المباني يتشكل من العمارات السكنية المكونة من عدة طوائف ظهرت على الطريق سكيكدة-قسنطينة، وامتدت هذه المباني حتى أطراف المقبرة الإسلامية، وظهرت بجانبها مبان خصصت للنشاطات الاقتصادية في شكل مستودعات ومرائب للسيارات أو مخازن للسلع على جانب شارع ممرات بارو<sup>12</sup>.

رافقت هذه المنشآت العمرانية إنجاز مباني ضخمة كالمباني الحديثة ذات الطابع العربي الاندلسي مثل بناية قصر البلدية ومحافظة الشرطة ومحطة السكك الحديدية ومقر الدائرة وبناء أو توسيع العديد من المؤسسات التربوية، ومهدت هذه المنجزات لمشاريع عمرانية وخدمائية أخرى، منها مشروع الطريق العلوي نحو سطورة ثم نحو قرية بن مهدي الاستحمامية.

<sup>1</sup> تتوفر هذه القرية السياحية الواقعة شرق المدينة على مسبح بلدي مخصص للاصطياف خلال موسم السياحة الصيفية التي تجلب إليها السواح من الجزائر وحتى من فرنسا، الأمر الذي أعطى سكيكدة طابعا جديدا كمدينة سياحية لها شواطئ مفضلة لدى الأوروبيين في فصل الصيف مستفيدين من توفر مسبح ومطاعم ونوادي ومقاهي.

<sup>2</sup> يعد ثاني مسرح بلدي منجز على مستوى مدينة سكيكدة تم تشييده في مطلع الثلاثينات من القرن 20م، بدأ في وضع تصميمه المهندس شارل مونتالان عام 1912 على مساحة تقدر 1000 م<sup>2</sup> لكن ظروف الحرب العالمية الأولى 1914-1918 عرقلت أشغاله، بحيث توقفت عميلة البناء من جرائها، لتنتقل الأشغال من جديد لغاية التشييد الرسمي لهذا المعلم الثقافي في 19 جانفي 1932 لما تحمله جدرانه الداخلية من تحف معمارية فنية راقية ذات الطابع الإيطالي، وكذا أعدته من زخارف رائعة يطلق عليها بالفن الباروكي، لكن هذه الواجهة المسرحية خصصت للمعمرين.

<sup>3</sup> قاعة سينما أفريقيا Empire .

<sup>4</sup> دار الصناعات التقليدية Artisanat قاعة عيسات ايدير حاليا.

<sup>5</sup> ثانوية موباس إيميل (النهضة حاليا).

<sup>6</sup> ثانوية لوسيان Luciani (العربي التبسي حاليا).

<sup>7</sup> قلعة القوات البرية Caserne De L'Armée De Terre .

<sup>8</sup> البلاطان: les Platanes .

<sup>9</sup> Arti Louis, El Halia, Le Sable d'el halia, oman Autobiographique, éditions camps'act, collection par-dessus la marché, france, 1996, p.114.

<sup>10</sup> الأحياء المقسمة Cité Lotissement.

<sup>11</sup> تعرف هذه المنطقة بتوفرها على أشجار الليمون والزيتون والنانج.

<sup>12</sup> شارع الممرات 20 أوت 1955 حاليا.

### المبحث الثالث: الأحياء الأوروبية والعربية

تقترن أهمية سكيكدة بأهمية الوظيفة السائدة فيها داخل نطاق تجمعها الحضري تعمل على تلبية حاجيات سكانها وإقليمها حيث تعد مدينة استيطان طغت عليها الوظيفة الحربية بادئ الأمر في منتصف القرن 19م، لتتحول فيما بعد إلى مدينة مرفئية تقوم بتصريف المنتوجات الزراعية لمعظم أقاليم الشرق الجزائري خلال فترة الاحتلال يتم تزويد فرنسا وأوروبا بالمحاصيل والثروات التي تنتجها تلك الأقاليم<sup>1</sup>، إضافة إلى وظيفتها الإدارية كإحدى المراكز الإدارية الهامة في إقليم قسنطينة، أصبحت مقر دائرة منذ عام 1842<sup>2</sup>، تضم مجموعة من البلديات المنتمية لإقليم سكيكدة التي ظلت تابعة لعمالة قسنطينة<sup>3</sup>. تتطلب دراسة الهندسة المعمارية في الجزائر التطرق إلى العديد من المواضيع والمفاهيم المبسطة لفهم واستيعاب المراحل والمتغيرات التي مست الطابع المعماري المحلي للمدن الكولونيالية. فقام المستعمر الفرنسي بطرد جل السكان إلى خارج أراضيهم الأصلية، ظهرت بدلها منازل ونوع جديد من أشكال الهندسة بها أبواب ونوافذ، التي خصصت للمعمرين الوافدين إليها. وتتميز شوارعها بكونها تسمح بمراقبة السكان، تفتقر المنازل الجزائرية إلى النظافة والشروط الصحية اللازمة، تركزت التغيرات على أساس الأمن والاحتياجات العسكرية، ولذلك قاموا في البداية بمسح العديد من المساحات والمسطحات التي اعتمد عليها بشكل كبير في توفير الحماية للمعمرين القاطنين بالمدينة التي اعتمدت في إنشائها على العديد من الأسس يمكننا تلخيصها في المخطط التالي: التحول إلى الفضاء النظيف والشكل المنتظم على شكل شبكة تتكون من طرق أفقية تقاطعها طرق عمودية، وتتشكل معالم الهندسة المعمارية للمستعمر بوجود العناصر التالية: شبكة الطرقات الموسعة وهو العنصر الأساسي في تخطيط المدينة خاصة بعد ظهور السيارات والمراكب، واستعمال المساحات الخضراء وتوزيعها على المناطق، واستخدام المساحات الواسعة لتعديل السير أو تنظيم المدينة، فحدثت تغيرات على مستوى الواجهات، فأستعملت النوافذ الواسعة والشرفات المفتوحة وذلك لضرورة صحية. تقتضي المقاربة العلمية لدراسة المدينة إتباع المرحلية في الإنجاز لكشف مدى التناسق المجالي للسكن، والمساحة والتوزيع، ومعرفة المرافق الضرورية للسكان، حيث يتطلب الاستخدام العقلاني في التخطيط واستخدام المساحة الأرضية في البناء، والابتعاد عن العشوائية في توزيع المرافق في المدينة. عملت سلطات الاحتلال الفرنسي على تنظيم المجال العمراني للمدينة وتنويع استخدامات الأرض بمختلف أشكالها، معتمدة على الطراز المعماري الفرنسي.

<sup>1</sup> حمادة صالح، دراسة في جغرافية المدن حول مدينة سكيكدة، رسالة ماجستير، المرجع السابق، ص.162.

<sup>2</sup> Solal Edouard, *Philippeville Et Sa région*, Op Cit, P.43.

<sup>3</sup> حمادة صالح، المرجع السابق، ص.164.

فتشكل النسيج العمراني للمدينة عبر توزيعها إلى أحياء وشوارع على أطرافها الغربية القريبة من الشارع الرئيسي مما سمح بتوسع مجالها، وتغطية تدفق هجرات الوافدين الأجانب الذين استقروا في المساكن الجماعية ذات الاستيعاب الواسع التي أنجزت في فترة وجيزة لإيواء الجاليات الأوروبية خاصة من الإيطاليين. وفي الوقت الذي تطورت فيه المباني الجماعية المخصصة للعائلات الأوروبية الفقيرة خصصت للمعمرين الفرنسيين حصص للبناء الخاص، ولذلك ظهرت نواة المباني الفردية التي عرفت تزايد متواصل في مختلف الأحياء: بني مالك، الأوراس، الربوة الجميلة...

وتتخلل هذه المباني الجماعية والفردية فراغات من المساحات الخضراء ذات البعد الجمالي، حيث وزعت الحدائق والبساتين بشكل متناسق وفق مقاييس محكمة وتخطيط متناسب، معتمدة على حجم السكان المراد توطينه بالمدينة وحاجياتها من شبكات صرف المياه والنقل والمواصلات والمرافق.

واجهت سياسة التعمير التي انتهجتها السلطات الاستعمارية صعوبات التضاريس، حيث تتوفر سكيكدة على محيط عقاري شديد التضرس يصعب من عمليات البناء والتسوية خاصة في المرتفعات الغربية للمدينة التي تتطلب التكاليف الباهضة، لذلك تم تقادي التوسع العمراني فيها، أما المنطقتين الجنوبية والشرقية، وهي مساحات زراعية خصصت للإنتاج الفلاحي<sup>1</sup>، خاصة أراضي منخفض وادي الصفصاف التي استحوذ عليها المعمرون وحولوها إلى مزارع للكروم والفواكه<sup>2</sup>.

فعملت الهندسة المعمارية الفرنسية على تلبية حاجيات المجتمع المدني، ضمن إطار الحي أو التجمع، تحترم فيها كثافة السكان المطلوبة، وبالتالي معرفة مساحة الأرض الضرورية للمساكن أولاً، وللمصالح العامة بعد ذلك ضمن خريطة مفصلة للتنظيم تضع حدوداً للأحياء وبذلك تكون امكانات التوافق مع الوقائع اللاحقة قد احترمت وفق تطور مجالي متناسق للمساكن وشاغليها.

إن الأحجام المبنية توضح وتسهل العلاقات بين السكان، وتأخذ بعين الاعتبار المعطيات التقنية والاقتصادية والمتطلبات الاجتماعية للوصول إلى تحقيق التوافق بين الوسائل والحاجات ونماذج الأبنية<sup>3</sup>. وتتطور المدينة وتنمو من خلال بعدين أساسيين هما الزمن والمكان، وهذا يعني أن البعد الزمن الذي يمثله تطور الأحداث التاريخية مسؤل إلى حد كبير في فهم المؤثرات البشرية والطبيعة وبزوغ المدن وانحطاطها، والبعد الثاني المتمثل بالمكان ليس إلا تعبيراً عن أهمية العوامل الجغرافية والمواضيع والمواقع في نشأة المدن وتغير أدوارها ووظائفها عبر البعد الزمن، وكانت المدينة أساساً محل اهتمام المهندسين والمعماريين لنواحي البناء<sup>4</sup>. فالمدينة وحدة عمرانية موسعة وعامرة تتركز بها معظم الأنشطة يتم هيكلة المدينة وتنظيمها ودراستها عن طريق الهندسة والتعمير وسط المدينة يعد مركزها الحضري

<sup>1</sup> بوحجة سهيلة وآخرون، تنظيم وإعادة هيكلة المراكز القديمة، المرجع السابق، ص.ص. 73-74-126.

<sup>2</sup> تحولت هذه الأراضي بعد الاستقلال للقطاع العام، حمادة صالح، جغرافية سكيكدة، المرجع السابق، ص. 246.

<sup>3</sup> أوزيل روبيير، فن تخطيط المدن، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ترجمة بهيج شعبان وهنري رغيب، ط1، 1974، ص. 71-75.

<sup>4</sup> أبو عياش عبد الله، أزمة المدينة العربية، المرجع السابق، ص. 81.

عكس الضواحي<sup>1</sup>. وفي حالة المدن الجديدة التي تأسست عقب التدخلات الأوروبية والمرتبطة بالنقل البحري أو ذات قيمة لظهير البلد، وفي المراكز الكبيرة السابقة في إفريقيا الشمالية لها ظاهرة خاصة<sup>2</sup>. ومن يقول مدينة يذكر المخطط، ومنذ عدة قرون لم تكن خلالها في كل المقاييس، حيث أن المدينة لا تشمل فضاءها الخاص، وأكبر تحدٍ يواجه البلديات في شمال إفريقيا حاليا، هو توزيع رخص البناء، تحدد فيه التراصف وخصوصا المتعلقة بالأحياء الجديدة أو البناءات الجديدة<sup>3</sup>.

تعمل البلديات ومعها المهندسون المعماريون المشرفون على عملية تطور المدينة تدريجيا ويراعي في ذلك المعطى الاجتماعي، ومع التحولات العميقة في المدينة حدثت تغييرات فيزيولوجية داخلها، حيث العناصر الأثنية تغير مكانها، نتج عنه تعديل في دور المدينة التي شكلت ديناميكية متوازنة<sup>4</sup>.

فكانت بصمات المهندسين والمعماريين الفنيين الفرنسيين في المدينة واضحة في إعداد دراسات ومخططات المدينة<sup>5</sup> التي سمحت بإنجاز هيكل تنظيمية ومجالية متنوعة لعمران المدينة، استمد طابعه من تعدد المدارس الهندسية والمعمارية التي تم الاعتماد عليه في التوسع الحضري ولا سيما في العمران والبناء، حيث شيدت العديد من المشاريع العمرانية بمساهمة مقاولات للبناء بالمدينة، بحيث لم تكف المدينة بطابعها الفرنسي بل توسعت نحو الهندسة المعمارية الإيطالية، وهذا بفعل تواجد جالية معتبرة من الإيطاليين، مستقرين وعاملين في آن واحد، وساعد اهتمامهم بقطاعي البناء والأشغال العامة في توسع الفضاء العمراني الإيطالي الذي تجسد أكثر في الإنجازات ذات الطابع الفني كالمسرح البلدي، أو الديني والإداري والسياحي، ليجد هذا الطابع منافسة جديدة من الهندسة المعمارية الموسيكية المغربية التي تأثر بها عدد من المهندسين والمعماريين الفرنسيين المعتمدين من طرف الحكومة العامة، للإشراف على وضع التصميمات المعمارية الجديدة لعدد من المشاريع العمرانية في المدن الجزائرية.

اتبع المعماريون المشرفون على تخطيط وتنظيم المجال العمراني لسكيكدة على التنطبق أو تقسيم المدينة إلى مناطق، وهو مبدأ متبني على الصعيد العالمي مع أن مفهومه ليس موحدًا في جميع البلدان. وخلق كل مجتمع سواء أكان بدائيا أم حضريا تجمعات وقتية أو دائمة، والتنطبق الاجتماعي موجود فيه دائما، وهو ناجم عن مقاصد ومعتقدات مختلفة<sup>6</sup>. ومن أبرز أهداف التخطيط الحضري تأمين الأراضي

<sup>1</sup> Un article de Wikipédia, l'encyclopédie libre.

<sup>2</sup> Jacques Berque, *Le Maghreb histoire et société*, Opcit., p.124.

<sup>3</sup> Ibid, *Le Maghreb histoire et société*, Op Cit, P.140.

<sup>4</sup> Ibid, p.149

<sup>5</sup> تخطيط المدن وهي دراسة تنسيقية يقوم بها مخطوطو المدن، الذين يكونون عادة مهندسين متخصصين ومهندسين معماريين ومدنيين، لمشروع تخطيط مثلا، وذلك على ضوء الآراء والمعلومات والبيانات التي يقدمها الاقتصاديون والاجتماعيون والأطباء والزراعيون..

المرجع أنظر: توني يوسف، *معجم المصطلحات المعمارية*، المرجع السابق، ص.87.

<sup>6</sup> تراون أوزان، *نفس المرجع*، ص.ص.650-28.

الحضرية بشكل ملائم للسكن والأنشطة الإنتاجية والترفيهية وأنشطة المجتمع، تأمين نماذج مكانية حضرية متناسقة، تأمين السكن الأكبر عدد من العائلات، القيام بتوزيع مكاني للسكان وللأنشطة<sup>1</sup>. تبين النواة القديمة أي المدينة الموجودة المتجانسة الممركزة والتجمعات السكانية والمجموعات الحضرية ذات الكيانات الاجتماعية المجالية الفاصلة والمجزئة، فقد جاورت المدن العتيقة المدن المنخفضة الاستعمارية ثم أحياء الصفيح والعموية، بينما نشأت مدن فطرية منجمية وتجارية و غيرها. وبقيت المدن المغاربية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ثنائية التكوين غالبا بحيث تجاور شكلين تحضرين أحدها أهلي والآخر أوروبي، وتعد بؤادر التطور في الواقع سابقة للنزاع العالمي الثاني إذ ظهرت بعد بقوة إبان الأوج الاستعماري المزيف خلال الثلاثينات فانهايار الاقتصاد الفلاحي ونشأة الأحياء القصديرية حول المدن وحصول أولى عمليات استقرار الحضر الأهليين خارج المدينة<sup>2</sup>. وظلت مدينة سكيكدة عبارة عن فضاء اجتماعي له أنماط وظيفية واقتصادية تخدم تواجد النظام الكولونيالي وتناقضاته، في وقت استمر غياب أي سياسة تعايش وادماج متكاملين للمجتمعين المشكلين لمجتمع المدينة بل ازداد التباين الاقتصادي والمستوى المعيشي وطبيعة السكن<sup>3</sup>. وفي إطار تحولات المحيط الجغرافي والسوسيوولوجي للمدينة ونظرا لتزايد الحضر الجدد ذوي المداخل المتواضعة تكيف الاقتصاد فأفرز تكاثر المهن الصغيرة، ويستمد الإنتاج التجاري المتواضع قوته من مرونة هذه المهن وتواجدها في كل مكان عند أطراف المدينة، بالإضافة إلى تدني ظروف العيش وتطور أزمة السكن وازدياد الطلب، يقابلها عجز في المساكن الحضرية بالمدينة، وحرمان أحياء الأهالي من التجهيزات الأساسية كقنوات صرف المياه المستعملة والمسالك العمومية والماء والكهرباء والتتوير العمومي، إلى جانب التجهيزات المشتركة الضرورية كالمدارس والأسواق. ويستقطب أية مدينة ساحلية المرفأ جزءا هاما من حصيلة النشاط البشري فيها، وحتى لو كان المرفأ متواضع يبقى ذلك عاملا أساسيا من العوامل المساهمة في تطور المدينة الساحلية وتنظيمها<sup>4</sup>. وساعدت هذه التجهيزات الإدارية المختلفة على تنوع وظيفة مركز المدينة وتزايد نشاطاتها جعلت يستقطب مراكز ضواحي المدينة مما جعله مجالا كثيفا ومتداخلا لمختلف الوظائف في مساحة لا تزيد عن 261773 هكتار، وفق الالتحام والتماسك والكثافة، واعتمادا على الخطة الشطرنجية التي تتصف بها

<sup>1</sup> الحفارسعيد محمد، مقال التخطيط الحضري في العالم، مجلة المدينة العربية، العدد 34، السنة 7، نوفمبر 1988، 1409 هـ، ص.47.

<sup>2</sup> تراون أوزان، المغرب العربي: الإنسان والمجال، المرجع السابق، ص.446.

<sup>3</sup> Ichebouden larbi, Alger: histoire et capitale de destin national, casbah éd, alger, 1997, P.166.

<sup>4</sup> عوض عادل، مقال أثر المرفأ في تطوير وتنظيم المدن الساحلية، مدينة اللاذقية نموذجا، مجلة المدينة العربية، العدد 44، السنة التاسعة، 1410 هجري، منظمة المدن العربية، 1990، ص.76.



سكيكدة منذ نشأتها<sup>1</sup> حيث أخذت المدينة مظهرا متجددا من أنسجتها الحضرية وكثافة عمرانها مع الحفاظ على التراث المعماري والتاريخي والقيمة العمرانية للمباني المنجزة<sup>2</sup>.

أخذت السياسة العمرانية والتمدن أهمية كبيرة في الجزائر لارتباطها بالنمو الاقتصادي الناتج عن تطور الفلاحة، وعلى العموم فإن المدينة الفرنسية نمت حسب الحاجيات وتوجيه المضاربة. إن الطابع المعماري هو اختصاص زمني<sup>3</sup>، يعبر من خلاله عن مدى تقدم في البناء والإنشاء والإبداع<sup>4</sup>. وتم الاعتماد في العمارة على احترام التأثيرات البيئية والتعامل مع التطورات الجديدة، بحيث تركز طراز معماري يتأثر بالتيارات المعمارية العالمية، معتمدة على تقنيات البناء ومستعملة مواد بناء متناسبة لهذا أقيمت العديد من الأبنية العامة<sup>5</sup>.

تتفاعل المدينة مع ظهيرها الريفي التي تزودها باحتياجاتها من منتجاتها وثرواتها، وقد استخدمت تعابير مختلفة للإشارة إلى المناطق المحيطة بالمدن، فهناك من أطلق عليها بالمناطق الرافدة، ومناطق النفوذ، وألزمت التأثير، والمناطق الشاسعة. ورغم اختلاف هذه التعابير، فإنها تشير إلى ظاهرة متشابهة وهناك ترابط في العلاقة وتداخل في المصلحة بين المدينة وما يحيط بها من مناطق.

فأعيدت الحياة للمدينة بعد أن اندثرت حضارتها، وشيدت حول المدينة القديمة مباني جديدة، رافقتها جهود كبيرة ونشاط متزايد للابدي العاملة المشرفة على الحركة العمرانية للمدينة وبنائها، وهذا بحكم موقع المدينة كنقطة تجميع وتوزيع للقرى في نفس الوقت<sup>6</sup>.

وتحدث المؤرخ ريمون إينار عن نتائج الاستيطان في الجزائر بقوله: إن العنصر الفرنسي استفاد فائدة كبرى من الجهود المبذولة في العمران، ولكن ماذا كان نصيب العنصر العربي من هذا العمران<sup>7</sup> لقد توقفت المؤسسات الصحية والمدارس والأحياء الجديدة<sup>8</sup>، وغيرها من المنشآت التي انطلقت في عام 1880 ثم توقفت خلال الحرب العالمية الأولى ثم انطلقت من جديد في عام 1923، بحيث كانت هذه التوسعات مناسبة لبناء مرسى نو درج، وابتداء من عام 1920 ظهرت أزمة السكن بسبب الحرب التي حولت الأموال وعطلت نشاطات التعمير، وأدت إلى نقص المساكن وارتفاع ثمن الشقق مما جعل السكان يبتعدون عن وسط المدينة والأحياء الجديدة، ونتيجة لظهور أزمة السكن في صفوف السكان المسلمين،

<sup>1</sup> بوحجة سهيلة وآخرون، تنظيم وإعادة هيكلة المراكز القديمة حالة مركز مدينة سكيكدة، المرجع السابق، ص.179.

<sup>2</sup> بوحجة سهيلة وآخرون، المرجع السابق، ص.176.

<sup>3</sup> من العصور المعمارية هي: العمارة المصرية، الأشورية، الإغريقية، الرومانية، البيزنطية، الإسلامية، القوطية، النهضة، والعمارة الحديثة.

<sup>4</sup> توني يوسف، معجم المصطلحات المعمارية، المرجع السابق، ص.207.

<sup>5</sup> تويني علي، الطراز المغربي (الأرابيزانص) الحداثة الكلاسيكية يتحاور مع العقلانية في الطراز المعماري الإسلامي، جريدة الزمان، العدد 1601، التاريخ 7-8 ديسمبر 2003.

<sup>6</sup> أبو عياش عبد الله، أزمة المدينة العربية، المرجع السابق، ص.25-53-54-55.

<sup>7</sup> الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، المرجع السابق، ص.95.

<sup>8</sup> يرفق في الملاحق أسماء المدارس المتمركزة في سكيكدة.

بدأ مسؤولي البلدية بمعالجة هذه المشكلة الاجتماعية، لذلك تقرر تشكيل أول ديوان للسكن<sup>1</sup>، شرع في البحث عن الأراضي لتهيئتها، ولكرائها بأثمان معقولة، رغم ذلك ظهرت الأحياء القصديرية. وبفعل تزايد الحاجة للسكن وارتفاع عدد سكان المدينة والظهور الكثيف للأحياء القصديرية توجه التوسع الرئيسي للمدينة نحو الجنوب الشرقي، التي تتوفر على مساحات خاصة بالبناء والصناعة، مما فتح المجال إلى ظهور مدينة التناقض نتاج الهندسة المستمدة من التقنية الأوروبية، وهي في ذاتها تناقض لأنها تشكل عمران شمال أفريقي متوسطي مثل مدينة الجزائر. وتتصف الأحياء الأوروبية بأنها راقية المظهر ذات منازل متينة مجهزة وغير مكتظة، أما الأحياء الشعبية الفقيرة الخاصة بالمسلمين، فهي مكتظة وغير مجهزة، اظهرت هذه الأحياء القصديرية اختلالات ونقائص في سياسة التعمير. وتساعد دراسة التحليل الديموغرافي في حصر أزمة السكن معرفة آلياتها التفسيرية في المدينة<sup>2</sup>.

جدول توزيع السكان في مدينة سكيكدة:<sup>3</sup>

القطاعات	الأوروبيون	الأهالي
أ	3060	540
ب	1560	360
ت	1204	356
ث	4230	480
ج	2973	207
ح	1770	870
خ	1046	1684
د	1264	1496
ذ	1638	42
ر	2100	540
ز	1980	1080
س	3976	1784
حي الأهلي	-----	1400
ضاحية الأمل	2790	4987
بني مالك	1990	1850
قرية فالي (دوار بني بشير ولفة)	387	10353
دانريمون	325	2015
سانت أنطوان	494	2015
المجموع <sup>4</sup>	32787	32070

فجدول توزيع السكان على قطاعات المدينة التي تشمل أحياء أوروبية أغلبية سكانها من يتبين من خلال الجاليات الأوروبيون، وتحتوي على أقلية جزائرية من الأهالي المستقرين منذ فترة طويلة عموماً، بينما

<sup>1</sup> ديوان للسكن HBM الذي تكفل بمهمة إنجاز مشاريع سكنية بالمدينة بعد سنة 1945 لمواجهة أزمة الإسكان الأوروبي والأهلي.  
<sup>2</sup> علي لزعر، التقنيات الديمغرافية والتنظيم المدني، مجلة دفاتر العلوم الاجتماعية، وحدة البحث والتنشيط العلمي، العدد 5، السنة 1986، جامعة عنابة، أعمال اليومين الدراسيين المنظمة 25/26 ديسمبر 1983، ص.01.

<sup>3</sup> A.M.S, Recensements Divers, Dénombrement de La Population En 1936, R9.

<sup>4</sup> مجموع سكان المدينة 64857 نسمة - 10354 = 54504 نسمة.

يقبل التعداد الأوروبي في الأحياء العربية والقرى التابعة لبلدية سكيكدة (فالي، سانت أنطوان، دانريمون..)، بينما يتساوى عدد الأوروبيون مقارنة بالجزائريين المسلمين في بعض الأحياء مثل: ضاحية بني مالك، بينما لم يستطع الأهالي التفوق على الأوروبيين في ضاحية الأمل عام 1936.

والمتتبع لهذه الإحصائيات يدرك حجم النمو السكاني لفئة المسلمين، إذا ما لاحظنا مجمل الإحصائيات التي تم ذكرها في الجدول السابق، وحسب إحصائية عام 1943 التي تؤكد على أن عدد سكان المدينة يقدر 46249 نسمة، منهم 20732 أوروبي، و25517 أهلي<sup>1</sup>.

إن الأحياء المشيدة من قبل الاستعمار الفرنسي ضمن المدينة الأوروبية أو المدينة الجديدة المنخفضة التي صممت وفق تخطيط هندسي حسب نمط مستورد، جمعت دوما بين النشاط والسكن. وقد حولت مع تزايد حاجياتها إلى مناطق أعمال تتكاثر فيها الدكاكين والمكاتب المختلفة، وتتكون هذه العمارات العصرية من الخرسان والبلور، مقرات شركات ومنظمات، وتتمركز في أحيائها فنادق كبيرة يرتادها رجال أعمال وسواح من داخل الجزائر وخارجها مع بعض التجهيزات الأساسية الأخرى. إن ظاهرة انتشار الأحياء القصدية<sup>2</sup> الفقيرة، كنمط عمراني يعبر إلى حد ما عن أن المدن كانت ما زالت في بعض المناطق بمثابة المكان الطبيعي الذي يأوي إليه سكان المناطق الريفية، وتعتبر هذه الأحياء كشكل من أشكال الأحياء الجزائرية الفقيرة، ونمطا دخيلا على العمران في الجزائر<sup>3</sup>.

ويتبين بأن المدينة الكولونيالية هي بحق مدينة التناقضات، بين الأحياء السكنية الراقية المخصصة للجانبا الأوروبية من جهة، ووضعية أخرى مغايرة مخصصة للمسلمين من جهة أخرى، وهناك تفاوت من حيث سكانها ومستوى المداخل ونوعية السكن، وبالتالي يرتبط نمط المعيشة بالضرورة بالشروط الاجتماعية وبالوظائف، وتبدي المدينة وضعيتين متناقضتين، تظهر في الجانب الأوروبي مدينة نشطة مجهزة وحديثة، والجانب الآخر غير الأوروبي لنفس المدينة، يحمل كل مؤشرات التخلف، أزمة السكن

<sup>1</sup> وهي في الحقيقة لبطاقات التغذية الموزعة على الفئتين، والتي لا تشمل عدد من الأوروبيين الذين تم استدعائهم للخدمة العسكرية، للمشاركة في الحرب العالمية الثانية. ينظر:

AMS, Statistique envoyé à le prevet prefecture de constantine, le 14/10/1943, S1789.

<sup>2</sup> ظهرت الأحياء القصدية بصورة مكثفة في المدن الجزائرية التي نزع إليها السكان المسلمين بشكل جماعي، في محاولة منهم من أجل العيش على هامش النظام الاستعماري، في الوقت باتت السلطات الاستعمارية غير قادرة على مراقبة هجرات هؤلاء السكان الذين اعتبرتهم يهددون أمن الفرنسيين بالمدينة، التي لم تستفيد في هذا العهد من برامج سكنية واسعة والتخطيط الغربي الفرنسي عموما لم يراعى الحقائق الجزائرية وضروريات سكانها الأصليين. وبنيت المباني من نمط السكن الفوضوي بمواد تحصلوا عليها مجانا، وهي عبارة عن صفائح من القصدير تفتقر إلى أبسط الشروط الصحية، وتعكس صورة حقيقية عن فقر المساكن الريفية التي جاؤوا منها، وغالبا ما يكون المجال الذي اختاره ساكنيه عبارة عن مناطق معرضة للفيضان أو أنها عبارة عن منحدرات خطيرة. وخلال السنوات الأخيرة من الثورة الجزائرية والإبادة الاستعمارية ظهر نمط شبيه بالأحياء القصدية نتيجة لجوء السلطات الاستعمارية إلى حشد السكان الأهالي في محتشدات بنيت خصيصا لهذا الغرض، بهدف فرض العزلة عليهم وعدم تقديم المساعدات للمقاتلين، لذلك ارتبط هذا البناء بظروف تاريخية معينة، ويتمثل نمط المحتشدات التي عبارة عن بيوت متواضعة جدا تتفق كلها في أشكالها الخارجية وتقسيماتها الداخلية، ولا تعدو هذه المساكن أن تكون أكثر من ملاجئ لأنها تفتقر إلى أبسط الشروط الضرورية للسكن، ينظر: بيلاك نورة، المجال الحضري والقيم السوسيوثقافية للمدينة الجزائرية، ماجستير في علم الاجتماع، جامعة قسنطينة، 2006، ص.ص. 85-137.

<sup>3</sup> لزعر علي، التقنيات الديمغرافية والتنظيم المدني، مجلة دفاتر العلوم الاجتماعية، نفس المرجع، ص. 11.

والأحياء القصدية، الازدحام وانعدام التجهيزات، تتعدم معها التوازن، التي حاولت الخطب السياسية ومحاولات الجهد الاقتصادي ازالتها لكن بدون أي نتيجة تذكر<sup>1</sup>.

استطاع النظام الاستعماري القائم من خلال أشكال أخرى للتمييز خلق مدينة مقسمة، لأنها مبرمجة مند البداية لمصلحة المجتمع الأوروبي وفرض تقسيما اجتماعيا وجغرافيا للسكان، رغم الرأي السائد بأنها مدينة فرنسية بمؤسساتها ونمط تسييرها العصري يمكنها تجاوز هذه الوضعية، خاصة بعد بروز نخبة أهلية في المجالس المحلية، تحملت مسؤولية الدفاع عن (رعايا فرنسا من الاهالي)، في الوسط الحضري الذي تطبعه الفروق والتمييز، من حيث الحقوق السياسية التي حرم منها الاهالي، كذلك حرمانهم من حقوق التمدرس والسكن والعمل والأجور والتعويضات وغيرها من الحقوق، وهو ما انفكت تتدد بها الاحزاب السياسية والمنتخبون كتعبير واقعي عن رفض السيطرة، وتجنب الصراع المحتمل بين المجموعتين الأوروبية والمسلمة إذا لم يتغير الوضع السائد<sup>2</sup>.

إذا كانت المدينة الكولونيالية بمثابة ذلك التنظيم العمراني الضروري، فإن تطورها نحو التقسيم كان مفروضا من خلال طبيعة هذه المدينة التي هي انعكاس في المجال للنظام المسيطر، المبني على السطوة والتمييز. وعن طريقها اصبحت لديها مدينة للأوروبيين ومدينة عربية، حيث مزاياها المعمارية مرتبطة بسكانها، وطيلة المرحلة الاستعمارية نجم عن التميز اختلاف أحياء المعمرين عن باقي الأحياء من خلال سكانها والتهيئة العمرانية والتجهيزات والكثافة السكانية والوضعية الاقتصادية.

أخذ التمييز منحنيات هامة في قلب المدينة، ولم يبق للمسلمين إلا الحيز المكاني المخصص لهم في المدينة، يتزاحمون فيها، وتأخذ مساكنهم أسماء تترجم أوضاعا مأساوية (قوربي، براكه، مرقد<sup>3</sup>، الخ)<sup>4</sup>. ويعيش قسم كبير من هؤلاء السكان المعوزين في أحياء سكنية بسيطة تعرف بالأحياء الكوخية (الصفيح) تعبر عن هشاشة البناء أو الوسط، تلك التي تظل عنصرا ثابتا يبرز مستويات تنمية متخلفة جدا مما أدى إلى توسع لهذه الأحياء السكنية الهشة بحيث توفر هذه الأحياء الشعبية تنوعا شديدا للمشاهد والمضمون الاجتماعي الاقتصادي، ويعتمد اقتصادها على إنتاج تجاري متواضع، على الرغم من وزنها الديموغرافي تقابلها مقاسم الفيلات والحدائق والمباني والعمارات الجماعية التي أنجزت في العقود الأخيرة للاستعمار، لامتناس أزمة السكن الذي ظلت مشكلته مطروحة باستمرار منذ فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، وافتعلت أكثر فيما بعد، وهنا يبرز تفاوت كبير في نمط السكن<sup>5</sup>، حيث تتميز هذه الأحياء المتركة في أطراف المدينة بوجودها في أنهج غير معبدة تسلك بصعوبة بعد تهائل

<sup>1</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص.278.

<sup>2</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص.349-350-351.

<sup>3</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص.352-353-354-355.

<sup>4</sup> L'habitat des survenant porte des noms traduisant une tragique précarité (gourbi, cabane, baraque, abri, asile, dortoir), voir Berque Jacques, le Maghreb entre deux guerres, Op-cit, p.205.

<sup>5</sup> تراون أوزان، مجال المغرب العربي، المرجع السابق، ص.457-462-463-466.

الأمطار، ويتشكل مجتمعها من عناصر مختلفة الأصول، لا يشدها إلى بعضها رابط قوي، إذ يضم القدامى والريفيين الذين وفدوا إليها حديثاً، غير مندمجين في وسط تغلب عليه صبغة حضرية جديدة<sup>1</sup>. فإذا نظرنا للمكانة التي تحتلها المدينة، سواء في تاريخ الجزائريين أو لدى المجتمع الأوروبي، يبرز اقضاء المسلمين من المدينة الأوروبية وتسييرها لفائدة المعمرين وحدهم، لأن النظام الكولونيالي القائم يعمل وفق قاعدة سياسية حضرية منتجة للتمييز والفوارق.

وأن ما يحكم كل تصرف حضري في التعامل داخل المدينة هو أشكال الملكية والعلاقات التجارية التي تعطي ملامح تلك المدينة التي تظهر فيها الفوارق الاجتماعية، حيث تتناسب مع قوانين الفوارق العمرانية هذه كل أشكال الملكية، ومستويات الدخل وتوزع الأحياء بمواصفاتها الحضرية (هندسة، وانجازات ونوعية ومستوى التجهيزات..)، وبالتالي تؤدي هذه الاختلالات التي تنشأ ثم تتفاقم داخل المدينة، إلى نشوء حركات اجتماعية تتحول بفضل اتساعها إلى حركات معارضة سياسية<sup>2</sup>.

وهنا يمكن القول بأن الغاية المباشرة للهجرة هي تحسين المستوى الاقتصادي للأسرة أو للشخص نفسه، لكن هناك دوافع كامنة وراء هذا العامل المباشر، وهو التقرب من المرافق الاجتماعية كالبريد والمواصلات والبنوك ودار البلدية، والمستشفيات، والإشعاع الحضاري كالمدرسة والمرافق الاقتصادية كالأسواق وغيرها التي يتعامل معها الأفراد، وأغلبيتهم لا يحملون أي مستوى ثقافي<sup>3</sup>.

ونظراً لتزايد الحضر الجدد نوي المداخل المتواضعة تكيف الاقتصاد فأفرز تكاثر المهن الصغيرة، واستمد الإنتاج التجاري المتواضع قوته من مرونة هذه المهن وتواجدها عند أطراف المدينة<sup>4</sup>، ومع تدني ظروف العيش وتطور أزمة السكن، وازدياد الطلب يقابلها عجز في المساكن الحضرية<sup>5</sup>.

ومن ناحية أخرى عد الحصول على الشقة أو أفضل من ذلك بمثابة نجاح اجتماعي واندماج في المجتمع الحضري العصري، لكن ذلك يتطلب من الفئات المستفيدة توفرها على مداخل مالية مرتفعة والتمتع بوضع مريح كالقدرة على تسديد الدين ونقل الملكية من شخص لآخر، إلا أن هذا التطور الفردي لدى البعض ليس كافياً لتحسين الظروف المعيشية لأغلبية السكان الجزائريين بالمدينة<sup>6</sup>.

أصبح سادة المدينة من الأوروبيين من مختلف الأعراف وفي جميع الميادين، ولتجسيد هذا الامتياز الحضري الذي تواصل إلى غاية نهاية الاستعمار. وعكست سياسة توزيع السكان في الفضاء الجغرافي علاقات القوى بين الأوروبيين أولاً والعلاقات بين المتنازعين من المجتمعين في المدينة ثانياً<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> تراون أوزان، المرجع السابق، ص. 374.

<sup>2</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص. 375-393.

<sup>3</sup> تراون أوزان، المرجع السابق، ص. 476-482.

<sup>4</sup> لزر علي، التقنيات الديمغرافية والتنظيم المدني، مجلة دفاتر العلوم الاجتماعية، العدد الخامس، 1986، المرجع السابق، ص. 17.

<sup>5</sup> تراون أوزان، مجال المغرب العربي، المرجع السابق، ص. 483-488.

<sup>6</sup> تراون أوزان، المرجع السابق، ص. 471.

<sup>7</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص. 251.

ونجد بالمدينة تفاوت كبير بين أحيائها، حيث كانت الأحياء التي يكثر فيها الجزائريون بشكل بفعل مدينة الأهالي<sup>1</sup> في ضاحية الأمل والأحياء العربية تعج بسكانها، ويعيش فيها الناس الأكثر فقرا، مكديسين في أكواخ قدرة سلموا أطفالهم للشارع، وكانت هذه الأحياء بمثابة بؤر للبأس السيكولوجي والأخلاقي العذابات النفساني، ومنذ عام 1945 أثيرت السباق الحاد بين المخططات السكنية والتوسع الديموغرافي<sup>2</sup>. وأصبحت سكيكدة ضمن مدن التناقضات بفعل النمو المطرد للأحياء القصديرية المحيطة بالمجال العمراني للمدينة، وأضحت متصلة بمركزها تبعا لظهورها في فترة مبكرة، وأصبحت بمثابة سكن ريفي منقوص الاندماج وفق أشكال بناء رديئة وظروف عيش يرثى لها بسبب ضعف الخدمات ونقص قنوات جلب المياه وتصريفها مما أنتج وضعاً صحياً متردياً وبطالة مرتفعة في صفوف ساكنيها، ما يمثل بؤسا حضريا. ولم تكن الأحياء الجزائرية وحدها التي تتميز بالفقر، فقد كانت الأحياء الإيطالية، تذكرنا في بعض جوانبها، بأحياء نابولي الفقيرة، وذلك من خلال وجود أقمشة متعددة الألوان منشورة على النوافذ، روائح السمك القوية، غياب النظافة، أطفال بملابس مرقعة يلعبون حفاة بكرات من الشيفون، لكن الجو النفسي كان مختلفا، على اعتبار أن هؤلاء سكان الأحياء الإيطالية ينتمون إلى معسكر المنتصرين، وفرصهم في الارتقاء الاجتماعي قائمة، وحظوظهم كبيرة في تغيير وضعهم، بحيث أنه بمجرد تحسن قدرة عائلة إيطالية حتى تغادر الحي محافظة على روابط الولاء الانتخابي، مع الانضمام للفضاء الجموعي الكثيفة في المدينة<sup>3</sup>.

ويعد حي ضاحية الأمل نموذجا مهما لتطور النشاطات الحرفية في المدينة، وهذا راجع لموقع هذا الحي العمالي والمهني في أن واحد الذي يعبره طريق وطني نحو سانت أنطوان ثم إلى قسنطينة. وحي الأمل، وهو حي يوجد به تجمع كبير من الجزائريين لأنه بني لإيواء المتضررين من الفيضانات، كما يتضمن أعدادا كبيرة من الأكواخ التي أوجدها المنكوبون النازحون من المناطق الجبلية المجاورة<sup>4</sup>. إن نمو التجارة الخارجية وتقدم الفلاحة التجارية وازدهار القطاع المنجمي والقطاع البترولي في الحقبة الأخيرة للوجود الاستعماري وتوسع الزراعة المروية في السهول الساحلية والتصنيع- ساهم جميعها في حشد السكان وتركز الأنشطة والبنى التحتية والتجهيزات والثروات في مدن الموانئ كسكيكدة، وأدى التقهقر الفلاحي التقليدي والضغط الديموغرافي السريع إلى تنظيم مجالي جديد.

<sup>1</sup> مدينة الأهالي Cité Indigène تسمى حاليا بحي القبية بسبب الطابع التقليدي لمبانيه وعمرانه المستمد من التراث العمراني المورسكي، ورغم أهمية هذا النمط إلا أن منازلها كانت تفتقد للهواء والإضاءة، لهذا قررت بلدية سكيكدة إنشاء فتحات بهذه المنازل وتجفيفها بعد فترة من التأخر في التدخل، ويرجع ذلك إلى تقلص المداخيل المالية للبلدية في نهاية الثلاثينات من القرن 20م، رافقها ارتفاع أعبائها من مصاريف الصيانة والنفقات الصحية بعدما ازدادت رقعة المدينة، ينظر:

AMS, *Del La mairie philippeville*, N:39, 1940

<sup>2</sup> Jacques Berque, *Le maghreb*, Op. cit., P.125.

<sup>3</sup> حربي محمد، حياة تحد وصمود، المرجع السابق، ص.68.

<sup>4</sup> سعدي فاطمة، البراءة المسلوبة، مجرزة 20 أوت 1955، المصدر السابق، ص.141.

كانت الجالية الأوروبية تحكم المدينة، وتتحكم في الاقتصاد والسياسة، كما تسكن غالبا في المركز الحضري المتميز الذي يتوفر على خدمات عمومية رفيعة المستوى كونها مركزا لأنشطة الميناء المعتمدة، ومقابل هذه الصورة المشار إليها، كانت أطراف المدينة تعاني البؤس بسكانها المسلمين المكسدين بالحي العربي وداخل الأحياء القصديرية، وظلت المدينة على الصعيد السوسيو-اقتصادي مثلا للمدينة الكولونالية ذات وظائف الربط والاتصال<sup>1</sup>.

يمثل العمران السائد بالمدينة صراع أشكال للمجتمعات القاطنة به، وخلال الفترة الأخيرة من الاستعمار تبنى بعض المعماريون<sup>2</sup> منحى جديد في العمارة يعتمد على احترام التأثيرات البيئية والتعامل مع التطورات الجديدة، بحيث تكرر طراز معماري يعرف بعمارة القرن 20م المتأثر بتيار العمارة العالمية أو الحداثة معتمدة على تقنيات البناء الحديث ومستعملة مواد بناء معاصرة، لهذا أقيمت العديد من الأبنية العامة<sup>3</sup> التي تختلف أنماطها العمرانية المنجزة بسكيكدة مما يشكل صعوبة في تحديد خصوصياتها.

ولعل بصمات المهندسين المعماريين الذين تعاقبوا على تسيير المشاريع في المدينة، مما ساهم في تنوع المجال العمراني. وتعد تجربة المهندس شارل مونتالون رائدة التي ابتدأها بمشاريع خدماتية تعليمية ثم ساهم في توسعة البنايات العمومية الجديدة في المدينة، حيث أخذت سكيكدة وجها عمرانيا جديدا استشرافيا وهذا بحثا عن إيجاد شكل يتناسب إلى حد ما مع فلسفة الفنون الإسلامية التي تم تكييفها مع البيئة المغاربية البربرية والأندلسية من منمنمات وإنشاءات عمرانية.. الخ، ولم تقتصر هذه المنجزات على المدينة فحسب بل سبقتها مدينة الجزائر في ارتباطها بالهندسة المتوسطة<sup>4</sup>.

وانتشر هذا النمط وتوسع استخداماته من قبل المهندسين والمتقنين بسبب ارتباطه بمتطلبات البناء العصرية، واستجابته للمعطيات الطبيعية منها: المناخ والموقع، ومكنت المهندسون من تلبية احتياجات المعمرين وفق هندسة تتلاءم مع رغباتهم مع مراعاة العمل المعياري للتجهيزات والسكن الاجتماعي<sup>5</sup>. وأصبحت سكيكدة من المراكز النشيطة المحتضنة للسكان، وظلت المدينة موطن تجمع الأوروبيين وتركز لأنشطتهم لم تعد قادرة على استيعابهم لانعدام المباني الكافية داخل مجالها فتناظفهم إلى الهوامش<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص.382-383.

<sup>2</sup> مثل المهندس المعماري والرسام الفرنسي السويسري الأصل ادوارد لوكوربوزيه Le Corbusier 1887-1965، اهتم بتجديد الهندسة المعمارية تبعا لحاجات الحياة الاجتماعية، وعمل في استخدام الأحجام البسيطة المنفذة بحسب تصاميم متحررة تنزع إلى ترجمة الأبعاد، شر نظرياته في مجلات وعشرين كتابا نالت شهرة واسعة، وأحدثت أثرا كبيرا في جميع أنحاء العالم، منها المدينة المنيرة، ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط42، 2007، ص. 499.

<sup>3</sup> تويني علي، الطراز المغربي، جريدة الزمان، العدد 1601، المرجع السابق.

<sup>4</sup> استفادت مدينة الجزائر من خدمات المهندس J.Cotereau الذي عمل على ربط الهندسة المتوسطة بالتناوب مع مجموع الأشكال الحديثة، واعتبر بأن الهندسة الموريسكية هي هندسة زخرفية، أعيد استعمال عناصرها وازدهرت في إفريقيا وهي مزيج بين الأصالة والعصرنة، ينظر: Alger 1860-1939, Le Modèle Ambigu Colonial, Collection Mémoire, Edition Autrement, P.114.

<sup>5</sup> Autrement, Alger 1860-1939, Op Cit, P.115.

<sup>6</sup> تراون أوزان، المرجع السابق، ص. 275-282.

ويتحتم لإعداد سياسة عقارية إتاحة تطبيق خريطة عمرانية تأخذ بعين الاعتبار مجال الأبنية المتنوعة المخصصة للشغل والسكن وأوقات الفراغ، طرق المواصلات، والفسحات الحرة أو المزروعة، وكل هذه المجموعة تغير المظهر الأصلي للأرض بشكل كبير. ويركز المهندس المدني في طرحه عدد السكان الممكن توقعه لأي تجمع وطريقة عيشهم في هذا التوزيع المعتمد على التنطيق، وهي وسيلة لتوجيه تملك الأرض، والمفسر بخطوط بيانية يؤلف القاعدة نفسها للخريطة المفصلة<sup>1</sup>.

يقول ليسباس<sup>2</sup> حول الملامح الخاصة للسكان الجزائريين (هناك تقسيم جغرافي للسكان الأوروبيين.. تتكون ملامحه من عناصر تجعل كل مجموعة تتجمع تبعا لأصولها ولطريقة تواجدها)، وهو التفسيرات الثقافية. ويخفي مثل هذا التفسير، سياسة تمييز قائمة، إذ أن ما يظهر، ليس إلا نوعا من المدنية الأوروبية موزعة في شكل أحياء مشتتة، أما السكان المسلمون فقد تم الإبقاء عليهم بسبب ظروفهم الاجتماعية، في الحي العربي، وغالبا ما يأتون إليها للالتحاق بالأحياء القصديرية. وهكذا يلتحق العنصر الأوروبي، حسب إمكانياته بالأماكن التي يختارها وغالبا ما يكون المبرر ترقية اجتماعية.

ويلخص الجغرافي نوشي، هذا التوزيع الجغرافي للفترة الاستعمارية: (في سنتي 1926-1936 نمو رئة المدن الجزائرية الساحلية المغطاة بالمباني السكنية التي يسكنها الأوروبيون بالتوازي مع الأحياء القصديرية بشكل فوضوي). فالتناقض صارخ هنا بين العمارة الأوروبية ذات الطوابق وبين البيوت القصديرية التي تمتد في أعالي المدينة وأطرافها. وابتداء من الثلاثينات من القرن 20م، أدت الهجرات الجماعية من الأرياف إلى إحداث توازن ديموغرافي في المدن الجزائرية<sup>3</sup>.

ظهر النزوح الريفي نحو المدن الجزائرية مبكرا حيث يرجع إلى السنوات التي أعقبت الأزمة الاقتصادية، خاصة سنوات 1934-1936، إلا أن الأدفاق بقي معتدلا حتى أثناء الحرب العالمية الثانية، وبعد هذا التاريخ ضخمت الأزمات السياسية أو الديمغرافية- الغذائية آليات طرد نهائي للريفيين نحو المدن، لكن هذه التيارات من الهجرات الريفية أجبرت المدن على تحمل أعباء، في مستهل الخمسينات من القرن العشرين عرفت المدن الجزائرية هجرة 70000 ريفي كمتوسط ريفي سنوي<sup>4</sup>، حيث تعبر الهجرات السكانية الآتية من النزوح الريفي المتدفق الرئيسي في إعادة توزيع السكان في المجال. فهؤلاء السكان الجدد ذوي الروابط الريفية يقتحمون المدينة فيعيدون تشكيلها، وهذا بعد استفحال ظاهرة الهجرة الريفية الأمر الذي أدى إلى تقويض الهياكل الاجتماعية الإقليمية<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> تراون أوزان، المغرب العربي، الإنسان والمجال، المرجع نفسه، ص.ص. 29-30-31.

<sup>2</sup> R.Lespes

<sup>3</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، دار القصة للنشر، 2007، الجزائر، ص.ص. 253-254.

<sup>4</sup> تراون أوزان، المرجع السابق، ص.ص. 294-295.

<sup>5</sup> تراون أوزان، المرجع السابق، ص.ص. 82-194-195-198.



عرفت كل المدن الجزائرية الرئيسية (الجزائر، عنابة، قسنطينة، وسكيكدة) زيادة مستمرة في عدد السكان، بسبب الجذب الذي تمارسه المدينة، وينتج هذا بالنسبة للبعض عن وضعية ارتقاء، في حين يرى فيه البعض الآخر نتيجة لمخرج من وضعية اقتصادية متردية في الأرياف: إنه بمثابة عمران المفقرين. وعرفت هذه المدن نزوح ريفي جماعي واسمرت وتيرتها بشكل مطرد، فالكثير من العمال لا يجدون ما يقتاتون به في عين المكان لدى المعمرين، يذهبون للمدن الكبرى، حيث يوظفون كعمالين أو عمال بناء. وحسب شوفاليي<sup>1</sup> (أهم مسؤولون عن مضاعفة السكان الحضريين الذي ارتفع من 33,1% سنة 1911 و44,6% سنة 1936، إلا أنهم كانوا في المدن، كما في الأرياف، الضحية الأولى للأزمات الاقتصادية). ويبدو من خلال هذا النزوح الجماعي أن العدد ليس ما يزعج الإدارة الاستعمارية، بل عنصر السكان الأهالي الذين يشكلونه، في وقت كانت الزيادة الأوروبية بطيئة، تضخمت المدن بالسكان المسلمين، بحيث تبرز هذه المتغيرات إلى حالة البؤس في الأرياف<sup>2</sup>.

تبتعد مراكز تجمعات السكان المسلمون عن المدينة بعدد من الكيلومترات، وهي أحياء أقيمت بعدما عرفت المدينة رهانات ديموغرافية هامة نتيجة تزايد الزيادة السكانية المعتبرة، تبرز التجمعات مثل بوعباز، طريق الماعز، سيدي علي الديب، ممرات بارو رايمون، زاباراتا، فتوي، الحي المسلم، بعيدون عن أسوار المدينة، يجدون صعوبة في التأقلم مع طبيعة السكنات الغير صحية التي يقطنونها، لذلك سجلت العديد من حالات أمراض في صفوفهم مما زاد الأمر تعقيدا بعد المرافق الصحية والخدماتية عنهم، ويجد المرض أنفسهم غير قادرين على التنقل، مجبرين على أخذ سيارة مكلفة ماديا<sup>3</sup>.

عرفت المدينة بعد سنة 1945 عدة تحولات عمرانية في مجالها الجغرافي نتيجة استفحال ظاهرة البناءات الهشة التي لا تتلاءم مع مركز حديث، لهذا بدأ اهتمام مسؤولي بلدية سكيكدة بالبحث عن أنجع السبل لمعالجة مشكل إسكان قاطني الأحياء القصديرية<sup>4</sup> التي ما انفكت تتزايد فضاءاتها غير الصحية. فقد أجبر ريفي من بين اثنين تقريبا على التخلي عن الحوزة التي ينتمي عليها خلال الحرب ضمن ما سمي بسياسة المناطق الممنوعة وسياسة التجميع وإعادة الإسكان وتم تجميع الفلاحون داخل شبه تجمعات سكانية أو تمت مراقبتهم داخل المراكز الصغيرة أو على أطراف المدن الرئيسية التي استقروا بها، في الوقت كانت فيه المدينة رمز السيطرة الأجنبية.

<sup>1</sup> Chevalier Louis, *Le Problème démographique nord-africain*, Paris, 1947, p.95.

<sup>2</sup> إيشودان العربي، *مدينة الجزائر تاريخ عاصمة*، المرجع السابق، ص. 256-257.

<sup>3</sup> AMS, Del N 215, 1959, *réorganisation, rapport hadjiriou, l'adjoint délégué au centre de santé philippeville*.

<sup>4</sup> لقد ظل مفهوم السكن الهش يفتقد إلى إجماع في تحديد معناه لكل البيئات الاجتماعية في المدن، حيث شكلت نسبة المفهوم المعطى الصحيح للظاهرة، بشكل انعكس مباشرة على واقع التسمية المعتمدة اليوم حيث تتداول في اللغتين العربية والفرنسية جملة من المصطلحات المتأينة ويستخدم بشكل عشوائي وللدلالة على نفس المعنى مثل: السكن العارض، السكن الغير لائق، السكن الغير صحي، السكن الهش، السكن الواهي

.Tissu ancien، Sous équipé، Insalubre، Habitat Vétuste Spontané، Habitat précaire.

بعد الحرب العالمية الثانية استفحلت ظاهرة البناءات الهشة التي لا تتلاءم مع البناءات الجديدة لمركز أوروبي، لهذا وجد مسؤولي بلدية سكيكدة أنفسهم، يواجهون ضغط كبير في متابعة مشكل إسكان قاطني الأحياء القصديرية الذين تدهورت أوضاعهم الصحية من جراء انعدام الصرف الصحي ووجود فضاءات مغلقة، وهم في الحقيقة ضحايا السياسة العمرانية الإقصائية المتبعة داخل المدن الكولونيالية التي تعتمد على منح الفضاء للفئة الأوروبية المسيطرة بشكل عنصري<sup>1</sup>.

وساعد هذا التحول السكاني الذي عرفته المدينة في بروز طبقات شعبية تقطن بالمدينة، والمتمثلة في عمال القطاع الخاص والعمال المستقلين في النشاطات التجارية والحرفية التي شكلت قاعدة اجتماعية واسعة مما ساعد على النمو السريع للسكن الهش، حيث يعيش مسلم واحد إلى ثمانية بالبيوت القصديرية إلى جانب إقصاء عدد هام من العاملين، نتج عنه 3000 من العاطلين عن العمل سنة 1953<sup>2</sup>.

فتطلب القيام بالعديد من التقارير والدراسات التي تم إنجازها من مختلف مصالح البلدية المتخصصة في البناء والسكن، بحيث أكدت هذه الهيئات ضرورة تعويض النقص الفادح في المساكن المخصصة للإيجار، وحثية إنجاز بناءات عمومية جديدة، تمكن من تخفيف مشكل السكن بسكيكدة، وتأوي العدد الضخم من سكان أحياء الصفيح، رغم ذلك فإن الإنجازات من حيث السكن الاجتماعي، بقيت حصيلة ضئيلة عموماً، خلال فترة 1945-1955، واقتصرت على بناية عمومية واحدة HLM أنجزت في حديقة حي الأرسنال، تتكون من 82 منزلاً، لتستمر الأوضاع على حالها بالنسبة للسكان الذين يعانون من الاكتظاظ أو بدون مأوى مما أدى إلى ارتفاع عدد طالبي السكن في مصالح البلدية من 2500 طلب عام 1953 إلى 3900 طلب عام 1957.

وخلالها عمل المهندس الفرنسي قاسطون باردي<sup>3</sup> على وضع تصاميم للتهيئة العمرانية للمدينة خلال فترة 1951-1957<sup>4</sup>، تتناسب مع تقاوم مشكلة الإسكان الأهلي، بينما قامت البلدية بمعالجة النفائص المسجلة في بعض المشاريع المنجزة في الثلاثينات من القرن 20م منها مشروع السكن الأهلي بحي القبية التي تعرضت اسطح منازلها لتسربات مياه الأمطار، وحسب تقرير المهندس داموت<sup>5</sup> مدير الأشغال بالبلدية، بأن اصلاح أسطح 135 منزلاً من هذا الحي الأهلي الجديد التي تعرضت لأضرار مما أدى إلى

<sup>1</sup> Rouissi Moncer, Population et société au maghreb, collection horizons maghrébins, OPU, alger, p.87.

<sup>2</sup> حربي محمد، الوطنية الشعبية بمدينة سكيكدة، مجلة إنسانيات، عدد 16، جانفي - أفريل 2002، ص.14.

<sup>3</sup> قاسطون باردي Gaston Bardet 1907-1989 على تصميم عدد هام من المخططات العمرانية بفرنسا، وكورسيكا 1941-1943 والجزائر التي عمل بعد الحرب العالمية الثانية بهران عام 1948 ثم سكيكدة 1951-1957.

<sup>4</sup> Gaston Bardet Centre d'architecture du 20<sup>e</sup> siècle, listes des fiches de répertoire établies par pierre galonnet, 1996, paris.

<sup>5</sup> Damotte directeur des travaux de la commune philippeville-skikda.

تزايد الشكاوي المبررة لقاطنيها المسلمين من وضعيتهم التي خلفت لهم وضعا صعبا لمنازلهم، لذلك قامت الشركة الجزائرية لمؤسسات ليون بالو<sup>1</sup> بإنجاز عمليات اصلاح واسعة<sup>2</sup>.

ويمكن اعتبار أن الحي الأهلي المنجز في الثلاثينات لإيواء أبناء المسلمين، يرجع إلى ضغط ممثلي الأهالي في البلدية، وبعد فترات من الترقب، بدأت تظهر في المدينة، مشاريع سكنية جديدة موزعة على عدة أحياءها، معظمها منجز في أطرافها الجنوب الشرقية (حي الأمل، حي الأهلي، حي واد الوحش) أو في حي الأوراس، تندرج ضمن محاولة متأخرة لتغيير وجه المدينة الذي كادت أن تتحول إلى مركز ضخم للأحياء القصديرية، وهذا بعدما وصل تعداد سكانها إلى 23 ألف ساكن منهم 17 ألف قاطن في أحياء غير متهيئة. وفي المقابل بقيت المدينة تحتضن موجات من النزوح الريفي المتزايدة عليها باستمرار من المناطق المضطربة من جراء الحرب التحريرية الأمر الذي جعل الهيئات المحلية تعترف بعجزها على مواكبة هذا المشكل المعقد، وأكدت بأن حل هذه المشكلة الاجتماعية يتطلب تدخل هيئات عليا من الحكومة العامة والهيئات السكنية والمالية المانحة، لأنها تتجاوز إمكانياتها المحلية. وظل مشكل السكن المخصص للأهالي مؤجل النظر فيه لعدة عقود، ذلك لأن البلدية كان شغلها الكبير، يتمثل في معالجة مشكل السكن الأوروبي على حساب السكان المسلمين الذين كان عليهم الانتظار، لسنوات حتى يلقي هذا الملف العناية من مسؤولي البلدية.

وتقع أحياء الصفيح في أراضي جد منحدر أو على حواف البحر أو معلقة على الشاطئ الصخري، وعملت البلدية على تحويل جزء منهم للمنازل الصلبة، مخصصة لهم في برنامج 700 مسكن، وقد رافقتها عمليات واسعة لتهيئة أحياء المدينة وشوارعها بحيث تم تجديد القنوات<sup>3</sup>.

كان لمشروع قسنطينة عام 1958 دور هام في ظاهرة النزوح الريفي قبل الاستقلال وبعده، بالأموح البشرية المتتالية القادمة من الريف هروبا من قساوة الطبيعة وبحثا عن العمل والأمن والراحة والاستقرار من عذاب الحياة في الريف، فقد بلغت نسبة الهجرة 600 ألف بين سنتي 1962-1966<sup>4</sup> الأمر الذي تطلب استغلال المجال في الضواحي والقرى الفلاحية.

فعانى سكان الريف من الوضعية المتفجرة لحرب التحرير التي تفاعل معها سكان المدن، حيث وجدوا أنفسهم عرضة بشكل مباشر، في الميدان أو في المحتشدات، لأهوال تلك الفترة المأساوية. وأما بالنسبة لأولئك الذين كان لهم الحظ في الهروب من جحيم الحرب ومن جو الموت والعذاب كانت المدينة تبدو،

<sup>1</sup> La société Algérienne Des établissements Léon ballot

<sup>2</sup> AMS, Del du conseil municipal de Philippeville n=168, 3 janvier 1946, cité indigène skikda.

<sup>3</sup> Archive Municipale de skikda, DEL 1958

<sup>4</sup> لزعر علي، التقنيات الديمغرافية والتنظيم المدني، مجلة دفاتر العلوم الاجتماعية، العدد 5، المرجع السابق، ص.12.

المكان الوحيد للخلاص، وهكذا اشتد النزوح الريفي نحو المدن لتتمو بذلك مجموعات الأكواخ على أطراف المدينة التي لم تقبل القدمين الجدد، وتضاعفت أعدادهم أكثر فيما بعد<sup>1</sup>.

وجاء في تقرير برهان الدين قاتي<sup>2</sup> أن عدد السكان المسلمون بسكيكدة وصل إلى 50000 نسمة، من بينهم 30000 نسمة يعيشون في الأحياء القصديرية مما يتطلب البحث عن مجالات تدخل سريعة الآجال ومتعددة الصيغ السكنية للمساعدة على اسكان العائلات الأكثر احتجا، وفي ظروف صحية ملائمة ضمن البرنامج الذي انطلقت فيه بلدية سكيكدة سنتي 1960-1961 مع تهيئة مناطق الاستقبال في الأقسام التابعة للبلدية، وتشجيع البناء الحر في الأراضي الأكثر تهيئة في يخص قنوات الصرف وشبكة الطرق وتمويل بمياه الشرب والكهرباء، ومن أجل تخفيف الضغط عن ضاحية المدينة العمرانية يعاد الاسكان في الحدود الخارجية وتمكين سكيكدة من التوسع اعتمادا على مخطط التعمير<sup>3</sup> وفق صيغ اقتصادية واجتماعية<sup>4</sup>. فظهرت الأحياء والأقسام الجديدة:حي ديار الصبر بوادي الوحش، مجموعة الهواة المطلق<sup>5</sup>، الزيتون<sup>6</sup>، البناية الجماعية النخيل<sup>7</sup>، تجمع فتوي<sup>8</sup>، وماملون نيقرية، وحي الأمل والحي الأهلي<sup>9</sup>.

في كثير من الأحيان تكون حدود المدينة غير واضحة، يصعب تميزها عما يجاورها من التجمعات الثانوية أي القرى التي لا تدخل ضمن مخطتها العمراني مع بقاء مساحات هامة خالية من العمران شرق المدينة في جبل مودر، وطول شارع بارو، يعد المخطط العمراني 1959-1962 آخر المخططات المنجزة خلال الحقبة الكولونيالية التي عرفت بروز تجمعات ثانوية أو مساكن ريفية داخل المدينة، وهي مباني ذات طابع ريفي مثل حي بوعباز، ديار الصبر، الإخوة علوش، وهي خالية من المرافق وتختلف الأحياء السكنية من حيث المساحة وعدد السكان ونوع الوظيفة، ونمط البناء وأصل التسمية، ودرجة التجهيز أي شروط السكن الصحي، ففي الأحياء الأهلية تنتشر الأحياء العشوائية المحرومة من الصرف الصحي والماء والكهرباء والطرق المرصوفة المترتبة عن النزوح الريفي المتزايد والزيادة السكانية السريعة، في المقابل تتميز الأحياء الرئيسية في المدينة التي تقطنها في الغالب الجاليات الأوروبية بمساكن لائقة على خلاف بعض مدن شرق الجزائر<sup>10</sup>.

<sup>1</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، دار القصة للنشر، 2007، الجزائر، ص.384.

<sup>2</sup> برهان الدين قاتي Gaty نائب رئيس بلدية سكيكدة روجي روت

<sup>3</sup> المخطط العمراني Le Plan directeur d'urbanisme 1959-1962، الذي وضع تصورات مستقبلية لغاية سنة 1980 التي تحتضن فيها المدينة تعداد سكاني 130000 فرد، يتوفر المخطط الموزع على 170 هكتار على مطار وميناء جهوي، تسمح بتحقيق تطور كبير في حركة المرور ومراكز الترفيه والسياحة بسكيكدة، ينظر:

Duclos Marcel Paul, *Il était une fois Philippeville*, Site internet.

<sup>4</sup> AMS, Del N 190, 1961, Fond de développement européen, résorption de bidonville, recasement, deserge, rapport B.Gaty projet.

<sup>5</sup> Groupe bel Air

<sup>6</sup> Les oliviers

<sup>7</sup> Les palmiers

<sup>8</sup> Regroupement Fetoui.

<sup>9</sup> AMS, Del N 115-124-138-154-209, 1958.

<sup>10</sup> حمادة صالح، المرجع السابق، ص.110-142.

وانتجت المؤسسة الاجتماعية العقارية لسكيكدة خطوات متعددة لإنجاز سكنات من طرف بلدية سكيكدة، ولذلك تم الموافقة على الأقساط<sup>1</sup>، ظهر بأن الاحتياجات الحالية هي نمو 500 سكا لإعادة تهيئة الأحياء القصديرية و 1000 سكن للسكن الأهلي، وهي أنماط سكنية مخصصة لمجتمع تقليدي مع توسيع الحي الأهلي، وإنشاء مجامع سكنية خلق هذه المجموعات السكنية سوف يسمح لنا من تخلص مدينتنا وضواحيها من كل الأحياء القصديرية، كذلك يسمح هذا البرنامج بتهوية المدينة (إزالة الازدحام، النمو الديموغرافي)، وإبعاد عدد كبير من المباني الغير مستعملة وإعادة ترميمها، ويقدم للسكان المشتتين إمكانيات الحصول على حياة كريمة ومن حق كل إنسان الحصول عليها، ويشرف على هذه العمليات مكتب الدراسات والمهندس العملي بيون<sup>2</sup>. وتم إنشاء منطقة صناعية حقيقية ملحقة بميناء سكيكدة وقطاعها مع توسيع وتجميل المظهر العام للميناء، هذه الأعمال كانت موجهة لتعزيز قدرات الميناء على استقبال البواخر الحديثة بإنشاء رصيف جديد وتعبيد ما يسبق الميناء بتكلفة 31 مليون كمرحلة أولى لتوسيع الميناء حيث قدرت التكلفة العامة 17.800.000 فرنكا مع إنشاء نهج كبير مقابل البحر 10 مليون فرنك، وذلك لتحسين صيرورة الميناء وشبكة الطرقات للمدينة خاصة وأن جموعا كثيرة تحولت إلى ضواحي المدينة بدافع الفاقة والفقر لتعيش الحرمان في الأحياء القصديرية الفقيرة<sup>3</sup>.

وفي نهاية الفترة الاستعمارية نفذ مشروع الطريق الرابط بين سطورة وسكيكدة الذي يعد من المشاريع الحيوية التي انطلقت أشغال طريق واجهة البحر المتجه نحو كورنيش سطورة ودامت حوالي 29 شهرا قامت بالأعمال مؤسسة كوبنون برنارد<sup>4</sup>، برقم استثمار إجمالي 7500000 فرنك جديد<sup>5</sup>.

نستخلص بأن مجالات استخدامات للفضاء العمراني لمدينة سكيكدة تميز بالتنوع في الوظائف المحددة لكل مجال معين، فالفضاء العسكري وزع في القسم الشرقي (تحصينات، قلاع، مراكز تدريبات، مدفعية...)، أما الفضاء المدني تم تخصيصه في القسم الشرقي (مباني سكنية فردية وجماعية بمختلف صيغها)، بينما وزع الفضاء الإداري في الشارع الرئيسي الفاصل بين القسمين المدني والعسكري واقتطاع بعض الأجزاء منهما (مقرات الدائرة، البلدية القديمة، المستشفى المدني، الإدارات المختلفة)، كذلك الفضاء التجاري الموزع في شمال المدينة (الميناء ومحطة السكك الحديدية والشركات) وأطرافها الجنوبية (المستودعات والمراكز، الأسواق...)، ونضيف إليهم الفضاء السياحي (الشواطئ، واجهة البحر، طريق كورنيش سطورة، قاعات سينما، المسرح البلدي، المسرح الروماني، الساحات الحدائق...).

<sup>1</sup> وذلك بمنح تمويل جزئي (سلفته 300 مليون فرنك) للبرامج السكنية البلدية، تم تهيئة أساسات السكنات مع العمل على إعادة تهيئة الأكوخ القصديرية والسكنات التقليدية، ممول من الولاية لمختلف الطرق المستعملة، حيث انجز 108 سكا تقليديا في أول مرحلة .

<sup>2</sup> في واد الوحش وأرضية أخرى كجمع سكني تقليدي مكون من 112 سكن مواجهة الشمس الساطعة، وجمع سكني صغير مكون من 31 سكا سهل الدخول عن طريق الأوراس على أرضية عرضت بسعر معقول، وإنشاء مجمع على شكل عمارات مكونة من عدة سكنات تقليدية تخصص لإيواء العمال الذين وبناء حي إسلامي واسع. ينظر: A.M.S

<sup>3</sup> AMS, Alger, le 23/09/1946.

<sup>4</sup> Compenon- Bernard

<sup>5</sup> AMS, délibération du conseil Municipal Philippeville, N= 328, 1962.

## المبحث الرابع: شوارع المدينة ودلالات أسمائها:

عرف بأن الإنسان بمجرد ظهوره كفرد أو جماعة في موضع معين تنشأ معه الحاجة إلى إطلاق أوصاف وأسماء على الأشياء والأشخاص والكائنات وكل المعالم السطحية الأساسية بالنسبة إليه، فالإنسان ميال بطبعه إلى إثبات ذاته في المكان الذي ينتمي إليه ولا يمكن للتسمية أن تأخذ معناها الحقيقي وأهميتها إلا إذا كانت نابعة من حاجة ماسة إليها، ومن ضروراتها التعريفية والرمزية الذاتية التي تمثل وظيفتها الأولى. فشكل الاسم يدل على الانتماءات الثقافية والاجتماعية والعقائدية للجماعات والأفراد المشكلين للمدينة، والأسماء علامات دالة على هوية المحتلين وذاكرتهم الاستعمارية وعلماء مهما في التمييز بين الثقافات وأنظمتها وأصولها ودلالاتها الرمزية والتأولية<sup>1</sup>.

من خلال تحليل قائمة عينة التسميات للفترة الاستعمارية (مخطط المدينة) التي تم إطلاق أسمائها للأماكن والمباني العمومية لا سيما الساحات والشوارع والتجمعات السكنية والمعالم التذكارية والمآثر التاريخية. يتضح من خلال القراءة الأولية في تسميات الأماكن في مدينة سكيكدة خلال الحقبة الكولونيالية الموجودة في المخططات العمرانية للمدينة: تداول التسمية الأولى، وإعادة وضع اسم آخر، ومدى رسوخ التسميات وما هو مصدر قرار طرح التسمية، وشرطه ومراحله ومن يسهر على تنفيذه؟.

تمكنت من الاستعانة بقائمة تسميات الأحياء والأماكن والساحات والمباني والشوارع الموجودة خلال المرحلة الاستعمارية وما يقابلها من تسميات في مرحلة الاستقلال مستعينا بخرائط عمرانية لمدينة سكيكدة بين سنتي 1844-1961، مع مطابقتها بالأسماء الحالية للخريطة العمرانية لسكيكدة.

فسلطات الاحتلال الفرنسي انتهجت سياسة فرنسة المجال والمحيط وهي سياسة استعمارية جاءت من منطلق البقاء الدائم وفرض ذاكرة فرنسية خالدة عبر الأجيال والحقب.

بعدها أنطلق الأوروبيون أفراد وجماعات إلى الهجرة من مواطنهم الأصلية المختلفة وصولاً إلى مركز المدينة حيث يشعرون غيرهم بأن عليهم رسالة من الواجب القيام بها، وهي استثمار المواطن الخالية وتمدين أهلها بتطوير أراضيهم وصنائعهم.

وتطورت مفاهيم أولئك الرواد الأوروبيين، وانطلقت من مستويات الاهتمام بالتوسع قصد استغلال خيرات أهل البلاد إلى مستويات الاهتمام باستغلال المستعمرات بقوة وعزيمة المستوطنين أنفسهم على حساب المواطنين الأصليين كل ذلك من أجل كسب شرعية لتملك هذه البلاد المستعمرة وبذلك تطور مفهوم الاستعمار من حقيقة اقتصادية وسياسية إلى حقيقة اجتماعية أيضاً.

<sup>1</sup> سعيد محمد، الاسم وأصول الثقافية والاجتماعية، دراسة الأعلام والحالة المدنية في الجزائر، مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 2005، ص. 13.

واتبعت السلطات الفرنسية سياسة الفرنسة الكاملة للمحيط الاجتماعي الجزائري حيث تحولت أسماء الشوارع والمساحات العامة والمعالم الأثرية وأسماء المدن والقرى من أسمائها الجزائرية إلى أسماء فرنسية، حيث تغيرت أسماء مدن بجاية والعلمة، سكيكدة، وحملت أسماء جديدة بوجي<sup>1</sup>، وسانطارنو<sup>2</sup>. لهذا حاولت الإجابة على هذه التساؤلات متخذاً من تسمية الأحياء والأماكن والمباني العمومية لمدينة سكيكدة نموذجاً، طريقة وكيفية التسميات. ومن الشروط التي تراعى في الاقتراح مستوى الأعمال المقدمة من طرف الشخص المراد اقتراحه، وأهمية الحدث التاريخي للمعارك، وسلوك هذا المواطن الفرنسي القاطن بسكيكدة، والهبات الممنوحة للخدمات الإنسانية، لاستغلالها من طرف ممثليهم. وأصبحت سكيكدة مدينة كولونيالية نموذجية انتقلت إلى وضعيتها الجديدة، بكل ما يميزها كمدينة، أنشئت في صورة سلطة مهيمنة وليست منتجة من طرفها ولذاتها، أي مدينة استعمارية تتحدد من خلال التحكم في الخاصيات المسيطرة على الفضاء الحضري والأشكال المضمونة بإطار قانوني ملائم لبروزها. فالمدينة الكولونيالية ذات تنظيم يعود الفضل فيه للصلاحيات التي تمنحها خاصيتها، ولمختلف أشكال العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، فهي تعمل في فائدة الجالية المهيمنة والميتروبول الذي تمثله<sup>3</sup>. فارتفع عدد المنازل المبنية فيها في الشوارع الجديدة المفتوحة، فقدرت تكلفتها 1250.000 فرنك، وقامت مؤسسة الجسور والطرق بفتح 7000م من الشوارع المهيأة، وعملت هذه الهيئة على إعطاء فضاء مفتوح للمجتمع الأوروبي ضمن مشاريع المدينة التي تم تجسيدها، بعمران يتجاهل المجتمع المسلم المتواجد آنذاك. ففي إحصاء 1886، تظهر المعطيات الإحصائية، سكيكدة درجة تمثيل مختلف الأعراق التي تتراكم في المدينة والذين جاؤوا لتلبية متطلباتهم ونتيجة لتوجيه النداء للفرنسيين أولاً، وأمام الاحتياجات كان يتم اللجوء إلى الإيطاليين والمالطيين والأسبان وغيرهم من الأجناس الأوروبية<sup>4</sup>. وتم حل النزاع القديم بين البلدية والعسكر (مالكي) الأراضي حول المصالح التجارية والتوصل إلى من ينجزها جزئياً. وكان الفضاء الحضري العمراني آنذاك تضم وسط المدينة، ضاحية الأمل، والملاحق البلدية التابعة لها (فالي، سطورة، سانت انطوان، دامريمون) داخل التحصينات العسكرية وخارجها. وهكذا قامت البلدية بشراء أراضي عسكرية وطلب إعادة النظر في تصنيف تحصيناتها، ثم توسعت المدينة، لكن داخل حدود فرضها الجيش الذي يحتل الأراضي المحيطة بالسور، وجاءت الاتفاقيات المبرمة بين البلدية والجيش التي نصت على منح البلدية تنازلات، تمكنها من التوسع ودفع حركة المضاربة إلى التطور<sup>5</sup>. وكان وراء هذه الموجة المعمارية عدد من المهندسين المعماريين مثل:فانتالون،

<sup>1</sup> بوجي Bougie بجاية حالياً.

<sup>2</sup> سانطارنو Saint arnaud العلما حالياً.

<sup>3</sup> أيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص.187.

<sup>4</sup> أيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص.245-247.

<sup>5</sup> أيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص.215-216.

رينوكس<sup>1</sup>، لتنتقل العمارة من الاعتماد على هندسة المباني الجماعية المخصصة للتعمير السريع نحو المباني الفردية. ويمكن اعتبار مرحلة 1870-1920 هي فترة انتشار هذا النمط المعماري، بعدها أصبحت المدينة تستقطب هجرات ريفية متزايدة من المسلمين المتأثرين بظروفهم الصعبة.

فاختلفت الهندسة المعمارية المتبعة من الفرنسيين في الجزائر، بحيث تحولت من طابعها الفرنسي نحو الطابع الإيطالي والمتوسطي لتنتهي بالطابع المشرقي الذي أخذ تسمية الهندسة المغربية الأندلسية.

وما يمكن تسجيله بعد الحرب العالمية الأولى انتشار أفكار الحداثة في العمارة سنوات العشرينات من القرن 20م مما سمح بتجديد البنايات القديمة التي يرجع أغلبها للسنوات الأولى لاحتلال سكيكدة<sup>2</sup>.

ويظهر التوجه الهندسي جليا في طريقة تفكير وعقلية المصممين التي ترغب في إظهار المدن الجزائرية كمنعكس للمدن المتوسطة الفرنسية والإيطالية التي أخذت معها الإلهام مع الأخذ من الهندسة اللاتينية بعض نماذجها، حيث كانت الفئة الأكبر من المصممين واليد العاملة تأتي من شمال إيطاليا خصوصا، بحيث أن المرفقين يعيدون صنع الأشكال القديمة مثلما هي في بلدانهم الأصلية مما تؤكد هذا التوجه الحيطان ترفع باستعمال حجارة ضخمة إطارات الأبواب والنوافذ، ويشكل نسق مع الكتلة العامة للحيطان وتتماشى مع القواعد الكلاسيكية، والشرفات موزعة أكثر على الفضاءات (الأماكن) الأعلى الطرقات مشكلة بواسطة الحديد المصقول متكتلة على سقوف مشكلة بواسطة حجر واحد مدمجة في الحيطان ومحقة بواسطة دافعة مصنوع من نفس المادة.

والملاحظ خلال الفترة الثانية ضعف التأثير الإيطالي وظهور نوعية جديدة يعكس الذوق المتميز للمدرسة الفرنسية الجديدة والمعروفة بنموذج الإمبراطورية الثانية.

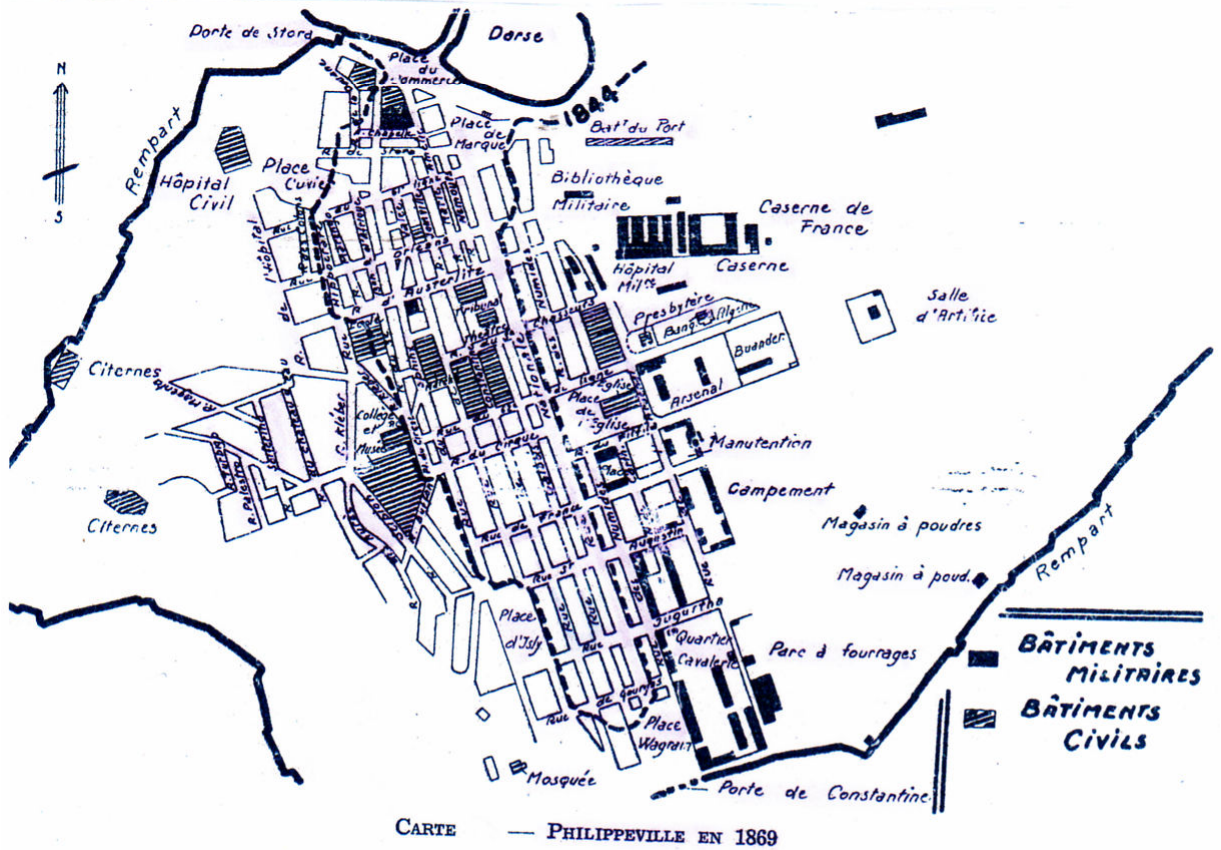
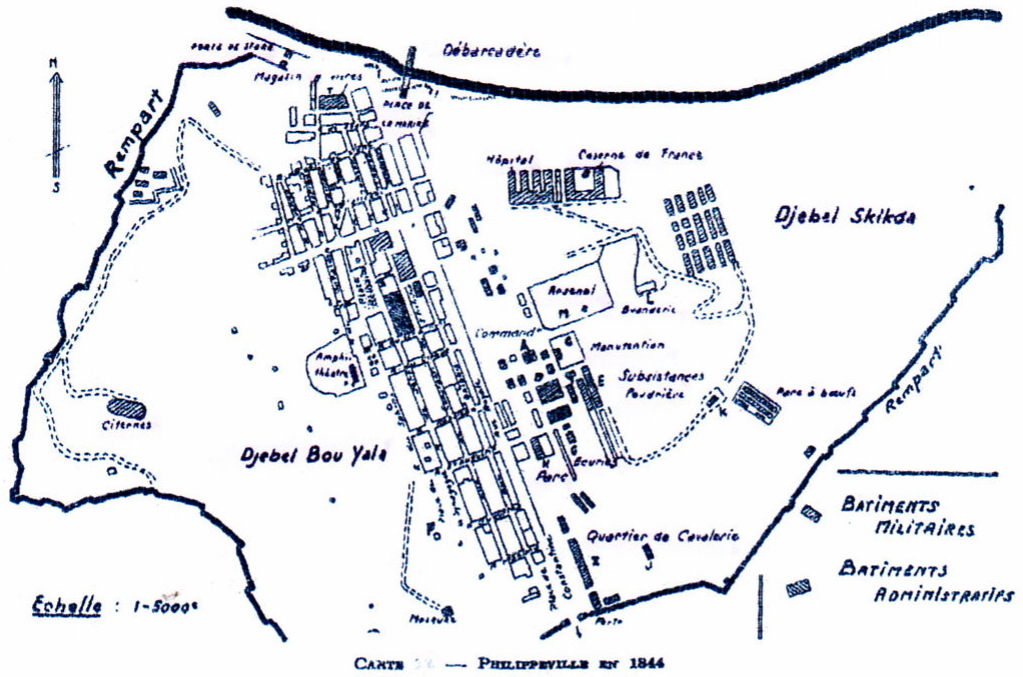
وسجل في بدايات النظام الجمهوري إشارة البدء للتبادل الثقافي، بعد قدوم مهندسين محنكين بالجزائر نجم عنها بعث جديد للعمران وتوسيعه والابتعاد عن وسط المدينة بعد الحرب العالمية الأولى التي عطلت نشاطات التعمير ثم توقفت المنشآت العمرانية خلالها، لتتطلق من جديد فيما بعد عن طريق ديوان السكن البلدي الذي شرع في البحث عن الأراضي لشراء بأثمانه معقولة وتهيئتها لإنشاء الأحياء الجديدة، رغم ذلك ظهرت الأحياء القصديرية مما جعل السياسة العمرانية تتوسع وتتعقد معا.

وعلى العموم فإن المدينة الفرنسية نمت حسب الحاجيات، وتطور الهندسة المعمارية من نمط المباني الجماعية القديمة على طريقة لويس فيليب خلفتها عمارات العقد الثاني (الإمبراطورية الثانية) ثم المنازل الراقية لعهد الجمهورية الثالثة بعدها النمط المتوسطي.

<sup>1</sup> هنري رينوكس Henri Ranoux المهندس المشرف على أشغال المتحف البلدي: الذي مكن من الاحتفاظ بعدد كبير من المخلفات الأثرية المجمعة بالمسرح القديم لروسيكاد، والذي دشن في 22 نوفمبر 1898 بفضل المساعدات المالية البلدية والحكومة العامة، أنشأ هذا المتحف المتكون من ثلاث أقسام، موصلة بينها بسطح واسع وجميل، يحيط به عالم من الحشائش والنخيل والورود على 100م طولا و30م عرضا وعدد كبير من القطع الفخارية والمصابيح، واعتبر هذا المتحف آنذاك من أغنى المتاحف في شمال إفريقيا.

<sup>2</sup> Ibid, P.112.





المخطط العمراني لمدينة سكيكدة لعام 1844<sup>1</sup> و عام 1869<sup>2</sup>

<sup>1</sup> Solal Edouard, philippeville et sa région, p.156.

<sup>2</sup> Solal Edouard, philippeville et sa région, p..169

طوبونومية الأسماء	RUE l'époque coloniale -1844 1869	النهج بعد سنة 1962
علم تراثي ديني لاتيني	Saint Augustin	محمد بوبايسة
سفينكس علم تراثي حيواني بمصر وبرينو شخصية محلي	Antoine Bruno ex sphinx	علي عبد النور
علم تراثي شخصية نوميديا قاد المقاومة ضد الرومان	Jugurtha	يوغرطة
علم للأسرة الملكية	D'Orléans	سويداني بوجمعة
علم للأسرة الملكية	D'Aumale	حسين ضيف
علم للأسرة الملكية	Joinville	عثمان علي
علم سياسي من الجمهورية الثالثة	Gambetta ex cirque	الثورة
علم عسكري جنرال حاكم عام للجزائر	Bugeaud	عبد الحميد العيفة
الأسرة الملكية قائد عسكري	Nemours	مسعود بن غرس الله
علم عسكري حاكم عام للجزائر	Clauzel	رابح سوامس
علم عسكري جنرال قائد مقاطعة قسنطينة	Galbois	يوسف قديد
علم نوميدي تراثي/باسيريو سياسي	ex numides, Passerieu Octave	محمود نفير
علم للأسرة الملكية/تيسيبي سياسي محلي	ex marie amelie, Henri Teissier	عبد الله بن غرس الله
تراثي عسكري روماني	Scipion	إبراهيم رمضان
علم عسكري	Kleper	يوسف بوحجة
علم فرنسية	France	جيش التحرير الوطني
علم محلي لعاصمة العمالة	Constantine	مكي اورتياني
علم محلي لجبال الأوراس بشرق الجزائر	Des Aurès	الإخوة علوش
علم عسكري	3 <sup>eme</sup> Zouaves	مقران عبد الرحمان
علم عسكري	62 <sup>eme</sup> de Ligne	بوجمعة لباردي
علم عسكري	61 <sup>eme</sup> de Ligne	حسين عسلة
علم عسكري	3 <sup>eme</sup> Chasseur D'Afrique	محمد دخيلي
علم عسكري	3 <sup>eme</sup> Bataillon D'Afrique	مصطفى فروخي
علم عسكري	D'Austerlitz	مصطفى بن بولعيد
علم محلي	Lavoute	الإخوة حلحاز
علم عسكري	L'Arcole	المجاهد
علم عسكري	D'Austerlitz	مصطفى بن بولعيد
علم محلي لمعمر أوروبي	Gourgas	شعبان رموش
علم عسكري	Buffon	علي زغبب
علم عسكري	Magenta	عيسى بولغب
علم عسكري	Turbigo	ساسبي بولفركات
علم فرنسي مخد للوجود الأوروبي	Des Colons	أحمد اينال
علم عسكري	Palestro	لخضر بكوش
علم عسكري	Solferino	سعيد بوشحمة
علم محلي لخزانات مائية	Château D'Eau	قصر الماء
علم عسكري	Marengo	صالح بوقموزة
علم تراثي	Chapelle	إبراهيم بوطوقة
علم عسكري واقع في الحي العسكري	L'Arsenal	لزررق مجيد

<sup>1</sup> جدول من انجاز الباحث اعتمادا على المخططات العمرانية للمدينة سنتي 1844-1869، وأرشيف بلدية سكيكدة الشوارع الحالية للمدينة، وهي أسماء للأسرة الثورية بعد الاستقلال.

ومن خلال تحليل قائمة عينة التسميات (مخطط المدينة) التي تضم 68 تسمية (عنوانا) للفترة الاستعمارية، وتم إطلاق أسمائها على الأماكن والمباني العمومية<sup>1</sup>، لا سيما الساحات والشوارع والتجمعات السكانية والمعالم التذكارية والمآثر التاريخية. فنجد أن نسبة الشخصيات الوطنية الفرنسية، من رجال السياسة والفكر والثقافة والجيش، من عسكريين وجنرالات، كانت لهم دور كبير في الاحتلال، وتضم هذه القائمة شخصيات ذات وزن كبير، مثل رئيس وزراء فرنسا كليمنصو، قامبيطا، تليها تسميات لمواقع مدن وقرى شهدت معارك مصيرية، شارك فيها الجيش الفرنسي في أوروبا، وحقق فيها انتصارات حاسمة، على القوات النمساوية في شمال إيطاليا خصوصا، تمثل نسبة كبيرة. كما حملت بعض الأماكن أسماء لشخصيات فرنسية محلية فاعلة، لهم دور مهم في تسيير بلدية سكيكدة، مع إغفال لشخصيات علمية وثقافية اجتماعية، ما عدا تسمية قطاع صحي بباب قسنطينة المخصص للأهالي، للطبيب يوسف كسوس، وذلك لتخليد وفاته وإسهاماته في خدمة المدينة وسكانها خاصة العنصر المسلم.

والملاحظ من خلال النسب المستخرجة من القائمة أن الفرنسيين، أنهم بقدر ما وسعوا من مجال استخدام التسميات الفرنسية على نطاق واسع، من أجل فرنسة المحيط، وتمجيد وجودهم، فإنهم لم يهتموا التراث المحلي، بل وظفوا هذا الموروث التاريخي... ولنا أن نتساءل هل العملية مقصودة، أي تمت عن وعي محدد وتخطيط مسبق، أم أنها مجرد صدفة؟ وإن كان الحديث عن الصدفة أمر مستبعد فإن الإجابة القاطعة تحتاج إلى المقارنة بمدن جزائرية أخرى. ثم كيف يتم وضع التسميات: تسمية الأحياء والأماكن والمباني العمومية في المدينة وما هي الشروط التي تراعى في الاقتراح مستوى الأعمال المقدمة من طرف الشخص المراد اقتراحه وأهمية الحدث التاريخي للمعارك وسلوك بعض سكان المدينة والهيئات الممنوحة لتقديم خدمات تمنح لممثلهم.

إن تتبع تسميات شوارع المدينة وأحيائها والأماكن العمومية التي كانت سائدة خلال الحقبة الكولونيالية، حيث الملاحظ على طابع هذه الأسماء طغيان الطابع الفرنسي وتفسر ببعدها المحلي والفرنسي، بحيث أخذت أسماء لاتينية في الغالب.

إن بداية ظهور التسميات الأولى للشوارع والساحات في بدايات الاحتلال له دلالة الهامة، حيث يكشف المخططات العمرانية 1840-1844-1869، عن وجود رغبة سياسية واجتماعية باختيار قائمة أولية تضم أسماء لشخصيات عسكرية فالي، قالبوا، نيقرييه، كلوزيل، بيجو، ساهمت في نجاح الحملة الفرنسية على الجزائر. وضمت القائمة تسميات لفيالق العسكرية الفرنسية المساهمة في احتلال سكيكدة وبناء مركزها الجديد عام 1838 (الفيلق 61 خط، الفيلق 62 خط، الفوج الثالث الإفريقي، فرقة الزواف

<sup>1</sup> ينظر ملاحق البحث مخططات المدينة في الفترة الاستعمارية.

الثالثة<sup>1</sup>، جيش القناصة الثالثة)، واشتملت التسميات أيضا على أسماء العائلة الملكية بفرنسا.

فإذا كان المدينة الجديدة قد حملت تسمية الملك الفرنسي لويس فيليب منذ 17 نوفمبر 1838 فإن العائلة الملكية (زوجته إيميلي وأربعة من أبنائها الأمراء الدوق نور، والدوق دوريون، والدوق أورليان والأمير جوانفيل) رسخت ضمن قائمة طوبونومية التسميات للمدينة منذ العهد الملكي.

واهتم المسؤولون باختيار التسميات المنتاسبة مع متطلباتهم المحلية أو الفرنسية حسب النمو التدريجي للنسق العمراني للمدينة، ويتم إيجاد تسمية لكل الشوارع والأحياء الجديدة، وأمدتها البلديات المتعاقبة بتسميات تتناسب مع أهمية كل منها، فاكتملت المدينة أنواع متعددة من التسميات المختارة<sup>2</sup>.

وعلى العموم يمكن أن نصنف الفترة التي أعقبت سقوط الحكم العسكري 1870 وتشكل الجمهورية الفرنسية الثالثة نهاية لعهد التسميات العسكرية، ومجيء مرحلة جديدة التسميات السياسية الممجة للشخصيات الهامة للتيار الجمهوري، وسوف تقتصر التسميات العسكرية على أسماء الثكنات مونجان، والنصب التذكارية المخددة للفرق الحربية الفرنسية مثل معلم فرقة الزواف الثالثة بالقرب من باب قسنطينة وقاعة الصناعات التي خلدت مساهمتها في المعارك التي خاضتها في إيطاليا عام 1859، والمعروف بأن قوة تشكلت بسكيكدة في 23 مارس 1852. ولهذا يعتبر الاختيار مسألة مصيرية ومهمة جوهرية في توزيع قائمة التسميات بما يتوافق مع التخطيط بما يتناسب مع طبيعة الحكم والسكان ورغبات ممثليهم.

وأقترن اختيار الموضع والتسمية بخصوصية تخطيطية، ولاسيما في الأمكنة الكبرى التي ترسم وجوده كمعلم مهم في الذاكرة الوجودية للمدينة وفضاءاتها المقامة عليها.

وتختلف طبيعة التسميات حسب اهتمامات المجالس البلدية المحلية التي سيطر عليها العنصر الفرنسي التي ظلت تعد في البناءات والإنشاءات عينة من التسميات بشكل مؤقت أو دائم وفق ديمومة الاسم وقدرته على الصمود في الشوارع والعمارات وغيرها من الإنشاءات.

فعمل أصحاب القرار في سكيكدة على وضع فهرس لأسماء أعلام السياسة والجيش والفكر والأدب والاقتصاد، ذات عدة أبعاد محلية وفرنسية في محاولة بسط الوجود الاستعماري وتكريسه على أرض الواقع، بعدما فرضها الفرنسيون كمرجعيات لا يمكن التخلي عنها لأنها تعبر عنهم.

وأطلقوا على الشوارع الرئيسية أسماء متغيرة تحمل أسماء شخصيات سياسية ورموز عسكرية فرنسية، وذلك حسب طبيعة نظام الحكم الفرنسي السائد في كل مرحلة من ملكي وجمهوري وإمبراطوري وعسكري من جهة، ومن جهة أخرى هناك تسميات لم تتعرض إلى التغيير بتاتا خلال

<sup>1</sup> 3<sup>eme</sup> Zouaves

<sup>2</sup> ينظر ملاحق البحث صور ومخططات المدينة.

فترة الاحتلال الفرنسي. ورغم التغيير المستمر لمسؤولي الإدارة المحلية بحيث نجد بأن هذه الأسماء لم تتأثر بهذه التغييرات مثل شوارع قالبوا، جوان فيل، أومال، الأرسنال، أورليان، كلوزيل، نمور<sup>1</sup>.

لكن ما يلاحظ بالنسبة للمجال الجزائري وحالة سكيكدة خصوصا خلال فترة الاحتلال الفرنسي حدوث تغيير تعسفي بالباسه التسميات الأوروبية الدخيلة التي فرضت في التداول الرسمي ورسخت رموزها فوق اللوحات الجدارية على أزقتها وشوارعها وأحيائها، واستدلّت بها مختلف المصالح الإدارية: البلدية والدائرة والعمالة والبريد والشرطة، ورسخ بعضها في التداول اليومي للمواطنين<sup>2</sup>.

وبقيت المدينة تحتفظ بمعظم تسمياتها طوال الفترة الاستعمارية رغم التحولات والمتغيرات مما يبرز صلتها بنشأة هذه المدينة الكولونيالية، ولم تتغير وضعيتها التسمية.

وأخذت التسميات العسكرية مكانة مميزة في قائمة أسماء الأماكن العامة لمدينة سكيكدة، وهي أكثر استعمالا من طرف الإدارة المحلية التي عملت على ترسيخ الذاكرة الحربية لدى السكان عبر ترسيخ أعلامها ضمن طوبونومية التسميات التي تضمها المدينة، ولا نقل الأسماء السياسية المحلية أهمية عن غيرها من الأسماء المسجلة في مخططات المدينة ونتيجة لان المدينة فيليب فيل تم تشكيلها من طرف المحتلين الفرنسيين في منتصف القرن 19م.

\* ثبات معظم قائمة التسميات التي أطلقت على الشوارع والأحياء طوال الفترة الاستعمارية، رغم التغييرات المستمرة في الإدارة المحلية والتطورات السياسية المتعاقبة على مستعمرة الجزائر، خاصة الأسماء التي حملت أسماء العائلة الملكية المساهمة في تأسيس المدينة حتى بعد انتهاء حكم لويس فيليب<sup>3</sup>، وتتضح ذلك في عدد من شوارعها، كشارع دومال<sup>4</sup> (حسين ضيف حاليا): وهو لأحد أبناء الملك الفرنسي. \* فالتحول الجزئي في قائمة التسميات للشوارع والأحياء، ذاكرة سكيكدة من خلال أسماء شوارعها، يحدث هذا التغيير بعد انطفاء مبررات وجود بعض الأسماء التي لا تلقى القبول، حيث تفرض معطيات الساحة المحلية بروز إرادة للتغيير الطفيف على مستوى بعض الشوارع، نظرا لهذه الحاجة تطلب التخلي عن أسماء قديمة وتبديلها بوجوه جديدة، ويتم نقل التسمية المختارة بإجماع المجلس البلدي عليه

<sup>1</sup> يرجع أسماء الشوارع لمعارك أنتصر فيها الجيش الفرنسي في القرن 19م في أوروبا خلال حملات نابليون بونابرت ثم في عهد نابليون الثالث أثناء حملات الوحدة الإيطالية.

<sup>2</sup> قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة المدينة والمجتمع أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه الدولة في التاريخ، 1998، ص.169.

<sup>3</sup> لويس فيليب Louis Philippe ملك فرنسا 1830-1848، من مواليد 6 أكتوبر 1773 بباريس، سافر لفترة طويلة خارج فرنسا، ومنها أربعة سنوات قضاها في فيلادلفيا الأمريكية، و تزوج ماري إميل دوبريون صقيلة (1782-1866)، له عشرة أطفال، تميز حكم الملك لويس فيليب بالملكية الشعبية، حيث تولى العرش بعد ثورة 1830، وتأييد الطبقة البرجوازية المتوسطة له، واعتبر في البداية بأنه ملك المواطن، لكن بعد حدوث أزمة اقتصادية سنتي 1847-1848، وتراجع المستوى المعيشي للشعب الفرنسي بشكل محسوس، نتيجة سياسة حكومته المحافظة، اضطر إلى الفرار عقب انقلاب الشعب على حكمه خلال ثورة 24 فيفري 1848، واعتزال الحكم، وتم انتخاب لويس نابليون رئيس الجمهورية بالأغلبية، توفي لويس فيليب بمنفاه بتاريخ 26 أوت 1850، رغم ذلك بقيت مدينة سكيكدة الفرنسية تحافظ على أسماء العائلة الملكية، حملت المدينة اسمه فيليب فيل، بينما أطلقت بعض الشوارع بتسميات زوجته وأبنائه، ينظر:

Un Article de L'Encyclopédie Libre, Louis Philippe Ière

<sup>4</sup> الدوق دومال شارل هنري Le Duc D'Aumale جنرال ومؤرخ فرنسي من مواليد باريس عام 1822، الدوق دومال الحاكم العام للجزائر

(1847-1848)، توفي بصقلية عام 1897 ينظر:

Le Petit Larousse Illustré, Paris, Cedex, 2005, P.1185

ويعتبر شارع كليمنصو سابقاً(ديدوش مراد حالياً):هو أكبر شارع تجاري مركزي على مستوى المدينة، حيث تتركز أشهر المحلات التجارية وأرقاها على واجهتي هذا الشارع الواسع، المتميز بالتنوع والعصرية وتوفر بعض الخدمات الأساسية مثل الفنادق، المطاعم، المقاهي، البنوك، دور السينما، قصر العدالة، يبلغ عدد محلاته حالياً 221 محل على طول 860م<sup>1</sup> من ساحة الشهداء إلى ساحة أول نوفمبر 1954 وهو بذلك يعرف استمرارية الواجهات، حيث يغلب عليه محلات الألبسة والأواني المنزلية<sup>2</sup>.

شارع ليون قامبيطا (الثورة حالياً):أطلقت هذه تسمية هذا الشارع المتقاطع مع الشارع الرئيسي على شخصية فرنسية ذات أصول إيطالية جاءت هذه المبادرة من طرف مسؤولي بلدية سكيكدة عقب وفاة هذا السياسي المنتمي لليسار الجمهوري في ديسمبر 1882<sup>3</sup>، وحمل هذا الشارع تسمية شارع السيرك.

إن تتبع التسميات التي سجلت في المخططات العمرانية للمدينة يؤكد مدى اتساع مجال التمثيل الفرنسي في القائمة الإجمالية لتسميات هذا المركز الأوروبي، ولم تختار الأسماء بشكل عفوي أو عشوائي وإنما جاءت نتيجة مجموعة من المؤثرات المرتبطة بالاقتراعات والاعتراضات والموافقات والاستطلاعات لمختلف الأطراف الفاعلة في قبول أو رفض أي اسم مختار للتداول عبر الشوارع أو الأحياء أو الساحات وغيرها من الأمكنة التي تتطلب وضع أسماء لها والتي استخدمت فيها تسميات مختلفة، فهناك الأسماء السياسية الوطنية المنتمية للجمهورية الفرنسية الثالثة جورج كليمنصو، ليون قمبيطا أو التي تنتمي لحكومة فيشي فيليب بيتان.

تتغير ملامح المدينة وتتبدل باستمرار، عبر التخطيط لتشييد المراكز العمرانية الجديدة في أطرافها، والذي بدوره يحتاج إلى تنظيم مجالي ينظم شكل المدينة بشوارعها وطرقاتها ومبانيها وساحاتها، وعلى أساسها يتوزع السكان الذين يحتاجون لقائمة أسماء لهذه المرافق المنشأة لمعرفة تمركزها ولترسيخ ذاكرتها لدى الأجيال. ومهما يكن من أمر فإن هذا لا يعني بأن المدينة أهملت التسميات الجديدة، بل اختارت قائمة متجددة،امتدت للأمكنة التي وصل إليها التوسع العمراني.

ووضعت بشوارع المدينة أسماء لشركات ومقاولات على عدد من أحيائها، وهي تشمل مؤسسات

ساهمت في مشاريع التهيئة العمرانية، وهي: CIA -<sup>4</sup> Ballot<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> يبلغ عرض الشارع الرئيسي في المتوسط 12م دون الرصيف، يعتبر من أهم الشوارع التجارية في المدينة، ويؤمن الحركة في الاتجاهين، أنظر: بوحجة سهيلة وآخرون، تنظيم وإعادة هيكلة المراكز القديمة حالة مركز مدينة سكيكدة، المرجع السابق، ص.110.

<sup>2</sup> بوحجة سهيلة وآخرون، المرجع السابق، ص.86.

<sup>3</sup> ليون قامبيطا Gambetta شخصية فرنسية، من أب إيطالي، من مواليد عام 1838، بكاهور Cahors، تحصل على الجنسية الفرنسية عام 1859، محامي معارض للحكم الإمبراطوري، عمل على إسقاط نابليون الثالث وإعلان الجمهورية، أنتخب عام 1870 ضمن الأقلية الجمهورية، من معارضي حرب 1870، قاد المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال الألماني، وافق على الهدنة، وبعد استقراره بأسبانيا وسويسرا، تحول نحو اليسار الراديكالي، أنتخب نائباً للسنين في جويلية 1871، وأعيد انتخابه في ضواحي باريس عام 1875، ترشح للانتخابات الرئاسية عام 1879، تولى رئاسة مجلس النواب بين سنتي 1879-1881، ثم رئيس للمجلس ووزير خارجية فرنسا من 14 نوفمبر 1881 لغاية 27 جانفي 1882، أنظر: Wikipedia.Org, Encyclopédie, Cd.Rom

وأيضا: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط2، 42، 2007، ص. 386.

<sup>4</sup> رايون بالو Ballot وهي شركة مقاوله للمشاريع والبناء أنجزت عدد معتبر من البناءات السكنية.

فقد تمكنت السلطة الفرنسية من تحقيق أهدافها التسموية بفضل الاختيارات المتناسبة للشوارع والأحياء والساحات، وترجم هذه الاهتمامات قيام البلديات بتفضيل الذاكرة العسكرية للمدينة.

وما يلاحظ إهمال تام لأسماء القبائل المحلية لمنطقة سكيكدة واقتصارها على تسمية منفردة شارع الزرامنة الواقع بالقرب من مسجد سيدي علي الديب، وهو توظيف يفسر نسبة لوادي الزرامنة وليس لقبيلة الزرامنة التي تعتبر من أهم قبائل سكيكدة. وفي الحقيقة بمجرد تأسيس المجال العمراني الجديد لمدينة سكيكدة، بدأ أصحاب القرار الرسمي يختارون أسماء متناسبة مع وجه هذا المركز الأوروبي الفرنسي الصنع، حيث تم تداول تسميات دخيلة في الغالب، فرض فيها منطق الغالب على حساب التراث المحلي الذي ظلت تحافظ عليه منطقة سكيكدة منذ القدم.

\* ويبدو أن الذاكرة العسكرية هي الطاغية على قائمة التسميات، وهي نتيجة لوجود عدد معتبر من مجموعها ساهموا في التحضير للحملة الفرنسية لاحتلال مدينة سكيكدة القديمة ثم تشييد مدينة أوروبية جديدة بديلة على أنقاضها يضاف إلى ذلك أسماء القادة والقوات الفرنسية التي حملتها هذه القائمة، كذلك ذكر المعارك التي تمجد الانتصارات العسكرية الفرنسية في عدة مواقع بأوروبا خاصة في إيطاليا.

فشارع مصطفى بن بولعيد<sup>2</sup> (أوستارليز في الحقة الكولونيالية<sup>3</sup>): يعد من الشوارع الرئيسية لمدينة سكيكدة، الذي يفصل مجموعة من الشوارع الفرعية يتجه من شارع كليمنصو نحو سجن المدينة، وترجع أصل كلمة أوستارليز إلى موقع بمقاطعة مورافيا بالتشيك<sup>4</sup>.

ويعد شارع قالبوا (يوسف قديد حاليا) من أهم المحاور التجارية بعد شارع جورج كليمنصو (ديدوش مراد) وهو يوازيه من الناحية الغربية. وتصطف على جانبيه المحلات التجارية، وبعض الخدمات ينتهي هذا الشارع عند المسرح البلدي، ويبلغ عدد محلاته حاليا 175 محل على طول 560م.

ويعرف هذا الشارع استمرار كبير لواجهاته التجارية مع وجود بعض التقطعات في بعض الأجزاء، وتتمثل في الشوارع المتعامدة معه التي تحد من استمرار الواجهات، حيث يغلب عليه محلات المواد الغذائية والألبسة الجاهزة..

فشارع فالي (قدور بلزيدية حاليا): وهو محور تجاري شريطي يوازي المحاور التجارية السابقة، يمتد من ساحة الشهداء إلى غاية الحي الإيطالي حيث ينتهي بممر مغلق، تصطف على جانبيه المحلات التجارية

<sup>1</sup> الشركة الجزائرية للعقار CIA Compagnie Immobilier Algérien التي تبنت التشريعات السكنية ذات الطابع الاقتصادي وبناء عدة عمارات في سهل الزرامنة عند مدخل المدينة في نهاية الحقة الاستعمارية، ينظر: خمادة صالح، المرجع السابق، ص.136. CIA Compagnie Immobilier Algérien

<sup>2</sup> نسبة لمعركة وقعت في 2 ديسمبر 1805 حقق فيها نابليون بونابرت انتصارا حاسما على النمسا وحليفاتها، ينظر: Le Petit Larousse Illustré, Paris, Cedex, 2005, P.1534. Ibid, P.1185.

<sup>3</sup> أوستيرتيز Austerlitz شارع الأشجار Les Arbres  
<sup>4</sup> حيث تمكن نابليون بونابرت قائد الحملة الفرنسية في أوروبا من تحقيق انتصار حاسم على الجيش النمساوي الروسي في واقعة يطلق عليها معركة الأباطرة الثلاثة في 2 ديسمبر 1805، حيث انتهت هذه المعركة بالتوقيع على اتفاقية بريسبورغ 26 ديسمبر 1805، والذي قضى على ثالث تحالف مضاد لفرنسا ينظر:

Ibid, Les Noms, P.148.

وبعض الخدمات كالفنادق والحانات يبلغ عدد محلاته حاليا 174 محل من بينها 18 محل في الحي الإيطالي على طول 736م. وهو يعرف كذلك استمرار كبير لواجهاته التجارية مع وجود بعض التقطعات بين الحصص، وتتمثل في الشوارع المتعامدة معه حيث تغلب عليه محلات المواد الغذائية وبأبواب السمك إلى محلات الألبسة والأحذية<sup>1</sup>.

تخضع الممارسة الحضرية للمدينة الكولونيالية لأنماط وأشكال من القوانين والممارسات للمحيط الحضري حيث يعمل ممثلي الإدارة والجماعات المختلفة إلى فرض ملامح ومعالم المدينة المجسدة لوضعيتها، ويتم التعرف على قواعدها العمرانية من أحياء وشوارع وبنيات المختلفة.

فقيمة الأسماء المحلية التي وجدت في قائمة التسميات التي ضمت شخصيات فرنسية ساهمت في الدفاع عن مصالح المدينة في شتى المجالات، وهي أسماء ولدت بسكيكدة أو استقرت بها لمدة طويلة، وهو شعور ينتاب عدد كبير منهم بضرورة تخليد أدوار هذه الشخصيات المتعاقبة على تسيير المدينة.

تبرز الأسماء المحلية في الشوارع التالية: شارع ألبير تيسي<sup>2</sup> (محمد الصالح دهيلي حاليا)، وشارع أوكتاف باسيريو: من أهم الشوارع الرئيسية في المدينة المؤدي إلى ساحة أول نوفمبر وميناء سكيكدة<sup>3</sup>، وشارع تيوفيل ريجيس (محمد الصالح دهيلي) وهو من الشوارع المستحدثة لتمجدي رئيس سابق للبلدية.

ويعتبر شارع أنطوان برينو (علي عبد النور حاليا) من المحاور التجارية الكبرى للمدينة، وهو محور شريطي يمتد من خلف ساحة الشهداء إلى غاية الحي الإيطالي، حيث يتعامد مع شارع زيغود يوسف شمالا تصطف على جانبيه المحلات التجارية وبعض الخدمات والتجهيزات مثل السوق المركزي المفتوح يبلغ عدد محلاته 146 محل حاليا منها 12 محل في الحي الإيطالي على طول 924م مع وجود بعض التقطعات بين الحصص التي تحد من استمرار هذه الواجهات، وغلب على محلاته المجوهرات، والأفرشة، الأقمشة وبعض الخدمات الأساسية<sup>4</sup>.

ويعد شارع علي عبد النور<sup>5</sup> (أنطوان برينو حاليا): من أطول الشوارع في مدينة سكيكدة حسب مخطط عام 1935، يتجاوز طوله لشارع فالي، ويمتد في جنوبه مسجد علي الديب وبه كان يتواجد المتحف

<sup>1</sup> بوحجة سهيلة وآخرون، تنظيم وإعادة هيكلة المراكز القديمة حالة مركز مدينة سكيكدة، المرجع السابق، ص. 86-88.

<sup>2</sup> ألبير تيسي Albert Teissier شخصية فرنسية محلية جمهوري ليبرالي عمل مع عدة مجالس بلدية، بنكي المهنة وتاجر، تولى رئاسة بلدية سكيكدة بين سنتي 1904-1914، اضطر للتخلي عن السياسة عام 1914 لمصلحة منافسه باسيريو، وتوفي في مارسيليا في مارس 1935، ينظر: Montoy, *La Presse*, Op.cit, P.P.734-360.- *Le Philippevillois*, Le 23/03/1935.

<sup>3</sup> تولى أوكتاف باسيريو Octave Passerieu، الذي تولى عدة مسؤوليات في المجالس البلدية المتعاقبة منذ مطلع القرن 20م لغاية وفاته عام 1929، حيث عمل نائب أول لرئيس بلدية سكيكدة بين سنتي 1906-1909، بعدها أنتخب رئيس للبلدية. ويحمل هذا الشارع تسمية إحدى الشخصيات الفاعلة في الحياة السياسية المحلية، وقدم المجلس البلدي برئاسة بول كيتولي موافقه على اسم باسيريو عرفانا لخدماته التي قدمها للجالية الأوروبية القاطنة بالمدينة وجهوده المتواصلة في خدمة بلدية سكيكدة. A.M.S.

<sup>4</sup> بوحجة سهيلة وآخرون، تنظيم وإعادة هيكلة المراكز القديمة حالة مركز مدينة سكيكدة، المرجع نفسه، ص. 88.

<sup>5</sup> شارع علي عبد النور، أنطوان برينو Antoine Bruno (سفينكس سابقا) SPHINX



الأثري<sup>1</sup> يفصل شارع قامبيطا في جانب المدرسة ويمر خلف السوق ويشرف على دار الأمومة<sup>2</sup>، وينتهي في الشمال، عن طريق سلالم إلى غاية الوصول مقابل النزل البلدي من شماله<sup>3</sup>.

وحملت بعض شوارع المدينة ومبانيها أسماء لشخصيات فرنسية محلية فاعلة، كان لهم تسيير بلدية سكيكدة أو عدد من المجندين المحليين في الحرب العالمية الأولى، حيث تم تخليد ذكراهم مع إغفال لشخصيات علمية وثقافية اجتماعية، ما عدا تسمية قطاع صحي بباب قسنطينة المخصص للأهالي، لطبيب جزائري يوسف كسوس، وذلك لتخليد وفاته وإسهاماته في خدمة المدينة وسكانها المسلمين.

إن تحليل الملاحظات المتعلقة حول نظام التسمية والطابع الدلالي لأسماء الأماكن العمومية بسكيكدة كالساحات، الشوارع، الأحياء، الحدائق، يسجل مدى العناية بتمجيد القادة العسكريين والجيوش والمعارك التي لها علاقة بالانتصارات الفرنسية بأوروبا والجزائر عموما وسكيكدة على الخصوص.

ودون نسيان الشخصيات الفاعلة المساهمة في تطور المدينة، وهي ذاكرة تخضع ليها المسألة التمسوية للأماكن العمومية إلى مناقشات وطلبات ورغبات وإلى ترتيبات قانونية معمول بها في نظام التسميات من قوانين، مراسيم، منشورات التي تهدف إلى فرنسة المحيط والمكان.

وحملت مجموعة من الشوارع أسماء معارك كسبقتها فرنسا في عهد الجمهورية الثانية والإمبراطورية الثانية شارع مارينقو(صالح بوقموزة حاليا)<sup>4</sup>، وشارع أركول<sup>5</sup>(المجاهد حاليا)<sup>6</sup>. شارع مالاكوف<sup>7</sup>؛ وهي معركة انتصر فيه الجيش الفرنسي في حروب القرم حيث تم الاستيلاء عليها<sup>8</sup>، وشارع ماجينتا (عيسى بولغب حاليا)<sup>9</sup>، وشارع كليبر(يوسف بوحجة حاليا) الواقع في القسم الغربي للمدينة<sup>10</sup>.

جدول التسميات الاستعمارية في المدينة<sup>11</sup>:

<sup>1</sup> المتحف الأثري Musée Archéologie

<sup>2</sup> دار الأمومة (جان جاك روسو) بالقسم الشرقي للمدينة.

<sup>3</sup> Bernard Brando, Promenade d'un Enfant Philippeville, site Internet

<sup>4</sup> مارينقو Marengo نسبة إلى معركة انتصر فيها جيش نابليون وديدوسي في حملته الإيطالية على النمساويين ببيدمونت ينظر:

Le Petit Larousse Illustré, Paris, Cedex, 2005, P.1534. Ibid, p.1544

<sup>5</sup> ترجع هذه التسمية إلى إحدى المواقع التي انتصر فيها نابليون بوناپرت 15-17 نوفمبر 1796 ينظر:

PNHA, N° 39 Octobre 1993, Origines Des Noms De Nos Villages Et Ville D'Algérie.

<sup>6</sup> تمجيد معركة انتصر فيها الجيش الفرنسي عام 1896 على الجيش الفرنسي في جنوب شرق فيرون الإيطالية، وتأسست قرية بإقليم وهران تحمل هذا الاسم عام 1848

Le Petit Larousse Illustré, Paris, Cedex, 2005, p.1172.

<sup>7</sup> مالاكوف Malakoff

<sup>8</sup> Le Petit Larousse Illustré, Paris, Cedex, 2005, P.1534. Ibid, P.1533.

<sup>9</sup> ماجينتا Magenta ترجع أصل التسمية لمعركة ماجينتا وهي إحدى معارك حملة إيطالية التي وقعت في 4 جوان 1859 انتصر فيها الجنرال كاماهون على القوات النمساوية في لومباردي بإيطالية.

Le Petit Larousse Illustré, Paris, Cedex, 2005, P.1534.

<sup>10</sup> جون بابتيست كليبر: Jean Baptiste Kléber شخصية فرنسية، من مواليد عام 1753 بستراسبورغ الفرنسية، تقلد رتبة جنرال عام 1793، في العام الموالي قاد الجيش الفرنسي في فانددي Vendée، ثم في فلوريس fleurus، وبعدها بالراين، ثم شارك في الحملة الفرنسية على مصر، واجه الأتراك في هليوبوليس، وبعد سنة واحدة من خلافته لنابليون بوناپرت في مصر، اغتيل بالقاهرة عام 1800، بعد خلافته لنابليون بوناپرت على مصر عام 1799، وهذا تمجيد لشخصية فرنسية خدمت التوسع الفرنسي في أوروبا ومصر (1798-1801)، التي تندرج من خلال الحملات الفرنسية لنشر أفكار الثورة الفرنسية. ينظر:

Le Petit Larousse Illustré 2006, Paris, P.1488, - Easy Designer Bataille de Wagram 1809.

<sup>11</sup> مخطط مدينة سكيكدة عام 1961، المصدر أرشيف بلدية سكيكدة، الجدول من انجاز الباحث.

RUE	النهج	RUE	النهج
3 <sup>eme</sup> Zouaves	مقران عبد الرحمان	Capitaine Khaled	التقيب خالد
62 <sup>eme</sup> de Ligne	بوجمعة لباردي	Saint Augustin	محمد بوبايسة
61 <sup>eme</sup> de Ligne	حسين عسلة	Antoine Bruno ex sphinx	علي عبد النور
3 <sup>eme</sup> Chasseur	محمد دخيلي	Jugurtha	يوغرطة
3 <sup>eme</sup> Bataillon D'Afrique	مصطفى فروخي	François Genoux	الإخوة سلطان
Frères Zeraffa	رابح شكاط	Pasteur	باستور
Lavoute	الإخوة حلحاز	D'Orléans	سويداني بوجمعة
L'Arcole	المجاهد	D'Aumale	حسين ضيف
D'Austerlitz	مصطفى بن بولعيد	Joinville	عثمان علي
L'Artillerie	محمد الدهيلي	Gambetta	الثورة
Grand Tivoli	محمد الصالح ميهوبي	Bugeaud	عبد الحميد العيفة
Coran	حمادي رماش	Clauzel	رابح سوامس
Jérusalem	القدس	Galbois	يوسف قديد
Ravin	عمار بوشعالة	A. Allemand	صالح بالشعور
Gourgas	شعبان رموش	Maréchal Foch	محمد خميستي
Bifant	علي ز غيبب	Bélisaire	رابح رابحي
Magenta	عيسى بولغب	Capitaine Drouin	مصطفى اجعيم
Turbigo	ساسى بولفركات	L'Agent Maltioni	بلقاسم بن غرس الله
Paris	صالح بوتلجة	L'Amiral Courbet	الطاهر جواد
Des Colons	أحمد اينال	Frères Pons	محمود برواق
Palestro	لخضر بكوش	Roméo Frères	مسعود موات
Bosquet	علي بوستة	Lambert	مولود بوراس
Solferino	سعيد بوشحمة	Jean Babtistin	رابح بوزليفة
Mellet	حمودي توبي	Gounoud	رابح مطاطلة
Fournier	عبد الله مراح	Nemours	مسعود بن غرس الله
Marengo	صالح بوقموزة	Passerieu Octave	محمود نفير
Chapelle	إبراهيم بوطوقة	Henri Teissier	عبد الله بن غرس الله
L'Arsenal	لزررق مجيد	Théophile Reguis	م.الصالح دهيلي
Résidence	زيغود يوسف	Valée	قدور بليزيدية
Faubourg De L'Espérance	ضاحية الأمل	Clemenceau	ديدوش مراد
Travers Des Citernes	ممر الخزانات	Scipion	إبراهيم رمضان
Montplaisant	الربوة الجميلة	Kleper	يوسف بوحجة
Château D'Eau	قصر الماء	France	جيش التحرير الوطني
Bel Air	الهواء الطلق	Tissot	بشير حيلاماني
Zeramna	عبد الحميد بوتلجة	Constantine	مكي اورتيلاي
La Douane	ساعد جاب الله	Des Aurès	الإخوة علوش

فشارع قسنطينة(مكي الورتيلاني حاليا):وهو أقل أهمية تجاريا مقارنة بالمحاور التجارية السابقة وهو محور تجاري شريطي وموازي لباقي الشوارع، يمتد من ساحة الشهداء إلى غاية انتهائه بشارع مصطفى بن بولعيد<sup>1</sup>، يصطف حوله المحلات التجارية وبعض الخدمات على طول 652م<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> يعرف هذا الشارع عند أهل مدينة سكيكدة طلعة الحبس لوجود في أعلاه سجن ضمن منطقة الدرك الوطني المحاذية للحي الإيطالي، ويمتد طوليا من المحكمة، وينتهي عند الدرك الوطني، يبلغ طوله 260م، وعرضه يصل إلى 9, 3م، دون الرصيف، والحركة فيه مزدوجة، ويعتبر من الطرق المهيكله لمركز المدينة.أنظر:بوحجة سهيلة وآخرون، تنظيم وإعادة هيكلة المراكز القديمة حالة مركز مدينة سكيكدة، المرجع السابق، ص.110.

ونجد أن معظم الأعلام تحمل في طياتها معان تشير أحيانا إلى طبيعة المكان من حيث وضعه الطبوغرافي أو الهيدروغرافي أو الجيولوجي، وهي تشير حيناً إلى فترة من الحقب التاريخية التي عاقبت هذا الموقع، وتشير حيناً ثالثة إلى بعض الظروف الاجتماعية وحتى بعض القضايا التي تتصل بالعقيدة<sup>2</sup>. أما شارع الأوراس: يتوفر على سكنات ذات طابع مورسيكي، وهذا بعدما لقيت رواجاً كبيراً من طرف مهندسي تلك المرحلة لا يتوفر الشارع على أي محل يعتمدون على السوق الأوروبية للتمويل أو يمر على طول الشارع، تجار الحليب يتم تسويقها لدى سكانها<sup>3</sup>.

والملاحظ من خلال النسب المستخرجة من قائمة التسميات أن الفرنسيين، أنهم بقدر ما وسعوا من مجال استخدام التسميات الفرنسية من أجل فرنسة المحيط وتمجيد وجودهم، فإنهم لم يهملوا التراث المحلي، بل وظفوا هذا الموروث التاريخي القديم، كعملية مقصودة أي تمت عن وعي محدد وتخطيط مسبق أم أنها مجرد صدفة، فإن الإجابة القاطعة تحتاج إلى المقارنة بمدن جزائرية أخرى.

إن وضع مدينة سكيكدة في إطار موقعها الجغرافي وامتدادها التاريخي، ومصير هذا المركز الساحلي خلال الحقبة الفرنسية التي أعيد بناؤها من جديد من طرف المحتلين، وبالتالي فإنهم ساهموا في إحيائها ضمن مدينة جديدة، لذلك ساعد هذا الوضع المتغير في اختيارهم لأسماء الشوارع والأماكن والمعالم التي تستجيب مع تاريخهم الممجد، فأستعمل الفرنسيون بعض التسميات المستمدة من التراث المحلي.

ويبرز من خلال محاولة إحياء العهد الروماني لتبرير وجودهم في الجزائر، على اعتبار أن مركز المدينة قديم له بقايا الوجود الروماني، لهذا التفوا حول ما تبقى من أثارها، وأطلقوا أسماء على شوارع سكيكدة، يعد إعلانهم في تكبر وعجرفة بأنهم الورثة المباشرين للإمبراطورية الرومانية، وأنهم يستعيدون في الجزائر ما كانوا قد فقدوه من أرزاق وممتلكات<sup>4</sup>.

ونجد تسميات مستمدة من التراث المحلي، نوميدي، بوني، عربي إسلامي مثل شارع المسجد والقدس التي تمثل نسبة قليلة وتسميات مأخوذة من مواقع أثرية ومدن رومانية بنسبة أقل، كذلك لرجال دين

<sup>1</sup> بوحجة سهيلة وآخرون، المرجع السابق، ص. 86

<sup>2</sup> التازي عبد الهادي، الفكر الجغرافي عند المغاربة، في الاسم الجغرافي تراث وتواصل، أعمال الندوة الوطنية الأولى حول الأعلام الجغرافية، 17-15 أبريل 1992، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ص. 61.

<sup>3</sup> Suzette Granger, Des Marchands ambulants y passaient régulièrement, vendeurs de lait frais, la rue des aurès, philippeville, algérie, skikda, site internet, 2005.

<sup>4</sup> الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، المرجع السابق، ص. 283.

مسيحيين (القديس أوغسطين)<sup>1</sup> الذي يندرج ضمن طبونومية الأسماء التراثية الدينية 354-430 فهو أحد أهم رجال الدين في إفريقيا الشمالية، ومن كبار المنظرين للمسيحية، يعد أب الكنيسة اللاتينية<sup>2</sup>. إن احتلال رجال الدين المسيحيين وأسماء رومانية قديمة لمكانة معتبرة، فهل يعود ذلك إلى الرغبة في التأكيد على هوية المحتلين ولإرادة التمييز بينها وبين أهل البلاد أم مجرد تخليد لأشخاص قدموا خدمات للمسيحية، وللوطن والأمة الفرنسية.

استعمل الفرنسيون نسبة هامة من أسماء مستمدة من مواقع أثرية ومدن وأحداث تاريخية رومانية، وهي محاولة على ما يبدو للتأكيد على الماضي الروماني للجزائر، وهو ما يتماشى مع وجهة نظر مؤرخي المدرسة الكولونيالية الذين يعتبرون أن الوجود الفرنسي في الجزائر استمرار للوجود الروماني في محاولة لإعطاء الشرعية لوجودهم وتبرير الاحتلال الفرنسي للجزائر.

هناك منحى استعماري يتمثل في إبراز الحقبة الرومانية المسيحية في شمال إفريقيا باعتبارها حسب المفهوم الفرنسي أمر طبيعي في تاريخ المنطقة، وبالمقابل حدث تجاوز مقصود للفترة الإسلامية أو تقليل من أهميتها لكونها انقطاعا غير طبيعي حدث في تاريخ البلاد وهي محاولة لتثبيت الوجود الفرنسي في المدينة والبحث عن المبررات التاريخية المدعمة للوجود الاستعماري<sup>3</sup>.

فشارع سيكيبيون<sup>4</sup> (إبراهيم رمضان حاليا) اختير له هذه التسمية التراثية لتمجيد شخصية رومانية تنتمي لعائلة قديمة أتت من سكان كونيليا<sup>5</sup>، في محاولة لإعادة إحياء الوجود اللاتيني في المدينة خدمة للذاكرة الاستعمارية، من أجل تجديد سياسة الرومنة الإفريقية في المدينة التي كانت من أهم معاقلهم في شمال إفريقيا، بينما اختيرت تسميات يوغرطا<sup>6</sup> وهيوقراط ونوميديا لتتويج مصادر التسميات القديمة لتشمل أسماء شخصيات ومناطق مختلفة.

واستعمل الفرنسيون نسبة هامة من التسميات القديمة المستمدة من مواقع أثرية وأحداث تاريخية رومانية، وهي محاولة على ما يبدو، للتأكيد على الماضي الروماني للجزائر، وهو ما يتماشى مع وجهة

<sup>1</sup> سانت أوغسطس قديس إفريقي مسيحي من مواليد تاحيبسته بسوق أهراس حاليا بالجزائر سنة 354م، تلقى تعليمه الأول بمداوروش وقرطاجة، ثم ارتحل إلى إيطاليا، وفي روما احتك بأفكار شيشرون ومؤلفاته، ودرس الأفلاطونية الجديدة، وعاد إلى الجزائر عام 388م واعتنق المسيحية فكرا وسلوكا، وعين أسقف كنيسة هيبون ببنونة (عنابة) سنة 391م ألف العديد من الكتب: اعترافاتي، مدينة الإله، الحياة السعيدة، الرد على غوداسيوس، القضاء والقدر وإشكالية التسيير والتخيير، المسؤولية، المدينة الإلهية والبشرية، العناية الإلهية، توفي في 29 أوت 430م، ينظر: فرنسوا شاتليه وآخرون معجم المؤلفات السياسية، ترجمة صاصيلا محمد عرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1997، ص.116.

<sup>2</sup> Le petit Larousse illustré, 2006, paris, p.1184.

<sup>3</sup> شنتي محمد بشير، تاريخ الجزائر القديم من خلال المصادر الفرنسية، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، 1985، العدد 20، الجزائر، ص.80.

<sup>4</sup> سيبليون بوليبوس كورنيليوس 235-183 ق.م المعروف بسبليون الإفريقي، قائد روماني تغلب على حنبعل القرطاجي في معركة زاما، الذي عمل على منع الوحدة النوميدية وجعل البحر المتوسط بحيرة روماني. الذي قاد الجيش الروماني في اسبانيا، الذي قضى على قرطاجة، أطلق عليه الإفريقي، ينظر: شنتي محمد بشير، سياسة الرومنة في بلاد المغرب، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ص.26.

<sup>5</sup> Scipion Emilien Africain,

<sup>6</sup> يوغرطة شخصية عسكرية نوميدية حفيد ماسينيسا أول ملوك نوميديا، حكم يوغرطة ما بين 118-105 ق.م، قاوم محاولات الرومان للسيطرة على مملكته الواقعة شرق قرطاجة لغاية نهر ملوية غربا، طبق مجموعة اصلاحات.

نظر مؤرخي المدرسة الكولونiale الذين يعتبرون أن الوجود الفرنسي في الجزائر، استمرار للوجود الروماني، في محاولة لإعطاء الشرعية لوجودهم، وتبرير الاحتلال الفرنسي للجزائر.

ونجد بأن السلطة المحلية لسكيكدة تقوم بموافقة والي عمالة قسنطينة، باختيار أسماء للشوارع الجديدة أو تحدث تغييرات في التسميات من فترة لأخرى في قائمة الأماكن العامة وخاصة المتعلقة بشوارع المدينة، فعلى سبيل المثال قام المجلس البلدي باختيار تسمية النقيب في الجيش دروين<sup>1</sup> اعتمادا على مداولة الموقعة في 1 أبريل 1899، تقديرا لهذا الضابط الذي تم وافق وزير الداخلية والديانات على تسميته في 30 جويلية 1899 ورأي حاكم العام للجزائر واستشارة والي عمالة قسنطينة المعني بالأمر.

وتغيرت عدة أسماء منها: تسمية شارع المدارس<sup>2</sup> بتسمية الإخوة زرافة<sup>3</sup>، وهم من المجندين الأوروبيين المشاركين في جبهات القتال باليونان خلال الحرب العالمية الأولى، جاءت هذه التسمية تمجيدا لخدماتهم المقدمة للجيش الفرنسي. ويقع هذا الشارع بالقرب من المسمكة القديمة الواقعة بين شرعي فالي<sup>4</sup> وأنطوان برينو إيمي<sup>5</sup>، ويطلق عليه أيضا هذا الشارع دوفيفي<sup>6</sup>.

وأطلق على الجزء من شارع القناسة الثلاثة<sup>7</sup> الواقع بين شرعي أنطوان برينو وشارع الفيلق الثالث<sup>8</sup> غرب سوق الخضر باسم الإخوة روميو<sup>9</sup>، خلال مداولة المجلس البلدي في 22 أكتوبر 1933 تخليدا لذكرى مقتل الإخوة روميو خلال الحرب العالمية الأولى اللذان اختير لهما هذا الشارع<sup>10</sup>، بينما تحول شارع قرطاج<sup>11</sup> إلى تسمية جديدة جيش المشرق<sup>12</sup>، ذلك حسب مداولة المجلس البلدي المؤرخة في 3 أكتوبر 1934، الذين اعتمدوا في خيارهم على المادة الأولى من مرسوم 3 جانفي 1924.

تعد شوارع فالي وقالبوا ومعها أنطوان برينو شرايين تجارية هامة في مركز المدينة حاشدة بالناس بفعل توافد السكان من ضواحي سكيكدة<sup>13</sup>.

تتميز شبكة الطرق في المدينة بتخطيط فريد في كثير من أجزائها وتتحكم فيها عوامل طبوغرافية في بعض الأحيان، وباستثناء المحاور الرئيسية لشارع ديوش مراد -كليمنصو- وفروعه، فإن باقي الطرق لا تساعد كثيرا على مرونة الحركة لضيقها وتموجها وانحدارها الشديد، وتتوزع الطرق<sup>14</sup> بسكيكدة على أنحاء المدينة نحو البحر وسطورة واتجاه القل والورشات والممرات في الجنوب، والمقبرة في الشرق،

<sup>1</sup> Rue Capitaine Drouin pouriviere

<sup>2</sup> Rue des écoles

<sup>3</sup> Frères Zerraffa ; Fernando Angelo mort le 9/10/1914 à écurie, et Emile joseph mort le 23/09/1916 à lescovec.

<sup>4</sup> Rue valée, ex Rue sétif.

<sup>5</sup> Rue Antoine Bruno Aimé ex sphinx, Ali abednour actuellement.

<sup>6</sup> Rue Duvivier

<sup>7</sup> Rue 3<sup>e</sup> chasseurs

<sup>8</sup> Rue 3e Bataillon

<sup>9</sup> Rue Roméo

<sup>10</sup> Frères Roméo; Jean joseph née le 27/06/1884, et Michel née le 11/05/1889 à Philippeville -skikda.

<sup>11</sup> Rue Carthage

<sup>12</sup> Rue L'Armée d'orient

<sup>13</sup> حربي محمد، حياة تحد وصمود، المصدر السابق، ص.90.

<sup>14</sup> أرشيف بلدية سكيكدة، أسماء الطرق.

وترتبط الطرق الريفية المدينة بظهيرها الريفي، ويبلغ طول الطرق في المدينة قرابة 30 كلم، يمكن تقسيمها إلى قسمين<sup>1</sup>:

- شوارع مركزية مستقيمة ذات انحدار متوسط تظهر في الجزء الشمالي من المدينة موازية للشارع الرئيسي ديدوش مراد وتنتهي غالبا بشوارع ضيقة ملتوية أو بسلاالم.
- شوارع جانبية متعرجة بسبب الانحدار الشديد تتميز بالضيق 5-7م، ولذلك لا تسح بالمرور إلا في اتجاه واحد، تظهر هذه الشوارع في الأطراف في كل من جبل موارر وجبل بويغلا وفي أحياء بني مالك والأمل<sup>2</sup>. جدول الطرق بسكيكدة خلال الحقبة الاستعمارية:

طريق	Route	طريق	Route
علي حمودي	Supérieur Stora	موسى قرياف	Corniche
صالح عمار الواهم	Des Ateliers	حسين لوزاط	Du Cimetière
الديب لساق	De Collo Corniche		

كما ارتبط مجالها الحضري بأرصفة موزعة على الأحياء والشوارع المساكن والنشاطات المحيط بها، فكل طريق في مجال حضري مرتبط برصيفين، أحدها على اليمين وآخر على اليسار، ويعد الرصيف أساسيا للمشاة، وغالبا ما تحيط به المساكن ومختلف التجهيزات والنشاطات، وفي بعض الأحيان يحيط بأحد الرصيفين حائط أو سور مرتفع، ويؤمن الرصيف تنقلات الراجلين بعيدا عن أخطار الآليات في إطار منظم ومحدود، فهو يعطي للمجال الحضري حيوية وحركية دائمتين، ويبرز قدرتها على استيعاب الراجلين.

يلعب الرصيف دورا هاما ضمن المجال الحضري في مركزها القديم، يسهل المرور داخله، وتتميز أرصفة شوارع المدينة بالضيق عموما وتندعم في بعض الطرق الثانوية والثالثية، إلا أنها تتسع نوعا ما في الطرق الأولية وهي متوسطة، وتعتبر معظم أرصفة الطرق الثانوية ضيقة رغم توفر النشاطات والوظائف وتعددها في هذا الجزء من مركز المدينة حيث يتراوح عرض أرصفتها بين 1-3,3م، بينما معظم الطرق الثالثية تندعم بها الأرصفة، وإن وجدت فهي ضيقة جدا تصل إلى 0,80 م وغالبا يكون رصيف واحد إما على الجهة اليمنى أو اليسرى للطريق. وتتمركز هذه الأرصفة ما بين البنايات من الجهتين ووسطها قارعة الطريق كذلك حول الساحات العمومية.

ويتداخل الإطار المبني: المباني بمركز سكيكدة القديم ما بين مباني عمومية (تجهيزات) ومباني موجهة للسكن، تمتاز بالتكاتف والتلاحم خاصة في الجهة الغربية لشارع ديدوش مراد أما بالنسبة للجهتين

<sup>1</sup> وتتميز شبكة الطرق الأولية باتساع أرصفة شوارعها كشارع ديدوش مراد (كليمصو)، حيث يتراوح عرض رصيفه ما بين 3,8-4 م ومجموعه 7,8 م للرصيفين المحيطين بالشارع. و أما شارع زيغود يوسف فيتراوح عرض رصيفه ما بين 2,3-3م ومجموعه 5,3 م، بينما يقدر عرض رصيف شارع مصطفى بن بولعيد (أوستارليتز) ما بين 1,9-2م ومجموعه 3,9م، أما الطرق الثانوية فيعد شارع يوغرطة برصيف عرضه يتراوح ما بين 2,3-3م ومجموعه 5,3 م يليه شارع محمد بوباسية (سانت أغستين) ومحمد بوزيرة بنفس القياس ويقدر عرض رصيفه ما بين 2,3-2م ومجموعهما يمثل 4,3 لكليهما، أما الشوارع المتبقية مثل: جيش التحرير الوطني (فرنسا)، الثورة (قاميبيط) رابح مطاطة، بوجمعة لباردي (خط 62)، عبد المجيد لزرقي (الارسنال)، تتراوح مجموع أرصفتها ما بين 2,3-2,8م، بينما بقية الشوارع فنقل أرصفتها عن سابقتها، ويتراوح مجموعها ما بين 1,3-2 م.

<sup>2</sup> حمادة صالح، المرجع السابق، ص. 149.

الشمالية والشرقية، فهناك تقاطع للمجال المبني وهذا راجع لوجود الساحات العمومية. إن دراسة واقع السكن بكل جوانبه يتطلب أساسيات وهي: علو المباني وحالاتها نمطها وملكيته ويتم حساب معامل إشغال الأرض والكثافة السكانية وفق دراسة على مستويين تحليلي وتركيبى<sup>1</sup>.

وانطلقت أشغال إنجاز طريق واجهة الزرامنة الرابط بين طريقين رئيسيين وهما 3 و44، ويجنب هذا الطريق عبور المركبات بكل أنواعها لصاحبة الأمل، تعبر غير هذا الطريق الجديد للوصول إلى المنطقة الصناعية، كذلك فإن طريق واجهة الزرامنة التي وضعتها البلدية في صلب مشاريعها يمثل بالنسبة لسكان الأحياء الجديدة نزهة رائعة<sup>2</sup>.

فطريق بول كيتولي<sup>3</sup> (واجهة البحر)<sup>4</sup>: وهو مشروع حيوي بالنسبة لمستقبل المدينة الاقتصادي والسياحي يربط بين الميناء والمنطقة الصناعية مرورا على محطة السكك الحديدية، بدأ التفكير في انجازه بول كيتولي، لذلك أطلق عليه تسميته، حيث قام المهندس مونتانان بدراسة جدوى هذا المشروع بما يستجيب مع رغبات البلدية، وتوسع المدينة العمراني والاقتصادي، ويساهم في فك الخناق على مداخلها نحو الميناء، وبلغت قيمة إنجازه حوالي 650 مليون فرنك، مول من طرف مصالح التعمير بنسبة 75 %، والبلدية تكفلت بنسبة 10 %، أما النسبة المتبقية 15% مولته الحكومة العامة، ولقي هذا المشروع الضخم اهتمام من طرف الغرفة التجارية لسكيكدة<sup>5</sup> لأنه يساهم في تسهيل عملية النقل الحضري وتشكل في الطريق الوطني رقم 3 مسلك بمستويين<sup>6</sup>.

#### الأحياء بمدينة سكيكدة:

الحي	Cité	الحي	Cité
الإخوة عياشي	CIA	الإخوة ساكر	Jeanne Verceur
مجيد عرابي	Des Oliviers	عمار شطايبى	Mamelon Négrier
الإخوة سعدي	Des Allées de Barrot	حسين رويبح	Buono
بكير طبال	L'Espérance	الإخوة مرزوق	Salord <sup>7</sup>
العربي بن مهدي	Jean D'Arc	الإخوة عميرة	Mazine
محمد الناموس	Indigène	الإخوة شبل	Lotissement Cuttoli
محمد بوقرة	Des Lories Rose	20 أوت 1955	Barrot
محمد بوشعة	Yacono	سطورة	Stora
صالح بوالكروة	Jevilo	برج أحمام	Caserne 713

<sup>1</sup> بوحجة سهيلة وآخرون، تنظيم وإعادة هيكلة المراكز القديمة حالة مركز مدينة سكيكدة، المرجع نفسه، ص.139.

<sup>2</sup> A.M.S, Del N :58, Séance de Conseil Municipal, 08/04/1958.

<sup>3</sup> بول كيتولي Paul Cuttoli من مواليد مدينة الجزائر وترعرع بقسنطينة، حيث عاش الأحداث السياسية والصحية الجهوية، يعتبر من أبرز الشخصيات السياسية الفرنسية التي تركت تأثير محلي بارز، عرف بمشاريعه العمرانية الواسعة في سكيكدة، حيث تمكن من وضع تصاميم عمرانية جديدة على النمط العمراني السائد في المدينة، معتمدا على عبقرية المهندس شارل مونتانان في إنجاز مجموعة من المشاريع الخدمانية.

<sup>4</sup> طريق واجهة البحر Boulevard Front De Mer.

<sup>5</sup> A.M.S, Del N :90, séance de conseil municipal, 17/06/1958, création des rampes d'accès à la gare et au port.

<sup>6</sup> A.M.S, Del N :82, séance de conseil municipal, 19/05/1960.

<sup>7</sup> Cité salord quartier de l'espérance.

الأنهج بالمدينة:

Avenue	نهج	Avenue	نهج
Blancher	إبراهيم معيزة	Pinelli	رزقي رحال

شوارع الواجهة:

Boulevard	الشارع الواجهة	Boulevard	الشارع الواجهة
Zeramna	الزرامنة	Paul Cuttoli	إبراهيم قرافة

شارع ممرات بالو<sup>1</sup> وهي تسمية تحمل طابع محلي التي تدخل ضمن طبونوميا الأسماء الاقتصادية باعتبار أن هذا الاسم يرجع لمؤسسة اقتصادية للأشغال العامة ساهمت في تجسيد العديد من المشاريع العمرانية والرياضية (المركب الرياضي البلدي لسكيكدة)، في الحقيقة تضم عائلة بالو عدة شخصيات سياسية فرنسية مثل نائب سكيكدة في البرلمان الفرنسي 1847.

خضعت المنظومة الاسمية في المرحلة الاستعمارية لتأثيرات المرجعية التاريخية المرتبطة بتاريخ الوجود الفرنسي وبقائمة الشخصيات السياسية وأسماء القادة العسكريين يرجع ذلك إلى اتساع دائرة التسميات الأجنبية وتمسكة بمظاهر التواجد الأوروبي ومفتخرة بها<sup>2</sup>.

فخضعت المنظومة الاسمية في هذه المرحلة من تاريخ سكيكدة لتأثيرات المرجعية الفرنسية من حيث اختيار الأسماء وتطورها وانتشارها وتنوعها وتغيرها أو دوامها، نتيجة لارتباطها عضويا بالنظام الاستعماري والمجتمع الذي شكله. وهي ترجمة صادقة لمنتوج وفعل تسموي مؤقت أو دائم لها أبعاد وقيم ودلالات تكتسب أو تفقد خاضعة للإطار البشري المستمر، فهذه المرجعية الفرنسية تعترف بفضل الشخصيات التي تم اختيارها على الرغم من الخصوصية المحلية المعتمدة من أصحاب القرار على المستوى المحلي، بحيث كان اسم الشخص يمثل بحق الاختيار المتوافق عليه.

ويعد الاسم المختار جزءا من الهوية الأوروبية للمدينة التي لم تكن اختياراتها اعتباطية بل أنها تستند على قواعد ودلالات معينة، ويمكن حصر هويتها باختيارات أفرادها التسمية أو ممثلهم الفاعلين<sup>3</sup>. إن تتبع تسميات شوارع المدينة وأحيائها والأماكن العمومية التي كانت سائدة خلال الحقبة الكولونيالية، حيث الملاحظ على طابع هذه الأسماء طغيان الطابع الفرنسي، وتفسر ببعدها المحلي والفرنسي، بحيث أخذت أسماء لاتينية في الغالب.

فأطلق على الشوارع الرئيسية أسماء متغيرة تحمل أسماء شخصيات سياسية وعسكرية فرنسية أو رموزها، ذلك حسب طبيعة نظام الحكم الفرنسي السائد في كل مرحلة من ملكي وجمهوري

<sup>1</sup> Ballot

<sup>2</sup> أسماء الأعلام في الجزائر، المرجع السابق، ص. 19.

<sup>3</sup> نبية دادو حضرية، المرجعية الدلالية للأسماء بين منطقتي بني عشير تلمسان وتلبات، الأسماء والتسمية، أسماء الأماكن، القبائل والأشخاص في الجزائر، مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، منشورات CRASC، 2005، ص 41، 42، 43.



وإمبراطوري وعسكري من جهة، ومن جهة أخرى هناك تسميات لم تتعرض إلى التغيير بتاتا خلال فترة الاحتلال الفرنسي، وهذا رغم التغير المستمر لمسؤولي الإدارة المحلية، بحيث نجد بأن هذه الأسماء لم تتأثر بهذه التغييرات المستمرة الحاصلة للأماكن.

حملت شوارع المدينة أسماء فرنسية: سيلفان فالي، ليون قامبيطا، جون بابتيست كليبر، نابليون، كليمنصو، جاءت هذه التسميات بمبادرة من طرف مسؤولي بلدية سكيكدة.

نجد أن نسبة الشخصيات الوطنية الفرنسية التسميات لفترة الاستعمارية من عسكريين وجنرالات التي تم إطلاق أسمائها للأماكن والمباني العمومية، الساحات والشوارع والمعالم التذكارية والمآثر التاريخية.

إن رصد قائمة التسميات المتداولة في المدينة خلال الحقبة الكولونيالية الموزعة على المراكز العمومية تبرز عن عينات من الأسماء التي تم ترسيمها محليا في مواقع مختلفة من المدينة، وفي أشكال معلمية محددة المكان والرمز والاسم الجغرافي فالبعض بقي ثابتا، بينما تعرضت بعض التسميات للتغيير نتيجة التحولات المجتمعية والسياسية الحاصلة من حين لآخر<sup>1</sup>.

وتدل بعض التسميات على الشيوع والتعميم على أوسع نطاق، وفي حالات أخرى تدل التسميات على الانفراد والخصوصية<sup>2</sup>.

ونجد تسميات مستمدة من التراث المحلي القديس أوغسطين أو لشخصيات مثل يوغرطة، أو لشخصيات رومانية عسكرية سيكيببون الإفريقي، وأسماء مستمدة من التراث الإسلامي مثل شارع المسجد، والقدس وهي نسب قليلة، ويغلب عليها الأشخاص الذين قدموا خدمات للمسيحية، وفرنسا.

ارتبطت وظيفة المدينة الاقتصادية والسياحية بالميناء وتوسع مجالها العمراني والاقتصادي، مما أسهم في فك الخناق على مداخلها نحو الميناء وصولا إلى المنطقة الصناعية التي أنشأت نهاية الحقبة الاستعمارية، وفي المنوال لعبت الغرفة التجارية دورا مهما في هذا التطور، عن طريق رؤسائها منهم: بينيلي سافور الذي تولى رئاستها في فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية<sup>3</sup>.

ونسجل باستمرارية معظم قائمة التسميات التي أطلقت على الشوارع والأحياء طوال الفترة الاستعمارية رغم التغييرات المستمرة في الإدارة المحلية والتطورات السياسية المتعاقبة على مستعمرة الجزائر خاصة الأسماء التي حملت أسماء العائلة الملكية المساهمة في تأسيس المدينة، وبقيت حتى بعد سقوط هذه الملكية.

وحدث تحول جزئي في قائمة التسميات للشوارع والأحياء يحدث هذا التغيير بعد انطفاء مبررات وجود بعض الأسماء التي لا تلقى القبول، حيث تفرض معطيات الساحة المحلية، بروز إرادة للتغيير

<sup>1</sup> العام والخاص في التسمية الواقعية في الاسم الجغرافي، تراث وتواصل، المرجع السابق، ص. 23.

<sup>2</sup> العام والخاص في التسمية الواقعية في الاسم الجغرافي، المرجع السابق، ص. 55.

<sup>3</sup> يحمل اسم سافور بينيلي رئيس الغرفة التجارية لمدينة سكيكدة خلال فترة ما بين الحربين وهو النهج المؤدي نحو ميناء سكيكدة.

الطفيف على مستوى بعض الشوارع، نظرا للحاجة للتخلي عن أسماء قديمة وتبديلها بوجوه جديدة، ويتم نقل التسمية التي تم اختيارها بإجماع المجلس البلدي من الأسماء المرغوبة في تمجيد اسمها يأخذ بعين الاعتبار إسهاماتها المختلفة في خدمة العلم الفرنسي خلال فترات حروب فرنسا الأوروبية 1859-1918. فنجد بأن التوازن الحاصل بين قائمة التسميات العسكرية مقارنة بمثلاتها المدنية، ونفس التوازن نجده متمركزا بين مجموعة التسميات المحلية والوطنية من بينها قيمة الأسماء المحلية التي وجدت في قائمة التسميات، وهي شخصيات ساهمت في تشييد المدينة وتطورها في شتى المجالات تم تخليدهم من فرض ذاكرة استعمارية خالدة عبر الأجيال والحقب التي يغلب عليها الذاكرة العسكرية المشتملة على الأسماء العسكرية التي حملتها تضم أسماء القادة والمعارك والقوات الفرنسية التي تمجد انتصاراتها ضمن إطار فرنسة المجال والمحيط.

ويبرز من خلال هذه التسميات المتداولة ذات الدلالات الفرنسية التي جاءت ضمن سياسة الفرنسية الكاملة للمحيط الاجتماعي الجزائري، حيث تحولت أسماء الشوارع والمساحات العامة والمعالم الأثرية، وأسماء المدن والقرى من أسمائها القديمة إلى أسماء دخيلة، ومن بين الأسماء المنتشرة بشوارع المدينة ترجع إلى أسرة الملك الفرنسي لويس فيليب وزوجته ماري إميل، وأبنائه دومال، جوان فيل.

وأسماء شوارع ترجع أصلها لمعارك ومواقع في أوروبا: أوستارليز، مارينفو، مالاكوف، ماجينتا، أركول، التي تنتمي للطبوغرافية العسكرية، وتعتبر معارك مصيرية لفرنسا أو سولفرينو<sup>1</sup> معركة مهمة لاييطاليا وممهدة لتحقيق الوحدة الإيطالية، وهي سبب في تأسيس الصليب الأحمر<sup>2</sup>، كذلك شارع أركول<sup>3</sup> (المجاهد حاليا):<sup>4</sup>نسبة لمعركة جوب شرق فيرون الإيطالية انتصر فيها الجيش الفرنسي بقيادة نابليون بونابرت على النمساويين في 15-17 نوفمبر 1796. وهي من الشوارع الرئيسية المركزية للمدينة الذي يفصل مجموعة من الشوارع الفرعية، استمرارية الواجهات، بعض الخدمات الأساسية مثل الفنادق، المطاعم، المقاهي، البنوك، الحانات، دور السينما، قصر العدالة. وتنتمي هذه الشوارع لانتصارات الإمبراطورية الثانية<sup>5</sup>.

ويعرف شارع أوستارليز عند أهل المدينة طلعة الحبس لوجود في أعلاه سجن ضمن منطقة الدرك المحاذية للحى الإيطالي، ويمتد طويلا من المحكمة، وينتهي عند الدرك الوطني، يبلغ طوله 260م،

<sup>1</sup> شارع سولفرينو Solferino حيث ترجع هذه التسمية لمعركة 24 جوان 1859 للحملة الإيطالية التي تفوقت فيها القوات المشتركة الفرنسية الإيطالية (بيدمونت) بقيادة نابليون الثالث ضد النمساويين،

<sup>2</sup> Le petit Larousse illustré, 2006, paris, p..1735

<sup>3</sup> ترجع هذه التسمية إلى إحدى المواقع الإيطالية

PNHA, N° 39 Octobre 1993, Origines Des Noms De Nos Villages Et Ville D'Algérie.  
Le Petit Larousse Illustré, Paris, Cedex, 2005, p.1172.

<sup>4</sup> تأسست قرية باقليم وهران تحمل هذا الاسم عام 1848.

Le Petit Larousse Illustré, Paris, Cedex, 2005, p.1172.

<sup>5</sup> Solal Edouard, ibid, p.170-171.

وعرضه 9,3م دون الرصيف، والحركة فيه مزدوجة، ويعتبر من الطرق المهيكلة لمركز المدينة. وكانت أسماء المواقع أو ما يعرف بالطبونيميا المخددة لمعارك الجيش الفرنسي بأوروبا وخاصة إيطاليا<sup>1</sup>، محل اهتمام السلطات المحلية للمدينة التي أطلقت تسميات متعددة تحمل أسماء دخيلة عن البيئة الجزائرية، في المقابل حذفت الأسماء الشائعة في المدن والقرى والمناطق.

وأعيد تسميتها وفق التصور الجديد للإدارة الفرنسية، حيث عممت هذه الظاهرة التسموية لتشمل أسماء الشوارع والطرق والأحياء والممرات والساحات وغيرها من الأماكن العامة.

حدث تغيير تعسفي للمجال المحلي للمدينة خلال فترة الاحتلال الفرنسي بإلباسه التسميات الأوروبية الدخيلة التي فرضت في التداول الرسمي ورسخت رموزها على أسماء معالمها، ورسخ بعضها في التداول اليومي للمواطنين حالياً، أختار أصحاب القرار الرسمي أسماء متناسبة مع المجال العمراني للمدينة ميل بطبعه إلى إثبات ذاته في المكان الذي ينتمي إليه.

ولا يمكن للتسمية أن تأخذ معناها الحقيقي وأهميتها إلا إذا كانت نابعة من حاجة ماسة إليها، ومن ضروراتها التعريفية والرمزية الذاتية التي تمثل وظيفتها الأولى<sup>2</sup>.

لقد نتج عن التحول الجذري في النسيج الحضري للمدينة الذي ظهرت فيه أشكال عديدة تختلف من مكان لآخر، حيث طغت الازدواجية على هذه الأشكال، فشيدت أحياء حديثة للأوروبيين التي خططت مراكزهم وشيدت أحياء بشكل مماثل لأحياء المدن الأوروبية وهندستها المعمارية الحديثة، ومع تعاقب الحقب برز شكلين يميزان معالم المدينة وهما الشكل الأوروبي وآخر مغربي أندلسي أو الموريسكي الجديد، كما واكب هذا التحول في تهيئة مجالها العمراني إطلاق أسماء للأماكن بحيث أن هذه التسميات لا تشاع شفويا بين السكان فقط، ولكن تكتب على لوحات معلقة في مكان يظهر للمارين<sup>3</sup>، لترسيخه لدى الأجيال المتعاقبة كنوع من هيمنة تسمية على وسط حضري.

وظلت خريطة النسيج العمراني توضح توزيع المجال الحضري ما بين أحياء المدينة الأوروبية وأحياء الأهالي التي يظهر فيها اختلاف في التصميم الهندسي والتهيئة العمرانية واختيار أسماءها بين المجموعتين. ففي الأحياء الأوروبية تنتزع أهم الشوارع والساحات الحاملة لأسماء المارشالات والقادة العسكريين الذين ساهموا في توسيع رقعة الاستعمار وتثبيت الوجود الفرنسي في الجزائر، أما في الشوارع الثانوية والأزقة فكثيرا ما تحمل أسماء ضباط من الجيش الفرنسي الذين سقطوا قتلى في حروب خارجية<sup>4</sup>. فعملية تغيير اسم شارع من طرف السلطات المحلية باسم آخر ليست بعملية سهلة، لان هذا الاسم يعد رمز يتطلب المحافظة عليه وتخليده عبر الزمن، وأي تعديل أو تبديل للاسم يجب أن

<sup>1</sup> تمجيد انتصارات نابليون بونابرت في أوروبا على الجيش النمساوي الروسي، مثل الحي الإيطالي أو أسماء شوارع إيطالية الأصل.

<sup>2</sup> العام والخاص في التسمية الواقعية في الاسم الجغرافي، المرجع السابق، ص. 17.

<sup>3</sup> حمادي قاسم، الأعلام الجغرافية في الوسط الحضري المغربي بين الأصالة والمعاصرة، المرجع السابق، ص. 132.

<sup>4</sup> حمادي قاسم، الأعلام الجغرافية في الوسط الحضري المغربي، المرجع السابق، ص. 133.

توافق عليه أطراف فاعلة بمبررات مقبولة باعتبار أن التعديل التسموي يتم تدويله في سجلات تتطلب أن تكون متوافقة مع المراسيم والقوانين المحددة لشروط الاختيار أو التغيير.

وأمام التوسع المجالي والعمراني للمدينة تشكلت أحياء جديدة الأمر الذي سمح بظهور تسميات جديدة تفاعلية، مثل الربوة الجميلة، الأمل، الزيتون، الهواء الطلق<sup>1</sup>، شارع نوميديا<sup>2</sup>، شارع تيفولي<sup>3</sup>، حي جان دارك<sup>4</sup>، شارع سولفرينو، شارع الماريشال فوش<sup>5</sup> الذي عمم تسميته على شوارع مدن جزائرية وفرنسية مثل باريس، كما بنيت مدينة فوش فيل<sup>6</sup> بجنوب إفريقيا تخليدا له.

إن اختيار أسماء الأماكن العمومية بسكيكدة في المرحلة الاستعمارية لا يمكن أن يأتي اعتباطيا بل أنه يعكس المجال وخصائصه المتعددة الذي نشأت فيه المدينة.

وركزت السلطة البلدية على وضع تسميات ذات صبغة كولونيالية وزعت على مختلف الأماكن(الساحات، الشوارع، الأحياء، الواجهات، الطرق، الممرات، النصب المخددة) والموافقة على تمويل المشاريع التذكارية ومقابل هذا الاهتمام بالمآثر الممجدة للوجود الروماني المسيحي واللاتيني الفرنسي في الجزائر، وضعت تسميات قليلة العدد لأماكن محلية (الزمانة وقلعة) أو جزائرية (قسنطينة، سطيف، الأوراس)، لكن المقررون للأسماء عملوا على تخييب تسميات القبائل المحلية، وهي سياسة عملت السلطة الاستعمارية على محو هذه الرمزية في نظر المجموعة القبلية التي تمثل المنطقة<sup>7</sup>.

ويعد الاسم من المؤشرات الرمزية الدالة على الثقافة الاجتماعية للطرف المهيمن الذي يتحدد من خلال هوية الأفراد والسياسات المتبعة، فالأسماء تخضع بطريقة أو بأخرى للحقبة الزمنية.

فكانت المرحلة الاستعمارية بمثابة تجربة ميدانية تبيّن مدى التأثير العمراني والمعماري والتسموي، حيث سايرت الإستراتيجية الاستعمارية في مجال العمارة والبناء سياسة الفرنسية المجالية والتسموية بهدف طمس المعالم الحضارية الجزائرية وفرض التصور الكولونيالي للأسماء دلالات مختلفة ومتعددة وهذا ما تكشف العينات التالية: التسميات ذات الدلالة الدينية والتراثية، التسميات ذات الدلالة الاقتصادية شركات ومقاولات محلية بالو، سيات، التسميات ذات الدلالة العسكرية ذات النصب الأكبر من القائمة المتداولة في مخططات المدينة.

<sup>1</sup> حمادي قاسم، المرجع السابق، ص.136.

<sup>2</sup> بلاد قديمة في شمال إفريقيا بين قرطاج والمغرب، الجزائر حاليا، كانت مملكة مزدهرة.

<sup>3</sup> تيفولي Tivoli مدينة إيطالية شرقي روما، مصيف أثرياء الرومان منذ القدم، حدائق، نوافير رائعة. ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط42، 2007، ص. 188.

<sup>4</sup> جان دارك Jean d'arc بطلة فرنسية قديسة (1412-1431)، قاومت الإنكليز في حصار أورليان 1429، قبض عليها وأحرقت في روان، ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط42، 2007، ص. 196.

<sup>5</sup> الماريشال فوش فرديناند Avenue Maréchal Foch، شخصية فرنسية عسكرية (2 أكتوبر 1852 - 20 مارس 1929)، أحد القادة المنظرين في الجيش الفرنسي، شارك في الحرب العالمية الأولى في معارك (اللورين، المارن)، عين في قيادة الجبهة الغربية 26 مارس 1918. ينظر:

Article Ferdinand Foch, Wikipedia, Org

<sup>6</sup> المترجم Fochville

<sup>7</sup> Atoui Brahim, L'Odonymie D'Alger passé Et présent, Nomination Et dénomination Des noms de lieux de tribus Et De Personnes En Algerie, CNRASC, ENAL, Alger, 2005, P.P.30-33.

إن جرد أسماء الشخصيات التي وقع الاختيار عليها تعرفنا على رمزيتها ودلالاتها التسموية ذات أبعاد عسكرية كأسماء القادة والجيوش والمعارك الفرنسية أو المجال الجغرافي الفرنسي الجزائري المحلي أو السياسي تمجيد شخصيات فرنسية (كلينسو) وجزائرية (الأمير خالد) ومحلية (بعض رؤساء بلدية سكيكدة) أو دينية تراثية (القرآن، المسجد، يوغرطا، نوميديا، القديس أوغسطين، سيكيبيون، سفينكس<sup>1</sup>، محمد، القدس..).

ونسجل حضور تسميات أخرى اجتماعية، وأهمية الدراسات الطبونومية التي تطرح العديد من التساؤلات حول الهوية التسموية ومصدرها الرسمي، وهل يمكن اعتبارها عقدة اتجاه الكولونيالية الفرنسية وإبعادها اللسانية الفرنسية والدينية المسيحية والثقافية اللاتينية وفق تصور إقصائي للأهلي. وظلت الذاكرة الاستعمارية المشكلة للعناصر الفرنسية هي المتفوقة عدديا بغرض الإبقاء على الهيمنة الاستعمارية، ونسجل غياب تسميات ريني ريكوس، دومينيك سيانفراني، إميل مورينو، بول كيتولي، بول بانكي كريفو، روجي روث، جورج لوسور، ليون أميران، إميل ليدرمان وهي شخصيات سياسية فرنسية لها تجربة سياسية هامة في المدينة، تولت عدة مسؤوليات فيها.

ومع توسيع الاستعمار الاستيطاني برزت الحاجة إلى توظيف وسائل الإعلام لتبليغ صوت الأوربيين وتوضيح قضاياهم، فأسسوا الجرائد التي استمرت في الصدور لغاية 1934. وتهتم هذه الجريدة بالأخبار المحلية وتسجل في صفحاتها عناوين المؤسسات والأشخاص الحاملة لقائمة التسميات للإشهار وتوزع هذه الجرائد بمنطقة سكيكدة وعمالة قسنطينة والجزائر، وأغلبها تتمركز في الشارع الرئيسي .

فقد حول الاستعمار تسمية الأماكن من ألفاظها العربية إلى ألفاظ دخيلة، يتضح في أسماء زنقة شارع، حومة حي، سابات ممرات أو أقواس، درب باب، رحبة ساحة، عقبة صعود، وهذا بعدما عملت الإدارة الكولونيالية على وضع تغييرات جذرية في طبيعة التسميات لعدة مبررات: التحكم والسيطرة للمجال العمومي وتسييره، الصراعات السياسية في الميتروبول والجزائر، ربط المجال الجزائري اصطلاحيا وتسمويا نحو مظهر لغوي جديد لايني فرنسي ومسيحي، من أجل دمج أسماء الجزائر بفرنسا، لهذا تزايد الاعتماد بشكل مكثف على الأسماء الأجنبية في الذاكرة، حيث أصبح يرجع اسم المكان لوضعه، وبالتالي فإن الأسماء ظلت تعبر عن مدلول السياسة الكولونيالية الراغبة في السيطرة على الأرض والسكان والاقتصاد والتسميات<sup>2</sup>.

فكانت المرحلة الاستعمارية بمثابة تجربة ميدانية تبين مدى التأثير العمراني والمعماري والتسموي، حيث سايرت الإستراتيجية الاستعمارية في مجال العمارة والبناء سياسة الفرنسة المجالية والتسموية بهدف طمس المعالم الحضارية الجزائرية وفرض التصور الكولونيالي للأسماء دلالات مختلفة ومتعددة

<sup>1</sup> سفينكس Sphinx تسمية حملتها أول سفينة فرنسية قامت بتمويل مركز سكيكدة عقب احتلاله مباشرة، ويرجع اصل هذا الاسم إلى مصر القديمة، وهو اسم لحيوان.

<sup>2</sup> Ibid, P.P.28-29.

وهذا ما تكشف العينات التالية: التسميات ذات الدلالة الدينية والتراثية، التسميات ذات الدلالة الاقتصادية شركات ومقاولات محلية، والتسميات ذات الدلالة العسكرية ذات النصيب الأكبر من القائمة المتداولة في مخططات المدينة.

وتتضح مما تقدم الاهتمام بتسيير الأماكن العامة وواجهاتها داخل المجال العمراني، وتدل القراءة الاسمية لطوبونومية التسميات على مجالها وتنوعها حيث تضم أسماء عسكرية وسياسية ومحلية وفرنسية وتراثية واقتصادية .

الفصل الثالث: الأنشطة الاقتصادية في المدينة

المبحث الأول: الحرف والمهن.

المبحث الثاني: النشاط الزراعي.

المبحث الثالث: النشاط الصناعي.

المبحث الرابع: النشاط التجاري.

المبحث الخامس: النشاط النقابي.

## المبحث الأول: الحرف والمهن:

تتفرد منطقة سكيكدة بمميزات متنوعة جعلتها من أغنى المناطق الجزائرية، لأنها جمعت بين فوائد البحر، من حرف و تجارة وسمك، وفوائد البر، من فلاحية و غابات و تربية مواشي و تجارة. وتتميز أيضا بموقعها الجغرافي الذي جعلها حلقة وصل تجاري بين دول أوروبا، وتونس في الخارج، وبين الداخل مع مقاطعة قسنطينة ومن ورائها الصحراء، وكذلك مع الشمال الشرقي الجزائري مثل جيجل و بجاية.

تتوفر منطقة سكيكدة على ثروة حيوانية و فلاحية مساعدة على بروز العديد من الحرف و الصناعات التقليدية التي تنتشر في صفوف سكانها، الذين تمتعوا بإستقلالية شبه كاملة عن النظام البايات، الذي لم يتمكن من فرض سلطته على سكان المنطقة المحصنين غالبا في الجبال، و فرضوا على أنفسهم نوعا من الاكتفاء الذاتي في الانتاج الفلاحي بتركهم للأراضي الخصبة خوفا من غزو النظام العثماني لهم، و تقاديا لدفع الضرائب، وهو الأمر الذي استفادت منه السلطة الفرنسية بعد احتلالها للمنطقة بعد سنة 1838<sup>1</sup>. لجأت الادارة الاستعمارية إلى مصادرة أملاك القبائل، وكذلك التابعة للدولة التي تقرر وضعها ضمن أملاك الدومين.

وبعد سلسلة من المصادرات، عرفت الوضعية العقارية تغييرات عميقة، بعدما حلت بدل الملكية الاسلامية الملكية الاوروبية بيد الدولة و المهاجرين الاوروبيين. وهكذا تتشكل الملكية الاوروبية بسهولة و بمصاريف زهيدة و بالتالي يصبح المهاجرون و العسكريون أكثر تشددا في اختيار أماكن اقامتهم في المدينة، و شرع في إيجاد إطار شرعي لجميع عمليات نقل الملكية المدنية، بهدف إحداث تغييرات في فضاءاتها و فقا للمتطلبات الحضرية الجديدة، الأمر الذي ساعد على ظهور مراسيم وقرارات لإنشاء فضاءات أوروبية جديدة.

إذ كان من المهم لدى السلطة و في اقرب وقت، إنشاء فضاء حضري أوروبي و وضع مؤسسات جديدة و معها الترسانة القانونية التي ترافقها<sup>2</sup>. وارتبط تطور هذا الاقتصاد الحضري مباشرة، بتطور النظام الاستعماري، و ثيق الارتباط كذلك مع البلد المستعمر<sup>3</sup>.

تلعب العلاقات الإقليمية بين المدينة و إقليمها الإداري التابع لها دورا مهما في معرفة الكثير من الخصائص و العلاقات في المجالات العمرانية و الاقتصادية للإقليم، وذلك من حيث نمط توزيع المراكز و أهمية وظائفها و إختلاف أحجامها.

<sup>1</sup> عمير اوي احميده، السياسة الفرنسية و المقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة 1838-1858، دار الهدى، 2004، ص.8.  
<sup>2</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، دار القصبه للنشر، 2007، الجزائر، ص. 196-197-198-199.  
<sup>3</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع نفسه، ص.266.



فسادت المدينة وظائف إقتصادية متعددة تستجيب مع رغبات المحتلين وطموحات الفاعلين الأوروبيين الذين هيمنوا على الإقتصاد الرأسمالي مستفيدين من مزايا النظام الإستعماري، بينما وجد الأهالي أنفسهم على هامش الحياة الإنتاجية، وهذا ما انعكس سلبا على مستواهم المعيشي، لذا إرتفعت البطالة في صفوفهم ولم يبق لهم إلا الأنشطة الهامشية<sup>1</sup>.

واختلف إهتمام الوافدون الأوروبيون بالأنشطة التي جلبوها معهم أو فرضت ظروف على العناصر الأوروبية الإستغلال بها، كزراعة الكروم من قبل الإيطاليين والمالطيين، بينما أهتم الألمان والسويسريون بالبناء والأشغال، أما باقي الجاليات أشغلت بالحرف كالحداة والصناعة داخل الورشات، واستحوذ اليهود على التجارة، والعنصر الفرنسي الآتي من الميتربول أو كورسيكا اهتم بالتعليم والادارة وغيرها من الوظائف الحرة المحاماة، الصحة..

تعد الحرف من الدعائم الأساسية للإقتصاد الحضري، وهي من العناصر المكونة للهوية الحضرية، ولذلك أسهمت الدراسات التاريخية والعمرانية الحديثة في بلورة الإنتماء عن طريق الحرفة<sup>2</sup>.

وفي العصور الحديثة نجد أن المدينة ليست مجرد وحدة جغرافية وايكولوجية فقط، بل هي في الوقت ذاته وحدة اقتصادية، ويستند التنظيم الإقتصادي فيها على مبدأ تقسيم العمل وبالتالي لا نجد وظيفة واحدة للمدينة، فنشاطها الرئيسي يحتاج إلى عدد من الخدمات والأنشطة الأخرى، وبذلك تصبح موطناً متعدد الوظائف يخدم أغراضاً متعددة ويترتب على ذلك أن لكل فرد في المدينة مهنة أو وظيفة معينة، ويعيش في المدينة الأخصائيون في الوظائف القيادية والدينية والتربوية، والعاملون في المهن الهندسية والفنية، والزعماء والسياسيون وكبار التجار بالإضافة إلى تركيز أغلب صور النشاط الإجتماعي والحياة المدنية، وينتج عن ذلك أن المدينة تنقسم إلى مواقع ومناطق متميزة يتحدد لكل منها وظيفة معينة وأنشطة خاص<sup>3</sup>.  
تعد الفترة الاستعمارية هي الفترة التي سجل فيها ظهور وتمركز نوع من الحياة الحضرية رغم الإرث التاريخي للمدينة التي عرفت توافدا حضاريا متواصلا، ويرجع ذلك إلى حاجة المحتلين لمركز مينائي يساعد على تلبية حاجيات مقاطعة قسنطينة عن طريق التموين.

عرفت سكيكدة نشاطا حرفيا متنوعا في أواخر القرن 19م وبداية القرن 20م بعدما تأسست الجماعات الحرفية والمهنية التي تضم أفرادا ينتمون لحرفة واحدة تجمع شملهم وتقوي علاقات التضامن فيما بينهم، ظهرت للوجود في نواحي المدينة لكن يبقى أن قائمتها غير محددة ومكتمة مما يصعب من عملية تحديد شبكة هذه الجماعات الحرفية في المدينة.

<sup>1</sup> تراون أوزيل، المغرب العربي، الإنسان والمجال، المرجع السابق، ص.497-501.

<sup>2</sup> قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة المدينة والمجتمع، المرجع السابق، ص.191.

<sup>3</sup> حسن أحمد رشوان، المدينة:دراسة في علم الإجتماع الحضري، ط6 منقحة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر 1998، ص.64.

ويمكن حصر الحرف والمهن التي إعتد عليها الأوروبيون حسب أصولهم المهنية وتقاليدهم الحرفية، في الخبازين والحدادين والنجارين والدباغين والخياطين واللحامين والنحاسين والجزارين والصيد البحري ومصلي الأذية وغيرهم من المهن الموروثة أو المكتسبة بحيث لا يمكن حساب تعداد هذه الحرف وممارستها، فيصعب على الباحث متابعة مسارها والتعرف على تركيبها، لكن يمكن الإعتماد على تصنيف شبكة حرف إنتاجية في الخدمات الحضرية والصناعية التي تميز المدينة عموماً<sup>1</sup>. توزعت بالمدينة عدة مهن وحرف، تختلف تأثيرها من حرفة لأخرى، على حسب درجة الإستهلاك والطلب عليها وقدرتها والصمود في وجه المنافسة المفروضة عليها داخل المجال العمراني وخارجه.

وتعتمد الحرف الممارسة في الورشات الصغيرة وتتكون من فرد أو أكثر، ويخصص الإنتاج للإستهلاك المحلي لتلبية حاجيات المدينة الكولونيالية التي تخدم مجتمعها الاستعماري وتوفر متطلباته من الهندسة المعمارية والموضة وتنظيم العمل وأنماط الملكية<sup>2</sup>.

ويبدو بأن الإنتاج المخصص للتصدير يتميز بقلته، وعليه يتم بيع البضائع المنتجة محلياً في المدينة عن طريق تجار مختصين في هذا المجال، بحيث لا يوجد مكان مستقر يجمع أغلب هؤلاء الحرفيين، ولا يوجد ترتيب واضح للأحياء التي تنتشر فيها الحرف.

وتتوزع الحرف في بعض أحياء المدينة، كذلك هناك تفاوت بين حرفة وأخرى من حيث الدخل والممارسة، وهي تختلف عن المراكز المعروفة بثقلها الحرفي مثل قسنطينة التي تتوزع الحرفة الواحدة في كل أحياء المدينة، كذلك هناك تفاوت عميق داخل الحرفة الواحدة نفسها<sup>3</sup>.

عملت الجالية اليهودية على الاستفادة قدر الإمكان من النظام الاستعماري السائد في البلاد، لذلك نجدهم اندفعوا نحو المهن الحرة كالمحاماة والطب والهندسة وغيرها وسيطروا على التجارة، خاصة تجارة الأقمشة والملابس والمجوهرات، وكان منهم رجال أعمال وسماسرة ومرابين<sup>4</sup>.

الصيد البحري: تمارس مهنة الصيد البحري في مينائي سطورة وسكيكدة عن طريق المهاجرين من إيطاليا وصقلية وكورسيكا وبعض المناطق الساحلية الفرنسية الجنوبية والغربية.

فوصلت أعداد كبيرة من الصيادين الإيطاليين لممارسة مهنتهم المفضلة في المياه الجزائرية داخل رصيف خليج سطورة، ضمن إطار هجرة ذكورية وليس عائلية، لكن وبمجرد توالي مواسم الصيد الملائم خلال بدايات الاحتلال الفرنسي، وقدرتهم على إيجاد أعمال أخرى مكتملة لهم كمزارعين أو عمال في الميناء، ظهرت الرغبة لديهم للاستقرار نهائياً في الجزائر مع عائلاتهم، مستفيدين من الاستيطان وعدم التقيد بالخدمة العسكرية التي فروا منها في بلدانهم الأصلي، وبمجرد صدور قانون التجنيس عام

<sup>1</sup> قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة المدينة والمجتمع، المرجع السابق، ص. 194-195-196.

<sup>2</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، دار القصة للنشر، 2007، الجزائر، ص. 270.

<sup>3</sup> قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة المدينة والمجتمع، المرجع السابق، ص. 203.

<sup>4</sup> بن حسين كريمة، الحياة السياسية في قسنطينة، المرجع السابق، ص. 14.

1888 فرض على الايطاليين الاختيار بين الصيد بشروط الزامية أداء الخدمة العسكرية، الأمر الذي جعل هذه الجالية تنقسم بين مؤيد لهذا الطرح التجنيد والتأقلم ضمن المجتمع الكولونيالي، ومعارض له فوجدوا أنفسهم أجنب، وكلاهما يحاول المحافظة على تقاليدهم وعاداتهم الاصلية التي اكتسبوها في بلدهم الأم ايطاليا<sup>1</sup>.

كانت سطورة قرية الصيادين وهي تبعد عن مقر مدينة سكيكدة على مسافة أربع كيلومتر، تتشكل من رصيف للصيد يحيط بها منازل قدر عددها 112 منزلا يقطن بها 309 فرنسيا و789 أجنبيا غالبيتهم من أصول إيطالية، حيث اقتصر نشاطاتهم حول الصيد ومشتقاته.

ولم يقتصر احتكار هذا القطاع على مركز سطورة فحسب بل تجاوزه ليشمل تقريبا كل موانئ الشرق الجزائري، وفي جانفي 1841 قدر عدد سفن الصيد في مرسى سطورة 41 مركبا، ويتم ممارسة نشاط الصيد في فترة تتراوح ما بين 8 إلى 9 أشهر، بينما في فصل الشتاء وبسبب مخاطر الصيد وتقلبات البحر<sup>2</sup> يتحول الصيادون للعمل بحوض ميناء سكيكدة كحمالين.

في عام 1877 كان أغلبية سكان هذه القرية البحرية ايطاليين، إلى جانب بعض الفرنسيين خاصة من جزيرة كورسيكا، ومعهم المالطيين أكثر تمثيلا، بحيث يوجد رئيس بلدية ومساعد، وعلى الأقل ثلاثة مستشارين بلديين من أصول إيطالية، كذلك يوجد 5 أصحاب حانات من 7 وصاحب مخبزة من اثنين في القرية هم ايطاليون أيضا.

فشكلت سنوات الثمانينات من القرن 19م تحولا هاما بالنسبة للعناصر الغير فرنسية، حيث صدرت مجموعة من التشريعات تفرض طلب الجنسية الفرنسية، مثل قانون التجنيس الصادر عام 1889 الذي سمح بتجنس ايطاليي سطورة مثلهم مثل ايطاليي بجاية والقل، وتجنس معظمهم وأصبحوا فرنسيين، وهذا على اعتبار أن عودتهم إلى ايطاليا تكاد تكون مستحيلة نظرا للظروف الصعبة التي ما تزال تعيشها مناطقهم الأصلية الفقيرة، في المقابل فإنهم تمكنوا من الحفاظ على تقاليدهم بالمنطقة.

وعندما نلاحظ تركيبة المجلس البلدي للمدينة عام 1894 نجد أغلبيته من أصول إيطالية باعتبارهم مسيطرين على الأنشطة الإقتصادية، بينما يفتر السكان المسلمون لتقاليد الصيد البحري<sup>3</sup>، لكن الظروف فرضت عليهم التحول نحو هذه المهنة في محاولة لتقليص السيطرة الأجنبية التي استمرت لغاية فرض قانون 1888 الذي أكد على أن الصيد البحري في الجزائر يتم ممارسته من طرف المواطنين الفرنسيين

<sup>1</sup> Sasso Bernard, *In L'Algérieniste*, n :82, juin 1998.

<sup>2</sup> تعرضت سطورة لكوارث طبيعية الناتجة عن الأعاصير التي شهدتها في عدة سنوات، والتي أدت إلى تحطم عدة قوارب للصيد أو اختفائها تماما مثلما حدث عام 1841 حيث اختفت 28 باخرة، و في 31 ديسمبر 1854 هلكت 22 باخرة من جراء عاصفة ضخمة، كذلك الأمر عام 1845 حيث عرفت عاصفة أخرى مدمرة خلفت خسائر كبيرة بسطورة وسكيكدة. ينظر:

Solal Edouard, *Philippeville et sa région*, Op cit, p.176.

<sup>3</sup> عدم توفر وثائق تدل على صلاتها بالبحر، قبل إحتلال هذا المركز، وهذا رغم أن السواحل الشرقية للجزائر، عرفت مجيء الصيادين من الضفة الشمالية للحوض الغربي للمتوسط، خاصة من ايطاليا، سفن أتية من سردينيا، و نابولي، وتوسكانيا، وصقلية، يجلبون معهم وسائل الصيد.

فقط، وهذا ما فتح المجال لحصول عدد كبير من الإيطاليين على الجنسية الفرنسية بشكل إرادي أو عن طواعية، واعتبروا بأنهم فرنسيون جدد، وعاملهم البعض على أنهم أشخاص أميون وبؤساء، ولم تسمح لهم الظروف لمزاولة الدراسة، وحالة البؤس هي التي جعلت الأب يحمل معه ابنه إلى البحر للعمل مما ساعدهم على إكتساب هذه المهنة ومعرفة أسرار البحر وحركاته وتحولات المناخ.

تشكلت قرية سطورة في 31 جانفي 1848 وتحولت من ملحق لبلدية سكيكدة<sup>1</sup> إلى بلدية كاملة الصلاحيات عن طريق قرار 15 ديسمبر 1870<sup>2</sup>، المعدل بتاريخ 29 ديسمبر 1879<sup>3</sup>، وعرفت حركة السكان<sup>4</sup> كالآتي:

السنة	الأوروبيون	الأهالي	المجموع
1871	1030	16	1046
1876	959	10	969
1881	1083	1223	2306
1886	1433	1795	3228
1891	1248	1561	2809
1896	632	1707	2339
1901	928	2153	3081
1906	816	2381	3197
1911	898	2407	3305
1921	1062	4911	5973
1926	1532	5192	6724

وكان أول المحتلين لموقع سطورة هو رسام من أصل بولوني، وثمانية عمال للفن، معينين متخصصين ومرتبطين بمصلحة الهندسة يرافقهم عائلاتهم وأولادهم، تلتها توافد عائلات من صقلية وسردينيا وكورسيكا ونابولي<sup>5</sup> وألب<sup>6</sup>، كذلك من مالطا، لكن هجراتهم تختلف بين الهجرة الدائمة والهجرة الفصلية خاصة بالنسبة للصيادين الذين عانوا من الاحتقار والازدراء من طرف الإدارة الفرنسية، واعتبروهم دخلاء طفيليين. ورغم هذه الممارسات المفروضة عليهم إلا أنهم قرروا الاستقرار بين سنتي 1840-1845، بعدما ازدادت مداخلكم من مبيعات السمك في أسواق المدينة التي ارتفع استهلاكها من هذا المنتج نتيجة ارتفاع عدد سكان سكيكدة الذي تجاوز ألف نسمة عام 1840.

مكنت هذه التطورات من تأسيس مصنع لتصبير الأسماك من طرف الصقلي أموديو ثم تشكيل مركز للإدارة الفرنسية بسطورة في 31 جانفي 1848 لتنظيم قطاع الصيد البحري بها مما فتح المجال لإنتقال مهاجرين جدد إليها خاصة من سواحل بحر الادرياتكي.

<sup>1</sup> Section de Philippeville

<sup>2</sup> Arrêté Préfectoral, Actes De La Prefecture, 1870, P.335.

<sup>3</sup> Bulletin Du Gouvernement Général, 1879, p.491.

<sup>4</sup> Archives W. Constantine, Répertoire Numérique Détaillé, Serie n : 1, Communes de L'Est.

<sup>5</sup> سجل عام 1851 استقرار 316 ساكن بسطورة معظمهم من خليج نابولي المطل على البحر المتوسط الغربي، التي تحدها جزر صغيرة مثل بروسيدا، إيشيا، تور دال قريكو.

<sup>6</sup> ألب D'Elbe

وانتقل عدد سكان المركز من 866 عام 1861 إلى 1030 نسمة عام 1866 ليصل العدد إلى 1159 نسمة عام 1877، وهي الفترة التي عرفت تطورا بطيئا لسكانها، بعد دخول ميناء سكيكدة للصيد حيز النشاط، مما شكل صدمة حقيقية لنمو مركز سطورة<sup>1</sup>.

فأصبحت سطورة مركز تعمير بعائلات الصيادين، وأصبح هذا الجزء من السواحل الجزائرية الغني بثرواته البحرية المختلفة، حيث تجوب مياهه أسراب من السردين وحتى الطون في بعض الأحيان التي تمثل مصدر عيش سكان سطورة<sup>2</sup>.

وبقيت السيطرة بحوزة الصيادين الإيطاليين الذين توزعوا في كامل السواحل الجزائرية، وامتد تواجدهم لغاية ميناء الجزائر العاصمة، وبعد فترة بروز ميناء سطورة في سنوات السبعينات من القرن 19م، حيث تمكن هذا الميناء من منافسة ميناء القالة، واستقبلت سطورة مئات الزوارق الإيطالية التي توجهت تدريجيا نحو ميناء سكيكدة الذي عرف تطورا سريعا، جعله أكبر ميناء للصيد البحري في الشرق الجزائري<sup>3</sup>.

وبقي ميناء سطورة مرتبطا بنشاط الصيد البحري من حيث وفرة مناصب الشغل خاصة في الفصول الوفيرة بإنتاجها من الأسماك حيث يمول أسواق المدينة.

وتعد مهنة الصيد البحري بالنسبة للبحارة الصيادين المورد الأساسي لأغلب سكان هذه المنطقة، وتشكل نتيجة هذا مجتمع محلي يعيش في وسط جغرافي عرف بالنشاط البحري لهم تعابير شفوية بحرية يعتمدون عليها أثناء ممارسة مهنتهم الخاصة بالصيد البحري<sup>4</sup>.

وظل سكان ميناء سطورة يشكلون خاصية إجتماعية لفئة من السكان يعتمدون على قطاع الصيد البحري خلال سنوات الإحتلال الفرنسي، ومركز لقاء عدة ثقافات، حيث نجد الإيطاليين يمثلون الأغلبية، إلى جانبهم الفرنسيين والمالطيين والمسلمين واليهود، كلهم يعملون في قطاع الصيد أو لهم إتصال بهذه المهنة<sup>5</sup>.

ويعتبر هذا القطاع بالنسبة لهم أهم نشاط إقتصادي حتى سنوات الإستقلال، هذا على إعتبار أن هذه الفئة المهنية والإجتماعية المهمشة عن واقع المدينة الحضرية لها خصوصية ثقافية ولغوية ناتجة عن إكتساب حرفة الصيد البحري في منطقة محددة عن طريق التعلم بالممارسة مع المعمرين الإيطاليين والفرنسيين خاصة الكورسيكيين الذين ملكوا قوارب الصيد<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> Crespo Gérard, Stora une localité italienne De l'est algerien au 19<sup>e</sup> siecle.

<sup>2</sup> Ledermann Emile, Philippeville, Op cit, P.100.

<sup>3</sup> WWW.Google.Com, Internet ; Impulsions Italiens.

<sup>4</sup> طهير أحمد، التعابير الشفوية الخاصة بالبحارة الصيادين، مجلة إنسانيات، عدد 16، جانفي- أفريل 2002، ص.49.

<sup>5</sup> Zannetacci H, Les Pêcheurs d'origines italiens du golfe de philippeville, philippeville, 1928.

<sup>6</sup> طهير أحمد، التعابير الشفوية الخاصة بالبحارة الصيادين، نفس المرجع، ص.50.

وبعد الحرب العالمية الأولى أصبحت لديهم وسائل صيد متطورة، لهذا يتم تسويق المنتج السمكي المستخرج يوميا ويتم بيعها صباحا لتجار السمك بالمدينة الذين بحوزتهم بطاقات مهنية متحصل عليها من مصالح البلدية<sup>1</sup>.

تجارة اللحوم (القصابة): تحكم الأوروبيون لفترة طويلة في مهنة القصابة، وهذا منذ عهدة أول مجلس بلدي برئاسة دامبلي الذي منح كل الرخص لبائعي اللحوم عبر مركز المدينة وضواحيها، ويتم احترام المعايير والشروط المعمول بها خلال ممارسة هذه المهنة خاصة خلال موسم الصيف، حيث تشدد الإجراءات المطبقة ضد المخالفين لطرق الحفظ لبيع اللحوم للمستهلكين.

وتمكن بعض الجزائريون من تشكيل فئة مهيمنة على هذه المهنة، خاصة من قبل المالمطين الذين تمكنوا من الاعتماد على تربية الماعز والأبقار من جهة، والتحكم في هذه الحرفة وتوارثها عبر الأجيال من جهة أخرى، الأمر الذي مكّنهم من السيطرة على تجارة اللحوم، رغم منافسة بعض ممتنهيها من العناصر السكانية الأهلية الذين اقتحموا هذه الحرفة، وكانوا معتمدين على إمكانياتهم المحدودة، لهذا وجدوا أنفسهم في منافسة اقتصادية غير متساوية، كانت نتيجتها تعرضهم لجملة عقوبات من طرف الهيئات المكلفة بمتابعة إجراءات الحفظ الصحية، لذلك فقد توقف عدد منهم عن ممارسة هذه الحرفة من جراء الغلق الإداري.

وكان أصحاب هذه المهنة من المسلمين الموزعين في الحي الأهلي يعانون من تدهور حالتهم المادية، بسبب القرارات البلدية التي أثقلت كاهلهم، مما جعلهم يطالبون رئيس البلدية بالتدخل للنظر في ظروفهم الصعبة التي يزاولون فيها مهنة الجزار، والدور الهام الذي يقومون به لتلبية احتياجات السكان المسلمين من اللحوم، وأغلبيتهم لهم مداخيل محدودة تساعد على كسب قوت عائلاتهم، وعانى العديد منهم من شدة الإجراءات المفروضة ضدهم من طرف الهيئات المكلفة بمراقبة نشاط هذه المهنة، كما أن أغلبيتهم ليس لديه أي مورد للقيام بأشغال ترميم لمحلاتهم، باعتبارهم مرتبطين ماليا بمموليهم بشكل مسبق ولديهم قروض لدى زبنائهم لا يمكن استردادها بسرعة كذلك قاموا باقتناء عتاد لهم الأمر الذي جعلهم يطالبون البلدية الأخذ بعين الاعتبار ظروفهم القاسية التي أنهكتها الضرائب الثقيلة، ورغم الانتشغالات التي عبر عنها عدد منهم في رسالة قدمت لرئيس البلدية لإنصافهم بتاريخ 5 ماي 1933.

وكان التقرير المنجز من قبل البيطري واللجنة البلدية ضدهم في غالبية سلبيا يفرض عليهم الغلق والتوقف عن ممارسة هذه المهنة بحجة الشروط الصحية المطبقة في بداية كل صيف، ويبدأ العمل بها

<sup>1</sup> Edgar Scoti - Joseph Palomba, La Peche et les pecheurs en algerie memoire .  
Gérard Crespo : les Italiens En Algerie.  
A.Gurel, Les Peches Maritimes En Algerie.

يوم 15 ماي كل سنة<sup>1</sup>. وتوزع عدد كبير من الجزائريين في مختلف أنحاء المدينة مثل: حي الأمل والسوق العربية وحي بني مالك..الخ.

وسجلت تقارير لجان النظافة والبيطرة الصحية عدم توفر غالبيتها على قواعد النظافة لحفظ اللحوم، الأمر الذي يشكل خطرا على مستهلكيها ولهذا نفذت في حقهم عمليات غلق مؤقتة أو دائمة. وما يلاحظ في قوائم الموقوفين أن عددا كبيرا منهم مسلمون، وهنا نؤكد التفاوت المسجل بين الفئتين الأوروبية والمسلمة<sup>2</sup>.

الصناعة التقليدية الأهلية: عرفت هذه الصناعة نقسا كبيرا في المدينة، واقتصرت على بعض الورشات المهنية التي تشكلت ببعض المراكز كالمدرسة البلدية للزرابي عام 1932، وأتاحت تشغيل معدل من 25 إلى 30 فتاة أهلية من الأسر الفقيرة لتعليم المبتدئات فن الزرابي وتحسين مستوى أخريات في هذا المجال، فهذه المدرسة ارتادتها بصفة منتظمة نحو 30 فتاة أهلية بين عاملات ومتمرنات من 10 إلى 15 سنة. فقد أعدت خلال سنة 1936 مساحة 180م<sup>2</sup> من الزرابي ذات الطراز العربي والبربري وكذلك الطراز العصري، ومن بين المشرفين على لجنة المراقبة فيها السيدة: كيطولي<sup>3</sup>. ولم تكن المدرسة الأهلية للبنات تحتوي عام 1938 إلا على قسم واحد للفتيات الأهليات وتعتبر هذه المدرسة العمل الوحيد الرسمي مع الموجه المسلم وهو عمل خاص، وهي تمنح لفتيات سكيكدة إمكانية تعلم حرفة<sup>4</sup>.

عرفت مدرسة المدينة في وقت من الأوقات وضعية صعبة نتيجة فقدان الصوف، لهذا اتجه نشاطها نحو صنع الأغطية والصباعة والنسيج مما سمح لهم بتموين سكان المدينة والمقاطعة وهذا بإشراف مديرة المدرسة أندريان روش<sup>5</sup>. وواصلت المدرسة تصنيع الأغطية بعد غسل الصوف وإعداده على شكل فتائل ثم غزله وحيافته وهي تضم نحو 30 امرأة من المدينة والريف.

فهذا العمل المنجز الذي له خاصية صناعة حرفية حقيقية شكل صناعة جديدة، وهي مصدر هام للعمل بالنسبة للنساء والفتيات الأهليات، كما تساعد على توفير احتياجات السكان بالأغطية الصوفية<sup>6</sup>.

وفي الواقع هذه المدرسة تعتبر مستقلة منذ نشأتها عام 1932، وتهدف إلى إنعاش كافة العائلات المسلمة لتقاليد كادت أن تندثر، واعداد صناعة الأغطية ومساعدة الفتيات بين سني 10 إلى 15 سنة عن طريق مهنة تمكنهم من مزاولتها في المنزل، وقدرت منحة التمهين 3 فرنك للبنات الواحدة عام 1932<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> نص الرسالة في الموقعة من طرف مجموعة من الجزائريين مثل: بولكرو، وجيلاماني، وثيقة في الملاحق.

<sup>2</sup> A.M.S, 38A, Rapport de veterinaire sanitaire, docteur vicrey, le22/02/1934.

<sup>3</sup> A.M.S, Rapport annuel de L'école de tapis indigène, Le 31/12/1936.

<sup>4</sup> A.M.S, 21 S 9 T, Le Brevet de constantine par le sénateur maire, Le 14/12/1938.

<sup>5</sup> A.M.S, 84 S, le 28/11/1941.

<sup>6</sup> A.M.S, A M. Le Gouverneur Général dell'algerie.

<sup>7</sup> A.M.S, E12, Procès Verbal de L'Installation école municipale de tapis

وشهدت هذه المدرسة حالة عدم استقرار عام 1943 نتيجة احتلال قوات الحلفاء لمقرها مما أعاق نشاطها وقلص وظيفتها، وأدى إلى توقفها عن استقبال انخراط الفتيات<sup>1</sup>.  
وظهرت مهن جديدة كالتطريز على القماش والنسيج حيث بقيت متواجدة بسكيكدة وقسنطينة وسطيف وعنابة، وتدرس التطريز لأغراض تقليدية، في مراكز التمهين النسوية خاصة بسطيف وسكيكدة<sup>2</sup>.  
وتعتمد حرف أخرى على التجهيزات الحديثة المستوردة من أوروبا كمهنة الطباعة التي تشغل واحدة منها ما بين 2 لغاية 15 عاملا، كذلك العمال الممتحنون بحيث نصبت بالمدينة وغيرها من مدن الشرق الجزائري مؤسسات مهنية وحرفية مختصة في هذا المجال حيث تقوم بطباعة المنشورات والجرائد وغيرها، لكن البعض منها يعتمد على آلات قديمة بسبب ضعف المداخل وعدم القدرة على المنافسة المحلية<sup>3</sup>. وتتمركز في المدن حرفة الاسكافية تضم ما بين عامل وأكثر ممثلة في الشرق الجزائري بحوالي 360 حرفيا و440 عاملا<sup>4</sup>.

ويؤدي المسلمون عادة دورا ثانويا: ماسحي الأحذية، باعة الأسواق، والمتسولون، والحمالون (كريطة عربية) والدالون الباعة المتجولون والاسكافيون، وباعة الفواكه والخضر. ومعظم البروليتارية الاسلامية كانت حقيفة موظفة بأماكن العمل الأوروبية (الزراعة، المناجم..) ولأن فرص التوظيف في الأعمال التي تتطلب المهارة كانت نادرة<sup>5</sup>. فالمرشح الجزائري للمدينة مرفوض من طرف المجتمع الاستعماري وبالتالي يوجه نحو التخوم للسكن ونحو الميناء عندما يستطيع الحصول على عمل، بحيث إذا تضاعفت أنشطة الميناء والمناولة اليدوية للخمر ومختلف المواد الأولية الخام، أنشطة تستدعي مجيء اليد العاملة الأهلية غير المكلفة، فالهجرة الداخلية منتوج الجذب الذي تمارسه المدينة<sup>6</sup>.

نستخلص بأن المدينة رغم عدم ثقلها في الصناعات التقليدية نجدها أنفتحت على مجموعة من الأنشطة الحرفية والمهنية التي انتشرت عبر بعض مراكزها، لكنها ظلت محصورة في عدد من الحرف ذات الطابع البحري، فلا تتوفر المدينة على صناعة الجلود والمطاط والخزف وتعاني من نقص التمويل وبساطة الوسائل وتواجه مهنة الطباعة مشكلة انعدام وجود الوسطاء رغم توفر الورشات مع انتشار صنع السروج حسب الطلب في أرياف المدينة<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> A.M.S, Reunion des Comités d'administration, séance 11/1943.

<sup>2</sup> Sedia institut, Etude du développement économique de l'est algérien, T2, dec 1959, imprimé par courmontage georges, p.577.

<sup>3</sup> Ibid, p.438.

<sup>4</sup> Ibid, p.581.

<sup>5</sup> سعد الله أبو القاسم، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ط1، ج4، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1996، ص.67-70.  
<sup>6</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، دار القصب للنشر، 2007، الجزائر، ص.250.  
<sup>7</sup> السكن الاهلي، أمرية رقم 2789، في 1938/03/09، ارشيف بلدية سكيكدة 1938/03/21.



## المبحث الثاني: النشاط الزراعي:

أنشأ النظام الكولونيالي في الجزائر مؤسسات اقتصادية ومالية<sup>1</sup> تعمل على نشر وتمركز المعمرين بالمناطق الفلاحية ذات المردود الجيد<sup>2</sup> ووجهت السياسة الفلاحية لخدمة المصالح الاستعمارية مسخرة في ذلك الثروات المتاحة<sup>3</sup>، حيث استفادت الملكيات الزراعية الواقعة بحوزة كبار الملاك الأوروبيين في المناطق الأكثر خصوبة من البلاد من تقنيات الاستثمار الحديثة، بينما جزئت معظم ملكيات المسلمين ونتج عنه تباين واضح بين مردود أراضيهم مقارنة بأراضي المستعمرين<sup>4</sup>.

قرر وزير الحربية الفرنسي الماريشال ماك ماهون منح 12000 هكتار للاستيطان الأوروبي بين فيليب فيل-سكيكدة والحروش، على الضفة اليمنى للوادي المحادي بني مهنة، وحصرت القبيلة كاملة وجمعت في الضفة اليسرى للوادي، وهذا بعدما كانت بني مهنة تنتشر على امتداد 40000 هكتار، بتعداد سكاني يقدر بـ 2272 فرد عام 1845 تاريخ بداية عملية الحصر الذي امتد لغاية سنة 1847 وتجدد سنوات 1854-1855 الذي من هم مبرراته تأسيس الملكية الفردية على الأراضي المتبقية للأهالي بعد حصرهم<sup>5</sup>. عرفت سكيكدة في عهد نظام نابليون الثالث صدور المرسوم الإمبراطوري المؤرخ في 10 ديسمبر 1860 الذي سمح بعودة منصب الحاكم العام بصلاحيات كبيرة بالجزائر، حيث أن عمالة قسنطينة كانت تنتظر بقلق إصدار هذا القرار عن الإمبراطور نابليون الثالث داخل مجلسها العام، حيث يتكلم ممثل سكيكدة النائب lestiboudois بجرأة عن (تكوين إمبراطورية عربية في ظل فرنسا<sup>6</sup>، والجزائر لفرنسا، وللجزائريين كل امتيازات الفرنسيين)، بعد سنة من ذلك، يقول أيضا: (ما نطلبه هو تكوين منطقة مدنية واسعة حول المؤسسات الأوروبية وخلق باستعجال السكك الحديدية والموانئ).

سمحت سهول الزرمانة والصفصاف في استقرار المعمرين الأوائل وتوفير احتياجاتهم من الأراضي الفلاحية بمحيط سكيكدة التي يرغبون في استغلالها يتجلى ذلك في ارتفاع عدد سكانها<sup>7</sup>.

بين سنتي 1859 و1860، واصلت الإدارة الاستعمارية في توجيهها نحو المراكز المجاورة للمدينة بالمستوطنات الجديدة (صالح بوالشعور، أمجاز الدشيش<sup>8</sup>، ورمضان جمال، الحروش)، وهي بلديات كاملة بالصلاحيات منذ صدور مرسوم 22 أوت 1861.

<sup>1</sup> مثل بنوك القرض الفلاحي ودار الفلاحة.

<sup>2</sup> فرحات عباس، ليل الاستعمار، المرجع السابق، ص 40.

<sup>3</sup> فركوس صالح، مقاومة واحتلال، المرجع السابق، ص 160.

<sup>4</sup> سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح، دراسة في تاريخ الحركة الوطنية والثورة المسلحة، ترجمة محمد حافظ الجمالي، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، 2002، ص 168.

<sup>5</sup> Nouschi André, Enquête sur le niveau de vie des populations constantinois, op. cit. p.268.

<sup>6</sup> تكوين إمبراطورية عربية في ظل فرنسا l'abri de la France

<sup>7</sup> R.A, 19<sup>e</sup> Année, n° 114, novembre, 1875.

<sup>8</sup> Solal Edouard; Philippeville et sa région, Op. cit, p.136

وبعدما صودق على قرار سيناتوس كونسيلات الذي يعترف للقبائل والأعراش بملكية الأراضي المستغلة بصفة دائمة وتقليدية، ويأمر بتحديد أراضي القبائل وتقسيمها إلى دواوير، حيث دافع ممثل المعمرين بارو<sup>1</sup> للمصادقة على هذا القانون، على أمل تغيير وضع المجتمع المحلي خاصة بعد تغير الإدارة عقب انتفاضة أولاد سيدي الشيخ.

ومنح الحاكم العام ماكماهون سلطة أقوى مما سمح بعودة النظام العسكري بموجب المرسوم المؤرخ في 7 جويلية 1864 وضع والي عمالة قسنطينة تحت أوامر حكم قائد الوحدة الجنرال بيريقو، حيث حددت مساحة المدينة من جديد، ولكن هذه القرارات أغضبت سكان منطقة سكيكدة.

وخلال هذه الفترة، قرر الإمبراطور نابليون الثالث القيام برحلة طويلة إلى الجزائر بتاريخ 03 ماي 1865، ووصل إلى سكيكدة في 28 ماي 1865<sup>2</sup>، حيث أكد على اهتمامه بتطور مدينة سكيكدة، ثم طالب من زعماء العرب ضرورة موالاتهم لفرنسا<sup>3</sup>.

وفرضت السلطة الاستعمارية أفكارها الاقتصادية ونصوصها التشريعية على المجتمع الجزائري حيث طرحت مبدئين غربيين هما: حرية التصرف في الأرض وحرية المعاملات بالنسبة للمعمرين واستعملت النهبة والمصادرة والاستيلاء على الأرض والممتلكات، وكان النظام الفلاحي والاقتصادي عامة الذي نقلته فرنسا إلى الجزائر قد أحدث تغييرا جوهريا<sup>4</sup> حتى في نمط التفكير.

وإذا كان الوضع يتحسن باستمرار بالنسبة للأوروبيين نتيجة تزايد استثماراتهم وتضاعف قيمة الأراضي بفضل الري والزراعات الغنية، فإن إنتاج المسلمين تراجع نسبه بين سنتي 1911 و 1953.

وكان هذا التراجع يزداد مأساوية بقدر ما يتزايد الضغط السكاني بعد اختلال التوازن الديمغرافي لمصلحة الشعب المسلم، وأنه كانت هناك أقلية تزداد ضآلتها العددية ولكنها دوما مسيطرة اقتصاديا.

دفع الوضع المتردي المهمشين إلى الهجرة الريفية وجعل الفلاحين الفاقدي الأرض يتجهون إلى الميتروبول الفرنسي أو إلى المدن الجزائرية بحثا عن فرص للعمل<sup>5</sup>.

فشاركت المؤسسات المالية في حركة تطور القروض المستثمرة في الجزائر باعتبارها ضرورية؛ إذ أن القطاع الاقتصادي الأوربي يعتمد على القروض، ونجد أن الزراعة في الجزائر أثناء الأزمة

<sup>1</sup> عضو مجلس الشيوخ الفرنسي السيناتور. ف. بارو Barrot، له ملكية بقرية فاله الاستيطانية Valée

<sup>2</sup> لم يمكث نابليون الثالث إلا بضعة ساعات في المدينة، حيث كان سكان سكيكدة يمتنون من هذه الزيارة المطولة للجزائر أن تتغير لمصلحتهم آراء نابليون، وكان استقبالهم له حارا، وأقيمت له ثلاثة أفوس للنصر وجهت في شوارع سكيكدة، وتحدث نابليون الثالث مع السلطات المحلية عن تطور المدينة، بعد حضوره القداس بسكيكدة، انتقل إلى قسنطينة، رجع إليها، ركب الباخرة متوجها إلى عنابة، ليعود إلى فرنسا رفقة الدوق دوريان.

<sup>3</sup> Solal Edouard; Philippeville et sa région, Op. cit, p.139

<sup>4</sup> فركوس صالح، مقاومة واحتلال، المرجع السابق، ص 168.

<sup>5</sup> سليمان الشيخ، المرجع السابق، ص 169.

الاقتصادية العالمية تعيش على القروض التي فاق حجمها القروض المستثمرة في فرنسا ونتيجة للحاجة الدائمة، فقد سمح القانون الصادر في 31 ديسمبر 1925 بإنشاء بنك جزائري للقروض الزراعي<sup>1</sup>. وتأثر الجزائريون من سلبيات الاقتصاد الجزائري الذي كان له انعكاسات على وضعهم المعيشي، ولم تكن للسلطات الفرنسية الرغبة في تكوين عمال من الأهالي وتأهيلهم لتحقيق الاستغلال في الميدان الفلاحي المرتبط بالقطاع الصناعي عبر الزراعة التجارية<sup>2</sup>.

وترتب عن الاتصال بالاقتصاد الرأسمالي الفرنسي ارتفاع الأسعار، ولم يستفد منها الفلاح الجزائري، بحيث لم يهيا ماديا إلى هذا الانتقال، مما أدى إلى اختلال توازن الإطار الاجتماعي القديم<sup>3</sup>.

إن معظم المستوطنين الأجانب الذين قدموا إلى الجزائر من حوض البحر المتوسط كانوا فقراء لا يملكون الأموال الضرورية لإنشاء مشاريع تجارية أو صناعية لهذا اتجهوا إلى الزراعة وطلبوا من السلطات الفرنسية التي وفرت الأراضي لمصلحة المستوطنين الأوربيين مع تقديم القروض المالية لهم<sup>4</sup>. وازدادت الملكيات الكبرى التي تستخدم الآلات على حساب الملكية الأوربية المتوسطة والصغيرة، ومن جراء ذلك تراجع عدد المالكين ونقص شبه المزارعين والمستأجرين وتراجعت نسبة العمال والموظفين في جميع الأراضي، على الرغم من التجديد الذي شهدته الزراعة الأوربية من سنة 1930 إلى 1954 بعد تدعيم عملية الإنتاج بسياسة القروض وبرنامج الري الواسع<sup>5</sup>.

وزودت الحكومة الفرنسية الوافدين الأوربيين بآلات فلاحية وعملوا على إقامة مراكز وقرى استعمارية، وشقوا الطرق وبنوا الجسور، وكل ذلك من أجل تدعيم حركة الاستيطان<sup>6</sup>.

إن النشاط الاقتصادي الأساسي الذي كان سائدا في منطقة سكيكدة الذي يعتمد عليه أغلب الجزائريين في معاشهم وحياتهم اليومية قبل الغزو الفرنسي- هو القطاع الفلاحي، هذا على اعتبار أن معظمهم يقطنون الأرياف ويمارسون الزراعة المعيشية وتربية المواشي وذلك لأن الجزائر بلد زراعي أساسا، وأراد الاستعمار الفرنسي منذ بداية احتلاله لسكيكدة تشجيع الاستيطان الأوربي الزراعي<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> رزاق عبد الرحمان، تجارة الجزائر الخارجية، S.N.E.D، الجزائر، 1976، ص 48.  
<sup>2</sup> بدأ اهتمام الكولون بزراعة الكروم مبكرا، فنجد في إقليم سكيكدة تواجد مساحات منعزلة في بني مالك وفالي عام 1846، حققت نجاحا رغم قلة مساحتها التي ارتفعت من 62 هكتار عام 1851، إلى 106 هكتار بدائرة سكيكدة عام 1854، حيث يمتلك المزارع Grima لوحه على 20 هكتار، أما في عام 1865 تتوفر سكيكدة على 315 هكتار من الكروم تنتج 4935 هكتولتر من الخمر، كما ظهرت زراعة التبغ بسانت أنطوان مما ساعد على إنتاج السجائر خاصة بعد تشجيعهم عن طريق مرسوم 15 أكتوبر 1853 لشراء هذه المنتوجات من الحكومة لمدة ثلاث سنوات، وثم أنجز Nielli مصنعا في عام 1855، ونتيجة لارتفاع تكاليف الإنتاج خاصة اليد العاملة ينتجون القطن على مساحة 54 هكتار عام 1863، ينظر نوشي أندري وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطنبولي رابح، OPU، 1984، ص ص 419-420.  
 Solal Edouard, Philippeville et sa region, op cit, p 225-260.

<sup>3</sup> فركوس صالح، المرجع السابق، ص 159.

<sup>4</sup> بوحوش عمار، المرجع السابق، ص 166.

<sup>5</sup> روبرت آجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع، السابق، ص 125.

<sup>6</sup> غليبيسي جوان، الجزائر الثائرة، تعريب خيرى حماد، ط1، دار الطليعة، 1961، ص 20.

<sup>7</sup> Ageron Charle Robert, Histoire de l'algérie contemporaine 1830-1973, collection que sais-Je? N°400, 5<sup>eme</sup> ed, PUF, paris, 1974, p. 45- 49- 53.

سهلت القوانين والإجراءات الاستعمارية على المعمرين عملية السطو على ممتلكات الجزائريين وجعلتهم يتحكمون في أجود الأراضي الزراعية، ومن ثمة عمد المعمرون إلى تغيير النمط الزراعي في الجزائر، فأنتجت المزارع التي كانوا يستغلونها المحاصيل التجارية الموجهة للتصدير مثل الكروم خاصة بعد هجرة المزارعين الفرنسيين إلى الجزائر للاستفادة من الظروف الطبيعية الملائمة والتسهيلات التفضيلية العقارية والمالية التي توفرها لهم سلطات الاحتلال لتعويض ما خسروه في فرنسا<sup>1</sup>، وهذا ما وفر فرصة تجارية للمعمرين فحققوا ثروات هامة من تصدير منتوجاتهم الفلاحية مما يعكس طبيعة الاقتصاد الكولونيالي الذي يركز على تحقيق الأرباح من خلال تطوير الإنتاج التجاري<sup>2</sup> بدلا عن المحاصيل المعيشية. وإذا كانت مردودية المستثمرات الأوروبية مرتفعة، فإن مردودية أراضي الفلاحين الجزائريين جد منخفضة، يرجع ذلك إلى نوعية تربة الأراضي التي بقيت في حوزة الفلاحين الجزائريين، فهي أقل جودة من الأراضي التي استولى عليها المعمرون، كما أن أغلب مزارع الجزائريين تقع في المناطق الجبلية وليس لهم إمكانيات الري الحديثة ويفتقدون للخبرة لاستخدام الوسائل العصرية والتمويل، مما انعكس سلبا على المحصول والمردودية، ونصيب الفرد الجزائري من الأرض. ونجد أن الزراعة المحلية تنقسم إلى قطاعين متميزين اقتصاديا واجتماعيا، فالقطاع الأول وهو الأوروبي الحديث الذي يهيمن على أجود الأراضي الزراعية ويستعمل التقنيات الحديثة ومصادر التمويل الكبيرة التي توفرها السلطات الفرنسية وأنظمتها المالية ونتيجة لذلك حقق المعمرون معدلات إنتاجية عالية ومداخل مرتفعة من المحاصيل التجارية والصناعية، وبالتالي الحصول على ثروات ضخمة، وأما القطاع الثاني فهو قطاع تقليدي يستغل فيه الفلاحون الجزائريون أراضي فقيرة وبوسائل بسيطة وكان مردودها ضعيفا، لأن أغلب إنتاجها من المحاصيل المعيشية الموجهة للسوق الداخلية ذات التبادل الضيق والمحدود واقتصارها تقريبا على المستهلكين الجزائريين الفقراء، إلى جانب بعض المحاصيل التجارية أو المواشي التي يتحصل عليها الأوروبيون بأسعار السوق الجزائرية، حيث يقومون بتصديرها للحصول على أرباح إضافية<sup>3</sup>، وذلك ما يفسر انخفاض دخل الفلاحين الجزائريين مقابل ارتفاع مداخل المزارعين الأوربيين، وهذا ما عمق الهوة بين المجتمعين<sup>4</sup> في القطاعين الاقتصاديين الأوروبي والأهلي<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> بعد تقلص مساحة الأراضي المزروعة في فرنسا من 2429000 هكتار عام 1875 إلى 1817000 هكتار، حيث تعرضت مناطق زراعية بالكامل للخراب، والكارثة الزراعية التي أصابت زراعة الكرمة في فرنسا خاصة بعدما فتكت حشرات الفيولوكسرا بالمساحات المزروعة كروم بفرنسا، ولهذا ارتفعت المستوردات الفرنسية من النبيذ من 100 ألف هيكترو لتر عام 1870 إلى 12658000 هيكتولتر عام 1888، ولأهمية زراعة الكروم بالنسبة للمعمرين الفرنسيين بالارتباط مع إنتاج النبيذ لتزداد ارتباط هذه الزراعة بالصناعة، ونتيجة أن الجزائر عوضت العجز الكرمة في أوروبا، والفائدة التي تجنيها الخمر، بدأ مندوبو عدد من كبار المؤسسات الفرنسية بالتوافد على الجزائر، بهدف تأمين كميات النبيذ المتوفرة، وبأسعار مريحة جدا. ينظر: وطبان عبد العزيز، الاقتصاد الجزائري ماضيه وحاضره: 1830-1985، منظمة العمل العربية، المعهد العربي للثقافة وبحوث العمل بالجزائر، د.ت، ص.ص 28-29.

<sup>2</sup> حركات محمد، شبكة الكهرباء والغاز في الجزائر بين 1946 و 1962، ماجستير في التاريخ، إشراف فشي فاطمة الزهراء، 2005، ص 10. Léonard Roger, Industrialisation de l'Algérie, doc al, 1954, imprimeries officielles, alger, p.101-107.

<sup>3</sup> تحكم المالطيون في تصدير المواشي من ميناء سكيكدة.

<sup>4</sup> حركات محمد، شبكة الكهرباء والغاز في الجزائر بين 1946 و 1962، ص 11-12.

<sup>5</sup> رزافي عبد الرحمن، تجارة الجزائر الخارجية، صادرات الجزائر فيما بين الحربين العالميتين، S.N.E.D، ص 24-25، يرجع.ص 26، 28.

تمكنت السلطة الفرنسية أن تحدث توازنا بين العنصرين الفرنسي والأوروبي<sup>1</sup>، بإعطائها على الإستيطان الرأسمالي الواسع، ولهذا أصدرت مجموعة قرارات منها قرار 16 أفريل 1851 لاعادة تنظيم كيفية منح أراضي الدولة<sup>2</sup>، ومنح الإدارة الاستعمارية الحق في الحصول على أراضي العرش، أراضي القبائل المشتركة من أجل المنفعة العامة أو مصلحة الإستيطان<sup>3</sup>.

وعمل الرأسماليون الفرنسيون على الحصول على الإمتيازات بدون مقابل معتمدين على الدعاية لتشجيع رؤوس الأموال على الهجرة إلى الجزائر<sup>4</sup>. لذا استجابت حكومة الإمبراطور نابليون الثالث لمطالب الرأسماليين المتروبوليين، بمنحهم 50 ألف هكتارا بين عامي 1860-1864 ومنح 160 ألف هكتار من غابات المنطقة الممتدة بين سكيكدة وعبانة لثلاثين من أصحاب النفوذ في باريس<sup>5</sup>، لأن نابليون الثالث أقرب إلى منطق الرأسمالية المتطورة على النمط الأمريكي بسبب تأثره بأفكار سان سيمون التقدمية<sup>6</sup>.

وفي الوقت نفسه نقلت المئات من المساجين من معارضي نظامها من الجمهوريين نحو الجزائر، وشمل الإستيطان كذلك عناصر من الفئات الأوروبية غير فرنسية<sup>7</sup>. وتخرج ملكية العقارات من أيدي الأهالي بقوة السلاح أو بقوة القانون أو بقوة الإغراء<sup>8</sup>.

وعرفت الجزائر قدوم مهاجرون فقراء من أوروبا، يبحثون عن العمل والعيش في الجزائر ولا يتوفرون على أموال تساعد على الإستثمار، ولهذا خصصت لهم الدولة الفرنسية أموالا ضخمة لإستثمارها في بناء الطرق والمسكن والمدارس وشراء الأجهزة والمعدات الفلاحية، ومنحهم أراضي مجانية لإستغلالها، بينما تعرض العنصر البشري الجزائري للتهميش ليجد نفسه في خدمة الأوروبيين<sup>9</sup>.

فبعد الجمود الذي شهده المجال الريفي في القوة المنتجة، إستطاع الإحتلال الفرنسي التحكم فيه وتغيير صورته وإعادة الحيوية إلى القطاع الإقتصادي، مما سمح بظهور بنيات فلاحية تتحكم فيها علاقات إنتاجية رأسمالية موجهة أساسا لتلبية حاجيات السوق الخارجية.

ويعتبر وادي الصفصاف كنموذج تهيئة للإستغلال المكثف للزراعة إبان المرحلة الإستعمارية، فبعدما كان المجال تقريبا مهجورا تغمره المستنقعات يشغل عموما كمراعي للحيوانات<sup>10</sup>.

<sup>1</sup> Ageron Charles Robert, *Histoire de l'algerie contemporaine*, PUF, paris, 1974, P.27.-

<sup>2</sup> DePeyrhimoff, *Enquete sur les resultats de la colonisation officielle*, T1, Alger, 1905, p.31.

<sup>3</sup> Julien Charles Andre, *Histoire de l'algerie contemporaine 1827-1871*, PUF, paris, 1964, p.380.

<sup>4</sup> Gerard Jules, *L'Afrique du nord*, 2<sup>ème</sup> Ed, dentu editeur, paris, 1861, p.91.

<sup>5</sup> De Peyrhimoff, *Enquete sur les resultat de la colonisation officielle 1871-1895*, T1, alger, 1905, p.35-91.

<sup>6</sup> سان سيمون أحد مؤسسي الإشتراكية العصرية، عاش من 1860 إلى 1825، الذي كان يجذب أن تسند الحكومة للمهندسين والصناعيين، لعب تلاميذه السانسيمونيون دورا مهما في تاريخ مصر والجزائر وأمريكا بتشجيعهم للأعمال التجهيزية الكبرى. أنظر: عبد الله العروي، *مجمل تاريخ المغرب*، ج3، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1999، ص.129.

<sup>7</sup> عباد صالح، *الجزائر بين فرنسا والمستوطنين 1830-1930*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص.24.

<sup>8</sup> جلال يحي، *السياسة الفرنسية في الجزائر 1830-1959*، ط1، دار المعرفة 1959، ص.102.

<sup>9</sup> بوحوش عمار *التاريخ السياسي للجزائر*، المرجع السابق، ص.199.

<sup>10</sup> Ibid, *Philippeville et sa région*,

تركت التدخلات الإستعمارية بصماتها عن طريق خلق نوع من النمو الإقتصادي الفعال المخصص للمعمرين صاحبه عمليات استصلاح وتغيير في نظام الإستغلال واستعمال تقنيات حديثة في الإستخدامات الفلاحية للأرض<sup>1</sup>، ويقوم هذا النظام على إمتلاك الأرض وإستغلالها لفائدة المعمرين مما أكسب المشروع الإستعماري طابعا فلاحيا قوامه المستعمرات الزراعية التي بلغ عددها 928 قرية أو تجمعا زراعييا أوروبا بين سنتي 1830-1929، أدى إلى تسارع الإستغلال الفلاحي الأوروبي بالجزائر. إنتهج الفرنسيون سياسة زراعية تعتمد على تقديم المساعدات للمزارعين الأوروبيين لإقتناء الآلات الحديثة من المصانع الفرنسية، وأجريت تجارب على التربة لتحسين نوعية الإنتاج وكميته، وتمت دراسة خريطة الأمطار بالجزائر حتى تتلاءم نسبة التساقط ونوعية المحاصيل، مع التربة العميقة<sup>2</sup>.

وبعد الاستيلاء على الأراضي الخصبة أصبح الأهالي يسكنون في الأراضي الفقيرة ذات مردود ضعيف، وهذا ما أثر على أوضاعهم المعيشية<sup>3</sup>، ونتيجة لذلك تحول المالكون الشرعيون إلى عمال بأجور زهيدة أقرب إلى السخرة وإلى الخماسين لدى المستوطنين المستولين على أراضيهم<sup>4</sup>، لهذا تأثر السكان المسلمون الذين كانوا يشكلون أغلبية سكان المنطقة بأهداف النظام الإستعماري.

امتد مجال التملك العقاري بإقامة عدة مالكين بالمدينة وحسب تراكم مناطق إنتداب السكان الحضريين، وتجميع المنتوجات الفلاحية وتوزيعها، إلا أن أشكال العلاقات التقليدية بين المدن والأرياف، تغيرت بعمق مع مرور الزمن، أحدثت معها أثر كبير في إقليم سكيكدة، حديث العهد بالتحضر، وتجمعها في ثنائية تدرس من ناحية، علاقات المدينة بالريف من النمط التقليدي كانتداب السكان الحضريين والتملك العقاري للحضر وتجميع المنتوجات وتوزيعها من قبل المدينة<sup>5</sup>.

إن توزيع القبائل إلى دواوير، وتجميع السكان المنتمون إلى عدة قبائل داخل دوار واحد، سمح للجماعات الخاضعة للإدارة بالمتاجرة بالأرض لصالح الدولة والأفراد، وأكدت التجربة بالنسبة لمنظري الإستعمار. فقد حدد مرسوم مجلس الشيوخ أبريل 1863 أراضي القبائل والدواوير وشجع إستمرار حالة الشيوع الزراعية غير المنتجة في نظر المعمرين والمولدة للبوؤس التي تلتها مرحلة الإحتلال النهائي للملكية الفردية حسب تقرير وارنيي في 4 أبريل 1873<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> بوشامة لبديا، مركز وادي الصفصاف، جغرافية حضرية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، ص.ص. 58-59.

<sup>2</sup> سعيدوني ناصر الدين، الجزائر منطلقات، المرجع السابق، ص. 35.

<sup>3</sup> بورعدة رمضان، الجزائريون والعدالة الاستعمارية في عمالة قسنطينة، المرجع السابق، ص. 23.

<sup>4</sup> Nouschi Andre, *Enquête sur le niveau de la vie du population rurale constantinoise de la conquête jusqu'en 1919 d'histoire économique et sociale*, PUF, paris, 1961, p ; 21

<sup>5</sup> تراون جان فرنسوا، المغرب العرب الإنسان والمجال، المرجع نفسه، ص. 502-504.

<sup>6</sup> العمري الطاهر، المرجع السابق، ص. 187.

وفرت السلطة الفرنسية مبالغ ضخمة لرفع مستوى معيشة الأوروبيين وخدمة إقتصادهم، وإيجاد الهياكل الضرورية لإنجاح مشاريعهم، بينما بقيت أوضاع الجزائريين الإقتصادية على حالتها المزرية<sup>1</sup>. وأصبح غالبية الجزائريين يعيشون على أراضي فقيرة مما أجبر قسما كبيرا منهم تحت وطأة الحاجة للعمل في مزارع المعمرين كأجراء في أراضي كانوا يملكونها<sup>2</sup>، ولم يتوقف نزاع الملكية العقارية من يد الجزائريين وتحويلها للمعمرين تماما، واعتبرت المراعي أرض موات، وأن كل ملك مشترك هو بالضرورة مشاع، وأن كل أرض تحمل عددا من الشجيرات هي غابة عمومية، وبهذه الطريقة حولت لنشاط المعمرين بعد أن طردت منها أصحابها أو المتصرفين فيها<sup>3</sup>.

وأحدثت القوانين الفرنسية الصادرة منذ عام 1844 تغييرا في ملكية الأراضي من أصحابها الشرعيين إلى المعمرين وأصحاب الربا والإحتكار الأجانب، مما انعكس على ظروف الفلاحين المعاشية<sup>4</sup>. واتخذت السلطات الفرنسية إجراءات جديدة لتقليص ملكية الجزائريين، بحيث كانت للقوانين العقارية<sup>5</sup> التي فتحت ثغرات كبرى في ممتلكات الخواص وممتلكات الشمل<sup>6</sup>.

وإرتبط الإقتصاد الزراعي الأوربي بالجزائر بالاحتلال العسكري وسياسته، حيث قام في أول الأمر على فكرة الفتح بالبندقية والمحراث، حيث تمكن المزارعون الأوروبيون من تحقيق النجاح على حساب غالبية الجزائريين، وهي حصيلة طبيعية لعملية استعمارية مندرجة ضمن إحياء فكرة الرومنة، وبذلك سائر الإقتصاد الأوربي في الجزائر تطور الاستعمار الفرنسي، فارتبط هذا الإقتصاد بعملية الاستعمار ومبادراته، مع دمج اقتصاد الجزائر بالإقتصاد الفرنسي وجعل السوق الجزائرية حكرا على الفرنسيين بفعل القانون الجمركي الصادر في جانفي 1851 وتشجيع الاستثمارات المالية في الجزائر<sup>7</sup>.

وأخذت الفئة الأوروبية على عاتقها الإبقاء على مطالبها وهيمنتها وتحقيق التوسع الكولونيالي ولذلك اعتبرت ثورة 1848 في فرنسا فرصة لهم لتوسيع سلطاتهم المدنية على حساب العسكريين، ثم رحبوا بسقوط الإمبراطورية الثانية، وأنشأوا لجان السلام العام بغية تكريس سيطرتهم وتوسيع الاستعمار<sup>8</sup>.

كانت عمليات المصادرة والطرد من الأرض نهجا متبعا في كل العمليات العسكرية الموجهة ضد القبائل التي تقف في وجه الفرنسيين، وبلغت عمليات المصادرة أوجها مع ثورة المقراني التي عمت أغلب مناطق الشرق الجزائري، لذلك عمدت السلطات الفرنسية إلى مصادرة مساحات شاسعة من

<sup>1</sup> سعيدوني ناصر الدين، الجزائر منطلقات، ص.34.

<sup>2</sup> قنان جمال، نفس المرجع، ص.25.

<sup>3</sup> بولعبايز بشير جمال، السياسة الفرنسية بالشرق الجزائري 1939-1900، رسالة الماجستير، الإسكندرية، 1993، ص. 340-341.

<sup>4</sup> الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص.15.

<sup>5</sup> وضعت هذه القوانين سنوات: 1851-1863-1865-1873-1887-1897

<sup>6</sup> الأشرف مصطفى، نفس المرجع، ص.16.

<sup>7</sup> قنان جمال، المرجع السابق، ص.36.

<sup>8</sup> سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح، المرجع السابق، ص. 186

الأرض قدرت 204933 هكتارا منها 121827 هكتارا بعمالة قسنطينة<sup>1</sup>، وتوسعت استفادات المستثمرين الكبار في عهد الامبراطورية الثانية ومعها ازدادت ممتلكات المخترين والشركات، وبعد القضاء على ثورة الرحمانيين صدرت عدة قوانين عقارية ترمي إلى توسيع رقعة أراضي الأوروبيين<sup>2</sup>، وتوسعت أراضي المستعمرين بالجزائر وشملت أغلب الأرض الخصبة كسهل سكيكدة.

وينتمي القطاع التقليدي إلى نوع ما قبل الرأسمالي الذي يخضع بشكل كبير للظروف الطبيعية ولهذا يعرف اختلالات من فترة لأخرى. ورغم أهميته من حيث ضمانه لمعاش أغلب السكان الجزائريين ومشاركته في التجارة الخارجية بمنتجاته الزراعية والحيوانية في التصدير، لم يعمل الإستعمار على تطويره، بل كان يعارض تحسینه لمصلحة المسلمين، ويرى في تقدمه خطرا على وجوده<sup>3</sup>، ويتميز القطاع التقليدي بعلاقاته الضيقة مع الأسواق الخارجية ومحدوديته مع القطاع الاقتصادي الأوروبي .

وساهمت عوامل أخرى في إضعاف القطاع التقليدي أهمها: اعتماده على وسائل إنتاج تقليدية، وتركزه في مناطق فقيرة بعد هجرتهم من الساحل وفقدان السكان الأصليين لأجود أراضيهم في السهول التي أنتزعت منهم ومنحت للمعمرين في القطاع الأوروبي، يضاف إلى ذلك نسبة سكانه المرتفعة، والخلل الذي أصاب بنية المجتمع الجزائري من جراء تطبيق القوانين الفرنسية دون مراعاة خصائصها وتضرر أكثر بعد تعرضه لعمليات النهب والحرق من جيوش الإستعمار، ومجاعة عام 1866 الرهيبة.

عانى القطاع التقليدي من عدة صعوبات تكمن في العلاقة بين الإنتاج والسوق لأن انتاجه يقتصر على إعالة العاملين به أي أن الإنتاج فيه لم يكن منظما حسب العرض والطلب المساهم في تطور الإنتاج، وتراجعت المنتوجات التي تحدد أسعارها من طرف الحكومة الفرنسية أو لم تكن مطلوبة في الأسواق.

سنت فرنسا عدة قوانين لتشجيع الاستيطان كقانون حصر الأراضي وتحديد ملاكيها عام 1897 الذي يفرض على المالك الحصول على وثيقة تثبت الملكية الخاصة مثلما هو معمول به في فرنسا، ولا يسمح بأن تباع أو يتنازل عن أراضي العرش إلا بعد إجراء تحقيق جزئي والحصول على شهادة الملكية.

ولم يحاول الإستعمار اصلاح هذا القطاع الرفع من مستوى الفلاحين الجزائريين المادي والمعنوي بل تركهم يفتقدون للسود والمحطات العصرية لايواء الحيوانات والأبار لاستخدامها في فترات الجفاف.

انتهت مرحلة 1870-1918 بتقدم القطاع الأوروبي وإزدهاره نتيجة المساعدات الممنوحة له، عكس وضعية القطاع التقليدي التي ظلت محل استغلال وإهمال وحصار عام من طرف القطاع الأوروبي

<sup>1</sup> قنان جمال، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1994، ص.24.

<sup>2</sup> سنت فرنسا قوانين متتالية سنوات 1873 و 1887 و 1897 و 1926، فتوسعت لموجبها ملكيات المعمرين الأوروبيين بشكل سريع.

<sup>3</sup> Beethaut P, *Les Caracteristiques de L'économie rurale nord africaine*, casablanca ; imp reunies, 1931, P.9.



والسلطات الفرنسية، ورغم أهميته في التشغيل والإستهلاك ومشاركته في الصادرات والضرائب<sup>1</sup>، بقيت مردودية أراضيها منخفضة بسبب نوعية تربها، الأقل جودة من أراضي مستثمرات المعمرين. وجعلت الظروف الاقتصادية المتدهورة تصعب من تلبية احتياجات السكان الضرورية من المواد الاستهلاكية، كما لم يعد ممكناً الالتزام بحصص التموين الضعيفة والمخصصة لهم<sup>2</sup>. فالتجأ العديد من الأهالي الذين أنهكهم الجوع إلى التوسل والوقوف لفترة أطول في الطوابير لانتظار حصتهم من الصدقات التي قد توزعها البلدية عليهم، بينما البعض منهم يبحثون عن الفضلات في صناديق القمامة التي يرميها التجار<sup>3</sup>، وأصبح الجوع يهدد الأهالي الذين لم يعودوا يتحصلون على ما يسد الرمق<sup>4</sup>. تتواجد المدينة ضمن محيط ذات ظروف مناخية مناسبة لتحقيق تنمية زراعية معتبرة، لكن وبفعل العوائق الطبيعية تمثل المساحة الصالحة للزراعة ذات الخصوبة العالية 32.48% من المساحة الكلية، في الوقت كان الجزء الأكبر من المدينة مشغولاً بالجمال والهضاب ذات الإنحدار الشديد فإن عملية توسيع المساحة الفلاحية غير ممكنة، كما تشكل الأحرش والغابات النسبة الغالبة على حدود المدينة. إن الإستغلال الزراعي فرض على المستغلين الزراعيين الأوروبيين البحث على المياه التي تساعد على توسيع عمليات الإستصلاح الزراعي الحديث لذلك تم الإعتماد على أحواض وادي الصفصاف والزرامنة التي تعتبر من أهم الشبكات المائية في تلم الشمال القسنطيني. حيث نشأ وادي الصفصاف فوق إنحدارات جبل الوحش في جنوب السلسلة النوميديّة وإلتقاء كل وادي الخماخم وبوعجاب، مروراً بزردازة ثم ينحرف في إتجاه جنوب شرق-شمال غرب حتى يصل إلى منخفض رمضان جمال أين يخلق سلسلة من التدرجات في وسط الرسوبات لكون المنطقة سهلية ذات تكوينات رملية وجرينية، ليغير إتجاهه نحو الشمال الشرقي ثم نحو الشمال، ليصب حمولته في البحر شرق سكيكدة بنحو 2 كلم، ويبلغ طوله 100 كلم<sup>5</sup>. ولم تترك المخططات الإستيطانية بالشرق الجزائري سوى المناطق الجبلية لبلاد القبائل والأوراس بإعتبار أن الإستيطان تم تدعيمه من قبل النظام العسكري، لهذا وجد الأهالي أنفسهم تحت رحمة البؤس حسب أحد ضباط المكاتب العربية بالجزائر Lapasset، واستمر الكثير منهم في الهجرة نحو تونس<sup>6</sup>. وتراجعت الملكية الأوروبية مقابل الملكية الأهلية بين سنتي 1919-1936 بدائرة سكيكدة مثلت 7457 هكتار، بينما قدرت بدائرة بجاية 9916 هكتار، ودائرة قسنطينة 8333 هكتار في نفس الفترة<sup>7</sup>، وهذا نتيجة التحديات التي واجهها الاستيطان الريفي في فترة ما بين الحربين.

<sup>1</sup> رزاق عبد الرحمان، تجارة الجزائر الخارجية، المرجع السابق، ص. 26-27-28.

<sup>2</sup> Boalem; Histoire générale de l'afrique, unesco, paris, néo; 1987, p; 472.

<sup>3</sup> بن حسين كريمة، الحياة السياسية في قسنطينة، المرجع السابق، ص. 277.

<sup>4</sup> سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، المرجع السابق، ص. 40.

<sup>5</sup> بوشامة ليديا، مراكز وادي الصفصاف، المرجع السابق، ص. 28.

<sup>6</sup> فركوس صالح، إحتلال ومقاومة، المرجع السابق، ص. 128.

<sup>7</sup> Meulemen johan hendrik; op cit, p.313.

فسد زردازة<sup>1</sup> المنجز في الثلاثينات من القرن 20م، هو بمثابة ركيزة أساسية لتعديل وتنظيم جريان واد الصفصاف للحد من كوارث الفيضانات وبالتالي التحكم في المياه، كالفيضانات التي حدثت عام 1939، فمن خلال هذا السد أخذ الإستعمار الفرنسي على مستوى وادي الصفصاف وسهل سكيكدة أبعادا إقتصادية، وكذلك أبعادا إجتماعية وسمح بتوفير المياه الصالحة للشرب، هذا إضافة إلى حفر الآبار التي تستعمل للشرب أو السقي خاصة في الحداثق ورمضان جمال.

ينتمي القطاع الأوروبي إلى النوع الرأسمالي الذي يستعمل طرقا ووسائل حديثة في الإنتاج، ويعتمد على السوق، وارتبط ظهور هذا القطاع في الجزائر بالوجود الإستعماري بها وهجرة الأوروبيين إليها للاستفادة من الأراضي والمساعدات حيث عملت على تشجيعهم لإستغلال الأراضي الزراعية بكل الوسائل، وذلك لتكوين قاعدة مادية وبشرية ثابتة ينطلق منها الإستعمار للتوسع في الجزائر<sup>2</sup> خاصة بعد عام 1851، حظي هذا القطاع بتأييد الإدارة الإستعمارية مع امتلاكه لوسائل الإنتاج الحديثة والمساعدات المالية والجمركية، كما وجد في الأسواق الصناعية الفرنسية طلبا متزايدا لمنتجاته الغذائية والأولية. ساهمت عدة عوامل في تقدم القطاع الأوروبي مثل المؤسسات المالية والتعاونيات المختلفة والشركات والنقابات الزراعية التي منحت خدمات كبيرة لهذا القطاع في الإنتاج والتسويق.

وكان للتعاونيات دور هام في تطوير الزراعات الموجهة انتاجها للتسويق من خلال تقديم العتاد والارشادات للمعمرين، ودافعت الغرف التجارية التي تمثل الأوساط التجارية والصناعية عن مصالحها. وأصبحت منتوجات القطاع الأوروبي مطلوبة في الأسواق الخارجية بعد عام 1870، وتزايد الأراضي الخصبة التي تحصل عليها المعمرون في مرحلة تميزت بهدوء المقاومة الجزائرية وتأييد من طرف الإدارة في الجزائر، والحكومة الفرنسية في باريس<sup>3</sup>.

فتمكن المعمرون من التحكم في أجود الأراضي المحيطة بوادي الصفصاف بمنطقة سكيكدة مستفيدين من الاجراءات الضامنة لإستغلالهم لتلك الأراضي الذي جعل المعمرين يغيرون النمط الزراعي الجزائري، باستغلال المحاصيل التجارية الموجهة للتصدير بدلا عن المحاصيل المعيشية، وعملوا على توسيع زراعتها مستغلين الظروف الطبيعية الملائمة والتسهيلات العقارية والمالية من

<sup>1</sup> يقع سد زردازة في جنوب سكيكدة، بعيد عنها ب: 40 كلم، وب: 64 كلم من قسنطينة، و15 كلم من الحروش، تم إختيار هذا المشروع عام 1923، لإيجاد حل مياه الشرب لسكان المدينة، ومن أجل الإستغلال الفلاحي، بسهول وادي الصفصاف، يبلغ ارتفاعه 45 متر، وقدراته 34 مليون م3 حيث أنطلقت الأشغال عام 1929، وأنتهت بعد 10 سنوات، وأصبح عمليا عام 1939. بعدما عانت سكيكدة من عجز متواصل في المياه، بحيث لم تكن المدينة ممولة باستمرار بالمياه، وتعاني من عدم تحقيق الإكتفاء الذاتي بشكل دائم، مع نمو سكاني متزايد، لهذا كان الإعتماد مقتصر على الأحواض والصحاريج الرومانية في المدينة التي يتم إزالة الأنقاض وتنظيم ورفع الركام لتسوية الأرض داخلها، وتجدد باستمرار. ينظر:

Hubert Groud, *l'histoire du barrage des zardezas*, Conférence 15 Juin 2002, Cercle Algerianiste, Free, Fr

<sup>2</sup> Ageron Charles Robert, *Histoire de l'algérie contemporaine, que sais je ?* paris; PUF, p.22.

<sup>3</sup> رزافي عبد الرحمان، *تجارة الجزائر الخارجية*، المرجع السابق، ص.24.

طرف المحتلين مما أتاح فرصة تجارية هامة للمزارعين الفرنسيين من تعويض ما خسروه في فرنسا من جهة وتحقيق ثروات مالية معتبرة من تصديرهم للمنتجات الفلاحية من جهة أخرى<sup>1</sup>.  
تعد زراعة الكروم من الزراعات الرئيسية التي أولتها السلطات الاستعمارية إهتماماً متزايداً، حيث أصدرت فرنسا قانون 11 جانفي 1851 لتشجيع إنتاج الخمر الجزائرية وتصديره إلى فرنسا<sup>2</sup>.  
بعدها قامت الجمهورية الفرنسية الثالثة بإدخال زراعة الكروم وصناعة النبيذ، في إطار استغلال الفرنسيين الاقتصادي للجزائر وجاء هذا على حساب إنتاج القمح الذي هو الغذاء الأساسي للجزائريين<sup>3</sup>.  
ويعتبر عام 1880 بمثابة منعطف حاسم في تاريخ انتشار الكروم في الجزائر، وكانت طفرة حقيقية نتيجة تطور المساحات المخصصة لهذه الزراعة، وكذلك سمح بتطور عدد المصانع المنتجة للخمر<sup>4</sup>.  
فرافق تطور إنتاج الخمر زيادة المساحة المخصصة لزراعة الكروم من 20 ألف هكتار عام 1878 لتصل إلى أكثر من 155 ألف هكتار عام 1914، وفي عام 1939 وصلت المساحة إلى أكثر من 411 ألف هكتار<sup>5</sup>، وقدرت مساحة زراعة الكروم في إقليم قسنطينة 25 ألف هكتار<sup>6</sup>. وقدرت اشجار الزيتون المنتجة بدائرة سكيكدة 149885 هكتار عام 1931<sup>7</sup>. والجدول التالي يوضح تطور منتج القمح الصلب عبر بلديات سكيكدة 1856-1950<sup>8</sup>:

السنة / البلدية	1856	1950
الحروش	200 هكتار	2122 هكتار
قاسطون فيل (صالح بوالشعور)	90 هكتار	484 هكتار
سان شارل (رمضان جمال)	197 هكتار	1340 هكتار

ويمنح وادي الصفصاف وسطاً سهلياً متجانساً، سهل المنفذ والإستخدام، يمكن اعتباره أهم منفذ يسمح بربط مرتفعات قسنطينة بسهل سكيكدة، ويتمتع هذا الوسط الطبيعي بوجود نطاق مناخي شبه رطب تخضع منطقتة لميكانيزمات مناخ البحر المتوسط الذي يعكس على النشاطات الاقتصادية للسكان<sup>9</sup>.  
وتتوضع أراضي مراكز وادي الصفصاف على أراضي ذات قيمة زراعية عالية، وامكانيات زراعية واسعة، تظهر بها زراعات الحبوب، وأشجار الزيتون خاصة بالحروش، والزراعات المسقية المتنوعة (خضر وفواكه وكروم)<sup>10</sup>. كما يسمح المناخ شبه الرطب بتنوع المحاصيل النباتية والزراعية (أشجار

<sup>1</sup> حركات محمد، المرجع السابق، ص.9-10.

<sup>2</sup> حلبي عبد القادر علي، جغرافية الجزائر، طبيعية- بشرية- اقتصادية، ط1، مطبعة الإنشاء، دمشق، سوريا، 1968، ص.188.

<sup>3</sup> جلال يحيى، المرجع السابق، ص.216.

<sup>4</sup> Carlonal Jules, L'Algérie Et Ses Produits, Imprimeur Libraire Editeur, Alger, 1922, P.177.

<sup>5</sup> قداش محفوظ، صاري الجبالي، الجزائر في التاريخ المقاومة السياسية 1900-1954، ترجمة بن حراث، ENL، الجزائر، 1987، ص.171.

<sup>6</sup> حلبي عبد القادر علي، المرجع السابق، ص.142.

<sup>7</sup> Meulemen johan hendrik; Le constantinois entre les deux guerres mondiales, l'évolution économique et sociale de la population rurale, 1984, p.311.

<sup>8</sup> بوشامة ليديا، مركز وادي الصفصاف، شبكة المراكز في وادي الصفصاف، فوارق النمو وتنوع وتكامل في الوظائف المرجع السابق، ص.62.

<sup>9</sup> بوشامة ليديا، المرجع نفسه، ص.9-11-19.

<sup>10</sup> بوشامة ليديا، شبكة المراكز في مراكز وادي الصفصاف، المرجع نفسه، ص.33 وأيضا :

Marre Alain, etude geo morphologique des vallées des oueds guebli et safsaf dans le tell nord constantinois, thèse 3<sup>ème</sup> cycle, aix marseille 2, 1983, p.47.

مثمرة، بقول جافة وزراعات صناعية). وأعطى هذا المجال مهمتين: الاستيطان وبناء القرى والانتاج الفلاحي والتصدير إلى فرنسا في إطار التكامل الاقتصادي، وتعد مراكز وادي الصفصاف من أهم المراكز الفلاحية الاستعمارية في الجزائر هدفها استصلاح واستغلال الأراضي الزراعية بإعتبار أن قاعدة الاستعمار ذات طابع استيطاني، فالقرية مغروسة في وسط محيطها تراعى في اختيار موضعها شروط أساسية هي المسافة المتقاربة، المردودية، الأمن، الماء<sup>1</sup>.

ونستخلص بأن القطاع الزراعي الحديث ظل مهينا على معظم الأنشطة والاستثمارات والصادرات والمداخيل التي تستفيد منها أعداد قليلة من المزارعين الأوروبيين المحترين لزراعة الكروم والحوامض على الخصوص، بينما وجد أغلبية الفلاحين الجزائريين أنفسهم يعانون من انعدام الأراضي الصالحة للزراعة وقلة الدعم الفلاحي المخصص لهم وضعف مردودهم الإنتاجي وتعرضهم لخسائر مادية جعلهم يتحولون إلى عمال أجراء في مزارع المعمرين أو في المناجم أو الموانئ أو المصانع بالجزائر وفرنسا.

### المبحث الثالث: النشاط الصناعي:

بعدما أصبحت معظم الأراضي الزراعية الخصبة بحوزة أقلية من المعمريين الأوروبيين مستفيدين من التحفيزات التي يمنحها الاستيطان الريفي لهم، بدوره ساهم الاستيطان الحضري في تطور الصناعة المرتبطة بالبناء، حيث مواد البناء هي أقل تكلفة عند انتاجها في الجزائر، إذا ما قورنت بتكلفتها العالية في الميتروبول، لذلك أنشأت العديد من المؤسسات الصناعية الصغيرة الحجم مهتمة بالرخام (منجم العالية بشرق سكيكدة) ووحدات العجائن ومصانع الأجر.

وكانت القاعدة الصناعية في الجزائر، تشمل الصناعات المنجمية ومواد البناء المخصص للمشاريع العمرانية في المدن والقرى الاستيطانية وتجهيزات الموانئ والنقل وقطاع الأشغال العامة والبناءات الادارية، وأما الصناعات التحويلية فتكاد تكون ذات طابع عائلي<sup>2</sup>.

وكانت سكيكدة من المراكز الصناعية الجديدة التي ظهرت بها صناعة غذائية<sup>3</sup> ومصبرات الخضر والفواكه والطماطم ذات جودة عالية، مع وجود صناعات أخرى متنوعة<sup>4</sup> عام 1959 بمحيط ميناء سكيكدة. وقد ساهم التطور الصناعي نسبيا في تكملة مداخيل الانتاج الغابي والمنجمي المستغلان في محيط المدينة واطرافها، وهذا ما يفسر تعدد مداخيل ميناء سكيكدة حسب تقرير ودراسة الغرفة التجارية لسكيكدة، وبدوره عرف هذا الميناء التجاري الهام تزايد استثماراته وتوسع طاقة انتاجه السنوية<sup>5</sup> حيث انتقلت حجم الاستيعاب من 400 ألف طن عام 1954 إلى 800 ألف طن عام 1958<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> بوشامة ليديا، شبكة المراكز في مراكز وادي الصفصاف، المرجع السابق، ص. 27-47.

<sup>2</sup> Clerc Denis, *Economie de l'algerie*, Les cahiers de la formation administratif, alger, s.d, p.8.

<sup>3</sup> Entreprises pasiotold, scotto di vettino frères .

<sup>4</sup> Des usines de reception de bitume vrac et transformation en liens routiers bitumeux, usine schell esso.

<sup>5</sup> ينظر جداول النقل والحمولات لميناء سكيكدة في ملاحق البحث.

<sup>6</sup> AMS, *Le rapport de la circonscription consulaire en 1959*.

وُجدت في المدينة عدة قطاعات إقتصادية من بينها النشاط الصناعي الذي لم يواكب التطور السريع للزراعة التجارية التي عرفتها الجزائر خلال مرحلة طويلة من الإقتصاد الاستعماري<sup>1</sup>. وكانت هذه الخامات توجه للتصدير إلى السوق الفرنسية أو أسواق خارجية أخرى، كذلك بعض الصناعات التحويلية المحلية التي تتطلبها السوق الداخلية بإلحاح كبعض الصناعات الغذائية<sup>2</sup>. ورغم توفر بعض القطاعات الصناعية في المدينة، تعرف النشاطات الصناعية ضعفا متواصلا، ويمكن إرجاع ذلك إلى العجز الصناعي في الجزائر الذي تعاني منه لعدة أسباب منها: معارضة الصناعيين الفرنسيين، والعوائق الضريبية المفروضة على القطاع الصناعي، وكذلك التكاليف الباهظة للطاقة في الجزائر، واعتراض الصناعيين الفرنسيين على إقامة أي صناعة منافسة لهم في الجزائر لإبقاء الجزائر سوق مضمونة وإحتياطية لتصريف منتجاتهم، خاصة حينما تواجه الصادرات الفرنسية منافسة أجنبية في الأسواق العالمية<sup>3</sup>، لذلك بقيت تبعية النسيج الصناعي للجزائر في تبعيتها المطلقة للسوق الفرنسية<sup>4</sup>.

ويشتمل القطاع الصناعي بالمدينة على ورشات إنتاجية موزعة على عدة مراكز بالمدينة كنطاق الميناء ومختلف المستودعات الموزعة على نواحي المدينة إلى جانب بعض المساحات الصغيرة المتركة في أطرافها<sup>5</sup>.

كانت الجزائر مستعمرة مجبرة على التعامل مع الأسواق الصناعية، وخاصة الفرنسية، تصدر إليها مواد الخام بأسعار منخفضة بينما صادرات هذه الأسواق إلى الموانئ الجزائرية<sup>6</sup> عبارة عن منتجات مصنعة وبأسعار مرتفعة، وهذا ما أثر على الإقتصاد الجزائري وسبب له عجزا في الميزان التجاري، كما انخفض النشاط الإقتصادي خلال الأزمة الإقتصادية العالمية<sup>7</sup>.

لعبت مؤسسات السلطة الاستعمارية وسياسيوها دورا تدريجيا في تحطيم أي محاولة للتعايش السلمي بين المجتمعين، لتتسع الهوة مع الوقت، وحدث تمييز في المجال الحضري أدى إلى خلق مدينة مقسمة، وهذا بعدما فرض تقسيما اجتماعيا وجغرافيا للسكان من المجتمعين الحضريين. وبحكم الفروقات الموزعة على كافة قطاعات الحياة الاجتماعية، واستمرارها وانعدام امكانية تغييرها، إلى مشاكل

<sup>1</sup> Gendarme Rene, L'economie de L'algerie sous développement et politique de croissance, librairie Armand Colin, paris, 1959, P.22.

<sup>2</sup> حركات محمد، شبكة الكهرباء والغاز في الجزائر بين 1946 و 1962، ماجستير في التاريخ، إشراف قشي فاطمة الزهراء، جامعة منتوري قسنطينة، 2004-2005، ص.13.

<sup>3</sup> حركات محمد، شبكة الكهرباء والغاز في الجزائر بين 1946 و 1962، نفس المرجع، ص.ص.14. 17.

<sup>4</sup> Djebari youcef, la france en algerie bilans et controverses, V 3, OPU, alger, 1995, pp.612-613.

<sup>5</sup> حمادة صالح، دراسة في جغرافية المدن، حول مدينة سكيكدة، رسالة ماجستير، المرجع السابق، ص.118.

<sup>6</sup> جدول الموانئ الجزائرية في ملاحق البحث.

<sup>7</sup> رزافي عبد الرحمان، تجارة الجزائر الخارجية، ص.43.

اجتماعية وسياسية على وجه الخصوص، ومما زاد الأمر تعقيدا هشاشة الأوضاع الاقتصادية للمسلمين، جعلتهم عرضة للأزمات، فقد ضربت أزمة الثلاثينات أهالي الحظائر، شكلوا النسبة الغالبة من البطالة<sup>1</sup>. وكانت اليد العاملة إحدى العوامل التي تشجع على استغلال المعادن، لذلك ازداد عدد العاملين بصناعة استخراج المعادن بعد الحرب العالمية الأولى. ففي عام 1930 بلغ عدد العمال اليوميين في مناجم الحديد بعمالة قسنطينة 850 عاملا، وبينما كانت أجرة الأوروبيين المشتغلين كعمال مناجم أو مركبين للأخشاب في المناجم تقدر 30 فرنكا في اليوم عام 1933، فإن أجرة زملائهم الجزائريين بنفس العمل، تتراوح ما بين 12 و14 فرنكا في اليوم، أما أجرة العمال اليدويين من الجزائريين فكانت 6 و8 فرنكات في اليوم. وتبدو مشاركة اليد العاملة الجزائرية في إنتاج المعادن أكثر من ضرورية، خاصة مع تطور عدد المناجم في الجزائر والتي بلغ عدد مناجم الحديد فيها 30 منجما، وتمثل هذه العناصر المنتجة الفئة الشابة المتميزة بالنشاط والحيوية، ليس لهم وعي نقابي لرفع أجورهم الضعيفة، على الرغم من ذلك فقد تناقص عدد العمال في المناجم، بسبب ضعف الإنتاج الناتجة عن الأزمة الاقتصادية العالمية<sup>2</sup>.

وتضافر طابعين استعماريين اثنين أولاهما: الاستيطان وثانيهما الاستغلال منذ أن وطئت فرنسا أرض الجزائر في السنوات الأولى من الاحتلال، فرض فكرة توطين مكثف لمعمرين أوروبيين وذلك لأسباب عديدة، فمن ناحية كان الاستيطان آنذاك يعتبر طريقة الاحتلال المثلى حيث هاجر مئات الآلاف من الأوربيين إلى القارة الأمريكية وأستراليا، ومن ناحية أخرى بدأت فرنسا التي لم تشارك من قبل في هذه الهجرة، تعرف مشاكل خطيرة بسبب البطالة في المدن، وفقد السكان في الأرياف.

وكان قادة الجيش الفرنسي يخشون على السيطرة الفرنسية إن لم يكن بجانب القوات العسكرية عدد كبير من المستوطنين، نتيجة موقف العداء الذي أبداه الشعب الجزائري من الاحتلال ومقاومته المستميتة. فقد بدت كل هذه الانشغالات بشكل صريح في التعليمات المبدئية الصادرة بتاريخ 13 أوت 1891 عن المارشال سولت وزير الحربية آنذاك حيث جاء فيها: (قد انصرف اهتمامي منذ فترة طويلة إلى النظر في الوسائل الكفيلة بتوطين سكان أوروبيين بالجزائر حتى نخلق هناك وبسرعة مصالح ونشاطا إنتاجيا مهما بعض الشيء، ونوفر العون للقوات المستعملة في حراسة البلاد).

ومن المعلوم أن توطين سكان أوروبيين بالجزائر قد تواصل إلى غاية عام 1914 عبر السبل الرسمية، فكانت البيانات تعلق بالبلديات ومكاتب البريد ومحطات السكك الحديدية، وكان يخصص كل سنة عدد من مراكز الاستيطان ينبغي انشاؤها.

<sup>1</sup> أيشودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص. 351.

<sup>2</sup> رزافي عبد الرحمان، تجارة الجزائر الخارجية، المرجع السابق، ص. 50.

وقد بذل السكان الجزائريون كل ما في وسعهم للبقاء حول الأراضي التي انتزعت منهم، بل وبقوا متشبثين بها إما كمستأجرين أو كعمال زراعيين<sup>1</sup>.

وظل النظام الاستعماري محتفظا بنفس نزعة السيادة والسيطرة، فيما يخص الإدماج بالمعنى التقليدي للكلمة، فلم يخص إلا الإقليمين: الإسرائيلي والأجنبي حيث تم إدماج الإسرائيليين على مرحلتين ومنحهم الجنسية الفرنسية بمقتضى قرار مجلس الشيوخ الصادر بتاريخ 14 جويلية 1865، وحقوق المواطنة بمقتضى المرسوم الصادر بتاريخ 24 أكتوبر 1870. أما في ما يخص الأجانب، ولاسيما الأوربيين منهم الذين أدى تزايد عددهم آنذاك إلى تهديد التفوق الفرنسي، فتمت تسوية وضعيتهم بمقتضى قانون التجنس التلقائي الصادر عام 1889. وأما في ما يخص الجزائريين المسلمين فلم يكن قرار مجلس الشيوخ السالف الذكر الذي جعل منهم أفرادا يحق لهم طلب الجنسية الفرنسية بمثابة تكريس لاحتلال أخلاقي.

بعدما أبقى قرار مجلس الشيوخ على القوانين المتعلقة بحالة الطوارئ وعلى التدابير الأمنية المعتمدة ضد الجزائريين، وكان نظاما تمييزيا اعد للأهالي، ووجد صياغته القانونية في القانون الصادر بتاريخ 28 جوان 1881، واستمر العمل به إلى غاية عام 1947 ليحل محله قانون الأهالي، حيث تحول نظامه في الواقع إلى مصدر للعمل القهري والمجاني لفائدة مؤسسة بناء الجسور وشق الطرقات، وتكريس الاستيطان الرسمي بعد 1871 حسب التعليمات التي كانت تصدر عن الحاكم العام بخصوص المراقبة السياسية والإدارية للأهالي الجزائريين والمسلمين الجانب الوافدين على الجزائر باستمرار، سواء بغرض الإقامة أو لمجرد العبور، وذلك اعتمادا على تدابير أمنية عامة ومختلفة، وكان تنقل الجزائريين داخل البلاد إلى غاية عام 1914 خاضعا لرخصة<sup>2</sup>.

ولاشك أن موضوع الاستيطان أو سياسة التعمير الفرنسية بالاستيلاء على أراضي الأهالي من طرف المعمرين، قد تناوله مؤرخون متخصصون في هذا المجال، ولكن الذي تفتقر إليه تلك الدراسات هو دور الأهالي بالمدن في هذا المشروع الاستعماري الضخم ومواقف المعمرين اتجاههم.

لقد لعبت تجارة الجزائر الخارجية خلال عهد الاستعمار دورا كبيرا في ربط اقتصاد الجزائر بالأسواق الخارجية وخاصة السوق الفرنسية، وتحويل الجزائر إلى سوق للمنتجات المصنعة، ومصدر للتزود بالمواد الأولية والغذائية، وتتحمل هذه السياسة الاستعمارية مسؤولية الازدواجية الاقتصادية، وذلك من خلال خلقها لقطاع اقتصادي أوروبي متطور بالجزائر، يستغل إمكانيات الجزائر لفائدة الرأسمالية، وتلبية حاجات الأسواق الخارجية من المواد الأولية والغذائية بأسعار منخفضة.

<sup>1</sup> رزاقى عبد الرحمان، تجارة الجزائر الخارجية، نفس المرجع، ص 77-79.

<sup>2</sup> ساحلي محمد شريف، تخليص التاريخ من الاستعمار، دار القصة، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، ص. ص 80-84-85-86.

وعمل الاستعمار على تخلف القطاع التقليدي الجزائري وعزله عن العالم الخارجي حتى يبقى كاحتياطي لتوسعاته الاستغلالية، وهو ما يعكس التخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي الذي عايشه<sup>1</sup>. ولتحقيق هدف فرنسا المتمثل في جعل الجزائر سوقا لمنتجاتها المصنعة، ومصدرا للتزود بالمواد الأولية والغذائية، عمدت إلى اتخاذ عدة إجراءات كفرض رسوم جمركية عالية على الواردات الأجنبية إليها، وإعفاء الواردات الفرنسية منها، وتوجيه الصادرات الجزائرية إلى السوق الفرنسية وتوجيه السفن الفرنسية لنقلها<sup>2</sup>، باستعمال النقد الفرنسي الفرنك، هذا على اعتبار أن الجزائر مستعمرة ذات أهمية استراتيجية لفرنسا الاستعمارية في بلدان المغرب العربي وإفريقيا.

بعد سنة 1871 تطورت التجارة الخارجية سريعا وخاصة الصادرات، ويعود هذا إلى التطور الذي عرفه إنتاج القطاع الاقتصادي الأوربي، وكذلك الهدوء النسبي الذي ساد الجزائر المستوطنة في مرحلة 1871-1914، والتشجيع الذي لقيه المعمرون من طرف الإدارة الاستعمارية، وتركيز أسس الاستعمار وتنظيم هياكل الحكم والإدارة والاقتصاد مما قوى جانب المعمرين وزاد في إنتاجهم الموجه للتصدير، بحيث برزت خلالها القوى والعوامل التي تحدد وتوجه ملامح السياسة الاقتصادية في الجزائر.

ويبرز دور القطاع الاقتصادي الأوربي في الإنتاج، وهو يخدم الأقلية الأوربية الاستعمارية فيها وأصحاب المصالح الأجنبية، وفي الوقت ذاته كان القطاع الاقتصادي التقليدي يعيش في ركود وتراجع حيث لم يجد أي اهتمام من طرف الاستعمار، ولا يشارك في الحياة الاقتصادية العامة للجزائر نتيجة سياسة الازدواجية الاقتصادية التي أتبعها الاستعمار في الجزائر بهدف ترك القطاع التقليدي كاحتياطي لتوسعاته الاستغلالية، ومصدر لليد العاملة، وسوق للمنتوجات المصنعة الفرنسية، رغم اتساع عدد سكانه وهذا ما جعلهم يركزون على الهجرة الداخلية والخارجية<sup>3</sup>.

أدى نمو الصناعة إلى زيادة الحاجة للعمال، وزيادة حجم المدينة، وشدة إقبال الناس عليها، ويرتبط التصنيع بالتحضر من حيث كونه سببا أساسيا من أسباب عمران المدينة، ونموها السريع مساحة وسكانا ووظيفة، وتنقسم معها المدينة إلى أقسام، وكلما زادت المدينة حجما زادت الأقسام الفرعية (الإدارية، التجارية، الصناعية، الترفيهية) عددا وتخصصا<sup>4</sup>.

تركز برنامج الاستثمار في عهد الاحتلال الفرنسي حول تزويد البلد بالمرافق الأساسية، وبصفة خاصة في استغلال الموارد المنجمية والجوفية للتصدير<sup>5</sup> وفي قطاع الزراعة الاستعمارية الحديثة.

<sup>1</sup> رزاقى عبد الرحمن، تجارة الجزائر الخارجية، صادرات الجزائر فيما بين الحربين العالميتين، المرجع السابق، ص 5.

<sup>2</sup> الوثيقة (نقل المواشي عبر ميناء سكيكدة نحو السوق الفرنسية) في ملاحق البحث .

<sup>3</sup> Ibid

<sup>4</sup> رشوان حسين أحمد، المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري، المرجع السابق، ص 129.

<sup>5</sup> تضم منطقة سكيكدة مناجم للحديد والرخام.



وأما التنمية الصناعية فظلت مهملّة، كما هي الحال في جميع المستعمرات حتى بداية العقد الخامس من القرن 20م، وهذا رغم قيام بعض الشركات الفرنسية بالعمل خلال فترة ما بعد سنة 1945 لإنشاء فروع لها لتستفيد من بعض المواد الخام وخصوصا من اليد العاملة الرخيصة.

وتميّزت هذه الحركة الصناعية بمحدوديتها من حيث الكم والكيف معا، رغم أن معدل النمو الصناعي عرف ارتفاعا خلال الفترة الممتدة 1954-1960 بسبب التوسع الذي شهده قطاع المصنوعات، خصوصا في صناعة الأغذية والمشروبات والتبغ ومواد البناء والمنتجات الكيماوية والورق ومشتقاته، وارتبط هذا التوسع بزيادة الاستهلاك المحلي ولا سيما في مواد البناء والاستثمارات، بعدها تقلص النمو الصناعي خلال الفترة 1960-1962، حينما ساد الركود في معظم فروع الصناعة الجزائرية كصناعة المنسوجات والتعدين والطاقة<sup>1</sup>.

وأصبح الجزائريون يعملون في ملكيات القادمين الجدد نتيجة الموارد الطبيعية المسخرة لمصلحتهم من طرف الاستعمار، الذي جعل الملكية الأهلية للأراضي تتناقص باستمرار<sup>2</sup>.

وتحولت اليد العاملة الجزائرية الرخيصة إلى عمال بسطاء عاطلين بعد توسيع استعمال الآلة من طرف المعمرين. ومن العوامل المساعدة على تطور النشاطات الاقتصادية والتجارية لمدينة سكيكدة ظهور الغرفة التجارية لسكيكدة<sup>3</sup> التي لها مهام التنظيم والإشراف على الحياة الاقتصادية في مقاطعة سكيكدة بأجمعها التي كانت تهدف إلى خدمة مصالح المدينة في توسيع الاستثمار والتجارة، حيث ساهمت أيضا في توسيع حركة التصدير والاستيراد في ميناء سكيكدة.

وكان السوق هو مركز نشاط المدينة وحياتها ومصدر ثرواتها حيث زادت قدرة المدينة على جذب العناصر الجديدة التي لم تكن مقيمة بها<sup>4</sup>.

ويشتمل القطاع الصناعي بالمدينة على قطاعات انتاجية موزعة على عدة قطاعات بالمدينة كنطاق الميناء والمستودعات المتمركزة في نواحي المدينة وبعض المساحات الصغيرة المتواجدة في أطراف المدينة بالمنطقة التجارية.

وأصبح التصنيع مسألة حيوية بالنسبة للاقتصاد الكولونيالي في نهاية الحقبة الاستعمارية، لحل جميع المشاكل المستعجلة، توفير العمل، تحسين المستوى المعيشي للسكان، ومصدر جديد للثروة، ضمان التوازن التجاري للجزائر. لهذا ظهرت أولوية التصنيع السريع لتعويض التأخر الكبير المسجل في معظم القطاعات، لكن حركة التصنيع واجهتها صعوبات كبيرة، خاصة نقص المصادر الأولية والتكلفة الباهظة للطاقة الفحم مثلا. وتضم الجزائر 60 وحدة للعبّات دخلت حيز الاستغلال المحدود سرعان ما سمحت

<sup>1</sup> العربي اسماعيل، التنمية الاقتصادية في الدول العربية، SNED، ط2، 1980، الجزائر، ص.133-135.

<sup>2</sup> أجبرون شارل روبر، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عصفور، ص 102.

<sup>3</sup> تعد الغرفة التجارية لمدينة سكيكدة هي من أقدم غرفة تجارية في الجزائر.

<sup>4</sup> رشوان حسين أحمد، المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري، المرجع السابق، ص.122.

بإنتاج 500 ألف طن من البترول الخام عام 1958، تنتقل البترول من حاسي مسعود إلى توقرت حيث يتم تسويقه نحو موانئ عنابة وسكيكدة<sup>1</sup>.

وتشتمل الصناعة بالمدينة على تصبير السردين بالزيت التي يتم وضعها في علب مغلقة لتحول نحو فرنسا وبريطانيا. ونجد بأن المدينة وصلت إليها يد عاملة متنوعة من بينها عمالة من بسكرة، تمتهن مهن متنوعة كالحبازة والحمالين مما يدل على وجود نواة أول هجرة أهلية من الجنوب، حيث أغلب عمالها ينشطون في أرصفة ميناء سكيكدة خلال السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي للمدينة<sup>2</sup>. أقامت الشركات الصناعية والخدماتية الفرنسية العاملة في الميتروبول والجزائر فروع لها بسكيكدة، لذلك ظهرت عدة صناعات التي وصل عددها إلى 1000 مؤسسة صناعية كل واحدة منها تشغل من 4 إلى 5 عمال، معظم مسئوليتها أوروبيين، أهمها وحدات للصناعة الغذائية كالمعلبات والمشروبات والسجائر، وحدات الصيانة والصناعة الميكانيكية<sup>3</sup>.

يعتبر مصنع الاخوة فاساس<sup>4</sup> من أهم المصانع بالمدينة، حيث تولى راؤول أميال ادارة مؤسسات فاساس المشرفة عليه لمدة 36 سنة، منها فترة انتقال المصنع لاطاليا سنة 1880 لغاية سنوات 1920. وفي سنة 1923 شكل مؤسسته بسكيكدة التي تضم 30 عامل، مختصة في انتاج وتسويق سدادات الفلين. فقد تعمد الاستعمار الفرنسي حرمان الجزائر من أي صناعة أساسية أو بنية تحتية لعدة عشرات، ولم تكن الصناعة الفرنسية التي خربتها الحرب العالمية الثانية، قادرة على تزويد الجزائر بالمعدات الضرورية في عملية اعادة الاعمار، مع عجز فرنسا عن استيراد المواد الرئيسية لذلك<sup>5</sup>. عمل الاستعمار الفرنسي على توطين الاقتصاد الكولونيالي في الجزائر، حيث يتحكم المعمرون في كل عناصر الانتاج والثروة، باعتبار أن هذا الاقتصاد يعد جزء من المستعمرات الفرنسية المدعمة لاقتصاد البلد الاستعماري.

ويتميز هذا الاقتصاد الكولونيالي بأنه اقتصاد تجاري، موجه لتوفير وتصدير المواد الأولية الرخيصة الثمن، واستيراد المواد المصنعة من البلد الاستعماري. ويمكن ارجاع العجز الصناعي بالجزائر لعدة أسباب: معارضة الصناعيين الفرنسيين والعوائق الضريبية، والتكاليف الباهظة للطاقة في الجزائر. فكان الصناعيون الفرنسيون يعترضون على إقامة أي صناعة منافسة لهم في الجزائر حتى تبقى الجزائر السوق المضمونة والاحتياطية لتصريف منتجاتهم خاصة حينما تواجه الصادرات الفرنسية صعوبات بسبب المنافسة الاجنبية في الاسواق العالمية<sup>6</sup>. ولم يظهر المعمرون أي اهتمام بالاستثمار في

<sup>1</sup> Soler Jean, *L'industrie Algérien, opusculé*, édité par L'ofalac, 1956-1957, E.desfosses-neogravure, paris.

<sup>2</sup> Ledermann emile, p.101.

<sup>3</sup> Nouschi André, *L'algerie Amer*, Op cit, p.26.

<sup>4</sup> L'usine de Pipes A et J. Vassas de philippeville.

<sup>5</sup> حركات محمد، *شبكة الكهرباء والغاز في الجزائر بين 1946 و 1962*، المرجع السابق، ص.41.

<sup>6</sup> Djebari Youcef, *La France en algerie bilan et controverses*, v3, OPU, Alger, 1995, p.612-613.

المجال الصناعي فيما عدا ما كانت له علاقة مباشرة بممارستهم للزراعة التجارية، لكن ظروف الحرب العالمية الثانية وما أفرزته من نتائج، حتمت الحكومة الفرنسية إلى تغيير وتعديل وجهة نظرها السابقة. ان فكرة تصنيع الجزائر إذا، مرتبطة بظروف ونتائج تلك الحرب وبحاجة فرنسا لتعزيز موقعها في أوروبا والعالم، ووجودها كإمبراطورية استعمارية، استعجلت الحرب ظهور الاحتياطات الصناعية للجزائر<sup>1</sup>. فتعددت الشركات المتنافسة على استغلال قطاعي الكهرباء والغاز في الجزائر، أقيمت معامل كهرومائية للإنتاج، محطتان حراريتان الأولى في سكيكدة والثانية في عنابة بالإضافة إلى بضعة وحدات محلية صغيرة. ويعود انجاز أغلب محطات توليد الطاقة الكهربائية في الجزائر إلى فترة العشرينات من القرن 20م وبخاصة منها المحطات الحرارية، مثل محطتي وهران عام 1923، وسكيكدة عام 1927، إلى جانب الجزائر، عنابة عام 1930<sup>2</sup>. كما أقيمت معامل في قطاع انتاج الغاز في مدن الجزائر، وهران، يستعمل فيهما تقنيات حديثة، وكذلك معمل قسنطينة وسكيكدة المعوضين بأخرين جديدين وآليين يستعمل فيهما الوقود السائل أي النفط بدلا عن الفحم<sup>3</sup>.

فترابدت ظاهرة النزوح الريفي الناتجة عن الأزمة الفلاحية وتطور بعض الصناعات حول المدن، عقب تحويل بعض رؤوس الأموال من فرنسا إلى الجزائر من أجل استثمارها، فظهرت بعض المؤسسات التي تعرضت لخسائر بسبب رداءة منتوجاتها، اضطرت إلى غلق أبوابها وتسريح عمالها<sup>4</sup>. نستخلص بأن الصناعة في الجزائر ارتبطت بالسياسة الاقتصادية الاستعمارية التي عملت على حرمان مستعمراتها من أي تطور صناعي وجردها من أي قاعدة صناعية لحاجتها للسوق الجزائرية تمونها بالمواد الأولية الضرورية لاقتصادها وتسوق انتاجها من السلع الصناعية نحو أسواق مستعمراتها. ومن خلال ما تقدم ذكره، نخلص إلى أن الاستعمار الفرنسي أراد تكوين اقتصاد جزائري يوفر المواد الأولية للصناعة الفرنسية ويستورد بضاعتها، وفي الوقت ذاته لا يشكل أي خطر عليها، فهو اقتصاد هش لا يستطيع منافستها. وهذا التصور الكولونيالي هو الذي أنتج اقتصاداً ضعيفاً في الجزائر مجرداً من أي قاعدة صناعية أو بنية تحتية الشيء الذي جعله غير قادر على الاعتماد على ذاته في حالة تعطل اتصالاته مع فرنسا، كما حدث أثناء الحرب العالمية الأولى والثانية<sup>5</sup>.

ورغم ضعف هذا القطاع لعبت بعض الوحدات الصناعية دور في التعريف بالمدينة كتصبير الأسماك، سدادات الفلين، ومقاولات البناء والأشغال، إلا أن قدراتها محدودة التشغيل والانتاج والتصدير عموماً.

Dumoulin Roger, *La structure asymétrique de l'économie algérienne d'après une analyse de la région de bone*, édition genin, paris, p.357.

<sup>1</sup> حركات محمد، شبكة الكهرباء والغاز في الجزائر بين 1946 و 1962، المرجع السابق، ص.37.

<sup>2</sup> حركات محمد، شبكة الكهرباء والغاز في الجزائر بين 1946 و 1962، المرجع السابق، ص.51-57.

<sup>3</sup> حركات محمد، شبكة الكهرباء والغاز في الجزائر بين 1946 و 1962، المرجع السابق، ص.85.

<sup>4</sup> Nouschi André, *La naissance du nationalisme algérien*, op cit, p.102.

<sup>5</sup> حركات محمد، شبكة الكهرباء والغاز في الجزائر بين 1946 و 1962، المرجع السابق، ص.21.

### المبحث الرابع: النشاط التجاري:

كان ميناء سكيكدة في البداية عبارة عن مرفأ بني من أعمدة من الحديد الصلب تمكن السفن الراسية القيام بعملية التفريغ مباشرة على أرضيته، ويتم تفريغ حمولتها على رمال شاطئ سطورة المتواجد على بعد 3 كلم غرب مرفأ سكيكدة، ثم تحمل هذه السلع على عربات مسطحة لإيصالها إلى المدينة، وكان الجدول قائم في البداية حول اختيار موقع الميناء سواء في سطورة أو سكيكدة، وشمل المشروع الابتدائي بناء حاجز كبير يحيط بالميناء من الشرق والشمال، وحاجز آخر من غرب الميناء مع ترك مضيق للمرور، وقدرت المساحة المغطاة 17هكتار تمتد أمام المدينة<sup>1</sup>، في عام 1843 قام دي مارك<sup>2</sup> بانجاز مشروع ميناء في سكيكدة التي اعترض المفتش العام عليه، واعتبر بأن المدينة يلزمها انجاز ميناء كبير. فعرف خليج نوميديا خلال فترة 1841-1854 وصول عواصف هوجاء حطمت عشرات السفن المتمركزة بميناء سطورة للصيد مما أخرج مشاريع انجاز ميناء سكيكدة، حيث أخذت تكاليف نقل البضائع أو عرضها منحى تصاعديا نتيجة عدم إقامة هياكل مناسبة، وانتهى الأمر إلى الاقتناع بأنه لا يمكن لمدة أطول، الاستغناء عن ميناء هام للتجارة في خليج سطورة، ولا مجال للتردد لأهمية الأعمال التي ستجز. وإتباعا للرأي العام تم اختيار سكيكدة نفسها، وهذا بعدما كلف مهندس طبوغرافيا بوترو<sup>3</sup> بدراسته، حيث قدم مشروعا تمهيدا عام 1871، اقترح فيها مصبا واسعا يحيط بالميناء من الشمال، ومصبا عموديا في الشاطئ من أجل غلق الميناء من الغرب، حيث أن مختلف المجالس التي استشارتها أبعدت سطورة، وهذا لأن المدينة أصبحت تضم 10000 ساكنا بينما سطورة تقع ضمن منطقة جبلية شديدة الانحدار لا يمكنها التوسع لا في البحر حيث مياهها أكثر عمقا، ولا عبر البر، ولذلك وقع الاختيار على مشروع بوترو مع بعض التعديلات، أما المشروع النهائي فقد تم الموافقة عليه عام 1860، حيث بلغت تكلفته 12.000.000 فرنكا.

وجاء في قرار 28 جويلية 1860 بأن الأشغال ذات منفعة عمومية، وكانت أول أجزاء هذا المشروع تمت مناقشتها بتاريخ 20 فيفري 1861 للسادة قودبارغ<sup>4</sup>، ليسكا<sup>5</sup>، بيكادو<sup>6</sup>الذين تحصلوا على 2.800.000

<sup>1</sup> بورجم سهام وأخرون(خزري صونيا، عميور أمال)، مشروع القطب المينائي لسكيكدة بين الظهير والعولمة، مشروع لنيل مهندس دولة في التهيئة الإقليمية، اشراف محسن بوركازة، 2000، ص.34.

<sup>2</sup> الملازم النائب للمركب دي مارك De marque

<sup>3</sup> بوترو Boutroux اطلقت تسميته على احدى الاماكن العمومية في سكيكدة شارع بالميناء، اعترافا بمساهمته في وضع مشروع ميناء سكيكدة.

<sup>4</sup> قودبارغ Godbarge

<sup>5</sup> ليسكا Lesca

<sup>6</sup> بيكادو peccadeau

فرنكا من مبلغ 100 مليون التي منحتها الشركة الجزائرية ثم منح في فيفري 1867 كاستور<sup>1</sup>، ولغاية عام 1870 لم تنته أشغال الميناء ولم يؤهل لاستقبال السفن التجارية<sup>2</sup>.

وفي عام 1854 عرض كل من فريدريك وأوجين لأكروا مدعومين بجماعة إنجليزية (كلادستون، هانكي، هوب)، وأخرى ألمانية (إيرلاجير، شميت، كونيقواتار) القيام بإنشاء سكك حديد على امتداد طولي يقدر 87 كلم، تربط سكيكدة و سطورة بقسنطينة أكبر نقاط التجارة في المستعمرة الأمر الذي يجعل هذا الخط من أنشط خطوط العبور في الجزائر، مع إمكانية تمديده لاحقا جنوبا نحو باتنة، وإرفاق مشروع هذا الخط الحديدي بمشروع صيانة وتجديد ميناء سطورة الذي سيدعم الحيوية التجارية لهذا الخط<sup>3</sup>.

ورغم التأخر في تكملة أشغال توسعة ميناء سكيكدة، بقي نشاطه التجاري واسعاً، بحيث بلغت صادرات ميناء سكيكدة من الحبوب وغيرها من المواد المصدرة عام 1846 ما قيمته: 625000 فرنكا وتزداد أهميته بالنسبة للصادرات الفرنسية مع ارتفاع صادراته نسبياً عام 1850 المقدرة 763917 فرنكا، وبعد سنة وصلت إلى 2178758 فرنكا أي بزيادة قدرت 1414841 فرنكا<sup>4</sup>.

ورغم عدم القدرة على تجسيده ميدانياً<sup>5</sup>، إلا أن الدراسات المنجزة من حيث معايير الشبكة، وإختيار قوائم الشروع المقدمة، سمحت بسن قانون 20 جوان 1860 أقر رسمياً بالترخيص العملي للشروع في إنجاز ثلاثة خطوط عادية، الأولى في الشرق بين سكيكدة وقسنطينة تمتد على طول 87 كلم<sup>6</sup>، بحيث قدرت نفقات الإنجاز التي تم تحفيضها إلى 39800000 فرنك. وبعدها منح أول إمتياز لإنشاء مشروع السكك الحديدية لفائدة الشركة الجديدة وهي شركة السكك الحديدية الجزائرية CDFA<sup>7</sup>.

ودخل خط السكك الحديدية الرابط من سكيكدة بقسنطينة حيز التطبيق في 26 أوت 1860، مع وجود محطات على مستوى مراكز وادي الصفصاف: سكيكدة- الحروش 32 كلم، روبرت فيل، سان شارل، بوقرينة، قاسطون فيل<sup>8</sup>.

وشمل المشروع النهائي لبناء الميناء قرب المدينة الجديدة فيليب فيل عوض سطورة والموافق عليه من قبل الهيئات المختصة عام 1860 على: بناء حوض مائي من الناحية الشرقية، وبناء حاجز أفقي لغلق

<sup>1</sup> كاستور Castor

<sup>2</sup> Solal Edourd, *philippeville et sa région*, Op-cit, pp176-177.

<sup>3</sup> Bernard Augestin, 1931, *op. cit*, p.2

<sup>4</sup> نوشي أندري، المرجع السابق، ص.ص: 200-235-، أنظر فركوس صالح: مقاومة واحتلال، المرجع السابق، ص.171.

<sup>5</sup> لقد أملت الأزمة الاقتصادية التي حلت بفرنسا إلى التفكير في جلب رؤوس الأموال الأجنبية وإنشاء مثل هذه المشاريع الضخمة، لهذا أرفق لأكروا مشروعاً بدراسة مالية، قدرت تكاليفها 44 مليون خاصة بفرع سطورة سكيكدة، وتكاليف الميناء تصل إلى 2 مليون، كما ضمن هذا المشروع عدة شروط مالية من بينها منحهم نسبة 5 % من ضمان الفائدة العامة للمشروع تنازلات عن الأرض التي تجاور الميناء، حيث أثقلت هذه الشروط المكلفة كاهل الدولة، مما أدى إلى فشله. أنظر حوحو رضا، شبكة السكك الحديدية الفرنسية في الجزائر، المرجع السابق، ص.53.

<sup>6</sup> حوحو رضا، شبكة السكك الحديدية الفرنسية في الجزائر، المرجع السابق، ص.61.

<sup>7</sup> شركة السكك الحديدية الجزائرية Compagne de chemin de fer Algérien المؤسسة من طرف لأكروا بارولي مورتون بيتو بتاريخ 11 جولية 1860، وتضمن هذا الإمتياز إنشاء خطوط في الوسط ( الجزائر - البلدية) والغرب ( وهران - السيق) إلى جانب خط الشرق سكيكدة - قسنطينة، ومدته تقدر سنوات، أنظر: حوحو رضا، شبكة السكك الحديدية الفرنسية في الجزائر، المرجع السابق، ص.ص.77-81.

<sup>8</sup> *Monographie d'el harrouch*, Op-cit, P.4.

الحوض المائي وانشاء ميناء مؤقت، بناء الحاجز الأكبر الممتد على طول 1400م، وبناء حاجز القصر الاخضر وبصفة نهائية المساحة الامامية للميناء، حيث انطلقت الاشغال عام 1861.

وأما الفترة الموالية بين سنتي 1891-1959 اقتصرت العمليات على:

تمديد طول الحاجز الكبير 295م بين سنتي 1891-1897، بناء مساحات مغطاة وارضفة جديدة من عام 1930 لغاية عام 1957 ساعد على تزايد نشاط ميناء سكيكدة.

وتلاها بناء رصيف القصر الأخضر حيث انطلقت الاشغال به عام 1959 حتى نهاية سنة 1964<sup>1</sup>، وبفضل توسع ميناء سكيكدة والمشاريع المنجزة تمكن من منافسة باقي الموانئ الجزائرية الأخرى.

وتعد الوظيفة التجارية للمدينة بحق أحد أبواب الاستعمار الاقتصادي لعمالة قسنطينة التي ساعدت على تمركز أعداد كبيرة من الأوروبيين فيها، وأصبح ميناء سكيكدة من أهم الأبواب لدخول الجزائر الاقتصاد والتجارة العالميتين، مستفيدة من ظهورها المنتج للمحاصيل الزراعية والمعدنية، بينما النظير يتكون من البلد المستعمر في الميتروبول الفرنسي والدول المجاورة له، حيث يتم استقبال المنتوجات الاتية على مينائها الذي أصبح عبارة عن نقطة عبور أو وسيلة لاستغلال المجال المحلي والاقليمي لمصلحة الاقتصاد الفرنسي<sup>2</sup>.

وفي 23 أوت 1870 تم فتح الطريق المتمثل تقريبا في الطريق الروماني القديم الذي يربط قسنطينة وسكيكدة، بعد تهيئته وتوسعته بإعتباره ممرا بريا يشجع التنقلات البشرية والتبادلات الاقتصادية والتجارية بين الساحل والداخل، فأصبح بذلك قطبا اقليميا على مستوى الشرق الجزائري، وجعل سكيكدة واجهة بحرية وتجارية مفتوحة على الخارج<sup>3</sup>، وبتدشين هذا الخط الحديدي بين قسنطينة وسكيكدة، ساهم في فك العزلة على المناطق التي يمر عليها ويجعل منها نقاط التقاء وتبادل بين سكان التل والصحراء<sup>4</sup>.

كانت السلطات الفرنسية تهدف إلى تطوير التجارة في الجزائر الكولونيالية، وتوصيلها إلى المناطق التي يتمركز فيها عدد من الأوروبيين، حيث ساهم الجيش الفرنسي في رفع كمية مستورداته من السلع سنويا لتزويد الفرق العسكرية في الداخل مع قيامه بتحديد أسعار مختلف المنتجات، وبالتالي يعد أول معدل للأسعار في السوق مما سمح بإرتفاع الحركية التجارية في المدن، وخاصة بعد نمو القرى في

<sup>1</sup> بورجم سهام وآخرون(خزري صونيا، عميور أمال)، مشروع القطب المينائي لسكيكدة بين الظهير والعولمة، مشروع لنيل مهندس دولة في التهيئة الاقليمية، اشراف محسن بوركزازه، 2000، ص.33.

<sup>2</sup> بورجم سهام وآخرون، مشروع القطب المينائي لسكيكدة بين الظهير والعولمة، اشراف محسن بوركزازه، المرجع السابق، ص.173. للتوسع ينظر: بوركزازه محسن، تطور الوظيفة لمينائية لسكيكدة، رسالة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، وأيضا:

Boukerzaza Hosni, Le littoral skikdi: du désenchantement industriel à la vocation agricole et touristique, Tunis, 2000 , In revue tunisienne de géographie, n°31.

<sup>3</sup> بوشامة ليديا، المرجع السابق، ص.46.

<sup>4</sup> بن حسين كريمة، الحياة السياسية في قسنطينة، المرجع السابق، ص.5.

المحاور التجارية الأساسية، ومحاولة المكاتب العربية لخلق أسواق قرب المدن الساحلية (تنس، مستغانم، سكيكدة..)، بغرض زيادة نسبة الصادرات نحو فرنسا<sup>1</sup>.

واعتبرت مدينة سكيكدة ذات أهمية حيوية للاقتصاد الفرنسي نتيجة نشاطها التجاري المتزايد، فحسب تقرير مكتب الشؤون العربية لهذه المدينة عام 1857 فإن سوقها يتميز بالنشاط، يتم فيه تسويق الحبوب والمواشي، والصوف، الزيت، الدخان، والأقمشة..<sup>2</sup>

كان من الضروري إيجاد بوابة تربط الداخل بالخارج عبر سكيكدة الذي يقع في الجزء الجنوبي من خليج سطورة حيث تطل المدينة على البحر المتوسط وهو بمثابة ثغر لها يفتح غربا بعد رصيف مستعرض يفصله عن المدينة، إلى جانب حصانة الميناء وحمايته من الرياح الغربية التي تسود شتاء، وبذلك طرح مشروع انشاء ميناء سكيكدة للبحث، وبعد تعرض مجموعة من السفن الراسية في البحر من غير حماية طبيعية، نتيجة هبوب عاصفة قوية في شتاء 1854.

بعدها ازدادت أهمية الاسراع في هذا المشروع واكتمل إنشاؤه تقريبا عام 1876، حيث فتح في وجه الملاحة، وتم ربطه بأهم المدن بواسطة خط حديدي لنقل السلع والبضائع إلى مختلف الجهات الشرقية، وعلى الرغم من أن الظروف الطبيعية لموضع سكيكدة الجبلي حرمت المدينة والميناء من المساحات الجيدة للتوسع، فإن لها مزايا أخرى تتمثل في حصانة الميناء وموقعه الجغرافي الهام، خاصة وأنه يحتمي من الشمال بحاجز اصطناعي يبدأ من رأس سكيكدة شرقا ويمتد في البحر لمسافة 1645م، في حين يمتد الحاجز الصخري الثاني غربا عند القصر الأخضر، وهو بمثابة لسان اصطناعي كاسر للأمواج عند مدخل الميناء، ويفصل بين الحاجزين ممر مائي بعرض 130م، ويتكون الميناء من حوضين مائيين عظيمين: الحوض الأول يعرف بمقدمة الميناء أو الميناء الأمامي ومساحته 26 هكتارا.

جدول يمثل تطور كمية الصادرات والواردات من ميناء سكيكدة<sup>3</sup>:الطن المتري بين سنتي 1960-1962.

السنة	الصادرات	الواردات	الإجمالي - جملة-
1960	720000	600000	1320000
1961	375000	645000	1020000
1962	180000	760000	940000

ونظرا لأن الجزائر كانت تعتبر جزءا من فرنسا، نصت المادة الأولى من القانون الجمركي الفرنسي على أن الرقعة الجمركية الفرنسية تشمل فرنسا وكورسيكا والجزائر والجزر الفرنسية الواقعة وراء البحار والمياه الإقليمية المجاورة للمناطق المذكورة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> حوحو رضا، المرجع السابق، ص.42.

<sup>2</sup> فركوس صالح، نفس المرجع، ص.172.

<sup>3</sup> حمادة صالح، دراسة في جغرافية المدن مدينة سكيكدة، المرجع السابق، المرجع نفسه، ص.167-170 ص.170.

<sup>4</sup> العربي اسماعيل، التنمية الاقتصادية في الدول العربية، SNED، ط2، 1980، الجزائر، ص.161.

ونجد في الشرق الجزائري تراجع الارتباطات الاقتصادية التقليدية الموجودة بين مينائي بجاية وعنابة بقسنطينة لصالح ميناء سكيكدة، وهو دليل على أهمية التوسع الذي طرأ على شبكة سكك الحديد، وادراك تام لضرورتها في الاقتصاد التي لقيت الدعم من طرف الشركات التجارية وغرف التجارة. إن تطور السكك الحديدية كوظيفة النظام الاستعماري بالجزائر في أواخر القرن 19م، كانت منظره لتأمين السيطرة وتوسيع الاستيطان، وتسهيل ادخار المستعمرة في الاقتصاد العالمي، ويعد القطار من أهم شبكات النقل لما تتميز به من نقص التكلفة، السرعة والنقل المنتظم للسلع بالجملة، وازداد دور خدماتها بأهمية الوقت في النشاط التجاري، فكان متوسط سرعة أقطرة السلع من سكيكدة-قسنطينة، أصبحت تنقل على أقل مما كانت عليه في السابق، بحيث تنقل خلال 6 ساعات بالقطار، عوض العربة التي تستغرق يومين، هذا إلى جانب خفض التكلفة مقارنة بعربات النقل، واعتبر الخط الرابط بين سكيكدة وقسنطينة من أهم الفروع فيما يخص عائداته، وشكل فائدة أو حافزا لتجارة المستعمرة خلال فترة التسعينات من القرن 19م<sup>1</sup>. فحدثت تغييرات هامة في حجم المنقولات من سنة لأخرى، وهذا ما لاحظته بيردو عام 1891 الذي اعتبر خط سكيكدة- قسنطينة يعد أكبر نسبة في حجم حركة المنقولات حيث كان لسكك الحديد أهمية كبرى في نقل الحبوب من الموانئ نحو الأسواق الداخلية، حيث استوردت كميات كبيرة من تمويل استهلاك المناطق الداخلية للمستعمرة.

كانت منطقة سكيكدة قبل الإحتلال الفرنسي تعتمد على قطاعات تقليدية تشمل الزراعة وتربية المواشي، إلى جانب ممارسة التجارة التي يتم احتكارها من طرف الأجانب، وذلك بتشجيع من رجال السلطة العثمانية في شمال بايلك قسنطينة، حيث اعتمد النشاط التجاري المحلي أساسا على المنتوجات المتداولة في الأسواق الأسبوعية التي تصل إلى تلك المنطقة عن طريق القوافل التجارية. وظلت الأوضاع على حالها في الفترات الأولى للإحتلال الفرنسي للجزائر، بحيث لم تتمكن سلطات الإحتلال من توسيع النشاط التجاري في شرق الجزائر، هذا على اعتبار أن تلك التجارة الممارسة خلال سنتي 1838-1841 عرفت بالجمود الأمر الذي جعلها محل انتقاد من طرف عدد من المفكرين من بينهم بلانكي، حيث أن التجارة تتم بواسطة مجموعة من البغال تتراوح ما بين 150 إلى 200 بغلا كانوا في حركة تنقل دائمة بهذه المنطقة لضمان تبادل المنتجات ووصول البضائع.

وبرزت رغبة لدى الفرنسيين في تأهيل المدينة القديمة، وإعادة تعميرها بعدد معتبر من الأوروبيين لإستيطانها، إلى جانب ذلك واجه السكان الوافدون خطر هجمات الثوار الراضين للإحتلال. وكانت المدينة وضواحيها تتعرض من حين لآخر لإعتداءات مستمرة الأمر الذي عجل ببناء سور يحيط بسكيكدة من كل النواحي يحتوي على عدد من المداخل تحت مراقبة قوات دائمة، حيث تعمل هذه

<sup>1</sup> حوحو رضا، شبكة السكك الحديدية الفرنسية في الجزائر وأثرها في تدعيم سلطة الاستعمار 1830-1914، رسالة ماجستير، اشراف سقالي، ص.144-147-168..



التحصينات الدفاعية على حماية هذا المركز الأوروبي الجديد من أخطار المقاومين، والعمل على تأمين سلامة الفرنسيين مما ساعد على تنمية المدينة وإزدهار نشاطها التجاري ومكن من تعويض فرنسا ما كانت تحتاجه من المكسيك، بحيث دخلت ميناء سطورة 459 سفينة تجارية في الفترة الممتدة من 16 فيفري لغاية 31 أوت 1839، وخرجت منها 456 سفينة أخرى من دون حساب السفن التابعة للدولة، بل أن تجارة منطقة سكيكدة تنافس تجارة تونس، كما نشطت التجارة بين سكيكدة وقسنطينة بعدة قوافل، بل أصبحت سكيكدة تمول الجزائر العاصمة، وزادت كمية التجارة 2000 طن في الأشهر الأربعة الأولى لعام 1840 عن الأربعة الأشهر الأولى من عام 1839، حيث يباع في سوق المدينة 200 رأس بقر يوميا، بينما خلال أربعة أشهر تم شراء 4000 رأس بقر، و2000 رأس غنم، وتوجد إلى جانب هذه المبيعات: الجلود، الصوف، الخشب، وانعكس هذا الوضع المستقر على ازدياد الهجرة الأوروبية نحوها، وخلالها بني 51 منزلا بقيمة 750000 فرنك.

وحسب تقرير أعدته وزارة الحربية الفرنسية في 1ماي 1840 حول الحركة التجارية على السواحل وخاصة في ميناء سطورة في مارس 1839 بلغت البضائع المصدرة على متون 459 سفينة، 5076 طنا. وقدرت بضائع الواردات على متون 4056 سفينة تجارية أوروبية 26182 طنا، وجاء في نفس التقرير السابق بأنه في شهر أبريل 1846 كان ميناء سطورة محل نشاط 156 سفينة فرنسية وأجنبية. بعدها تزايد النشاط التجاري بمنطقة سكيكدة، خاصة وأن المنطقة غنية بالحيوانات المطلوبة من طرف الفرنسيين حيث تم شراء 2042 رأس غنم من سوق سكيكدة-فيلب وتم تصديرها إلى جيجل والجزائر العاصمة، وكانت تبيع الإبقار والجلود والصوف والخشب.

وبلغت قيمة الصادرات بميناء سكيكدة عام 1839 ما يمثل 183930 فرنكا ومن أهم المواد المصدرة هي: الحيوانات والمواد الصناعية، بينما بلغت قيمة الواردات للنشاط التجاري لميناء سكيكدة عام 1839 ما قيمته 2848784 فرنكا، حيث تعد المواد الغذائية والكحولية من أهم المواد المستوردة.

وبعد وصول التجار الأوروبيين إلى مدينة سكيكدة، إزدادت عملية التبادل التجاري بها، وتطلب انجاز مشاريع تجارية كتأسيس محلات تجارية ومكاتب جمركية، وتوسيع حوض ميناء سكيكدة لاستقبال عدد متزايد من السفن. وبعد احتلال مركز القل أعقب التوسع العسكري نشاطا تجاريا متزايدا.

واستفادت منطقة سكيكدة عقب الشروع في تعبيد الطريق الرابط بين مدينتي قسنطينة وسكيكدة التي تعتمد عليها القوافل التجارية بينهما مما سهل نقل البضائع، حيث بلغت القافلة الواحدة حمولة 150 بغلا. وإثر صدور قانون 11 جانفي 1851، بلغت قيمة الصادرات 8.884.251 فرنكا عام 1853، ويعود هذا التراجع في الصادرات-أساسا-إلى ظاهرة الأوبئة التي أصابت المنتجات الحيوانية.

<sup>1</sup> عميرايو احميدة، السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة، المرجع السابق، ص. 83-85-98.

تركزت الصادرات في الحبوب، العلف، الأنعام، الصوف، الزيوت، المرجان، ولذلك وجد الفلاح الأهلي نفسه وسط مضاربات وتناقضات اقتصادية استعمارية بعد ادخال البلاد وسكانها في دائرة التجارة الفرنسية الاستغلالية، كذلك توسعت ظاهرة الربا والاستغلال البشع لقدرات القبائل وثرواتها مما جعل ضباط المكاتب العربية أنفسهم، يصرخون ضد هذه المساوئ، ذلك لأن الاقتراض يتم التعهد به بأي سعر من أسعار الربح من أجل تلبية حاجة اضطرارية كدفع الضريبة أو من أجل شراء القوت اليومي<sup>1</sup>، وحتى الإمبراطور نابليون الثالث أبدى في عام 1865 تخوفه من تطور القروض الربوية وخطورتها<sup>2</sup>. ووصل مجموع الواردات والصادرات إلى 335.300.000 فرنكا من عام 1843 إلى عام 1848 ثم وصلت إلى 395.600.000 فرنكا بين عامي 1849-1854، وارتفعت إلى 426.600.000 فرنكا بين عامي 1855-1860 لتنتقل بين عامي 1861-1866 إلى 363.200.000 فرنكا. ويتضح أن التجارة الفرنسية كانت في تزايد مستمر حتى سنة 1860، عندما كان الاستعمار هو الآخر يتزايد، وسجلت لنا بعض التقارير حركة التجارة ما بين عامي 1862-1871 تمثلت في واردات المقاطعة خاصة فيما يتعلق ببضاعتي الفريضة وقماش الحرير:

سنة	الفريضة بالكغ	القماش بالفرنك
1862	106.544	5.608.899
1867	3.757.746	6.782.022
1869	8.111.500	4.810.341
1870	6.479.530	7.674.747
1871	822.747	8.351.859

أما الصادرات فقد كانت نظرا لحدة الأزمة التي أصابت البلاد كالتالي:

السنوات	الفريضة (كغ)	القمح	الشعير	زيت الزيتون (هكتل)
1862	654.710	139.089	4.543	1.277.926
1868	2.557.728	330.773	98.991	1.547.852
1869	241.868	23.800	13.933	4.276.863
1870	405.370	55.635	9.118	955.426
1871	2.700.934	340.525	259.181	1.972.355

أن المدينة التي يسيرها نظام حضري، تمتلك اقتصادا ينمو حسب النظام السياسي المفروض، وبالتالي فإن اقتصادها وتنظيمه، يتشكل نتيجة لهذا النظام.

إن وضع المدينة الاستعمارية كنموذج، لا يمكن أن يتحقق إلا إذا تمت السيطرة الفعلية على الاقتصاد، من طرف أولئك الذين فرضوا النظام السياسي.

أصبحت سكيكدة الفرنسية، مدينة ارتكاز لاستعمار الفرنسي في عمالة قسنطينة، ومركزا للإدارة العسكرية وكانت المدينة مركزا تجاريا هاما، بعدما ظلت مركزا لوصول المهاجرين الأوروبيين الذين

<sup>1</sup>Ageron Charles Robert, les algériens musulmans, Op. Cit. p 370.

<sup>2</sup> فركوس صالح، المرجع السابق، ص 80.

اقتنعوا بالبرنامج السياسي للحاكم العام بيجو، وأصبحت سكيكدة مدينة-تكنة، تشكلت بها مجموعة من الحصون والأسوار والثكنات والتجمعات العسكرية للفيالق الفرنسية.

يختزل النشاط الاقتصادي في بعض الانجازات في قطاعات البناء والأشغال العمومية الضرورية للإدارة أو تلك التي بوشر بعد التهديم وشق بعض الشوارع الرئيسية المفتوحة على النشاط في الميناء وبعض الصناعات الغذائية كصناعة العجائن والأسماك المجمدة.

وكان السكان يعيشون داخل اقتصاد مرتبط بالاستيراد والتصدير للمواشي والمواد الخام، بينما كان يعيش جزء آخر من السكان من الإدارة والجيش، على التجارة الصغيرة أو المقاهي والخمات<sup>1</sup>.

ويعد السوق المركزي المغطى للخضر والفواكه: الواقعة في الجهة الغربية لشارع ديدوش مراد، من أهم الاستخدامات التجارية داخل مركز المدينة، ذات طراز معماري خاص مع واجهة معمارية رئيسية، تقدر مساحة هذا المرفق الخدماتي 1750م<sup>2</sup>، للسوق وظيفة اساسية تتمثل في تمويل المستهلكين في فترات محددة من طرف بلدية سكيكدة<sup>2</sup>. وبعد سنة 1880 نظمت السلطة الفرنسية الاستغلال الاقتصادي للبلاد ووسعت من وسائل النقل، من الإنتاج الزراعي إلى الصناعات المنجمية، فكل ما ينتجه البلد من خيرات اقتصادية، يتم استغلاله أو توجيهه للتصدير، حيث سمح هذا النشاط الاقتصادي للمدينة، من تحقيق نمو اقتصاديا غير مسبوق، بينما استفادت المدينة ومينائها من مضاعفة نشاط التصدير، وطبقا لنشاطه العام، اتسعت مساحة الميناء تدريجيا، وأصبحت سكيكدة ميناء الجزائر الأول للمواشي. وفي سنوات 1920 و1930، كان التصدير يمثل الخمور، الزيوت والفواكه والخضر والمنتجات الحيوانية<sup>3</sup>.

برزت أهمية ميناء سكيكدة الممول الرئيسي لقسنطينة بمختلف المنتجات: البن، السكر، الصابون، الفريضة، الأطعمة، الزجاج، الخزف، يتضح ذلك من خلال حركة مينائي سكيكدة وعنابة سنة 1925<sup>4</sup>. تعد الخمور من أهم المواد التي يسيطر المعمرون على إنتاجها، إلى جانب الحوامض والبواكر التي تساهم في الصادرات بسبب تزايد الطلب عليها في الأسواق الخارجية، ولأسعارها المرتفعة.

وكانت عائدات الخمور مربحة، لهذا عمل القطاع الاقتصادي الأوروبي على الاهتمام بزراعة الكروم وتوسيع زراعتها على حساب زراعات أخرى، فالحبوب أصبحت تمثل 60% من الإنتاج الزراعي عام 1939، وارتبطت الخمور بشدة بالأوساط التجارية والمالية الفرنسية، ومن أسباب اهتمامهم بإنتاجها، غلاء أسعارها في فرنسا نتيجة نقص الإنتاج فيها، وبقي إنتاجها يزداد باستمرار، ويرجع هذا إلى أنها تمثل الإنتاج الرئيس للقطاع الاقتصادي الأوروبي المتمركز لدى قطاعات واسعة من الأوروبيين منذ سنة

<sup>1</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص. 265-267-268.

<sup>2</sup> بوحجة سهيلة وآخرون، تنظيم وإعادة هيكلة المراكز القديمة، حالة سكيكدة، ص. 188.

<sup>3</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص. 271-272.

<sup>4</sup> Pagand Bernard, *La Medina de constantine algerie, de la ville traditionnelle au centre de l'agglomération contemporaine*, centre interuniversitaire d'étude méditerranéennesn U.poitiers, fascule 14, 1989, p.67.

1900، عقب القضاء التدريجي على صغار المزارعين، وهذه القطاعات ملك للشركات أو كبار الملاك<sup>1</sup>. والملاحظ بأن هناك تركيزا للمؤسسات والخدمات العمومية بالقرب من الأحياء الأوروبية، وفي المجال الأوروبي التابع المقابل للبحر حيث تتركز النشاطات الصناعية والتجارية للمدينة، أما النشاطات الإدارية وغيرها فإنها تتركز في قلب المدينة، ويشكل قطاع شارع كليمنصو، المركز الأساسي للإدارة في المدينة، والأمر كذلك بالنسبة للمؤسسات الخاصة أو المقرات الاجتماعية للشركات الكبرى. وكانت وظيفة المدينة مصرفا للتبادل ذا نموذج استعماري، إذ بقيت نشاطاتها وثيقة التبعية مع فرنسا وممثليها ولا توفر إلا مساهمة ضئيلة في التنمية الاقتصادية للبلاد وأسباب المعيشة للسكان<sup>2</sup>. يحتل النشاط التجاري قلب المدينة ويتركز في المحاور الرئيسية كمركز المدينة على إعتبار أن النشاط التجاري في المدينة من أقدم الحرف في سكيكدة بحكم كونها ميناء بحريا نشيطا ثم أنها كانت فيما سبق تضم إلى جانب السكان الوطنيين، سكانا من جنسيات مختلفة أوروبية وغير أوروبية.

وتتميز المنطقة التجارية في المدينة بارتفاع نسبة الدكاكين التجارية في مركز المدينة وتعرف بإزدحام شوارعها، حيث تتكاثف الخدمات المتعددة (البنوك، الفنادق، المطاعم وغيرها).

وتحتل المتاجر في سكيكدة غالبا الدور الأرضي من البناية في حين تبقى الأدوار العليا للمسكن وباقي الخدمات الأخرى، ويجمع الشارع الرئيسي (ديدوش مراد حاليا) في وسطه الحي التجاري من الميناء شمالا نحو باب قسنطينة جنوبا، ويتوفر هذا الحي على معظم الخدمات وأكبر المحلات التجارية والمخازن في المدينة إلى جانب المسرح والمقاهي والحانات والأسواق، حيث يؤمه كثير من الحرفيين ولأهل الصناعة، وكانت نسبة كبيرة من سكان هذا الحي ذات الكثافة السكانية العالية قبل عام 1962 من الأوروبيين القاطنين بالمدينة، وكذلك الطبقة الميسورة من المواطنين الجزائريين. ويرجع تاريخ هذه المباني إلى الفترة التي سبقت عام 1945، وتتكون من أربعة أدوار في الغالب ويُستغل الدور الأرضي في النشاط التجاري وباقي الخدمات والمرافق الأخرى مما يجعلها منطقة الأعمال المركزية في المدينة<sup>3</sup>. وتعكس الوضعية الاقتصادية للمدن تدهور ظروف المعيشة بالبلاد، وساعات وضعية الجزائر العامة، نقص المواد الأولية والغلال المستوردة مما أدى إلى إفلاس الشركات وإغلاقها وكساد سوق العمل خاصة بعد عودة العمال والجنود المسرحين، فارتفعت أسعار المواد الغذائية فيما بقيت الأجور منخفضة في وقت انتشر الفقر في ضواحي المدن، وتعمم سوء التغذية نتيجة ندرة الحليب، وهكذا حل زمن الحرمان المادي لأغلبية سكان المدن، فأصبحت بطاقات تقنين الحصص الغذائية هي الحل الوحيد<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> رزاق عبد الرحمن، التجارة الجزائرية، المرجع السابق، ص 69-70.

<sup>2</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص 274-275.

<sup>3</sup> حمادة صالح، دراسة في جغرافية المدن مدينة سكيكدة، المرجع السابق، ص 118-174.

<sup>4</sup> غولديغر أني راي، جذور حرب الجزائر 1940-1945، دار القصة للنشر، 2005، الجزائر، المرجع السابق، ص 38-39.

فبعد افتتاح مجموعة من شبكة من النقل البري والبحري اتسع نطاق المبادلات بين سكيكدة ومدن عمالة قسنطينة، فخط السكك الحديدية الرابط بين سكيكدة وقسنطينة PLM الذي بدأ رسمياً في 23 أوت 1870 وذلك بعدما انطلقت الأشغال سنة 1864، بينما انتهت أشغال ميناء سكيكدة رسمياً في سنة 1895<sup>1</sup>. فكان للاستراتيجية الفرنسية نتائج هامة على بناء وتسيير الشبكات القاعدية، استخدم الجيش الخطوط الحديدية كوسيلة للتوسع، واستفادت سهول الشمال الجزائري من خاصيتها الجغرافية التي وضعت لانخفاض تكاليف البناء والتشغيل. وأشرف مهندسو شركة الجسور والأرصفة على عملية البناء لخدمة المصالح الاستعمارية بالجزائر<sup>2</sup>. فبرزت أهمية ميناءها الممول الرئيسي لقسنطينة بمختلف المنتجات: البن، السكر، الصابون، الفرينة، الأطعمة، الزجاج، الخزف، يتضح ذلك من خلال حركة مينائي سكيكدة وعناية سنة 1925<sup>3</sup>. وسيتطور وظيفة ميناء سكيكدة بعد إقامة ميناء بترولي بها نهاية الخمسينات من القرن 20. ومن نستنتج بأن ميناء سكيكدة لعب دوراً بارزاً في تحديد وظيفة المدينة الرئيسية، كمرافق استراتيجياً بالنسبة لعمالة قسنطينة بكامله، وأصبح يشتهر بحجم صادراته من الخمور والحمضيات والفلين والمواشي نحو مختلف الموانئ الأوروبية عموماً والفرنسية خصوصاً.

### المبحث الخامس: النشاط النقابي:

تعرف النقابات أنها صورة من صور الرأي العام ووجه من أوجهه لأنها تضم الطبقة العاملة من عامة الشعب، وتمثل مجالاً خصباً لنشر فكرة معنية وحشد التأييد لها، وعن طريق النقابات تدافع عن مصالح العمال ومساعدتهم مادياً ومعنوياً، اتجه رب العمل سواء كان من الخواص أو الدولة، ومن ذلك تدخل في مفاوضات ونقاشات معه إلى أن تحقق مطالب العمال، وعندما تتعثر تلك المفاوضات تلجأ النقابات إلى وسائل أخرى مثل الإضراب والمظاهرات وغيرها، فيتحول ذلك إلى عامل ضغط على رب العمل الذي يصبح مجبراً على الإستجابة للمطالب.

تعد النقابات العمالية من الجماعات المنظمة تختلف تركيبها ونشاطاتها عن الأحزاب، وهي القوة العاملة المهيكلة في اتحادات كبيرة، ومجموعات إقتصادية مهنية وحرفية، حيث تعبر عن رأي العمال، وتعمل على تحديد مطالبها حسب إحتياجات ممثليها ومتطلباتهم ثم تعمل على حشد التأييد لمطالبها. عرفت فرنسا في العمل النقابي سيطرة ثلاث نقابات رئيسية على الممارسة النقابية، وتشمل الكنفدرالية العامة للعمل نقابة CGT<sup>4</sup> وهي منظمة نقابية فرنسية تأسست عام 1895، من أبرز أمثائها العاميين جو هو ليون 1909-1947<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> AFN, illustré 1930.

<sup>2</sup> حوحو رضا، شبكة السكك الحديدية الفرنسية في الجزائر وأثرها في تدعيم سلطة الاستعمار 1830-1914، المرجع السابق، ص. 125-128.

<sup>3</sup> Pagand Bernard, La Medina de constantine algerie, de la ville traditionnelle au centre de l'agglomération contemporaine, centre interuniversitaire d'étude méditerranéennes, U.poitiers, fascule 14, 19898, p.67.

<sup>4</sup> Confédération générale du travail, organisation syndicale française créée en 1895.

وحققت وحدتها النقابية عام 1902 وبقيت خاضعة للنفوذ الشيوعي، والكنفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين CFTC التي تأسست عام 1919، وتعتبر من أجنحة الحزب الجمهوري MPR، والكنفدرالية العامة للعمل والقوى العمالية CGT-FO القريبة من الاشتراكيين في SFIO وغيرها من النقابات الممثلة لقطاعاتها المختلفة<sup>2</sup>.

مع مطلع القرن 20م، بدأ الجزائريون في الدخول إلى بورصات العمل، والانخراط في النشاط النضالي، عقب مجئ اليد العاملة النشيطة من الأرياف نحو المدن وللعمل في ضيعات المعمرين حيث ظهرت فيها النواة الأولى للبروليتارية، ثم تتوسع نحو ورشات المناجم بطريقة تدريجية<sup>3</sup>.

وقام عمال ميناء سكيكدة بإضراب عام في 28 أوت 1910، نظموا فيها مظاهرة رافعين علم أخضر موزع عليه هلال، ويعد أول علم يتم التعبير به من طرف الجزائريين عن معاناتهم، فظهرت علامات ايجابية في عمالة قسنطينة مثل رفع أول علم خلال اضراب عمال ميناء المدينة عام 1910 في مسيرة موكب المضربين المسلمين وشكل هذا العلم ظهور رمز وطني، أدى إلى عدم تضامن عمال الميناء الأوروبيين مع رفقاتهم المسلمين<sup>4</sup>، على الرغم من مشاركة بعض العمال الأجانب إلى جانب العمال الجزائريين في الاضراب، حيث شاركوا في هذه التظاهرة العمالية التي القوا فيها الخطب وأستنكروا الحكم الفرنسي وقدموا مطالبهم، واضطرت السلطات الفرنسية إلى استخدام القوة لقمعهم، من طرف الشرطة والجنود حسب فيكتور ديمونتي، في محاولة لافتتاك العلم من أيدي المتظاهرين الذين استعملوه، شعارا لمطالب العمال، وتعرض الجندي الذي حاول أن ينتزع العلم إلى جرح خطير.

واعتبر الفرنسيون اضراب عمال سكيكدة، جرائم ارتكبتها قطاع طرق، لا تقل خطورة عن ثورتي عين الترك وعين بسام، بينما اعتبرها الملاحظون غير الفرنسيين علامات عدم الاستقرار<sup>5</sup>، بحيث مباشرة بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى قنبلت السفينتان الألمانيةين بريسلو وغوبن مينائي عنابة وسكيكدة على التوالي في الرابع من أوت 1914، واللذان انسحبتا بسرعة إلى المياه التركية بعد تحقيق هدفهما، وذلك من أجل إثارة الاضطرابات ضد فرنسا، بحيث ترك هذا الهجوم المباغت بعض الضحايا في ميناء سكيكدة، وهذا بعدما استغرق ضرب الغواصة الألمانية غوبن سكيكدة لخمس دقائق، لكن التوقعات

<sup>1</sup> Le petit Larousse illustré, 2006, paris, p.1262

<sup>2</sup> العمري أحمد سويلم، الرأي العام والدعاية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965، ص60.

<sup>3</sup> Gallisot René, *Algerie colonisée*, op cit, p.57.

<sup>4</sup> Le zermana Le 27/08/1910, cité par meynier.

Benhassine Karima, *La vie Associative dans le département de constantine 1901-1945*, Op Cit, P.52.

<sup>5</sup> سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص112-113.

الالمانية بانفجار ثورة عامة لم تحدث، واقتصرت على بعض النشاطات المعادية للسياسة الفرنسية في بعض نواحي الجزائر كالاوراس وبني شقران<sup>1</sup>.

كان الفلاحون الفقراء وعمال الأراضي وصغار التجار يتنون تحت وطأة الإستغلال، وكانوا يتحملون في الوقت ذاته انعكاسات الأزمة الاقتصادية العالمية. وظل الجزائريون لفترة طويلة خارج النقابات، تحت رحمة أرباب العمل خلافا لنظرائهم الأوروبيين الذين كانت هذه النقابات تدافع عن مصالحهم.

وشرع في تنظيم العمال الجزائريين بفرنسا وبالجزائر، بفضل الكونفدرالية العامة للعمال الموحدية الموالية للحزب الشيوعي الفرنسي<sup>2</sup>. وهذا التنظيم الذي كانت الأغلبية الساحقة من إدارته أوروبيين، لم يكن يجمع في صفوفه غير عدد قليل من المنخرطين الجزائريين، ورغم مشاركة العمال تدريجيا في الحركات الإجتماعية والإضرابات، فإن ظروفهم وتطلعاتهم الخاصة التي لم تكن تؤخذ بعين الإعتبار دائما، يرجع ذلك إلى طبيعة نشأة هذه النقابات ونشاطها في ظل سيطرة النظام الإستعماري على المدينة.

إن توضيح مهام ودور الطبقة العمالية، وتنظيمه في البنية الإجتماعية وفي تسيير المؤسسات القائمة وفق حركية الإستعمار والحركة النقابية، لهذا واجه تطور مفهوم الحركة النقابية بعقبتين أساسيتين وهما:

\* الجزائر تعتبر مستعمرة في ظل الإمبراطورية الفرنسية، والتطور الضعيف للصناعة والعمال.

\* الجزائر (مستعمرة إستيطانية)، ومنه توجد بالجزائر طبقة عمالية هامة تتكون من أوروبيين..

نشأت الحركة النقابية في الجزائر مع بداية الحرب العالمية الأولى، جاءت متأخرة لأنها لم تكن قائمة، هذا على إعتبار أن قانون الأندجينا لعام 1881 يمنع كل نشاط نقابي جزائري، بينما أثرت الحرب العالمية الأولى، في إرتفاع عدد المهاجرين الجزائريين من 5000 إلى 92000 عام 1923، وفي فرنسا تشكل أول نواة للمناضلين النقابيين الجزائريين، داخل نقابيتي: CGT و CGTU، هذا بسبب القوانين الإستثنائية المطبقة في الجزائر على العمال الجزائريين، وإرتبط النضال النقابي بالنضال السياسي ضد الإستعمار من أجل الإستقلال الوطني، منذ تأسيس نجم شمال إفريقيا الذي ضم عمال مغتربون، ولم يكن مطالبهم المادية فورية.

فقد تشكلت الجمعيات المهنية في مدينة سكيكدة كنتيجة حتمية لتطور الاقتصاد المحلي، وتزايد القوة العاملة في عدد من القطاعات الاقتصادية بالمدينة المتعلقة بميناء سكيكدة ومنجم العالية بلفلة ومختلف الوحدات الإنتاجية للقطاع العام والخاص بسكيكدة، إلى جانب ذلك العاملون في الضيعات والمزارع الأوروبية، ولهذا أنشئت النقابات المهنية من قبل ممثلي العمال في شتى القطاعات للدفاع عن حقوقهم.

<sup>1</sup> سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع نفسه، ص.224-253.

<sup>2</sup> محساس أحمد، الحركة الوطنية الثورية، الصمدر السابق، ص.104.

وسيطرت الاتجاهات السياسية والاجتماعية اليسارية على معظم النقابات في الجزائر، حيث وجد الاشتراكيون والشيوعيون الميدان خصبا للاستثمار فيه وكسب مناضلين جدد، يساعدهم على تمتين تواجدهم السياسي في الساحة المحلية والفرنسية بشكل أشمل، بينما كان هدف العمال تحسين أوضاعهم أولا ثم النضال السياسي فيما بعد إذا توفرت القناعة الإيديولوجية للأفكار اليسارية المعادية للرأسمالية.

وكانت فترة ما بين الحربين، مرحلة حاسمة في كفاح العمال ونقابتهم التي ينتمون إليها، واستغلوا تدني أوضاعهم المعيشية وإنخفاض أجورهم وارتفاع الأسعار مما أدى إلى تصاعد حدة الاحتجاجات والإضرابات العمالية المطالبة بالنظر في مشاكلهم المطروحة<sup>1</sup> وانشغالاتهم الملحة من أجل حياة أفضل، ونتيجة لهذه التطورات التي عرفتها مدينة سكيكدة في منتصف الثلاثينات من القرن 20م، تم جمع تقارير حول هذه النقابات من حيث أعضائها ونشاطها وميولها الحزبية من الشرطة المركزية للمدينة التي قدمت لوالي عمالة قسنطينة بتاريخ 7 ديسمبر 1935، وهي قائمة تشمل 15 نقابة:

\* نقابة عمال السكك الحديدية، أمينها العام بوقلياس أوغسطين<sup>2</sup>، وعدد أعضائها 140، معظمهم أعضاء في الحزب الشيوعي، رفضت قوانين 4 أبريل 1934 والفاشية وقامت بحملات ضدهم.

\* النقابة الموحدة للبحارين والصيادين، أمينها العام كورتاس هنري<sup>3</sup> عددهم 230، قامت بعدة حركات احتجاجية من نوفمبر 1934 إلى غاية فيفري 1935، وجود الأهالي فيها مرتفع .

\* نقابة عمال البناء، يقدر عدد أعضائها 316، أغلبيتهم أوروبيين، بها عناصر شيوعية لها تأثير على نشاطها، عدد الأهالي فيه يقدر 190، أثبتوا قدرة فائقة على النضال في الدعاية والاضراب.

\* نقابة ممتلكي العمارات، عددهم 316، من بينهم 10 نساء، و10 أهالي، رئيسها رابوت ماريوس<sup>4</sup>، هدف هذا التجمع الدفاع عن مصالح الملكية المبنية، بعضهم ساند الحملة الانتخابية للمرشح داروتي تحت ما يعرف بالجمهوريين الوطنيين. وتوجد في التقرير نقابات أخرى، تتميز بقلّة تمثيلها العددي مثل:

\* نقابة أصحاب المطاعم والمشروبات، عددهم 70 يرأسها كريسكيولي فانسان<sup>5</sup>، كل أعضائها أوروبيون.

\* نقابة عمال الحلاقة عددهم 37 عضوا، كما لا يتواجد الأهالي فيها.

\* نقابة تقنيي وعمال الصيانة عددهم 32.

\* نقابة عمال ورشات النجارة وعددهم 53<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> A.M.S ; Commissariat centrale de philippeville, n : 10187, et activité des syndicales organisation.

<sup>2</sup> بوقلياس أوغسطين Augustin -Pugliese

<sup>3</sup> كورتاس هنري cortes Henri

<sup>4</sup> رابوت ماريوس Raboute Marius

<sup>5</sup> كريسكيولي فانسان Cruscuolo Vincent

<sup>6</sup> Ibid.



حاولت السلطة الفرنسية مواجهة استياء المسلمون على قساوة حياتهم وتقرر تحقيق بعض المشاريع لفائدة المسلمين كتقديم المساعدات للمؤسسات وإنشاء ورشات عمل مختلفة، لكنها لم يتحقق معظمها بسبب العجز المالي، وكانت محدودة الاثر عليهم، ووزعت كميات قليلة من المواد الغذائية عليهم<sup>1</sup>. إن تأسيس النقابات وبروز العمل النقابي في الجزائر، يندرج ضمن إطار الظاهرة الإستعمارية، أي تحت لواء المنظمات النقابية الفرنسية، مما يؤدي إلى تشكل تبعية مؤقتة، للنقابة الجزائرية مع الحركة العمالية الفرنسية، عند النقابيين الجزائريين الذي هم في الغالب مناضلين وطنيين، في وقت الذي كانت فيه فترة 1920-1935، تمتاز بضعف الواضح للبروليتارية الصناعية والنقابية، منهم 90 ألف عامل عام 1935، من بينهم 45 ألف جزائري، بينما كانت في عام 1933 يقدر 10 ألف نقابي، منهم ألف جزائري<sup>2</sup>. تجددت الحركة النقابية في الجزائر لسنوات 1930-1932، بعدما ارتفع عدد العمال الجزائريون في الموانئ، تأثروا بشكل كبير من تقلص التجارة البحرية، يتجلى ذلك في أرقام جدول المسجلين البحريين لسنتي 1930-1932 في موانئ (سكيكدة، وهران، الجزائر)<sup>3</sup>.

المدينة	السنة	أصول فرنسية	الأوروبيون المتجنسون	الجزائريون	المجموع
سكيكدة	1930	442	254	71	767
الجزائر	1930	1062	1460	520	3042
وهران	1930	1570	573	413	2556
عنابة	1930	615	51	427	1093
سكيكدة	1931	1623	510	500	2633
الجزائر	1931	419	229	63	711
وهران	1931	542	99	446	1087
عنابة	1931	1063	1232	307	2602
سكيكدة	1932	520	114	455	1089
الجزائر	1932	1127	1234	378	2739
وهران	1932	1620	518	492	2630
عنابة	1932	403	196	64	663

يلاحظ من خلال هذه الأرقام بأن أغلبية الجزائريين يعانون من ظروف العمل القاسية، بسبب سنوات الأزمة الاقتصادية التي أدت الى تقلص حركة الموانئ، كما أن أغليتهم من قدماء الفلاحين الصغار تعرضوا للضغط في الأرياف، بعدها تجددت الاضرابات النقابية في الخمسينات من القرن 20م وتركزت على المطالب الاجتماعية، خاصة بالنسبة لعمال مناجم الشرق الجزائري<sup>4</sup>، يقابلها وجود قيود أخرى، حيث تم إلغاء النقابات ورفض مطالبها<sup>5</sup>. وكانت قاعدة النقابات وقيادتها من الأوروبيين أساسا، حيث تميل إلى توجيه الحركات الإجتماعية، حسب إشغالات الأغلبية ومصالحها الخاصة.

<sup>1</sup> بن حسين كريمة، المرجع السابق، ص.256. ينظر النجاح 11 ديسمبر 1942.

<sup>2</sup> Djeghloul Abdelkader, *Huit études sur l'algerie, colonisation et syndicalisme*, SNED, 1986.

<sup>3</sup> Benallegue Nora, *Le Mouvement syndicat en algerie 1930-1942*, Op Cit, P.54.

<sup>4</sup> Gallisot René, *Algerie colonisé algerie Algeriennes 1870-1962*, Op Cit, P.187.

<sup>5</sup> غولديغر أني راي، جذور حرب الجزائر 1940-1945، المرجع السابق، ص.40.

وحاول العمال الجزائريون التجاوب مع الشعارات الإجتماعية الإقتصادية التي تهم العمال جميعا، وقد أبدوا في بداية نشاطهم الإجتماعي إستعدادا نضاليا كبيرا في المطالب بتحسين ظروف الحياة والعمل، ورغم النقائص التي لم تكن لتمنع العمال الجزائريين من مزاولة نشاطاتهم النقابية. فقد فتحت الحركة النقابية أمامهم وتمكنوا في ظلها من الإحتكاك بمناهج العمل العصرية، وأصبحوا يشكلون قوة إجتماعية لها وزنها في الحركة الوطنية.

شهدت المدينة العديد من الإضرابات العمالية ذات الطابع الإجتماعي التي كانت تختلط بالمطالب السياسية، حيث شهدت سنة 1936 وحدها، حدوث 220 إضرابا بمشاركة 52885 مضربا، وقام بهذه الإضرابات العتالون وعمال البناء والمناجم المنخرطون في النقابات، بينما نقل الإضرابات في الزراعة<sup>1</sup>. وكان العمال الأوروبيون لا يتعاطفون مع مطالب الحركة الوطنية الجزائرية، ويبدون بعض الإهتمام بزملائهم من الأهالي، لكن دون النظر إلى وطنيتهم، والنضال النقابي يجمع داخل CGTU عددا مهما من العمال المسلمين المتميزين بصمودهم وخاصة في مجال الأجور مما أقلق الأوساط الأوروبية<sup>2</sup>.

لقد ساهمت الحركة النقابية في تكوين النضال ضد الطبقة العاملة بالرغم من أن التناقضات بين المسلمين والمستوطنين مازالت قائمة، ودفعت الأزمة الحادة بالمناضلين النقابيين إلى تكثيف نشاطاتهم خاصة بعد مؤتمر الوحدة النقابية الذي إنعقد بقسنطينة في 22 ديسمبر 1935 الذي تحققت فيه الوحدة بين الكونفدرالية العامة للعمال CGT والكونفدرالية العامة للعمال الودويين CGTU، مما أدى إلى إنتعاش الحركة النقابية التي أصبحت مشاركة العمال المسلمين فيها أكثر من قبل حيث أدركوا ضرورة التكتل لتحقيق مطالبهم ورفع الإضطهاد والإستغلال المسلطين عليهم، لذلك عمت الإضطرابات مختلف القطاعات الإقتصادية في عمالة قسنطينة، من جراء غلاء المعيشة وارتفاع الأسعار التي شملت كل المواد الأساسية، لذلك شكلت البلديات لجان لمراقبة الأسعار ولهذا إنتشرت حركة التذمر والإستياء<sup>3</sup>. وكان المطلوب من النقابات الأحادية أن تعطي أهمية كبيرة للعمال المستعمرين، وذلك من أجل تمكثهم من التنظيم والتكوين في إطار صراع الطبقات، وهذا يعني تكوين اطارات لحركتها الثورية بالمستعمرات مما أدى إلى إنضمام العديد من مناضلي الحركة الوطنية الجزائرية.

وبين سنتي 1936 و1947 حاولت نقابة CGT الموحدة مرتين، تدافع عن المطالب الإقتصادية لعمال شمال إفريقيا بفرنسا، وخلال عام 1948 صدر بيان من لجنة شمال إفريقيا CGT يندد بحملة إنفصامية

<sup>1</sup> محساس أحمد، الحركة الوطنية الثورية، المصدر السابق، ص. 105-106.

<sup>2</sup> Yahiaoui Messaouda, Société musulmane et communautés européennes dans l'algérie du 20<sup>e</sup> Siècle, T1 et 2, éd. houma, alger, 2005, p.223.

<sup>3</sup> بن حسين كريمة، الحياة السياسية في مدينة قسنطينة، المرجع السابق، ص. 143.

تقودها جماعة من الوطنيين المسلمين الذين يضحون بوحدة الحركة النقابية لأسباب حزبية غير أن الإنقسام لا يخدم إلا مصالح أرباب العمل، والإمبريالية ضد المصالح الحقيقية للعمال<sup>1</sup>.

ونتيجة لتجمع العمال في مكان واحد وإشراكهم في الصعاب والآمال، تشكل الفكر السياسي للعمال، خاصة المهن ومستواهم التعليمي وتحليلهم لأوضاعهم المعيشية المزرية، حيث تنعدم الشروط الصحية، ويسيطر أصحاب الطريقة على عقول الفلاحين، الذين يخضعون للقضاء والقدر بمفهومه السلبي الخرافي، وشهدت فترة الحرب العالمية الأولى وبعدها نزوح الجزائريين المسلمين نحو المدن لغياب اليد العاملة الأوروبية، حيث كانوا يشتغلون في المقاهي وكأعوان إداريين وعمال مؤقتين<sup>2</sup>.

كثرت في البلاد حالة من الغليان الشديد بسبب الأزمة الاقتصادية والاجتماعية وانتشار البطالة على نطاق واسع، وكثرت لذلك الإضرابات والمظاهرات العمالية التي كانت أحيانا تتحول إلى صدامات مع الشرطة الإستعمارية، وأخذت الجماهير الشعبية تشارك بالتدريج في النضال السياسي والنقابي وعيا بمصالحها، وقد أخرج هذا الوعي التيارات المعتدلة، كما أخرج الإدارة الفرنسية والتنظيمات الأوروبية التي كانت تحاول تجنيد الجماهير الجزائرية لخدمة أهدافها الخاصة<sup>3</sup>.

في عام 1925 صادق المؤتمر الثالث للكونفدرالية العامة للعمال الموحد CGTU على مساندة الحركات التحررية الوطنية وانتقدت الكونفدرالية موقف بعض العمال الفرنسيين الذين ظنوا أنهم يحق لهم إعطاء الحضارة النقابية لعمال المستعمرات.

جلبت المسألة النقابية إهتمام العمال الجزائريين إليها خاصة خلال فترة الثلاثينات من القرن 20م، حيث أصبحت البطالة مشكلة عويصة ذات أبعاد سياسية، لهذا كانت النقابات الفرنسية الثلاثة -CGT-CFTC التي كسبت العمال في صفوفها، لكن في الواقع فإن CGTU تعد النقابة الوحيدة التي فتحت أبوابها للمناضلين المسلمين والتي انشغلت بهموم العمال وظروفهم المعيشية في العمالات الجزائرية<sup>4</sup>، بينما لم يكن في النقابتين المتبقيتين أي منخرط أهلي.

فقد ساهمت عدة عوامل في تبلور الحركة العمالية في المدينة في النصف الأول من القرن 20م، ومنها:  
\* الحركة الاقتصادية في سكيكدة والمرتبطة بالميناء.

\* تأثير الحزب الشيوعي الفرنسي والكونفدرالية العامة للشغل C.G.T.

\* الحالة الاقتصادية الصعبة والاجتماعية المزرية للعمال الجزائريين ومعاناتهم من التمييز، ولم تكن مطالبهم في تحسين ظروف العمل وتحديد ساعات العمل اليومي 8 ساعات يوميا ورفع الأجور، بل إلى الوقوف ضد الاستغلال الاستعماري.

<sup>1</sup> Gani Léon, *Syndicats et travailleurs immigrés*, ed sociales paris, 1972, p.163

<sup>2</sup> Agéron Charles Robert, *Les Algeriens Musulmans et la france*, Op Cit, P.1167.

<sup>3</sup> محساس احمد، *الحركة الوطنية الثورية*، المصدر السابق، ص.124.

<sup>4</sup> Kaddache Mahfoud, *La vie politique à alger de 1919 à 1939*, SNED, alger, 1980 , p.204.

وشكلت الثلاثينيات من القرن 20م قمة المطالب العمالية بالمنطقة، فبعد إضراب 1910 عرفت سكيكدة عدة إضرابات منها تنظيم تجمعاً شعبياً حضره 3000 شخصا منهم 1500 من الأهالي في ماي 1934، وعقبه سار الجميع في مسيرة داخل المدينة؛ لم يكن هذا الحدث منفرداً، حيث جرت هذه المظاهرات في جو وطني مشحون ومضطرب سياسياً واقتصادياً-اجتماعياً، تميّز بمرور قرن عن الاستعمار واستكمال ميلاد الأحزاب الوطنية وممارسة الإدارة الاستعمارية الضغط عليها، بالتضييق على كل أشكال التعبير(الصحافة، المدرسة، المساجد) وحركة النواب المسلمين، وأدى هذا الضغط إلى ارتفاع الأصوات المنادية بالمقاطعة الاقتصادية والإضراب مستغلين الحالة الصعبة التي كانت تمر بها فرنسا داخلياً في مناسبة عيد العمال وكانت مظاهر التعبير واسعة. وعرفت الجزائر في سنة 1935 نشوب 24 إضراباً، وبلغ عدد المضربين 5816 عاملاً منهم عمال الموانئ في الجزائر، وبلغ عددهم في ميناء سكيكدة 450 مضرباً ولم يقتصر الاحتجاج على عمال المدن، بل الفلاحين في عدة مناطق. وظل الحل صعباً لأن المشكلة في مواجهة الاستعمار وليست اقتصادية واجتماعية<sup>1</sup>.

عرفت المدينة نشاط نقابي بمشاركة الجزائريين والأوروبيين وبتأثير من الكونفدرالية العامة للشغل CGT والمد الشيوعي الذي بلغ ذروته في إضرابات 1910 و1935، وكان عمال الموانئ منشطو هذه الحركات الاحتجاجية. ويمكن ذكر العوامل المؤثرة إلى الأزمة الاقتصادية التي عرفت مقاطعة سكيكدة:

- اجتياح الجراد الذي ألتف المحصول الزراعي خلال المواسم الفلاحية.

- الضرائب الثقيلة التي يدفعها السكان الأهالي للإدارة الفرنسية<sup>2</sup> مما أدى إلى تنازل الفلاحين

الجزائريين عن أملاكهم وماشيتهم لصالح المعمرين وبعض التجار الجشعين

قبل الحرب العالمية الثانية كان تجنيد اليد العاملة تمر عبر دار العسكري ويتم الاستعانة بالجزائريين للاستجابة لمطالب نظام فيشي خاصة بالنسبة لقدماء المحاربين أو الجنود وعانى العمال الجزائريون خلالها من القمع، واضطروا إلى اتباع السرية بعد تحويل أعداد منهم نحو مراكز الاعتقالات والسجون<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> جيلالي بولوفة، مقال الحركة الاستقلالية الوطنية في منطقة سكيكدة، ملتقى سكيكدة الثاني أوت 2004، تنظيم جمعية روسيكادا.  
<sup>2</sup> كان النظام الضريبي في الجزائر أثناء فترة الاحتلال الفرنسي يشكل مورداً أساسياً لخزينة الدولة، حيث تستمد ميزانية الخزينة الفرنسية مواردها من جباية الضريبة من الأهالي مما أثقل كاهل الفقراء الذين يتحملون الجزء الأكبر منها وهذا نتيجة قساوتها عليهم، كما أنها عملت على تحطيم الفلاحين، تضاف إلى المجاعات والأزمات الاقتصادية والأوبئة الفتاكة، وعانت القبائل من ضغط الضريبة التي كانت تستخلصها المكاتب العربية، ويتميز النظام الضريبي في الجزائر بالحرص الشديد على خدمة مصالح المعمرين، وبعدم التناقص بين الضرائب المباشرة وغير المباشرة التي شكلت نسبة تصل 74,6% من المواد الضرائبية عام 1929، وترتفع نسب الضرائب غير المباشرة في القطاع القسنطيني، حيث كان الأهالي في هذه العمالة يدفعون ضرائب عالية بلغت 66% عام 1932. وتمثل الرسوم البلدية نصف الضرائب المحصلة غير المباشرة، وتحصل نقداً وهي فرعان، رسوم على الطرق ورسم ريفي، يدفعها الأهالي مقابل خدمات إصلاح الطرق، وتتخذ الضرائب المباشرة التي كانت تساهم بنسبة 27,5% عام 1918 من مجموع المداخل، على الشخص مباشرة منه عن طريق البلدية وتفرض على المنتجات الفلاحية، ينظر: فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر، ص 204.205. وبن حسين كريمة، الحياة السياسية في قسنطينة، المرجع السابق، ص 99.

Julien Charles André, Histoire l'algérie contemporaine, PUF, paris, 1964, p.142.

Kaddache Mahfoud, histoire du nationalisme algérien; T1, 2<sup>ème</sup> édition, ENAL, alger, 1981, P.34.

Ageron Charles Robert, Politique coloniale, Op-Cit, P.237

<sup>3</sup> Gallisot René, Algérie Colonisée, algérie algérienne 1870-1962, la république Française et les indigènes, barzakh édition, alger, 2007, p.138.

عانى النقابيون الجزائريون من الممارسات القمعية والعراقيل الميدانية المفروضة على نشاطهم، ويضاف إلى هذه العقبات، نقص وسائل الدعاية وقلة الاعلام النقابي لديهم، وهذا ما يفسر ضعف تنظيمهم النقابي، على الرغم من أن العامل الجزائري برهن على نضالاته المتواصلة. وكانت نقابة CGTU تجمع حولها عدد معتبر من عمال السكك الحديدية في سنوات 1930-1934.<sup>1</sup>

ظهر نضال نقابي يسعى للدفاع عن حقوق العمال والمحافظة على ظروفهم المعيشية، وتحسين قدراتهم الشرائية، لهذا عمل الشيوعيون على تكثيف أساليب نشاطهم مع الواقع الجزائري، في محاولة لكسب الاهالي في صفوفهم، وركز الشيوعيون على التربية السياسية لدى العمال والتحالف مع الطبقة الكادحة.<sup>2</sup> لم تبتعد الكونفدرالية العامة للعمل CGTU عن واقع الجزائريين حيث طرحت مشكل اللغة، الدين، الأجور، ومدة العمل منذ سنة 1936.<sup>3</sup>

ومنذ عام 1944 بدأ فرع سكيكدة النشاط النقابي مع قاص محمد<sup>4</sup>، وبعد توقف لأشهر، استأنف في جويلية 1950، والمشكلة التي تطلب تسويتها بسكيكدة، هو اقناع المناضلين للانخراط في النقابات وتبرير اشتراكاتهم من أجل المشاركة في المؤتمرات المحلية والوطنية، تطلب سنتين من أجل تتبع فرع CGT، ووضع حد لهيمنة الحزب الشيوعي.

بعدها تشكلت لجنة البطالين بسكيكدة<sup>5</sup> قاموا باحتجاز مخبزة ريسان، تطلب تدخل رئيس البلدية كريفو لإيجاد حلول، وفتح ورشات عمل للبطالين لمساعدتهم.<sup>6</sup>

وكانت للحرب العالمية الثانية تأثيرات على نزوح هجرات العمل، في مجال التوظيف المحلي وفي المدينة وفي الهجرة، وتجنييد اليد الشغيلة للاستجابة لطلبات القوة الألمانية في الميتربول. سمحت هذه الخرجات المنظمة لهؤلاء العمال في تجديد الهجرة الجزائرية في أوروبا، أما في الجزائر فانعكست الحرب والتفكير على المجتمع الجزائري الذي وجد نفسه مقيدا في الريف أو معزولا في المدينة.<sup>7</sup>

واجه العمل النقابي بسكيكدة عدة اجراءات اتخذت للتقليص من عروض العمل والتميز في الأجور، وأغلبية العمال غير مختصين، وبالتالي يتجهون الى النشاطات المهنية الدنيا، حيث يشتغلون بطريقة متقطعة، لهذا يتبين مدى معاناة أرباب العائلات في كسب قوت أبنائهم خاصة خلال فترات الأزمة والحرب، حيث يعاني السواد الأعظم من المسلمين الاقصاء المقنع، من سوق العمل، الامر الذي جعلهم

<sup>1</sup> Benallegue Nora, *Op cit*, p.119.

<sup>2</sup> بن حويقة علي، التوتر الاجتماعي بمنطقة سيدي بلعباس 1920-1935، ملحق تاريخ منطقة سيدي بلعباس خلال الفترة الاستعمارية، ج2، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2005، ص.97.

<sup>3</sup> Tegua Mohamed, *L'Algérie en guerre*, OPU, Alger, 1982, p.47.

<sup>4</sup> قاص محمد المدعو حناشي ديب أحسن مناضل ونقابي بمدينة سكيكدة، يعد من بين الاطارات الموقوفة عقب مظاهرات 24 أكتوبر 1952 رفقة محمد لحول، أحمد حمر العين، صلاح سعدي من حركة الانتصار إضافة إلى عناصر من الحزب الشيوعي الجزائري، ينظر:

Harbi. Mohamed, *Une Vie Debout. Memoires politique 1945-1962*, T1, éd.casbah, alger, 2001, p.63.

<sup>5</sup> تضم لجنة البطالين بسكيكدة بودخانة حميد، بوفويزي شريف، عزوز يوسف.

<sup>6</sup> Harbi Mohamed, *L'Algerie et son destin. croyants et citoyens*, alger, média associes, 1994,p. 240-241.

<sup>7</sup> Gallisot René, *Algerie colonisé algerie algeriennes 1870-1962*, Op Cit, P.139.

يبحثون عن حلول لوضعهم المتراكم، فظهر اهتمامهم بالنقابة، إذ منحوها محتوى عدديا ونوعيا ملموسا، وتنامى العمل النقابي في المدن<sup>1</sup>.

وكان ينظر للمدينة كمكان للتكوين النقابي والسياسي، ومنه يأتي الخطر السياسي، بالنسبة للنظام الاستعماري الذي يولد من هذه الأشكال الاجتماعية من الصراع. وعندما تحولت الحركة النقابية إلى وسيلة لتأجيج الاضرابات السياسية بعد أن أصبحت جزائية خلال سنوات 1950، إلى منظمة نقابية فاعلة ومرتبطة بجبهة التحرير الوطني.

إن ظهور العمل النقابي في أوساط المسلمين، أعطى للصراع الاجتماعي بعدا للمواجهات الاجتماعية والسياسية، حسب ما يمثله السكان المسلمون أو الأوروبيون<sup>2</sup>.

وتولى عدة نقابيون العديد من المسؤوليات على المستويين النقابي والمهني والسياسي، من بينهم جورج كاتوني<sup>3</sup>، وفي تلك الفترة كانت الحياة النقابية تنطلق عقب ساعات العمل في المساء، ومن الصعوبة بما كان بل ممنوع عقد الاجتماعات في مقر العمل، لذا تطلب الانتظار في المساء بمقرات النقابات<sup>4</sup>.

ويلاحظ في المجال الإقتصادي أن الأرض والرأس مال والإنتاج، بقي بيد المنتجين الأوروبيين المسيطرين على كافة الأنشطة الإقتصادية في محيط مدينة سكيكدة. وكان عالم الشغل المهيكل في اطار نقابات CGT<sup>5</sup> المقسم حسب البعد العرقي، يتأثر بالتوجه الشيوعي الاستعماري في تأطيره، ولا يعترف بها كموجه للطبقات الشعبية، وأقامت الجماعات المندمجة في الوسط الأوروبي (عمال السكك الحديدية والمستشفيات والبريد) روابط متميزة وخاصة مع وسط طبقات البيض الدنيا، وفي مقدمتهم الحبيب التيجاني، وهو دهان عمارات أصله من وادي سوف، وتأخذ هذه الجماعات العمل طابعا ظرفيا، وحسب الحاجة. وكان عمال الميناء وأجراء معامل المعلبات والعمال والبستانيون والمطبعيون وحتى عمال البلدية والمناجم، متحفظين اتجاه الشيوعية، نتج عنه فقدان الحزب الشيوعي السيطرة على نقابات العمال في سكيكدة.

واعتبر الحي والمقهى بالنسبة للعمال أكثر أهمية من مكان العمل، بينما يتمتع عامة الناس في المدينة والعمالون في القطاع الخاص والعمال الأجراء في التجارة والحرف بقاعدة اجتماعية واسعة<sup>6</sup>. وتوجد في منجم الحديد بالعالية نقابة جد نشيطة، تضم أكثر من 800 منخرط من مجموع ألف عامل<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص.362.  
<sup>2</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص.363.

<sup>3</sup> Catogni Georges

<sup>4</sup> Djabi nacer, Kaidi Lakhdar, op cit, p.144.

<sup>5</sup> CGT نقابات الكونفدرالية العامة للشغل رأسها ليون جوهو 1879-1954.

<sup>6</sup> Harbi Mohamed, L'Algerie et son destin, croyants et citoyens, alger, média associes, 1994, P..233

<sup>7</sup> Djabi nacer, Kaidi Lakhdar, op cit, p.200

وأضحى من غير الممكن تجنب الصراع بين رعايا فرنسا من الأهالي الذين لا يمتلكون حقوقا حقيقية والمواطنين الفرنسيين بامتياز الذين كانوا يسيطرون على ما تنتجه المدينة، حيث يعيش مجتمعان، كل واحد في عالمه الخاص، باهتمامات مختلفة، إذ أوجد اختلاف الوضعيات القانونية والمعاملات مدينتين، فإن علاقات السيطرة التي كانت تطبع الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الوسط الحضري، وكذا الفروق والتميز، ما انفكت تندد بها الأحزاب السياسية والمنتخبون كتعبير واقعي عن رفض السيطرة<sup>1</sup>.  
ومن الشخصيات النقابية الفرنسية الفاعلة بالمدينة:

الشيوعي بول استورغ<sup>2</sup> (1894-1973 بالجزائر)، مدرس وأحد نشطاء اليسار في الشرق الجزائري، انضم للحزب الشيوعي نهاية العشرينات من القرن 20م<sup>3</sup>.

لابيلا اينياس<sup>4</sup> ولد 1906 بقسنطينة، عضو نقابي في البناء بعنابة، لنقابة CGTU-CGT reunier عضو في الحزب الشيوعي عام 1938، وشارك في وضع تمركز في سكيكدة موسم 1936-1937 نشط بعد 1945<sup>5</sup>.  
سبوتيس لوسيان<sup>6</sup> (1905-1944)، مدرس منذ عام 1930 في عمالة قسنطينة، نشط في صفوف الشبيبة الشيوعية ونقابة CGT، وعضو للجنة المركزية لحزب الشيوعي الجزائري عام 1936، قام بهيكله نقابة الدواكرة عمال الميناء CGT بسكيكدة، وقام بالدعاية الشيوعية في الشمال القسنطيني الساحلي<sup>7</sup>.

أريس ريني<sup>8</sup> ينتمي لعائلة من المحيط الكولونيالي المستقرة بالجزائر عام 1871-1872 التي امتهنت العمل في السكك الحديدية بسكيكدة، انضم لنقابة السكك الحديدية، وانتخب أمين عام للنقابة المحلية CGT للمدينة، وتولى العديد من المسؤوليات النقابية والحزبية لغاية تعرضه للإقصاء من نقابة CGT وحزب PCA عام 1953<sup>9</sup>.

جافري جون<sup>10</sup> ولد بفرنيسنار الفرنسية، شيوعي، أستاذ بثانوي لوسيان عام 1950، تم توقيفه محاكمته عام 1952 ليتم نقله لفرنسا من طرف التربية الوطنية عام 1953، ألتحق بالحزب الشيوعي الفرنسي<sup>11</sup>.  
سيانفراني دومينيك: 1886-4 فيفري 1959 بفرنسا، عمل كمدرس، ويعتبر من أبرز منسطي الاشتراكية الفرنسية في عمالة قسنطينة، انتقل من حزب SFIO الذي انضم إليه عام 1914 نحو الحزب الاشتراكي الفرنسي عام 1934، وأصبح ضمن الفيدرالية الاشتراكية لعمالة قسنطينة، وتولى امانة لجنة الجبهة

<sup>1</sup> أيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص.349.

<sup>2</sup> Estorges Paul

<sup>3</sup> Gallisot René, Algerie engagements sociaux, barzakh, P.226.

<sup>4</sup> Labella ignace.

<sup>5</sup> Gallisot René, Algerie engagements sociaux, barzakh, P..404

<sup>6</sup> Sportisse Lucien

<sup>7</sup> Gallisot René, Algerie engagements sociaux, barzakh, P.563.

<sup>8</sup> Arrus René

<sup>9</sup> Gallisot René, Algerie engagements sociaux, barzakh, P. 70-69

<sup>10</sup> Jaffré Jean

<sup>11</sup> Gallisot René, Algerie engagements sociaux, barzakh, P..357

الشعبية بسكيكدة عام 1937، أصبح رئيس اللجنة الفرنسية للمقاومة لسكيكدة، بعدها تحول إلى الحزب الجمهوري الاشتراكي للاتحاد الفرنسي بعد سنة 1945، عضو مجلس الاتحاد الفرنسي عام 1947، مستشار بلدي لسكيكدة ومستشار عام في سنة 1945.

وعين دومينيك سيانفراني مدرس في القطاع الوهراني، ثم انتقل لعمالة قسنطينة ببجاية، بعدها مديرا للمدرسة الاهلية بباتنة وسكيكدة (مؤسسة أناتول فرانس)، لغاية تقاعده، عرف بانتمائه للماسونية، حيث كان عضو في محفل نجم الساحل ببجاية، ومحفل الأوراس، ومحفل أبناء مارس بسكيكدة<sup>1</sup>.

ويغلب على الأنشطة الاقتصادية في مدينة سكيكدة الاقتصاد الكولونيالي المهيمن على كافة القطاعات الاقتصادية من العمال أغلبيتهم أوروبية، ومن حيث النشاط الاقتصادي الاحتكاري خاصة الزراعة التجارية، في ظل قلة الأنشطة الصناعية لم يجد العمال الجزائريون ظلتهم في النقابات الفرنسية التي لم تخدم مصالحهم، وفرضت عليهم الظروف الدخول في اضطرابات عمالية امتدت من اضراب عام 1910 رفعوا فيه العلم الجزائري تعبيرا عن رغبتهم في تغيير الوضع القائم الذي سيتبلور خلال الثلاثينات من القرن 20م مع تطور نشاطات الحركة الوطنية الجزائرية في مواجهة النظام الاستعماري.

ويمكن اعتبار بأن أحداث 20 أوت 1955 تمثل نهاية النشاطات النقابية الكبرى نتيجة وجود مشهد سياسي جديد فرض نفسه<sup>2</sup>.

وفي بدايات عام 1956 تشكلت مركزيتين نقابيتين: اتحاد UGTA التي يقودها عناصر مقربة من جبهة التحرير الوطني في 24 فيفري 1956، ونقابة USTA في 7 فيفري 1956<sup>3</sup>.

نستنتج بأن النشاط النقابي في المدينة بقيت تحت احتكار النقابات الفرنسية التي عملت على تكريس الهيمنة الأوروبية على قيادة هذه التنظيمات المهنية، بينما ظل تمثيل الأهالي محدودا من حيث المسؤوليات والمؤتمرات النقابية على الرغم من ارتفاع تعداد الطبقة العاملة، مما أدى إلى تجدد الحركة النقابية في المدينة، خاصة عمال الميناء والضيعات الفلاحية، نتج عنه اسهام الفعلي للعمال المسلمين في الاضرابات التي شهدتها المدن الجزائرية في الثلاثينات من القرن 20م، لكن الوضع تغير في الخمسينات بعد نشأة النقابات الجزائرية الأمر الذي ساهم في ادخال العمل ضمن المشروع الوطني الاستقلالي في مواجهة النظام الاستعماري الاستغلالي، والتحاق بعض شخصياتها الوطنية بصفوفها ككوادر فعالة لها أهمية مزدوجة نقابية وسياسية.

<sup>1</sup> Gallisot René, *Algerie engagements sociaux*, barzakh, P218-219. Motoy louis pierre, *Parcours*, n6-7, déc 1986.

<sup>2</sup> Djabi nacer, *Kaidi Lakhdar*, op cit, p..201

<sup>3</sup> Djabi nacer, *Kaidi Lakhdar*, op cit, p..206-204



الفصل الرابع: الحياة السياسية في المدينة

المبحث الأول: نشاط الأحزاب الفرنسية:

المبحث الثاني: الشخصيات الفرنسية المحلية.

المبحث الثالث: نشاط الحركة الوطنية.

المبحث الرابع: النشاط الثوري.

## المبحث الأول: نشاط الأحزاب الفرنسية:

إن استعراض موضوع الحدود الاثنية والسياسية للأحزاب الفرنسية بالمدينة، يفتح لنا المجال لمعالجة قضايا جوهرية في البحث التاريخي للجزائر المستعمرة، حيث تمكننا من الخوض في غمار التطور السياسي للتشكيلات الحزبية الفرنسية ومكوناتها الاجتماعية التي تمثل الفئة المهيمنة على الوضع الاستعماري في الجزائر، في وقت ظلت فيه الفئة العريضة من سكان الجزائر المسلمين تعيش على هامش النظام الكولونيالي المفروض عليهم.

تمثل البلدية الخلية الأساسية في الاستراتيجية الاستعمارية الاستيطانية، فالمناطق التي يكثر فيها العنصر الأوروبي تحولت إلى بلديات ذات صلاحيات كاملة، وأدمت فيها بعض الدواوير للرفع من من ميزانيتها، وأما المناطق التي يقل فيها عددهم ذات رقعة واسعة، رغم تطبيق سياسة الطرد ومصادرة الأراضي الخصبة من الفلاحين الأصليين، فحولت إلى بلديات مختلطة يسيرها حاكم إداري فرنسي له الصلاحيات واسعة يخضع إلى السلطة الإدارية، هذا ما يفسر وجود بلديتي القل وجيماب (عزابة) كل واحدة تضم مجموعة كبيرة من الدواوير، رغم قلة عدد مراكز الاستيطان<sup>1</sup>.

تعد البلديات ذات الطابع المدني الركيزة الأساسية للتنظيم القاعدي للنظام الاستعماري في المدن، ويرجع تأسيسها إلى الفترة التي أعقبت الإحتلال والتوسع العسكري الفرنسي وتوطين السكان الأوروبيين بالمناطق الشمالية، حيث دفعت النتائج الإيجابية للحملة الفرنسية إلى التفكير في أطر جديدة يتم بواسطتها الاعتناء بشؤون المدنيين الأوروبيين بعيدا عن تدخل الجيش الفرنسي، وصاحب التوسع العسكري الفرنسي في سكيكدة توسعا مدنيا قام على دعامتين أساسيتين وهما: الهجرة الأوروبية وبناء المستوطنات. عين إيمانويل أنطوان فيناش<sup>2</sup> محافظا مدنيا على مدينة سكيكدة، وذلك بمقتضى القرار الوزاري الصادر في 14 فيفري 1840 فمارس صلاحيات واسعة منها محافظ ومتصرف إداري ثم قاض تجاري<sup>3</sup>، عمل فيناش على متابعة السلطات المدنية التابعة للسلطة العسكرية، وقدم أول اهتماماته للحالة المدنية، حيث قام بنسخ كل العقود الموقعة سنتي 1838-1839 في السجلات المدنية<sup>4</sup>، بعد ذلك خلفه لابين<sup>5</sup>، وبقيت سكيكدة محافظة تابعة لعنابة إلى غاية انتقال المدينة من محافظة إلى دائرة برئاسة لويس ديسير<sup>6</sup>،

<sup>1</sup> ولد النبية كريم، جامعة سيدي بلعباس، مقال البلدية المختلطة في منطقة سكيكدة، أشغال الملتقى الوطني الثالث 26-27 ديسمبر 2005 بسكيكدة، تنظيم جمعية روسيكادا الثقافية لولاية سكيكدة.

<sup>2</sup> أنطوان إيمانويل فيناش الرئيس لسابق لبلدية عنابة ونائبه الكاتب لويس كاسينيار Louis Cassaignard، وواصل فيناش مهامه على رأس مجلس بلدية سكيكدة المعين إلى غاية 8 ماي 1841، تولى فيناش صفة موظف وإداري وقاضي، مع تمتعه بسلطات رئيس دائرة وبلدية وتحت تصرفه عناصر من الدرك والشرطة وفرسان فرنسيون وأهالي وجيش، تمكن من الحد من سلطة العسكريين بالمدينة.

<sup>3</sup> عميرواي أحمدية، مقال الإحتلال والمقاومة في منطقة سكيكدة، مجلة العلوم الانسانية، جامعة منتوري، ص 184.

<sup>4</sup> Solal Edouard, philippeville et sa région; Op. cit, p.101-102-112-114-115.

<sup>5</sup> لابين Lapaine

<sup>6</sup> عين لويس ديسير Dessert Louis نائب مدير الداخلية بسكيكدة منذ صدور أمرية 31 ديسمبر 1842 لغاية عام 1846، بمثابة وظيفة رئيس دائرة عوض من طرف فريسون Frisson أنظر:

وفق قرار 10 ديسمبر 1842، ونتيجة لهذه الإجراءات تشكلت بها بلدية في 09 فيفري 1843، عقبها نصب أول رئيس للبلدية<sup>1</sup>، وهو غوستاف بيشار دومبلي، ثم تحولت سكيكدة إلى بلدية كاملة الصلاحيات عقب صدور أمر ملكي مؤرخ بتاريخ 31 جانفي 1848، ونظمت انتخابات محلية في 30 أكتوبر 1848 اسفرت عن 12 عضو من المجلس البلدي، كما تشكل مكتب الشؤون العربية في 1 فيفري 1844 الذي يقوم بمهمة التنسيق بين الهيئات العسكرية والمدنية وبينهما وبين السكان، وليقوم أيضا بجمع الضرائب وحل النزاعات بين الجزائريين وتجنيدهم، وفي 15 أبريل 1845 صدر قرار نص على أن تسيير الناحية بثلاثة أجهزة إدارية: الأولى مدنية، والثانية عسكرية، والثالثة مختلطة.

كانت المدينة بعد عشر سنوات من تشكيلها، تمثل المدينة الأكثر تعميرا في مقاطعة قسنطينة يشرف عليها رئيس بلدية، وتشمل البلدية الإقليم الذي حدده القرار المؤرخ في 19 نوفمبر 1844، قدر فيها عدد المساعدين أربعة من بينهم اثنان مخصصين للمدينة، وواحد لقرية سانت أنطوان، والآخر لقرية دانريمون-فالي. وتأخر تنصيب البلدية<sup>2</sup> لغاية وصول جريدة بريد فيليب فيل التي أعلنت السكان عن قيام ثورة فيفري 1848، في 6 مارس وإعلان قيام الجمهورية الثانية وسقوط الملكية ولم تحدث أي اضطرابات أو احتفالات تذكر، وهناك تأقلم سريع مع هذه المتغيرات الحاصلة في فرنسا.

وكتبت جريدة بريد فيليب فيل في 15 مارس 1848: (بأن هذه الترتيبات الحالية لم تقم من أجل مصلحة المعمرين، لكنها كانت من أجل الإدارة، التي امتصت كل شيء، والكل عطل، والكل تشلل)، وأصبح السكان يطالبون بالاندماج مع فرنسا، وأكدت الجريدة ذاتها<sup>3</sup>: (لا توجد أي لحظة للتردد، الجزائر لا يمكنها أن تصبح مزدهرة إلا عن طريق الاندماج الكلي مع فرنسا).

وعين المجلس البلدي من طرف مدير الشؤون المدنية لقسنطينة كاريت<sup>4</sup> بقرار تنصيب صادر في 1 جوان 1848، رغم معارضة بعض السكان لذلك الذي اعتبروا بأن البلدية لا يمكن تعيينها<sup>5</sup>، بل يجب أن تنتخب، مما خلق عدة احتجاجات بالمدينة، وبقي دامبلي رئيس البلدية لغاية تجسيد قواعد للإدارة البلدية الكولونيالية في الجزائر حسب رغبة السكان الأوروبيين بسكيكدة عن طريق قرار الجنرال كافينياك<sup>6</sup> الصادر في 16 أوت الذي يفرض قيام مجالس منتخبة، لذلك حددت في 30 أكتوبر 1848 انتخابات المستشارين البلديين 12 بموجب قرار 9 أكتوبر الذي أصدرته الحكومة العامة، تلاهما قرار في ديسمبر

<sup>1</sup> تولى المعمر البارون ألكسندر قوسطاف بيشار دامبلي Peschart D'Ambly قائد كتيبة الميليشية بسكيكدة.

Ibid, P.111

<sup>2</sup> عدد المستشارون البلديون 12.

<sup>3</sup> Courrier de philippeville ; 15 mars 1848, n : 104.

<sup>4</sup> ارنيسست كاريت Ernest Carette 1808-1890، ضابط سانسيموني في الهندسة الفرنسية، وصل كاريت إلى الجزائر عام 1935، ثم عين والي عمالة قسنطينة سنة 1848.

<sup>5</sup> Solal Edouard, philippeville et sa région, op-cit, p.p 119-120

<sup>6</sup> الجنرال كافينياك Cavaignac

1848 مكمل لقرار 16 أوت، ورغم شدة الحملة الانتخابية، إلا أن نسبة المنتخبين كانت حوالي 35% فقط، وانتخب مجلس بلدي جديد لسكيكدة في 25 جانفي 1849، ينتمي 7 مستشارون من 16 للمجلس السابق، وأعيد تنصيب دامبلي رئيسا له من طرف الوالي<sup>1</sup>.

وقررت الحكومة الفرنسية أن تنشئ بلديات في الجزائر، وكلها تخضع للمسؤول الإداري، يتشكل مجلسها البلدي من رئيس بلدية ونواب له ينتمون إلى فئات تمثل فرنسا ومسلمين جزائريين وإسرائيليين، وتختص هذه المجالس بالحالة المدنية والشرطة البلدية ودراسة ميزانية الإدارة المحلية، ويتم تعيينها من طرف الحاكم العام، وبقيت مداخلها المالية غير كافية لتسيير الإدارات المحلية، وازداد عدد البلديات في الجزائر من 47 عام 1856 إلى 71 بلدية عام 1863<sup>2</sup>.

وأشأ حكم مدني في المناطق التي توجد بها جاليات أوروبية، بعد صدور مرسوم ملكي في 15 أبريل 1845 حيث تقرر إقامة ثلاث مقاطعات بالجزائر، وفي 9 ديسمبر 1848 قررت الحكومة الفرنسية تطبيق نفس النظام السياسي والإداري الموجودين في فرنسا نفسها، وذلك استجابة لرغبات المعمرين بالجزائر<sup>3</sup>. واعتمادا على مرسوم 4 مارس 1848 المؤكد لقرار 22 جويلية 1834، قسمت الجزائر إداريا إلى ثلاث عمالات خاضعة للمراقبة المباشرة للحاكم العام، وكل عمالة بدورها مقسمة إلى دوائر وبلديات<sup>4</sup>. وأما بالنسبة للتنظيم الإداري في كل عمالة، فتوجد بكل عمالة أو مقاطعة إدارية مجلس يتكون من والي العمالة<sup>5</sup> و3 أعضاء يشاركونه في تنظيم ودراسة القرارات التي ينبغي اتخاذها كموا في المجال الاقتصادي أو العمراني. وكان المسؤول الإداري المدني<sup>6</sup> يعتبر هو المحرك الرئيسي للإدارة الاستعمارية لأنه يشرف على توجيه كبار الموظفين الذي يخضعون لتعليماته وأحكامه، أما المدير المالي يشرف على إعداد الميزانية وجمع الضرائب ويتمتع بحق الأمر بالصرف في الجزائر، بينما النائب العام<sup>7</sup> يسيطر على القضاء<sup>8</sup>.

أراد الاستعمار الفرنسي تهيئة الظروف لمساعدة الاستيطان الأوروبي ولإيجاد الأساليب الناجحة للقضاء على تمرد الجزائريين، والسيطرة عليهم من أجل تنفيذ مخططاته الاستعمارية وكانت أهداف الاستعمار

<sup>1</sup> Ibid, P.121.

<sup>2</sup> عمار بوحوش، المرجع السابق، ص.134.

<sup>3</sup> بوحوش عمار، المرجع السابق، ص.132.

<sup>4</sup> Collot Claude, les institutions de l'Algérie durant La période coloniale 1830-1962, ed du CNRS, OPU, alger, 1987.

<sup>5</sup> والي العمالة أو رئيس المقاطعة Le préfet

<sup>6</sup> المسؤول الإداري المدني L'intendant civil

<sup>7</sup> النائب العام Le Procureur général

<sup>8</sup> بوحوش عمار، المرجع السابق، ص.124-133.

تطبيقاً لسياسة الإدماج<sup>1</sup> التي شرع في تطبيقه قانون الصادر مرسومه 30 جوان 1876 الذي نادى به الجمهورية الثالثة قد طبق لصالح المستوطنين لأنه من المستحيل إدماج الأهالي في البيئة الفرنسية<sup>2</sup>.

ولم يحدث لسياسة المحتل أي تغيير جوهري له، مهما تغير النظام السياسي في فرنسا من جمهورية أخرى أو من الملكية نحو الإمبراطورية وصولاً إلى الحكم المدني بالجزائر، حيث انتقلت من العسكريين إلى المدنيين مما جعل للمعمرين دوراً بارزاً في تحديد السياسة اتجاه السكان في شتى الميادين، وعلى الدوام مركز السلطة كان دائماً هو باريس<sup>3</sup>.

وطبقت على الجزائر باسم الدمج، جميع القوانين الفرنسية المتعلقة بالتمثيل السياسي وبالقضاء، وباسم المصالح الخاصة للمستوطنة رفضت الضرائب المباشرة الفرنسية، والخدمة العسكرية التي تم إعادتها عام 1875 بعد تخفيضها إلى سنة واحدة بالنسبة لفرنسيي الجزائر<sup>4</sup>.

بعد الاحتفاظ بالجزائر كجزء من فرنسا تركزت السياسة الفرنسية على فكرة إقامة إدارة في الجزائر مشابهة للإدارة الموجودة في فرنسا<sup>5</sup>، وكانت النزعة الوطنية الفرنسية الحصن الأساسي الذي أقامته الفئة الأوروبية في المدينة لمنع كل تطوير للنظام الاستعماري الكولونيالي في الجزائر، وكانت متمسكة بالعلم الثلاثي الألوان لكي تحمي امتيازاتها باسم المبادئ الكبرى، وكان اليمين التقليدي في المتروبول قد ساندتها دوماً بتضامنه معها وتأييدها بصحافته ونوابه (اللوبي الجزائري) في البرلمان.

واعتماداً على هذا، استطاعت الجالية الفرنسية في المدينة على غرار باقي المدن الجزائرية أن تحتفظ لمدة أطول بنفس ردود الفعل، وأخذت على عاتقها الإبقاء على مطلبها المزدوج نفسه أي تسريع صيرورة التوسع الكولونيالي وكبح كل محاولة للتخفيف من هيمنتها، فثورة 1848 في فرنسا استقبلت بسرور في الجزائر، ورأى فيها المستعمرون ما يبشر بتوسيع سلطاتهم على حساب العسكريين، ولم يكن لحماستهم الجمهورية ما يعادلها إلا رغبتهم بتوسيع مجال الاستعمار واحتجاز أراضي القبائل المحلية.

وعندما أخذ نابليون الثالث<sup>6</sup>، بناءً على نصيحة توماس أوربان<sup>7</sup> بمبدأ إنشاء المملكة العربية، وجد فيهم معارضين عنيديين، ولهذا فإنهم صفقوا بحماسة لسقوط الإمبراطورية الثانية عام 1870، وحاولوا أن يكرسوا استقلال الجزائر تحت هيمنتهم المطلقة<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> زمولي ياسمين، الألقاب العائلية في الجزائر قانون الأحوال النسيية في الجزائر 1870-1900، قسنطينة نموذجاً، ماجستير في التاريخ، إشراف قشي فاطمة الزهراء، جامعة منتوري، 2003، ص.30.

<sup>2</sup> العقاد صلاح، المغرب العربي، ط3، مكتبة أنجلو المصرية، 1969، ص.58.

<sup>3</sup> قنان جمال، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994، ص.124.

<sup>4</sup> أجيرون شارل أندري، نفس المرجع، ص.82.

<sup>5</sup> بوحوش عمار، المرجع السابق، ص.125.

<sup>6</sup> لويس نابليون الثالث إمبراطور فرنسا (ديسمبر 1851 حتى سبتمبر 1870).

<sup>7</sup> توماس أوربان Thomas Urbain 1812-1884 أحد القادة الفرنسيين من أتباع المذهب السان سيموني الذين اعتنقوا الإسلام، وحمل اسم اسماعيل، اشتغل مترجماً لعدد من الحكام الفرنسيين بالجزائر، ومستشار لنابليون بونابرت، عاد إلى المسيحية، ينظر: عمير اوي حميدة، بحوث تاريخية، ط2، 2006، دار الهدى، عين مليلة، ص.124.

<sup>8</sup> سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح، المرجع السابق، ص.186.

وفي الوقت نفسه توسع الإقليم المدني في الفترة الممتدة من 1867 لغاية 1870<sup>1</sup>، ورغم ذلك اعتبر معمرو سكيكدة بأن استفادتهم من سياسة الإلحاق تعد محدودة ضمن منطقة كانت أكثر أوربية<sup>2</sup>.

تمكن المعمرون في بداية ظهور نظام الجمهورية الثالثة من فرض سياسة الإدماج الإداري مع التقيد بالتقاليد الجمهورية، ووضع مرسوم 24 أكتوبر 1870 الجزائر تحت سلطة الحاكم العام المرتبط بوزير الداخلية، كما أكد مرسوم 26 أوت 1881 مبدأ الارتباط، بحيث أصبحت كل المصالح تتبع مباشرة الوزارات الوصية المعنية بها، حيث يقوم الحاكم العام بوضع مشروع الميزانية بمساعدة مجلس حكومة يضم 14 موظفا ساميا، وثلاثة ولاية للمقاطعات وثلاث جنرالات و18 مستشارا عاما.

ويتم منح القروض الممنوحة للجزائر عن طريق قانون المالية الموزعة على ميزانية كل القطاعات الوزارية في باريس بنفس الأشكال والشروط المخصصة لميزانية الدولة، وأقر مرسوم 24 أكتوبر 1870 للمقاطعات الجزائرية نفس النظام المتبع في المقاطعات المتروبولية، وأصبح المستشارون المنتخبون ينظمون عن طريق مرسوم 23 سبتمبر 1875. وعدل الإقليم المدني بموجب قانون 05 أفريل 1884 يتمثل في وجود مستشارين عن طريق هيئة منتخبة محدودة<sup>3</sup>.

وطبقت في المجال القضائي نفس السياسة الإدماج، وهذا اعتمادا على قانون الحالة المدنية 22 مارس 1882 وفق النموذج الفرنسي، وقام قانون أوت 1874 بإلغاء كل المحاكم القبلية، حيث تشكلت المحاكم الفرنسية<sup>4</sup>، كما طبقت عدة قوانين تأرجحت بين الارتجالية والتردد والجور<sup>5</sup>.

ويظهر التمييز بين الأوروبين والمسلمين في أوضح صورته في مجال التمثيل السياسي بسبب رغبة المستعمر في إبقاء المستعمرين الذين هم أغلبية عددية في دائرة سكيكدة، وجعل منهم أقلية سياسية، وظلوا مستبعدين من حق التمثيل طوال العهد الاستعماري لمدة أكثر من قرن، ولم يمنح للمسلمين إلا الدور الاستشاري في المجالس العامة، وبقي تمثيلهم ضيقا جدا، رغم صدور قرار 23 سبتمبر 1875 الذي أعطى الأعضاء المسلمين صوتا تقريريا، وبقي التمثيل ضعيفا لغاية نهاية الحرب العالمية الثانية، وظل النظام الاستعماري محافظا على جوهره الأصلي لا يمنح الرعية حق المواطنة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> أضاف المرسوم الإمبراطوري المؤرخ في 10 ديسمبر 1868 قطعا هامة من الإقليم العسكري في الغالب حصرت في الإقليم المدني بدائرة سكيكدة حوالي 10000 هكتار في بلديات سكيكدة، سان شارل، روبرت فيل، الحروش، جيماب، إضافة إلى قاستو Gastu، التي ألحقت من جديد إلى دائرة سكيكدة Arrondissement de Philippeville.

<sup>2</sup> Solal, Edouard; *Philippeville et sa région*, Op. cit, p.143

<sup>3</sup> وفي المجال السياسي يمثل المقاطعات برلمانيون بموجب مرسوم فيفري 1871، حيث يتشكل من نائب وفق القانون العضوي 30 نوفمبر 1875 الذي يمنحهم نائب لكل مقاطعة ثم أصبح لهم نائبان في جويلية 1881 وفق القانون الدستوري 24 فيفري 1875 وقانون 9 ديسمبر 1884 الذي يمنح سيناتور لكل مقاطعة.

<sup>4</sup> Collot Claude; *les institutions de l'Algérie durant la Période coloniale 1830-1962*, op cit, p.10.

<sup>5</sup> عميراي أحمدية، من الملتقيات التاريخية الجزائرية، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 2001، ص.110.

<sup>6</sup> سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح، المرجع السابق، ص.174.

كانت الملكية العقارية تمثل في نظر الساسة الفرنسيين أساس الوجود الاستعماري ولضمان استمراره لجأت الإدارة إلى كل الوسائل الممكنة لتوسيع هذه الملكية بعد إضافة قانون فارني لقرار 1863 الذي صادقت عليه الجمعية الفرنسية عام 1873 ثم عدلته وأتمته مرتين 1887 و1897.

واعتمدت الإدارة الفرنسية على القانون والشرعية الظاهرية لمصادرة أراضي الجزائريين تسهيلا لإخراجها من الملكية العائلية المشاعة، وأدى إلى تحايل الأوربيين على أصحاب الأسهم في الملك للبيع في ظروف غير ملائمة، وبمساعدة المحكمة الفرنسية، يستولي على المجموع بثمن بخس.

وكانت كل مقاطعة مقسمة إلى بلديات اعتمادا على قرار 7 أبريل 1884، حيث تمتع الأوروبيون بمستوى مهم من الاستقلال الإداري مع استفادة بلدياتهم من مساحات أخرى يسكنها الجزائريون يمنحونهم ضرائبهم وتهملهم إهمالا تاما، وهذا الحيف اعترفت به كل التقارير البرلمانية الفرنسية المتوالية بين سنتي 1892-1955<sup>1</sup>، ونفس الحيف على مستوى التمثيل المحلي، مع الحرص على إقصاء العنصر الأهلي من الحياة العمومية.

فترك الجزائريون تحت رحمة المعمرين المسيطرين على مراكز الإدارة، التي سخروها لخدمة مصالحهم، إذ لم يكن أحد يهتم في باريس بما يجري فعلا وراء المتوسط، وبقدرا أهملت مصالح السكان المسلمين، استجابت حكومة فرنسا لمطالب المعمرين، فشكلت بمقتضى قرارات 23 أوت 1898 مجلسا له اختصاصات اقتصادية يحمل اسم النواب المالية مجالس الميزانية.

وحاولت لجنة تحقيق برلمانية مكونة من مجلس الشيوخ برئاسة جيل فيري المتحمس لتغيير أسلوب تسيير المستعمرات الفرنسية عام 1891 التي حققت في الأوضاع لمدة 53 يوما، قال رئيسها (إن ما عمله المستوطنون يلطخ سمعة فرنسا، وأنه لا توجد عدالة، ولا سياسة واعية). وأضاف زميل له (لقد حططنا الكيان الإنساني للمجتمع الجزائري دون أن نفتح المجال للجزائريين لكي ينضموا إلى مجتمعنا).

وخلال مناقشة القضية الجزائرية في مجلس الشيوخ الفرنسي، حلل جول فيري نفسية المستوطن الأوروبي بالجزائر فقال: (بأنه من الصعب على المرء أن يقنع المهاجر الأوروبي أن هناك حقوقا لأناس غيره في بلد عربي)<sup>2</sup>. ويضيف جول فيري: (إن البلدية الكاملة الصلاحية هي استغلال لابن البلد على المكشوف)، بحيث تركوا رؤساء البلديات الفرنسية بدون رقابة، يتصرفون بالموازنة لصالح الأوربيين وحدهم، ويفرضون الرسوم حسبما يشاءون)<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> العروي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، ج 3، ط 1، المركز الثقافي العربي، 1999، بيروت، ص.ص. 170-171.

<sup>2</sup> بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر، المرجع السابق، ص. 189.

<sup>3</sup> أجبرون شارل، تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1976، ترجمة عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، 1982، ط 1، ص. 81.

ووصلت الجالية الأوروبية إلى حد كبير من القوة والتماسك والثقة بالنفس لم تعد تشعر بالحاجة إلى حماية خارجية، وظلت الحقوق السياسية يتمتع بها المستوطن على أساس أنه مواطن فرنسي مغترب<sup>1</sup>. واستمر الوضع على حاله، لأن أوروبيو الجزائر يرفضون أي مشروع أو إصلاح يهدد مصالحهم، وهذا ما جعل أندري جوليان يقول: (ليس للمعمر أي وعي سياسي، تراه يثور من جهة على الدولة كلما بدا له أنها تهدد إمتيازاته، ولا يتورع من جهة أخرى من طلب مسانبتها بعنف وصخب كلما حلت به أزمة، تلك الأزمة التي يرمي مسؤوليتها على الدولة نفسها، أما في سياسته إزاء الأهالي فإنه معارض كل المعارضة لكل إصلاح، وذلك بإصرار جنوني).

وتواصلت ضغوط أعضاء الحزب الكولونيالي في باريس بالبرلمان ومجلس الشيوخ الفرنسي على رجال السلطة التشريعية، خلال مناقشة الاقتراحات، إلى درجة أن القضية أصبحت غير مجدية<sup>2</sup>، وألحقت قرى كاملة في الغالب بالبلديات المدنية ذات الصلاحيات الكاملة التي زاد عددها في الجزائر<sup>3</sup>.

وبقي الجزائريون في معزل عن الأحداث التي هزت الجالية الأوروبية في أواخر القرن 19م<sup>4</sup> الذين طالبوا بالاستقلال، عقب حصولهم على الجنسية الفرنسية بموجب مرسوم صادر في 26 جوان 1889. عمل المنظرون العسكريون الفرنسيون على توطين الأوروبيين على أوسع نطاق، وحشر الأهالي في مدنهم المخربة أو المحولة إلى مدن أوروبية<sup>5</sup>، واعتمدوا على احتكار الديمقراطية لمصلحة المعمرين وحدهم، هذا ما أكده إيميل إشي عام 1903 بقوله: (إن وضع الفرنسيين اليوم بالجزائر شبيه بوضع الإفرنج في غالبا القديمة: جنس غالب يفرض هيمنته على جنس مغلوب، هناك إذا أسياد ورعايا، أصحاب إمتيازات وأناس لا إمتيازات لهم، فلا محل هنا للمساواة).

وتمكن المستوطنون من تحقيق إنتصارات سياسية هامة عام 1871 المكملة لإرادة فرنسيي الجزائر المتحصلين على حق الإقتراع العام في المستعمرات عام 1848 وصفة المواطنة وحق التمثيل في البرلمان، وفرضهم لنظام الارتباط بفرنسا عام 1881<sup>6</sup>، وأصبحت الجزائر (جمهورية فرنسية صغيرة) لاوزن فيها إلا لمصالح المستوطنين، وأصبحت بطاقة الناخب لقب الشرف لهذه الإقطاعية الجديدة<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> العروي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، المرجع نفسه، ص. 172.

<sup>2</sup> بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر، المرجع السابق، ص. 190.

<sup>3</sup> تزايد عدد البلديات الكاملة الصلاحيات بالجزائر من 196 بلدية عام 1881 إلى 261 بلدية عام 1900.

<sup>4</sup> انتفاضة الأوروبيون المقيمين في الجزائر ضد اليهود عام 1898، وحالات الغضب والكرهية اتجاه فرنسا.

<sup>5</sup> الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، المرجع السابق، ص. 298.

<sup>6</sup> حربي محمد، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، سلسلة صار، موفم للنشر، الجزائر، 1994، ص. 87.

<sup>7</sup> أجبرون شارل، تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1976، المرجع السابق، ص. 79.



نشطت أحزاب استعمارية في مدينة سكيكدة مثل الحزب الاشتراكي الفرنسي<sup>1</sup> الذي ضم ثلاثة أجنحة هي: جناح قاسد<sup>2</sup>، وجناح جون جوراس<sup>3</sup>، وجناح فايون، لكن في مؤتمر ثورعام 1920 انفجرت تلك الوحدة خاصة بانسحاب الاشتراكيين الشيوعيين منه.

وأصبح حزب SFIO<sup>4</sup> يجمع كل الاشتراكيين في فرنسا ماعدا الشيوعيين مما جعله يشكل تيارا اشتراكيا عرف بكارتل اليسار الفرنسي المشارك في مختلف الانتخابات، واستطاعت الوصول إلى الحكم في فرنسا قبل التوجه للمعارضة بين سنتي 1945-1950 التي عادت إلى الحكم عام 1956.

يعد الحزب الراديكالي أول حزب فرنسي يتم تشكيله في عهد الجمهورية الثالثة 1871-1944، حيث تأسس عام 1901، فكان بذلك لكن تحت اسم الحزب الجمهوري الراديكالي والراديكالي الاشتراكي، كان من أنصار الإصلاحات الاجتماعية، تحالف مع الجناح المعتدل من الجمهوريين ثم مع الاشتراكيين سنتي 1926 و1936 على التوالي، تصدع أثناء الاحتلال بين حكومة فيشي والمقاومة، وفشلت محاولات إصلاحه بعد الحرب، يتبنى فلسفة اليسار في اللائكية، وسياسة المحافظين في الليبرالية الاقتصادية<sup>5</sup>، ويتميز بكثرة الخلافات الداخلية فيه وانعدام الانسجام، حيث ينقسم إلى عدة تيارات يمينية ويسارية.

ويمكن اعتبار الحزب الراديكالي ضمن فئة أحزاب اللجان لأنه يعتمد أثناء الانتخابات في حشد المتعاطفين وكسب أصوات الناخبين على الشخصيات القوية ذات النفوذ الواسع، كأعيان الريف والعصبيات والأثرياء والبارزين في ميادين الأعمال الحرة والسياسيين في السلطة<sup>6</sup>.

ونجد بأن الحزب الراديكالي قد انحصر في أربع مجموعات خلال هذه الفترة هي الراديكاليون الأرتوذكس والراديكاليون المنزليون والراديكاليون اليمينيون والراديكاليون في إفريقيا الشمالية خاصة الجزائر الذين أصبحوا يؤثرون على سير الحزب في فرنسا نفسها<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> تأسس سنة 1905 بعد انعقاد المؤتمر الاشتراكي العالمي بأمستردام 1904 الذي وحد جميع القوى الاشتراكية ضمنه.  
<sup>2</sup> جول قاسد Jules Guesde 1854-1922، إسمه الحقيقي جول باسيل Jules Bazile، كان جمهوريا في البداية خلال عهد الامبراطورية، انضم للماركسية بعد هجرته، ثم اصدر جريدة المساواة L'Egalité عقب عودته لفرنسا عام 1876، ليأسس حزب العمال الفرنسي POF أول تنظيم يطالب بالماركسية بفرنسا، الذي سيصبح اهم مكون للوحدة الاشتراكية عام 1905 التي سينطبق عنها تأسيس SFIO واستمر نشاطه السياسي، وتولى عام 1914 منصب وزير دولة.

<sup>3</sup> جون جوراس J. Jaures : شخصية فرنسية يسارية (1859-1914)، سياسي فرنسي ابن جنرال من الإمبراطورية، صحافي ومؤرخ، له مؤلفات: تاريخ الاشتراكية، انتخب نائب جمهوري بين سنتي 1885-1889، ثم أعيد انتخابه كنائب اشتراكي من 1893 لغاية 1898، ثم من 1902 لغاية عام 1914، أسس L'Humanité عام 1904، تزعم جون جوراس الحركة الاشتراكية الفرنسية، وعمل في سبيل توحيد القوى العمالية، وبقي يتحمل مسؤولية حزب SFIO من عام 1905 لغاية مقتله في 31 جويلية 1914. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط42، 2007، ص. 207. وأيضا:

Le Petit Larousse illustre, 2006, paris, p.1469.

<sup>4</sup> Section Française de L'internationale Ouvrière, désignation du parti socialiste français de 1905 à 1971. Voir :

Le petit Larousse illustré, 2006, paris, p.1726.

<sup>5</sup> Jacques Chapsal, la vie politique en france depuis 1940, 2é ed, PUF, Paris, 1966, p .171.

<sup>6</sup> العمري أحمد سويلم، الرأي العام والدعاية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965، ص.57.

<sup>7</sup> Maurice Duverger, (Sous sa direction), partis politiques et classes sociales en france. CFNSP, partis et elections n° 74. librairie armand colin, paris 1955, p.p.236-237-238.

لقيت مطالب المسلمين حول التمثيل السياسي رفض ممثلي المعمرين منهم بول كيتولي أن تكون هيئة انتخابية خاصة بالتمثيل النيابي الخاص بالأهالي، تكون موحدة بين الأوروبيين والأهالي، ويفضل أن يصوت هؤلاء الأهالي في هيئة انتخابية خاصة بهم، فأعتبر أن الموافقة عليها ستؤدي إلى إحداث طبقتين من السكان في الجزائر ستنتمعان بنفس الحقوق ولا تخضعان لنفس الواجبات<sup>1</sup>، وفي انتخابات عام 1936، ساندوا مرشحي الجبهة الشعبية، ودافعوا عن سياسة التقارب بين جميع العناصر العرقية<sup>2</sup>.

وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية سبتمبر 1939 تابع سكان المدينة والقرى المجاورة عبر الراديو والصحف التطورات الحاصلة حيث استدعى للجيش الفرنسي الاحتياطيين<sup>3</sup>، خاصة بعد اندحار فرنسا أمام زحف القوات النازية الذي نتج عنه سقوط باريس تحت سيطرة الألمان في 14 جوان 1940 أدى إلى انقسام الأوروبيين إلى معسكريين: بين أنصار فيشي مؤيدين للحكومة المتحالفة مع ألمانيا التي كانت فيشي في الجنوب مقرا لقيادتها من جهة، وبين مناهضي ألمانيا الذين أيدوا الجنرال شارل ديغول والمقاومة الفرنسية للاحتلال الألماني<sup>4</sup>، وكان كبار المعمرين<sup>5</sup> من مؤيدي بيتان<sup>6</sup>.

فوجدت الطبقة السياسية الفرنسية في الجزائر نفسها في مأزق حقيقي، حيث كان عليها أن تختار موقعها في هذه المعركة المصيرية، كما وجد المجلس البلدي نفسه مطالبا بالتعبير عن تأييده للخطوات التي انتهجها حكومة فيشي، وفي هذا الصدد عبر مجلس سكيكدة في رسالة موجهة للماريشال بيتان عن مشاعره المتضامنة معه في الظروف الصعبة التي تعيشها فرنسا.

وأكد الماريشال بيتان في رسالة 25 جويلية 1940 إلى المجلس البلدي لسكيكدة: (يعبر عن تشكراته لشهادة الإخلاص والثقة التي وجهت إليه، وعبر على إمكانية الاعتماد على مساعدة الجميع في هذه الظروف الصعبة حيث قبل تحمل واجبه لخدمة فرنسا<sup>7</sup>، يرسل شهادة المحبة الكاملة للمجلس وكافة سكان سكيكدة). ومن جانبه عبر المجلس البلدي لسكيكدة في جلسته الطارئة 23 سبتمبر 1940 عن رغبته الخالصة وللتعبير عن الأمل الذي يحده مدينة سكيكدة والتي لها كل الجاذبية والنشاط الموجه من أجل التقويم الوطني، والعمل لدعم الحاكم العام غابريال<sup>8</sup> في مواجهة التطورات الحاصلة في الجزائر<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> بن حسين كريمة، الحياة السياسية في مدينة قسنطينة، المرجع السابق، ص. 268.

<sup>2</sup> Sekfali Abderrahim, maître d'Ecole et franc-maçonnerie dans le constantinois de L'entre deux guerres, p.231.

<sup>3</sup> بعض المدرسين والعمال والأطباء من الأوروبيين والمسلمين، وشارك بعضهم في معركة مونتي كاسينو بإيطاليا، التي عاد منها البعض بوسام صليب الحرب.

<sup>4</sup> بعد إعلانه من مدينة لندن عن تشكيل حكومة فرنسا الحرة 18 جوان 1940، حيث ساندته في ذلك العديد من القادة العسكريين والسياسيين الفرنسيين، خاصة المتواجدين في المستعمرات الفرنسية.

<sup>5</sup> كبار المعمرين لويس دالماتو، غراني دي بوسون، ألبير تراكي، كازابلا، وبيير شليغل.

<sup>6</sup> حربي محمد، حياة تحد وصمود، المصدر السابق، ص. 41.

<sup>7</sup> فيليب بيتان Pétain، شخصية سياسية وعسكرية فرنسية (1856-1951)، بطل معركة فيدان خلال الحرب العالمية الأولى، ماريشال ووزير الدفاع الفرنسي، ورئيس حكومة فيشي 1940-1944، حكم عليه بالإعدام عام 1945، توفي بالمنفى. ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط42، 2007، ص. 156.

<sup>8</sup> الأميرال غابريال Abrial بطل معركة دانكارك وممثل الماريشال بيتان في الجزائر لخلافة الحاكم العام لوبو المتقاعد.

<sup>9</sup> AMS ; registre des délibérations 1940 .

تولى الكولونيل المتقاعد سانت مارتان<sup>1</sup> رئاسة اللجنة الخاصة لفيلب فيل المنصب من الحكومة العامة الموالية للماريشال بيتان، وذلك حسب المرسوم الصادر بتاريخ 09 ديسمبر 1940 الذي نصب لجنة خاصة مؤهلة في بلدية سكيكدة، تتزود بنفس القرارات للمجلس البلدي ثم قام رئيس مندوبية سكيكدة سانت مارتان بتفويض نائبه بيجوان<sup>2</sup> بتعويضه في مهامه، وستقوم هذه الإدارة الجديدة باتباع جملة إجراءات قاسية تشتمل على إقصاء عدد معتبر من المسؤولين والعمال في البلدية من وظائفهم، بعد اتهامهم من قبلها بمعارضة النظام الجديد الذي شكل الدولة الفرنسية<sup>3</sup>، عوضوا بعمال جدد كانوا في الأصل إما متقاعدين أو بطلين أو مسرحيين من الجيش الفرنسي والخدمة العسكرية.

ولذلك نجد من خلال تتبع مداوات هذا المجلس المعين لتسيير البلدية<sup>4</sup>، بأن أغلب المسرحيين من الأوروبيين واليهود مع وجود أقلية من المسلمين الذين اعتبروا من الموالين للإدارة السابقة بينما طالب البعض الآخر من العاملين بالخروج إلى التقاعد لتفادي الفصل من مناصبهم في أي لحظة<sup>5</sup>، لكن في المقابل استفادت فئات من المجتمع من هذه الوضعية الجديدة للارتقاء في السلم الاجتماعي، مثلما تحصلت عليه بعض الوظائف اللاتي تمكن من الترقية مثل روش أدريان التي عينت مديرة المدرسة البلدية للسجادة الأهلية<sup>6</sup>، كما منحت بعض الصفقات للتجار الأهالي التي لم تكن لهم تلك الفرص، مثلما حصل مع التاجر يونس مختار الذي فاز بمزاد لتزويد الجيش باللحم في 01 أبريل 1941.

وحاول مسؤولو البلدية الجدد التظاهر بقبول العقائد الدينية حسب طلب من أصحابها<sup>7</sup>، كما جرت حفلة سنوية للسوق الخيرية<sup>8</sup> لمدارس في ساحة مارك.

بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية عاشت مدينة سكيكدة فترات صعبة تميزت بالتأزم السياسي والتهديدات الألمانية في نهاية الثلاثينات من القرن 20م<sup>9</sup>، الذي كانت تعاني منه فرنسا مما انعكس على المستعمرات التي أصبحت تمول جيوش المتحاربين وبعد الهجوم الألماني على بولونيا أعلنت حالة استنفار في المدن الفرنسية، ولم تكن سكيكدة بعيدة عن هذا الإجراء.

وقام مسؤولو المدينة بالتعبئة الجزئية يوم 2 سبتمبر 1939 على الساعة الصفر ليلا لمواجهة الوضع الجديد الذي يتطلب تنظيم الشرطة، وتشكيل مصالح جديدة وبخاصة الدفاع الذاتي وما يلزم من

<sup>1</sup> الكولونيل المتقاعد سانت مارتان Emilien saint martin

<sup>2</sup> بيجوان Pjowan الذي يعرض رئيس المندوبية الخاصة في حالة غيابه أو حدوث مانع له بتوفيق 03-12-1941.

<sup>3</sup> أطلق نظام فيشي تسمية الدولة الفرنسية L'Etat Français بدلا من الجمهورية الفرنسية السائدة منذ قيامها .

<sup>4</sup> ضمت هذه اللجنة الخاصة الأعضاء التالية أسمائهم: رحيم، بوجوار، بوباكير، ترافيل، أجانيك.

<sup>5</sup> أضطر البعض إلى الاستقالة لتجنب التعرض إلى عقوبات أخرى أشد.

<sup>6</sup> السجادة الأهلية Tapis Indigène.

<sup>7</sup> مثلما حصل بمناسبة عيد الرب Fête de Dieu المصادف ليوم الأحد 15 جوان 941 الذي ينطلق من شارع قرطاج حتى شارع الخط 62،

ومن شارع كليمنصو الذي أطلق عليه بشارع بيتان بإرادة السلطة المحلية، نحو ساحة مارك .

<sup>8</sup> حفلة سنوية للسوق الخيرية kermesse يومي السبت والأحد 12-13 جويلية 1941، وقد عين راحم صالح Bach Adel لمحكمة سكيكدة.

<sup>9</sup> A.M.S, délibération du conseil municipal de philippeville, année 1939.

تعويضاتهم<sup>1</sup> الأمر الذي جعل رئيس البلدية كيتولي يستدعي المتقاعدين الغير معبئين للحرب<sup>2</sup> وقدماء الموظفين في البلدية أصحاب الخبرة ليتولي مهمة تسيير مصالحها في أحسن الأحوال<sup>3</sup>.

وبعد سيطرة أنصار الماريشال بيتان على تسيير أمر البلدية بقيادة الكولونيل سانت مارتان الذي كلف برئاسة المندوبية البلدية للمدينة بعد حل المجلس المنتخب برئاسة كيتولي الذي سيعود من جديد إلى مهامهم لإتمام عهدتهم بعد انهيار نفوذ حكومة فيشي بالجزائر.

مثلما تأثرت سكيكدة بإضطرابات الحرب العالمية الأولى<sup>4</sup> تعرضت من جديد إلى قصف جوي من الطائرات الألمانية خلال الحرب العالمية الثانية في 14 نوفمبر 1942 خلف مقتل شخص وجرح آخرين مما أدى إلى تحويل الوطنية الفرنسية من اليمين نحو اليسار، عقب نزول قوات الحلفاء في 8 نوفمبر 1942، ما يمثل إعادة تشكيل الوطنية الفرنسية<sup>5</sup>، وظلت المدينة مستهدفة، ومما يفسر استمرار التحليق الجوي للمحور الراغبة لمنع أو عرقلة سفن الحلفاء<sup>6</sup>، لهذا بقيت سكيكدة تحت حالة طوارئ لغاية 28 أوت 1943 وخلالها صدت قوات الحلفاء بسكيكدة<sup>7</sup> عمليات النجدة للمدنيين، وتعرضت للضرر من الهجمات على المدينة<sup>8</sup> التي خلفت مقتل أكثر من 100 شخص، وقصفت طائرات المحور مراكز أخرى، منها أرضية الطيران والتكنات العسكرية والسفن المتمركزة في الميناء، كذلك الطريق الرابط بين سكيكدة وقسنطينة التي واجهتها قوات إنجليزية وأمريكية<sup>9</sup>.

وضمن هذه التطورات التي مرت بها المدينة، حيث كانت الفئة المسلمة تعيش بنظام المستعمرين المسيطر عليهم والمستغلين من طرف النظام الاستعماري، وهو ما يفسر رفضهم لهذا النظام المعبر عنه في البحث عن تغيير ظروف العيش والوجود ووضعيات عدم المساواة والمفارقات التي تعرفها يوميات عالمهم الحضري للمدينة التي كونت نخبة قادرة على تشكيل المحتوى الايديولوجي للكفاح الوطني<sup>10</sup>.

<sup>1</sup> تسخير السيارات والحيوانات والمتوعين، وجدت البلدية صعوبة في تسيير أمورها خاصة مصلحة الحالة المدنية.

<sup>2</sup> تجهت أعداد كبيرة من مواطني المدينة للالتحاق بصوف القوات الفرنسية بفرنسا منهم عدد من الموظفين المعبئين للخدمة العسكرية.  
<sup>3</sup> فيشي المتحالفة مع الألمان، وهذا نتيجة قيام جيش الحلفاء المتكون من القوات الأمريكية والبريطانية من تحرير مدينة سكيكدة، في عملية طورش Torch لكنها ما لبثت أن تعرضت لقصف مدمر من قبل طائرات المحور من 15 نوفمبر 1942 حتى 18 جوان 1943.

<sup>4</sup> تعرضت مدينتي سكيكدة وعناية في بداية الحرب العالمية الأولى 4 أوت 1914 إلى هجوم مفاجئ لغوصتين ألمانيتين لعرقلة نقل المعدات الحربية والمؤن التموينية والقوات الاحتياطية نحو الموانئ الفرنسية أدت إلى خسائر مادية وبشرية.

<sup>5</sup> Gallisot René, *algérie colonisée algérie algérienne 18701962*, Op cit, p.147.

<sup>6</sup> كانت نتيجة تلك الهجمات الجوية المتتالية تعرض سفن الحلفاء للغرق في طول سواحل سكيكدة ومنها ميناءها تاركة التجهيزات المينائية كأجزاء محطمة، وخلف القصف الجوي مقتل 48 شخص وأكثر من 100 جريح.

<sup>7</sup> يشرف على قيادتها جنرال بريطاني وضابط سامي أمريكي.

<sup>8</sup> تمكنوا من إعاقة أهداف القنابل حول المدينة وضواحيها، لكنها خلفت عدد كبير من الضحايا المدنيين، وتدمير العشرات من المنازل، من بينها 30 منزلا في حي بني مالك، ولهذا فقد لجأ عدد معتبر من سكان المدينة إلى ملاجئ بعدما تهدمت مبانيهم أو بسبب تعرضهم لإصابات بليغة مما يسهل عملية إسعافهم، أو بقاتهم على قيد الحياة وتجنب التعرض للقصف، خاصة اكتشاف عدة قنابل لم تنفجر بوسط المدينة.

<sup>9</sup> تمكنت قوات الدفاع من تحطيم عدة أجهزة ألمانية من بينها مقبلة ألمانية هنكل التي أسقطت في أعماق ساحل سكيكدة من طرف مقاتلة بريطانية سبيت فاير speet fire، وتعرض طاقمها للسقوط وقبض على أسير ألماني، بينما تعرض الثاني للغرق وأما الثالث قتل في المعركة. ومن أسباب معاناة سكانها من القصف الجوي للمحور أهمية موقعها الجغرافي. ينظر:

Angelina Prieur Rédiger, *philippeville, ma bien aimée*, USA.

<sup>10</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص.315-318.

## المبحث الثاني: الشخصيات الفرنسية المحلية:

في الحقيقة تتضح لدينا عدة معطيات تبرز الحدود الأثنية والسياسية للأحزاب الفرنسية في الجزائر المستعمرة، حيث تميزت الحياة السياسية بسكيكدة في ظل النظام الكولونيالي بتعاقب مجموعة من العائلات الأوروبية على تسيير دواليب الحكم المحلي في مختلف المجالس البلدية، وامتدت هيمنتهم نحو باقي المجالس المهنية والاقتصادية والاجتماعية، بحيث تفوقت فئة المحامون بعد وصول عدد كبير منهم إلى رئاسة المجلس البلدي ولجانها المتعددة، ونذكر على سبيل المثال أوكتاف باسيريو، بول كيتولي، روجي روث، كذلك فئات أخرى (الأطباء، التجار والمحامون وغيرهم).

في الجزائر الكولونيالية كان النشاط السياسي والسلطة البلدية بأيدي الفرنسيين ولم يكن المسلمون المندمجون في الدرجة الثانية مقبولين إلا لتمثيل شكلي<sup>1</sup>، وظل التفوق للعناصر الفرنسية خاصة الكورسيكية والإيطالية وحتى السويسرية، إذ تمكن المحامي لوسيان سيدار من تولي مسؤولية تسيير المدينة خلال العهدة الممتدة 1896-1900، في المقابل كانت عهدات بول كيتولي وأوكتاف باسيريو وألبير تيسيبي أطول وبدون انقطاع لغاية وفاتهم، بينما نجد أسماء أخرى تصل إلى رئاسة البلدية، لكن في فترات منقطعة مثل الطبيب ألكسندر ريكوس وأبنة ريني، فرديناند ماري فيلار<sup>2</sup>، وفرضت الظروف على البعض الآخر تسيير البلدية لفترات قصيرة.

فالمدينة مكان للسلطة والنخبة السياسية وهي مساحة لتطور الايديولوجيات والأفكار والثورات، وهي المكان الذي تتجلى فيه المفارقات الاجتماعية بوضوح مما يجعلها مهياً لاستقطاب النزاع الاجتماعي أو السياسي، وفي الوضع الاستعماري تركز الصراع بين الجاليات، لأنها تجسد علاقة معقدة بحكم تنافر المصالح الأساسية وبحكم هيمنة إحداهما (الأوروبية) على الأخرى (الاهلية المسلمة)، هيمنة المؤسسات والثقافات<sup>3</sup> والشخصيات النافذة، ويمكن أخذ نظرة عن أهمها التي فرضت تواجدها الفعلي:

لويس موريل<sup>4</sup>: المندوب المالي لسكيكدة بين سنتي 1929-1944، متحصل على ليسانس في الحقوق من جامعة الجزائر، قام برحلة طويلة لأمريكا، بعدها كلف بإدارة جريدة بريد الجزائر<sup>5</sup> لمدة نصف قرن لسان حال الحزب الراديكالي الإشتراكي في عمالة قسنطينة، عين رئيس لجنة الصحافة الجزائرية في 15 فيفري 1943<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص.323.

<sup>2</sup> المحامي فرديناند ماري فيلار شخصية سياسية محلية بارزة، من مواليد باريس، تولى رئاسة بلدية سكيكدة بين 24 فيفري 1881-28 ماي 1882، ثم من 20 ماي 1888-1 ماي 1892.

Vellard pierre Ferdinand, mémoire de pierre ferdinand vellard ; algérie 1854-1885, nice, édition CEF, 1988.

<sup>3</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص.316.

<sup>4</sup> لويس موريل Louis Morel.

<sup>5</sup> جريدة بريد الجزائر La dépêche Algérien

<sup>6</sup> Octave Depont, les délégations financières algérienne, R.A, 1930, I.P. 249.- 251.

Dépêche de Constantine, 16 février 1943.

وقد امتلكت عائلة لويس موريل أراضي شاسعة من الكروم التي استقرت بسكيكدة منذ عام 1872 مثل المستوطنين في المجالس المالية بين سنتي 1929-1932، وكان لويس موريل مستوطنا ناجحا، إرتبط بعالم الأعمال والسياسة، ساهم في بعث صحيفة بريد قسنطينة، وهي جريدة الجمهوريين اليساريين، وأهم جريدة إخبارية في الشرق الجزائري، وبقيت متمسكة بمواقفها الجمهورية المخلصة لسياسة (الإصلاحات والوحدة والتقدم) لصالح المستوطنين التي إتخذتها هذه الصحيفة، حيث يشرف رفقة مديرها السياسي بول كيتولي<sup>1</sup>.

هنري داروتي: يعد هذا الصيدلي من الأعضاء النشيطين في حزب التجمع الوطني الذي تمكن من الدفاع على نفس أفكار الحزب الفرنسي في الجزائر التي كانت سائدة قبل 40 سنة، ويعد من المندوبين الماليين للمعمرين بين سنتي 1939-1945، واعتبر الشخصية الوحيدة القادرة على منافسة السيطرة السياسية المطلقة للحزب الراديكالي بقيادة بول كيتولي ولويس موريل<sup>2</sup>.

تمتلك أسرة داروتي ملكية على بعد 2 كم من الحروش، ترجع إلى صديق جده الدوق دومال، وهنري داروتي من مواليد سكيكدة عام 1885، متحصل على بكالوريا رياضيات، درس بمدرسة الصحة بجامعة بوردو التي تخرج منها كصيدلي عام 1915، كانت له نشاطات علمية وفلاحية وسياسية واسعة، أصبح عضو المجلس الأعلى للجزائر لم يحالفه الحظ لتولي منصب رئيس بلدية سكيكدة، حيث انهزم أمام منافسه وحافظ على منصبه مدير الصندوق الجهوي الفلاحي لسكيكدة، تعرض للقتل خلال الثورة الجزائرية عن عمر يناهز 76 سنة<sup>3</sup>.

ليون أوميران<sup>4</sup>: يعد من الشخصيات الصناعية والصحية والسياسية الهامة في المدينة، من مواليد سكيكدة عام 1862، صاحب مطبعة وصناعي وصحفي، مالك جريدة الإتحاد الديمقراطي<sup>5</sup> من عام 1895 لغاية عام 1920 عضو حزب الراديكالي والراديكالي الاشتراكي، وهو عضو محفل أبناء مارس<sup>6</sup>، ومستشار بلدي لسكيكدة من عام 1908 إلى سنة 1919<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> كريمة بن حسين، الحياة السياسية في قسنطينة من سنة 1930 إلى سنة 1945، ماجستير في التاريخ، إشراف حماد حسين، جامعة قسنطينة، 1992، ص 52-53.

<sup>2</sup> Octave Depont, les délégations financières, Op Cit, P.250.

<sup>3</sup> La Revue ensemble N ; 313, Le 18/05/2001, P.F.

<sup>4</sup> ليون أوميران Léon Aumeran

<sup>5</sup> جريدة الإتحاد الديمقراطي L'union Républicaine

<sup>6</sup> محفل أبناء مارس Les enfants de Mars

<sup>7</sup> Abderrahim Sekfali, op cit, p.452. Voir: Montoy L.P. la presse de philippeville et collo, répertoire des titres, aix En Provence, thèse d'état Vol 3, 1982, p.p.2261-2275

ريني ريكوس<sup>1</sup>: ولد الدكتور أناتول ريني جوزيف ريكوس بسكيكدة في 21 جانفي 1843، وتوفي في 22 أفريل 1933، وخلال مسيرة 90 سنة من عمره، بدأها ريكوس ريني بالدراسة في مدارس سكيكدة ليواصل تعليمه بالجزائر العاصمة الى غاية حصوله على البكالوريا، بعدها اتجه إلى باريس حيث تحصل من جامعتها على شهادة الطب، ونال عدة جوائز شرفية وميدالية برونزية من مستشفيات باريس، وتحصل على شهادته رسميا بتاريخ 08 جويلية 1867 بأطروحة حول وباء المستنقعات واستقر ريني ريكوس بمسقط رأسه سكيكدة، حيث عين طبيبا في المستشفى المدني، ثم عمل طبيبا في السكك الحديدية عام 1870 بحيث شغل وظيفته إلى غاية عام 1932، وقد انتخب مستشارا عاما في عام 1871 لكنه لم يكمل عهده لكي يتمكن من التفرغ لدراسته العلمية، وتولى ريني مسؤول مكتب الاحصائيات للحكومة العامة للجزائر، وعرف باهتماماته الديموغرافية بين سنتي 1870-1880<sup>2</sup> المهتمة بالسكان الأوروبيين. وفي انتخابات عام 1884 بمدينة سكيكدة، تمكن من الحصول على مقعد في المجلس البلدي، وحمله زملائه في المجلس الاشراف على البلدية كرئيس للمجلس، وبعدها تحمل نفس المسؤولية لفترتين من عام 1892 إلى غاية عام 1896 ثم من عام 1900 الى غاية عام 1904<sup>3</sup>.

أوكتاف باسيريو: ولد أوكتاف ابن المحامي ايميل باسيريو بسكيكدة في 20 أكتوبر 1867، درس بمدرسة سكيكدة ثم واصل دراسته بفرنسا<sup>4</sup>، وواصل دراسته في كلية الحقوق بالجزائر، وأصبح نقيب محامين بمجلس قضاء سكيكدة، لغاية وفاته في 10 أفريل 1929، لديه تجربة سياسية واسعة كمتشاور بلدي منذ عام 1900، ونائب أول لرئيس بلدية سكيكدة عام 1904، ورئيس بلدية سكيكدة بين سنتي 1914-1929، ضمن الحزب الجمهوري، كما انتخب مستشار عام لسكيكدة بين سنتي 1901-1929، ورئيس لمجلسه في سنتي 1927-1928، ومندوب غير كولون لسكيكدة بين سنتي 1913-1929<sup>5</sup>.

أنطوان دومينيك سيانفراني<sup>6</sup>: 1886-1959 ولد بسارتان<sup>7</sup> بكورسيكا، له ثلاثة أبناء ايميل وبول اللذان زاولا مهنة المحاماة، ومادلين مديرة في التعليم، إنتقل إلى الجزائر عام 1904 للعمل كمساعد في التعليم الأهلي بمقاطعة قسنطينة بعد تخرجه من مدرسة المعلمين ببوزريعة بالجزائر بين سنتي 1905-1906، وعمل في مقاطعة وهران 1906-1910، فرندة ومستغانم، ليتحول إلى بجاية في أكتوبر 1910 حيث

<sup>1</sup> ريني ريكوس René - Ricoux ابن لويس توسانت وجوانا مونكادا صاحب أطروحة دكتوراة حول وباء المستنقعات Paludisme، اهتم بالدراسات الاحصائية الديموغرافية في سنوات 1870-1880، ضمن فريق بحث بفرنسا والجزائر يشرف عليها البروفسير بارتيلو له عدد من المؤلفات في هذا المجال منها:

Ricoux R, *La démographie figuré*, édition masson, paris, 1880, Recherche s sur la mortalité de la première enfance, in *annale de démographie internationale*, paris, 1882.

<sup>2</sup> Courrier des Statistiques N=112, decembre 2004, la statistique coloniale en algerie 1830-1962.

<sup>3</sup> A.M.S. *Mémoire rené - ricoux*.

<sup>4</sup> Les Frères maxistes de la cote d'azur en France.

<sup>5</sup> Montoy, *op cit*, p.510.

<sup>6</sup> أنطوان دومينيك سيانفراني Ciafarani

<sup>7</sup> سارتان Sartène

درس بأقبو. وعمل دومينيك سيانفراني كمسير لصحيفة صدى بجاية، ثم مدير المدرسة الأهلية بباتنة لينتقل كمدير مدرسة أناتول فرانس بشارع الأوراس بسكيكدة الذي افتتح في 10 أكتوبر 1924<sup>1</sup>. يعد دومينيك سيانفراني أكبر المساهمين في توسيع نظرية جوراس للإدماج<sup>2</sup> المتعلقة بالمسائل الأهلية<sup>3</sup>. وقد احتضنت مدينة سكيكدة المؤتمر الفيدرالي الإستثنائي للحزب الاشتراكي SFIO في 29 ديسمبر 1925 لمناقشة جدول العمل المتمثل في مناقشة مسألة المشاركة في السلطة، وهذا بعد تكليف الأمين المحلي للحزب بسكيكدة سيانفراني رفقة مساعده ميلي سيزار الذي خرج بقرار، حيث تم الموافقة على إقتراح وبول فور<sup>4</sup> الاستحواذ على السلطة بمشاركة الراديكاليين الإشتراكيين<sup>5</sup>. بعدها واصل الاشتراكيون نشاطاتهم السياسية والحزبية، وشاركوا في مختلف المحطات الانتخابية التي تم تنظيمها سنوات 1929، 1932، 1934 لغاية اندلاع الحرب العالمية الثانية، ورغم إنتخاب ممثلين عنهم في المجالس المحلية مثل الأار، لكنهم تعرضوا لهزائم متتالية في الإنتخابات التشريعية، رغم تزايد الأصوات التي تحصلوا عنهم، حيث انهزم سيانفراني عام 1932 ثم زميله الاشتراكي إيستورغ عام 1936 أمام منافسهما إيميل مورينو<sup>6</sup>.

بول كيتولي<sup>7</sup>: يعتبر المحامي بول رايمون ماكسيم كيتولي من أبرز الشخصيات السياسية الفرنسية التي تمكنت من ترك بصماتها على الساحة السياسية بالجزائر بصفة عامة وبمدينة سكيكدة على الخصوص، عرف عنه إخلاصه لمواقف الجمهورية وسياسة الإصلاحات والوحدة والتقدم، وخدمة مصالح المستوطنين، والذي يعد من أشد أنصارها والمدافعين عنها<sup>8</sup>.

ينحدر كيتولي من عائلة ذات أصول كورسيكية استقرت عائلته بالجزائر العاصمة، حيث تمكن بول وأخيه من التخرج بشهادات عليا مكنتهم من خوض غمار الحياة المهنية والصحفية والسياسية. وبدأ كيتولي مسيرته المهنية كمستشار عام لبسكرة عام 1899، ثم تولى نفس المنصب ببرج بوعريريج عام 1904 وسكيكدة عام 1928 ثم رئيس المجلس العام عام 1923، ونفس المهام مندوب

<sup>1</sup> Abdelrahim Sekfali, *les maîtres des ecoles primaires de L'enseignement public dans le département de Constantine 1890-1939*, thèse de doctorat d'état, la direction de Jean L. Miegé, Université de P.Aix, 1993, p.326.

<sup>2</sup> نظرية جوراس للإدماج Jaurésiennes D'assimilation

<sup>3</sup> Abdelrahim Sekfali, *Op. Cit.*, P.297.

<sup>4</sup> بول فور Paul Faure

<sup>5</sup> Abdelrahim Sekfali, *Op. Cit.*, P.306

<sup>6</sup> *Ibid*; P.P.436-442.

<sup>7</sup> بول كيتولي Paul Raymond MaximeCuttoli من مواليد 28 ماي 1864 سان أوجان بالجزائر العاصمة، وتولى والده لوران عدة وظائف إدارية بوزارة العدل عام 1852، وكتب عدل للسلم عام 1863 بعدها انتقل إلى قسنطينة لتولي بها مهام كاتب رئيس المحكمة التجارية عام 1867 حيث استقرت عائلة كيتولي التي أولى أبنائها اهتماما كبيرا للدراسة، توفي في 27 أبريل 1949 بالجزائر العاصمة، لم يكمل عهده الأخيرة كرئيس بلدية سكيكدة الذي انتخب منذ 1929 في عهده متتالية وجدد له في عام 1947، ينظر:

Paul cuttoli, [www.assemblée-nationale.fr/biographies](http://www.assemblée-nationale.fr/biographies).

<sup>8</sup> بن حسين كريمة، الحياة السياسية في قسنطينة، رسالة الماجستير، المرجع السابق، ص.ص.52-53.



المجلس العام عام 1904، ومندوب سوق أهراس المالي<sup>1</sup> بين سنتي 1901-1906، ونائب في أول مجلس تأسيسي<sup>2</sup>. وعمل بول كيتولي في الصحافة في مقاطعة قسنطينة، إذ بدأها كمساعد في جريدة بوق<sup>3</sup> وصحيفة خبازي قسنطينة عام 1889 ثم أصبح محررا لجريدة المستقبل<sup>4</sup> عام 1893، بعدها تولى الإدارة السياسية لصحيفة بريد قسنطينة<sup>5</sup> عام 1908 ثم أشرف على إدارة صحيفة مرشد روسيكاد<sup>6</sup> بين سنتي 1929-1941 بسكيكدة التي استقر بها وانتخب رئيسا لبلديتها لمدة عشرين بين سنتي 1929-1949. وبدأ مسيرته السياسية كنائب للدائرة الأولى لعمالة قسنطينة يمثل الاتجاه الراديكالي، ثم الراديكالية الاشتراكية بين سنتي 1906-1919 ثم انتخب كسيناتور في مجلس الشيوخ، حيث عوض أوبري المنسحب من سنة 1919 إلى غاية 1945، وترأس أيضا فيدرالية رؤساء بلديات مقاطعة قسنطينة عام 1945 ثم عين مندوبا في الجمعية الجزائرية عام 1948.

بول بانكي كريفو<sup>7</sup>: شخصية سياسية وصحفية فرنسية من مواليد مدينة سدراتة بسوق أهراس في 24 مارس 1918، درس بول كريفو بكلية الحقوق بجامعة إيكس بروفانص ليعود إلى الجزائر في مطلع الأربعينات من القرن 20م، تزوج عام 1942 له خمس أبناء، خاض تجربة سياسية هامة في مقاطعة الجزائر، عين مندوبا في المجلس الجزائري عام 1948، ثم أعيد انتخابه عام 1954، انتخب في الدور الأول كرئيس لبلدية سكيكدة عام 1953<sup>8</sup> لغاية عام 1957، ثم انتخب في المجلس العام للمقاطعة.

تولى كريفو منصب نائب رئيس هذا المجلس، استقر بعد استقلال الجزائر بالميتروبول الفرنسي عام 1964 في مقاطعة سافوا لمدة 30 سنة تولى عدة مسؤوليات، توفي كريفو بفرنسا في 4 نوفمبر 2005<sup>9</sup>. روجي روث<sup>10</sup>: شخصية فرنسية من مواليد مدينة سدراتة بسوق أهراس عام 1912، ينحدر روجي روث من عائلة فرنسية استوطنت الجزائر عام 1857، تولى عدة مسؤوليات ومناصب في مختلف الجمعيات والمجالس التي انضم إليها أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها، آخرها رئاسة مجلس بلدية سكيكدة

<sup>1</sup> Non colon

<sup>2</sup> Montoy Louis, députés et sénateurs du département de constantine 1870-1940, circa revue historique et sociologie de constantine, 5 année, N;8/9, dec1983, p.40.

<sup>3</sup> جريدة بوق - منشور Clairon

<sup>4</sup> جريدة المستقبل L'Indépendant

<sup>5</sup> جريدة بريد قسنطينة La Dépêche de Constantine، كما أسندت له الرئاسة الشرفية للجنة إدارة صحيفة صدى المساء عام 1907.

<sup>6</sup> جريدة مرشد - ملهم روسيكاد Inspireteur du Rusicade

<sup>7</sup> بول دومينيك بانكي كريفو Banquet Crevaux ينحدر من عائلة مثقفة، حيث كانت أمه أول امرأة فرنسية، تصبح جراحة أسنان في فرنسا،

<sup>8</sup> أصبح بول كريفو رئيس بلدية سكيكدة ونائب في الخمسينات من القرن 20م.

<sup>9</sup> انتشرت ظاهرة تداول عدة مناصب في آن واحد بالجزائر، فبعد تجربة كيتولي رئيس بلدية وسيناتور المستمرة لغاية وفاته في أفريل 1949م.

<sup>10</sup> Vice président nationale de l'Association de coopération et de liaison france afrique, président d'honneur national de l'amicale des constantinois et des philippevillois.

<sup>10</sup> روجي روث Roger Roth.

1957-1962، إلى جانب ذلك اختير روث نائب رئيس الهيئة التنفيذية المؤقتة المشرفة على المرحلة الانتقالية في الجزائر المكلفة بتحضير استفتاء تقرير المصير للشعب الجزائري<sup>1</sup>.

ويعتبر روث من الفرنسيين الليبراليين في الجزائر المطالبين بالمساواة في الحقوق بين المسلمين والفرنسيين، كما عرف عنه بتأثره برئيس بلدية الجزائر جاك شوفالييه، لذلك انتقد بعض الممارسات التي أضرت بالوجود الفرنسي حسب، وصرح روث قائلاً<sup>2</sup>: (اعتبر بأن المعمرين كانوا أقوياء، حيث كان لنواب وفرنسيي الجزائر نفوذ هائل، تسمح لهم بإفشاء قرارات الحاكم العام، وهذا ما جعل تسيير الجزائر أمراً صعباً، وكانوا يشكلون قاعدة الاستعمار ويعيشون في وظائف محترمة).

ألبير تيسي<sup>3</sup>: شخصية سياسية فرنسية فاعلة بسكيكدة، من مواليد عام 1859، انتخب لعدة فترات انتخابية كعضو في المجلس البلدي منذ عام 1900، ثم مستشار عام سنة 1902، ثم أعيد انتخابه عام 1904 ضمن قائمة لجان الجمهوريين الليبراليين، عمل مع ريني ريكوس، مهنة تيسي بنكي وتاجر، وبعد تجربته السياسية الطويلة تولى رئاسة بلدية سكيكدة، توفي عام 1935<sup>4</sup>.

جورج لوسور<sup>5</sup>: ولد هذا المهندس الفرنسي عام 1834، عمل كمقاول في الأشغال العمومية بسكيكدة، انتخب جورج لوسور كمستشار عام سنة 1880 ثم سيناتور منذ عام 1888، بعدها انهزم في الانتخابات أمام منافسه ترواي، تعرض لأزمات مالية وانسحب من الحياة السياسية واضطر لترك الجزائر، توفي جورج لوسور عام 1910<sup>6</sup>.

إيميل ليدرمان<sup>7</sup>: من أهم الشخصيات الفرنسية المحلية بمدينة سكيكدة، من مواليد الجزائر العاصمة 10 سبتمبر 1874، ينحدر من عائلة وفدت من مقاطعة الألزاس، فأبوه جاء من دوسهيم<sup>8</sup>، عمل قساً للكنيسة الإنجيلية لسكيكدة، ومنذ عام 1905 عمل بمحكمة، وتولى مسؤولية نقيب المحامين لعدة سنوات ثم انتخب عضواً بلدياً، كُلف بالعديد من القطاعات منها السياحة خاصة خلال عهدة كيتولي، توفي يوم السبت 6 أوت 1938 بسكيكدة<sup>9</sup>. وتعتبر فترة ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية مرحلة حاسمة في مصير النظام الاستعماري في الجزائر الذي ما انفكت تمارسه فرنسا في مستعمراتها، من بينها الجزائر

<sup>1</sup> خلال المرحلة الانتقالية مارس - جويلية 1962 مع جون مانوني وجون كونيك Kpenik برئاسة عبد الرحمان فارس.

<sup>2</sup> Roger Roth, *Ancien Membre de L'Exécutif Provisoire Algérien*, El Watan Algérie, Edition 7 Novembre 2004.

<sup>3</sup> ألبير تيسي Albert Teissier بنكي ورئيس بلدية سكيكدة بين سنتي 1904-1914، اضطر للتخلي عن السياسة عقب فشله في الحفاظ على منصبه، الذي فاز به منافسه بسكيكدة باسيريو، المدعم من طرف قاسطون طومسون، وانتقل إلى مارسيليا، حيث توفي بها في مارس 1935، للتوسع في شخصيته:

Le Philippevillois, 23 mars 1935, *article nécrologique sur teissier albert*.

<sup>4</sup> Montoy, *La presse*, Op.cit, P.P.734-360. *Le Philippevillois*, Le 23/03/1935.

<sup>5</sup> جورج لوسور Georges Lesueur شخصية صناعية وسياسية فرنسية بالجزائر.

<sup>6</sup> Ibid, Montoy, *La presse*, Op.cit, P.360.

<sup>7</sup> إيميل ليدرمان Emile lederman

<sup>8</sup> دوسهيم Dossenheim

<sup>9</sup> Lederman Emile, *Philippeville et ses environs, histoire et tourisme*, ed du syndicat d'initiatives, philippeville, 1935.

المستوطنة التي يغلب على مدنها التواجد الأوروبي المكثف، حيث ظلوا ممثلين بأحزاب سياسية تختلف اتجاهاتها حسب معطيات الأوضاع في الميتروبول وخارجه.

وظل التنافس السياسي والحزبي على تسيير المجالس السياسية المحلية والوطنية متداول ما بين الأحزاب اليسارية واليمينية، حيث تحولت السيطرة على الحياة السياسية في فرنسا والجزائر من اليسار نحو اليمين، في الوقت نفسه كان الوضع الاستعماري يتغير في المدن الجزائرية تدريجيا بسبب الإقصاء المفروض على السكان المسلمين من طرف نظام كولونيالي يرفض تقديم أدنى تمثيل سياسي، حيث سمحت هذه الظروف من نمو التيار الوطني الاستقلالي للأحزاب الجزائرية من نجم شمال إفريقيا نحو حزب الشعب الجزائري وصولا إلى حركة، وذلك بعد فشل باقي التيارات السياسية الجزائرية المعتدلة في تحقيق طموحات السكان الجزائريين نتيجة العراقيل التي وضعها النظام الاستعماري.

نستخلص بأن سكيكدة عرفت قائمة واسعة من الشخصيات السياسية التي أثرت على مجرى الأحداث المحلية بسكيكدة يتجلى ذلك في أسماء استطاعت تخليد وجودها في ذاكرة المدينة مما جعل القائمون على تسيير بلديتها يطلقون تسمياتهم في الاماكن العمومية الموزعة على هذا المركز الكولونيالي، يظهر ذلك جليا في أسماء شوارع باسيرو، تيسيبي، كيتولي، وغيرها من طبونومية التسميات.

### المبحث الثالث: النشاط الوطني بالمدينة:

انتهج الفرنسيون في توسعهم خارج مدينة الجزائر أسلوب المواجهة العسكرية للقضاء على المقاومة الجزائرية في شكلها المنظم، بعدها تصدت القوات الفرنسية للانتفاضات الشعبية التي انتشرت في معظم الجهات والتي قادها رجال الدين (المرابطون) واعتمدت على أتباع الزوايا (الإخوان أو الأتباع) وشكلت مقاومة سي زغدود وبودالي بمنطقة سكيكدة<sup>1</sup>، جزءا من المقاومات الوطنية الراضية للاحتلال الأجنبي لأراضيها<sup>2</sup>، نتجت عن هذه المواجهة التي انتهت لصالح الفرنسيين إيقاع العقاب بالثائرين ومصادرة أراضيهم والاستيلاء على ملكياتهم بالاعتماد على وسائل القمع والإخضاع والحرمان من الحقوق<sup>3</sup>.

لقد حملت هذه الحرب العالمية الأولى تغييرات ديمغرافية هامة في المدن الساحلية، حيث عرفت مدينة سكيكدة مع تعاقب السنوات نزوحا ريفيا كبيرا، مما ساعد على تزايد عدد السكان المسلمين بالمدينة، بحيث كونوا تجمعات سكانية بضواحيها، وغالبيتهم من الشباب وهم يمثلون دعامة هامة للعمل.

<sup>1</sup> مقاومة سي زغدود في المنطقة أستمرت عدة أشهر لغاية مارس عام 1843 حيث صعبت من عمليات التوسع الفرنسي في غرب منطقة سكيكدة، وانتهت هذه المقاومة التي أيدتها معظم قبائل المنطقة بالفشل، لتستمر المقاومة ضد الاحتلال بمنطقة سكيكدة حتى سنة 1860 بزعامة سيدي محمد بودالي وبوسبع وسيدي محمد ولد رسول الله، ومحمد بن عبد الله، وبورنان، وهذا ما يفسر شدة التحصينات الدفاعية (الاور وثلاثة ابواب) التي إقيمت بمحيط مدينة سكيكدة لتأمينها.

<sup>2</sup> كانت المقاومات تتجدد في مناطق متفرقة من الوطن، رغم فشل ولم يتمكن الفرنسيون من وضع حد لها إلا بعد تحول كفاح الجزائريين من المقاومة المسلحة في الريف إلى أسلوبه السياسي في المدن.

<sup>3</sup> سعيدوني نصر الدين، الجزائر منطلقات ومواقف، المرجع السابق، ص. 23

ويعتبر نشاط ميناء سكيكدة ومزارع المعمرين في ضواحي المدينة أهم مصدر عيش لهؤلاء الوافدين من الريف وتعد من النشاطات المكملة لهم لتحسين ظروفهم المعيشية، وفي المقابل فقد كانت آثار الحرب عكسية بالنسبة للأوروبيين، بحيث تراجع عدد المواليد مما انعكس على وضعهم الديمغرافي في المدينة<sup>1</sup>. بدأت تتشكل اليقظة السياسية في الجزائر بسبب تأثيرات الثقافة الفرنسية التي تلقاها الجزائريون في المدارس اللاتينية<sup>2</sup>، وأدت نمو الوعي النضالي للدفاع عن الأهالي، فالوطنية موجودة في نفوس الجزائريين وفي خلفيتهم التاريخية، رغم ذلك لم تكن الثقافة الفرنسية مصدرا لإحياء الوطنية الجزائرية وترقية ثقافتها بل تسبب في اضطهادها<sup>3</sup>.

وتبلورت نخبتان جزائريتان، الأولى ذات ثقافة إسلامية محافظة، والثانية ذات ثقافة فرنسية تقدمية<sup>4</sup>، ولم تكن فئة المحافظين في المدن الجزائرية راضية على القوانين الجائرة، واستعملت اللوائح والعرائض، وقدمتها إلى المسؤولين الفرنسيين معبرة فيها عن حالة الشعب الجزائري<sup>5</sup>، باعتبارها فئة غير منعزلة عنه، فكانت تتبع الأحداث وتعلق عليها، وتتخذ مواقف منها حسب قناعاتها وثقافتها وتقاليدها<sup>6</sup>، معتمدة على تحكمها في اللغة العربية، وتعمقها في دراسة الحضارة العربية مع انفتاحها على الثقافة الفرنسية<sup>7</sup>، فالمدرسة ساهمت في تطور فكر هؤلاء الشبان الجزائريين، وهي مفتاح أفكارهم الليبرالية التي فتحت لهم المجال للممارسة السياسية خلال العقود الثلاثة الأولى للقرن 20م، ومكنتهم من استعمال مصطلح المساواة مع الأوروبيين في الحقوق والواجبات<sup>8</sup> ثم خدموا البدايات السياسية الأولى للحركة الوطنية الجزائرية، وأجبروا على اعتزال وظيفتهم<sup>9</sup>.

لقد أحس رجال النخبة الذين تعلموا في المدارس الفرنسية بانعدام المساواة بين الجزائريين والأوروبيين، وعدم وجود أي تمثيل سياسي لأبناء البلد الأصليين في المجالس المحلية، لهذا بدأت حركة الشبان الجزائريين بالاتصالات مع المسؤولين الفرنسيين لتنتقل إليهم هموم الجزائريين وانشغالاتهم ومقترحاتهم، وترغم هذه الحركة على المستوى المحلي مجموعة من الشخصيات التي كانت تشتغل في الإدارة والطب والخدمة العسكرية والتجارة والترجمة<sup>10</sup>.

ومع بدايات القرن 20م أخذ العالم الحضري مشعل المقاومة من الأرياف المنهكة والراضخة لقانون الأهالي المشؤوم، عبرت نخبة صغيرة من الشبان الجزائريين الذين شكلوا حركة اجتماعية لمثقفين

<sup>1</sup> Nouschi André, *l'algérie amère 1914-1995*, éditions MSH, paris, 1995, p 63

<sup>2</sup> Ageron Charles Robert, *les algériens musulmans et la france 1871-1919*, T2, PUF, Paris, 1968, p.1025.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله، *أبحاث وأراء في الحركة الوطنية*، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص.52.

<sup>4</sup> Ageron, *Op.cit*, p.1028

<sup>5</sup> I. Ageron Charles Robert, *Op.cit*, P.1026.

<sup>6</sup> جلول عبد القادر، *تاريخ الجزائر الحديث*، ط3، دار الحدائق، OPU، الجزائر، 1980، ص.10.

<sup>7</sup> Merad Ali, *les réformistes musulmans en algérie de 1925 à 1940*, ed Mouton et co la haye, paris, 1967, p.47.

<sup>8</sup> كواندت وليم، *الثورة والقيادة السياسية في الجزائر 1954-1968*، مركز الدراسات والأبحاث العسكرية، دمشق، 1981، ص.40.

<sup>9</sup> Perville Guy, *les etudiants algériens de l'université française 1880-1962*, ed casbah, alger, 1997, p80.

<sup>10</sup> بوحوش عمار، *تاريخ الجزائر السياسي*، المرجع السابق، ص.202. 203.

مسلمين رفضوا وضعهم كمواطنين من الدرجة الثانية وبعض القوانين والسلوكيات المرتبطة بهذا الوضع، وبدا أن هؤلاء الأهالي المتعلمين يقلقون المعمرين الذين كانوا يتحكمون في الأهالي خارج المدرسة<sup>1</sup>، ولقي الشبان الجزائريون مكافحة من بعض الوجهاء الرسميين، وكانوا يطالبون بالمساواة بفرنسيي الجزائر، وربطوا موقفهم من مشروع تجنيد المسلمين الإلجباري الذي طرحه ميسيمي، بالمطالبة بتوسيع تمثيلهم السياسي وإنهاء نظام التبعية الأهلية وإلغاء التفاوت في الضرائب ونشر التعليم الابتدائي<sup>2</sup>.

في الوقت الذي كان المجتمع الجزائري يعاني من انعدام وجوده السياسي بسبب الرفض الكولونيالي لأية اجراءات لفائدة الأهالي لابقائهم في ظروفهم الدونية، سواء من حيث التعليم أو التمهين وغيرها<sup>3</sup>. ساهمت نخبة مدينة سكيكدة في الحياة السياسية الجزائرية عن طريق الدفاع عن الحقوق الأهلية بواسطة الصحافة أو بخلق جمعيات ثقافية وتعاونية، حيث حملت هذه الشخصيات مهمة تمثيل المدينة في الوفود والتجمعات التي عرفت الجزائر في هذه الفترة، للدفاع عن حقوق أهل المدينة والوقوف أمام التسلط الاستعماري، في وقت كان التمثيل السياسي فيه محدودا في سكيكدة التي بقيت تحافظ على كيانها الأوربي لأن التمثيل الأهلي بقي هامشيا، ومصدر التشريعات بيد الأغلبية الأوروبية.

وعمل عدد من الشخصيات الأهلية على تعبئة الناخب المسلم، مثلما قام به فرحات بوربون<sup>4</sup> في استمالة سكان المنطقة، وإرسال عدد كبير من المبعوثين الذين جابوا دائرة سكيكدة بالسيارات في كل ناحية تقريبا، بحيث أن القائمة المنافسة المشاركة في المعركة الانتخابية هي نفسها بالنسبة لانتخابات الجماعة<sup>5</sup> المنظمة خلال شهري نوفمبر وديسمبر 1919 في كل دواوير البلديات المختلطة. وأعتبر عدد كبير من الناخبين هذا الاقتراح فرصة للتقليص من نفوذ القائد، وكان هناك تنافس حاد بين كسوس حاج محمد<sup>6</sup> من جهة، وفرحات بوربون من جهة أخرى<sup>7</sup>.

كانت الجزائر، فضاء لنشاط اجتماعي وسياسي مزدوج، فمن جهة، كانت مركز تطور للحركات الاجتماعية ولتصاعد المد الوطني المسلم، ومن جهة أخرى كان المجتمع الاستعماري متجذرا في بسط وجوده الدائم إلى درجة رفضه لأي تدخل من الوصاية المركزية الميتروبول لتقديم القوانين والاصلاحات والمشاريع التنموية. وفي المقابل وبناء على ضغوط من الممثلين السياسيين المسلمين،

<sup>1</sup> إيشبودان العربي، *مدينة الجزائر*، المرجع السابق، ص.320-321.

<sup>2</sup> أجيرون شارل روبير، *تاريخ الجزائر المعاصرة*، ترجمة عيسى عصفور، منشورات عويدات، المطبوعات الجامعية الفرنسية، بيروت باريس، ط1، ص.115.

<sup>3</sup> إيشبودان العربي، *مدينة الجزائر*، المرجع السابق، ص.300.

<sup>4</sup> فرحات بوربون Bourbonne أحد أغنياء جبل الذين يمتلكون ثروة طائلة له روابط مع جريدة الإقدام لسان حال النخبة الجزائرية تمكن من الدخول إلى الحياة السياسية المحلية، وعضو بلدي لجيجل، ترشح في الانتخابات الأهلية بدائرة سكيكدة عام 1920.

<sup>5</sup> الجماعة Djemaa هو مجلس محلي للقرية ينتخب رئيسه في فترة محددة ونجد هذا التنظيم القروي الذي استحدثه السلطات الفرنسية في دوار ففلة وبني بشير التابعة إداريا لبلدية سكيكدة الكاملة الصلاحيات.

<sup>6</sup> كسوس حاج محمد أصله من القل عمل مترجم قضائي بمحكمة سكيكدة أنتخب في المجلس البلدي لسكيكدة .

<sup>7</sup> Hadad Mostefa, *l'urgence de l'algérie moderne, le constantinois entre les deux guerres 1919-1939, essai d'histoire economique et sociale*, T2, 2001, op cit, p.97.

يجري التفكير في بعض محاولات الإصلاح التي تتراجع للترك المجال للمعمرين، نظرا للرهانات الاقتصادية للمستعمرة التي تستفيد منها فرنسا<sup>1</sup>.

منذ بداية الثلاثينات من القرن 20م انطلق رجال الحركة الوطنية الحديثة في الجزائر لمضاعفة الجهود والمعارك السياسية المصيرية بين قواتهم الوطنية وقوة الاستعمار التي لم تكن فقط معركة سجون وقمع انتخابات واضطرابات وقوانين مجحفة وتمرد صارم عليها، وإنما هي بالخصوص معركة مفاهيم تتصارع فيها الأفكار بين الاستعمار والحركة الوطنية<sup>2</sup>.

وبدأ تحضير المؤتمر الإسلامي بسكيكدة في 3 جوان 1936، حيث جرت انتخابات اللجنة التحضيرية لهذا المؤتمر التي جاءت عقب اجتماع ضم أكثر من 200 شخصا، من بينهم يونس مختار من التجار، وشيبيوني رابح من العمال، شقيط مبارك<sup>3</sup> صيافة وشكاظ مبارك<sup>4</sup>، وعزوز محمد<sup>5</sup>، بكوش سعيد<sup>6</sup>. تمكن يونس مختار<sup>7</sup>، النائب البلدي منذ عام 1915، من فرض وجوده بسكيكدة في المجال التجاري، ولعب دورا سياسيا هاما على المستوى المحلي، حيث منذ عام 1936 عضوا في حزب S.F.I.O<sup>8</sup>، فهو مندوب في مكتب لجنة الإحسان لمساعدة الأهالي<sup>9</sup>، كما يعتبر مؤسس مجموعة الدراسة للمسلمين<sup>10</sup>، ورئيس لجنة الرعاية الفرنسية العربية أناتولي فرانس ونائب رئيس أصدقاء المدرسة، ومدير الإخوة المسلمة<sup>11</sup> ومدرسة التمهين<sup>12</sup> وضو في لجان الصحة والت مدرس والمسرح<sup>13</sup>.

فتأسس نجم شمال إفريقيا في باريس سنة 1926 بعد تحضير مطول، ودور جريدة الأمة الموزعة من باريس منذ أكتوبر 1930 في التعريف بالنجم في الجزائر خلال سنوات 1934-1935 وتم تشكيل الخلايا الأولى للنجم في عدة مدن جزائرية، ورغم الضغط الاستعماري بقي النجم متمسكا بمطلبه الأول إلغاء اللجان المالية وتأسيس برلمان جزائري حرّ عن طريق الاقتراع العام، دون تمييز عرقي أو ديني. وبعد حل هذا الحزب، لعبت خلايا أحباب الأمة دورا مهما في التعريف بأهدافه وتوعية وتنشيط القاعدة ليجد حزب الشعب الجزائري أرضية مناسبة للتوسع والتوغل منذ أواخر 1938.

<sup>1</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص. 302-303.

<sup>2</sup> شريط عبدالله، مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الإيديولوجي في الجزائر، ENL، الجزائر، 1986، ص. ص. 121.122.

<sup>3</sup> شقيط مبارك Chegueit من البطالين.

<sup>4</sup> من عمال السكك الحديدية Cheminot.

<sup>5</sup> من عمال البريد Postiers.

<sup>6</sup> موظف بالمستشفى.

<sup>7</sup> يونس مختار من مواليد مدينة جيجل عام 1890.

<sup>8</sup> حزب S.F.I.O تأسس في جانفي عام 1936 تحت رعاية جون جوريس، اشرفت على إدارة مكتبها المحلي السيدة تريكو Tricot رئيسة النساء الاشتراكيات بسكيكدة.

<sup>9</sup> S.F.I.O، Cirta، -Revue historique sociologique, institut des sciences sociales de l'université de constantine, 2<sup>eme</sup> année, n : 3, mai 1980 ; p. 20.

<sup>10</sup> مجموعة الدراسة للمسلمين Groupe des études Musulmanes، حيث ينظم للبنات الصغار ابتداء من 12 سنة حصص لهن يوم

الخميس، وابتداء من 4 جوان 1936، يتم تعليمهن الخياطة العربية والطرز..

<sup>11</sup> محافظ (مدير) الإخوة المسلمة Administrateur de La Fraternité Musulmane.

<sup>12</sup> مدرسة التمهين Ouvroir de Tapis Indigène، Ecole D'Apprentissage

<sup>13</sup> Cirta، op cit، p.21. Voir aussi ; Le Philippevillois، 31 mars 1934، 1 avril، 10 juillet 1934.

وتواجدت خلية قويّة لحزب الشعب الجزائري في سكيكدة ضمن 30 خلية موجودة بالجزائر، وأكد محمد حربي بأن قادة الخلية المحلية هم من حي ضاحية الأمل، انتقل تعداد منخرطيهما من 50 إلى 200 عضواً في ماي 1945.

ويوصف علي مراد سكيكدة ضمن مناطق الانتشار الواسع لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ 1935؛ إلا أن تأثيرات برنامج المؤتمر الإسلامي العام وانعكاساته كانت قليلة بها، مقارنة بقسنطينة وعنابة.

ويصنف محفوظ قداش خلية أحباب الأمة بسكيكدة ضمن الخلايا الأولى والنشطة التي بلغ مجموع لجان أحباب الأمة في الجزائر 80 خلية مما جعل حزب الشعب يأخذ مكان نجم شمال إفريقيا، وأكد بأنه سليله من خلال شخصيته القيادية ومناضليه وبرنامجه<sup>1</sup>.

وكانت المدينة تستقطب إليها المناضلين من كافة جهات مقاطعة الشرق الجزائري للعمل بها أو لمزاولة الدراسة باعداديتها ومن بين الذين مروا بها فرحات عباس<sup>2</sup>.

وكانت سكيكدة ملاذاً لكل المناضلين التواقين للحرية وتقرير المصير، ومنهم محمد عصامي<sup>3</sup>، بعد أن أصبح عضواً في خلية ينشطها مسعود كبران<sup>4</sup>، وأحمد عياد، بشير عاشوري، عبد الله تومي.

وكانت مهمته يومئذ تقتصر على التحسيس بالدعوة الوطنية والتجنيد للحزب، وتوزيع منشائره وأدبياته. وشاركت هذه الخلية بعد سنة، في انتخابات المستشارين العميين التي رشح لها بالناحية رابح موساوي، وكان على رأس الحزب يومذاك، المناضلان أرزقي كحال وعبد الله فيلال<sup>5</sup> اللذان جاءا من فرنسا إثر اعتقال قيادة الحزب في أواخر أوت 1937.

<sup>1</sup> بلوفة جيلالي، مكانة سكيكدة في النضال الثوري الوطني من خلال كتابات المؤرخين الجزائريين، ملتقى سكيكدة الوطني الثاني، أوت 2004، تنظيم جمعية روسيكادا الثقافية لولاية سكيكدة.

<sup>2</sup> وفد فرحات عباس من الطاهير والذي واصل تعليمه الثانوي بقسنطينة، والجامعي بجامعة الجزائر، ليتخرج منها بشهادة الصيدلة والتي تمكنه من فتح صيدلية بسطيف، ليتمكن فرحات عباس من تزعم اتجاه سياسي على الساحة الوطنية المطالب بالمساواة وإلغاء القوانين الاستثنائية واستفادة الجزائريين من الحضارة الفرنسية بالاندماج.

<sup>3</sup> محمد عصامي، ولد سيدي عقبة بيسكرة عام 1918، درس بها، وأمتحن الخياطة بمحل العائلة، وعن طريق المهاجرين وصلت إليه الأفكار الاستقلالية لنجم شمال إفريقيا، الذي انتقل لمدينة سكيكدة عام 1936 للعمل في الخياطة، حيث تعرف على مناضلون حملوا مشعل الوطنية في قلوبهم، ما انفكوا يدعون للنضال في صفوف حزب الشعب الجزائري، بعد إعادة تأسيسه من جديد، لهذا فقد وجد محمد عصامي طريقاً إلى الحركة الوطنية الثورية، فلما جاءت الشرطة الفرنسية لم تجد لديه شيئاً يذكر، وظلت تراقبه من طرف خفي وبعد مجيء حكومة فيشي بقيادة المارشال بيتان، وإسناد تسيير المدينة لهيئة مندوبية خاصة يرأسها الكولونيل سانت مارتان في أواخر عام 1940، نصحه زميل يهودي بمغادرة المدينة، لأن الشرطة استنطقته حول نشاطه والأشخاص الذين يترددون عليه في محله، لهذا عاد إلى بيسكرة، ويستأنف نشاطه من جديد بها.

<sup>4</sup> مسعود كبران يعد من عمداء النضال الثوري بسكيكدة، يعرف بذاكرة المدينة، ولد 07 فيفري 1913 بالقل، توفي في 17 ديسمبر 1977 بسكيكدة.

<sup>5</sup> فيلال<sup>5</sup> مبارك بن الطيب المدعو عبد الله 1913-1957 المعروف لخفيف، من مواليد 13 ديسمبر 1913 بدوار بيني ولبان بسكيكدة، توفي في 24 نوفمبر 1957، ينتمي لعائلة متواضعة، مناضل في الحركة الوطنية الاستقلالية، هاجر إلى فرنسا عام 1934، أهد مؤسسي حزب الشعي الجزائري رفقة ميصالي الحاج، سجن بالجزائر بين سنتي 1934-1939، ثم مسؤول الحزب عن القطاع الوهراني سرياً، واصل نشاطه عقب أحداث 8 ماي 1945، عضو اللجنة المركزية لحزب حركة الانتصار منذ عام 1946، ثم عضو إدارة فيدرالية الحزب بفرنسا 1947-1954، ومسؤول المنظمة الخاصة بفرنسا ثم أحد قادة الحركة الميصالية بفرنسا، اشرف على ادار صوت العامل الجزائري، بإعتباره أمين عام مساعد لنقابة USTA سنتي 1956-1957. ينظر:

Galliot René, *algerie engagements sociaux et question nationale de la colonisation à l'indépendance 1830-1962*, dictionnaire biographique du mouvement ouvrier maghreb, barzakh edition, alger, 2007, p.p.191-192.

وعشية الحرب العالمية الثانية قررت إدارة الاحتلال حظر حزب الشعب الجزائري، وتبعت ذلك حملات تفتيش واعتقالات واسعة للمناضلين بالمدينة<sup>1</sup>.

وقد نشر فرحات عباس أفكار أحباب البيان والحرية في جريدة أسبوعية المساواة التي أسسها يوم 15 سبتمبر 1944، حيث تمكنهم من توسيع قاعدتهم الشعبية بعد تجاوز منخريتها 500 ألف، وأكثر من 150 فرعا على المستوى الوطني<sup>2</sup>، ساعدته في ذلك الأزمة الاقتصادية الحادة التي كانت تعاني منها الجزائر، وارتفاع معنويات العرب الخاضعين للاحتلال الأجنبي من بينهم الجزائريين نتيجة ميلاد الجامعة العربية في مارس 1945، كذلك تم نفي مصالي الحاج خارج الوطن إلى برازافيل بإفريقيا، في وقت كانت تستعد فيه الجزائر لاحتفالات الحلفاء بانتصار الحرية والديمقراطية على النازية<sup>3</sup>.

بلغ تجمع أصدقاء البيان والحرية ذروته في ربيع عام 1945، بالتفاف الأوساط الشعبية حوله مما لفت أنظار السلطات الاستعمارية إليه، وهذا بالرغم من أن برنامج التجمع كان معتدلا نسبيا إلا أن الرأي العام الجزائري كان قد تشبع بفكرة المطالبة بالاستقلال، وساهم مناضلو حزب الشعب في إضفاء الصبغة الشعبية على صفوفه، لذلك فقد ازداد التنافر بين الاستعمار والحركة الوطنية، حيث تعذر على الحكومة الفرنسية التوصل إلى حل يرضي جميع الأطراف، ولم يحدث أن واجه الاستعمار حركة وطنية واسعة بهذا الحجم، لذلك عمد إلى أسلوب الاستفزاز والمناورة بغية القمع والتخويف وبث الشقاق<sup>4</sup>، خاصة وأن فرنسا ليست بحاجة للجزائريين بعد تحررها، وامتدت مظاهرات 1 ماي 1945 إلى عدد كبير من المدن الجزائرية لكنها كانت أقل عنفا من الجزائر العاصمة<sup>5</sup>، حين اغتتم زعماء الحركة الوطنية فرصة الاحتفال بالعيد العالمي للشغل، وكذلك الاحتفال بالهدنة في 8 ماي 1945، فنظموا مظاهرات سلمية تندد بالقمع الاستعماري وتؤكد للعالم مشروعية طموحاتهم الوطنية في وقت تم رفض فكرة الاندماج التي تقدم وجهة نظر بعض الفرنسيين كبديل للمطلب الاستقلالي بغرض الإبقاء على الهيمنة الاستعمارية<sup>6</sup>.

وأما بالنسبة للإدارة الاستعمارية ذاتها، فإن أول ماي 1945 كان دليلا قاطعا على أن أعدادا كبيرة ممن كانوا يسمون بالمعتدلين والموالين لفرنسا قطعوا روابطهم التي كانت تشدهم إلى الميتروبول والتحقوا بصفوف الوطنيين العاملين على استرجاع سيادتهم، وهذا يدل على أن الحلول الاستعمارية مثل الاندماج

<sup>1</sup> تحسبا لهذه الحملة قام عصامي بإخفاء وثائق الحزب، في ظهور النصب التي يستعملها الخياطون مشاجب لأعمالهم، ثم اضطر إلى العودة إلى بسكرة، ينظر: محمد عباس، في كواليس التاريخ، الاثنان 03 مارس 2003، ص.5، جريدة الشروق، العدد: 709.

<sup>2</sup> فرحات عباس، الليل الاستعماري، المصدر السابق، ص.152.

<sup>3</sup> سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، 1930-1945، المرجع السابق، ص.226-229.

<sup>4</sup> محساس أحمد، الحركة الوطنية الثورية، من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، الجزائر، 2002، ص.225-227-229.

<sup>5</sup> سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، نفس المرجع، ص.230.

<sup>6</sup> محساس أحمد، الحركة الوطنية الثورية، نفس المصدر، ص.232.



والالتحاق قد جاوزه الزمن، وتم إلقاء القبض على مجموعة من الإطارات في حزب الشعب المحظور، ولجأت مجموعة أخرى منهم إلى الحياة السرية في المدن الجزائرية وقرأها أو إلى الجبال للاحتفاء بها<sup>1</sup>. أُلقت أحداث 8 ماي 1945 الضوء على طبيعة نظام الهيمنة ومصالح الميتروبول والمعمرين المتطابقتان، وحول تضامن المجموعات السكانية الأوروبية فيما بينها بالرغم من تنوعها وتناقضاتها من جهة، وأبرزت التزام عناصر القوى الأهلية للسكان الأصليين في الكفاح ضد الاستعمار من جهة أخرى، لهذا فإن الثامن من ماي 1945 هي مواجهة حاسمة بين القوة الوطنية والمعمرين وأعدائهم المؤيدين لهم<sup>2</sup>. فأثبتت الحرب العالمية الثانية أن الوعي الوطني للمستعمرين كان يتطور تدريجيا لفائدة هذه الظروف المتمثلة في الإضراب، الحرمان، التجنيد، التهجير، والنفوذ الأجنبي أيضا<sup>3</sup>. وفي ذلك الوقت كانت الجبهة الكولونيالية تتآمر لإفشال برنامج أحباب البيان والحرية، وأما المستوطنون فكانوا يريدون إبعاد هذه الحركة عن المشاركة في الانتخابات البلدية التي انطلقت في فرنسا مما أدى إلى تأجيل تنظيمها في الجزائر لتجنب فوز القوى الشعبية فيها نتيجة التواطؤ بين المعمرين المتطرفين والإدارة الفرنسية، ولم يعد في وسع الجماهير الشعبية تحمل هذا الواقع الذي لا يخدم طموحاتهم الوطنية<sup>4</sup>.

تولى قيادة حزب الشعب الجزائري أهم التشكيلات المكونة لتلك الحركة الإعداد المادي والبشري لتنظيم مظاهرات شعبية توظفها للمشاركة في احتفالات الطبقة الشغيلة من جهة<sup>5</sup>، ولكن بمجرد أن بدأ الجزائريون يظهرون من خلال سلوكياتهم التغيير الذي طرأ على علاقاتهم بالاستعمار، شعر الأوروبيون أن وضعهم المهيمن مهدد، واعتبرته الغالبية الساحقة منهم تعدٍ على الرفعة التي تدعيها لنفسها.

ونتيجة هذه التطورات حدثت مجازر اعترف بول كيتولي الناطق باسم المعمرين بها قائلا: (بلغ القمع والعنف أشده في منطقة قالمة على الخصوص، بأمر من نائب عامل العمالة أندري أشياري<sup>6</sup>، فقد ارتكب الحرس المدني بالتعاون مع القوات العسكرية أشد أنواع القمع وأكثرها وحشية)<sup>7</sup>.

لقد نتجت عن حركة ماي الثورية عمليات قتل جماعية راح ضحيتها 45 ألف قتيل<sup>8</sup>، وعدد معتبر من الجرحى والأسرى والمنفيين خارج الوطن، والحرمان من الحقوق المدنية، إلى جانب الخسائر المادية والأضرار المعنوية، ولم تسلم المداشر والقرى من التدمير، بعدما نفذ الطيران الفرنسي في ظرف أسبوعين 4500 غارة جوية لتدمير 44 مشفى، وعن طريق البحر، قامت 16 سفينة بقصف الأرياف

<sup>1</sup> الزبييري محمد العربي، تاريخ الجزائر المعاصر، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ج1، ص2، مكتبة الأسد الوطنية، 1999، ص.73.  
<sup>2</sup> Boucif Mekhaled, *Chronique d'un massacre : 8 mai 1945, Sétif guelma Kherrata*, syros, au nom de la mémoire, paris, 1995.

<sup>3</sup> عينا ثابت رضا، 8 ماي 1945 في الجزائر، ترجمة عينا ومغلي، OPU، ENL، الجزائر، 1986، ص.165.

<sup>4</sup> محساس أحمد، الحركة الوطنية الثورية، المصدر السابق، ص.231.

<sup>5</sup> الزبييري محمد العربي، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص.228.

<sup>6</sup> أندري أشياري André Achiary ولد في 10 جويلية 1909 بتارباس Tarbes توفي في نوفمبر 1983 بمريد، عمل كرئيس دائرة قالمة.

<sup>7</sup> محساس أحمد، الحركة الوطنية الثورية، المصدر السابق، ص.210-237.

<sup>8</sup> هو الرقم الذي قدمته الحركة الوطنية الجزائرية، هو نفسه الذي تبنته الجامعة العربية آنذاك.

المجاورة لموانئ الشرق الجزائري، ترتب عنها خسائر بشرية ومادية وعمليات قمع وتعذيب للمناضلين<sup>1</sup>، وحاول النظام الكولونيالي كسر عزيمة الجزائريين، من خلال سياسة التخويف التي اعتمد عليها. كان إقليم قسنطينة مسرحا للاستقازات في العديد من مدنها<sup>2</sup>، وتسترت الإدارة الاستعمارية بالطابع العدائي للشعارات المكتوبة على اللافتات، ورفع العلم الجزائري مع أنها هي التي أذنت للجزائريين بتنظيم المظاهرات، استجابة لطلب رغبة بعض المسلمين، من مسؤولي حزب أصدقاء البيان والحرية<sup>3</sup>. وازداد التوتر على أشده بفعل التناحر الواضح بين السكان الأوروبيين الذين لا يخفون عداؤهم للعرب من جهة، والجزائريين المتعلقين بمطالبهم، نتج عنه تدهور الوضع. ورغم أن المظاهرات كانت سلمية، إلا أن أحداثه تميزت بالعنف<sup>4</sup> الممارس ضد الجزائريين. وبعد العفو العام على المساجين السياسيين في مارس 1946، أعيد تشكيل الأحزاب الوطنية التي مثلها بسكيكدة:

حزب فرحات عباس (الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري): ورث الفتان الجزائريين في مطلع القرن 20م، وفيدرالية المنتخبين في الثلاثينات وكانوا يطمحون إلى نيل المواطنة الفرنسية ويسعون لتكوين دولة جزائرية مرتبطة بفرنسا. وضمت لجنته المركزية فرنسيا هو رولان مييت وبالتالي كان حزبا مختلطا، واستقطب إليه كبار التجار وقسم من الأنتليجنسيا بسكيكدة ويتشكل مكتبه المحلي من الأمين قاتي برهان وأمين المال جلماني أحسن ومساعدته حاج محمد.

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: أسسها مجموعة من المصلحين برئاسة عبد الحميد بن باديس، دافعوا عن ترسيم اللغة العربية والفصل بين الدولة الاستعمارية والدين الإسلامي، كانوا يعتبرون من أنصار الحل السياسي للقضية الوطنية، تبنا ابتداء من عام 1946 المسعى السياسي للإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، حيث كان مكتبها المحلي للمدينة يتشكل من رئيسها: باخي محمد، ونائبه: فاضل محمد.

الحزب الشيوعي الجزائري: أنشئ رسميا عام 1936 وكان ورث الفيدرالية الجزائرية للحزب الشيوعي الفرنسي، يتشكل من أوروبيين ومسلمين، له تحاليل واستراتيجيات غريبة عن الواقع الجزائري، يتميز بضعفه العضوي مما منعه من التحكم في التناقضات الآتية لأنصاره، إلى جانب نظرتة التبسيطية للسوسيولوجيا السياسية والثقافة الوطنية للجزائر، ويتشكل القسم المحلي من أوروبيين ومسلمين، كالأمانة المحلية روز ماريجانو<sup>5</sup> ومكتب خلية السيدات ريسبولي مارسيل<sup>6</sup>، ليفاري فيكتور وبنيس سوفور.

حركة انتصار الحريات الديمقراطية: من أنصار الاستقلال التام أسسها الزعيم مصالي الحاج، تمثل الاتجاه الشعبي كوريت لنجم شمال أفريقيا 1926 الذي نشأ من صلب الحزب الشيوعي الفرنسي بعدها

<sup>1</sup> الزبيري محمد العربي، تاريخ الجزائر المعاصر، المصدر السابق، ص. 84.

<sup>2</sup> شملت مدن سطيف وقلمة وخرطمة وقراهم، والتي كانت حصيلتها البشرية كارثية من الضحايا الجزائريين.

<sup>3</sup> مهساس أحمد، الحركة الوطنية الثورية، المصدر نفسه، ص. 234.

<sup>4</sup> Germain Tillon, *les ennemis complémentaires*; ed de minut, paris, 1957, p.162.

<sup>5</sup> الأمانة السيدة روز ماريجانو Marigliano Rose Louis

<sup>6</sup> ريسبولي مارسيل Rispoli Marcel

انفصل عنه جذريا عام 1933، ثم حزب الشعب الجزائري 1937-1946، ويشرف على مكتبها المحلي رئيسا الدائرة للحزب السيدان حمرا العين أحمد وغدروج مسعود، ولحول محمد<sup>1</sup> يساعده طبوش علي<sup>2</sup>. ويعد حسين لحول<sup>3</sup> من أقدم العناصر التي تأثرت بتعاليم النجم وعاشت ميلاد حزب الشعب الجزائري في مارس 1937، وبالتالي كانت مواكبة لمسيرته النضالية التي تفرغ فيها للعمل السياسي والصحفي، حيث أشرف على جريدتي الأمة والوطني، رغم تعرضه للسجن بين سنتي 1937-1945<sup>4</sup>. وبقي هذا الاتجاه الاستقلالي محافظا على جذوره من خلال انقسامه إلى ثلاثة تيارات، تتمثل في التيار العلني، والثاني السري، وبينما وجد شباب الحزب يمثلون تيارا ثوريا يعرف بالمنظمة الخاصة التي فتحت لها فروع جهوية ومحلية، بحيث عين محمد بوضياف<sup>5</sup> مسؤولا للمنظمة على مستوى الشرق الجزائري وإبراهيم شرقي<sup>6</sup> كمسؤول دائرة سكيكدة<sup>7</sup>.

بعد مكوثه فترة وجيزة بدائرة قسنطينة، قسمت المنظمة الخاصة لمنطقة سكيكدة إلى ناحيتين، حيث مكث إبراهيم شرقي قرابة سنة بالمدينة، كنائب عبد الرحمان بن سعيد مسؤول المنظمة بها<sup>8</sup>. وتوجه الفرع المحلي لحركة الانتصار نحو هذه الطبقات الفقيرة الواسعة أو التي يطلق عليها البعض بالبروليتاريا الرثة البالية، ليفرض عليها نظامه، حيث بادر هذا الفرع في إعداد المجموعات الصادمة على شكل كوموندهات لتطهير المدينة، وهو الأمر الذي عجزت أو رفضت الشرطة القيام به، لكن الفرع المحلي للحزب تمكن من تحقيقه في فترة وجيزة، كما وجه حملته ضد المسيطرين على التفويض بالتشغيل من أوساط مختلفة مثل جهاء الميناء، وأدت التدخلات إلى إضعاف بعض الشخصيات النافذة. وكانت هذه العقوبات التي وجهت للقناة بقيت بدون متابعة قضائية بسبب أن هؤلاء لموا الصمت عندما واجهتهم الشرطة بالمعتدين عليهم، قد أحدثت تحولات عميقة بحيث ترك بعض السفلة من القوم بيئتهم المتعفنة للالتحاق بالحزب لأجل تقديم خدماتهم والمساعدة في القضاء على العصابات وردها إلى

<sup>1</sup> لحول محمد: رئيس لجنة القسمة، من قدماء المناضلين بسكيكدة، ولد في 19 مارس 1907 بعزابة، تعرض للسجن عدة مرات بين سنتي 1950-1952، بعدها اعتقل 17 جوان 1955 برفقة مناضلين آخرين سعدي صالح، تومي عبد الله، بليزبدي وغيرهم الذين حولوا نحو معتقلات الغرب الجزائري، ليتم إطلاق سراحه في 12 جوان 1960 من معتقل لادي بالمدينة، بعدها يواصل نشاطه الثوري في صفوف جبهة التحرير الوطني لغاية الاستقلال، ليعمل في القطاع الصحي بسكيكدة عام 1963، ثم كاتب بمحكمة سكيكدة بين سنة 1964 لغاية سنة 1966، عضو المنندوبية البلدية التي ترأسها حواس بوقادوم في مطلع الستينات من القرن 20م، شهادة مكتوبة من ابنه.

<sup>2</sup> طبوش علي مناضل في حزب الشعب الجزائري يمتلك مقهى بحي الأمل جنوب المدينة، انتخب في قائمة حركة الانتصار في انتخابات البلدية 1953، ينظر: حربي محمد، حياة تحد وصمود، المصدر السابق، ص. 78-79.

A.W.C. boite de mouvement national algérien, association de skikda.

<sup>3</sup> أنسحب لحول حسين في أواخر عام 1956 من جبهة التحرير الوطني التي انظم إليها في القاهرة نهاية عام 1954.

<sup>4</sup> شرقي محمد، أبرز القيادات السياسية والعسكرية في الثورة الجزائرية 1954-1962، أطروحة دكتوراه، إشراف بوصفصاف، 2006، ص. 189.

<sup>5</sup> محمد بوضياف، مناضل ثوري في الحركة الوطنية في الجزائر.

<sup>6</sup> إبراهيم شرقي من مواليد عين الخضراء بالمسيلة، مناضل في الكشافة الإسلامية، وحزب الشعب الجزائري، سجن خلال سنتي 1944-1946، التحق بجبهة التحرير عام 1955، عين مسؤولا سياسيا بمنطقة الجزائر العاصمة، حتى تاريخ اعتقاله في 24 أبريل 1957، وبقي في السجن لغاية وقف القتال مارس 1962.

<sup>7</sup> قسمت دائرة سكيكدة للمنظمة الخاصة إلى ناحيتين تتمثل: - ناحية سكيكدة، وتضم القل والحروش وعزابة، كلف عيسى بوكريمة مسؤولا عنها، أما ناحية عنابة، تضم قائمة وسوق أهراس، يشرف عليها حسين بن زعيم.

<sup>8</sup> عباس محمد، رواد الوطنية، دار هومة، الجزائر، 2004، ص. 236.

جادة الصواب، وتلا ذلك محاربة تعاطي الخمر، ومكنت هذه الإجراءات من القضاء على الفئات المجرمة من جهة، وتدعيم قوة التأثير السياسية لحركة الانتصار وتوسع مجال نشاطها من جهة أخرى. وتضاعفت أعداد المنخرطين الجدد في فرع ثانوية لوسيانى لحركة الانتصار الذين وصلوا من قرى سكيكدة والطاهير وباتنة، وذلك في ظروف جديدة وبأشكال مختلفة عن تلك التي عرفها أسلافهم<sup>1</sup>. وكان التعليم الثانوي متاحاً لأبناء العائلات الميسورة وعائلات الموظفين<sup>2</sup>، والتحق عام 1946 بالأقسام العليا تلاميذ جاؤوا من عدة مدارس أخرى، وبينها سطيف<sup>3</sup>، وتميزت المدينة بوجود مناضلين مستعدين بشكل دائماً للعمل النضالي ضمن إطار حزب الشعب.

وقد ساهم في حصول تحول سوسيو سياسي هام لحركة الانتصار نتيجة انخراط الشباب واشترك مختلف ممثلي أحياء المدينة في قيادة جماعية للفرع المحلي للحزب، والترتيب التدريجي لهذه الحركة التي ستوظفه قيادة الحزب في تحركاتها، فبحكم ابتعاد الشباب عن النشاط الاقتصادي للمدينة، وتهيبتهم للفعل السياسي، يبدي الحضر الجدد القاطنين بضاحية الأمل لا مبالاة تجاه أدنى برنامج أو أي نقاش سياسي، ويلتفون حول زعامة ميصالي<sup>4</sup>، وتحت ضغطهم تزداد أهمية استخدام الخطاب الديني في التجنيد الجماهيري. ولهذه الأسباب توجه انتقادات لسلوكيات وممارسات المناضلين الوطنيين الذين عايشوا الأوروبيين، إلا أن المرجعية الدينية ستمثل بالنسبة للمناضلين الأكثر تجربة ووسيلة تجنيد لأشكال الوعي وتوظف لتدعيم صفوف الحزب المتمائل مع الأمة ويتجذر تسييس الطبقات المستضعفة من جراء المباشرة في تطبيق إجراءات الاقتراع العام مما يدفع بالبروليتاريا الرثة<sup>5</sup> وعمال المزارع والمناجم

<sup>1</sup> حربي محمد، حياة تحد وسمود، المصدر نفسه، ص ص 94-95.

<sup>2</sup> مثل يعيش الكاتب في المحكمة، وذيب الموظف في المستشفى، وحومل الموظف لدى محضر محكمة، الذين كانوا يعلقون كل آمالهم على المدرسة. وإعدادية سكيكدة كان حسين بوزاهر في الدراسة، أكثر موهبة، وكان أصل أبيه من بسكرة، وكان إماماً في قالمه، وحفيظ بن نيكوس، ابن موظف في بلدية مختلطة، وعباس بوراس، ابن جزار في سكيكدة أصله من جيجل وعبد الحق قويسم، ابن إسكافي من القل، ونصر الدين عباس، أصله من الطاهير حفيد فرحات عباس سيلتحقون بالمقاومة بعد 1945 وسيجندون أو يستشهدون. ينظر: حربي محمد، حياة تحد وسمود، المصدر السابق، ص 50.

<sup>3</sup> كان من بينهم الصديق بن يحي، وبشير بن حاجي من جيجل، بن حفيظ من بسكرة، بلعيد عبد السلام من عين كبيرة (شوفراي). ينظر: حربي محمد، حياة تحد وسمود، المصدر نفسه، ص 50.

<sup>4</sup> يتبنون رؤية ألفية- أي عودة الإمام أو النبي المنقذ- للكفاح من أجل الاستقلال الوطني وعليه يتراءى لهم مصالي الحاج رجل أو مول الساعة، المذكور في جميع النبوءات، حيث يعتبر مصالي الحاج (1898 - 1974) زعيم الاتجاه الاستقلالي الملقب "أبو الأمة". تمسك بالنضال السياسي والاستقلال التام، هاجر إلى فرنسا بعد الحرب العالمية الأولى، وفي عام 1926 أسس حزب نجم شمال أفريقيا الذي تم حله عام 1936، لينشأ بذله حزب الشعب الجزائري عام 1937 الذي تولى زعامته مصالي الذي اعتقل في صيف نفس السنة مع حسين لحول، ثم نفي أثناء الحرب العالمية الثانية إلى لمبيز و برازافيل، عندما اندلعت الثورة بقي مصالي على معارضته للعمل المسلح الذي لجأت إليه جبهة التحرير، حيث انشأ منظمة جديدة منافسة هي الحركة الوطنية الجزائرية المصالية MNA نهاية عام 1954 .

<sup>5</sup> البروليتاريا الرثة المحلية مصطلح يستعمل للدلالة على الأشخاص العاطلون عن العمل ويعيشون في ظروف غير قانونية، يتميزون باضطراب سلوكياتهم اتجاه الآخرين، حيث ترتفع حالات الانحراف والإجرام في صفوفهم، ويشكلون خطر على المحيط القريب منهم. والبروليتاريا هي كلمة لاتينية الأصل تعني طبقة العمال الذين لا مورد لهم إلا من كسب عملهم، وهي الطبقة الكادحة في المجتمع الرأسمالي المجرد من المتاع، ينظر: عطية الله أحمد، القاموس السياسي، دار النهضة العربية، دت، ص.ص 198-199.

القاطنين بضاحية الأمل إلى الالتحاق بالعمل السياسي بالمدينة التي لم تستطع وسائل القمع ومحاولات الإصلاح الفرنسية توقيف تحركات السيل الجماهيري الموجهة من طرف حركة الانتصار<sup>1</sup>.

وتوجه الفرع المحلي لحركة الانتصار نحو هذه الطبقات الفقيرة الواسعة أو التي يطلق عليها البعض بالبروليتاريا الرثة الراكدة في فضاء حضري، مليء ببيوت القمار والحانات والدعارة، وهي مظاهر تفتك بالمجتمع، بينما في الأحياء أصبحت العصابات<sup>2</sup> تفرض قواعدها على الناس الأمر، مما أدى إلى تدخل الفرع المحلي للحزب لتثبيت نظامه ولم تكن لأبناء المسلمين فرص النجاح في حياتهم المهنية والاجتماعية إلا في المجالات الهامشية.

وتجد قوة النزعة الوطنية امتدادها الطبيعي في فقدان ثقة أصحاب الامتياز ونخبهم لمكانتهم السياسية في المدينة، وهذا بعد عملية محاربة الجماعات ذات الامتيازات مع انطلاق انتخابات المجلس الوطني في نوفمبر 1946، ثم في الانتخابات البلدية في أكتوبر 1947، حيث جرت الحملة الانتخابية في جو مليء بالعنف ضد البرجوازيين والموظفين المسلمين وملاك الأراضي في المحافظة، ما جعل أحد قادة الفرع المحلي رابح كعوان سنة 1947 يقول: (الشعب لنا، أن الأوان لتصفية حسابنا مع لابسى ربطة العنق)<sup>3</sup>.

وعندما التحق موسى بولكرو<sup>4</sup> بسكيكدة أضفي ديناميكية أكبر على نشاطات الفرع المحلي بفضل تجربته السياسية العميقة، حيث استطاع إعطاء دفع جديد لنشطاء حركة الانتصار بعد اختياره مندوبا للشؤون الأهلية، إثر انتخابه في المجلس البلدي لسكيكدة، كما استطاع التأثير على الحياة العامة، منها مجلس الجماعة لدوار فلفلة وبني بشير، لذلك ظل تحت رقابة الشرطة الفرنسية<sup>5</sup>.

وأصبح العمل السياسي يقام داخل مجال معروف، ضمن نطاق الأحياء الشعبية التي شكلت حصونا بعيدة عن مراقبة الشرطة.

كان الفرع المحلي يستغل المناسبات كحفلات الزفاف والختان كفرص لإثبات النزعة الوطنية والدعوة لها، وتم الاستعانة ببعض رجال الدين (فخر الدين بن الشيخ حسين) في المناسبات الانتخابية، ووظفت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وآراء الفقهاء المناسبة لإحراج المنافسين لهم، اعتمادا على طروحات تتركز على ثلاثة توجهات (الدعوة للروح الجماعية، والعمل على مراقبة الأخلاق، واتهام العلماء بالنفاق والتنديد بهم لقبولهم خضوع الدين الإسلامي للوضع)<sup>6</sup>. وكانت التجمعات السلمية تنبئ عن روح الكفاح لدى المناضلين التي تتحول إلى مواجهات عنيفة مع الشرطة مخلفة جرحى وقتلى.

<sup>1</sup> حربي محمد، حياة تحد وصمود، المصدر السابق، ص 148.

<sup>2</sup> كعصابة الثلاثة عشر وعصابة الأوراس بأعالي المدينة.

<sup>3</sup> شهادة رابح كعوان في استجواب قام به الباحث محمد حربي بتاريخ 1971/02/17.

<sup>4</sup> ولد بولكرو موسى بن علي بن أحمد سنة 1913، بسكيكدة، يعتبر من مؤسسي نجم شمال إفريقيا ثم حزب الشعب الجزائري، عضو للجنة المركزية لحركة الانتصار الحريات الديمقراطية.

<sup>5</sup> دار الصناعة Artisanat تقام فيها النشاطات المهنية والثقافية والتجمعات السياسية.

<sup>6</sup> حربي محمد، الوطنية الشعبية بمدينة سكيكدة، مجلة إنسانيات، عدد 16، ص 19.

لقد كان الجيل الجديد من المناضلين في صفوف الحركة الوطنية بالمدينة وضواحيها، يستلهم نماذج نضالية جديدة (المواكب، التجمعات، المناشير، الملصقات، استعمال الرموز، الأناشيد الوطنية، والرايات). وتحول التماثل بشخصية ميصالي الحاج إلى رمز للانتساب إلى حزب الشعب الذي بقي يسيطر على الحياة السياسية المحلية من حيث المناضلين المنتمين إليه والجمهير المؤيدة لبرنامج ونشاطه الواسع، بحيث تحتفل الحشود بانتصار الوطنيين على وقع الموسيقى في الانتخابات البلدية بسكيكدة، وكان من بين أعضاء المجلس الجديد من الحزب أحد قداماء الوطنية بالمدينة مسعود كابران المعروف بذاكرة الحزب في المنطقة، وكان من المساهمين في التدريب الشفوي عن حركة الشعوب المستعمرة في آسيا. وكانت النشاطات السياسية تكلف الكثير من الجهد والمال والهبات والحفلات خلال تحضير الحملات الانتخابية، رغم أن حركة الانتصار بلا موارد، مقارنة بمنافسيها السياسيين<sup>1</sup>.

فقد تمكن العربي دماغ العتروس<sup>2</sup> من الفوز في الميالية في انتخابات الجمعية الجزائرية في أبريل عام 1948، بينما كان مصير باقي المناضلين الملاحقة والاعتقال، حيث اعتقل مرشح حركة الانتصار بسكيكدة موسى بولكرو، وفي مدينة الحروش الشريف بوقادوم<sup>3</sup> وزورت النتائج بعد الحملة، لهذا كانت الأيام المالية للانتخابات ذات طعم مر، وحلت خيبة الأمل محل الحماس<sup>4</sup>، بعد تدخل الإدارة الفرنسية بالمناورة والتزوير للحد من طموح حركة الانتصار في الانتخابات، وبالتالي لم تحصل حركة الانتصار سوى على خمسة مقاعد في مقاطعة قسنطينة، حيث انتخب مسعود بوقادوم<sup>5</sup>، رغم أن هذا التيار الاستقلالي وصل إلى أوج توسعه، لكن مسار الحزب تأثر من السياسة الانتخابية في الجزائر<sup>6</sup>.

وكانت التجمعات التحضيرية لزيارة رئيس الحزب ميصالي إلى سكيكدة من قبل الفرع المحلي للحزب تتم في مقاهي المدينة الخاصة بروادها. وذلك بمناسبة الزيارة التي استهلها ميصالي لشرق البلاد، حيث وصل إلى مدن قالمة والحروش ثم سكيكدة في أبريل 1952، باعتبارها إحدى أهم مراكز النشاط الوطنية، وفيها وجد الحشود الغفيرة من النساء والرجال تنتظره بشغف، وهذا بعدما تحولت سكيكدة إلى

<sup>1</sup> حربي محمد، سنوات تحد وصمود، المصدر نفسه، ص. 54-61.

<sup>2</sup> العربي دماغ العتروس ابن مدينة الحروش، مهنته مترجم، وهو مناضل في الحركة الوطنية، في صفوف حزب الشعب، أنتخب عضو المجلس الجزائري عام 1948، في قائمة MTL، تعرض للسجن عام 1948 ثم في بارباروس من ديسمبر 1954 لغاية جوان 1955، مؤسس وعضو لجنة الإعلام للثورة الجزائرية منذ أكتوبر 1955، بعد الاستقلال تولى مناصب عليا، منها سفيرا في أندونيسيا، كمبوديا، يوغسلافيا، رومانيا، ألبانيا، باكستان، بنغلاديش، بورما، تايلاند، ثم وزير للاتصال والثقافة.

<sup>3</sup> الشريف بوقادوم، من مناضلي المنطقة النشيطين.

<sup>4</sup> حربي محمد، حياة تحد وصمود، المصدر نفسه، ص. 60.

<sup>5</sup> مسعود بوقادوم المدعو سي الحواس من مواليد الحروش 5 أكتوبر 1910، يعتبر من الطلبة الأوائل الذين التحقوا بالحركة الوطنية الثورية عام 1935 بباريس، حيث كان يتابع دراسته الجامعية في الميكانيك، وأصبح مناضل في نجم شمال إفريقيا، عاد في صائفة 1938 إلى مسقط رأسه الحروش ليستأنف نضاله في الجزائر ضمن حزب الشعب الجزائري، ثم في إدارة الحزب بالجزائر العاصمة أواخر سنة 1941 رفقة الأمين دباغين، ومحمد بلوزداد، أعتقل مسعود بوقادوم إثر أحداث 8 ماي 1945 وسجن بالكدية بقسنطينة لمدة سنة، وفي خريف 1946 انتخب نائبا بالمجلس الوطني الفرنسي عن حزب MTL، بعد اندلاع الثورة سجن في ربيع 1955 بسان لو بوهران لغاية نهاية سنة 1956، عين بوقادوم ممثلا لجبهة التحرير في اسبانيا ثم أمينا عاما لوزارة الخارجية الحكومة المؤقتة GPRA لعين رئيسا لبعثتها في بلغراد ببوغسلافيا ثم سفيرا للجزائر بذاكر السينغال، واستقر بسكيكدة يعمل مستشار بشركة سوناطراك ليتحول نحو الفلاحة. ينظر: عباس محمد، مسعود بوقادوم المدعو سي الحواس، الشروق اليومي، 16 جوان 2003، العدد 798.

<sup>6</sup> مهساس أحمد، الحركة الوطنية الثورية، المصدر نفسه، ص. 271.

مدينة مسلمة، ولم يغادر الأوروبيون مساكنهم<sup>1</sup>، حيث حظي الزعيم ميصالي بمدخل المدينة باستقبال حار من طرف الجمهور الغاص، وألقى خطابا حماسيا نال تصفيقات الحاضرين<sup>2</sup>. وتمت التجمعات بشكل مرتجل في النهار بمقاهي المدينة الخاصة باستمرار، وتنتهي التجمعات المنظمة من طرف الحزب، كلها باعتقالات من طرف الشرطة التي تراقب المناضلين، ولم يقتصر حضور التجمعات على أبناء المدينة بل شملت مناضلي بني بشير ودانريمون الذين توجهوا جماعات إلى سكيكدة لحضور هذه النشاطات ركوبا على الدراجات في وقت كانت فيه حركة الانتصار تواجه القمع الاستعماري الممارس على مناضليها الذين لم يكونوا منضبطين بصرامة، ويقول حسن شبلي<sup>3</sup> في هذا الصدد (الاختيار سهل: إما ركوب الموجة للتحكم فيها وتوجيهها، وإما ترك الانفجارات تحدث بدوننا وتتحول ضدنا؟).

وبعد أحداث الشلف (أورليونفيل)، واعتقال مصالي الحاج ونفيه إلى نيور في فرنسا يوم 14 ماي 1952، حيث دعا حزب الشعب الجزائري إلى إضراب يوم 23 ماي 1952<sup>4</sup> قامت الشرطة باعتقالات واسعة، وتفتيش في بيوت الإطارات الرئيسية، ورغم التخويف عم الإضراب السكك الحديدية ومحلات الحي العربي وضاحية الأمل، بينما كان النجاح معتدلا في قطاعات أخرى مما جعل محمد قاتي<sup>5</sup> يعترف أن الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري أخفق بسبب المعمرين الذين صدوا كل أبواب الإصلاح.

إثر أحداث 23 ماي 1952 انقسم الرأي العام الجزائري بسبب نتائجها الوخيمة على الحياة السياسية المحلية ونتج عنها حدوث انقسامات لفترة طويلة، وهذا بعد رفض جمعية العلماء والإتحاد الديمقراطي الانضمام إلى الاحتجاج ضد نفي مصالي، موقدين داخل حركة الانتصار الأحقاد القديمة تجاههم، لهذا عمل مسؤول دائرة الحزب عبد الحفيظ بوصوف على التردد على المناطق والمقاهي منها مقهى حسين لوها الذي يتواجد فيه أنصار فرحات عباس من حزب الإتحاد الديمقراطي للبيان<sup>6</sup>.

منذ مشاركة حركة الانتصار في انتخابات المجلس الوطني في نوفمبر 1946، وحسب أهداف المرحلة أصبح الحزب يشارك تارة ويمتنع تارة أخرى، وكان المنتخبون يلتزمون بموقف المعارضة في كل شيء خلال سنتي 1947-1953 مما سبب توجيه بعض الانتقادات للحزب، باعتبار أن أعضاء

<sup>1</sup> استقبل ميصالي الحاج من طرف ممثلي الحزب بسكيكدة، بحضور مناضلين قدامى في الحزب حسين لحو، مصطفى غدوج، مسعود كبران، عبد الله تومي، علي طبوش، ومحمود شرفان ومسؤول دائرة الحزب محمد غربي، والطالبة جميلة طهراوي من ثانوية لوسيان بسكيكدة لاستقباله، وغيرهم من المناضلين، إلى جانب نشاط في الحركة الكشفية وبعض النقابيين، ينظر: حربي محمد، مجلة إنسانيات، عدد 16، ص 17.

<sup>2</sup> قنانش محمد، ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، دار القصة للنشر، 2007، ص 27.

<sup>3</sup> شبلي شاعر من مواليد مدينة سكيكدة في 29 أوت سنة 1927، ألتحق بحزب الشعب الجزائري، وأضطر إلى الهجرة لفرنسا، أنضم إلى جبهة التحرير الوطني، نال جائزة شعرية سنة 1959 وهو في السجن، له ديوان شعري (من أجل أرض الشمس)، وحاز على المرتبة الثانية في مباراة (مسابقة الشعر الفرنسي العالمية)، بعد الاستقلال عمل اداري بوزارة الصحة، توفي 24 سبتمبر 1971 ينظر: شريبط أحمد، محاضرة في أوراق أدبية بسكيكدة عام 2007، نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، بيروت، 1981، ص 328.

Encyclopédie des savants hommes de lettres algériens, p.205

<sup>4</sup> عاش ميصالي الحاج سنوات طويلة في السجن أو المهجر أو في المنفى والأبعاد، وذلك منذ رحلته بين هذه المراكز سنة 1934. ينظر: قنانش محمد، ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، دار القصة للنشر، 2007، ص 32.

<sup>5</sup> محمد قاتي: المستشار العام للإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، في القل، ويدرس في قسم العربية بثانوية لوسيان دومينيك.

<sup>6</sup> حربي محمد، حياة تحد وصمود، مذكرات سياسية، المصدر السابق، ص 93-94.

المجالس البلدية إنما يمثلون السكان الجزائريين القاطنين في هذه المدن، ومن ثمة عليهم واجبات تجاه السكان مثل ضمان تعليم الأطفال والإسكان والبطالة، والاستجابة لما ينتظره السكان بعد إجراء انتخابات ماي 1953 لتحقيق منجزات فعلية لهم، كلما توفرت الشروط المحلية للمنتخبين الجزائريين<sup>1</sup>.

والواقع أن اهتمام القادة الجزائريين كان منصبا على الانتخابات البلدية في أبريل 1953<sup>2</sup> وعلى الأزمة الداخلية في صفوف حركة الانتصار، كما طرأت بعض التغيرات الطفيفة على صعيد الوضعية السياسية الجزائرية، فقد تشكل في سنة 1951 في صفوف المجلس الفرنسي فريق اشتهر باسم الليبيراليين مع الملياردير بلاشيت وجاك شوفالييه الذي أدلى بتصريح أكد فيه على ضرورة التطبيق النزيه لنصوص القانون الجزائري<sup>3</sup> وضرورة تغيير أساليب الإدارة الفرنسية في الجزائر الأمر الذي ساعد على حدوث تقارب مع توجهات القادة المعتدلين الذين كانوا يبحثون عن أرضية للتعاون من أجل مصلحة السكان المسلمين على مستوى الإدارة المحلية.

حاول أعضاء من حزب الشعب الجزائري التمسك ما بين الخط السياسي لحزبهم، وفي نفس الوقت ومحاولة تحسين ظروف المعيشة اليومية للمواطنين، لكنهم كانوا يصطدمون بالتعنت الصريح من طرف نواب الطائفة الانتخابية الأولى<sup>4</sup>، المنحازين إلى طروحات الجناح الرجعي الاستعماري.

وكان الحزب يعتبر المشاركة الانتخابية في شتى المستويات ضرورة مؤقتة وثانوية، ولكنها تعد وسيلة من وسائل الكفاح لأنها تمكنه من تدعيم السلطة.

ظهر تيار داخل الحزب من الوطنيين المعتدلين يرغب في الشراكة مع الليبيراليين وفق أفكار جاك شوفالييه الذين وصلوا إلى تسيير بلدية الجزائر عام 1953<sup>5</sup>.

وظهرت هذه الجماعة مع بداية الخمسينات عندما وقفت الإمبراطورية الاستعمارية في مأزق حقيقي خاصة في الهند الصينية وشمال أفريقيا، وعجز قادتها عن إخراجها منه، على شاكلة الرأسماليين الجدد في العالم الغربي بعد تفاقم الأزمة الاقتصادية في النظام الرأسمالي، يمثلون الكولونياليين الجدد، وهي ترجع أسباب الثورة إلى سوء الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، وقد سوقوا لهذه الفكرة على أعمدة جريدتهم صدى الجزائر، ومن أقطاب هذا التيار جاك شوفالييه الذي حلل الوضع في الجزائر على أنه لم

<sup>1</sup> عمل الحزب منذ بداية الخمسينات من القرن 20م، على الاهتمام المتزايد بالفئات الاجتماعية المهنية، فأعتني بتكوين نقابات الخبازين والطباخين، واستقطاب الحركة الكشفية إليها، ينظر: عباس محمد، رواد الوطنية، المرجع السابق، ص.ص. 143-144.

<sup>2</sup> حققت حركة الانتصار MTLD نتائج إيجابية في الانتخابات البلدية أكتوبر 1947 بسكيكدة، حيث كسبت الجماهير وتأكد ذلك عندما فازت قائمة الحزب التي أعدها أمينها العام حسين لحول في أبريل 1953 بسكيكدة، وهذا بعدما وضع حسين لحول في زيارته لسكيكدة بين 17-15 أبريل 1953 القائمة التي ضمت (غدرج مسعود، بوقادوم بشير، تومي عبد الله، لحول محمد، شرفان محمود، عبد العزيز صالح، قاس محمد، جمعي عمار، لعور الشريف، لساق حميد، بولوداني حميد، لعوج صالح، هوأين أحسن المدعو كمال الدين، جفال رايح، ينظر:

AMS, le 18 avril 1953, élection municipale séjour à Philippeville. Hocine lahouel.

<sup>3</sup> القانون الجزائري الصادر في 20 سبتمبر 1947 الذي نال موافقة البرلمان الفرنسي، بعدما قدمته حكومة بول رامادي.

<sup>4</sup> نواب الفئة الانتخابية الأولى المتكون من الفرنسيين.

<sup>5</sup> كان شوفالييه زعيم التيار الليبرالي في الجزائر يعي بأن زمن السياسة الاستعمارية التقليدية قد انقضى، وكان يعيب عليها أساليبها العنيفة والمتعطسة، وتزويرها الانتخابات، وقطعها الطريق أمام أي تطور حقيقي للسياسة الجزائرية، وكان يعتقد بأن تلك الأساليب كلها ستؤدي حتما على الكارثة بالنسبة للأوروبيين في الجزائر. ينظر: محساس أحمد، الحركة الوطنية الثورية في الجزائر، المصدر السابق، ص.ص. 348-349.



يكن أكثر سوءا مما كان عليه قبل 1954، ولكنه يقر بأن الفقر المنتشر في الجزائر وهو سبب فشل تطبيق قانون 1947 التي تحكمت في الظروف الاجتماعية، وأفشلت مخططاتها<sup>1</sup>.

والحل بالنسبة لها هو إصلاح النظام الكولونيالي، والتخلي عن النظم القديمة والتأقلم مع المستجدات. وفي مطلع عام 1954 كان إبراهيم حشاني رئيس دائرة سكيكدة، بينما تولى مسعود غدروج كمسؤول قسمة سكيكدة، في وصلت أزمة الحزب إلى القاعدة النضالية للحزب بالمدينة التي أصابت المناضلين النزهاء في الصميم لغاية قيام محمد بوضياف باتصالاته بمجموعة مناضلي الشرق الجزائري. وأثناء مداولات لجان القسمة تمكن مسعود غدروج من تمرير اقتراحين بمعزل عن المسؤولين من أنصار ميصالي الحاج والمناهضين له، وهما:

- \* الحفاظ على الوضع القائم من الناحية النظامية أي ألا يحاول أي طرف إبعاد الآخر من الميدان.
- \* تسوية مسألة الأموال بتجميد الاشتراكات على مستوى القسمة، وجعل مبيعات جريدة(الجزائر الحرة)، وأموال لجان إغاثة ضحايا القمع الموجهة إلى اللجنة المركزية، ومساعدة عائلات المساجين السياسيين<sup>2</sup>.
- تعتبر قسمة سكيكدة من أكبر القسمة في الجزائر من حيث عدد مناضليها ومحبيها وتأثيرها على محيطها، وكان موقفها الحياد من الخلاف الدائر بين أعضاء قيادة الحزب، سيما بعد اجتماع قسمة عمالة قسنطينة في أبريل 1954 الذي حضره ممثلا هذه القسمة بوزيد زروق، عمار كلاله، بمشاركة مسعود غدروج، وتأثر الهيكل النظامي للقسمة بالنشاط المكثف لكنتلة المصاليين، وأخرى للمركزيين. وحاول بعض العناصر من اللجنة المركزية للوحدة والعمل، من بينهم محمد مشاطي<sup>3</sup>، خلق نواة لهذا النظام عن طريق بشير بوقادوم الذي استلم من محمد قديد<sup>4</sup> أكثر من مرة، حصة سكيكدة من نشرية الوطني، بعدما يسلمها له محمد مشاطي مع حصة قسمة الحروش الذي انقطع نشاطه لظروف خاصة، وأصبحت قسمة سكيكدة يتجاذبها تيار المصاليين من جهة، وتيار المركزيين من جهة أخرى<sup>5</sup>، حيث استطاع التيار الأول أن يهيمن على القاعدة النضالية داخل المدينة وفي كل القرى المحيطة بها<sup>6</sup>، تحت قيادة مسؤول الدائرة الجديد حمادي كرومة<sup>7</sup> ومسؤول القسمة محمد العيفة<sup>8</sup>، بينما تكتل في التيار الثاني

<sup>1</sup> Jeanson Francis et Colette, *l'Algérie hors la loi*, ENAG editions 1993, p. 142.

<sup>2</sup> عباس محمد، رواد الوطنية، المصدر السابق، ص. 239-240.

<sup>3</sup> مشاطي محمد، مناضل في الحركة الوطنية الجزائرية، وعضو في مجموعة 22 المفجرة للثورة الجزائرية.

<sup>4</sup> محمد قديد، مناضل سياسي في حركة الانتصار، من مواليد عام 1930 بشعاب التوميات قرب الحروش، التحق بصفوف الثورة الجزائرية، كمساعد لقائد منطقة الشمال القسنطيني، كضابط في جيش التحرير الوطني، وعمل على جمع مناضلي حزبهم، وتكوين الخلايا الأولى لجبهة التحرير الوطني بسكيكدة، تعرض للاعتقال وسجن نهاية عام 1954، لغاية تمكنه من الفرار مطلع عام 1959.

<sup>5</sup> بعد مؤتمري أتباع ميصالي بهورنو البلجيكية جويلية 1954 والمركزيون بالجزائر العاصمة أوت 1954.

<sup>6</sup> تضم هذه القرى: الحدائق (سانت أنطوان)، حمادي كرومة (دانريمون)، حمودي حمروش (فالي)، قفلة، الزويت (بومسونغ)، رمضان جمال (سانت شارل)، بوشطاطة (براقسيورغ).

<sup>7</sup> حمادي كرومة 1930-1959 شخصية مناضلة بدائرة سكيكدة انضم حزب الشعب، وقيادي في المنظمة الخاصة، انضم إلى الثورة الجزائرية.

<sup>8</sup> محمد العيفة المدعو مغلاوي، مناضل ثوري في حركة الانتصار، تعرض للسجن، بالكدية بقسنطينة، لكنه تمكن من الفرار، رفقة قادة آخرين.

عدد معتبر من المسؤولين المحليين والمناضلين القدامى، لكن حجمه أقل من حيث الهياكل النظامية، واتسمت مواقفه بالعنف، وبالمشادات على ممتلكات الحزب من مقرات وغيرها إلى أن اندلعت الثورة<sup>1</sup>. وخلال فترة أزمة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية عامي 1953-1954، ازداد نشاط المبعوثين من مختلف اتجاهات الحزب الثلاثة (المركزيين، المصاليين، المحايدين) لكسب الصراع لمصلحتها إلى غاية تمكن عناصر العمل الثوري من كسب هذه المنافسة لمصلحتها نتيجة قدرتها على إقناع القاعدة النضالية بأهمية التعجيل بالعمل الثوري في مواجهة الاستعمار.

---

<sup>1</sup> قديد محمد، الرد الوافي على مذكرات كافي، دار هومة، الجزائر، 2001، ص.ص. 29-30.

## المبحث الرابع: النشاط الثوري:

عاش المناضلون في المدينة على غرار باقي مناطق الشمال القسنطيني وضعا حرجا على إثر الانشقاق الذي عرفته حركة الانتصار، ولم يكن هناك وضوح للرؤية بالنسبة للمناضلين في تلك الجهة حيث لم يكونوا على علم بالجهة التي أخذت على عاتقها تفجير الثورة، ولذا لم تكن انطلاقها ناجحة تماما مثل منطقة الأوراس<sup>1</sup>، رغم جهود ديدوش مراد<sup>2</sup> في تنظيم وهيكله الثورة في الشمال القسنطيني خصوصا، تميزت مواقف أغلبية المناضلين بالحذر والتباطؤ مما جعل قادة المنطقة الثانية<sup>3</sup> يكتفون مساعيهم لكسب قاعدة واسعة منهم، بعد الأشهر الأولى الصعبة.

قاد النقابيان رابح جفال ومحمد العيفة إلى جانب حمادي كرومة معركة عنيفة ضد ممثلي الفرع المحلي الذي كان على الحياد، لكن مناضلون حضروا مؤتمر المركزيين، بعد عدم مشاركتهم في مؤتمر المصاليين في جويلية 1954، وكان على الجميع الخضوع لمناصري الزعيم ميصالي أو تعريض أنفسهم لعقابهم، وقدمت فرق من الكومندوس من المراكز المنجمية لفلقة والعالية، ومن المزارع الاستعمارية خاصة مزرعة بارو، ومن الأحياء القصديرية المناصرة للحزب، واحتلوا مقرات الحزب، مطالبين باستعادة الاشتراكات المعلقة منذ شهر 1954، وفي هذا الجو المشحون قام حسين لحول بجولة إلى الشمال القسنطيني<sup>4</sup> لاستئناف الاتصال بالمناضلين المقصيين أو المتحفظين على الحزب، وكسب الفروع المحايدة إلى صف المركزيين، في المقابل كان المصاليون يطالبون باحتكار شعار حركة الانتصار، لكن سرعان ما جذبت جبهة التحرير الوطني المصاليين إلى فلكها بعد أشهر من نشاطها.

فقد تمكن الوافدون الجدد إلى المدينة المرتبطون بالحركة السياسية بفعل المزايا أكثر من الفئات السياسية، الذين يرون في التأثير الأوربي وصمة عار، من التقدم على الحضريين القدماء، فمشاركة الضاحية الحضرية لسكيكدة في اللجنة السياسية ضاعفت قوتهم، ولم تزدهم الثورة إلا حدة، مؤكدة تراجع النخب الحضرية المتفتحة على النقاش الحر للأفكار الغربية لصالح النخب الريفية.

في شهر أكتوبر 1954 ازداد العنف من قبل كومندوس المصاليين ضد تيار المركزيين في سكيكدة وفي أماكن أخرى، حيث تعرض العديد من المناضلين للضرب والملاحقة.

<sup>1</sup> قليل عمار، ملحمة الجزائر الجديدة، ط1، ج2، دار البعث، الجزائر، 1991، ص.205.

<sup>2</sup> ديدوش مراد مناضل في صفوف حركة الانتصار، والمنظمة الخاصة، أحد أعضاء مجموعة 22، ومجموعة 6، مؤسس جبهة التحرير الوطني، قائد المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني). وقد توجه ديدوش مراد رفقة أحد مساعديه محمد قديد إلى سكيكدة، للاتصال بخلية جبهة التحرير بالمدينة وتفعيل نشاطها وتوسيع قاعدتها في منتصف نوفمبر 1954 تتشكل من قداماء المنظمة الخاصة بالمدينة وضواحيها، تضم مجموعة تتكون من ثلاثة عشر مناضلا، انتقل مراد ديدوش إلى سكيكدة رفقة مساعديه قديد ليلتحق مجددا بالثورة في 19 نوفمبر 1954 لمدة عشرة أيام وتمكنا من الاتصال بعدد من المناضلين، لكنه وجد نفسه محاصرا، إذ تزامنت زيارته مع اغتيال ضابط في الشرطة الفرنسية، من طرف المناضلين المنتمين للمصاليين، واضطر ديدوش مراد المكوث بنزل ميرامار قرب اسطورة لمدة عشرة أيام لغاية إخراجة من المدينة نحو مقر قيادته في 4 جانفي 1955، من طرف مبعوثي زيغود يوسف منهم بلقاسم بن غرس الله، استشهد في 18 جانفي 1955 ينظر: قديد محمد، الرد الكافي، ص 51.

<sup>3</sup> قادة المنطقة الثانية (ديدوش مراد، زيغود يوسف، قديد محمد...).

<sup>4</sup> زار فيها سكيكدة والحروش والقل والعلمة.

زار مسعود غدروج ومحمد حربي ضواحي سكيكدة (الزفازف، العالية، وفلفلة) وأريافها لإطلاع المناضلين على أسباب الأزمة ومجرياتها، وطالب علي بوحجة<sup>1</sup> بالوحدة، وكانت اللجنة المركزية بالنسبة للعديد من المناضلين مؤيدة للعمل المسلح وتحافظ على سرية نواياها<sup>2</sup>.

وحدث انشقاق بين الفرع المحلي ومناضلين من الطلبة القداماء لمعهد الكتانية بقسنطينة<sup>3</sup>، حيث رفض رئيس دائرة الحزب الذي كانت يمثل اللجنة المركزية للحزب، طلب محمد قديد بدفع اشتراكات النشطاء المتوفرة لدى القسمة، وكان يوسف بوقادوم يشرف على صندوق الحزب<sup>4</sup>.

انقسمت الفئة الأوروبية القاطنة بالمدينة بعد اندلاع الثورة الجزائرية إلى اتجاهات مختلفة، بين مجموعة قليلة متطرفة قامت بنشاطات معادية للدفاع عن مصالحها ثم ما لبثت أن تراجعت أصواتها وحركتها مع بقائها في حذر، ولم تقم بأي نشاط ظاهري رغم وجودها بالمدينة. وفي الحقيقة تتبع هذه الحركة خط الثورة، ولا يمكن أن تشكل قوة ثالثة في الغالب، على اعتبار أن معظم أوروبي المدينة كانوا مع السلم، أما المسلمون الجزائريون لم يعودوا يخافون من الاستعمار.

وكانت رغبة هؤلاء الأوروبيين هو المحافظة على روح السلم داخل الهيئات النقابية والأوساط الثقافية والأحزاب السياسية، والمحصلة أن عددا متزايدا من الفرنسيين يريدون مغادرة الجزائر، ولذلك تم وضع العمارات والمتاجر للبيع، وازداد معها الطلب على الولاية للحصول على جوازات السفر للتوجه نحو الخارج<sup>5</sup>.

وعندما أنشأ مراد ديدوش خلية للثورة في سكيكدة التحق بها عدد من المناضلين<sup>6</sup>، وذلك بعد قيام الحكومة الفرنسية بحل حركة الانتصار في نوفمبر 1954<sup>7</sup>.

تعرض مناضلو المنطقة للاعتقال في أواخر 1954، بعدها قامت السلطات الاستعمارية بحملة اعتقال واسعة في أوائل 1955، لذلك بادر مسؤولو الثورة إلى إنقاذ المناضلين من قرار الاعتقال الوقائي العام<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> علي بوحجة مناضل يطلق عليه الفلفلي، نسبة للقرية التي ينتسب إليها فلفلة.

<sup>2</sup> حربي محمد، حياة تحد وصمود، المصدر نفسه، ص 131-134-135-136.

<sup>3</sup> طلبة القداماء لمعهد الكتانية بقسنطينة (محمد قديد، ومحمود نغير، وعلي كافي) حيث ينتمون اجتماعيا إلى البرجوازية الريفية الصغيرة.

<sup>4</sup> وصلوا من الحروش (نجيب كربوش، حربي نور الدين) ومن عزابة (صالح بولغلام، وإبراهيم زيتون) ومن الميلية (صالوني أولبصير)، ومن سكيكدة (رشيد حساني)، ومن الطاهير (الطاهر عامرة)، ومن باتنة (عبد الحميد العمراني وعباس غزيل)، ينظر:

محمد حربي، حياة تحد وصمود، المصدر السابق، ص 133.

<sup>5</sup> مقر حركة التجمع الديمقراطي الجزائري بقسنطينة التي تم وضع لها قوانينها وأهدافها، تحصلت على الاعتماد من ولاية قسنطينة، تعرضت للأزمات نتيجة لملاحقات الجيش الفرنسي من جهة، والتخوف من جبهة التحرير من جهة أخرى. وتعرضت سكيكدة بوجود فئة أخرى متحررة، أقلية، تعززوا بالتحاق شخصيات مسلمة بصوفها، واستعداد من نظرائهم الأوروبيين، وقاموا بأعمال نشيطة، غداة مظاهرات ديسمبر 1960، بتأسيسهم لحركة التجمع الديمقراطي الجزائري. ينظر:

مذكرات كافي علي، من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، دار القصبة، ص 194-195.

<sup>6</sup> توصل ديدوش مراد إلى تشكيل النواة الأولى للثورة في سكيكدة، بعد جولة قادته إليها، وفي 1 ديسمبر 1954، ليعود إلى مركز القيادة التوميات (وهي قرية قرب الحروش)، لكن ما لبث أن عاد ديدوش مراد في 17 ديسمبر 1954 لسكيكدة لمواصلة مهمته لتفعيل الثورة بالمدينة.

ينظر: حربي محمد، حياة تحد وصمود، المصدر السابق، ص 145.

<sup>7</sup> حربي محمد، حياة تحد وصمود، المصدر نفسه، ص 186.

<sup>8</sup> قديد محمد، الرد الكافي، المصدر السابق، ص 75.

وأصبح شعار مقاطعة السلطة الفرنسية والإدارة أكثر رواجاً في كل مكان، كما أصبح جيش التحرير الوطني يتحكم في زمام الأمور على مسرح العمليات، مما فرض وضعاً مغايراً تماماً لتكهنات روجي ليونارد الذي كان قد صرح في أواخر ديسمبر 1954 بأنه قد تم القضاء على الإرهاب.

وفقد الأعيان كل نفوذ، ولم يعد يواليهم أحد من السكان مما جعل فرحات عباس يعترف بهذا الواقع (لم يعد هناك أحد يوافق نظام الاستعمار الفرنسي الذي أصبح محل نزاع)، وأمام هذه التطورات وافقت الجمعية الوطنية الفرنسية على حالة الطوارئ يوم 3 أبريل 1955 في ظل تواجد الحاكم العام جاك سوستيل<sup>1</sup> الذي صرح (أن الوضع سائر في طريق التحسن، لهذا بدأت عمليات الرقابة الشديدة والطرده التعسفي وفتحت المحتشدات)<sup>2</sup>.

وأوضح المحافظ بورج لأوساريس بأن أعداء فرنسا بالمنطقة هم أربعة وطنيين كانوا قد تمكنوا من الفرار من سجن عنابة عام 1952 ليتحولوا بعد ذلك إلى إطارات سامية للثورة، كزيغود يوسف<sup>3</sup> الذي خلف ديدوش مراد في قيادة منطقة الشمال القسنطيني مطلع عام 1955<sup>4</sup>.

عرفت الثورة انطلاقها في مختلف نواحي البلاد الشمالية، حيث بدأ الإسراع في نشر الثورة وتعميمها بنواحي سكيكدة وعزابة وقالمة، كما التحق بصوف جيش التحرير الوطني أعداد كبيرة من المناضلين. لكن هذه الاتصالات التي قام بها ديدوش مراد لم تحقق أهدافها، حيث رفض معظم المناضلون والمسؤولون المحليون المنتسبون إلى كتلة المركزية وخاصة الذين كانوا أعضاء في المنظمة السرية، بينما أظهر بشير بوقادوم<sup>5</sup> استعداداً للعمل ضمن صفوف الثورة، أما المناضلون المنتمون لكتلة المصاليين فكانوا متحمسين للثورة، في ظل زعامة ميصالي الحاج وكتلته.

ورغم اختلاف ردود أفعال المناضلين اتجاه هذا اللقاء، ظهرت مجموعة من المناضلين مستعدة للالتحاق بالعمل الثوري ضمن صفوف جبهة التحرير الوطني، حيث فضلوا أن يتم ذلك بشكل جماعي، وعبر عن هذا الموقف علي صيفي الذي اقترح على ديدوش مراد الاتصال بمسؤول الدائرة حمادي كرومة ومسؤول القسمة محمد العيفة اللذان كانا يشرفان على نظام ثوري مواز.

<sup>1</sup> جاك سوستال شخصية سياسية وأثوغرافية فرنسية 1912-1990، أنضم إلى حكومة فرنسا الحرة عام 1942، ويعد من مؤسسي الحركة الديغولية سنة 1947 RPF، أصبح حاكم عام للجزائر ما بين 1955-1956، كان ممن صنعوا حركة 13 ماي 1958 ثم تحول إلى معارضة ديغول منذ 1960 ألف كتب عن المشكلة الجزائرية ودراسات اثنية عن المكسيك، منها الحياة اليومية للأزتيك، ينظر: Le Petit Larousse 2006, Paris, P.1739.

<sup>2</sup> حربي محمد، الثورة الجزائرية، سنوات مخاض، المصدر السابق، ص 146.

<sup>3</sup> زيغود يوسف 18 فيفري 1921 - 23 سبتمبر 1956، ولد بدوار الصوادي بسمندو التي تحمل اسمه حالياً، أتقن مهنة النجارة والحدادة، وفي سنة 1940 انخرط في حزب الشعب الجزائري، انتخب في أكتوبر 1947 مستشاراً بلدياً لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وعين على رأس المنظمة الخاصة بالناحية، بعد أن كان على رأس قسمتها، تمكن من الفرار من سجن عنابة في أبريل 1951، وبقي يعيش في السرية لغاية مشاركته في مجموعة 22 عضواً، حيث ساهم التحضير للثورة بالشمال القسنطيني، في جانفي 1955 خلف ديدوش مراد في قيادة المنطقة الثانية، وكان مدير هجمات 20 أوت 1955، شارك في مؤتمر الصومام بنظر: عباس محمد، ثوار عظماء، دار هومة للطباعة والنشر، 2003، ص 195-197.

<sup>4</sup> الجزائر أوساريس، شهادتي حول التعذيب، مصالح خاصة الجزائر، 1957-1959، ترجمة مصطفى فرحات، دار المعرفة، الجزائر، 2004، ص 32.

<sup>5</sup> قدم بشير بوقادوم النائب بلدي سكيكدة، لمحمد قديد مبلغ التعويضات المجمدة لديه منذ شهر جوان 1954.

ووزعت منشورات لبيان أول نوفمبر، ونداء موجه إلى المجندين الجزائريين وآخر موجه إلى المجندين الفرنسيين، في وقت كانت فيه هذه المجموعة تستعد للهجوم على مستودع الطبانة بالسبع أبيار، نفذت عناصر كتلة المصاليين في 25 ديسمبر 1954، عملية اغتيال ضد مفتش الشرطة شنوفي، التي كانت لها تأثيرات على وضع كافة التنظيمات في المدينة، حيث توقف نشاط كل المجموعات وتفرق المناضلون إما سجنا أو هجرة أو انطواءً، لتبقى الأوضاع على حالها لغاية تجدد نظام الثورة بسكيكدة، عن طريق مسؤولي المراكز بالمنشآت المحيطة بسكيكدة بعد أكثر من ثلاثة أشهر.

كان رد فعل الاستعمار البحث في هوية المعتقلين، ومحاولة الكشف عن نشاط الحركة المصالية، لتجد بأن هناك تنظيماً آخر ينشط باسم جبهة التحرير الوطني في المدينة، حيث بدأت عمليات الاعتقال لعدة أيام في أواخر ماي 1955، وشملت عدة قوائم ضبطت من قبل الهيئات الأمنية على مستوى البلديات والدوائر وهيئات السلطات الفرنسية لهم معتقل شلال ثم الجرف بالمسيلة لمعتقلي عمالة قسنطينة<sup>1</sup>.

وفي ظرف أسابيع معدودة، ازدادت حركة التمرد ثباتاً وصلابة ضد النظام الاستعماري، حيث تمت الإطاحة بحكومة مانديس فرانس في فرنسا، وخلفه إيدغار فور الذي كان يأمل في تسوية الملفات المختلفة في المغرب الكبير في أقرب الآجال، ولذلك قررت باريس التخلص من جبهة التحرير في أسرع وقت ممكن باستخدام كل الوسائل الملائمة بعد تزايد الاهتمام العالمي بالقضية الجزائرية.

وبدأت السلطات العسكرية الفرنسية في البحث على زعماء جبهة التحرير وتحديد مواقفهم ليتم القضاء عليهم في سرية تامة، لذلك لجأت إلى وسائل غير مشروعة آنذاك كتعذيب المعتقلين واستنطاقهم للحصول على معلومات منهم، مبررهم حسب بول أوساريس<sup>2</sup> أنهم يواجهون حركة تمرد مصدر نموها وبقائها متعلق بمدى اختلاط الثورة بالمدينين وإقحامهم في كفاح عن طريق الدعاية والإرهاب والتخويف، ولهذا بدأت الحكومة في إرسال من يقوم بالتطهير، وهذا اعتراف ضمني بمهمة تخطيط الاستعلامات التي كلف بها<sup>3</sup>، في هذه المدينة التي كانت جبهة التحرير تتموقع فيها.

ووضع تحت تصرف أوساريس فريق يضم مظلبيين عائدين من الهند الصينية<sup>4</sup> التي التحقت فيالقتها بثكنات سكيكدة كمراكز تعتمد عليها<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> قديد محمد، الرد الكافي، نفس المصدر، ص36-37-51-88.

<sup>2</sup> بول أوساريس أحد الضباط الفرنسيين الذين انضموا إلى جيش فرنسا الحرة عام 1940 بقيادة ديغول، انخرط بالعمل في الأجهزة السرية الفرنسية، شارك في حرب الهند الصينية، وقام بعشرات التدخلات وعمليات التخريب في أسبانيا وألمانيا والهند الصينية وصولاً إلى الجزائر في نهاية عام 1954، التحاقه بالكتيبة 41 في الجزائر، التي كلف بمهمة محددة بها بين سنتي 1955-1957، وكان المطلوب منه آنذاك تجنب تحول الثوار إلى ممارسة أعمال حرب العصابات داخل المدن، عرف بقمعه الشديد على المواطنين ضحايا أحداث 20 أوت 1955 بمدينة سكيكدة التي كانت مقر إقامته الأولى في الجزائر. ينظر: مقال حول كتاب بول أوساريس، مصالح خاصة الجزائر، جريدة البيان الإماراتية، 18 يونيو 2001.

<sup>3</sup> الجنرال أوساريس، شهادتي حول التعذيب، مصالح خاصة الجزائر، 1957-1959، المصدر السابق، ص 22.

<sup>4</sup> منهم الرقيب كمال أيسولح، والعريف الأول بيير ميزيري، وكفناص ومظلي على التوالي، التحقوا بالجيش الفرنسي، ومن حيث أصولهما، ينتمي الأول لعائلة مالت للجانب الفرنسي بعد الاحتلال، وأمدت جيشها بعدة إطارات، أما بيير ميزي من عائلة فرنسية تقطن بنونس، يتقن العربية.

<sup>5</sup> الجنرال أوساريس، شهادتي حول التعذيب، المصدر السابق، ص 23.

حاول الاستعمار فرض الرضوخ على المجتمع الجزائري لنظام سياسي واقتصادي، رغم ذلك حافظ على قدر ما من الطاقة والذاكرة الجماعية لربط حاضره بماضيه مما سمح له بضمان حد من الاستمرارية التاريخية والحفاظ على شخصيته يقابلها انطواء المجتمع الجزائري على نفسه بعمق<sup>1</sup>. أصر المستوطنون على عدم تغيير التمثيل النيابي القائم، وعلى المحافظة على المجالس المالية لأنها تحمي مصالحهم، كما عملوا على تدعيم سلطتهم داخل المجالس العامة والبلدية يطبقون فيها سياسة عنصرية ظهر في آثارها العميقة على المسلمين الذين حرموا من انتخاب ممثلهم في البرلمان الفرنسي، ووضعوا شروطا قاسية في اختيار المرشحين للمجالس الأخرى، وكانت الأغلبية منهم متمسكة بالمحافظة على نظام القسمين الانتخابيين المنفصلين: جزائري أهلي وفرنسي لأن ذلك ضرورة في نظرهم لتحقيق ما أسموه بالسلم الاجتماعي، ولم يتسم الوضع السياسي في المدينة في مطلع الثلاثينيات بالهدوء الظاهر واستتباب الأمن الداخلي والاستقرار السياسي<sup>2</sup>. ونتيجة للتهديدات التي كانت تخيم على المدينة، ربط أوساريس علاقته مع مختلف المصالح الاستعمارية العاملة بالمدينة كالنقيب ماستوي<sup>3</sup>، والمفوض بوج<sup>4</sup>، والمفوض فيلبوي<sup>5</sup>، كذلك المفوض أرنو سان<sup>6</sup>، يضاف إليهم الماريشال بوزوني<sup>7</sup> ومعه جهاز الدرك، وكلهم يعتمدون على التعذيب لاستنطاق المشبوهين الراضين للاعتراف، وهي أعمال يعرف الجميع في باريس بأنها كثيرة الاستعمال<sup>8</sup>.

ونسج شبكة واسعة من المخبرين شملت تجارا وصناعيين ورجال أعمال ومحامين وأصحاب المقاهي والحانات وتعرف على القاضي فويليهاتشي، وأنشأ ملفا خاصا بالسكان بمساعدة محافظ سكيكدة دومينيك كريفو وأحد مستشاريه، وازدادت معلوماته عن جبهة التحرير وحتى أعضاء الحركة الوطنية الجزائرية، نتج عنها إيقاف عدة متهمين بعد الحصول على أسمائهم<sup>9</sup>.

منذ مطلع عام 1955 كانت منطقة الشمال القسنطيني منقطعة عن الثورة بالجزائر، بينما كانت منطقة الأوراس تعيش حصارا خانقا، حيث ركزت السلطات الفرنسية عليها بقوات ضخمة، في محاولة منها لإنهاء الثورة، أما المنطقة الثالثة فاقتصر بها بعض العمليات، ويكاد النشاط الثوري يكون منعذما في المنطقتين الرابعة والخامسة، وبالتالي تطلب القيام بعملية ضخمة لفك الحصار ومواصلة المد الثوري والدفع بالثورة بقوة نحو اللاعودة، وتسليم الثورة للشعب الجزائري. وفي نفس الفترة استلم قائد المنطقة

<sup>1</sup> محساس أحمد، الحركة الوطنية الثورية، المرجع السابق، ص.95.

<sup>2</sup> بن حسين كريمة، الحياة السياسية في قسنطينة، المرجع السابق، ص.26.

<sup>3</sup> النقيب ماستوي المكلف الحفلات العسكرية ومظلي سابق.

<sup>4</sup> المفوض بوج رئيس الشرطة القضائية.

<sup>5</sup> المفوض المركزي ألكسندر فيلبوي المكلف بالأمن الحضري.

<sup>6</sup> المفوض أرنو سان الذي كان مسؤولا من مصلحة المعلومات العامة، هي جهاز الاستعلامات التابع للمحافظة.

<sup>7</sup> الماريشال بوزوني قائد مصلحة دورية أبحاث.

<sup>8</sup> الجنرال أوساريس، شهادتي حول التعذيب، مصالح خاصة الجزائر، المصدر نفسه، ص.24.

<sup>9</sup> الجنرال أوساريس، شهادتي حول التعذيب، المصدر نفسه، ص.28.

الثانية زيغود يوسف رسالة من المنطقة الأولى بطلب النجدة لفك الحصار عليها<sup>1</sup>، لهذا حاول البدء بالاستعدادات للقيام بهجمات شاملة للقطر الجزائري لمدة أسبوع، تفك الخناق على الثورة<sup>2</sup>.

وقررت قيادة المنطقة الثانية بعد سلسلة من الاجتماعات التحضيرية تنفيذ هجمات واسعة، تؤازرها فيها الجماهير الشعبية وتحتضنها على كافة نواحي الشمال القسنطيني، وهذا للتأكيد على شمولية الثورة وإستمراريتها، وتنفيذ الادعاءات الاستعمارية التي تزعم بأن ما يحدث في الجزائر ما هو إلا شغب صادر عن مجموعة متمرده خارجة عن القانون، حيث أبرزت هذه العمليات أن ما يجري في الجزائر يمثل قضية تصفية الاستعمار<sup>3</sup>.

فالثورة تتأجج في نفوس المواطنين الذين لم يعودوا يطبقون الزجر والظلم والإعدامات الفورية، إضافة إلى ذلك كان على كل انسان أن يختار معسكره وانتماءه. وكان معظم السكان المسلمين في المدينة من سكان الحي العربي الذي أصبح مركزها الفعلي<sup>4</sup>.

سبقت هجمات 20 أوت 1955 عمليات بمناسبة 1 و8 ماي و5 جويلية 1955 التي تميزت بوضع الكمان وقطع جميع الطرقات الرئيسية الرابطة بين المدن والقرى لإلحاق خسائر بالقوات الفرنسية، وغنم عدد كبير من الأسلحة، وتخريب عدة منشآت اقتصادية مما أثر على نفسية الجنود والمعمرين والعلماء على حد سواء، ونتيجة لهذه الهزة توقفت ملاحقات دورياتهم لوحدهم جيش التحرير الوطني. بعدها دخلت قيادة جيش التحرير في سباق مع الاستعمار في نزع السلاح من المواطنين الذين يملكونه، لاستخدامه في العمليات اللاحقة خاصة بعد تزايد أعداد المتطوعين في صفوفهم<sup>5</sup> الأمر الذي ساعد على تحقيق تطور عسكري مهم، وذلك ما صرح به زيغود يوسف بقوله: (اليوم أصبحت القضية قضية موت أو حياة، ففي نوفمبر كانت مسؤولياتنا تتحصر في تحرير الوطن وتنفيذ الأوامر، ولكن اليوم وجب علينا إحدى الطريقتين: إما أن نشن غارات يحدث من جرائها الانفجار الشامل، وبالتالي نحث كل الجهات على مضاعفة عملياتها، ويذاع صوت كفاحنا بكل صراحة على المستويين الداخلي والخارجي، وإما أن يكون بمثابة برهان على أننا عاجزون أن نقود هذا الشعب إلى الاستقلال، وبهذا نكون قد قاتلنا إلى آخر مرة، وتكون في النهاية عملية انتحارية<sup>6</sup>).

وقع الهجوم بمدينة سكيكدة من عدة جهات<sup>7</sup> باستثناء الناحية الشمالية حيث يوجد البحر المتوسط<sup>8</sup>، وكان المهاجمون يهتفون بالجهاد في سبيل الله، رافعين العلم الوطني، ومكتسحين ضيعات المستعمرين

<sup>1</sup> مذكرات الرئيس علي كافي، من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، المصدر السابق، ص.81.

<sup>2</sup> مذكرات الرئيس علي كافي، نفس المصدر، ص.82.

<sup>3</sup> مجلة المصادر، العدد الثالث، 2000، ص.157.

<sup>4</sup> سعدي فاطمة، البراءة المسلووية، مجزرة 20 أوت 1955، المصدر السابق، ص.101.

<sup>5</sup> مذكرات الرئيس علي كافي، من المناضل السياسي إلى القائد العسكري، نفس المصدر، ص.78.

<sup>6</sup> بومالي أحسن، إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954-1962، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ص.207.

<sup>7</sup> بدأت التحضيرات للهجوم على المدينة في 16 أوت 1955 بالتمركز حول المحجرة الرومانية وجبال العالية وجبل أحمد

<sup>8</sup> صادفت الهجمات يوم السبت 20 أوت 1955، حيث وصلت سفينة تنقل المهاجرين من سفينة آتية من مارسيليا.



ومحطمين ممتلكاتهم، وانضم إليهم أعداد من السكان، وساد المدينة حماس كبير لشدة هجومهم على وسط المدينة بالأسلحة المتوفرة لديهم، ومما زاد في حماسهم زغاريد النسوة من السطوح<sup>1</sup>.

وقد كتبت جريدة لوموند الفرنسية بأن مدينة سكيكدة عرفت منذ منتصف النهار أصعب الأوقات في تواجدها الأمر الذي جعل الجيش الفرنسي في حالة طوارئ، يتدخل بعنف ضد الجزائريين سواء من المهاجمين أو من سكان المدينة الأبرياء، بحيث أطلقت النار عليهم بدون تمييز، وتحول الهجوم إلى معركة بين الطرفين شارك فيها المعمرون إلى جانب القوات الفرنسية، وكانوا يصوبون نيران أسلحتهم من نوافذ وشرفات منازلهم على المواطنين العزل<sup>2</sup>.

وحسب بول أوساريس فإن جبهة التحرير الوطني قامت بتغيير خططها جذريا في المنطقة، باللجوء إلى الإرهاب الذي كان يتخذ المدنيون غرضا سواء كانوا أوروبيين أو مسلمين اشتهر عنهم بأنهم أصدقاء فرنسا، بعدما وجدت سهولة في إخضاع الأرياف لسيطرتها، غير أنها وجدت صعوبة في التوقيع وسط المدن الكبرى، وفي المقابل قام البرلمان الفرنسي بالمصادقة على قانون حالة الطوارئ في 3 أبريل 1955، والعمل لتجنب حصول حرب داخل المدن<sup>3</sup>.

ووضعت أحداث 20 أوت 1955 حدا حاسما لمسألتي التأييد أو المعارضة للثورة، وعليهم الاختيار بين طرفي الصراع جبهة التحرير أو القوات الفرنسية ولا مجال لمنطق الحياد بالنسبة للجزائريين<sup>4</sup>.

وأسفرت الأحداث عن مقتل 71 أوروبيا واستشهاد العديد من الجزائريين، فكان رد فعل الحاكم العام جاك سوستيل، الاعتماد على مبدأ المسؤولية الجماعية، حيث تم إعدام 1300 جزائريا من الأبرياء، ولم ينج من هذه الحملة ضد الجزائريين حتى حلفاء الاستعمار أنفسهم، وأكد مراسل جريدة نيويورك تايمز بأن الأوروبيين بعدما فقدوا 71 شخصا في حوادث 20 أوت 1955 نظموا أنفسهم في ميليشيات وقاموا بقتل جماعي ضد المسلمين، حيث تجاهل الفرنسيون اتفاقية جنيف التي وقعتها فرنسا حول التعامل مع الأسرى والمساجين في الحرب بل تمت الإعدامات بالجملة وبدون محاكمة<sup>5</sup> أكثر من ذلك شملت مواطنين أبرياء ومسافرين جاؤوا من فرنسا صبيحة الهجمات إلى ميناء سكيكدة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> تواتي موسى، وعواد رايح، هجوم 20 أوت، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1992، ص 31.

<sup>2</sup> وقعت اشتباكات بين المهاجمين المسلحين والجنود الفرنسيون في عدة نقاط من المدينة، واستمرت المعركة بينهما إلى غاية الساعة الرابعة مساء، عرفت خلالها تراجع القوات الفرنسية إلى الورا، وتمكن المهاجمون من السيطرة على الوضع، إلى إن جاءت النجدة من ضواحي المدينة، موسى تواتي، هجوم 20 أوت، المرجع نفسه، ص 32.

<sup>3</sup> الجنرال أوساريس بول، شهادتي حول التعذيب، مصالغ خاصة: الجزائر 1957-1959، المرجع السابق، ص 35.

<sup>4</sup> كافي علي، يوم 20 أوت 1955 أسبابه ونتائجه، الذاكرة، مجلة الدراسات التاريخية للمقاومة والثورة، السنة الأولى، العدد الثالث، 1995، المطبعة الجزائرية للمجلات، الجزائر، ص 21.

<sup>5</sup> حربي محمد، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، موفم للنشر، ترجمة نجيب عياد وصالح المثلوثي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1994، ص 147.

<sup>6</sup> فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2002، ص 263.

ونتيجة لما حصل يوم 20 أوت 1955 لم يبق من تفؤل سوستيل شيء يذكر بعد انتفاضة منطقة الشمال القسنطيني الواسعة<sup>1</sup>، بعدما برهنت هذه الهجومات على مدى قدرة الثورة على الصمود في وجه السياسة الاستعمارية، ودقة جيش التحرير الوطني في تحقيق أهدافه، بحيث كانت هذه العمليات مركزة ومنسقة على عدة جبهات من الشمال القسنطيني، وتمكنت الثورة من تحقيق انتصار خارجي بعد إدراج القضية الجزائرية في جدول أعمال غي الدورة العاشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة في عام 1955.

وأكدت هذه الهجومات على أن هذه الثورة منظمة، حيث كبدت الاستعمار خسائر فادحة في الأرواح والأموال في وضح النهار، وأنها مقاومة شرعية وليست بعصيان مدني أو تمرد أو خروج عن القانون حسب الادعاءات الفرنسية. وكان زيغود يوسف يسعى من خلال هذه الهجومات وتوقيته إلى التأكيد على القضية جد حساسة، وهي أن الثوار ليسوا خفافيش لا يخرجون إلا في الظلام، كما أنهم ليسوا قطاع طرق ولا لصوص، إذ أن الوقت المقرر هو منتصف نهار 20 أوت 1955، ولقد مس الهجوم شريطا واسعا يمتد ما بين سكيكدة وقسنطينة شاملا على الخصوص مدينة سكيكدة وضواحيها<sup>2</sup>.

عقب هذه الأحداث نجح عدد كبير من المناضلين السكيكديين في الفرار إلى فرنسا هروبا من الجحيم وتم إسكانهم وإطعامهم من قبل أبناء مدينتهم في باريس وليون ومارسيليا، وأصبح العديد منهم إطارات سامية لجبهة التحرير الجزائرية<sup>3</sup>، ومن بينهم عمار قيطاري، بوعزيز زروق<sup>4</sup>، مسعود غدروج<sup>5</sup>، وجدوا مناضلين آخرين (موسى بوالكرو، محمد حربي...)<sup>6</sup>.

وكررت هجمات الشرطة الفرنسية التي أوقفت عدد كبير من السكان العرب، خاصة بعد منتصف الليل، فهم يأتون إلى المنازل ويطرقون الابواب ويأخذون المشبوهين ثم ينصرفون، ويحدث أن يعود الأشخاص الموقوفون بعد أيام، في حالة يرثى لها من شدة التعذيب، بينما لا يظهر للآخرين أدنى أثر. ويقوم العساكر بزيارة البيوت في كل مساء ويبدأون بتفتيش منازلهم، وتكسير الأبواب، وتأتي مركباتهم محملة بالجنود المتحمسين لتطهير الحي العربي<sup>7</sup>.

وبفضل هذه العمليات تمكن الثوار في داخل الجزائر من القضاء على إستراتيجية الجيش الفرنسي والتي كانت تقوم على أساس (أن التمرد يجب أن يدفن حيث ولد)، كما أن نجاح الثورة في تنفيذ أحكام

<sup>1</sup> بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ص.388.

<sup>2</sup> شملت المدن التالية: رمضان جمال، صالح بوالشعور، الحروش، مجاز الدشيش، سيدي مزغيش، زيغود يوسف، وادي الزناتي ثم القل والميلية وقسنطينة والخروب، ينظر: لونيبي إبراهيم، مقال حول هجومات 20 أوت 1955، ملتقى سكيكدة الوطني حول تاريخ منطقة سكيكدة، أوت 2004.

<sup>3</sup> حربي محمد، حياة تحد وصمود، مذكرات سياسية 1945-1962، المرجع السابق، ص.175.

<sup>4</sup> المسؤول السابق لفرع قسمة سكيكدة، وعضو سابق للمنظمة الخاصة، ورئيس فرع تابع للكشافة الإسلامية الجزائرية، وعمل في مهجره على تنظيم جبهة التحرير الوطني في منطقة باريس. حربي محمد، حياة تحد وصمود، المرجع نفسه.

<sup>5</sup> مسعود غدروج: أحد المناضلون القدامى في سكيكدة، أشرف على دائرة حزب حركة الانتصار، تعرض للاعتقال بين ديسمبر 1954 لغاية أوت 1955، أصبح مهاجرا سياسيا، حيث تولى مسؤولية فيدرالية جبهة التحرير الوطني في شمال فرنسا تحت إشراف فضيل بن سالم. ينظر:

حربي محمد، حياة تحد وصمود، المصدر نفسه، ص.193.

<sup>6</sup> حربي محمد، نفس المصدر، ص.190-191.

<sup>7</sup> سعدي فاطمة، البراءة المسلوبة، مجزرة 20 أوت 1955، المصدر السابق، ص.104-115.

الإعدام في صفوف بعض الأوروبيين حسب المصادر الرسمية الفرنسية، قد خلق الرعب والهلع في نفوس الأوروبيين بالجزائر، وشجع الجزائريين على الانضمام إلى جيش التحرير الوطني الجزائري. وتأكد لدى عدد كبير من الرأي العام الفرنسي خطورة الأوضاع في الجزائر التي تتطلب مجابقتها إلى أسلوب جديد خاصة بعد فشل المحاولات الأولى لإخماد الثورة في مهدها، وهذا يدل على أن الوضعية تغيرت مما أدى إلى ظهور اقتناع بأنهم يواجهون ثورة حقيقية أو تمردا عاما مسلحا وأن فرنسا أمام حرب أهلية في الداخل تهدد كيان الجزائر الفرنسية، واستطاعت هذه الهجومات القضاء على ما تبقى من التعايش بين المجموعتين الأوروبية والمسلمة، وسقطت فكرة الاندماج التام التي كان سوستيل أيامها يدعو إليها، إلى جانب ذلك فقد تفككت صفوف جماعة 61 داخل المجلس الجزائري، إذ انسحب أغلبهم وأصدروا بيانا بعد شهر فقط يرفضون فيه الاندماج.

وأقرت السلطات الفرنسية حالة الطوارئ في الجزائر، وهذا ما يؤكد بأن فرنسا أمام وضع غير مستقر، يتطلب وسائل قمعية شديدة، ولم يكن قانون حالة الطوارئ المصادق عليه من طرف حكومة ادغار فور، إلا تقنيا لجميع ألوان الاضطهاد والقمع، كما قررت الإدارة الفرنسية إقامة المناطق المحرمة. ونتيجة لتلك الأحداث تراجعت الحكومة الفرنسية عن إجراء الانتخابات التشريعية التي كانت مقررة في 2 جانفي 1956 التي تهدف من خلال تنظيمها إلى خلق مفاوض شرعي يمثله بعض الجزائريين الذين كانوا ما يزالون يحملون بفشل الثورة.

فمكنت هذه الأحداث من تحقيق نتائج مهمة بالنسبة للثورة الجزائرية، منها الكشف عن حقيقة السياسة الفرنسية والقضاء نهائيا على الحلول المشلولة التي كانت تراود بعض السياسيين الجزائريين. وازداد التحام القاعدة الشعبية، والتفافها حول جبهة التحرير الوطني بكيفية أوسع وأقوى مما أعطى للثورة دفعة جديدة، مكنتها من الانتقال إلى المرحلة الشعبية الحقيقية أدى إلى تعديل موقف أعوان الاستعمار خاصة بعد أن عرفوا أن الثورة مستمرة والشعب برمته ملتحف حولها، وأظهروا بعدها رفضهم لتجديد النداءات المعارضة للثورة.

وتمكنت الثورة من فك الحصار على الأوراس لانتقال قوات كبيرة إلى منطقة شمال قسنطينة الشيء الذي أشعر العالم أن ما يجري في الجزائر هو ثورة حقيقية ورائها كل الشعب، وهذا ما أكسب القضية الجزائرية انتصارا دبلوماسيا، أفضل الخطط الفرنسية في مخادعة الرأي العام العالمي، بتصويرها بأن ما يجري في الجزائر عبارة عن أشخاص خارجين عن القانون، وبداية تراجع المواقف المؤيدة لسياستها<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> أزغوي محمد حسن، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الجزائرية، ENL، 1989، الجزائر، ص.100.

وأدى القمع الوحشي الذي عجز الزعماء المعتدلون أمامه إلى فقدانهم ثقة الرأي العام فيهم، وأدرك حينها ممثلو الطبقات الوسطى أنهم كانوا يعيشون خارج الواقع فانضموا إلى جبهة التحرير الوطني مقدمين لها ضد فرنسا وضد الحركة المصالية إشارات مجربة ومحكمة<sup>1</sup>.

وتدهور الوضع من شهر لآخر منذ انتفاضة أول نوفمبر 1954، فلا الترحيلات ولا التوقيفات منعت من تفجير ثمانية قنابل بوسط المدينة، وبعدها انطلقت حملات قمعية باتجاه القل، وحسب رواية بعض المظليين أن الجنود كانوا يقتلون بدافع الانتقام<sup>2</sup>.

وأصبح الفرنسيون يتفنونون في تعذيب الجزائريين، متجاوزين درجة النازيين في التعذيب حسب اعتراف الضباط الفرنسيين، وأعلنوا سياسة الأرض المحروقة الشيء الذي عمق الإيمان لدى الشعب الجزائري بحتمية التخلص من وحشية المستعمر بمواصلة الكفاح المسلح<sup>3</sup>.

واعتبرت القوات الفرنسية هذه الهجومات بمثابة نقطة اللاعودة، لهذا أعطى سوستيل الضوء الأخضر للجيش الفرنسي لمحاصرة المنطقة، وقام باستدعاء 60 ألف جندي احتياطيا من جنود الخدمة العسكرية مع السماح للمعمرين بتشكيل قوات وميليشيات خاصة<sup>4</sup> قامت بقتل الجزائريين دون تمييز، وأخذ القمع الاستعماري أبعدا خطيرة بعد تجميع مئات من الجزائريين في الملعب البلدي، وأطلقت النار عليهم على أساس تطبيق مبدأ المسؤولية الجماعية، وأنها لم تميز حتى بين الجزائريين الموالين لها مما جعل مصطفى بن محمد<sup>5</sup> يقول: (لقد استخدم العنف بشكل جعل الجماهير الشعبية لا تستطيع أن تعتبر نفسها فرنسية)<sup>6</sup>.

وكان القمع في كل الشمال القسنطيني جماعيا وشاملا، بعد هذه الأحداث جاءت المجازر التي قامت بها قوات التدخل الفرنسية بمساعدة ميليشيات مشكلة من المستوطنين، وكانت حصيلة هذا القمع 12000 قتيلًا، بينما حدد تقرير الكولونيل شون<sup>7</sup> الرقم 1200 قتيلًا<sup>8</sup>.

ولم يكن الجيش الفرنسي وحده المسؤول على هذا النقتيل بل أن الأوروبيين الذين كانوا متهوسين شديدي الغضب صفوا حسابهم. ففي كل قرية تشكلت ميليشيات، حتى رئيس البلدية كريفو يحمل الرشاش بيده لتحريض مواطنيه على الثأر، حيث يقوم الرجال بحمل مسدساتهم لمطاردة المسلمين الأبرياء. وحسب

<sup>1</sup> حربي محمد، حياة تحد وصمود، نفس المرجع، ص.150.

<sup>2</sup> قامت السلطات المحلية بتدمير الأكوخ وترحيل العائلات نحو المحجرة الرومانية، واعتبر بعض الفرنسيون بأن معظم الفلقة لم يكن مجيئهم من هذه الضواحي والبيوت القصدية، رغم ذلك قام الجنود بتوقيف المشبوهين، واعترف بعض المظليون بأنهم اعدموهم على الفور، بل تنابى أدهم بأنه كان يحصدهم بالرشاش من الطائرة، وأعلنت الحكومة الفرنسية عن مقتل 1273 متمردا رغم أن العدد أكبر بكثير بسكيكدة، ينظر: Un Pasteur Protestant, *Témoignage d'un français. philippeville*, 20 Août 1955.

*Algérie 1956*, Denis et Robert Barrot (Texte Et Document Réunis), livre blanc sur la Répression, préface Pierre Vidal Naquet, post face daho djerbal, edition barzakh, alger, p.p.124-125.

<sup>3</sup> أز عيدي محمد لحسن، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الجزائرية، المرجع السابق، ص.103.

<sup>4</sup> Benjamin Stora, *Histoire de la guerre d'algérie*, oP cit, p.18.

<sup>5</sup> مصطفى بن محمد أحد النواب الجزائريين المنتخبين في المجلس الجزائري.

<sup>6</sup> بلهادف صورية، *مظاهرات 11 ديسمبر بين الذاكرة والتاريخ*، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، إشراف قشي فاطمة الزرهاء، ص.31.

<sup>7</sup> الكولونيل شون Schon

<sup>8</sup> Rotman Patrick, *l'ennemi intime*, chihab edition, 2002, p.43.

تحليل الضابط فيفر (فكرة زيغود يوسف إجبار السكان على المشاركة في القتل بشكل يجعلهم منخرطين إلى جانب جبهة التحرير)<sup>1</sup>.

وتقول فاطمة سعدي التي عاشت الأحداث في المدينة: (الرصاصات تطلق رصاصها من كل صوب، الأرزقة خالية إلا من مركبات عسكرية وجنود يقطعون الطرق، كانت الساعة قد قاربت على الساعة مساءً من شهر أوت، وما زال بعض الأوروبيين من الأقدام السوداء المسلحين يجوبون الشوارع بحثاً عن العرب، والجثث مازالت مرمية في الطرقات. .... ولكن كثيراً من الأشخاص القي بجثثهم في مقابر جماعية ولم يستفيدوا من دفن مشرف، وكانت عائلاتهم تضمد جراحها بالتحلي بالصبر)<sup>2</sup>.

وأعتبر جورج أباب<sup>3</sup> بأن الجيش الفرنسي وقع في المكيدة بقتله الأبرياء، وهذا الخطأ كان يجب عدم ارتكابه، وكان بالإمكان السيطرة على الوضع القائم أو القانوني، والبحث عن المتسببين وحتى إن لم يتم تحديدهم ولا يتم إعدام الأبرياء، وبعد هذه الأحداث حدث الانقطاع بين المجموعتين بعدما نادى الأوروبيون بالقمع التام<sup>4</sup>. و(استنكر النواب المنتخبون القمع الأعمى وتطبيق مبدأ المسؤولية الجماعية ضد الجماهير المعزولة من السلاح) في لائحة صادرة في 26 ديسمبر 1955 حملت اسم لائحة 61، ودفعهم إلى إعادة النظر في انتمائهم للدولة الفرنسية بل أن اللائحة تطرقت إلى فكرة الأمة الجزائرية<sup>5</sup>. وسارعت باقي الأحزاب والتشكيلات السياسية الأخرى من بينها منتخبي الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري في 23 سبتمبر 1955 إلى تقديم استقالاتهم من المجلس الجزائري<sup>6</sup>.

وخلاصة القول أن هجومات 20 أوت 1955 أدت إلى تسجيل عدة نتائج هامة على الصعيدين الداخلي والخارجي تهم الثورة الجزائرية وجبهة التحرير التي نجحت في استقطاب الشعب الجزائري إلى صفوفها، كما ساهمت في انتشار العمليات الفدائية في مناطق أخرى من التراب الجزائري، مما جعل

<sup>1</sup> Rotman Patrick, *L'ennemi intime*, chihab edition, 2002, p.45.

<sup>2</sup> سعدي فاطمة، البراءة المسلوقة، مجزرة 20 أوت 1955، دار النشر أنوثة، 2006، الجزائر، ترجمة عبد الرحمان شريط، ص.91-95.  
<sup>3</sup> جورج أباب George Apap شخصية فرنسية من مواليد عام 1926، يعد أحد الأقدام السود المرتبطين بالأرض الجزائرية، ليبييرالي، متخرج من كلية الحقوق بجامعة الجزائر، من مواليد باستيا الكورسيكية، انخرط في حزب SFIO عام 1946، استقر كمحامي في سكيكدة في عام 1951، حيث كان يقطن بشارع صغير يطلق عليه باليسترو Palestro بأعالي المدينة، تتركز به 30 منزلاً، من بينهم منازل العرب المجاورين له، بعدها عين قاضي بعين البيضاء عام 1957، لكنه منفتح على الاصطلاحات، وعاش الأحداث التي عرفتها المدينة ولحظاتها في منتصف نهار السبت 20 أوت 1955، الفاصل بين الفئتين: المسلمة والأوربية حيث حدثت القطيعة التامة بينهما، ووصلت إلى نقطة اللانهاية بعد دخول المدينة إلى مجرى الأحداث الجزائرية، بفعل التطورات التي عرفتها سكيكدة عقب هجومات الشمال القسنطيني التي خلفت مقتل عشرات الأوربيين، وابتداء جماعية تعرض لها الجزائريون المسلمون في الملعب البلدي لسكيكدة، بعدما تم تجميعهم، حيث نفذ فيهم الإعدام الجماعي بدون أي محاكمة، رغم أن معظمهم لم يشاركوا في تلك الأعمال بل أن البعض منهم كان قد وصل في الصبيحة إلى ميناء سكيكدة، ودفنوا في الملعب وضواحيه: الزراف. ويعترف أباب القاطن بأعالي المدينة بشارع باليسترو، تجمع بين سكانها علاقات عادية، حيث لم يبلغ الأهالي المجاورين عن تواجد الأوربيين عند مجيء مجموعات فدائية من جيش التحرير الجزائري إلى تلك الأحياء لتصفيتهم، واحترموا علاقات الجوار مراعاة لتلك الظروف الصعبة التي مرت بها المدينة بعد اتساع نطاق الخوف والانتقام من الفئتين، وهذا ما يدل على نهاية مرحلة التعايش بين الجانبين، على الرغم من المحاولات القليلة التي قام بها بعض السكان الأوربيين للتدخل لتخليص جيرانهم المسلمين من القتل، مثلما فعل أباب، وعارض بعض الفرنسيون لتلك الممارسات البشعة المستخدمة في الرد على نشاطات جبهة التحرير الجزائرية، وأثرت هذه الأحداث في تهيج أحاسيس السكان. أنظر:

Rotman Patrick, *L'ennemi intime*, chihab edition, 2002, p. 36.

Article Torture le péché origine paru Le 5-1-2001, par aktiv multumédia, le web de l'humanité

<sup>4</sup> Rotman Patrick, *L'ennemi intime*, op cit, p.46

<sup>5</sup> وكان وقع ذلك حسب الصحفي الفرنسي ايف كوربي على الإدارة والرأي الفرنسي كوقع القنبلة.

<sup>6</sup> Benjamin Stora, *Histoire de la guerre d'algérie*, op-cit, p.19

منطقة الشمال القسنطيني تدخل بشكل فعلي الحرب، متحدياً العنف الاستعماري وقمعه المتواصل، وجعلت هذه التطورات الأطراف الجزائرية تعيد النظر في موقفها اتجاه جبهة التحرير من جهة والسلطات الفرنسية من جهة أخرى، وأما على الصعيد الخارجي فقد أدت الهجومات إلى تدويل المسألة الجزائرية التي سجلت في جدول أعمال الأمم المتحدة في الدورة المنعقدة في 30 سبتمبر 1955، وعجلت أحداث 20 أوت 1955 بحل قضيتي المغرب الأقصى وتونس، وعملت على دفع المسيرة الثورية نحو الأمام، وبعث روح الأمل من جديد في صفوف المجاهدين والشعب معاً، ولم تبق الثورة محصورة في مناطق الأحداث فحسب، بل اتسعت الهجومات لتشمل مناطق مختلفة من التراب الوطني.

ففي المنطقة الخامسة للثورة، التي وصفت بأنها هادئة في تقارير الاستعمار الفرنسي، بدأت العمليات المسلحة بنواحي تلمسان بعد وصول السلاح إليها، وأثرت تلك العمليات على معنويات أفراد القوات الفرنسية الذين يرون في جيش التحرير الوطني الخطر الدائم على حياتهم، لذلك انتشرت بينهم روح التمرد ضد الحرب في الجزائر، ومما زاد في تعزيز صفوف الثورة انضمام التشكيلات الوطنية إليها، بعد اعلان جمعية العلماء في جانفي 1956 بضرورة إعادة السيادة الشرعية الوطنية للشعب الجزائري، بينما ساند فرحات عباس وحزبه القضية التي تدافع عنها جبهة التحرير الوطني<sup>1</sup>.

ولهذا لم تتغير حالة الحرب، بعدما أخذت الثورة أبعاد خطيرة على النظام الاستعماري وازداد الوضع خطورة بعد أحداث 20 أوت 1955 التي خلفت مجازر رهيبة بالجزائر وحتى بالمغرب، نتيجة سياسة القمع الاعمى التي أدت إلى قتل أعداد معتبرة من الأبرياء تطبيقاً لمبدأ المسؤولية الجماعية للسكان غير المسلحين، لحقتها تعزيزات مستمرة من الميتروبول لم توقف اللأمن ولم توقف التمرد حسب مفهومها<sup>2</sup>.  
وبعدما أعلن عن وقف إطلاق النار في 19 مارس 1962، بدأ الثوار ينزلون من الجبال إلى المدينة، وشعر السكان بالاطمئنان يدب في نفوسهم، رغم ما يدور في سكيكدة من شائعات حول نشاط المنظمة السرية الاستعمارية. وخلالها بدأت السلطات الثورية في إحصاء سكان الأحياء وشكلت لذلك أفواجا متنقلة، وكان الغرض من ذلك هو الاعداد للاستفتاء الذي اقرته اتفاقية إيفيان بين وفدي الحكومتين الفرنسية والمؤقتة الجزائرية في ظرف أشهر يقرر الاستقلال المنشود<sup>3</sup>.

وينتهي الصراع السياسي بين التيار الاستقلالي الذي مثلته جبهة التحرير الوطني من جهة، والتيار الكولونيالي من جهة أخرى، عقب تصفية النظام الاستعماري الذي دافعه عنه الأحزاب الفرنسية منذ عقود طويلة الأمر الذي جعل الجزائر تختار مساراً آخر يختلف عن رغبات المعمرين الأوروبيين، وهو تقرير مصير الشعب الجزائري الطامح في نيل استقلاله السياسي وحرية التامة.

<sup>1</sup> أزغوي محمد لحسن، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الجزائرية، المرجع السابق، ص.101.

<sup>2</sup> Grosser Alfred, *La 4<sup>e</sup> république et sa politique extérieure*, librairie armand colin, France, collection science politique, s.d, p.378-379.

<sup>3</sup> سعدي فاطمة، البراءة المسلوبة، مجرزة 20 أوت 1955، المصدر السابق، ص.142.

نستخلص بأن مجمل التحولات السياسية الذي عرفته المدينة طوال الحقبة الكولونيالية 1838-1962 أنهى لمصلحة الفئة المسلمة التي كسبت الرهان الديموغرافي رغم التهميش والاقصاء والحرمان ليجد السكان الأوروبيين أنفسهم دخلاء على المدن الجزائرية ويقتنعون بحتمية خيار المنفى نحو الميتروبول الفرنسي الذي احتضنت أراضيها الجنوبية مجيء فرنسيو الجزائر، وأنتهت بالتالي اسطورة تفوقهم الأبدى.

المجتمع وال عمران في مدينة سكيكدة 1838-1962

الحياة الجموعية والتعليمية والصحفية بالمدينة:

المبحث الأول: النشاط الجموعي.

المبحث الثاني: الحياة الثقافية والتعليمية.

المبحث الثالث: الصحافة في المدينة.



## المبحث الأول: النشاط الجمعي:

إن تاريخ الجمعيات الفرنسية في الجزائر مرتبط بالهجرة الفرنسية، بفعل التحولات الناتجة عن الاحتلال والاستيطان والأحداث التي عاشتها فرنسا سنوات 1848، 1851، 1870، وتوسع النظام المدني والنشاط الاقتصادي وظهور حركية جمعوية مطلع القرن 20م داخل أوساط الجاليات الأوروبية في محاولة للتأكيد على الهوية، وهذا عن طريق التكتل في جماعة أصلية ويقومون بشكيل الجمعيات بغرض جمع جالياتهم والدفاع عن مصالحها، والارتباط بذاكرتهم نحو وطنهم الأصلي أو موطنهم الأول<sup>1</sup>.

إن تتبع نشأة الجمعيات المحلية بمدينة سكيكدة خلال فترة التواجد الاستعماري يكشف بجلاء عن طبيعة نشاط هذه الجمعيات وأهداف تشكلها ومجال عملها والفئات التي تعتمد عليها على الساحة المحلية، إلى جانب ذلك كشف حقيقة انتمائها الجغرافي وعلاقته بالقوانين السارية المفعول التي تسيّر هذه الهيئات الجمعوية قبل صدور قانون الجمعيات وبعده.

قامت الجمعيات المحلية بتجميع الأفراد حولها الذين ينتمون لأصول مشتركة لنفس المنطقة التي جاءوا منها عقب تشكل المدينة الجديدة وتعميرها بمستوطنين أوروبيين من مختلف الجاليات والديانات. وارتبط تاريخ الجمعيات الفرنسية العاملة بمركز المدينة وغيرها من المدن الجزائرية الأهلة بالسكان الأوروبيين بإمتداده الوثيق بالهجرة الأجنبية نحو الجزائر التي عرفت تزايدا في أعدادها مع رغبة السلطات الفرنسية لجعل الجزائر مستعمرة استيطانية.

وكان للتحولات المختلفة التي شهدتها الجزائر، وتأثير الأحداث السياسية في الميتروبول الفرنسي، مما سمح بارتفاع أعداد الجمعيات المحلية بعد صدور قانون الجمعيات لعام 1901 كنتيجة لتوسع النشاط الاقتصادي في عهد الجمهورية الثالثة 1871-1940 وفي ظل النظام المدني المفروض في الجزائر. فالأوروبيون الذين استقروا في المدينة تجمعوا في جماعة أصلية، وعندما أصبح عددهم كبيرا فيها، اتجهوا نحو تشكيل الجمعيات التي تمكنهم من جمع شمل جالياتهم والدفاع عن مصالحهم والحفاظ على ذاكرتهم الجماعية نحو وطنهم الأم والذي لم يفقدوا الاتصال ببلدهم الأصلي بل ازداد الارتباط المعنوي به خاصة وأن معظمهم فرضت عليهم الظروف الصعبة الابتعاد عن موطنهم الأصلي والاتجاه نحو الجزائر للاستقرار بها بصفة نهائية.

إن ظهور حركية جمعوية مطلع القرن 20م داخل أوساط الجاليات الأوروبية هي محاولة للتأكيد على الهوية، وهذا عن طريق التكتل في جماعة انتماء جغرافي مشترك له ارتباط بموطنهم الأول. تشكلت بسكيكدة مجموعة كبيرة من الجمعيات تختلف نشاطاتها حسب أهدافها وظروف نشأتها، يبرز هذا الاختلاف في الأسماء والغايات والأعضاء المشكلين لكل جمعية محلية على مستوى المدينة.

<sup>1</sup> Benhassine Karima, *vie associative en milieu colonial, constantine une ville des Hérítages*, media plus, 2004, constantine, (Sous Direction Guechi), P.96.

ونجد من خلال معاينة عدة تقارير إدارية من فترة لأخرى، تطورا عدديا ونوعيا للجمعيات المحلية، ويرجع إلى تزايد عدد سكان سكيكدة في نهاية القرن 19م ومطلع القرن 20م، بالإضافة إلى ارتفاع نسبة الجاليات المستقرة بالمدينة التي تختلف نشاطاتها الاقتصادية ومستوياتها التعليمية وأصولها الاجتماعية وعقائدها الدينية ولغاتها الأصلية مما يفسر تباينا في اهتمامات هذه الجمعيات وتنوعها وتباعد العلاقات بينهم، بين مهتم بالشؤون الاجتماعية لتحسين مستواها المعيشي لجالياتها، وبين جمعيات أخرى ذات طابع مهني نقابي ترغب في التكتل للدفاع عن حقوقها.

كما ظهرت للوجود بسكيكدة جمعيات الأحياء وجمعيات ذات طابع ثقافي أدبي وموسيقي إلى جانب الجمعيات الرياضية لكرة القدم والتنس والسباحة والصيد وغيرها من الألعاب المختلفة وكذلك برزت الجمعيات دينية تمثل الديانات المتمركزة في المدينة، مثل الجمعيات اليهودية<sup>1</sup>.

ونتيجة بروز ملامح للتعليم تأسست جمعية أخرى ذات طابع تربوي ومدرسي تشمل قدماء تلاميذ المؤسسات التربوية المتواجدة بالمدينة، ويترأس هذه الجمعيات مجموعة من الشخصيات المحلية البارزة، التي تمكنت بمساهمة أعضاء تلك الجمعيات من القيام بعدة نشاطات ميدانية تستجيب لأهدافها<sup>2</sup>.

وكانت خطوط الانكسارات في أوساط الجماعة الأوروبية تتعكس في الحياة الجمعوية، وتضم هذه الجمعيات أشخاصا منحدرين من جهات مختلفة في فرنسا المترابولية أو من مناطق البحر الأبيض المتوسط وجزرها (مالطا، صقلية، جنوب إيطاليا وإسبانيا)<sup>3</sup>.

كانت هذه الجمعيات مختلفة من حيث الاهتمامات والعلاقات والنشاطات، وتعمل كل جمعية على تحقيق التقارب مع جاليتها الأصلية مما يزيد بها تباعدا مع باقي الجاليات من حيث الشعور بالانتماء<sup>4</sup>.

عملت هذه الجمعيات على الاستفادة من دعم الشخصيات السياسية والعسكرية والتربوية والفنية لها بحيث أعتمدت على مساهمة أعضائها المالية والمعنوية لقيام بنشاطات ميدانية تستجيب لطبيعة أهدافها.

والمتتبع لنشاطات هذه الجمعيات المحلية يجدها متنوعة المجالات، فمنها الجمعيات الاجتماعية التي ترغب في تقديم المساعدة الاجتماعية للمحتاجين خاصة المتعلقة بجالياتهم<sup>5</sup>.

واهتمت جمعيات أخرى بالنشاط الفني والموسيقي على الخصوص مثل جمعية فيلا أرموني لسكيكدة<sup>6</sup>، وينصب نشاطاتها في الاحتفالات الرسمية السنوية لذكرى 14 جويلية وغيرها من التظاهرات السياسية

<sup>1</sup> Association Culturelle israélite de philippeville, drai jacob president (cynagogue).

Association israélite philippevelloise de tous les devoirs, Chebtoun nessim president (Rue constantine).

Groupe de bienfaisance israélite Eliahou hanoli , Padouni moise president

<sup>2</sup> A.M.S, association de philippeville.

<sup>3</sup> خمري الجمعي، حركة الشبان، المرجع السابق، ص.104.

<sup>4</sup> سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص.180.

<sup>5</sup> A.M.S, voir la liste des associations de philippeville.

<sup>6</sup> فيلامونيك سكيكدة مترجم Philharmonie Musicale De Philippeville تعد أول جمعية تأسست بسكيكدة عام 1856، شاركت في العديد من التظاهرات الموسيقية المحلية والجهوية والوطنية، من بينها احتفالات الذكرى المئوية الأولى لاحتلال الجزائر عام 1930 بالجزائر، بعدها تحولت هذه الجمعية الموسيقية إلى فرقة موسيقية بلدية.

والعسكرية مستفيدة من موقع مسؤولية رئيس هذه الجمعية روسي بول<sup>1</sup>، ورافق تشكيلها ظهور جمعيات موسيقية أخرى، مثل جمعية ماندولين النهضة<sup>2</sup> التي تأسست في 3 ديسمبر 1895، وجمعية هارموني<sup>3</sup> وغيرها من الفرق الموسيقية المحلية التي تقوم بتقديم الحفلات الفنية لجمهورها بكشك الموسيقى<sup>4</sup> بساحة البحرية (مارك)، وهي الساحة المقابلة لنزل المدينة قرب الميناء التي تستقطب أعداد كبيرة من المتابعين للطبوع الغنائية المختلفة أيام العطل الأسبوعية أو السنوية<sup>5</sup>.

وبقيت الاحتفالات سارية المفعول لغاية مجي حكومة فيشي التي جمدت العمل بالاحتفالات الرسمية، واقتصرت على بعض الأعياد المسموح بها، مثل 11 نوفمبر، عيد ميلاد الماريشال بيتان، أو الاحتفالات الجديدة مثل عيد الأمهات، عيد الشجرة التي تضاف إلى مواكب الاحتفالات الدينية: عيد الرب، شهر مريم، 15 أوت، القديس لويس، تميزها قرع الأجراس، وتزين هذه الاحتفالات رفع الأعلام، يجند لها شباب يقومون باستعراضات على وقع نشيد مارشال نحن هنا<sup>6</sup>.

وظهرت جمعيات أحياء تدافع عن مناطق سكنها مثل جمعية حي ضاحية الأمل<sup>7</sup> وجمعية الربوة الجميلة<sup>8</sup> وبني مالك<sup>9</sup>، وتكونت جمعيات ذات طابع ديني متعلقة بالطوائف المتمركزة بالمدينة كالكاثوليك. فرضت هذه الجمعيات خلال مراحل تواجدها ديناميكية ثقافية واجتماعية أكثر نشاطا، بحيث كانت هذه الجمعيات المحلية تعتبر نفسها بأنها هيئات غير سياسية وممنوع عليها التطرق للقضايا ذات الطابع السياسي أو الديني، ورغم الحياد السياسي المعلن من طرفها إلا أن ذلك لم يمنعها من ربط مجموعة من العلاقات مع المحيط السياسي لكن بالتأكيد فإن هذه الجمعيات لا تتشغل إلا بجالياتها، بحيث لا تولي أي اهتمام بالفئة المسلمة ولم تطرح المسألة المتعلقة بالأهالي في أي فترة من نشاطها وبرنامجها لا يحتوي على أي تلميح لمشاكلهم<sup>10</sup>.

أما الجزائريون فقد أستفادوا من قرار جويلية 1901 الذي يسمح بإنشاء جمعيات ثقافية وخيرية بفرنسا، وأصبح ساري المفعول في المستعمرات الفرنسية والتي حاولوا من خلالها إبراز إمكانيات

<sup>1</sup> روسي بول Rossi- Paul فنان ورسام وشاعر من مواليد مدينة سكيكدة، صاحب لوحة ميناء سطورة الذي تولى عدة مسؤوليات في المجالس البلدية المتعاقبة في نهاية القرن 19م ومطلع القرن 20م.

<sup>2</sup> جمعية ماندولين النهضة مترجم Mandolines Renaissance من بين مسؤوليها الموسيقيين جورج فالزون Falzon، وفليكس مارشيوني Fellix Marchionie الذي أصبح رئيس اللجنة النشطة عقب اجتماعها 24 سبتمبر 1946

<sup>3</sup> صورة جمعية هارموني الموسيقية في أحد استعراضاتها قرب ميناء سكيكدة في الملاحق.

<sup>4</sup> كشك الموسيقى البلدي Kiosque De Musique الذي تغير موضعه من جانب ساحة مارك البحرية نحو وسطه بداية القرن 20م، وهي إحدى أشكال الترفيه وتقديم العروض الموسيقية من طرف الفرق المحلية أو بعض الفرق الأجنبية التي تحضر إلى سكيكدة من حين لآخر.

<sup>5</sup> A.M.S, association musicale de philippeville, 1940.

<sup>6</sup> غولديغر أني راي، جذور حرب الجزائر 1940-1945 من مرسى الكبير إلى مجازر الشمال القسنطيني، المرجع السابق، ص.36-49.

<sup>7</sup> Amicale des habitants du quartier de l'espérance de philippeville, Raoul Amiel président.

<sup>8</sup> Amicale des habitants du quartier du montplaisant philippeville, Saadi Institeur président.

<sup>9</sup> Syndicat de défense du Faubourg Beni melek, Guiscafre Jacques président.

<sup>10</sup> Ibid, constantine une ville des héritages, media plus, 2004, p.108-109.

العنصر الأهلي، وقدراتهم الفكرية والجسمية تقنيدا للنظرية الإستعمارية القائلة بامتياز العنصر الأوروبي على العنصر الجزائري.

وأدرك الشبان الجزائريون التناقض الذي وضعه فيه النظام الكولونيالي كرعيا فرنسيين من جهة، وخاضعين لقوانين الأنديجينا من جهة أخرى.

وأراد ممثلو الأهالي أن ينبهوا فرنسا إلى ضرورة إعادة النظر في القوانين الإستثنائية قائلين: إذا كانت هذه التشريعات قد وضعت في عهد الإضطرابات والانتفاضات فإنه اليوم لم يعد أي مبرر لإستمرارها خاصة أن الأهالي قد ركنوا إلى الهدوء والإستقرار، وهذا بعد تخلي الجزائريين عن أساليبهم التقليدية في مواجهة الإستعمار.

وتبين لهم بحتمية الإعتماد على وسائل جديدة تسمح بمحاورة النظام الكولونيالي وإنتزاع حقوق مواطنيهم بطرق هادئة وسلمية من سلطات الإحتلال، لذلك إهتم الشبان الجزائريون بتأسيس الجمعيات الثقافية والإجتماعية والرياضية منذ مطلع القرن 20م في محاولة لإبراز قدراتهم الفكرية والجسمية أمام خصمه الأوروبي وذلك بمبادرة من خريجي المدارس الفرنسية كالأطباء والمعلمين، وإظهار ملكات العنصر الأهلي للرد على الإدعاءات المشككة في قابلية الجزائري للتكوين والتطور، وهذا ما يفسر إهتمامهم بهذا النشاط الجمعي.

ويكشف البحث في مجال النشاط الجمعي بمدينة سكيكدة التي ظهرت خلال الحقبة الكولونيالية عن مدى إرتفاع عدد الجمعيات وإتساع نطاق نشاطها وإختلاف إنتماءاتها الجغرافية ومراكز تجمعها في المدينة ودورها على صعيد الحياة المحلية.

وترتبط الجمعيات المحلية بالهجرة الأوروبية في الجزائر بصفة عامة ونحو سكيكدة خصوصا، وقد شكل الأوروبيون المستقرون بالمدينة، في إطار جماعة أصلية، الجمعيات بغرض جمع جالياتهم والدفاع عن مصالحها، وهذا على إعتبار أنهم ما زالوا على إتصال ببلدهم الأصلي ولم يفقدوا ذاكرتهم حول وطنهم الأم بل إزدادوا إرتباطا بموطنهم الأول.

وأضطر معظم الأوروبيون إلى ترك مناطقهم الأولى نتيجة لتأثير ظروف مختلفة<sup>1</sup> جعلتهم يلتجؤون إلى المستعمرات الأوروبية، من بينها الجزائر التي أصبحت محط أنظارهم، وهذا بعدما أعتمدت فرنسا في تشجيعها للهجرة الأوروبية بتوزيع المناشير، حيث عرضت على الأوروبيين التوافد على الجزائر خاصة ذوي الأصول اللاتينية منهم الإيطاليون والإسبان.

وأخذت هذه الجمعيات الفرنسية أشكالا مختلفة من نشاطها الإجتماعي والثقافي والخيري والرياضي والترفيهي، ومستفيدة من السياسة الليبرالية للجمهورية الثالثة التي أسهمت في تطور عدد الجمعيات

<sup>1</sup> سعد الله أبو القاسم ، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر العام، ج2، دار الغرب الإسلامي، دت، ص105.

بسكيكدة المحلية في عمالة قسنطينة من جهة، ومن جهة أخرى تطورت الجمعيات بشكل متزايد بعد صدور قانون 1 جويلية 1901 الذي سمح للفرنسيين بالإستفادة من النظام الليبيرالي المتاح لهم الأمر الذي جعل المدن الكبيرة كقسنطينة وسكيكدة وعنابة وباقي المدن الساحلية والداخلية تتركز فيها جالية أوروبية واسعة تشكل أرضية خصبة لتطور الحياة الجمعوية بالجزائر.

وأخذت هذه الجمعيات أسماء الأصل الجغرافي لهذه المجموعة العرقية أو الدينية حيث يتشكل أعضاؤها من هذا المجتمع الذي يمثله اقليم أو أجزاء أو مختلف مناطق فرنسا التي جاءت منها. وكانت التركيبة الإجتماعية لهذه الفئات بالنظر إلى مواطنهم الأصلية القادمين منها إلى الجزائر، تتكون من عناصر بشرية مختلفة، تجمع بينهم المصالح فقط، وتشمل على العنصر الفرنسي على رأس القائمة ثم يليه الإيطاليون والكورسيكيون والمالطيون والسويسريون والإسبان والألمان والأقلية اليهودية<sup>1</sup>. وتعد أهم الجمعيات الجهوية المشكلة بسكيكدة، جمعية (الودادية الكورسيكية بسكيكدة)<sup>2</sup> أسسها أعضاء من المدينة وهم من سكان كورسيكا بتعداد 200 عضوا عام 1930 ويترأسها غريمالدي<sup>3</sup> الذي صرح بأن الطاقات الكورسيكية استطاعت أن تجد لها مكانة هامة في كل الأنشطة الإنسانية في الصناعة والأعمال الحرة وتجمعهم أغنية للتضامن الكورسيكي بلغتهم الأم تعبر عن أمجاد الأمم الصغيرة، وكل واحد منها حسب رئيسها لديه وطنين: الأجل فرنسا ثم قريته الغالية<sup>4</sup>، كذلك جمعية سويسريو سكيكدة<sup>5</sup> التي تقدم نشاطات للتكفل المادي والمعنوي بالرعايا السويسريين.

وتشكلت جمعيات أخرى تمثل أقاليم فرنسا الجنوبية: ودادية الألزاس واللورين وشابونوا<sup>6</sup>، وجمعية دوفين وسافوا<sup>7</sup>، وودادية أقاليم لاقيدوك ودوفيناوا<sup>8</sup>، وجمعية أشبال قاسقون<sup>9</sup>، ولم تتأخر الجالية المالطية في هذا المجال الجمعوي، بحيث ممثلت ودادية مالطا<sup>10</sup> بجمعية كولوني المالطية<sup>11</sup> التي تأسست في 20 مارس 1907، كذلك الودادية الفرنكو-مالطية برئاسة جون زيكلونا<sup>12</sup>.

وكان الإيطاليون أكثر الفئات تواجدا ضمن مختلف الجمعيات الدينية والخيرية أو الإنسانية والموسيقية والتضامن والإسعاف والمساعدة لفئاتها المهنية كقدمات المحاربين والعمال ومن بينها جمعية

<sup>1</sup> Ibid, vie associative en Milieu colonial et nostalgie du terrain, p.102-105.

<sup>2</sup> Philippeville L'Amicale de Corse

<sup>3</sup> Grimaldi

<sup>4</sup> Ibid.

<sup>5</sup> L'Association Des Suisses De Philippeville

<sup>6</sup> ودادية الألزاس واللورين L'Amicale des alsaciens-Lorraines Et Champenois الصورة في الملاحق.

<sup>7</sup> Société Des Dauphinois Et Savoisiens De Philippeville

<sup>8</sup> L'Amicale Des Provencaux Languedociens Et Dauphinois

<sup>9</sup> Association Des Cadets De Gasgogne

<sup>10</sup> L'Amicale De Malte

<sup>11</sup> La Colonie Maltaise Associationvoir, :AMS, Société1941

<sup>12</sup> Amicale franco-Maltese rue clémenceau, président xicluna jean.

AMS, Société et assoc philippeville, 1941

قدامى المحاربين الإيطاليين<sup>1</sup>، وأخرى المسماة (جمعية دوبو لآبورو)<sup>2</sup>، وجمعية سان سيرو للجالية الإيطالية، حيث تمنح مساعدة لرعاياها المحتاجين<sup>3</sup>. والمهم بالنسبة لهذه الجمعيات هو التمرکز في كبريات المدن خصوصا الأهله بالسكان الأوروبيين مما يسمح لهم بالحفاظ على عاداتهم وحيويتهم. ولم تكن الجمعيات المحلية مفتوحة سوى للفرنسيين التابعين للمتروبول الفرنسي لذا تعد الهجرة من مناطقها ذات أهمية في كسب أعضاء جدد لهذه الجمعيات، وتمنح الهجرة الوزن الحقيقي لبعضها كالهجرة الكورسيكية التي تعتبر التمرکز الأكثر أهمية في الشرق الجزائري. وإنطلاقا من هذه المعطيات وكنتيجه حتمية ينتمي معظم المسيرون والأعضاء المؤسسون للطبقة المرموقة خاصة كذلك الأمر بالنسبة للرؤساء الشرفيين لهذه الجمعيات، وهم شخصيات ذات نفوذ ورفعة ويصنفون في قمة الهرم الإداري ومن بين رؤسائها المعروفين أغلبهم يشمل الشخصيات الحائزة على عهدة أو أكثر وعلى سبيل المثال: ودادية كورسيكو سكيكدة<sup>4</sup>، بالإضافة إلى كورسيكو برج بوعريريج، حيث تولى رئاستهما الشرفية السيناتور بول كيتولي بما يحمله من وزن على مستوى عمالة قسنطينة. ويرجع الإهتمام بهذه الشخصيات للحصول على المساندة المعنوية والمالية وإعطائها مكانة محترمة في الحياة الإجتماعية، ويقاس عدد الناشطين في الجمعية بالحجم الديمغرافي لهؤلاء المهاجرين. ويسمح للنساء بالإنخراط في هذه الجمعيات، حيث يقمن خصوصا بأعمال في لجان المساعدة، ويساهمن في التحضير للإحتفالات، حيث تقام هذه التظاهرات دائما لفائدة أعمال خيرية إجتماعية، للمساعدة أو بمناسبة حفلات دينية<sup>5</sup>، وطنية<sup>6</sup>، أو مغادرة أو عودة الفيالق. وتعكس هذه الجمعيات نزعة التآلف والتضامن والإنسجام وتحاول العمل في هذا المجال من خلال الإجتماعات والحفلات الراقصة، وحفلات للصغار التي تنظم في قاعات الكازينوهات والمقاهي وقاعات النزل وغيرها، مكان يعرف بالهوية ويقوي الإحساس بالإنتماء الفرنسي، وهي طريقة لإيجاد منابعه وللحفاظ على عاداته القديمة الموروثة من أجداده وكذا لشد أو اصر الهوية في المجموعة.

<sup>1</sup> مترجم جمعية قدامى المحاربين الإيطاليين Association Des Anciens Combattants Italiens

<sup>2</sup> مترجم جمعية دوبو لآبورو Association Dopo Laboro

<sup>3</sup> Société amicale de bienfaisance la san siro, colonie italienne de philippeville, fondé décembre 1912,

Benhassine karima, La Vie associative dans la département de constantine 1901-1945, thèse de doctorat d'état en histoire, dirigé par sekfali abedrahim, université mentouri, 2006, p.156.

<sup>4</sup> Ibid, vie associative en Milieu colonial et nostalgie du terrain, p.102.

<sup>5</sup> رأس السنة الميلادية المسيحية.

<sup>6</sup> ذكرى الثورة الفرنسية 14جويلية تقام استعراضات عسكرية وموسيقية، ولا يتم استشارة الأهالي للمشاركة فيها، فإذا كانت السلطات البلدية لسكيكدة تشجع الحفلات التي تنظم من طرف الأوروبيين داخل محيط المدينة وضواحيها، حيث تقام تظاهرات متنوعة (حفلات، أنشطة رياضية وثقافية ..) تشرف عليها مجموعة من الجمعيات والنوادي المحلية، وفي المقابل لا تولي السلطات المحلية أي اهتمام يذكر لاحتفالات الأهالي، بل تعترض على بعضها من حين لآخر، لأنه يشكل ازعاج أو تهديد لهم، ونجد حتى المجلس البلدي يصدر قرار في 1 سبتمبر عام 1934 يقرر منع الطلقات للنار أو أي انفجارات في المستقبل على كامل اقليم بلدية سكيكدة، ويشتمل القرار بمناسبة الاحتفالات في الاحياء أو القرى المجاورة، ويأتي هذا القرار الجائر الذي يمنعه من تعبير عن عاداتهم، بناء على رسالة شكوى من طرف رئيس نقابة المبادرة لسكيكدة الذي يعد عضو في ذلك المجلس، حيث أشار إلى أن طلقات النار البارود تعكر صفة وهدوء وراحة مواطنينا وتؤثر على المصطافين والحالة الصحية للمرضى. ينظر: AMS, Arreté n 124, conseil municipale de philippeville, le 01/09/1934.

وتعمل بعض الجمعيات على طبع نشرة كل ثلاثة أشهر موجهة لمنحرفيها وهي تعني بتقديم معلومات عن الحياة المحلية والجهوية، وتقدم خدمات اجتماعية لجالياتها المتمركزة بالمدينة<sup>1</sup>. وتطورت في خضم نشاط هذه الجمعيات حياة سامية ونوع من الفن في العيش الجماعي التي برزت طوال مشوارها ووحدة ثقافية وإجتماعية جد نشيطة.

وكان النشاط السياسي محظورا على هذه الجمعيات لكن لم يمنعها حيادها السلبي من ربط علاقات مع الأوساط السياسية، والأكيد أن هذه الجمعيات لم تول إهتماما يذكر للوجود المسلم في المدينة.

وكان لتنوع الجاليات المستقرة في المدينة بعد توسع أحيائها وتزايد النشاطات الاقتصادية والحرفية بها مما ساعد على الاهتمام بالعمل الجماعي كوسيلة ارتباط كل جالية بماضيها، لهذا فإن كل جمعية لها خصوصية محددة تستجيب مع تكوين أعضائها التعليمي وأصولها الاجتماعية والثقافية واللغوية وعقائدها الدينية المتبعة، بالإضافة إلى الاختلافات في الوظائف الاقتصادية والمستوى المعيشي.

الجمعيات ذات الطابع التربوي بسكيكدة: من خلال تتبع نشأة الجمعيات المدرسية التي ظهرت بالمدينة<sup>2</sup>، وهي جمعيات لقدماء المتدربين تشرف عليها هيئات مسيرة<sup>3</sup>، كسبت مكانة محترمة محليا، ضمت إليها فئات اجتماعية ميسورة كالأطباء، ومتقاعدي هذه المدارس من مدرء وأساتذة، ويغلب عليها الطابع الأوروبي بحيث يقتصر الإشراف الأهلي على جمعية واحدة يترأسها الطبيب يوسف كسوس<sup>4</sup> وهي جمعية أصدقاء المدرسة الأهلية بسكيكدة<sup>5</sup> بالإضافة إلى جمعية أولياء تلاميذ مدرسة فرديناند بويسون<sup>6</sup>، وجمعية ودادية تلاميذ التعليم الثانوي تترأسه السيدة تريبانو<sup>7</sup> التي تشرف على تسيير جمعية أخرى مهمة بالتعليم: ودادية قداماء التعليم للبنات بسكيكدة<sup>8</sup>، وجمعية أخرى للذكور برئاسة الدكتور ترفاي<sup>9</sup>،

<sup>1</sup> Association valentin hauy, président gardetta.

Sociétés charitables

La maternelle de l'aiguille saint anne.

Dame de charité, présidente grima.

Fourneaux economiques, présidente ledermann.

<sup>2</sup> A.M.S. Les Association de Philippeville.

<sup>3</sup> Société scolaire des secours mutuels et de retraites en France.

<sup>4</sup> يوسف الأمين كسوس من مواليد 11 ماي عام 1894 بالطاهير، ينتمي لعائلة مثقفة أصلها من القل، عملت في الإدارة فأبوه خوجة، وأعمامه مترجمين قضائيين، تحصلوا على شهادات من الجامعات الفرنسية، من بينهم الصحفي والسياسي عبد العزيز كسوس 1903-1965 العضو في الحزب الاشتراكي ورئيس تحرير صحيفة الوفاق الفرنسي الاسلامي، بينما يوسف كسوس تخرج بشهادة الطب من جامعة ليون عام 1922، عاد للجزائر واستقر بسكيكدة حيث عين طبيب بالمستشفى البلدي، اتسم بخصال مهنية وإنسانية عالية كسب احترام الأوروبيين والمسلمين له، وتم ترقيته مدير المكتب البلدي للصحة والمركز الصحي للمدينة القريب من باب قسنطينة، انتخب مستشار عام لعمالة قسنطينة، ونائب بالمجلس البلدي لسكيكدة، ثم انتخب نائبا للدائرة الثانية لعمالة قسنطينة ضمن قائمة الجمهوريون الاحرار التي قادها الدكتور ابن جلول في الانتخابات التشريعية 17 جوان 1951 لغاية وفاته بباريس في 1 جوان عام 1952، عوضه النائب عمار نارون، وعمل كسوس على مساعدة الأهالي في مجال التعليم والسكن والتكوين والصحة وأنشأ العديد من الجمعيات المهنية والاجتماعية للدفاع عن تعليم الاهالي وتمهين المرأة، ينظر: ثنيو نورالدين، قضايا الحركة الإصلاحية عند رايح زناتي والأمين العمودي خلال الثلاثينات، ماجستير في التاريخ، جامعة الامير، 1997، ص.48.

Youcef kessous, www.assemblée .nationale.fr.biographies.4 republique.

Mohammed el aziz kessous, le bulletin parcours, l'algerie les hommes l'histoire, n5, automme 1985, p.37-39.

<sup>5</sup> Les Amis de L'école d'Indigènes de Philippeville: Docteur Kessous.

<sup>6</sup> Association Des Parents Des Elèves Cours Complémentaires de l'Ecole F .Buisson et Leurs Elèves.

<sup>7</sup> Amicale des Anciennes Elèves Cours Secondaires de Philippeville ; Mme Tribandau.

<sup>8</sup> Amicale des Anciens Cours Secondaire du Collège de Jeune Fille de Philippeville; Mme Tribandau.

<sup>9</sup> Association Amicale Anciens Elèves Collège de Garons de philippeville ; Docteur Travail.

وجمعية أولياء تلاميذ مدرسة الاخوة بسكيكدة<sup>1</sup> برئاسة شارل نابيلي، كذلك ظهرت رابطة التعليم بسكيكدة التي يترأسها بول فيالا<sup>2</sup>، كما تضم هذه القائمة تعاونية مدرسية<sup>3</sup>، وأخرى للتعليم التحضيرى لسكيكدة برئاسة هنري فالينو<sup>4</sup>. كذلك توجد جمعيات أخرى مهتمة بهذا المجال<sup>5</sup>.

ونضيف إلى هذه القائمة جمعية بروتستانت شباب سكيكدة<sup>6</sup> برئاسة ورناي فيالا وأمينه العام الجمعية المحامي روجي روث<sup>7</sup>، لها عدة حركات كشفية واتحادات مسيحية تابعة لها<sup>8</sup>. وتوسع نشاط الجمعيات بوجود حركة كشفية واسعة في الجزائر لمصلحة الناشئين الذين انتظموا في فرق أو أفواج، على غرار الاتحادات الكشفية اللاتينية والبروتستانتية والكاثوليكية والأحرار الفرنسية<sup>9</sup>.

وظهرت عدة أفواج كشفية في مختلف مناطق الجزائر، وتعد سنة 1936 محورية تشكلت خلالها عدة فرق كشفية:الرجاء الصباح بقسنطينة، القطب بالجزائر، الإقبال بالبليدة، وفوج الأمل بسكيكدة<sup>10</sup>.

ومن هنا يتجلى التفاوت التعليمي والثقافي بين الفئتين الأوروبية والمسلمة القاطنة بسكيكدة وضواحيها، وذلك لأن السلطات الفرنسية عملت على دعم التعليم الأوروبي في التجمعات العمرانية التي يغلب عليها الوافدين الأوروبيين، حيث أتيحت مجانية التعليم لأبناء المستوطنين الأجانب في الجزائر، بموجب قانون التعليم المجاني التي أصدرته فرنسا عام 1884 الذي حرم أبناء المسلمين الجزائريين من حق الالتحاق بالمدارس الحكومية، وأكثر من ذلك عملت السلطات الاستعمارية على إضعاف الثقافة العربية الإسلامية، والعمل على جعل اللغة الفرنسية لغة رسمية للبلاد<sup>11</sup> عن طريق منع التعليم الأهلي لغاية مطلع العشرينات من القرن 20م، حيث تم انجاز أول مدرسة ابتدائية أهلية<sup>12</sup>، فتحت أبوابها لعدد قليل من أبناء السكان الأهالي، بسبب محدودية الأقسام التربوية التي تضمها هذه المدرسة من جهة، وارتفاع عدد الأطفال الذين تجاوزوا سن التمدرس من جهة أخرى.

ويضاف إلى هذه القائمة جمعيات أحياء المدينة تضم حي الربوة الجميلة برئاسة سعدي<sup>13</sup>، وحي الأمل<sup>14</sup>. ونضيف نقابة المبادرة والسياحة لمدينة سكيكدة<sup>15</sup> التي يشرف على ادارتها موريس شارب عام

<sup>1</sup> Association Des Parents Des Elèves Ecole Des Frères de Philippeville; Nieilli Charles.

<sup>2</sup> Ligue de l'Enseignement de de philippeville; Ancienne Mairie, Vialla - Paul; Collège Garçon.

<sup>3</sup> Coopérative Scolaire F.Buisson ; Ecole F.Buisson ; Gressard Directeur École.

<sup>4</sup> Ecole De préparentissage de philippeville, Avenue Barrot: Faillenot Henri.

<sup>5</sup> Union des amis des cours complémentaires de l'ecole des filles victor hugo, lafuenta.

Cercle philippeillois de la ligue française de l'enseignement.

<sup>6</sup> Association protestant de la jeunesse Philippeville, président warney vialla.

<sup>7</sup> Roger Roth, président compagnons de France, amis des compagnons, et écalireurs de France.

<sup>8</sup> AMS, 19-07-1948, protestant de la jeunesse Philippeville, la composition du comité.

<sup>9</sup> رمضان محمد الصالح، تاريخ وتطور الحركة الكشفية بالجزائر، مجلة الثقافة، العدد 69، ماي-جون 1982، الجزائر، ص.29.

<sup>10</sup> درويش محمد، الكشافة مدرسة الوطنية للجزائر، 1985، ص.ص.25-53-78.

<sup>11</sup> قدورة زاهية، تاريخ العرب الحديث، المرجع السابق، ص.510.

<sup>12</sup> صورة المدارس الأوروبية في الملاحق .

<sup>13</sup> Amicale Des Habitants des Habitants du Montplaisant Philippeville, Saadi Instituteur

<sup>14</sup> Amicale Des Habitants des Habitants du Quartier L'Espérance Philippeville, Raoul Amiel, Industriel

<sup>15</sup> Syndicat d'initiative et de tourisme de Philippeville, président emile ledermann.



1939 كأمين عام، من الذين تولوا تسييرها، وتقم هذه الجمعية بالاعتناء بالمواسم السياحية الاصطيافية، ومراقبة الفنادق<sup>1</sup> والمطاعم والشواطئ والمساح الموزعة بالمدينة وطريق سطورة وحي جان دارك بن مهدي<sup>2</sup>.

ساعد صدور قانون الجمعيات لسنة 1901 بفرنسا على فتح المجال واسعا أمام الفرنسيين في إنشاء الجمعيات الذي طبق عام 1904 بالجزائر، وجاء هذا القانون في ظروف تميزت بظهور مناخ اجتماعي وثقافي جديد ومن بين 1521 جمعية أوروبية ومسلمة محصاة بين سنتي 1901-1945 من طرف الباحثة كريمة بن حسين تبين بأن 639 جمعية موزعة على ثلاثة مدن كبيرة في عمالة قسنطينة 292 جمعية وعنابة 220 جمعية وسكيكدة 127 جمعية<sup>3</sup>.

عملت النخبة الأهلية على إنشاء جمعيات حديثة خاصة بالمسلمين تطرح انشغالاتهم، وتتكفل بمشاكلهم على منوال الجمعيات الأوروبية الموجودة على الساحة المحلية، حيث الفوارق واسعة في صفوفهم<sup>4</sup>. إذن أسست هذه الجمعيات والتعاونيات المسلمة بموجب مواد قانونية يسمح بها التشريع الفرنسي، حيث كان على الأهالي مقاومة القوانين الجائرة التي يعيشونها، وليس الفراغ في تمثيلهم<sup>5</sup>.

الجمعيات الرياضية بسكيكدة: كانت الرياضة البديل للسياسة، حيث كان الشعور بالانتماء بالنسبة للممارسين أو المنتبعين لمختلف الرياضات المتمركزة بالمدينة يظهر بشكل أقوى، عند متابعة لقاءات كرة القدم التي تجلب إليها المتفرجين بأعداد كبيرة لا يمكن احصاؤها، ويبرز في هذا المجال ثلاث فرق هامة وهي سريع فريق سكيكدة<sup>6</sup> برئاسة الدكتور كومولي<sup>7</sup> ونجم شبيبة سكيكدة<sup>8</sup> الذي يشرف عليه جيط<sup>9</sup>.

ويعد راسينغ اقدم الفرق المحلية لكرة القدم بالمدينة، أسسه الصناعي جول قروسو<sup>10</sup> الذي يعد أول رئيس للنادي، بينما أخر رئيس الدكتور كومولي<sup>11</sup>، أما أبرز لاعبيها باردو شارل<sup>12</sup> الذي تقلص ألوان

<sup>1</sup> Les hôtels, royal, foy, family, mice, rusicade palace, palais littoral, d'orient

<sup>2</sup> AMS, del n : 173 ; 1939

<sup>3</sup> Benhassine karima, La Vie associative dans la département de constantine 1901-1945, thèse de doctorat d'état en histoire, dirigé par sekfali abedrrahim, université mentouri, 2006, p.09.

<sup>4</sup> Société de secours musulmans ennacer, fondé 03/01/1941, éducation et assistance aux jeunes musulmans.

Aiguille musulman 03/10/1934, création d'un ouvoir pour les jeunes filles.

Les Amis de l'école indigène de philippeville, fondé 16/18/1927.

El Mouakhat Essikdia (la fraternité skikdite) fondé 26/11/1932.

Cercle de l'action (nadi el amel), fondé 09/03/1936.

Les Scouts musulmans (Es Saada) fondé 02/10/1940. -voir Ibid, p.163-164-168-177-184-190.

<sup>5</sup> يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية، 1830-1954، OPU، الجزائر، ص 31.

<sup>6</sup> سريع فريق سكيكدة Racing club de Philippeville

<sup>7</sup> الدكتور كومولي Comolli

<sup>8</sup> Etoile Jeunesse Philippeilloise; Talercio Victor.

<sup>9</sup> الدكتور جيط Gette

<sup>10</sup> Grosso Jules industriel

<sup>11</sup> comolli

<sup>12</sup> Bardo Charles

المنتخب الفرنسي كقلب هجوم سنوات 1927-1934، بعدها أندري قيامارشي<sup>1</sup> قائد منتخب فرنسا في الألعاب الاولمبية بروما عام 1960. وتأسس فريق نجم شباب فيليب فيل سنة 1929 تولى رئاستها عدة اسماء: موريلي<sup>2</sup>، فيكتور طالويسيو<sup>3</sup>، ومهاجمها السابق الدكتور موريس جيت<sup>4</sup> الذي يعد آخر من اشرف على رئاستها. وترأس الشباب الرياضي الاسلامي لسكيكدة<sup>5</sup> الحواس بوقادوم الذي انتخب من طرف اللاعبين الذين كان العديد منهم وطنين، ويعيشون كلهم بفضل النادي الذي ينتمون إليه، مما جعل أعضاء من حزب الشعب الجزائري يتهمونهم بالمادية الكريهة، وهذا ما دفع البعض إلى تأسيس ناد منافس للشبيبة الرياضية المحلية، أطلق عليه وداد سريع سكيكدة<sup>6</sup> المسير من طرف بشير بوقادوم<sup>7</sup>، يساعده محمد جمعي، لكن هذا النادي لم يستطع التفوق على شبيبة سكيكدة، وظل فريقا صغيرا.

كان السكيكديون يناصرون الفرق الرياضية الاسلامية التي كانت تواجه نادي الراسينغ أو نجم الشباب، حين يواجه فرقا من قالمة وعنابة وسطيف وقسنطينة بل كانوا لا يرتاحون لوجود لاعبين مسلمين جزائريين في الراسينغ أو النجم<sup>8</sup>، بينما برز عدد من اللاعبين الأوروبيين<sup>9</sup> الذين جلبوا الاهتمام بفيئاتهم<sup>10</sup>، وكان أغلب السكان الاوروبيون القاطنين بمدينة سكيكدة مولعين بريضة كرة القدم خاصة بعد عودة الفرق الرياضية للممارسة من جديد عقب نهاية الحرب العالمية الثانية.

وأصبحت هذه الرياضة تجلب إليها معظم الشباب الاوروبي وحتى المسلم باعتبارها وسيلة ترفيه وممارسة في آن واحد في الأحياء، بحيث يلعب الاطفال الصغار مباراتهم في أحيائهم. وتمارس الكرة قرب الباب حيث الملعب هو دوما الشارع التي فيه تلعب هذه الرياضة المفضلة، وهذا لنقص الامكانيات المتوفرة لدى غالبيتهم، وكان البعض محظوظا بعد السماح لهم بالمشاركة في بطولات الأشبال والأواسط، واحتياطي الفرق الكبيرة آنذاك مثل الراسينغ والنجم أو الشبيبة الرياضية<sup>11</sup>، تطور معها تعداد الجمعيات والفرق الرياضية الفردية والجماعية كنادي السباحة لسكيكدة برئاسة روجي قريما<sup>12</sup>، ونادي الشراعة يرأسه دي سونيس<sup>1</sup>، ونادي التنس يرأسها جاكبي<sup>2</sup>، ونادي المسابقة برئاسة دي

<sup>1</sup> Giamarchi andré

<sup>2</sup> Morelli

<sup>3</sup> Taliercio Victor

<sup>4</sup> Gette Maurice

<sup>5</sup> Jeunesse Sportive musulmane Philippeville; Baliouze Ahmed.

<sup>6</sup> Widad Athlétique Philippevillois

<sup>7</sup> بوقادوم بشير بن الطاهر بن محمد، ولد سنة 1919 بالحروش، يعمل محاسب قابض حافلات في شركة النقل شيخي، يقطن بشارع لامبار Lambert، بشير بوقادوم مناضل سياسي في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بفرع سكيكدة، ورئيس نادي للملاكمة. انتخب في قائمة الحزب في الانتخابات البلدية لعام 1953، وعين نائب رئيس بلديتها كريفو بول، مستشار بلدي سابق، ونائب رئيس بلدية سكيكدة، وأخ النائب الحواس بوقادوم، استشهد في 22 نوفمبر 1956. ينظر:

La depeche de constantine, n 16474, 24 novembre 1955.

<sup>8</sup> أمثال عمار قاتي، الشريف بداعي، خليل قاضي.

<sup>9</sup> نذكر منهم: جيانمارشي، تسمير، شولي.

<sup>10</sup> حربي محمد، سنوات تحدي وضمود، المصدر نفسه، ص.70.

<sup>11</sup> Castanet Jean -Paul, La Revue Ensemble , spécial Philippeville, le football à Philippeville, N° 219 octobre 1999.

<sup>12</sup> Cercle de Natation de Philippeville; Président Roger Grima.

دي سان جيرفي<sup>3</sup>، ونادي الكرة الحديدية لسكيكدة<sup>4</sup> إلى جانب نوادي أخرى مهتمة بممارسة رياضة الكرة الحديدية<sup>5</sup>، بالإضافة إلى جمعيات أخرى تمارس رياضات جماعية كرة القدم وكرة السلة وكرة اليد وكرة الطائرة<sup>6</sup> أو تضم فرق عمالية<sup>7</sup> وأغلبها تتم بالملاعب البلدي لمدينة سكيكدة، وهو مركب انجز عام 1933 لتلبية احتياجات الشباب الرياضي والتلاميذ في المدارس.

نذكر الجمعيات والنشاط النقابي، كأمثلة للحركات المطالبة، للتربية السياسية ورفض النظام الاستعماري. ويأتي النسيج الجمعي ليضاف إلى أشكال الصراع من المظاهرات الجماهيرية، فقد تطورت بالمدينة جمعيات ذات طابع اجتماعي وثقافي.

وقد نشأت النوادي الرياضية المسلمة على الخصوص رياضة كرة القدم، بالموازاة مع نوادي الأوروبيين، مختلفة عنها وتتواجد بالأحياء التي يقطن بها المسلمون. وبعكس النوادي الرياضية الأوروبية، لم تكن الإدارة تقدم أية مساعدة لهذه الجمعيات التي كانت تنشط بفضل اشتراكات أعضائها والتبرعات التي تجمعها بمناسبة الحفلات المنظمة من طرف المجلس الإداري، بالإضافة للرياضة، فإن رياضة كرة القدم والملاكمة كانتا تسمحان بإثارة الحماس في أوساط الجماعات الأمر الذي يجعلها تثبت هويتها من خلال تباهاها بأبطالها، وأصبحت النوادي الرياضية مدارس للنضال مرتبطة بحزب الشعب. وتشكل الجمعيات أحد أشكال النضالات السياسية والتعبير عن الشخصية الثقافية والسياسية للمجتمع المسلم في الفضاء الحضري للمدينة. فمهما كانت الأهداف التي سطرته بطريقة شرعية، والتي تتوخى فيها التربية الرياضية والتكوين الأخلاقي والدفاع عن مصالح المسلمين، فإن مجرد تجمع الأهالي يعطي لهذه الجمعيات طابعا سياسيا، لم تكن الإدارة وأتباعها في غفلة عنه.

وفي الواقع، ففي إطار تطوير الأشكال الاجتماعية-السياسية للصراع، من خلال النسيج الجمعي والرياضة، كان الصراع حقيقة ناجعا من حيث التربية السياسية وتحقيق هياكل للتجنيد، بعمق، بين سنتي

<sup>1</sup> Cercle de la Voile de Philippeville: Rue du 62 de ligne: Président De Sonis.

<sup>2</sup> Cercle de Tennis Philippeville; et Tennis Club Philippevilloise, Stade Municipal, Président Jacquier.

<sup>3</sup> cercle D'escrime Philippeville: Ancienne Mairie: Président de Saint Gervais.

<sup>4</sup> Cercle Boulomane Philippeville: Petit Bois, Président Scuderi Marius.

<sup>5</sup> من بين هذه الجمعيات التي وجدت في أرشيف بلدية سكيكدة المؤرخة لعام 1943 تضم:

- Boule Rusicadienne: Café de la Poste ; Michelet Gabriel, Mèl.
- Boule Espérance Philippevilloise: Ancien Café Fontainebleau; D'Ambla Philippe.
- Boule Amicale Philippevilloise : Petite Vitesse ; Fiol Jean.
- Boule Amicale de Valée; Café du Lion D'Or : Chatellain Jacques.

<sup>6</sup> الجمعيات الرياضية بمدينة سكيكدة عام 1943:

- Association Sportive Catholique philippevilloise ; Rue 61 de ligne ; Bussutil Jean
- Association Sportive Philippevilloise; Rue de la Buanderie: Boudjellal Messaoud
- Jeunesse Athlétique Philippevilloise; 50 Rue Clémenceau, 22 Rue de l'Arsenal: Simon Alexandre.
- <sup>7</sup> - Espérance Sport Ouvrière Philippevilloise ; Artisanat: Grech Eugène-PTT-.
- Espérance Sport Ouvrière Philippevilloise ; Stade Kessler; kessler.
- Jeunesse Ouvrière Chrétienne de Philippeville; Grima Laurent.
- Club Sportif Cheminot Philippeville ; Rue Zéramna: Arrus René

1945-1954، مما يجعل الجمعيات الرياضية والتجمعات الشبانية كالكشفة الإسلامية الجزائرية تساهم في تطوير الوطنية الجزائرية، وتعد مجالا خصبا لتشكيل الاطارات المسلمة<sup>1</sup>.

فمنذ بداية القرن 20م شهدت المدينة تزايد عدد الجمعيات من كل نوع، الخيرية منها، والثقافية، الخاصة بالأهالي، ذات التفرعات العديدة ولها وضعها القانوني، مكاتبها المنتخبة ومقراتها المصرح بها، ومن بين الجماعات التي برزت بالمدينة وحقت نجاحا بهرا، نجد الكشفة الإسلامية التي كانت في بدايتها مقلدة للكشفة الفرنسية، هذه المجموعات الصغيرة التي نشأت بمبادرات محلية اتحدت فيما بعد لتكون شبيبة حضرية في شكل جيش من الشباب المنتظم والمحتشم، المتدرب والمدرّب على الحياة القاسية لكنه تواق إلى مستقبل مشرق. وتهدف هذه المدرسة الوطنية إلى توحيد كل النزاعات وجمعها حول نفس الهدف، أي وطن عصري مطبوع بختم الاسلام، هيئة مجددة ووسيطه، كما يصفها الباحث عمر كارليي Carlier تحسن مزج ثقافة المدينة التقليدية مع حب ممارسة الرياضة<sup>2</sup>.

الجمعيات الأخرى: جمعية قيلوم بودي لسكيكدة<sup>3</sup> برئاسة فيالا التي عينت رئيس بلدية سكيكدة بول كيتولي رئيسا شرفيا، ذلك خلال عقدها لجمعيتها العامة في 5 ديسمبر 1947 في النزل البلدي للمدينة، ويعمل فرع سكيكدة على تحقيق اهدافها في ترقية الثقافة بصفة عامة، وخاصة الثقافة الكلاسيكية التي تعد أداة للتربية المعنوية، مع تشجيعها للتبادل الفكري، وتقوم هذه الجمعية بتنظيم وندوات وخرجات<sup>4</sup>. استخدمت قوات الحلفاء المتمركزة بسكيكدة معظم المنشآت المدرسية والرياضية والثقافية المتواجدة بالدينة خلال فترة الحرب العالمية الثانية 1942-1945، لهذا اضطرت الفرق الرياضية لتوقيف نشاطاتها بعد استغلال وملاعبها ومقراتها من بين النوادي التي اوقفت تدريباتها نادي تنس سكيكدة<sup>5</sup>.

وكانت العديد من الجمعيات المحلية تستفيد من اعانات البلدية السنوية لمساعدتها على تطبيق مشاريعها المقترحة خاصة الجمعيات الموسيقية التي حافظت على دورها الترفيهي خاصة جمعية فيلارمونيك<sup>6</sup> التي تقدم موسيقى عسكرية في الاحتفالات الرسمية، كذلك الامر لجمعيات الموسيقى الطلابية الروسية<sup>7</sup>، هارموني<sup>8</sup>، جمعية أرفونيك<sup>9</sup>، ماندولين التجديدية<sup>10</sup>، وأبناء المدينة<sup>11</sup> والجمعيات المختصة في تربية الحمام

<sup>1</sup> إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص. 360-361.  
<sup>2</sup> غولزبرغر أني راي، جذور حرب الجزائر 1940-1945، المرجع السابق، ص. 74-75.

<sup>3</sup> Association guillaume budé de Philippeville, président viala.

<sup>4</sup> AMS, 08-12-1947, Assemblée générale de l'association guillaume budé de Philippeville.

<sup>5</sup> Tennis club philippevillois, président hamesser.

<sup>6</sup> Société philharmonique fondé le 07/03/1856, président Plazy jean.

<sup>7</sup> Estudiantua Rusicadienne 1893-1896, président Vincent Attard 1947.

<sup>8</sup> Société Musicale l'harmonie philippevilloise, fondé le 7/6/ 1929.

<sup>9</sup> Société orpheonique 2 aout 1865

<sup>10</sup> Les Mandolines Renaissance philippeville, fondé le 03/12/1895.président Falzon geoges.

<sup>11</sup> La Société Musicale des enfants de philippeville, 15/12/1896, président Teissier Albert.

الزاجل<sup>1</sup>، البستنة<sup>2</sup>، الجوقة الموزعة<sup>3</sup>، الرماية<sup>4</sup>، جمعية خيرية<sup>5</sup> وغيرها من الجمعيات المحلية<sup>6</sup> مثل الجمعيات المهتمة بالصيد البري، حيث تضم سكيكدة عدد منها<sup>7</sup>.

جمعية التوجيه الخيرية الفرنكو مسلمة<sup>8</sup>: جاء في قانونها الداخلي بأنها جمعية مكلفة بتقديم المساعدة المعنية والمادية للفتاة المسلمة تسمح لهن بكسب مصدر حياتهن بكل شرف في مختلف الأعمال المتناسبة مع إمكانياتهن، إلى جانب مساعدة آبائهن وتكوين لوازم العروس، وللوصول إلى هذه النتيجة تقدم مساعدات اقتراض، والمواد الأولية ثم توضع في متناول الفتيات حسب ما يتوفر عليه مقر الجمعية.

ويتم تلقينهن الأعمال النسوية الضرورية المختلفة في البيت: الفنون الترفيهية المربحة، الطرز التقليدي، والتحزيم العربي<sup>9</sup>، وتقوم اللجنة بالوساطة بين الجمهور والفتيات، وتستقبل الطالبات وتتكفل بعرض وبيع الأعمال المنتجة في مقرها أو في البيت، وتستخلص من هذه المنتوجات الموجهة للمبيعات أسعار المواد الأولية المشتريّة التي تدمج في السعر المعتاد، وتحدد نسبة حقهن من طرف لجنة المدرسة، وتعود هذه النسبة إلى المهتمين التي تشكل احتياط مدخول.

وتتشكل مصادر مقر الجمعية من الهبات والاشتراكات والاعتمادات واحتياطي المدخول وجلب الأشخاص المتخصصين الذين هم في حاجة إليهم في بعض الحرف، وشراء المكافآت بشكل تشجيعي في المناسبات والحفلات. وتدعو اللجنة جميع الأشخاص ذوي النوايا الحسنة، والإرادة الذين يرغبون بالتكفل بمختلف التعليم اليدوي، ولقبول الفتيات يجب عليهن إعادة التلقيح، وأن يكن غير مصابات بالأمراض المعدية، أما اللواتي تزاولن المدرسة، فتتابعن دراستهن بعد ساعات الأقسام.

وتضم هذه الجمعية مجلسا إداريا ولجنة تقنية نسوية تسير من طرف ثلاثة أعضاء من المجلس الإداري والمسؤولين أمامها، من أجل السير الحسن لمقر الجمعية.

<sup>1</sup> Société de colombuphile.

<sup>2</sup> Société d'horticulture\*9

<sup>3</sup> Société la chorale.

<sup>4</sup> Société de tir.

<sup>5</sup> Société philanthropique

<sup>6</sup> Pinelli Sauveur, président du comité du monument passerieu octave.mairie philippeville.

Arrus René, président club sportif cheminot philippeville, rue zéramna.

Es Saada pratique de la jeunesse par les méthodes du scoutisme, rue ravin, président benkaza azziz.

Les Amis de l'école d'indigènes de philippeville, président docteur kessous youcef.

Association sportive philippeilloise, président Boudjellal messaoud, rue de la buanderie.

Scouts de France de philippeville, président nielli charles.

Scouts musulmans EN Naceur de philippeville, président Karbati Hafnaoui, rue henri teissier.

Ligues populaires des perres et mères de familles nombreuse de France, docteur Fabre, rue d'austerlitz.

Société Cherifa Skikda de musique arabe et de chant, président Abid m, Duclos Marcel, Il était une fois philippeville.

<sup>7</sup> Société de chasse l'allai de philippeville, Azéas gustave président.

Société de chasse La neurad de philippeville, cordina jean président.

Société de chasse Saint Hubert de philippeville (rue galbois), Monzeglia georges président.

Société de chasse Eros de philippeville(rue clemenceau), Borg président.

<sup>8</sup> جمعية التوجيه الخيرية الفرنكو مسلمة l'Aiguille Musulmane أو المؤشر أو الإبرة مترجم، التي تأسست عام 1932 لغاية عام 1945.

<sup>9</sup> تحزيم عربي Sentelle Arabe

وينتخب أعضاء المجلس الإداري من طرف الجمعية العامة لمدة ثلاث سنوات، ويتشكل من طرف رئيسة (وهي إجباريا مديرة لمقر الجمعية) ونائبين للرئيس، وأمين المال، وأمينة المال المساعدة، و12 مساعدا، وتقوم اللجنة بتسيير مقر الجمعية<sup>1</sup>. وتعد جمعيتها العامة سنويا لتقديم الحسابات، كما يمنع على مجلس الإدارة واللجنة التقنية الإنشغال بكل مسألة سياسية أو دينية، ويجتمع مجلس الإدارة على الأقل كل ستة أشهر، وكل عضولم يساهم في اشتراكه يعتبر مستقيلا، ويتم إقصاء أي عضو في اللجنة التقنية أو مجلس الإدارة، عندما يشكل عمله ضررا معنويا أو ماديا بالجمعية، وهذا الإقصاء يجب أن يتقرر من طرف مجلس الإدارة في تكامل أغلبية أصواته. وفي حالة حل هذه الجمعية يتم تحويل صندوق المال لمكتب المحسنين للمجلس، إذا تقرر من طرف أغلبية أعضائه في اجتماع الجمعية العامة بحضور 2/3 أعضائه<sup>2</sup>، كما تأسست جمعية مهتمة بالتعليم في هذه المدرسة<sup>3</sup>.

جمعية المؤاخاة السكيكدية<sup>4</sup>: بدأ السكان الجزائريون يتحررون من القيود المفروضة عليهم من طرف الاستعمار الفرنسي، وظهرت الجمعيات الأهلية الجزائرية بمدينة سكيكدة على غرار باقي المدن في الجزائر التي عانت من الجهل والفقر والحرمان، نتيجة لصدور قانون الجمعيات عام 1901 بفرنسا<sup>5</sup>، الذي أصبح ساري المفعول في المستعمرات الفرنسية، سار الشبان الجزائريون في الطريق الذي سلكته المجموعة الأوروبية لملاً الفراغ الذي كانت تعيشه المجموعة الأهلية الجزائرية<sup>6</sup>، وهي فرصة سانحة لها لتغيير هذا الواقع التعيس ومحاولة رفع المعاناة عنهم والدفاع عن حقوق الأهالي المهضومة في العمل والدراسة والصحة والخدمات، هذا إلى جانب نشر الخير والتوعية والتعليم في أوساط الأهالي والتخفيف من أوضاعهم الأليمة<sup>7</sup>.

وحاولت هذه الجمعيات تطوير المجتمع الجزائري من مجتمع تقليدي قديم إلى مجتمع متطور حديث في كافة المجالات، بحيث نشطت بعض الجمعيات بمبادرة من فرنسيين متعاطفين مع القضايا الجزائرية أو بدافع من الإدارة الأهلية لتحقيق عدة أغراض تتماشى مع سياسة العناية بالجزائر الأهلية التي جاء بها شارل جونار<sup>8</sup>، وسانده في ذلك لوسيان<sup>1</sup>. ووقاوم الأهالي القوانين الجائرة التي يعيشونها ولسد الفراغ في تمثيلهم السياسي بتشكيل هذه الجمعيات بموجب مواد قانونية يسمح بها التشريع الفرنسي<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> يسدد الأعضاء الناشطون اشتراكا يقدر 2500 فرنك سنويا، بينما الأعضاء المؤسسون يسددون اشتراكا سنويا يقدر 100.000 فرنك سنويا في السنة الأولى و2500 بعدها، وكل شخص يساهم 500000 فرنك يصبح عضوا محسنا وعضو شرفي 1000.00 فرنك.

<sup>2</sup> A.M.S, *l'Aiguille Musulmane de Philippeville, Statut*.

<sup>3</sup> *Ecole des Tapis Artisanat de Philippeville; Allard ; Instituteur*.

<sup>4</sup> جمعية المؤاخاة السكيكدية

<sup>5</sup> قانون الجمعيات الفرنسي الصادر 1901/07/01.

<sup>6</sup> *جريدة النجاح*، العدد 1288، بتاريخ: 01 أبريل 1932.

<sup>7</sup> الخطيب أحمد، *جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الاصلاحى فى الجزائر*، ENL، الجزائر، 1985، ص.87.

<sup>8</sup> سلسنتين أوغيست شارل جونار Célestin Auguste Charles JONNART شخصية سياسية فرنسية تولى مسؤولية حاكم عام الجزائر في عدة مناسبات (1900-1901)، (1903 - 1911)، (1918 - 1919).

كوّن الشبان الجزائريين بسكيكدة (جمعية المؤاخة السكيكدية) وهي جمعية خيرية برئاسة بلقاسم عبادة، ويتمثل برنامج هذه الجمعية وأهدافها في (إعانة الأهالي الذين هم في حاجة إلى دعم مادي ومعنوي)، حيث تأسست هذه الجمعية يوم السبت 31 ماي 1932، وأما بقية أعضائها فهم: حسين قرمين نائب أول، الصادق كسوس<sup>3</sup> نائب ثاني، عبد الله بولكروة أمين المال.. الخ.

وفي عام 1933 عقدت الجمعية اجتماعها الأول في قصر شيخ المدينة أي النزل البلدي، وأسندت فيه الرئاسة إلى بن سليمان محمد مع تغيير الأعضاء، وهم السادة: بن كافة رجم، عبد المالك جبار محمد<sup>4</sup>.

---

<sup>1</sup> يعتبر جان دومينيك لوسباني Luciani 1851-1932، رجلا إداريا مسير للشؤون الأهلية لمدة أكثر من 20 سنة، وعمل على تقريب الأهالي من الفرنسيين، وذلك من خلال تطوير ما يعرف بجمعيات الاحتياط الأهلية التي تفرض على الجزائريين كالفلاحين الدخول في جمعيات تعاونية تقدم لهم المساعدات عند الحاجة.

<sup>2</sup> يحي بوعزيز، سياسة التسلط الإستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، OPU، الجزائر، ص 31.

<sup>3</sup> كسوس صادق عامل بمحطة السكك الحديدية بسكيكدة.

<sup>4</sup> جريدة النجاح، العدد: 1410 بتاريخ: 27 جانفي 1933.

## المبحث الثاني: الحياة التعليمية والثقافية:

تبنت السلطة الفرنسية كل وسائل القوة اللازمة من القمع إلى الإرغام في علاقاتها مع الجزائريين مروراً بتطبيق نظام اللامساواة والتهميش كأساس للنظام الذي أقامه الاستعمار الذي تمكن من توطيد سيطرته بحصوله على امتيازات عديدة على حساب المستعمر، وفي هذا السياق لم يكن الاستعمار يقبل فكرة المساواة الحقيقية بين الفرنسيين والجزائريين.

يمكن التعرف على الظروف التي ساهمت في تطور التعليم في مدينة سكيكدة من خلال تتبع التحولات التي انتهجها المستعمرين الراغبين في تجنب إمكانية منافسة الأهالي الجزائريين مستقبلاً نظرائهم الفرنسيين في الحياة العامة، على الرغم من أن بعض الفئات من الأهالي سمحت لهم معطيات هامش النظام الاستعماري من إدخال أبنائهم إلى المدارس لتلقي التعليم والحصول على الشهادات التي تؤمن لهم المهن الحرة مما سمح لهم بتحقيق وضع معيشي أفضل وتشكيل نخب سياسية تؤمن بالاندماج.

وفي الواقع كانت السلطات الاستعمارية تهدف إلى تقديم بعض التنازلات لاعتبارات ظرفية وسرعان ما تتراجع عنها، ووصلت في تطبيق سياستها في هذا الميدان كغيرها من الميادين الأخرى دون تغيير جوهري، بحيث أن السلطة المركزية والمعمرين يؤمنون بإمكانية ترقيق الأهالي، وأن الإجراءات المطبقة لتجريد السكان من ثقافتهم هي وسيلة من ضمن مجموعة الوسائل التي استعملت للتعجيل بمسار التدمير لكي يتمكن الاستعمار الاستيطاني بعد ذلك من الاستقرار دون خوف.

وحاولت الجمهورية الثالثة تحقيق الغزو المعنوي للشعب الجزائري عن طريق سياسة تعليمية عقيمة مثلها مثل المحاولات السابقة التي أهملت المدارس العربية.

وكان الرأي العام الأوربي في الجزائر يعارض ما كان يرغب في تنفيذه جول فيري عام 1883 بتطبيق التشريع المدرسي الفرنسي في الجزائر من خلال إنشاء شبكة تتكون من 15 مدرسة تابعة للوزارة المعنية يتم الإنفاق عليها من ميزانية الدولة من باريس. ورفضت البلديات الفرنسية في عمومها تقديم الدعم لمشروع التعليم المجاني الخطير في نظرها، وبالتالي فإن الرأي العام يعارض إنشاء مدارس لهذا (الجمع من الفقراء الجزائريين). كان هذا الموضوع جوهر المعارضة المستمرة بين التيارين الأساسيين للإيديولوجية الاستعمارية (التيار الذي كان يشجع تكوين نخبة محدودة من الأهالي باللغة الفرنسية والتيار الآخر الذي كان يعتبر تعليم الأهالي خطراً على وجود المعمرين).

إن التقدم الملحوظ في تعليم الأهالي في العشرية الأولى من القرن 20م إلى غاية الذكرى المئوية وما بعدها يمثل من منظور جدلية التطور قدرة المستعمر على التكيف مع نمو المجتمع الإستيطاني<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> مهساس أحمد، الحركة الوطنية الثورية، المصدر نفسه، ص. 400-401.



تميزت مرحلة 1838-1870 بعدم وجود سياسة مرسومة لنشر التعليم حيث خصصت المدارس القليلة المتمركزة في المدن لتعليم أبناء الأوروبين، حيث قدر عدد التلاميذ الجزائريون 636 تلميذا في عام 1850<sup>1</sup> على مستوى المستعمرة كليا.

عملت الإدارة الاستعمارية منذ اصدارها أول قانون حول التعليم الإلزامي في الجزائر سنة 1882 على خلق تعليم للجزائريين تابع لها، أما موقف المعمرون هو منع تطبيق سياسة تعليمية مخصصة للأهالي بشتى الوسائل الدعائية، وقاوموه عن طريق ممثليهم في المجالس المختلفة، لهذا وجد هذا التعليم معارضة شديدة من طرفهم حيث صرح أحد المعمرين عن تخوفه من المسلم المتعلم بقوله (إن المسلمين إذا تعلموا طالبونا بحقوقهم وجابهونا بمناقشاتهم، وغدوا أقل طواعية وطاعة لنا مما هم عليه الآن..). وفي الوقت الذي تردد فيه الساسة الفرنسيون الرسميون من تعليم الأهالي تحت ضغوط المعمرين وتراجع الجزائريين عنه بعد تخوفهم من التعليم الفرنسي لجأ المسلمون الجزائريون إلى الزوايا والتعليم المسجدي وغيرها من المراكز<sup>2</sup>.

أصبحت المدينة مركزا للأنشطة الثقافية تمتزج فيها المحافظة الشديدة بالعصرنة الأوروبية، وداخل هذه البوتقة التي يغمرها الشعور بعدم الرضى والإعانة والعوز والضيق، ونتيجة ذلك نشأ شباب مستعد للتضحية للخروج من دائرة الاستعمار<sup>3</sup>.

وبقدر ما كانت الجالية الأوروبية تستفيد من بناء المدارس ونشر المعرفة، وكان الجزائريون يعانون من سياسة التجهيل التي فرضها الإستعمار عليهم، وبقي البعض من الأطفال الجزائريين يتلقى تعليمه بالزوايا والكتاتيب<sup>4</sup>، فالجزائري يتم معاملته على أساس أنه رعية محتلة فهو لم يكن لا جزائريا ولا فرنسيا بل أعتبر بأنه ينتمي إلى جنس غير قابل للتصحيح والتثقيف، ولهذا السبب أهمل الفرنسيون تعليم الجزائريين<sup>5</sup>، وبذلت السلطات الإستعمارية كل ما في وسعها لمحاربة اللغة العربية<sup>6</sup>.

وكان المستوطنون الأوروبيون لا يريدون أن يتعلم الشباب الجزائري على إعتبار أنها وسيلة للوعي بالنسبة لهم الأمر الذي يجعلهم يطالبون بحقوقهم السياسية وبالإدماج وبالمساواة معهم، ولهذا حاصروا التعليم الأهلي وأغلقوا الباب في وجوه أبناء الجزائريين، وفي المقابل أقاموا مدارس لأبنائهم على حسب ثقلهم السكاني والإعانات المالية المخصصة لهم من الحكومة العامة<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، رائد الإصلاح الاسلامي والتربية في الجزائر، ط5، 2001، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر، ص.356.

<sup>2</sup> عيساوي أحمد، مزارات من شهاب البصائر للشيخ العربي التبسي 1891-1957، مطبعة الوليد، الجزائر، 2006، ص.348.

أنظر: ناصر محمد، المقالة الصحفية الجزائرية 1903-1931، ج2، ص.8.

<sup>3</sup> غولديغر أني راي، جنود حرب الجزائر 1940-1945، المرجع السابق، ص.78.

<sup>4</sup> الزبير محمد العربي، تاريخ الجزائر المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، المرجع السابق، ص.23-24.

<sup>5</sup> سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2، ط4، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1992، ص.63.

<sup>6</sup> الزبير محمد العربي، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص.30.

<sup>7</sup> بوحوش عمار، المرجع السابق، ص.179.

وكانت عمالة قسنطينة تضم 171 مؤسسة للتعليم الإبتدائي منها 137 عمومية و34 حرة في عام 1873، وتستقبل خلالها 13349 طفلا منهم 6735 إناثا و10894 أوروبيا و1750 إسرائيليا و705 مسلما من بينهم 131 إناثا<sup>1</sup>. وفي نهاية عام 1882 بلغ عدد الأطفال المسلمين المتمدرسين في مقاطعة قسنطينة 1463 طفلا، وبعد ثلاث سنوات أصبح العدد يقدر 2064 طفلا<sup>2</sup>.

بدأت تتشكل سياسة تعليم فرنسية منذ العهد الإمبراطوري 1852-1870 تهدف إلى القضاء على الثقافة الوطنية ونشر التعليم بين أوساط محدودة من السكان لجعلها ميدان تجربتها الإستعمارية، لكن منذ عام 1883 برز نظام تعليمي مقنن موجه للجزائريين، أصدره وزير التعليم الفرنسي جول فيري.

فرافق وجود التنظيمات الإدارية الفرنسية تطبيق سياسة تعليمية لمصلحة فرنسيي الجزائر، لهذا حظيت الفئة الأوروبية بوضعية متميزة، حيث استفادت من كل الامتيازات الممنوحة لها لتعليم أبنائهم في المدارس الابتدائية والثانوية العمومية وذلك وفق منطلقات إيدولوجية استعمارية، وبواسطة المناهج الفرنسية الممجدة للتاريخ الفرنسي، وحرّم معظم الأطفال الجزائريين من حقهم في التعليم بالمدارس الفرنسية التي تشرف عليها الدولة الفرنسية عن طريق وزارة التربية وتنفق عليها البلدية ميزانيات سنوية مخصصة للأجور وترميم المؤسسات التربوية، خاصة بعدما تضررت معظمها نتيجة استغلالها أثناء الحرب العالمية الثانية من طرف قوات الحلفاء المتمركزة بسكيكدة سنتي 1943-1945، ولذا فإن مجموع التلاميذ الجزائريين المقبلين على الدراسة ظل عددهم ضئيل لغاية سنة 1954<sup>3</sup>.

كانت المدن الجزائرية يومئذ ترزح تحت رقابة الإحتلال الصارمة باعتبارها مراكز عمرانية استقر بها المستوطنون الأوروبيون، فأصبح المسلمون لا يملكون لا القوة ولا الوسيلة لتنظيم كفاحهم بسبب مصادرة ممتلكاتهم وتفكيك بنياتهم الإجتماعية مما جعلها عرضة للقمع والفقر والحرمان والهجرة<sup>4</sup>.

وبقيت الفئة الأوروبية محافظة على وضع تعليمي متميز داخل محيط المدينة لأنها استفادت من إنجاز مؤسسات تعليمية موزعة ضمن المحيط العمراني الذين ينتشرون به، ومكنت السلطات الفرنسية أبناء الجالية الأوروبية من التمدد في جميع الأطوار التعليمية وحتى التعليم العالي والتقني.

وصرح الحاكم العام الدوق دومال بأن(بناء مدرسة في الجزائر أحسن وأفضل من فيلق عسكري)، وبهذا استعملت الإدارة الفرنسية المدرسة والدين كوسيلة لتنفيذ سياستها الإستعمارية في القضاء على الثقافة الوطنية والمقومات الحضارية للشعب الجزائري<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> Abdelrahim Sekfali, *Les Maîtres Des Ecoles Primaires de L'Enseignement Public Dans Le Département de Constantine 1890-1939*, Thèse de doctorat d'état, La direction de Jean Luis Miege, U.de Provence, 1993, p.19.

<sup>2</sup> Sekfali Abdelrahim, Op- Cit, P.22.

<sup>3</sup> A.M.S, *Ecole Philippeville*.

<sup>4</sup> مهساس أحمد، *الحركة الوطنية الثورية في الجزائر*، المصدر السابق، ص.33.

<sup>5</sup> Mazouni Abdallah, *Culture et Enseignement en Algérie*:Edition Maspero, Paris, 1969, p.176.

نجح النظام الاستعماري في تكوين جزائريين يشبهون الفرنسيين في الظاهر في اللباس والعادات والآراء وفي المرجعية الثقافية والسياسية وهؤلاء المثقفون يشتغلون كمعلمين أو ينتمون إلى هيئة المهن الحرة والأطباء. ومع ظهور أشكال اجتماعية جديدة مكان العشيرة القديمة التي تلاشت تدريجياً، برزت طبقة الأجراء وفئة زعماء القرية الذين يعلقون أهمية بالغة على تعليم أبنائهم وجعلهم نخبة ريفية جديدة متمسكة بالتقاليد الإسلامية لكنها مستعدة لاستعمال العصرية الاستعمارية<sup>1</sup>.

وطرحوا تساؤلات عن جدوى تعليم الجزائريين وفائدة الإستعمار الفرنسي منه، كيف يتم تعليمهم بالفرنسية أم بالعربية أم معاً، وهل يتم تعليم الكل أم البعض مع فئة المعمرين الأوروبيين، وبقيت هذه التساؤلات تخالغ أذهان المعمرين في الجزائر والمسؤولين بفرنسا، وبعد مرحلة للفتور ظهرت نزعة لتوسيع التعليم لفائدة الجزائريين منذ صدور المرسوم المؤرخ 13 فيفري 1883 المتعلق بإجبارية التعليم الفرنسي في وقت ما تزال الجالية الفرنسية تتحكم في جميع الوسائل الموضوعية بين أيديها مما أعاق تعليم الصغار الجزائريين<sup>2</sup>.

وظلت نسبة تدرس التلاميذ الجزائريين ضئيلة حيث لم يكن عددهم في مراحل التعليم يتجاوز 3172 طفلاً مسلماً عام 1882، وقدرت نسبة المتمدرسين من أبناء الجزائريين المسلمين بـ 4.26% عام 1902<sup>3</sup>، وبقيت الإنجازات التعليمية لا تلبي طموحاتهم في التعليم العمومي والمجاني رغم قيام السلطات الفرنسية بإنشاء 40 مدرسة عام 1870، و 24 مدرسة عام 1873، و 21 عام 1875، و 16 عام 1880<sup>4</sup>، ضمن إطار مخطط للتدرج في تحقيقه، ويتم توزيع الإعانات حسب رغباتهم وأهوائهم مكن بعض الجزائريين من الالتحاق بمقاعد الدراسة مثلما يوضحه جدول تدرس الجزائريين في المدارس الفرنسية<sup>5</sup>.

السنة	1832	1887	1907	1923	1957
العدد	194	31172	32517	15640	117750

وكان التعليم الفرنسي يطبق حسب منطلقات إيديولوجية إستعمارية تعمل على تحطيم المدارس العربية الإسلامية وملحقاتها، وتمكين اللغة الفرنسية من إحتلال مكانة مهيمنة في التعليم بالجزائر وبالتالي كان التعليم في غالبته مخصصاً للأوروبيين<sup>6</sup>. فالتعليم الاستعماري الفرنسي في الجزائر-حسب نظر منظريه-أن يؤدي دوراً هاماً في التأثير الفكري والروحي على الأهالي، إذ كان عليه-من ناحية-أن يمنح الشرعية للغزو العسكري ويضمن-من ناحية أخرى-استمرار النتائج السياسية لهذا الغزو، المتمثلة

<sup>1</sup> غولديغر أني راي، جذور حرب الجزائر 1940-1945، المرجع السابق، ص. 100-327.

<sup>2</sup> لهذا تشكلت لجنة من مجلس الشيوخ الفرنسي برئاسة جول فيري 1832-1893 المعروف بأفكاره التوسعية، ويعد مؤسس المدرسة العلمانية الفرنسية، كلفت هذه اللجنة عام 1891 بدراسة القضايا التعليمية، ليصل عدد التلاميذ الجزائريين في التعليم الابتدائي عام 1896 إلى 19885 طفلاً.

<sup>3</sup> بوحوش عمار، المرجع السابق، ص. 180.

<sup>4</sup> In L'Encyclopédie coloniale Et Maritime, Paris, 1946.

<sup>5</sup> Remaoun Hassan (Sous sa coordination), ouvrages collectif, l'algerie histoire et culture, casbah Ed, 2000, p.145.

<sup>6</sup> هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص. 101.

في فرض السلطة على المجتمع الجزائري. وكما قال أومال فإن افتتاح مدرسة وسط الأهالي هو أكثر جدوى في تهدئة البلاد من فيلق كامل من الجيش<sup>1</sup>. وتذكر المصادر الاستعمارية أنه منذ سنة 1880، وعندما تمكنت فرنسا من فرض الأمن على مجموع التراب الجزائري شرعت في التأثير الروحي والفكري على رعاياها الجدد، وبدأت بتأسيس المؤسسات التعليمية الابتدائية والثانوية. وبدأت تظهر بالجزائر نوع من البرجوازية الفكرية التي تتغذى من ثقافة أوروبية لا تستوعبها تماماً في غالب الأحيان، كما أنها كانت متعطشة إلى معاني الليبرالية وملتزمة إلى لعب دور في الحياة الاجتماعية، والظهور أمام مجتمعا الأصلي كرائدة لعهد جديد من الحرية والتقدم<sup>2</sup>. فكانت المدرسة الجمهورية التي أسسها جول فيري تنتشر بين الشباب الجزائريين القيم الوطنية والمدنية الفرنسية التي سوف يؤدي تمثّلها-حسب الأيديولوجية الاستعمارية الجمهورية- إلى الوصول بالإنسان الأهلي لأن يكون عارفاً بالقراءة والكتابة، لكي يصير مواطنًا يدافع عن حقوقه ومصالحه، وليس مجرد رعية للسلطة الحاكمة، وخاضعا للأقوياء<sup>3</sup>.

وجهت المنجزات التي شيدتها فرنسا في الجزائر لخدمة مصالح الأوروبيين، ففي مجال التعليم الابتدائي مثلاً، نجد أن الأطفال الفرنسيين الذين هم في سن الدراسة كلهم يقبلون على المدارس التي تطبق البرامج السارية المفعول في (الوطن الأم) وبواسطة معلمين أكفاء تعطي لهم كافة الوسائل الضرورية لأداء رسالتهم على أحسن وجه، أما الأطفال الجزائريون، عندما يبلغون سن الدراسة لا يجدون سوى مقعداً واحداً لكل خمسة ذكور، ومقعداً آخر لعدد يتراوح ما بين 16 و 27 فتاة<sup>4</sup>.

أما بالنسبة للأطفال المحظوظين يواجهون مصيراً آخر يلاحقهم باستمرار، يبرز التصرفات العنصرية في المدارس الفرنسية، ففي السنة التحضيرية الأولى نجد قسمين متوازنين، قسم للبنات الفرنسيات وقسم للبنات العربيات. ويجد البنات الأهليات أنفسهن جالسات في الصفوف الأخيرة، وهو واقع ملموس يدل على التفرقة لغاية آخر سنة من المتوسطة، وبقيت التفرقة بين الجنسين ظاهرة، والهوة بينهم عميقة<sup>5</sup>.

طبق الاستعمار الفرنسي سياسة الحرمان من التعليم على نطاق واسع وفرض على الجزائريين التخلي عن ثقافتهم ومنعهم في نفس الوقت من الإرتقاء إلى المساواة مع الأوروبيين، ونتج عن هذه السياسة آثار سلبية للغاية على التطور التاريخي للجزائر فهي السبب الرئيسي للتخلف والتناقضات والاختلالات، وساهمت هذه السياسة في استغلال الموارد الاقتصادية وتسخير تبعية النخبة المثقفة وذلك هو النصيب الذي نالته شعوب البلدان المستعمرة بصفة عامة والشعب الجزائري على الخصوص<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> Pervillé G, Les étudiants algériens de l'université française, Casbah Ed-Alger, 1997, p.16.

<sup>2</sup> Rapport de Mr. Leheureux 1923, 27H23, AOM, Aix-En-Provence

<sup>3</sup> Pervillé G, Op.Cit, p23.

<sup>4</sup> الزبير محمد العربي، تاريخ الجزائر المعاصر، منشورات إتحاد الكتاب العرب، المرجع السابق، ص.28

<sup>5</sup> سعدي فاطمة، البراءة المسلوبة، مجرزة 20 أوت 1955، المصدر السابق، ص.58-61.

<sup>6</sup> Ibid, Mazouni Abdallah; Culture Et Enseignement En Algerie, p.76.

كان الاستعمار الفرنسي في حيرة من أمره بين مؤيد لتعليم جزئي للجزائريين، وبين معارض لهذا التوجه الخطير على مصالح المعمرين في الجزائر.

إن مسار التعليم في المدارس العمومية، أفاد عددا قليلا من النخبة الجزائرية، بينما الأغلبية عانت من إقصائها من حقها في التعليم، في وقت تعرض التعليم التقليدي للتدهور، ولهذا كانت نسبة تدرس أبناء الجزائريين في التعليم الإعدادي ضعيفة، تمثل 10 % قبل الحرب العالمية الثانية، وفي حدود 15% سنوات الخمسينات من القرن 20م ثم وصلت إلى 30 % عام 1961<sup>1</sup>.

كان هدف الإدارة الفرنسية يتمثل في تشكيل الشباب المسلم (وهم أقلية في المدينة) في قالب فرنسي كنموذج لنمط الحضارة المستقبلية، ولهذا الغرض تم انشاء مدارس عربية- فرنسية خصصت لتحقيق التقارب بين شتى الذهنيات<sup>2</sup>، لكنها فشلت في مهامها بسبب عدم تحقيق الإلتقاء بين الذهنيتين، على رغم من أن السياسة التعليمية شغلها الأساسي يتمثل في السيطرة على العقول الناشئة.

لقد حرم التعليم الجزائري من الموارد الحيوية مما انعكس على وضع هيئة التدريس التي بقيت تعاني من الفقر المدقع، واضطر بعض المدرسين إلى الهجرة هربا من مضايقات رجال الدين المسيحيين.

لقد تم انجاز المدارس وترميم البعض، ويتم التعليم فيها باللغتين العربية والفرنسية، بعدما ظهرت هناك رغبة من طرف المسؤولين في كيفية إنشاء تعليم يتجاوب مع متطلبات استتباب الأمن، ولهذا نصبت لجان تهدف لدراسة التعليم الخاص بالمسلمين، في وقت كانت سياسة التجهيل هي محرك النظام الاستعماري في الجزائر، حيث بقي التعليم محدودا يعكس في ذلك ذهنية المستعمر؛ ومع هذا عارض المعمرون تعليم الأهالي معارضة مستميتة.

فبعد الاحتفال بمرور قرن على الاحتلال الفرنسي للجزائر تبين لدى الجميع أن تربية النشء تحتاج إلى عناية مستمرة، وأن العلم هو السلاح الأقوى في مكافحة الإستعمار. وفي هذا الصدد قرر علماء جزائريون ونخبة من المثقفين خريجي جامعات ومعاهد في البلدان الشقيقة أن ينشئوا مدارس في الجزائر وينظموا تعليما عربيا حرا فيها لسد الفراغ وتكوين الأجيال الصاعدة وإذكاء الوعي بكل ما يهم المستقبل.

كانت الترقية الاجتماعية عن طريق المدرسة بسكيكدة ضعيفة، ولم تكن في متناول الطبقات الكادحة والفقيرة إذ لم تعرف مدينة سكيكدة أية مدرسة أهلية قبل الحرب العالمية الأولى، بينما كانت قبيلة بني بني بمنطقة القبائل عام 1914 تملك العديد من المدارس، وهذا ما نتج عنه تأخر ظهور النخبة بمدينة سكيكدة مقارنة بمدن تلمسان وقسنطينة والجزائر العاصمة<sup>3</sup>. ويسجل بأن كلا من عنابة وسكيكدة تحتويان

<sup>1</sup> Ibid.

<sup>2</sup> زرهوني الطاهر، التعليم في الجزائر، مجلة الثقافة، العدد 95، السنة 16، سبتمبر- أكتوبر 1986، ص.263.

<sup>3</sup> حربي محمد، مجلة انسانيات، العدد 16، عام 2002، ص.12.

على هياكل مدرسية ضعيفة جدا مقارنة بباقي المدن والحالة لم تتغير بعد ثلاثين سنة من بعد، وهذا ما عبر عنه شريف بن حبيلس بمرارة في كتابه متطرقا للتعليم بالمدينة عام 1914.

وبقيت سكيكدة تنتظر فتح أول مدرسة أهلية لغاية عام 1925 أنطلقت الدراسة بمدرسة الأهالي بحي الأوراس بأعالي المدينة تحت إدارة أول مدير الإشتراكي دومينيك سيانفراني<sup>1</sup>، وفي عام 1887 كان العدد يقدر 2897 أهليا، منهم 334 إناثا يزاولون دراستهم في مدارس مقاطعة قسنطينة<sup>2</sup>. فمدرسة البنات بضاحية الأمل الواقعة بحي شعبي الذي ينمو بشكل مطرد، شكلت بالمدينة ثقلا، ولا تلبى هذه المؤسسة التربوية متطلبات التمدد العقلاني، حيث تضم 11 قسم مستغلة، منها 9 ابتدائي ومدرستين تحضريتين وتجمع بها أكثر من 410 تلميذة<sup>3</sup>.

وساهمت هذه السياسة في استغلال الموارد الاقتصادية وتسخير تبعية النخبة المثقفة<sup>4</sup>، وفي هذا الصدد يقول أحد الباحثين بأن النخبة الجديدة المتكونة في المدارس الفرنسية الإسلامية التي تم إنشاؤها منذ عام 1850، منحتم مدخلا إلى الثقافة الأوروبية الأمر الذي ساعد على تشكل جماعة من الجزائريين في المدن من بينهم: المترجمون، الصحفيون، المعلمون، في ظروف صعبة يرجع ذلك إلى وجود سببين: الأول اعتبار الجزائريين التعليم المقدم لهم بالفرنسية لم تكن اللغة الأساسية للثقافة بالنسبة إليهم، والثاني اختلاف البيئة الاجتماعية للجزائريين مقارنة بالفرنسيين، فبينما كان المتعلم الفرنسي يستعمل لغته وسيلة ثقافة، كان المتعلم الجزائري يستعملها كلغة للخبز في معظم الأحيان زيادة على ذلك يوجد في فرنسا تعاون وتنسيق بين المدارس والعائلات، فإن الوضع في الجزائر مغاير، إذ يحدث انفصال تام بين ما يتعلمه الطفل الأهلي في المدرسة الفرنسية وما يكتسبه من البيئة العائلية مما يؤدي إلى فقدان التعاون بين المؤسستين (المدرسة والعائلة) بالنسبة إلى الجزائريين<sup>5</sup>.

وقامت الجمهورية الفرنسية الثالثة ببعض المبادرات مثل إنشاء مؤسسات تعليمية للأهالي 1892، حيث يتأسف جوليان في كتابه إفريقيا الشمالية<sup>6</sup> هذه المبادرات ويعزي دائما إلى تلك المعارضة المستميتة والدائمة للمعمرين الذين يصفهم (المحافظون بيولوجيا)<sup>7</sup>. ولم يكن تبني جوناك للمشاريع الثقافية بقصد الرفع من مستوى الجزائريين بقدر ما هو محاولة لتثبيت السيطرة الإستعمارية على الجزائر، فهو القائل (المدرسة الفرنسية الإبتدائية التي تعتبر في فرنسا أساس الجمهورية هي أساس سيطرتنا في الجزائر)<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> Benhabyles Cherif, L'Algérie française vue par un Indigène, alger, imprimerie orientale, 1914.

<sup>2</sup> Sekfali Abdelrahim, Op-Cit, P.31.

<sup>3</sup> AMS, del n 188, 1954, l'école de filles du faubourgs de l'espérance.

<sup>4</sup> مهساس أحمد، الحركة الوطنية الثورية، المصدر السابق، ص.395-396.

<sup>5</sup> أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط4، 1992، بيروت، ص. 66.

<sup>6</sup> جوليان شارل أندري مؤرخ فرنسي 2 سبتمبر 1891-19 جويلية 1991 له العديد من المؤلفات منها كتابه l'Afrique du nord.

<sup>7</sup> وفي الوقت الذي كان فيه الجزائريون يحاربون بالسلاح، اعترف شارل جوليان بخطئه حينما أقر بتطور الأمور وطابع اللارجعة نفسها ينظر:

ساحلي محمد شريف، تخليص التاريخ من الاستعمار، دار القصة، منشورات وزارة المجاهدين، ص 76.

<sup>8</sup> Fanny Colonna, Les Instituteurs Algériens, 1883-1939, Alger, OPU, 1975, P : 107.

أهمل الفرنسيون تعليم اللغة العربية للجزائريين التي أصبحت عقبة في نظرهم بل اعتبر معلموها أعداء، واقتصر استعمالها لأغراض إدارية استعمارية فقط ولتحضير بعض الإداريين والمترجمين لإدارة الجزائريين، قصد التعجيل بالاندماج ويتم ذلك عن طريق أساتذة العربية الدارجة المعينين من طرف السلطات الفرنسية التي عرقلت فتح المدارس العربية لغاية صدور قرار 18 أكتوبر 1892 الذي يوجب الحصول على رخصة لفتح مدرسة عربية<sup>1</sup>.

وبعد الفتر الطرقي للمقاومة الجزائرية ظهرت نزعة لتوسيع التعليم لفائدة الجزائريين التي انطلقت ابتداء من سنة 1883، وظلت الجالية الفرنسية في فترة 1880-1920 تعارض عن قصد، وبجميع الوسائل المتاحة تعليم الصغار الجزائريين وتقدم وطنية الشعب الجزائري كمؤامرة ضد الشعب الفرنسي. إن هذا التجهيل المخطط له في الواقع، أدى إلى خلق مجتمع ساذج في أغلبيته له نحو المستعمر شعور مزدوج بالإعجاب والكرهية: أما الإعجاب ففيما توصل إليه الأجنبي من معرفة، وما حققه من تقدم وازدهار وما حاز عليه من ثروة ورفاهية وسيطرة على التقنيات العصرية، وأما الكراهية فنتيجة عن الإحساس بكون ذلك الأجنبي يمتص خيرات البلاد وينهب أهلها دون أن يجد من يقف له بالمرصاد، وما من شك أن هذا الشعور المزدوج هو الذي ساعد على ميلاد ثم تطور الحركة الوطنية في الجزائر<sup>2</sup>. ووجد بسكيكدة مدرستان حرتان إلى جانب معلمي الكتاتيب القرآنية، الأولى أسستها جمعية العلماء مدرسة الإرشاد بسكيكدة، والمدرسة الثانية فتحتها حركة الانتصار التي أشرف على تسييرها سعيد كافي، إلى جانب إعدادية دومينيك لوسيان<sup>3</sup> التي درس فيها عدد من المناضلين الجزائريين الذين التحقوا بصوف الثورة الجزائرية في الداخل أو في فرنسا، وأستشهد معظمهم في معارك حرب التحرير<sup>4</sup>. وكانت مدرسة الإرشاد الحرة مؤسسة خاصة يقوم بتسييرها محمد الغسييري<sup>5</sup>، تحت إشراف جمعية العلماء التي يساعدها مالياً بعض الشخصيات، وتدفع أقساط الدراسة لتغطية أجور المعلمين<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، المرجع السابق، ص.62.

<sup>2</sup> الزبير العربي، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص.28.

<sup>3</sup> هي في الأصل مؤسسة إعدادية دومينيك لوسيان (ثانوية العربي التبسي حالياً) بنيت عام 1930، ذات نظام داخلي صارم، وهي المؤسسة التي تعلم بها حسين لحول، فرحات عباس، مسعود بوقادوم، العربي دماغ العتروس، بلعيد عبد السلام، محمد حربي، ثم التحقوا إلى قسنطينة للتعليم الثانوي ينظر: حربي محمد، مجلة إنسانيات، العدد 16، عام 2002، ص. 13.

<sup>4</sup> من بينهم: عباس يوراس، بشير بن ناصر، عبد الحق قويسم، حسين بوزاهر، محمد حربي، حفيظ بن نيقوس

<sup>5</sup> الغسييري محمد المنصور، المولود بدشرة أولاد منصور دوار عشيرة بأريس باتنة عام 1919، بعدما حفظ القرآن الكريم وتعلم الفقه واللغة العربية في زوايا المنطقة، التحق عام 1932 بجامعة الأخضر بقسنطينة للدراسة على يد عبد الحميد بن باديس لمدة أربع سنوات، بعدها تولى التدريس في صفوف مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ثم مسير لبعضها منها مدرسة الإرشاد بمدينة سكيكدة، إلى غاية اعتقاله في 16 ماي 1945 من طرف القوات الاستعمارية، وسجن بعدة مراكز اعتقال ثم فرضت عليه الإقامة الجبرية لغاية العفو العام على المساجين، أطلق سراحه في 27 مارس 1946، ليوصل نشاطاته التعليمية ثم ينخرط في صفوف جبهة التحرير الوطني، وكلف بمهام أخرى كتمثيل الثورة الجزائرية في دمشق بسوريا، وبعد الاستقلال عين أول سفير للجزائر بسوريا، ثم العربية السعودية، والكويت، توفي في 24 جويلية 1974 بالجزائر، له العديد من المؤلفات المطبوعة الصادرة في الصحف والمجلات والكتب، أما غير منشورة فتضم مقالات ومحاضرات ومذكرات لابن باديس. ينظر:

Encyclopédie des savants et des hommes de lettres algeriens, dar el hadhara, Alger, 2002, P.147-148.

<sup>6</sup> سعدي فاطمة، البراءة المسلوقة، مجرزة 20 أوت 1955، دار النشر أنوتة، 2006، الجزائر، ترجمة عبد الرحمان شريط، ص.67.

وفي عام 1953 كان بالمدينة خمسة أطباء من بينهم: الدكتوران يوراس وكسوس، وطبيب أسنان ومحامان، وترجمان قضائيان، وحامل شهادة المدرسة العليا للتجارة وبعض المدرسين القلائل.

وتجدر الإشارة إلى أن جمعية العلماء تمكنت عبر مدارسها ونشاطها الواسع في ميادين التعليم والوعظ والإرشاد من بث تعاليمها التحريرية بين أفراد الشعب الجزائري<sup>1</sup>، بحيث فتحت هذه المدارس الحرة أبوابها في العديد من مناطق الجزائر، وسمحت بالتكفل بأطفال الجزائر المحرومين من التعليم<sup>2</sup>، وقدمت محاضرات بسكيكدة من طرف بعض قادتها: عبد الحميد بن باديس، العربي التبسي وغيرهما حيث لقيت تجاوبا كبيرا من المتعاطفين مع جهودهم الإصلاحية في سبيل الوطن.

ولم تكتف جمعية العلماء بإنشاء المدارس، بل تمكنت من تأسيس معهد ثانوي بقسنطينة، أطلق عليه اسم (معهد بن باديس<sup>3</sup>) عام 1947 يتابع فيه تلاميذ المدارس الابتدائية دراستهم، ويتمكنون من الالتحاق بالمعاهد العليا في الشرق أو يقومون بالتعليم في المدارس الحرة التي تشرف عليها الجمعية<sup>4</sup>.

فأنشأت جمعية العلماء العديد من المدارس التعليمية الحرة التي جذبت عدد متزايد من أطفال المدينة الذي تقبل بحماسة برامجها الخاصة بالإصلاح الديني والأخلاقي ومواجهة خصومها خاصة الزوايا<sup>5</sup>.

يتابع الشباب الذين تكونوا في مدارس وثانويات المدينة الأحداث بكل شغف، مثل فرحات عباس الذي اكتشف في المدرسة عالما لم يكن يعرفه وعلمته ثانوية سكيكدة<sup>6</sup> طعم القراءة والاستعلام والتفكير وأهم من ذلك النقد، ليكتشف السياسة في الجامعة<sup>7</sup>.

ظهرت بالمدينة عدة مدارس منتشرة في المراكز العمرانية<sup>8</sup> التي يتوافد إليها أبناء الأوروبيين لمزاولة دراستهم التحضيرية والتعليمية، ولهذا أولت السلطات الفرنسية العناية المتزايدة لتدرس أطفال الجاليات الأوروبية، وهذا ضمن مخططات أعدت خصيصا لهم لكن في المقابل، لم يعرف التعليم الفرنسي إنتشارا بين الجزائريين إلا بعد الحرب العالمية الأولى، وحددت السلطات الفرنسية المستوى التعليمي الذي يجب أن لا يتجاوزه الطفل الجزائري في تعلمه وتكوينه، وعاملت الجزائريين على أنهم غير قابلين لفهم حضارتها في تعليمهم، ففي العشرينات وكما طبقت ميدانيا سياسة التمييز العنصري بتقسيم المدارس إلى أوروبية وأهلية، بدأت تتبلور فكرة تعليم عربي حر.

<sup>1</sup> قدورة زاهية، تاريخ العرب الحديث، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1967، ص.ص. 513-514.

<sup>2</sup> مريوش أحمد، مجلة الرؤية، العدد 2، 1996، ص. 117.

<sup>3</sup> أشرف العربي التبسي على إدارة معهد عبد الحميد بن باديس، بمساعدة محمد خير الدين لغاية غلق الإدارة الاستعمارية لمدارس الجمعية عامة ولمعهد بن باديس يوم 21 نوفمبر 1956 وتشتت طلابه، ينظر: عيسوي أحمد، منارات من شهاب البصائر للشيخ العربي التبسي 1891-1957، مطبعة الوليد، الجزائر، 2006، ص. 56

<sup>4</sup> خير الدين محمد، مذكرات، المصدر السابق، ص. 127.

<sup>5</sup> غولديغر أني راي، جذور حرب الجزائر 1940-1945، المرجع السابق، ص. 224.

<sup>6</sup> ثانوية سكيكدة أو دومينيك لوسيان، التي كانت تعرف في البداية بالمعهد الاستعماري في سكيكدة.

<sup>7</sup> غولديغر أني راي، جذور حرب الجزائر 1940-1945، المرجع السابق، ص. 104.

<sup>8</sup> بني الجزء الشرقي لمدرسة فرديناند بويسون عام 1892، بينما الجزء الغربي عن طريقه فتحت مدرسة فرديناند بويسون أبوابها لأول دفعة من التلاميذ سنة 1909، تلتها مؤسسة المدرسة المختلطة بني مالك التي تشكلت سنة 1919، ثم مدرسة جول فيري سنة 1920، وفي عام 1924 تم إنشاء مدرسة جان جاك روسو والمدرسة الأهلية للذكور، وفي عام 1929 بداية إنشاء مدرسة للذكور الجديدة Collège Colonial.



وباشرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الإهتمام بالتعليم الحر الذي أصبح يضاهاى التعليم في المدارس الفرنسية بمدارسه المبنية على طراز عصري، ومن بين المدارس التي لقيت نجاحا كبيرا بالمدينة مدرسة الإرشاد الحرة<sup>1</sup> التي قامت بدور هام في تعليم البنين والبنات على رغم من أن الإدارة الفرنسية لم تتوقف عن معارضة التعليم العربي الحر وعرقلته<sup>2</sup>.

وتمكن بعض الجزائريون من توفير التعليم القرآني لبناته وقلة قليلة جدا منهم من يرضى بإرسالهن إلى المدرسة الفرنسية، وسواء تعلمت الجزائرية في كلتا المدرستين فإنها تلازم البيت نزولا عند رغبة العائلة ووفقا لما تنص عليه عادات البلاد وتقاليدها.

عرفت المدينة إنجاز عدد كبير من المؤسسات التربوية والمهنية وتعاقبت عليها عدة أجيال من أبناء هذه المدينة الكولونيالية وخاصة بالنسبة للعنصر الأوروبي. وتبين الإحصائيات الرسمية لمسؤولي بلدية سكيكدة، حيث ركزت على التمدرس بسكيكدة، وأكدت على أن هذه المهمة نبيلة، وعلى أن التوظيف العقلاني لمؤسسات التعليم العام لتلبية التمدرس المطلوب لكل الأطفال الذين وصلوا إلى سن الدراسة بالمدينة.

وقامت بلدية سكيكدة خلال ربع القرن 20م بجهود كبيرة للوصول إلى تحقيق متطلبات الدراسة بها، عبر العديد من المبادرات التي جاءت من طرف الإدارة العليا والسلطة الأكاديمية، وإلى غاية 15 نوفمبر 1955 شملت المدينة على المؤسسات التالية:

\* 6 مدارس للذكور، تضم 2797 تلميذا موزعين على 76 حجرة<sup>3</sup>.

\* 5 مدارس للبنات، تضم 1855 تلميذة موزعة على 46 حجرة<sup>4</sup>.

\* 2 مدرستين للأمومة، تضم 518 تلميذا موزعين على 12 حجرة<sup>5</sup>.

\* 5 مدارس مختلطة في الملاحق، تجمع 356 تلميذا موزعين على 10 حجرات<sup>6</sup>.

رغم ذلك فإن حوالي ألف طفل رغب أوليائهم بتسجيلهم في مدارس المدينة وملاحقها، لكنهم لم يتمكنوا من إيجاد مكان لهم للتمدرس مما يشكل حرمانهم من التعليم الإبتدائي لأطفال وصلوا إلى سن الدراسة، ويضافون لأبناء ففلة وبني بشير الذين طالبوا منذ عدة سنوات بمدارس لأطفالهم، بعد تزايد أعدادهم<sup>7</sup> مع وجود مدرستين خاصتين تشرف عليها إخوة مدارس المسيحيين وأخرى تسيروها الأخوات.

<sup>1</sup> مقر المدرسة الحرة الارشاد بشارع مكي ورتيلاني بوسط المدينة.

<sup>2</sup> هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، OPU، الجزائر، 1995.

<sup>3</sup> المدارس الإبتدائية للذكور هي: مدرسة جول فيري، مدرسة ضاحية الأمل، مدرسة بني مالك، مدرسة فرديناند بويسون Buisson.

<sup>4</sup> المدارس الإبتدائية للبنات هي: مدرسة فيكتور هيجو شارع 62 خط، مدرسة ضاحية الأمل، مدرسة سيفينيي Sévigné بشارع ثلاثة زواة.

<sup>5</sup> وهما: مدرسة الأمومة باستور شارع أرسنال قريب من مدرسة فيكتور هيجو، ومدرسة الأمومة جان جاك روسو شارع برينو.

<sup>6</sup> المدارس المختلطة موجودة بالضواحي: سطورة، سانت أنطوان، فالي، دانريمون.

<sup>7</sup> نشرها محافظ البلدية بول دومينيك كريفو Crevaux في العدد الأول لنشرية بلدية سكيكدة الفصلية أفريل- جوان 1955.

وطرح بالمدينة مشكل تدرس الأطفال المسلمون بحدة خاصة بالنسبة للذين لم يتمكنوا من الالتحاق بمقاعد الدراسة في مدارس المدينة حيث تجاوز العدد الألف طفل من الذكور والإناث. وعام 1957 بدأ البحث خلال عن مدارس جاهزة بثلاثة أقسام مخصصة للبنات بالربوة الجميلة تسمح بإستقبال 120 تلميذا مع إمكانية توسيعها لباقي أنحاء المدينة بمراكز فالي، دانريمون، سانت أنطوان، جان دارك، فلفلة مع توسعة مدرستي أناتول فرانس<sup>1</sup>، جول فيري، قسمين لكل منهما<sup>2</sup>. وكانت المدينة تستقبل نخبة من المنطقة (الحروش، والقل، وعزابة..) حيث لم يكن هناك سوى خمسة مسلمين منتسبين للمدينة يتابعون دراستهم العليا، وهم الأطباء (حمودي عبادة، عبد الحميد حمرقرو، شريف بداي) والدارس في علم النفس بوحويته والقابلة جميلة طهراوي<sup>3</sup>. وقد تميزت الاعتمادات المخصصة للجزائريين بتفاهة ميزانيتها، لذلك لم يتعد التعليم الإسلامي الا في مدارس الأكوخ، هذا على إعتبار أن الاستعمار يخشى مزاحمة الجزائري المتقف، حسب رأي فرحات عباس، بينما يجد جميع الأطفال الأوروبيين مقاعد في المدارس، فجعل مصير الأطفال المسلمين التشرّد في الطرق يسكنون في مدن القصدير يمسخون الأحذية<sup>4</sup>.

المحافل الماسونية (محل أبناء مارس بسكيكدة نموذجاً): انتشرت المحافل الماسونية في الجزائر ومقاطعة قسنطينة عن طريق العسكريين حيث تركزت بشكل ملفت في مدن كسطيف وعنابة وسكيكدة التي أقيمت بسكيكدة محل المجددين لروسيكادا<sup>6</sup> الذي تم تعويضه عام 1943 تحت إشارة مميزة، وبقي محل أبناء مارس لسكيكدة، بتفوق واضح للمدنيين. وعرفت المحافل الماسونية في الجزائر خلال الإمبراطورية الثانية يقظة ملحوظة، لهذا تأسس محل المسعفين لقسنطينة<sup>7</sup>، ومحل أصدقاء الحقيقة لسكيكدة<sup>8</sup> عام 1862 وغيرها من المحافل بباتنة والقال<sup>9</sup>. ويعتبر هذا المحفل من أقدم المحافل الماسونية في الجزائر، تأسس عقب إحتلال سكيكدة عام 1843، مخصص للمدينة ونواحيها ضم عددا من الشخصيات السياسية

<sup>1</sup> مدرسة أناتول فرانس أو كولاج أنديجان، تأسس عام 1925، ضم 10 أقسام عام 1949 تشتمل على 760 تلميذ يدرسون بنظام التناوب حسب القانون المنظم المؤرخ في 28 مارس 1882، في وقت قدر عدد التلاميذ الأوروبيين في مدارس المدينة 2500 طفل متمدرس يمثلون تعداد سكاني يقدر 35781 أوروبي، بينما عدد التلاميذ الجزائريين 1514 طفل متمدرس يمثلون تعداد سكاني يمثل 37216 مسلم، وهذه الأرقام تبرز بأن هناك فروق بين المجموعتين السكانييتين القاطنة بسكيكدة، من حيث نسبة التمدرس، نجدها بأن أغلب السكان الأوروبيين متدرسون، بينما ظل السكان الجزائريون تدرسه ضعيف حيث وجد 2951 طفل في سن التمدرس أنفسهم في الشارع بسبب محدودية الأقسام في مدينة عام 1949، ينظر:

AMS, Del N:115, 1949, Séance Ordinaire du Conseil Municipale, 14-12-1949.

<sup>2</sup> Revue Municipale De Philippeville, Trimestrielle: 1955; Série N;01, P.14: La Scolarisation -

A M Skikda, DEL:11, 02/02/1957, Exposition Djadoun .

<sup>3</sup> حربي محمد، سنوات تحد وتمرن، المصدر نفسه، ص.ص.40-49.

<sup>4</sup> فرحات عباس، الليل الاستعماري، المصدر السابق، ص.112.

<sup>5</sup> محل أبناء مارس بسكيكدة La Loge Les Enfants de Mars مقرها بشارع يوغرطة احدى المحافل الفرنسية الثلاثة بسكيكدة

<sup>6</sup> محل المجددين لروسيكادا Les Régénérateurs de Rusicada

<sup>7</sup> محل المسعفين لقسنطينة Les hospitaliers de Constantine

<sup>8</sup> أصدقاء الحقيقة لسكيكدة Les Amis de La Vérité

<sup>9</sup> Sekfali Abderrahim, Maître d'école et franc-maçonnerie dans Le constantinois de L'entre Deux guerres, el hiwar, colloque Avril 2001, Les changements sociaux dans Les Pays Maghreb, Université Constantine, p. 461-462.

المحلية، وبالنسبة للمدرسين قبل عام 1940 نجد أسماء دومينيك سيانفراني، ميلي<sup>1</sup> ألوبيرتان، ألال، دولوز، بالوط، باجس<sup>2</sup>، وغيرهم من المدرسين<sup>3</sup>. ويتمتع محفل أبناء مارس بنفوذ واسع على المستوى السياسي المحلي، حيث تمنح الشهادات الشرفية لمنتسبيها من الشخصيات الفاعلة بمقر محفلها.

فكان الماسونيون على علاقة ودية بالبروتستانت في الجزائر أكثر مما كانوا على علاقة وود بالكاثوليكية، وساندوا النظام الجمهوري في فرنسا، وكانوا على علاقة دائمة بما يحدث في باريس فوضعوا تحت الرقابة منذ عام 1857. فوصل عدد المنخرطين في محفل أبناء مارس في مدينة سكيكدة إلى 35 عضواً، واستمر من تاريخ تأسيسه عام 1843 لغاية عام 1852، وهي من أهم المحافل الموجهة للسياسة الاستعمارية في الجزائر<sup>4</sup>، تأسس محفل أبناء مارس بسكيكدة من طرف حوالي 20 فرداً ثم تشكل محفل المجددين بروسيكادا، عوضت عام 1843<sup>5</sup>، ثم المحفل المختلط النور الإفريقي<sup>6</sup> عام 1925، يرجع ذلك إلى تطور نشاط المحافل الماسونية في الجزائر التي وصل إلى 10 محفلاً عام 1845، وبلغ عدد المنخرطين 460 فرداً. فالماسونية تيار عقائدي غامض وسري فاعل انتشر في العالم ثم إلى العالم العربي، فهدفه الظاهري خدمة الإنسانية بالخلق والإبداع وبالإخاء والمساواة<sup>7</sup>.

وبعد تضاعف نشاطها الحركة الماسونية، أسسوا عام 1832 محفلاً بالجزائر العاصمة تابعاً للمحفل العالمي الكبير وتلا ذلك تأسيس محافل أخرى، انضم عدد معتبر من المنخرطين من بينهم الكاثوليك، ومن بين المنخرطين في محفل أبناء مارس بسكيكدة عام 1873، خوجة عمر بن أحمد، بصفة مترجم له درجة ممرن الماسونية<sup>8</sup>، وتتفق الماسونية مع التيارات الفكرية الأوروبية من الناحية العملية، وتختلف معها في الهدف، وعمل على تكريس الاستعمار في الجزائر مثل باقي التيارات<sup>9</sup>.

تجذرت الماسونية منذ الإمبراطورية الثانية عن طريق الضباط والمنفيين السياسيين، وهي تمثل في الجزائر آراء علمانية لكي لا نقول معادية للديانة، فبورشاتها المنتشرة عبر المدن، وطقوسها السرية

<sup>1</sup> ميلي Millet

<sup>2</sup> Aubertin, Allard, Delleuze, Ballout, Pages.

<sup>3</sup> Ibid, P.467.

<sup>4</sup> عمير اوي أميدة، من تاريخ الجزائر الحديث، دار النهضة، 2004، ص. 58-59.

<sup>5</sup> Sekfali Abderrahim, *Maître d'école et franc-maçonnerie dans Le constantinois*, op cit, p.230.

<sup>6</sup> La Loge Mixte De La Lumiere Africaine, Admit Les Femmes.

<sup>7</sup> عمير اوي أميدة، من تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص. 54-57.

<sup>8</sup> عمير اوي أميدة، مقال الماسونية نموذجاً، الندوة العلمية الأمير عبد القادر والتيارات فكرية غير عربية إسلامية، 2006، منشورات مخبر

البحث في الدراسات الأدبية والإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، ص. 71-72.

وتتضمن المحافل التالية: إخوة نوميديا ببجاية، إخوة الأطلس بالبلدية، هيبون بعنابة، شيبون بجيجل، إخوة زكار بمليانة، إخوة بوسلام بسطيف، النجم بمعسكر، بليزار بالجزائر العاصمة، سان فانساندي بول بقسنطينة. لتوسع ينظر:

Yacono X, *Un siècle de franc-maçonnerie algérienne*, maisonneuve et larose, Paris, 1969.

<sup>9</sup> عمير اوي أميدة، مقال الماسونية نموذجاً، المرجع السابق، ص. 70.

وخاصياتها التسلسلية، كانت تبدو كسلطات خفية قادرة على مساعدة الأفراد مهنيا بواسطة الدعم الذي تحصل عليه من إدارة الجمهورية الثالثة، كما أنها تقترح الحلول للمشاكل الوطنية والمحلية وتضغط على الحكومات، تقم الماسونية ببيادقها ببراعة لكي تنتصر إيديولوجياتها المستمدة من فلسفة الأنوار(الحرية، المساواة، الأخوة)، وهذا لإقامة سياسة تتعايش فيها المثالية مع الواقعية الحقيقية.

يثير هذا(المجتمع الخفي) الذي ينمو في وضح النهار، استياء الكنيسة الكاثوليكية الراجبة في استرجاع افريقيا المسيحية وتأطير مجتمع المعمرين الذي يحتاج إلى الهيكلة ويتسم بالأنانية والعنف<sup>1</sup>. وفي انتخابات عام 1936 ساندوا مرشحي الجبهة الشعبية ودافعوا عن سياسة التقارب بين جميع العناصر العرقية<sup>2</sup>. ان المعلمين الذين يتكونون في المدارس النظامية للجمهورية وغالبا ما يلقنون طقوس الماسونية، يعتبرون جيشا خطيرا يؤثر في فكر الشباب ويبث فيه الأفكار الإباحية خلال الاجتماعات الملحدة والمآتم المدنية، ثم أن الماسونيين بعيدون عن الفكر الثوري، فهم يلتحقون إمّا بالحزب الراديكالي الاشتراكي أو الحزب الاشتراكي بالنسبة إلى الطليعيين، لكن الماسونية تراجعت بعد سنة 1937 وعادت إلى النشاط في السرية<sup>3</sup>. فتضرر رجال الماسونية من قانون 11 أوت 1941 الذي يمنع القدماء وأصحاب الرتب من كل وظيفة أو منصب عمومي. فأعتبر عدد كبير من الماسونيين مشبوهين الذين تضرروا من قوانين فيشي، خاصة وأن العديد منهم انضموا إلى الماسونية من أجل مصالح مهنية أو لربط علاقات مفيدة<sup>4</sup>، وتعرضوا لحملة مضادة لهم مثل نشر قائمة قادتهم على صفحات الجرائد الجزائرية وتعريضهم للسخرية، أو بث محتويات الوثائق الماسونية عبر جهاز الراديو لإقناع السكان بالتأثير المؤدي لهذه المنظمة السرية، المحرك الرئيسي لهذه الديمقراطية الدنيئة التي أدت إلى الكارثة، وأعتبرها البعض بأنها هي التي أوصلت الجمهورية الفرنسية الثالثة إلى الزوال، لذا أعترف أغلبية أعضائها بالذنب وأنفصلوا عن الجماعات السرية على هذا الوضع، وتم ابعاد العمال الماسونيين من مناصبهم، جعلهم يبحثون عن مهن بديلة في الشركات والتعليم الخاص وغيرها، وفرضت الاوضاع على البعض الاخر الرحيل إلى أمريكا و بريطانيا، ووجد المخلصون منهم في وضعهم، فرصة للتأمل والتبصر في المستقبل<sup>5</sup>.

كنائس المدينة:قامت السلطة الفرنسية ببناء أماكن للتعبد بسكيكدة وضواحيها من أجل المعمرين الذين يدينون بالديانة المسيحية، حيث أنشأت العديد من الكنائس في المناطق التي استقطبت الفرنسيين، حيث

<sup>1</sup> غولديغر أني راي، *جذور حرب الجزائر 1940-1945*، المرجع السابق، ص.26.

<sup>2</sup> Sekfali Abderrahim, *Maître d'école et franc-maçonnerie dans Le constantinois*, Op. Cit, p.231.

<sup>3</sup> غولديغر أني راي، *جذور حرب الجزائر 1940-1945*، المرجع السابق، ص.27.

<sup>4</sup> ينظر صورة لمحفل سكيكدة في مقرها تجمع عدد من الشخصيات السياسية المحلية في ملاحق البحث.

<sup>5</sup> غولديغر أني راي، *جذور حرب الجزائر 1940-1945*، المرجع السابق، ص.57.

بنيت كنيسة سانت فيليب<sup>1</sup> الواقعة بقلب المدينة وأخرى بسطورة، سان أنطوان ودانريمون وسان شارل وقاسطون فيل وعزابة إلى جانب مزغيش وروبرتفيل والقل.

وأنشئت كنيسة سانت تيريز<sup>2</sup>، بضاحية الأمل جنوب سكيكدة تتربع على مساحة 7260 م<sup>2</sup>، ووضعت تحت إشراف أسقفية قسنطينة وتحتوي الكنيسة على دار للعبادة ومجمعين سكنيين وحديقة<sup>3</sup>.

ومع استقرار الجاليات الأوروبية خاصة من سويسريين وألمان وهولنديين وبريطانيين من مختلف الطوائف الدينية المسيحية، ومن بينها المذهب البروتستانتي الذي انتشر في الجزائر، حيث أقاموا المعابد<sup>4</sup>، وكان أول مجمع ديني بروتستانتي<sup>5</sup> بالجزائر العاصمة في 7 جانفي 1836، وبعد ذلك صدر أمرية ملكية في أكتوبر 1839، تفرض وجود كنيسة بروتستانتية رفقة مع كاهن، وأقيمت عدة كنائس بسيدي إبراهيم 1840، دويرة 1840، سكيكدة عام 1845، البليدة 1849، قسنطينة 1853 وبجاية 1874، حيث يقومون بزيارة معسكرات الجنود، وفي عام 1841 اقترحت الكنيسة الانجليكية (مذهب لوثر) الإصلاحية تشكيل ثلاثة مجامع دينية مختلطة في وهران والجزائر وسكيكدة، وتشكل هذه الطائفة الأغلبية في صفوف السكان البروتستانت، المدنيين منهم والعسكريين<sup>6</sup>.

ومعبد البروتستانت هي بناية بلدية واقعة بشارع الفرقة الثالثة لقناصة افريقية قرب السوق الأوروبية، أنجز في بداية الاحتلال معبد أعيد تجديده عام 1907.

وهناك معبد يهودي<sup>7</sup> مخصص للعبادة الإسرائيلية يقدم التعليم الديني للأطفال، وامتد نشاطهم الإنساني على مستوى الدائرة بحوالي 600 عضوا عام 1935 يمنح العون للمحتاجين منهم.

خصص المسجد للعبادة للمسلمين من المذهب المالكي يحتوي على قبر يحج إليه السكان من كل المنطقة، المرابط علي الديب أو الأديب، بحيث أنجز مسجد سكيكدة عام 1844 في الجهة الغربية للمدينة بالقرب من حي الربوة الجميلة، ليس بعيد عن الأسوار.

وظلت السلطات الفرنسية تشرف على تسيير هذا المسجد وتعين أئمتها باستمرار، وبقي المسجد الوحيد لغاية انشاء حي الأهالي ومعه مسجد القبية الجديد.

في الحقيقة هو موقع الزاوية غيرته السلطات الفرنسية من موضعه مكانه الأول ببرج الحمام قرب جبل سكيكدة، حيث كانت تضم زاوية تنتمي للطريقة القادرية نحو الجهة الغربية لسكيكدة إلى مكانه

<sup>1</sup> كنيسة سانت ماري Saint Cœur De Marie التي بدأ إنجازها عام 1846، انتهت الأشغال عام 1848، لكن البناية لم تكرر ككنيسة حتى عام 1854، على أنقاض الباسيليك الروماني القديم، تم تدهيمها عام 1979.

<sup>2</sup> حولت هذه الكنيسة بتاريخ 17-12-2000 إلى مديرية النشاط الاجتماعي لولاية سكيكدة.

<sup>3</sup> وهي ملك لجمعية ديو سيزان والتي كان مقرها بقسنطينة، بعقد مسجل يحمل رقم 25 مجلد 782، أنجزتها بأموالها الخاصة، ينظر الشروق، العدد 1445، الاثني 01 أوت 2005، ص.06، استطلاع عن كنائس الشرق الجزائري، وثائق مديرية الشؤون الدينية لولاية سكيكدة.

<sup>4</sup> المعابد Les Temples

<sup>5</sup> مجمع ديني Consistoire

<sup>6</sup> PNHA, Pasteur Georges Tartar, N ;28 Septembre 1992.

<sup>7</sup> المعبد اليهودي بسكيكدة La Synagogue De Philippeville

الحالي المنجز عليه المسجد، وذلك لأن القسم الشرقي خصص كمنطقة عسكرية بحتة، تحتوي على ثكنات وقلاع ومستشفيات عسكرية دفاعية، حيث تتواجد بها مقبرة للمسيحيين واليهود معا<sup>1</sup>.

ويتضح بأن المدينة شهدت بناء كنيستين مسيحيتين<sup>2</sup> وأخرى بروتستانتية للمسيحيين<sup>3</sup> ومسجدين للمسلمين، بينما انجزت معبد وحيد للأقلية اليهودية، بينما المقابر المخصصة لهذه المجموعات السكنية القاطنة بالمدينة، المقبرة المسيحية واليهودية المشتركة في جنوب القسم الشرقي، أما المسلمون وزعت عليهم مقبرة بحي الأهالي القبية في الجنوب الغربي للمدينة.

تقع المقبرة المسيحية هذه المقبرة قرب المقصلة بحي حسين لوزاط حاليا، تغطي مساحة 2115م<sup>2</sup> بدأ الدفن بهذه المقبرة سنة 1846<sup>4</sup>، وتم بناؤها في نهاية سنة 1895 لها مذخلين تستوعب 500 قبر 2060م وعرضه 0.90م، وارتفاعه 0.90م، ويتم الفن حسب الأعمار وفق التقدير الذي حددته بلدية سكيكدة في مداولة مجلسها بتاريخ 16 جانفي 1899<sup>5</sup>، وحددت أسعار معينة<sup>6</sup>.

ومع نمو المستعمرة الناشئة وتزايد عدد السكان الأوروبيين بالمدن الساحلية الرئيسية، أصبح العامل الديني مهما للغاية لتوحيد بين المختلف العناصر الأوروبية المتباينة<sup>7</sup>.  
المتحف البلدي للمدينة: ظهرت فكرة إنشاء متحف بلدي لحماية وحفظ المقتنيات والآثار التي كانت مجمعة بالمسرح الروماني القديم لروسيكاد، ونتيجة لعدم توفر المصادر المالية لم تتحقق هذه الفكرة خلال الفترة الأولى للاحتلال الفرنسي لسكيكدة، بالرغم من إلحاح القائمين على الآثار بالمدينة من جهة، والمطالب المتكررة من المجلس البلدي في مداولاته حول الموضوع من جهة أخرى<sup>8</sup>.

وقد أرسلت هذه الرغبة إلى أصحاب القرار من رئيس دائرة سكيكدة ووالي عمالة قسنطينة والحاكم العام للجزائر ووصولاً إلى وزارة الداخلية، وهذا راجع إلى توفر المادة الأثرية المكتشفة داخل محيط المدينة القديمة، تطلب تعيين السكرتير الملحق بالمجلس البلدي لسكيكدة دراوي هيوغ<sup>9</sup> لشغل منصب محافظ متحف سكيكدة المجاور للمسرح الروماني، بطلب من رئيس دائرة سكيكدة، وذلك حسب المنشور المؤرخ في 25 مارس 1852<sup>10</sup>، من أجل حصر القطع والأشياء الأثرية المجمعة في السيرك الروماني القديم<sup>11</sup>.

<sup>1</sup> Duclos Marcel, *il Etait Une Fois philippeville*, Site Internet.

<sup>2</sup> كنيسة سانت ماري بوسط المدينة في القسم الشرقي للمدينة بجوار الثكنات العسكرية والمؤسسات الإدارية منها مقر البلدية والدائرة انجزت عام 1854 ، بينما انجزت كنيسة سانت تيريز في جنوب المدينة بضاحية الأمل عام 1948.

<sup>3</sup> تقع الكنيسة البروتستانتية في القسم الغربي للمدينة بالقرب من السوق الأوروبية المفتوحة ، لها اتباع وجمعيات مساندة لها منها جمعية بروتستانت سكيكدة، التي تضم شخصيات فاعلة في المدينة من بينهم روجي روث، ينظر: ملاحق الحياة الدينية والثقافية بسكيكدة.

<sup>4</sup> أرشيف بلدية سكيكدة.

<sup>5</sup> مصلحة الأوقاف والشؤون الدينية.

<sup>6</sup> بوركازة محسن ، تطور ميناء سكيكدة، رسالة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة.

<sup>7</sup> رزوزو عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1900، OPU، 2007، ص.233.

<sup>8</sup> تم الحصول على مداولة المجلس البلدي لسكيكدة المؤرخة بتاريخ 7 ماي 1859 من أجل إنشاء متحف بلدي لنقل إليها التحف والمحافظة على الأشياء وتوزيعهم فيها.

<sup>9</sup> دراوي هيوغ Dry Hugues

<sup>10</sup> A.M.S, *Dél N : 69, Musée, Session Ordinaire Le 25/01/1885 Du Conseil Municipal De Philippeville.*

<sup>11</sup> A.M.S, *Service Des Travaux Communaux, Philippeville Le 07/12/1853.*

تجسد مشروع المتحف في 22 نوفمبر 1898 بفضل الدعم المالي للسلطات المركزية وإرادة مسؤولي البلدية، التي ساعدت على إنجاز المتحف الاثري الذي أشرف عليه المهندس هنري رينوكس<sup>1</sup>، وأختار له زخرفة تتناسب مع هذا الصرح العلمي، تتكون من ثلاثة أقسام موصلة بينها بسطح واسع وجميل، يضم في محتوياته 1500 قطعة أثرية<sup>2</sup>، ويضم عالما من الحشائش والنخيل والورود، له منظر جذاب حيث جلب إليه أعدادا كبيرة من الزوار والسياح من الجزائر وفرنسا للتعريف بمصادرها الأمر الذي جعل هذا المتحف من أغنى المتاحف في شمال إفريقيا<sup>3</sup>.

وساعد هذا الإنجاز على المحافظة على مختلف التحف الفنية والأثرية، وتسهيل عمليات ترميمها إلى جانب ذلك حمايتها من التلف والضياع وحفظها للأجيال القادمة خاصة وأن هذه الآثار تم العثور على شواهدا في مختلف أرجاء المدينة خلال عمليات الحفر والتنقيب وحتى أثناء فترات تشييد سكيكدة وتوسيعها، حيث ضم هذا المتحف عددا هاما من اللقى الأثرية الموزعة على طابقي المتحف الذي يمثل مساحة تقدر 2726 م<sup>2</sup>. وظل المهندس المحافظ للمتحف الأثري روجي جوزيف<sup>4</sup> يدعو الهيئات المعنية بشؤون المتحف القديم التابع للمسرح الروماني للتدخل لمعالجة التدهور المستمر، حيث طالب في 10 جويلية عام 1872 بتخصيص ميزانية لصيانة المتحف وتوسيعه<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> هنري رينوكس Henri Ranoux المهندس المدني الذي عين من طرف المجلس البلدي لسكيكدة كمحافظ للمتحف انطلاقا من تاريخ 1 جويلية 1859، حيث بدأ يشتغل في تصنيف الأشياء الأثرية القديمة المختلفة التي تمتلكها المدينة، وبعد وفاته بقي منصبه شاغرا لفترة.

<sup>2</sup> من بين محتوياته 15 تابوتا جنائزيا و 61 عمودا و 52 قاعدة عمود و 106 ناجا و 9 تماثيل مصفوية و 8 تماثيل صغيرة و خزان مياه بسعة ألف لتر، و عدة رؤوس وأجزاء تماثيل ومطاحن و عدد كبير من القطع الفخارية والمصابيح وقطع مصنوعة من الزجاج والعظام والبرونز والرصاص، كما يحتوي على 174 لوحة كتابية جنائزية وتذكارية قديمة حسب ما ذكره بارتراند Louis Bertrand المشرف على تسيير متحف سكيكدة، ينظر:

Bertrand Louis, *Catalogue Du Musée Archéologique De Philippeville*, 1914.

<sup>3</sup> Ibid, Skikda Art.12.

<sup>4</sup> روجي جوزيف Roger Joseph

<sup>5</sup> A.M.S, *Lettre Du Joseph Roger à Le Maire Philippeville Le 16/04/1872*.

### المبحث الثالث: الصحافة بالمدينة:

تعتبر الجزائر أول بلد في المغرب العربي عرف الإعلام المكتوب ذلك مع بداية الاحتلال الفرنسي الذي حمل معه على غرار ما فعله نابليون بونابرت في مصر، مطابع وهيئات تحرير للجرائد التي توالى أعدادها وعاوينها وأغلبها كانت فتراتها وجودها قصيرة المدة ومحدودة الأعداد.

في نهاية القرن 19م عرفت الجزائر نشاطا اعلاميا كثيفا للمستوطنين الذين اصدروا 150 صحيفة بالإضافة إلى استيراد وتوزيع الصحف التي كانت تصدر في فرنسا<sup>1</sup>.

ارتبطت الصحافة الفرنسية الاستعمارية في الجزائر بالحملة العسكرية خلال السنوات الأولى للاحتلال<sup>2</sup>، وذلك اعتمادا على المطابع التي جلبت نحو المدن الجزائرية، حيث كانت الدولة هي التي تمنح التصاريح بفتح المطابع أو المكتبات، وفقا لمراسيم منها مرسوم 20 أوت 1834 تلتها مراسيم أخرى، وتم استغلال وجود عدة مطابع خاصة في المدن الكبرى ذات الموقع الاستراتيجي والنقل السكاني خاصة من قبل التجار المستوطنين.

افتتحت أول مطبعة بالشرق الجزائري كانت بمدينة عنابة عام 1843<sup>3</sup>، ووظفت فرنسا سياسة دعائية فاعلة، بجانب سياسات أخرى تعليمية وعلمية اقتصادية، تمثلت في توزيع المناشير وتأسيس المطبعة، وإصدار الصحف، وتوظيف الشعر الملحون في الريف لخدمة وجودها في الجزائر<sup>4</sup>.

ومع توسيع الاستعمار الاستيطاني برزت الحاجة إلى توظيف وسائل الإعلام لتبليغ صوت المدنيين الأوربيين وتوضيح قضاياهم، فأسسوا جريدة الأخبار يوم 12 جويلية 1839 التي استمرت في الصدور لغاية 1934. وتهتم هذه الجريدة بالأخبار الاقتصادية، وما يتعلق بالاستعمار والهجرة وجاءت هذه الصحيفة في وقت كثرت فيه الصحف في فرنسا، وبلغت 750 عنوانا منها 250 عنوانا في باريس وحدها ثم تعددت الجرائد الاستعمارية في الجزائر<sup>5</sup>، حيث تم تأسيس (سيوز عنابة) عام 1844 التي تعد أول صحيفة تأسست في الشرق الجزائري الذي يعد أكثر من 700 عنوانا بالنسبة لعمالة قسنطينة سابقا<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> دليو فيصل، وسائل الاتصال وتكنولوجياته، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، ص.72-73.  
<sup>2</sup> للتوسع أكثر يتم الرجوع إلى: ديلمي عزوز، الصحافة الاستعمارية في عمالة قسنطينة خلال فترة ما بين الحربين 1919-1939، بطاقة تعريفية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، 2001-2002، ص 07.

Montoy Louis, *La Presse dans Le Département de Constantine (1879-1918)*, 2 V, Thèse D'Etat.

<sup>3</sup> عرجون ياسمينه و علاوة سهيلة، الطباعة و المطابع بمدينة قسنطينة ما بين 1830 و 1922، دراسة تحليلية، مذكرة لنيل شهادة ليسانس في علم المكتبات والمعلومات 1992، إشراف بن الشريف عبد الكريم، جامعة قسنطينة، ص 14-15-16.

<sup>4</sup> عميراي حميدة، من الملتقيات التاريخية الجزائرية، دار البعث للطباعة و النشر، قسنطينة، 2000، ص 133.

<sup>5</sup> حميدة عميراي، من الملتقيات التاريخية الجزائرية، المرجع السابق، ص 145.

<sup>6</sup> بن حسين كريمة، وثيقة الخدمة التاريخ الريفي في مقاطعة قسنطينة، ترجمة "لويس بيبير مونطوا"، الصحافة، مجلة سيرنا، العدد 1 ماي 1979، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، ص 9.



وفي عام 1847 أمر الملك فيليب ملك فرنسا بتأسيس الصحيفة العربية الرسمية المبشر في الجزائر، الصادرة عن الولاية العامة باللغة العربية الدارجة، وذلك من أجل خدمة المقاصد السياسية الاستعمارية<sup>1</sup>. وتبين أن حرية التعبير والصحافة والكتابة التي ظهرت طوال الفترة الاستعمارية هي مسألة وحق مقتصر على الأوروبيين بدون منافسة من الأهالي، وكان دورها يقتصر على عزل الشعب الجزائري عن العالم الخارجي وضرب حصار من الصمت المميت حوله من جهة، والسعي للدفاع عن مصالحها ومعها مصلحة الجزائر فرنسية من جهة أخرى.

وقد ذهب بعض أصحاب هذه الصحف إلى إستعمالها لمهاجمة بعض الموظفين لأنهم ليسوا من طائفتهم لكي تبقى الرغبة في إبقاء الجزائر وشعبها تحت هيمنتهم واستغلالهم<sup>2</sup>.

وسجل خلال الحقبة التي تلت تطبيق قانون 29 جويلية 1881 المنظم لحرية الصحافة في فرنسا وتم الاعلان على تطبيقه في الجزائر، أنه لا توجد في ذلك الوقت صحف أو جرائد أهلية أي أنه لا توجد صحف باللغة العربية أو موجهة من طرف الجزائريين المسلمين دون كسب المواطنة الفرنسية<sup>3</sup>.

وكانت سكيكدة إحدى مراكز النشاط الصحفي الجزائري، بحيث استعمل الجزائريون صحفهم للهجوم على الإدارة الفرنسية وإيقاظ مواطنيهم الغافلين، مع الاهتمام بقضايا هامة مثل قضية التجنيد العسكري الإلزامي بالنسبة للأهالي<sup>4</sup>، كما أنهم لم يبقوا مكتوفي الأيدي في آخر القرن 19م بل شرعت النخبة منهم في إصدار صحف بمساعدة بعض المستشرقين، وقد حاولوا إنشاء صحف عربية، وسلموا إدارتها لأشخاص فرنسيين، لتجنب الخضوع للقوانين الجائرة التي تعتبرهم أجانب وهم في عقر ديارهم<sup>5</sup>، بينما تمكن البعض الآخر من خوض هذه التجربة الصحفية، مستغلين الفرص التي يتمتع بها المتقاعدون من الإدارة الاستعمارية. ومن بين الجرائد الصادرة ما يلي:

جريدة هلال سكيكدة<sup>6</sup>: جريدة يومية أصدرها أندري لانجوا<sup>7</sup> في 30 أفريل 1911 للدفاع عن مصالح الأهالي الجزائريين، يشرف على إدارتها العنصر الفرنسي، وتهدف إلى العمل على إزالة سوء التفاهم الحاصل بين العرب والأوروبيين، صدر عن جريدة هلال سكيكدة 22 عددا<sup>8</sup>.

جريدة السجيع<sup>1</sup>: تم ظهورها عبر جريدة (الحق) التابعة لولاية وهران، حيث جاء في أحد أعدادها ما يلي: (علمنا بكل فرح وسرور صدور منشور أسبوعي في فيليب فيل-سكيكدة-في الثامن مارس، يحمل

<sup>1</sup> سلامي مليكة، الصحافة الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي دراسة تاريخية، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، 1986، الجزائر، ص.158.

<sup>2</sup> سلامي مليكة، الصحافة الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي دراسة تاريخية، المرجع السابق، ص.149.

<sup>3</sup> Collot Claude, Le régime juridique de la presse musulmane algérienne, sommaire de la revue algérienne, 1964-1991, p.345.

<sup>4</sup> سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص.135.

<sup>5</sup> سلامي مليكة، الصحافة الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص.152.

<sup>6</sup> مترجم Le Croissant Philippeillois

<sup>7</sup> أندري لانجوا André Lingois المحرر الرئيسي لجريدة L'Eclairer Algerien لسنوات 1903-1904 و 1909.

<sup>8</sup> Montoy, op cit, p.666

عنوان الشجاع- السجيع- يهتم بحماية والدفاع عن حقوق الأهالي المسلمين تحت إدارة الطيب قدة، وذيب خالدي كإداري وسكرتير (تحريير)<sup>2</sup>.

وذكر كلود كولو في مقاله الصحفي الحامل لعنوان:(النظام القضائي في الصحافة الجزائرية) بأن هذه الصحيفة دام صدورها من شهر مارس إلى شهر جوان 1912، ولم يكن لدينا أي دليل حول توجه هذه الجريدة ولا حول المشاكل أو المصاعب التي واجهتها لأنه لم يصدر عنها إلا ستة أعداد لفترة تقدر بأربعة أشهر ولا حول أسباب اختفائها<sup>3</sup>. وبالتالي تمكن بعض الرواد الجزائريين من إنهاء الاحتكار الفرنسي للصحافة، وخلق صحافة وطنية للتعبير عن مطالبهم، وإسهام في التفاهم بين المجموعتين الجزائرية والفرنسية<sup>4</sup>.

ويبدو أن هذه الجريدة وجدت مشاكل عرقلت طريقها، أدت إلى توقفها في 14 جوان 1912، خاصة الخلاف الحاد بين مؤسسها ديب خالدي ضد قدة الطيب، والصحيفة مثل باقي الجرائد التي أصدرتها حركة الشبان الجزائريين واجهت معارضة من الإدارة الاستعمارية، وأغلب الصحف الجزائرية<sup>5</sup>. جريدة الصوت الاجتماعي<sup>6</sup>:جريدة ذات توجه مصلحي ظهرت بسكيكدة في 26 جويلية 1898، تصنف ضمن الجرائد المدافعة عن العمال أو البروليتارية ظاهريا، لم تولي اهتماما بالصراع الحزبي بسكيكدة<sup>7</sup>. جريدة الصفاصاف<sup>8</sup>: صدرت هذه الجريدة اليومية الجمهورية في 28 مارس 1904، وهي صحيفة للدفاع عن مصالح دائرة سكيكدة، خصصت صفحتها الأولى للصيد التي تمنحها وكالة هفاس، لكن في الحقيقة لخدمة المصالح الانتخابية ريني ريكوس رئيس بلدية سكيكدة، حسب رأي جريدة الاتحاد الجمهوري صدر منها خمس أعداد، آخر عدد لها بتاريخ 30 أفريل 1904<sup>9</sup>.

جريدة زردازة<sup>10</sup>:تأسست في عام 1901 من أجل المناداة بالمصالحة وتشجيع التطور لمنطقة سكيكدة، تولى إدارتها السياسية ريني ريكوس حسب جريدة الزرامنة، وإدارة تحريرها سوتون<sup>11</sup>، تم اختيار

<sup>1</sup>Le courageux

<sup>2</sup> الحق 12 مارس 1912، وهي صحيفة تدافع عن مصالح المسلمين الجزائريين، يشرف عليها ديب خالدي كإداري، بينما محررها الرئيسي هو الطيب قدة Tayeb Guedda الذي تمكن من الاستيلاء على منصب مدير هذه في 4 جوان 1912، بنظر:

Thuriez Danielle, Les Journaux De Philippeville Et Le Problème de La Sécurité 1890-1914, Mémoire Maitrise, Sous La direction Guiral, P.22.

<sup>3</sup> Ihaddane Zohir, La Presse Algérien, Op Cit, P. 226.

<sup>4</sup> سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، المرجع السابق، ص.134.

<sup>5</sup> Montoy, la presse, p..666-661

<sup>6</sup> مترجم Le Cri Social

<sup>7</sup> Ibid, la presse, p..466

<sup>8</sup> مترجم Le Safsaf

<sup>9</sup>Ibid, p.605-606

<sup>10</sup> مترجم Le Zardezaz

<sup>11</sup> سوتون F.Sotton مسير عام للتأمين بسكيكدة.

تسميتها للتذكير بالمشروع الكبير في التنمية الجهوية المتمثل في سد زردازة الذي شيد غداة الحرب العالمية الثانية، اتبعت خطا جمهوريا تقدما، اختفت بتاريخ 8 أوت 1901 بعد صدور 16 عددا منها<sup>1</sup>. والحقيقة أن هذه الصحف في معظمها صحف استعمارية، حررت من طرف المعمرين من أصل أوروبي، وهي كذلك موجهة إليهم، والمكانة التي يشغلها السكان الجزائريون فيها صغيرة<sup>2</sup>، والصحافة باللغة العربية من صنع الإدارة الفرنسية<sup>3</sup>. وكان لنشاط الصحافة الأوروبية في سكيكدة أثر في توجيه الجزائريين في الميدان الصحفي، بعدما بلغت تلك الصحف الاستعمارية في تعدادها أثناء فترة 1847-1939 ما يزيد عن 150 جريدة ما بين دورية ويومية، بينما لم تزد الصحف العربية عن 160 جريدة تصدر باللغتين العربية والفرنسية والمختلفة الاتجاهات.

وقد بدأت النخبة المثقفة بالفرنسية هذه الحركة الصحفية منذ القرن 20 م، وسرعان ما فتحت المجال واسعا للمثقفين باللغة العربية أيضا للدخول إلى المجال الصحفي، مستفدين من تأثيرات الصحافة العربية التي يتم جلبها من المشرق العربي عن طريق الحجاج، وتونس، والمغرب<sup>4</sup>. ويمكن القول بأنه لم تظهر أية صحيفة قوية تمثل الشيوعيين في عمالة قسنطينة، حيث تفوقت الصحف المحافظة والمعتدلة أو المتطرفة على الصحف اليسارية<sup>5</sup>.

ويسمح الإطلاع على الصحافة الأوربية الصادرة بسكيكدة بالتعرف على العقلية الأوربية والتطور الحاصل لهذه المجموعة المهيمنة على شؤون المدينة، كذلك يبين التنافس الشديد الذي كان قائما بين المستوطنين أنفسهم مهما اختلفت توجهاتهم السياسية ورغباتهم في الدفاع عن مصالحهم يكون بمراعاة متطلبات الأهالي المختلفة<sup>6</sup>.

إن قرارات قانون سنة 1881 المتخذة بشأن الصحافة الأجنبية قد طبقت على الصحافة العربية، بحيث لم تعد هناك ميزة بين الصحافتين الفرنسية والعربية، وخصوصا بعد ظهور مرسوم جوناو بتاريخ 06 نوفمبر 1908 الذي يقضي بإنشاء مصلحة القضايا المهمة بالصحافة العربية تحت مراقبة جوناو الذي عمل كل ما في وسعه للظهور كمشجع لإنشاء الصحف المحلية ظاهريا، ولكنه واقعا يهدف من وراء ذلك إلى الإطلاع على فكرة النخبة المثقفة الجزائرية النشطة، والعمل على إيجاد المساندة السياسية من لدنهم<sup>7</sup>.

<sup>1</sup>Ibid, p .498

<sup>2</sup> بن حسين كريمة، سيرتا، عدد1، المرجع السابق، ص 69-70.

<sup>4</sup> سلامي مليكة، الصحافة الجزائرية ابن الاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص.153.

<sup>5</sup> بن حسين كريمة، الحياة السياسية في قسنطينة من سنة 1930 إلى سنة 1839، رسالة للحصول على دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، إشراف توفيق برو، جامعة قسنطينة، 1984، ص 70.

<sup>6</sup> بن حسين كريمة، الحياة السياسية في قسنطينة، المرجع السابق، ص 54.

<sup>7</sup> سلامي مليكة، الصحافة الجزائرية ابن الاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص.163.

الاتحاد الكاثوليكي<sup>1</sup>: (حذفت كلمة فيليب فيل من العنوان يوم 8 مارس 1925) وهي جريدة نصف شهرية تصدر يوم الأحد، صدر أول عدد يوم 5 أكتوبر 1924 وكان آخر عدد يوم 24 جوان 1926. وتوزع الجريدة أساسا بمدينة سكيكدة وضواحيها، عدد صفحاتها أربعة أعمدة، تصور بالمطبعة الجديدة شارع قامبيطا بسكيكدة، وهي جريدة ذات صفة دينية لها 33 عددا ومقر إدارتها: دار الخدمات شارع الأرسنال من أكتوبر إلى مارس 1925، ومقر التحرير شارع الأميرال كوربي بسكيكدة<sup>2</sup>، من بين بعض مسيرها جون موسكا<sup>3</sup> مسير.

نشرة الملايين والجمعيات الفلاحية سكيكدة<sup>4</sup>: يحتوي كل عدد على 20 صفحة، تصدر بالمطبعة الجديدة الطريق الوطني بسكيكدة، توزع عبر كامل منطقة سكيكدة وتصدر أول يوم خميس من كل شهر. ظهرت هذه النشرة الفلاحية عام 1906، واستمرت لغاية عام 1928 (آخر عدد)، مقرها دار المعمر 68 الطريق الوطني سكيكدة من بين مسيرها: جون سارفي مسير، جوليان فوبار، سكرتير عام للجمعيات الفلاحية مسؤول الإشهار التجاري<sup>5</sup>.

المزارع الجزائري<sup>6</sup>: ظهرت بسكيكدة في ديسمبر 1891<sup>7</sup> يشرف عليها اندري تيري<sup>8</sup>، عضو نقابة الكروم بالمدينة له ملكيات واسعة بسانت شارل وفالي<sup>9</sup>.

يقظة سكيكدة<sup>10</sup>: جريدة جمهورية مستقلة صدرت في 23 مارس 1910، رئيس تحريرها الرئيسي سلفادور، دخلت هذه الجريدة في الصراع ضد سيطرة النظام المحلي الطاغي الذي يعتمد على مجموعة من العائلات والدفاع عن القضايا العادلة التي تهتم المواطنين المخلصين<sup>11</sup>.

سكيكدة<sup>12</sup>: هي جريدة رسمية نصف شهرية لدار المعمر بسكيكدة تصدر يوم السبت الأول والثالث من كل شهر، تحتوي على 6 صفحات، وتهتم الجريدة بشؤون الفلاحة، والمعمرين وصغار الملاكين، صدر أول عدد يوم 1 أبريل 1928، وآخر عدد في 3 مارس 1929.

<sup>1</sup> مترجم L'Union Catholique de Philippeville

<sup>2</sup> ديلمي عزوز، الصحافة الاستعمارية في عمالة قسنطينة خلال فترة ما بين الحربين 1919-1939، المرجع السابق، ص 90.

<sup>3</sup> جون موسكا Jean Musca

<sup>4</sup> مترجم Bulletin Comité et des Associations Agricole Philippeville

<sup>5</sup> ديلمي عزوز، المرجع نفسه، ص 91.

<sup>6</sup> مترجم L' Agriculteur Algerien

<sup>7</sup> Le colon 16 décembre 1891.

<sup>8</sup> اندري تيري André Théry مهندس فلاحي من مدينة موبيلي الفرنسية.

<sup>9</sup> Montoy, la presse, p.503.

<sup>10</sup> مترجم Le Reveil De philippeville

<sup>11</sup> Montoy, la presse, p.-607

<sup>12</sup> مترجم le Skikda

وتوزع جريدة سكيكدة بمنطقة سكيكدة، وضواحيها حيث يوجد لها مراسل رسمي في عزابة والحروش، وتصدر بمطبعة عطار<sup>1</sup> مقر إدارتها 68 الطريق الوطني سكيكدة بعض مسيرتها: جوليان قوبار المدير، ريمون ريبو رئيس التحرير<sup>2</sup>.

مستقل سكيكدة<sup>3</sup>: وهي جريدة أسسها هنري داروتي للدفاع عن طموحاته السياسية، كمثل لتيار الجمهورية الوطنية بالمنطقة وهو مالكا ومسيرها، هي جريدة المصالح الاقتصادية للمنطقة، وتعتبر جمهورية ديمقراطية من أول عدد صدر يوم 27 أبريل 1929 إلى 10 نوفمبر 1934 ثم جريدة جمهورية وطنية من 10 نوفمبر 1934 إلى آخر عدد صدر يوم 04 ماي 1935.

وتوزع الجريدة بمنطقة سكيكدة، تميزت بعدم انتظام صدورها التي ترتبط بالفترات الانتخابية المحلية، وتصدر جريدة مستقل سكيكدة بمطبعة عطار، مقرها 44 الطريق الوطني سكيكدة<sup>4</sup>.

الشعب<sup>5</sup>: هي جريدة أسبوعية اشتراكية SFIO توزع على مدينة سكيكدة فقط بصفتين، وهي جريدة للدعاية الانتخابية والدفاع عن التيار الجمهوري الاشتراكي المعادي للشيوعية، وصدر أول عدد لهذه الجريدة يوم 27 جوان 1929، وآخر عدد يوم 28 جويلية 1929، تصدر بمطبعة كوستانتين بسكيكدة، من بين أسماء مسيرتها دومينيك سيانفاراني من 27 جوان 1929 إلى 13 جويلية 1929، مديرها بول جاكلين، ومقر إدارتها النادي الجمهورية بسكيكدة<sup>6</sup>.

روسيكادا<sup>7</sup>: هي جريدة أسبوعية تصدر كل يوم سبت صباحا، حيث صدر أول عدد يوم 27 أبريل 1929، وآخر عدد يوم 20 جانفي 1941، توزع بمدينة سكيكدة وضواحيها، تصدر بالمطبعة الحديثة ج. شارفي، بصفتين ثم أربعة صفحات بعد 10 جانفي 1941، ثم جريدة مصالح المنطقة من 22 جوان 1929 إلى 20 نوفمبر 1942، وهذا بعدما كانت الجريدة منذ نشأتها مساندة لبول كيتولي تحولت إلى المصالح الجمهورية.

وظلت هذه الجريدة وفيه للخط الراديكالي والراديكالي الاشتراكي إلى غاية عام 1939، وفي عام 1941 انضمت إلى دعم حكومة المارشال بيتان، اهتمت بالأحداث الأوروبية والدولية أكثر من اهتمامها بانشغالات المنطقة، مقر إدارتها الطريق الوطني بين سنتي 1929-1932 ثم شارع كلمنصو بين سنتي 1932-1942<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> مطبعة ح. عطار Attard.j.

<sup>2</sup> ديلمي عزوز، الصحافة الاستعمارية في عمالة قسنطينة خلال فترة ما بين الحربين 1919-1939، المرجع نفسه، ص 92.

<sup>3</sup> مترجم L'Indépendant de Philippeville

<sup>4</sup> ديلمي عزوز، المرجع نفسه، ص 93.

<sup>5</sup> مترجم Le Peuple

<sup>6</sup> ديلمي عزوز، الصحافة الاستعمارية في عمالة قسنطينة، المرجع نفسه، ص 94.

<sup>7</sup> مترجم للاسم القديم لمدينة سكيكدة: le Rusicada

<sup>8</sup> ديلمي عزوز، المرجع نفسه، ص 95.

الجزائري لسكيكدة<sup>1</sup>: ظهرت بسكيكدة في 1 أوت 1880، وهي صحيفة جمهورية ترجع ملكيتها لصاحب مطبعة بونوا فايي<sup>2</sup> الذي يمتلك جريدة الزرامنة على رأس إدارتها قاسطون ليماي<sup>3</sup> إلى غاية 23 جانفي 1882، عرف بدفاعه عن بعض الشخصيات مثل طومسون قاسطون، لوسيار جورج، ريني ريكوس، وغيرهم<sup>4</sup>، توقف صدور هذه الجريدة في 6 جويلية 1885<sup>5</sup>.

الزرامنة: صدرت هذه الجريدة بدون انقطاع منذ عام 1850 وهي جريدة أسبوعية كل يوم سبت، صدر أول عدد يوم 15 ديسمبر 1850، وآخر عدد يوم 15 جوان 1929 نتيجة اختلاف بين صاحب الجريدة والمطبعة حيث توقفت نهائيا، وكانت تصدر بصفتين ثم أربع صفحات ما بين فيفري وديسمبر 1919، رفضت التطرق والخوض في النقاش السياسي وإبداء الرأي والاقتصار على نشر الأخبار الجهورية.

وتوزع جريدة الزرامنة بمنطقة سكيكدة والقل بما فيها منطقة الحروش وعنابة، وأشرف عليها بعض الأسماء منهم ألفريد هونتيري متصرف عام 1919، وشارفي من سنة 1919 إلى غاية 15 أفريل 1925<sup>6</sup>، مقرها 8 شارع الطريق الوطني بسكيكدة ثم في شارع فالي بين سنتي 1891-1900، بعدها شارع ريجيس بين سنتي 1900-1908<sup>7</sup>. وبعدها تمكنت الجريدة من سحب 10000 نسخة وزعت على كل مقاطعة قسنطينة، واستطاعت التفوق على الصحافة الاشتراكية المعارضة<sup>8</sup>.

وواصلت الصحيفة مسيرتها الاعلامية تحت ملكية بونوا فويي<sup>9</sup>، أعطت أهمية للاخبار والدفاع عن مصالح المنطقة مع التطرق للحياة السياسية في الميتروبول والتدخلات الفرنسية في المستعمرات<sup>10</sup>.

الإتحاد الديمقراطي<sup>11</sup>: هي جريدة صدر أول عدد منها في 14 جويلية 1892 بمبادرة من مجموعة هامة من مواطني المدينة، ومن بين مؤسسيها الإخوة ريكوس(ريني وألكسندر)<sup>12</sup> التي كان يرأس تحريرها أنجلي أنطوان سنتي 1892-1894<sup>13</sup>، كانت الجريدة تدافع عن مصالح سكيكدة 1919-1920 ثم من 1928-1938 كذلك أصبحت جريدة للدفاع عن المصالح التجارية والصناعية للمنطقة من 1920-1925، ثم أصبحت جريدة لائكية ديمقراطية اجتماعية بين سنتي 1925-1926، وجريدة للعمل

<sup>1</sup> مترجم الجزائري لفيليب فيل.

<sup>2</sup> Benoît Feuille شخصية فرنسية (1847-1898) مسير الزرامنة والجزائري لسكيكدة.

<sup>3</sup> قاسطون ليماي Lemay

<sup>4</sup> Montoy, la presse, p. 66.

<sup>5</sup> Montoy, la presse, p.67.

<sup>6</sup> ديلمي عزوز، المرجع السابق، ص 83.

<sup>7</sup> Montoy, Op Cit, P.8.

<sup>8</sup> Montoy, la presse, p..347

<sup>9</sup> بونوا فويي Benoît Feuille

<sup>10</sup> Montoy, la presse, p..235

<sup>11</sup> الإتحاد الديمقراطي l'Union Républicaine

<sup>12</sup> ألكسندر ريكوس Alexandre Ricoux 1841-1899، رئيس بلدية سكيكدة 1877-1881.

<sup>13</sup> Montoy, la presse, p..496

الديمقراطي والتطور الاجتماعي (ماي 1926-فيفري 1928)، وهي جريدة أسبوعية تصدر كل يوم خميس من 2 جانفي 1919 إلى 21 جانفي 1920، وكل يوم أربعاء من 28 جانفي 1920 إلى 02 فيفري 1938. واستمرت الجريدة 48 سنة من أول عدد بتاريخ 14 جويلية 1892 إلى آخر عدد يوم 02 فيفري 1936، توزع بمنطقة سكيكدة (القل، الحروش، عزابة)، عدد صفحاتها من صفتين إلى أربعة صفحات، طبعت في مطبعة ليون أومبران شارع ثيوفيل ريفيس سكيكدة من 1919-1924 ثم مطبعة عطار من جانفي 1924 إلى فيفري 1938، من بين مسيرتها: ليون أميران رئيس تحرير 1919-1920، جيل بوتيه المدير السياسي<sup>1</sup>.

الساحل (فيليب فيل) سكيكدة: جريدة أسبوعية تصدر كل يوم ثلاثاء صباحا توزع على كل المنطقة بأربعة صفحات، تصدر بالمطبعة البخارية، قسطنطينة ولوفو بسكيكدة، جريدة معتدلة لم تشارك في المعارك السياسية المحلية، والصراعات الفكرية والشخصية وركزت فقط على الأخبار .

وتعد صحيفة الساحل بمثابة جريدة للدفاع على مصالح المنطقة 1919 إلى 11 مارس 1930، صدرت في عام 1906، وتوقفت عن الصدور يوم 14 جويلية لتعود إلى الصدور سنة 1919، اختفت نهائيا عام 1930، بعض أسماء مسيرتها لويس قسطنطين متصرف 1919-1920.

السكيكدي<sup>2</sup>: وهي جريدة جهوية تدافع عن المصالح الاقتصادية للمنطقة، تصدر كل يوم سبت صباحا، وتوزع بسكيكدة والحروش، عدد صفحاتها أربعة، مقر إدارتها شارع قامبيطا وبقيت الجريدة ذات اتجاه راديكالي وراديكالي اشتراكي، ومن بين أسماء بعض المسيرين: جون كسي كلونا رئيس تحرير من 18 أبريل 1931 إلى 20 أوت 1939، وأوجان هوينقر مديرها من 02 فيفري 1935 إلى 26 أوت 1939<sup>3</sup>.

جريدة سكيكدة<sup>4</sup>: وهي جريدة سياسية اقتصادية أدبية علمية صناعية زراعية ومالية، مقرها نهج كارنو بالجزائر، صدر أول عدد يوم 02 أكتوبر 1921، وآخر عدد محفوظ (09) مؤرخ في 11 ديسمبر 1921. وكانت هذه الجرائد الأسبوعية موجهة أساسا للإشهار التجاري الجزائري، تصدر بمنطقة أمبار شارع بريس<sup>5</sup> الجزائر، تصدر بأربع صفحات وأحيانا ثمانية صفحات، تتطرق للأخبار الجهوية ومحاكاة العمالات الجزائرية، ومن بين مسيرتها: روني موزداي متصرف، شارل كويهيف مسير<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> ديلمي عزوز، المرجع نفسه، ص 84.

<sup>2</sup> مترجم (نسبة إلى المدينة) le philippevilleois

<sup>3</sup> ديلمي عزوز، المرجع نفسه، ص 86.

<sup>4</sup> جريدة سكيكدة مترجم la Gazette de Phillippeville.

<sup>5</sup> بريس Bruce

<sup>6</sup> ديلمي عزوز، المرجع نفسه، ص 87.

يقظة الشباب<sup>1</sup>: وهي نشرة شهرية للشباب الكاثوليكي لفيليب فيل (مجموعة شارل دي فوكو) شعار الجريدة (ورع، دراسة، عمل)، أول عدد صدر يوم 06 ماي 1923، وآخر عدد صدر في شهر فيفري 1924، وتوزع بمدينة سكيكدة فقط، عدد صفحاتها أربعة، تصدر بالمطبعة البخارية كوستانتين.

وتعتبر الجريدة وسيلة دعائية وترويج للكاثوليكية، وهي مرتبطة بتنظيم العمل الكاثوليكي للشبيبة الفرنسية، أصدرت عشرة أعداد، مقر إدارتها شارع القديس أوغسطين عام 1923 ثم انتقل شارع الأرسنال 1923-1924، وبعدها شارع غونود عام 1924.<sup>2</sup>

الشعب الاشتراكي<sup>3</sup>: جريدة نصف شهرية للدفاع عن المبادئ الاشتراكية لها أربعة صفحات، شعارها التوجه إلى المثالية. فتعد الجريدة لسان حال الحزب الاشتراكي الفرنسي الوحدوي-جون جوريس، مقرها 12 شارع الأوراس سكيكدة، تعد امتدادا لجريدة الشعب، صدرت من عام 1934 إلى غاية عام 1935، توزع في كل العمالات وتونس والمغرب<sup>4</sup>، تصدر بمطبعة كستانتيني، من مسيرها سيانفراني<sup>5</sup>.

لموتريكور<sup>6</sup>: جريدة يومية بصفتين، أول عدد صدر يوم 19 أبريل 1936 إلى آخر عدد يوم 28 أبريل 1936، توزع هذه الجريدة بمنطقة سكيكدة تصدر بمنطقة كستانتين بسكيكدة وهي جريدة دعائية انتخابية، صدرت لمساندة ترشيح إميل مورينو<sup>7</sup> للانتخابات التشريعية المعارض لمرشح الجبهة الوطنية، الذي من بين مسيرها ورئيس تحريرها، بينما تورني سكرتيرها، مقرها شارع رجيس بسكيكدة<sup>8</sup>.

صدي فيليب فيل<sup>9</sup>: وهي جريدة شهرية للدفاع عن مصالح سكيكدة والمنطقة من 12 جويلية 1942، ثم جريدة أسبوعية مستقلة للدفاع عن المدينة والمنطقة من 14 نوفمبر 1942، صدر أول عدد يوم 12 جويلية 1936، فيما آخر عدد عام 1942، توزع على كامل منطقة سكيكدة، وبقيت الجريدة تصدر بصفتين في الغالب، بالمطبعة الجديدة مارسيل نجيلي سكيكدة.

ورغم إعلان الجريدة الاستقلالية فإنها أبدت مساندتها للسيناتور بول كيتولي ورموز الحزب الراديكالي والراديكالي الاشتراكي، وتميزت بتخصيصها حيزا كبيرا للأخبار المحلية والرياضية، وتوزع مقرها بين شارع لاشابيل عام 1936، ثم نهج الماريشال بينان نوفمبر 1941 إلى نوفمبر 1942، من

<sup>1</sup> مترجم l'Eveil Des Jeunes

<sup>2</sup> ي عزوز، المرجع نفسه، ص 89.

<sup>3</sup> مترجم le Peuple Socialiste

<sup>4</sup> حسب الإشارات المرفقة في عنوانها

<sup>5</sup> ديلمي عزوز، المرجع السابق، ص 96.

<sup>6</sup> لموتريكور Le Tricolore

<sup>7</sup> إميل مورينو Emile Maurinaud شخصية سياسية فرنسية ولد بمدينة سكيكدة في 17 فيفري 1865 وترعرع فيها، خلال مرحلة شبابه 1865-1873، بعد استقرار عائلتهم بقاسطون فيل وجيماب وسكيكدة، نائب جمهوري اشتراكي ثم راديكالي حر بين سنتي 1898-1902 ثم 1919-1940، تولى رئاسة بلدية قسنطينة لفترة طويلة ثم اختتم مساره السياسي برئاسة بلدية جيجل، توفي بجيجل في 20 فيفري 1952، ينظر: Morinaud Emile, *Mes mémoires. 50 ans d'Histoire politique du département de constantine*, alger :éd baconniers frères, 1941, p.15-19.

<sup>8</sup> ديلمي عزوز، المرجع نفسه، ص 97.

<sup>9</sup> مترجم L'Echo De Philippeville



بين أسماء مسيريتها مارسيل أنجيلي مالك مدير نوفمبر 1938 لغاية نوفمبر 1942، ليون أوميران رئيس تحرير من 12 نوفمبر 1941 إلى 14 جويلية 1942، واستعانت بروائيين، من بينهم روبيرت أوبردوف<sup>1</sup>. الساحل<sup>2</sup>: حول عنوانه إلى ليتورال فيليب فيل يوم 13 جويلية 1937، وهي جريدة للدفاع عن مصالح دائرة سكيكدة، تصدر أسبوعيا كل يوم ثلاثاء، وأول عدد صدر عنها يوم 01 جوان 1937، وآخر عدد يوم 15 فيفري 1939. وتوزع الجريدة بمنطقة سكيكدة (القل، الحروش، عزابة) بأربعة صفحات، وتصدر بمطبعة ليتورال، وتولى الإدارة كوستانتين، وبقي مقرها 28 شارع ثيودور رجيس بسكيكدة، وهي جريدة ذات توجه راديكالي وراديكالي اشتراكي غير أنها ركزت عملها على الأخبار المتعددة عن الحياة السياسية، وتميزت باستعمال الصور والكاريكاتور<sup>3</sup>. كما يصدر عن هذه الجريدة ملحق يقترح للسياحين، وتقدم أعمال شعرية وأدبية محلية، بقيت تصدر بانتظام لغاية عام 1914<sup>4</sup>.

الكولون فيليب فيل<sup>5</sup>: جريدة سياسية التجأت إلى الجدل الكتابي، اعتبرت في فلك الحزب الراديكالي، من بين مسيريتها هنري فينات الذي حافظ على مسؤولية الجريدة لغاية عام 1897.

واعتبرت الجريدة عام 1893 راديكالية مستقلة رفضت التحالف مع ترشيح فور سيلوي خلال الانتخابات التشريعية، وساندت بدله المرشح كلود جيفري. ومنذ عام 1895 اتبعت الجريدة توجهات ضد اليهود، وأضحت رسميا في 20 ماي 1896 لسان حال الحزب الفرنسي، من مساعديها فينات، دي كوبري الكاتب السياسي، وقد تعرضت جريدة الكولون للتصفية القضائية في أكتوبر 1897<sup>6</sup>.

وعاشت الصحافة الاستعمارية طيلة الفترة الممتدة بين سنتي 1870-1914 تطورا ملحوظا جسدت تنوع الإصدارات وتزايدا معتبرا لعناوين الجرائد وصلت في ذروتها خلال السنوات العشرة الأولى من القرن 20م، حيث عرفت مدن عمالة قسنطينة نزعة نحو إصدار العديد من الجرائد من طرف المعمرين رغم طبيعتها المحلية ومحدودية سحبها وصغر مساحة تغطيتها، مستفيدة من قانون 29 جويلية 1881 الذي حرر الصحافة، سواء في فرنسا أو في المستعمرات<sup>7</sup>.

وكل هذه الجرائد عكست الوضع الذي عاشته الجزائر كمستعمرة عامة وعمالة قسنطينة بشكل خاص من صراعات مختلفة بين التيارات السياسية التي أثرت على الساحة المحلية آنذاك خاصة بين اليسار

<sup>1</sup> روبيرت أوبردوف Robert OBERDORFF روائي من مواليد العلة سانت أرنو بسطيف في 20 ماي 1932، أستقر بسكيكدة، صحفي بجريدة صدى سكيكدة ثم بريد قسنطينة، بعدها عمل بجريدة نيس الصباح، لغاية وفاته في 11 جويلية 2006.

<sup>2</sup> مترجم le littoral

<sup>3</sup> ديلمي عزوز، المرجع نفسه، ص. 98

<sup>4</sup> Montoy, la presse, p. 695

<sup>5</sup> مترجم Le Colon

<sup>6</sup> ديلمي عزوز، نفس المرجع، ص. 99.

<sup>7</sup> ديلمي عزوز، المرجع نفسه، ص. 09-10.

والقوى الرجعية المحافظة<sup>1</sup>، إضافة إلى التطاحن بين أصحاب المصالح سواء كانت شخصية أو اقتصادية، والمواجهات بين مختلف التيارات المتصارعة.

غير أن ثراء الساحة المحلية بهذا الكم الهائل من الجرائد سرعان ما بدأ يتأثر بمعطيات جديدة قبل عام 1914، حيث بدأ هذا الزخم يتراجع وبدأت العناوين تختفي دون سابق إشعار لكن في المقابل فإن بعض العناوين استطاعت أن تفرض نفسها في الساحة مستفيدة من زوال الجرائد الصغرى وتوفير عوامل موضوعية أخرى، وظهر ما يسمى بالصحافة الكبرى<sup>2</sup>.

أما بعد بعض الصحف<sup>3</sup> فتوقفت عن الصدور خلال الحرب العالمية الأولى نتيجة إفرزات الحرب وفقدان الجرائد لمعظم أسلوبها بسبب التعبئة العامة وعدم وصول المواد الأولية كالورق في وقته وارتفاع أسعاره، ورغم صعوبات فترة الحرب العالمية الأولى فإن جريدتي الزرامنة والرأي الجمهوري تأقلمتا مع ظروفهما.

بعد الحرب كان وقع الأزمة شاملا على كل تراب المستعمرة، ولهذا فإن معمرى سكيكدة وعماله قسنطينة ردوا بسرعة على كل محاولات فرنسا الإصلاحية في نمط العلاقة بين المستعمرة وفرنسا من جهة، وبين المعمرين والأهالي من جهة أخرى واعتبروها مساسا بمكتسباتهم رغم تواضعها.

وقد زاد في سماع صوتهم وتأثيرهم، وجود ممثلي عمالة قسنطينة كرئيس بلدية قسنطينة النائب إميل مورينو أو السيناتور بول كيتولي اللذان كانا يمتلكان أجهزة إعلامية كبيرة استطاعت التأثير في الرأي العام خاصة المعمرين منهم.

وفي فترة ما بين الحربين وجدت هذه الوسائل الإعلامية في الإصلاحات وما واكبتها من تحول للأهالي نحو المطالبة بحقوقهم بمختلف الوسائل المسموح بها آنذاك فضلا عن انعكاسات الأزمة الاقتصادية التي ميزت تلك الفترة، مادة إعلامية خصبة أعطت مبررا لوجودها ولمواصلتها<sup>4</sup>.

وساهمت النجاحات العالمية لقوى اليسار الشيوعية والاشتراكية في جعل اليساريين داخل المستعمرة لا يرون في الأحزاب اليسارية القديمة بمثابة المجال الأمثل للتعبير عن آرائهم وأفكارهم بل أن هذا المعسكر ذاته بات مقسما وبالتالي ساهم في خلق ظروف جديدة لظهور عدة جرائد يسارية سواء أكان ذلك خلال الحملات الانتخابية أو خارجها، كما تحولت نشراتهم إلى جريدة الشعب الحر<sup>5</sup> عام 1928 بمدينة سكيكدة. وساهم تشتت الراديكاليين أنفسهم إلى أقسام راديكالية، قيام الحزب الراديكالي الاشتراكي عام 1937 بإنشاء جريدته الخاصة مثله مثل الحزب الراديكالي المعتدل.

<sup>1</sup> Souriau Hoebrechts Christiane, *La Presse Maghrébine*, Paris, CNRS, 1975, P.72.

<sup>2</sup> ديلمي عزوز، المرجع نفسه، ص.11

<sup>3</sup> ديلمي عزوز، المرجع نفسه، ص.24-25.

<sup>4</sup> ديلمي عزوز، المرجع نفسه، ص.26-29.

<sup>5</sup> مترجم Le Peuple Libre

وجاء في العدد الأول من جريدة لايراش 2 أفريل (إن الراديكالية لم تكن في يوم ما حزبا منظما في عمالة قسنطينة لكنها تضم تيارا حول السيناتور بول كيتولي)، بينما عمد الحزب الراديكالي المعتدل إلى إنشاء أسبوعية خاصة به تعرف به وبمبادئه، وهي جريدة ليصور وهذا بتاريخ 1937.

ورغم تنوع الجرائد التي كانت في معظمها أسبوعية أو نصف شهرية فإنها لم تستطع أن تفرض نفسها على الساحة الإعلامية، فمن الناحية التقنية ظل معظمها يستعمل آلات وأجهزة طباعة ما قبل الحرب العالمية الأولى، وتصدر في شكل متواضع سواء من حيث الإخراج أو المضمون، ومعظم المواضيع تتم كتابتها من طرف أصحاب الجريدة أو مسيريهما مع الاكتفاء بذكر العديد من الأسماء المستعارة، وهي ظاهرة انتشرت بكثرة آنذاك.

تمكنت الجرائد الكبرى من تغطية الأحداث أثناء وقوعها مستفيدة من توفرها على طاقم مسير مستقر، الأمر الذي ساعدها على طرح عدة قضايا لذلك فإن الساحة الإعلامية بعمالة قسنطينة باتت حkra على القوى السياسية والمالية في ضوء الأزمات الاقتصادية المتلاحقة التي ميزت فترة ما بين الحربين مما جعل الصحف الصغيرة والمحلية تتجه نحو الزوال نهائيا، بينما حاولت اليوميات الكبرى إدخال بعض التنوع في مضمونها والاهتمام بما يجري في العالم من أحداث مما أدى إلى تطور اهتمامات المعمرين بالأحداث الخارجية لما أصبح لها من انعكاسات على مصالحهم<sup>1</sup>.

وكان لاستمرار المصالحة الجمهورية أثره في تطور الصحافة الإخبارية التجارية على حساب الصحافة الذائعية، فظهرت التكتلات الإعلامية لتأخذ حصة الأسد تحكم فيها أصحاب المال في مصير الصحافة من بينهم اليهود.

وعكست الصحافة الفرنسية حقيقة الصراع بين مختلف التيارات السياسية بسكيكدة حيث أولى الفرنسيون الصحافة عناية خاصة، فساهموا ماديا ومعنويا في بعثها وتطورها، وشجعوا القراء على دعمها وانتشارها، وأسندوا رئاسة تحريرها إلى رجال أكفاء ذوي ثقة لدى الرأي العام الفرنسي، بحيث حققت نجاحا كبيرا وأسهمت بنشاطها المكثف على عدد العناوين وتنوع المنشورات التي كانت تحتوي على الإعلانات والأخبار المحلية والعالمية والمقالات المختلفة<sup>2</sup>.

انتشرت الصحف المكتوبة بسكيكدة، وذلك بعد انتشار المطابع والمصادر المالية مما مكن من ظهور مجموعة من الصحف المحلية والتي تمارس نشاطها الإعلامي من أجل إثارة الرأي العام المحلي حول العديد من القضايا، لكن الحقيقة أن هذه غلب على نشاطاتها التوجهات السياسية والمصلحية نتيجة تحكم مموليها الكبار في مسارها حسب توجهاتهم الايديولوجية وطموحاتهم الشخصية لتولي المناصب في مختلف الهيئات السياسية والفلاحية.

<sup>1</sup> ديلمي عزوز، المرجع السابق، ص.32-34-36.

<sup>2</sup> بن حسين كريمة، الحياة السياسية بقسنطينة، رسالة الماجستير، المرجع السابق، ص.50.

فكانت الساحة المحلية منذ عام 1870 ولغاية نهاية الحرب العالمية الثانية تعج بالعدد الكبير من العناوين الصحفية الموزعة على أغلب التيارات السياسية السائدة في سكيكدة، انقسمت بين الصحف الدائمة التي عمرت طويلا، وتمكنت من البقاء رغم الصعوبات التي واجهتها من جهة، وبين الصحف المؤقتة من حيث وجودها من جهة أخرى<sup>1</sup>.

وبعد تطبيق قانون حرية الصحافة بفرنسا 29 جويلية عام 1881 في الجزائر بدأ يظهر تحرك خفيف للصحافة الجزائرية المسلمة يختلف عن الوضع السائد قبل عام 1881 الذي كان يحول دون أي نشاط صحافي يقوم به المسلمون، فلم تظهر الصحف التي تتولى الدفاع عن شؤون المجتمع الجزائري، رغم ذلك استغلت فرنسا بنود القانون الجديد لتمنع الصحافة الجزائرية الناشئة<sup>2</sup>.

وكرس قانون جويلية 1881 ونظم حرية الصحافة في فرنسا، وتم الاعلان على تطبيقه بسهولة في الجزائر لأنه لا توجد صحف باللغة العربية أو الموجهة من طرف الجزائريين المسلمين دون كسب المواطنة الفرنسية<sup>3</sup>.

فقد واجهت الصحافة الجزائرية التي كانت تصدر خلال الحقبة الكولونيالية تحديات كبيرة تمثلت في التشريعات الصحفية الفرنسية التي سنت قوانين ووضعت عراقيل أمام صدورها وتطورها كالضمان المالي والرخصة المسبقة مما أدى إلى اختفاء العديد من الصحف<sup>4</sup>.

نستخلص مما تقدم بأن النشاط الصحفي ظل محتكرا من قبل المجموعة الأوروبية وخاصة رجال المال والأعمال والسياسة وشكلوا احتكارات اعلامية في مجال الصحف المكتوبة باللغة الفرنسية، وتوزعت هذه الجرائد بين الصحف ذات وجود قصير وتشمل على أغلبها، بينما بقيت بعض الجرائد تتواجد في الأسواق المحلية والجهوية مستفيدة من توفر الدعم المادي والمالي وخاصة المطابع التي يحتكرها بعض المتعاملين. وأما التمثيل الأهلي فظل محدود النشاط والتأثير، ولم يعمر طويلا بسبب طبيعة النظام الاستعماري الاستغلالي الذي سيطر على الوضع في مدينة سكيكدة الكولونيالية والجزائر المستوطنة في شتى المجالات.

<sup>1</sup> Montoy, *Op Cit*, p.6.

<sup>2</sup> احدان زهير، *مدخل العلوم والاعلام والاتصال*، OPU، الجزائر، 1991، 86.

<sup>3</sup> Collot Claude, *Le Regime juridique De La Presse Musulmane Algerienne, Sommaire De La Revue Algerienne, 1964-1991, P.345.*

<sup>4</sup> بوزة صالح، وسائل الاعلام في الجزائر من الثورة إلى الاستقلال، مجلة الثقافة، عدد 108، ماي-جوان 1995، الجزائر، ص. 37.

## الخاتمة

ما يمكن استخلاصه من هذا العرض التاريخي الموسوم العمران والمجتمع في مدينة سكيكدة خلال الحقبة الاستعمارية 1838-1962، حيث رصدت هذه الدراسة مجمل التحولات السوسيوإقليمية التي مرت بها مدينة سكيكدة القديمة النشأة روسيكاد، وشهدت تغييرا في تسميتها إلى فيليب فيل، وحدثت تهيئة عمرانية ذات طابع أوروبي على مجالها القديم ليأخذ هذا المركز القديم بعدا استعماريًا ويكتسب تراثا عمرانيا حديثا، كنتاج مادي وصيرورة تاريخية أملت لها شروط مختلفة، بحيث قام بوضع مخططاته نخبة من المهندسين المعمرين من بينهم المهندس شارل مونتالون صاحب أكبر التصميمات المعمارية بالمدينة خلال النصف الأول من القرن 20م كالبنائات السكنية الكبيرة والشوارع الواسعة ومختلف المباني الخدمائية كالطرق والمدارس والمستشفيات والأسواق والأحياء مما ساعد على أحداث تهيئة جديدة للمدينة بنمط عمرانية مستحدث، ويمكن تلخيص أهم النتائج المتوصل إليها وتشمل مايلي:

أولا: تكمن أهمية المدينة في موقعها الإستراتيجي وموضعها الجغرافي الجذاب مما ساعد على تعاقب الحضارات على أرضها، من التواجد الفينيقي ثم الروماني لغاية خضوع هذا المركز للاحتلال العسكري الفرنسي 10 أكتوبر 1838 بقيادة الماريشال فالي حاكم عام الجزائر الذي عمل على جعلها تأخذ طابعا أوروبيا، بعدما أخذت تسمية جديدة (فيليب فيل) تمجيدا للملك الفرنسي لويس فيليب، وتم تهيئتها بسرعة على أنقاض بقايا المدينة القديمة(روسيكاد)، وتتوفر على البنائات الصحية لمواجهة أخطار الأوبئة المنتشرة على ضفاف أودية وسهول الصفصاف والزمانة من جهة، والمباني العسكرية من تكنات وأسوار ومداخل لحماية المدينة من هجمات الثوار المستمرة خاصة بين سنتي 1838-1870 من جهة أخرى، ومن جهة ثالثة توفير البنائات الجماعية والفردية لتشجيع الهجرة الأوروبية واستقرار المستوطنين الوافدين إليها من مختلف أصقاع أوروبا خاصة من الضفة الجنوب متوسطة، بحيث وفرت لهم أحياء داخل أسوار المدينة المحصنة خاصة من غربها.

ثانيا: بروز إدارة استعمارية تتحكم في تسيير دواليب الشؤون المحلية للمدينة التي حملت طابع البلدية ذات الصلاحيات الواسعة، الأمر الذي جعل المجموعة الأوروبية تتحكم في شأنها باستمرار، حيث غلب على مجالسها البلدية التمثيل الأوروبي ليبقى التمثيل الأهلي محدودا في الحقبة الاستعمارية.

وكان كل محافظي البلدية أوروبيي الأصل فرنسيي الجنسية، من أول رئيس معين بيشار دومبلي لغاية آخر رئيس منتخب روجي روث، مرورا بأسماء أخرى فيلار، ريجيس، ريني ريكوس، ألبيرت تيسيبي، وأوكتاف باسيريو، وبول كيتولي، وبول كريفو، وبقي الوضع على حاله رغم التحول الديموغرافي للفئة الأهلية المسلمة، خاصة الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية.

ثالثاً:ارتباط مدينة سكيكدة بظهيرها الريفي المشكل من مجموعة من القرى الاستعمارية المتركرة بدائرة سكيكدة خاصة حول وادي الصفصاف (سانت أنطوان، سانت شارل، قاستون فيل، الحروش) والمحيط القريب منها ففلة جيماب وقاستو وأوريبو إلى جانب براسبورغ، روبيرت فيل، وسيدي مزغيش والقل، حيث ظلت هذه المناطق تمدها بأدفاق من الهجرات السكانية نحوها ليتم استخدام المجال الحضري للمدينة كفضاء لتسويق منتوجاتهم أو التمويل باحتياجاتهم الضرورية منها أو للعمل في مينائها التجاري ومراكزها الفلاحية ومؤسساتها الصناعية.

وبقيت سكيكدة محافظة على طابعها الزراعي خاصة الكروم والحوامض المصدرة للخارج، إلى جانب المواشي، إذ يعتبر ميناء سكيكدة أول ميناء مصدر للماشية في الجزائر، هذا رغم تحوله التدريجي نحو الميناء البترولي حيث بقي هذا المرفأ يشكل أكبر ممول للإقليم الشرقي.

رابعاً:نشأة الأنشطة الخدماتية المتعددة الأوجه بواسطة الجاليات الأوروبية المتوافدة على سكيكدة، حيث اكتسبت هذه المدينة الكولونيالية فضاءات متنوعة للحرف التي أدخلت عبر ممارسيها الجدد أو بالوراثة عن طريق الحرفيين المنتقلين إليها من أجل تحسين وضعيتهم المهنية والاجتماعية والاقتصادية، حسب خصوصية كل فئة أو طائفة أو عائلة وافدة على سكيكدة للاستقرار والعمل وممارسة نشاطها الذي تعتمد عليه لضمان وضعية معيشية أفضل، وهذا ما يترجم حقيقة هذا المجتمع الدخيل المتأقلم مع متغيرات المكان والزمان.

خامساً: تأثر عمران مدينة سكيكدة بالنمط الأوروبي الغربي المشكل لمعظم نسيجها المعماري الذي تم تجسيده في المباني العسكرية والمدنية والدينية والفنية المقامة داخل محيط المدينة وأطرافها بشكل يتوافق مع طبوغرافية الموضع (الانحدارات، والمرتفعات) وطابعها المتوسطي، وهي موزعة بين المباني الجماعية والفردية وحتى العشوائية التي انتشرت في نهاية الحقبة الاستعمارية المخصصة عموماً للأهالي المسلمين الذين استقروا في المناطق الهامشية في الغالب.

وقد حملت الشوارع والأحياء والساحات والحدائق والممرات المتركرة بالمدينة، أسماء لشخصيات فرنسية لقادة عسكريين أو شخصيات سياسية فرنسية أو لرؤساء سابقين لبلدية سكيكدة (فيلب فيل) مع إطلاق تسميات تاريخية أو مستمدة من منطقة تواجد المدينة أو مدن أخرى أو نواحي أخرى، وغلبت الأسماء التي تمجد الانتصارات العسكرية الفرنسية في أوروبا عامة وإيطاليا على الخصوص.

لقد أحيط مركز سكيكدة القديم باهتمام متواصل من لدن السلطات الفرنسية التي عملت على تقوية دفاعاتها المحصنة، حيث أحيطت بثلاثة أبواب (باب قسنطينة، باب الأوراس، باب سطورة).

وارتبط المجال العمراني للمدينة بثقافة الأفراد الوافدين إليها وتصورات مهندسيها وهذا ما انعكس على نمطها العمراني حيث حصل تحول في نسيجها المعماري المتميز بمظاهر حضرية متعددة الثقافات

(الفرنسية، الأوروبية، الاستعمارية، المتوسطية، المغربية الأندلسية)، بشكل يجعلها تستجيب لتطور المدينة في شتى المجالات.

ساعد هذا الوضع المتغير في اختيارهم لأسماء الشوارع والأماكن والمعالم التي تستجيب مع تاريخهم وأمجادهم، فقد استعمل الفرنسيون التسميات المستمدة من التراث المحلي ولم يهملوها، وركزوا في الرموز عليها في تسمياتهم الجديدة، في محاولة إحياء العهد الروماني لتبرير وجودهم في الجزائر، باعتبار أن مركز المدينة القديم من بقايا الوجود الروماني.

ويبرز من خلال هذه التسميات المتداولة ذات الدلالات الفرنسية التي جاءت ضمن سياسة الفرنسة الكاملة للمحيط الاجتماعي الجزائري، حيث تحولت أسماء الشوارع والمساحات العامة والمعالم الأثرية، وأسماء المدن والقرى من أسمائها القديمة إلى أسماء دخيلة، ومن بين الأسماء المنتشرة بشوارع المدينة ترجع إلى أسرة الملك الفرنسي لويس فيليب وأسماء معارك ومواقع في أوروبا (أوستارليز، مارينفو، مالاكوف، ماجينتا، أركول) تعد من الشوارع الرئيسية المركزية التجارية لمدينة سكيكدة الذي يفصل مجموعة من الشوارع الفرعية، استمرارية الواجهات، بعض الخدمات الأساسية مثل الفنادق، المطاعم، المقاهي، البنوك، الحانات، دور السينما، قصر العدالة.

سادسا: إن البحث عن طبيعة العلاقة السائدة بين مختلف الفئات الاجتماعية المشكلة لسكان مدينة سكيكدة يبرز التفاوت الواضح في الدخل والتشغيل والتعليم والتمثيل الجمعي والنقابي والسياسي تؤكد الفجوة العميقة التي تفصل بين الجاليات الأوروبية المهيمنة على الحياة المحلية للمدينة في شتى المجالات من جهة والمجتمع المسلم المهمش من جهة أخرى وهي من انعكاسات السيطرة الاستعمارية على المدينة. وتتضح في النشاط السياسي للأحزاب الفرنسية بالمدينة، وأهم اتجاهاتها وشخصياتها وتأثيراتها المختلفة على مجرى الأحداث، ويقابل التمثيل القوي للأوروبيين بسكيكدة في مختلف المجالس المحلية ضعف عددي لممثلي المسلمين الجزائريين بها مما تطلب توسع النشاط السياسي لمختلف تيارات الحركة الوطنية الجزائرية بالمدينة للدفاع عن حقوق الأهالي لذلك برز جيل نضالي تشكل من دعاة الاستقلال، ومن رواده حسين لحول وموسى بوالكرو، عبد الله تومي ومسعود كبران وغيرهم، بعدها تحولت المدينة لمركز هام للنشاط الثوري عقب أحداث 20 أوت 1955 التي شهدتها مناطق ومدن وقرى الشمال القسنطيني، حيث نتجت عن هذه التطورات ظهور قطيعة نهائية بين المجموعتين الأوروبية والمسلمة، وهي تعد نقطة اللارجعة للوجود الاستعماري في مدينة سكيكدة.

سابعا: تمكن دراسة المراكز العمرانية القديمة من إظهار التحولات المجالية لموضع سكيكدة وإبراز المتغيرات الحضرية لمركز المدينة ومعرفة المعالم العمرانية لهذا المركز الأوروبي الذي شكل على أنقاض آثار مدينة روسيكاد، وتم الاعتماد في إنجاز نسيجها المعماري على المواد المتبقية من أطلالها.

نلاحظ بأن تأسيس مدينة سكيكدة (فيليب فيل) ساعد إلى حد كبير في إخراج مركزها القديم من العزلة التي كانت تعاني منها لفترة طويلة منذ تهديم المدينة الرومانية من طرف الوندال، ونسجل رغبة فرنسية لاستغلال وإحياء هذه المدينة التاريخية وجعلها أوروبية الطابع من حيث مجتمعها وعمرانها، حيث شهدت المدينة تغييرا جوهريا في التهيئة المجالية الأمر الذي أمكنها من وضع مخططات عمرانية مختلفة من مرحلة لأخرى، وأصبحت تتميز بعدد وظائفها التجارية والاقتصادية.

اكتسبت سكيكدة خلال الحقبة الكولونيالية ثراتا عمرانيا أوروبيا وضع ركانتها مهندسون معماريون تعاقبوا على المدينة وتمكنوا من تصميم العديد من المشاريع السكنية والعمومية والعسكرية وغيرها، الأمر الذي أكسبها نسيجا عمرانيا متعدد الوظائف حيث انتقلت من وظيفتها الزراعية والتجارية نحو الخدمات السياحية مع ظهور اهتمام متزايد بالقطاع المنجمي الصناعي، خلال نهاية الوجود الاستعماري. لقد أثر النظام الاستعماري السائد بسكيكدة في إقصاء الفئات الأهلية باستمرار حيث وجدوا أنفسهم يعيشون في أحياء مكتظة بالسكان يتغلب الصفيح على منظرها، مجتمع هش عانى من التهميش بتمثيل محدود في المجالس المحلية مما ساهم في حدوث اضطرابات خطيرة على الوضع السائد في المدينة.

ويمكن اعتبار إضراب ميناء سكيكدة عام 1910 إحدى أهم المظاهر الدالة على رغبة السكان الأهالي في الدفاع عن حقوقهم في العمل والسكن والتمثيل.

تعد الحقبة الكولونيالية، مرحلة توسع عمراني في مجال المركز القديم للمدينة التي لها ارتبطت بظهيرها الريفي لهذا استغلت وظائف المدينة المتعددة لخدمة أغراض المستعمرين لا سيما في المجال الفلاحي بحيث اعتبرت ذات فائدة اقتصادية، وحيوية.

إن التحولات الجذرية التي غيرت المجال العمراني لمدينة، وجعلتها تأخذ طابعا حضريا أوروبيا من حيث مبانيها السكنية وأبوابها المحصنة وشوارعها المتعددة وأحيائها الأوروبية ذات الأسماء الفرنسية تمجد التاريخ الفرنسي العسكري لأهم المعارك التي أنتصر فيها الجيش الفرنسي وخاصة في إيطاليا أو لشخصيات عسكرية وسياسية فرنسية (فالي، نيقريه، قالبوا، قامبيطا..)، وحتى للرؤساء الأوروبيون السابقون بلدية سكيكدة.

وتطرقنا لعمران المدن، وصولا إلى مسارها التطبيقي في مدينة سكيكدة، الذي أنصب على تقديم السياق السوسيو تاريخي لسيرورة الهندسية المعمارية في الجزائر في بعديها الكولونيالي، نحو اهتمام أكثر بالأبعاد السوسيوثقافية. ومن ثمة تناولنا جوانب من البحث السوسيوعمراني من خلال إبراز الحدود المهنية للمساهمة السوسيوولوجية وأنواع الأدوار المتباينة تبعا لتباين أنماط المشاريع المبرمجة وما قد يقتضيه كل نمط من شكل معين للتدخل دون غيره.



وتشكل هذه المقاربة السوسيولوجية التي عالجت فيها جانب من إشكالية الفاعلين الاجتماعيين في الوسط الحضري وخصصنا بها فئة صانعي الأنماط المعمارية والعمرانية في الجزائر ومن ورائهم الهندسة ككل التي باتت اليوم تعد إحدى الحقول المهمة في أبحاث ودراسات علم الاجتماع الحضري، حيث أدى تصاعد هذا النوع من الممارسة إلى لفت اهتمام الباحثين المهتمين، ولاسيما في أعقاب الحرب العالمية الثانية والشروع في إعادة أعمار أوروبا وفقاً للمبادئ العمرانية الأساسية التي كرسها ميثاق أثينا منذ سنة 1933 واقعا، بشكل كان يتنافى كلية مع الاتجاهات الناشئة في المجتمعات الحديثة.

فالمدينة الكولونيالية الفرنسية هدمت المدينة القديمة وأثارها، ووضع الفرنسيون اجمل عمارتهم التي تنضح بأوروبيتها الهندسية، لتأتي فيما بعد عمارة مهجنة تجمع بين التشكيل العمراني العربي وبين الهيمنة الهندسية الأوروبية بتفاصيلها الإيقاعية المنتظمة، كما هو حال المدن العربية التي تأثرت بالعمران الفرنسي في القرن 19م، كان لهوسمان عمدة بلدية باريس في منتصف القرن 19م والفترة التي تلتها تأثير كبير، فقد قام بنخطيط الجزائر الكولونيالية في نفس الفترة تخطيط هوسمان بصري جمالي بشكل حاد يعتمد على الطرق الإشعاعية التي تلتقي في مراكز تشكل ميادين المدينة وساحاتها لذلك نجد النهاية الحادة المثلثة الشكل منتشرة في الجزائر وكأنها علامات بصرية أساسية، وكانت فكرة هوسمان تعتمد على إيجاد الروابط أو المفاصل الحضرية التي تربط المدينة ببعضها البعض بصريا وفراغيا وبذلك يتشكل الفضاء الحضري في اذهان الناس عبر هذه الروابط التي تعطي المدينة نكهتها، وتحيط بها لايمكن ان ننكر ان العمارة الفرنسية في الجزائر جميلة ومثيرة لولا انها عمارة ظالمة تعبر عن فترة قاتمة في تاريخ هذه المدن، رغم أنها لها نقاط تواصل تحيط بها مبان عملاقة مثل النزل البلدي، محطة القطار، المسرح البلدي، البريد المركزي، قصر بن قانة التي بنيت من طرف الفرنسيين على الطراز العربي ليبدو تحفة معمارية غير متكررة.

وحاول الكولونياليون الفرنسيون، أن يُسَقِّطوا فوق نسيج المدينة القديمة، نسيجاً مدينيّاً منقولاً عن مدنهم، معتمدين الفكر المديني والمعماري الهوسماني الذي ترك، آنذاك أثراً بالغاً في معظم المدن الأوروبية. بنيت المدينة الكولونيالية حسب التسلسل التاريخي لتوجد لأول مرة في تاريخ الجزائر مفهوم المدينة الطبقيّة فهناك مناطق للعمامة ومناطق لذوي النفوذ، لأن الفرنسيون أدخلوا في المدينة بعض عناصر التجديد، كالشوارع العريضة، ومواد البناء المصنّعة.

فقد شهد إقليم دائرة سكيكدة تحولا في الهيكل الاقتصادي العميق لمراكز وادي الصفصاف، بين مركز الحروش لغاية سكيكدة، مرورا على قرى أخرى استحدثتها السلطات الاستعمارية من أجل استغلال العقار الفلاحي الذي تتمتع به هذه المراكز الحيوية، واستخدام الظهير الريفي لمنطقة سكيكدة

الغني بشبكة هيدروغرافية التي يشكلها بشكل مكثف ومتواصل، ونمت بهذه المناطق الزراعية منتجات فلاحية وفيرة يعكس درجة الاستغلال الاقتصادية المتزايدة لها.

عرفت سكيكدة توطين العديد من المشاريع الحضرية (الإسكان، الصناعة، والخدمات) لمواجهة التطور الديموغرافي السريع، لهذا امتد المجال العمراني للمدينة خارج أسوارها نحو ضواحيها بشكل وسع من رقعتها الجغرافية ووظائفها المتعددة.

لعل ما استنفذناه من طاقة لإنجاز هذا البحث لا يعد سوى لبنة أولى نحو أعمال أخرى مكتملة لدراسة المدينة بشكل معمق تحيط بجوانب متعددة لتاريخ المدينة تستغل فيها وثائق أخرى موجودة في مختلف مراكز الأرشيف والبحث داخل الجزائر وخارجها.

ان استعراضنا لهذه المقاربة التاريخية حول العمران والمجتمع في مدينة سكيكدة خلال الحقبة الكولونيالية لدراسة التوسع العمراني والتركيبية الاجتماعية الذي يندرج ضمن دراسات التاريخ الاجتماعي لمدينة مازالت لم تندثر نهائيا، إذ بقي مركزها القديم المشيد أثناء الاحتلال الفرنسي محافظا على مجاله العمراني المتشكل من الشوارع والأحياء والمرافق العمومية الذي يعاني من التآكل، وتبقى سكيكدة حاليا محتفظة بالمعمار الموروث عن الحقبة الاستعمارية الذي طاله التهديم والإهمال.

فالوضعية الراهنة للمركز القديم للمدينة يتميز بظاهرة التدهور والتداعي المستمر، إذ يعاني من إحتقان وظيفي وحظيرة سكنية مهددة بالأنهيار مع وجود كتل مبنية مهدمة بالحي النابوليتاني .

إنه من الضروري الوقوف في وجه هذا التدهور والاهمال لمباني المركز القديم التي تستدعي الاهتمام والعناية بمعالمها التاريخية وأنسجتها العمرانية المميزة للهيكلية المجالية لمدينة سكيكدة، وتتطلب وضعية مبانيها حماية هذه الأنسجة الحضرية من التلاشي ومحاولة وضع مشروع تهيئة مبرمجة من طرف هيئات متخصصة في تقنيات الترميم والتجديد والإصلاح وبوجود مختصين في الهندسة المعمارية والجغرافية الحضرية لتفادي التدخلات العشوائية وإعادة احياء هذا المركز التاريخي وتنظيمه والحفاظ على هيكله العام وتراثه المعماري أنيا ومستقبليا.

فهرس الأعلام

أعلام المدن والبلدان

-أ-

المغرب 6-15-20-21-39-	الزرامنة 27-30-39-45-69-	الرومان 4-12-15-18-23-
42-183-253-289-294-	87-88-90-92-96-102-	26-88
الأوراس 158-177-198-	109-151-158-169-	المكسيك 192-
224-242-251-	البليدة 25-93-263-284-	الشلف (أورليان فيل) 239-
الموصل 6-	الجزائر 2-6-13-17-20-24-	الثعابنة 27-41-81-
المنستير 10-	25-28-31-32-35-40-41-	المجاجة 27-41-81-
القل 16-18-22-23-24-25-	42-43-47-54-55-56-57-	الميلية 238-
26-27-32-36-39-41-46-	58-59-60-63-64-65-66-	أولاد عطية 41-
70-87-150-210-280-	68-75-163-164-165-	ايرلندا 70-
295-	169-170-173-175-176-	استراليا 182-
القالا 28-42-165-281-	180-181-182-183-185-	أمجاز الدشيش روبرت فيل 33-
القدس 158-	186-187-192-195-196-	35-96-169-189-
الألزاس 63-	201-203-205-210-211-	أحمد بن علي بابار - 90-
اللورين 63-	213-214-216-218-221-	اسطنبول 6-
الحدائق (سانت انطوان) 34-	223-224-225-227-228-	اسبانيا 67-70-257-
40-60-77-96-111-126-	229-231-232-238-240-	انجلترا (بريطانيا) 70-283-
134-211-280-	241-243-247-250-251-	إفريقيا 10-15-17-18-20-
الرباط 6-	253-254-256-259-260-	21-23-53-116-119-183-
الاسكندرية 7-12-	263-266-269-270-271-	200-202-217-227-230-
المدية 25-	273-274-275-276-278-	231-283-
القبروان 6-7-	281-283-284-285-286-	أوروبا 8-9-54-57-70-94-
الصفصاف 11-12-14-17-	286-287-292-293-298-	96-173-
18-23-27-33-39-41-45-	الحروش 28-29-33-46-71-	ايطاليا 8-162-163-257-
69-88-90-92-96-118-	96-111-169-177-280-	امريكا 221-283-
169-177-179-189-	189-192-293-295-	المانيا 8-218-
العالية 243-	اليونان 70-148-	
الزفراف 87-91-109-243-	البرتغال 70-	

-ب-

بجاية 7-19-21-22-2-160-	باريس 8-13-31-54-64-	بني مهنة 24-26-27-31-81-
177-208-224-284-	114-157-178-270-	39-41-45--169-
بارو رايمون ممرات 169-	245-286-	بني بشير 27-81-280-
باتنة 12-208-281-	بيروت 12-	بني هلال 21-
بسكرة 12-24-224-	بولونيا	بني سليم 21-
	برج بوعريبيج 261-224-	بلجيكا 70-
	برازافيل 232-	

-ت-

تابسا 15-	تلمسان 253-275-	توسكان 67-
تونس 6-10-112-177-	تبسة 19-	تنس 190-
192-253-289-294-	تلمسان 66-	

-ج-

جيبل 17-19-24-25-
32-70-160-

المجتمع والعمران في مدينة سكيكدة 1838-1962

جنوة 12-

جبل طارق 12-

-د-

دامريمون حمادي كرومة 26-33-

40-60 -77-134 -211-280

-284-

-ر-

روما 17-18-19-

روسياكادا 12-13-14-15-

16-17-18-19-25-30-31

-89-90-280-291-

رمضان جمال (سانت شارل) 33

-40-55-96-111-169-

177-189-284-

روسيا 70-

رجاة 31-41-45

-ز-

زردازة 40-177-

زوواقر وراف 25-

-س-

سطورة 11-13-14-15-16-

17-23-25-26-27-28-29-

31-32-39-60-90-93-

115-133-134-150-162-

163-164-165-188-192-

284-

سيرتا 15-17-19-20-

سطيف 158-167-280-

سردينيا 67-164-

سوسة 10-

سولفرينو 157-

سمرقند 6-

سوق أهراس 225-

سكيكدة 11-12-13-14-15-

16-17-19-20-21-22-23-

سكيكدة 25-26-27-29-30-

31-32-35-36-38-39-41-

45-48-50-52-55-56-61-

63-65-67-69-70-71-72-

73-74-75-77-78-80-81-

84-85-88-90-93-94-96-

98-101-103-107-108-

112-114-116--122-123-

126-127-129-132-134-

135-142-144-146-148-

150-151-154-155-156-

158-160--161-162-163-

164-167-169-170-173-

174-176-177-179-181-

183-184-186-187-188-

سكيكدة 189-190-191-192-

193-195-196-197-198-

201-204-205-206-207-

210-211-214-218-219-

220-222-224-226-227-

229-231-234-237-239-

241-242-243-244-245-

246-248-251-254-256-

259-260-262-264-265-

266-267-269-272-276-

279-281-283-284-287-

288-290-292-195-198-

-ص-

صالح بوالشعور قاسطون فيل 34

-35-40-55-96-111-

169-177

صقلية 162-164-257-

-ط-

طرابلس 7-

-ع-

عنابة (بونة) 7-14-19-20-

21-25-26-27-28-31-

32-33-36-42-55-77-

المجتمع والعمران في مدينة سكيكدة 1838-1962

-201-187-173-129  
-275-264-260-244  
-292-286-280  
عزابة (جيماب) 34-46-55-  
-238 -244 -210 -90  
-295-284-280  
عين بوزيان (كول الزيتون) 96-

-غ-

غرناطة 6-

-ف-

فلقة 60-90 -280-243-198  
فيشي 48-258-282-218  
-220  
فرجيوة 41-  
-215-213--211-206-200  
-234-226-225-218-217  
-276-273-269-249-244  
-250-233-232-286-281  
-286  
فيليب فيل 25-39-55-87-90-  
-193-169  
فرنسا 8-31-36-48-58-63-  
-171-170-169-115-70  
-195-187-182-178-175

-ق-

قرطاجنة 19-20-  
قرطبة 6-  
قالمة 25-28-238-244-  
قسطنطينة 2-12-15-18-22-  
-30-28-27-26-25-24-23  
-50-41-39-36-35-33-31  
-70-63-62-61-56-55-52  
-102-100-91-87-80-72  
-145-129-126-116-103  
-175-169-167-162-148  
-190-189-188-187-177  
-197-196-194-193-191

-ك-

كتامة 21-  
كورسيكا 48-162-163-  
-223-261-260-164

-ل-

لبنان 7-  
ليون 249-

-م-

مستغانم 190-  
مصر 6-  
مراكش 6-  
مارسيليا 12-115-249-  
مالطا 65-67-70-257-

-ن-

نوميديا 12-15-16-17-19-25-  
-188-157-96  
نابولي 12-126-  
نابل 112-

-و-

وهران 25-61-66-68-187-201-  
-284-223-

فهرس الاعلام:

- أوساريس بول 244-246-  
ابن خلدون عبد الرحمان 7-22-43-  
ابن باديس عبد الحميد 278-  
الادريسي 15-  
البكري أبو عبيد 23-  
القديس أو غسطين سانت 147-155-194-  
الوزان حسن 23-  
العيفة محمد 241-  
الغسيري محمد 277  
العربي التبسي 278-  
اينياس لايبلا 207  
أبردوف روبيرت 295-  
استورغ بول 207-  
اناتول فرانس 208-230-280-  
أباب جورج 252-  
اشياري اندري 233-  
أميران ليون 293-295-  
بطليموس 14-17-  
بارو 116-129-132-  
بن اينال السعودي 36-  
بن مهدي العربي جان دارك 95-102-116-263-208-  
بن بولعيد مصطفى 142-150-  
بوالكروة موسى 237-238-249-  
بيشار دامبلي غوستاف 211-212-  
بيتان فيليب الماريشال 218-220-29291-5-  
برتراند لويس 92-  
برنار سيمون الجنرال 26-  
بودالي 227-  
بوقادوم مسعود المدعو الحواس 238-264-  
بوقادوم بشير 241-245-264-  
بن سليمان محمد 269-  
بن حبيلس شريف 276-  
بوصوف عبد الحفيظ 239-  
بوضياف محمد 235-241-  
بيدو الجنرال 33-35-  
باقي محمد 234-  
باسيريو أوكتاف 221-223-227-  
باردي قاسطون المهندس 130-  
تيسيبي ألبيرت 226-227-  
توكفيل ألسكي 68-  
تومي عبد الله 231-  
جفال رايح 242-  
جونار شارل 105-269-276-289-  
جافري جون 207

## المجتمع والعمران في مدينة سكيكدة 1838-1962

- جوان الماريشال 68-
- حمر العين أحمد 235-
- حمادي كرومة 241-242-245-
- حشاني ابراهيم 241-
- حربي محمد 231-243-249-
- ديب الخالدي 288-
- دومال الدوق 33-36-93-146-156-272-
- داروتي هنري 199-222-291-
- ديدوش مراد 92-97-98-110-113-114-115-142-146-150-196-242-244-245-
- دي بورمون 25-
- دماغ العتروس العربي 238-
- روسو جان جاك 8-
- روث روجي 221-226-263.
- رينوكس هنري 134-
- ريسبولي مارسيل 234-
- ريمون اينار المؤرخ 121-
- ريكوس ريني 221-223-
- رينوكس هنري 283-
- زيغود يوسف 113-115-244-247-252-
- زغود سي 227-
- سعدي فاطمة 252-
- سيانفراني دومينيك 207-208-294-276-281-223-224-291-
- سولت الماريشال 182-
- سانت مارتان ايمليان 219-
- سيوتيس لوسيان 207-
- سيدار لوسيان 221-
- سوستيل جاك 244-250-
- شوفالييه جاك 129-226-240-
- شرقي براهيم 235-
- صولال ادوارد الجغرافي 93-
- طبوش علي 235-
- عبد النور علي 144-
- عبادة بلقاسم 269-
- عصامي محمد 231-
- عباس فرحات 231-234-239-244-253-
- غدروج مسعود 235-241-243-249-
- فار شارل 15-
- فيناش 15-94-210-
- فيري جول 215-270-272-274-280-
- فيلار فرديناند ماري 221-
- فوش الماريشال 157-
- فالي سيلفان الماريشال 26-27-28-29-30-31-32-33-78-92-94-114-123-134-143-144-148-154-
- 211-280-292-
- فيرو شارل 2-
- فور ادغار 250-

## المجتمع والعمران في مدينة سكيكدة 1838-1962

- 25 فوارول الجنرال
- 231 فيلاي عبد الله
- 234 فاضل محمد
- 293-290-154-146 قامبيطا ليون
- 239-234 قاتي محمد
- 132 قاتي برهان الدين
- 142 قالبوا الجنرال
- 243 قديد محمد
- 243 قيطاري عمار
- 264 قروسو جول
- 288 قدة الطيب
- 292 قاسطون طومسون
- 297-251-233-227-226-225-224-222-221-220-218-261-215-211-210-209-208-207-206-205-204-203-202-201-200-199-198-197-196-195-194-193-192-191-190-189-188-187-186-185-184-183-182-181-180-179-178-177-176-175-174-173-172-171-170-169-168-167-166-165-164-163-162-161-160-159-158-157-156-155-154-153-152-151-150-149-148-147-146-145-144-143-142-141-140-139-138-137-136-135-134-133-132-131-130-129-128-127-126-125-124-123-122-121-120-119-118-117-116-115-114-113-112-111-110-109-108-107-106-105-104-103-102-101-100-99-98-97-96-95-94-93-92-91-90-89-88-87-86-85-84-83-82-81-80-79-78-77-76-75-74-73-72-71-70-69-68-67-66-65-64-63-62-61-60-59-58-57-56-55-54-53-52-51-50-49-48-47-46-45-44-43-42-41-40-39-38-37-36-35-34-33-32-31-30-29-28-27-26-25-24-23-22-21-20-19-18-17-16-15-14-13-12-11-10-9-8-7-6-5-4-3-2-1
- 205 كريفو بول بانكي
- 252-247-225-205-204-203-202-201-200-199-198-197-196-195-194-193-192-191-190-189-188-187-186-185-184-183-182-181-180-179-178-177-176-175-174-173-172-171-170-169-168-167-166-165-164-163-162-161-160-159-158-157-156-155-154-153-152-151-150-149-148-147-146-145-144-143-142-141-140-139-138-137-136-135-134-133-132-131-130-129-128-127-126-125-124-123-122-121-120-119-118-117-116-115-114-113-112-111-110-109-108-107-106-105-104-103-102-101-100-99-98-97-96-95-94-93-92-91-90-89-88-87-86-85-84-83-82-81-80-79-78-77-76-75-74-73-72-71-70-69-68-67-66-65-64-63-62-61-60-59-58-57-56-55-54-53-52-51-50-49-48-47-46-45-44-43-42-41-40-39-38-37-36-35-34-33-32-31-30-29-28-27-26-25-24-23-22-21-20-19-18-17-16-15-14-13-12-11-10-9-8-7-6-5-4-3-2-1
- 61 كريميو أدولف
- 144-278-262-261-260-259-258-257-256-255-254-253-252-251-250-249-248-247-246-245-244-243-242-241-240-239-238-237-236-235-234-233-232-231-230-229-228-227-226-225-224-223-222-221-220-219-218-217-216-215-214-213-212-211-210-209-208-207-206-205-204-203-202-201-200-199-198-197-196-195-194-193-192-191-190-189-188-187-186-185-184-183-182-181-180-179-178-177-176-175-174-173-172-171-170-169-168-167-166-165-164-163-162-161-160-159-158-157-156-155-154-153-152-151-150-149-148-147-146-145-144-143-142-141-140-139-138-137-136-135-134-133-132-131-130-129-128-127-126-125-124-123-122-121-120-119-118-117-116-115-114-113-112-111-110-109-108-107-106-105-104-103-102-101-100-99-98-97-96-95-94-93-92-91-90-89-88-87-86-85-84-83-82-81-80-79-78-77-76-75-74-73-72-71-70-69-68-67-66-65-64-63-62-61-60-59-58-57-56-55-54-53-52-51-50-49-48-47-46-45-44-43-42-41-40-39-38-37-36-35-34-33-32-31-30-29-28-27-26-25-24-23-22-21-20-19-18-17-16-15-14-13-12-11-10-9-8-7-6-5-4-3-2-1
- 277 كافي سعيد
- 235 كعوان رايح
- 267 كاريي عمر
- 238-231 كابران مسعود
- 241 كلالة عمار
- 231 كحال أرزقي
- 154-143 كلبير جون بابتيست
- 226-115 ليدرمان ايميل
- 156-25 لويس فيليب
- 244 ليونارد روجي
- 177 لابيبي
- 242 لحول حسين
- 226 لوسور جورج مهندس مقال
- 277-269-116-115-114-113-112-111-110-109-108-107-106-105-104-103-102-101-100-99-98-97-96-95-94-93-92-91-90-89-88-87-86-85-84-83-82-81-80-79-78-77-76-75-74-73-72-71-70-69-68-67-66-65-64-63-62-61-60-59-58-57-56-55-54-53-52-51-50-49-48-47-46-45-44-43-42-41-40-39-38-37-36-35-34-33-32-31-30-29-28-27-26-25-24-23-22-21-20-19-18-17-16-15-14-13-12-11-10-9-8-7-6-5-4-3-2-1
- 234 ماريجيغانو
- 245-242-241-239-238-236-234-233-232-231-230-229-228-227-226-225-224-223-222-221-220-219-218-217-216-215-214-213-212-211-210-209-208-207-206-205-204-203-202-201-200-199-198-197-196-195-194-193-192-191-190-189-188-187-186-185-184-183-182-181-180-179-178-177-176-175-174-173-172-171-170-169-168-167-166-165-164-163-162-161-160-159-158-157-156-155-154-153-152-151-150-149-148-147-146-145-144-143-142-141-140-139-138-137-136-135-134-133-132-131-130-129-128-127-126-125-124-123-122-121-120-119-118-117-116-115-114-113-112-111-110-109-108-107-106-105-104-103-102-101-100-99-98-97-96-95-94-93-92-91-90-89-88-87-86-85-84-83-82-81-80-79-78-77-76-75-74-73-72-71-70-69-68-67-66-65-64-63-62-61-60-59-58-57-56-55-54-53-52-51-50-49-48-47-46-45-44-43-42-41-40-39-38-37-36-35-34-33-32-31-30-29-28-27-26-25-24-23-22-21-20-19-18-17-16-15-14-13-12-11-10-9-8-7-6-5-4-3-2-1
- 222-221 موريل لويس
- 294-224 مورينو ايميل
- 116 موباس ايميل
- 127-113-112 مونتالون شارل
- 286-213-193-154-170-169 نابليون الاميراطور
- 132-36-33-31-29-28-24 نيقربيه الجنرال
- 128-111-35 نوشي أندري
- 115 هيغو فكتور
- 230-219 يونس مختار
- 17 يوغرطا



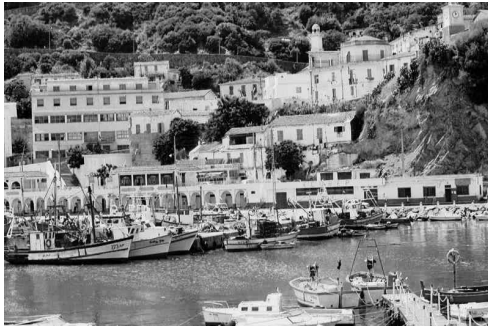
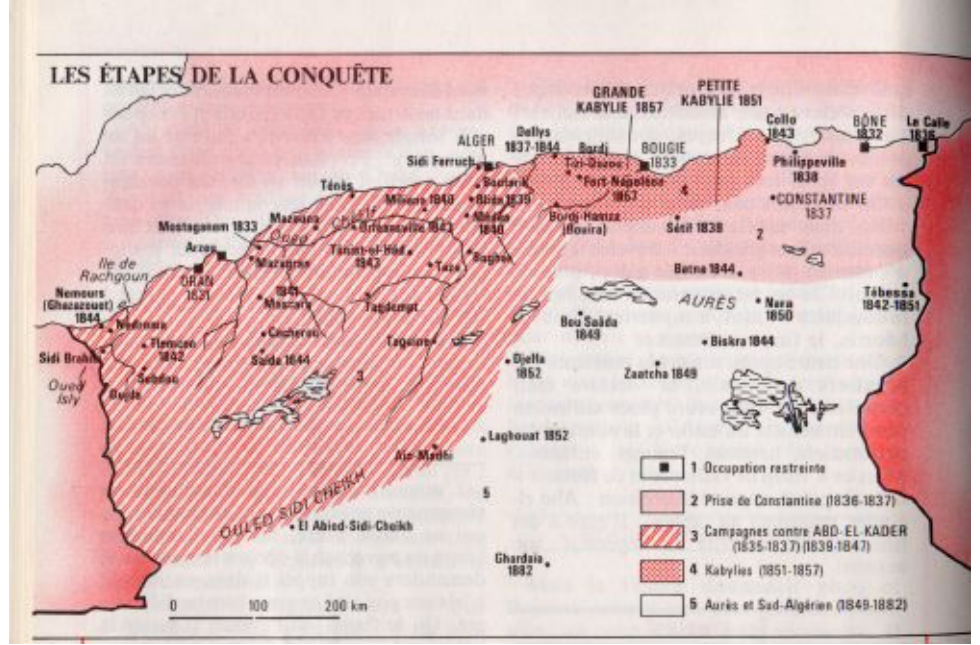
## المجتمع والعمران في مدينة سكيكدة 1838-1962

### ملاحق البحث:

### ملاحق الفصل التمهيدي:

خريطة التوسع العسكري الفرنسي في الجزائر المصدر مجلة

Historia Algérie Spécial Histoire nostalgie 1830-1987

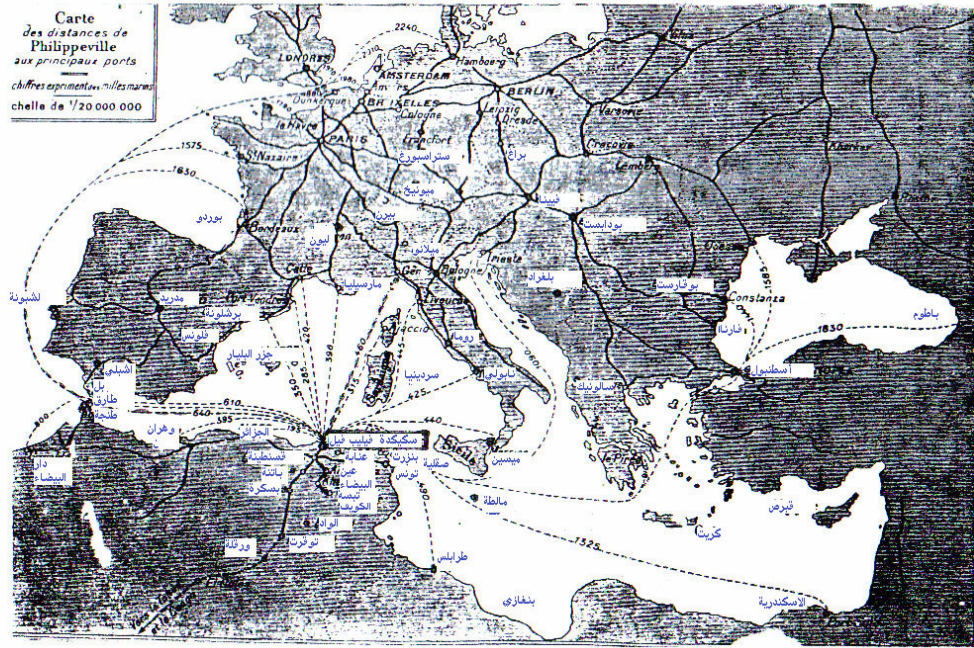


منظر من الشريط الساحلي لميناء سطورة



الماريشال سيلفان فالتي صاحب  
حملة احتلال سكيكدة أكتوبر 1838  
أفريل 1838

الجنرال نيفريه صاحب  
حملة استكشاف روسيكاد



موقع مدينة سكيكدة فيليب فيل في البحر المتوسط  
المصدر: الغرفة التجارية لمدينة سكيكدة.



A

- Algérie 1956, Livre blanc Sur La Répression, Texte Et Document Réunis Par Denis Et Robert Barrot, Préface Pierre Vidal Naquet, Post face Daho Djerbal, Edition Barzakh, Alger.
- Addi Lahouari, De L'Algérie Pré-Coloniale, Economique Et Société, ENL, Alger, 1985.
- Arti Louis, El Halia, Le Sable D'El Halia, oman Autobiographique, Editions Camps'Act, Collection Par-dessus La Marché, France, 1996
- Agéron Charles Robert, Les Algériens Musulmans Et La France 1871-1919, T1, 1é Ed, PUF Paris, 1968.
- Agéron Charles Robert, L'histoire de L'Algérie contemporaine 1871-1919, T2, PUF, Paris, 1979.
- Ageron Charles Robert, Histoire de L'Algérie Contemporaine, PUF, Paris, 1974.
- Ageron Charles Robert, Histoire de l'Algérie Contemporaine (1830-1973), Collection "Que Sais-je?" N° 400, 5éme Edition, P U F, Paris, 1974.
- Ageron Charles Robert, Politique Coloniale Au Maghreb, PUF, Paris, 1972
- Ainad-Tabet Redouane, Le 8 Mai 1945 En Algérie, OPU, Alger, S.D.
- Antoine Laurent F, Constantine, Centre Economique Marché De Grains Et De Tissus, Toulouse : Imprimerie Du Centre, 1930.
- Alquer M, Notices Concernant Les Communes Du Département De Constantine, Ed Braham, Constantine, Extrait Du Recueil Des Actes De La Préfecture De Constantine, N2, 1927.
- Abdelghani M, La Paysannerie Algérienne Face à La colonisation, SNED, Alger, 1973.

B

- Bachtarzi Mahieddine, mémoires 1919-1939, Suivi D'Etudes Sur Le Théâtre Dans Les Pays Islamiques, SNED, Alger, 1969.
- Benhabyles Cherif, L'Algérie Française Vue Par Un Indigène, Alger : Imprimerie Orientale, 1914.
- Berque Jacques, Le Maghreb, Histoire Et Société De L'Impérialisme à La Décolonisation, Belgique, Ed Ducolot, Alger, SNED, 1974.
- Berque Jacques, Le Maghreb Histoire Et Société,
- Bouveresse Jacques, Les Délégations Financières Algériennes 1898-1945, T2, Thèse Doctorat D'Etat, 1979 Université De Nancy 2, France 1979, Thèse non Editée.
- Bertrand Louis, Catalogue Du Musée Archéologique De Philippeville, 1914.
- Bertrand Louis, Monographie du Théâtre Romain de Philippeville, R.S.A.C, 1908,
- Breil T, La Population En Algérie, Etude De Démographie Quantitative, Paris, 1957.
- Boucif Mekhaled, Chroniques D'Un Massacre Sétif, Guelma, Kherrata. ; Alger,
- Beethaut P, Les Caractéristiques De L'Economie Rurale Nord Africaine, Casablanca ; IMP, Réunion, 1931.
- Benabou M, La Résistance Africaine A La Romanisation, P Maspero, Paris, 1976.
- BULLETIN du G G, Alger, 1861.
- BULLETIN du Gouvernement Général, 1895.

C

- Carlier Omar Et D'Autres, Lettrés Intellectuels Et Militants En Algérie 1880-1950, CRAS Oran, OPU, Alger, S.D.
- Carlonal Jules, L'Algérie Et Ses Produits, Imprimeur Libraire Editeur, Alger, 1922.
- Crespo Gérard, Les Italiens En Algérie 1830-1960, Histoire Et Sociologie d'une Migrations Edition Gandini, 1994
- Clerc Denis, Economie De L'Algérie, Les Cahiers De La Formation Administrative ; imprimerie centrale de Annaba, 1975.
- Chapsal Jacques, La Vie Politique En France Depuis 1940, 2 éme Edition, PUF, Paris, 1966
- Chevallier J.J, Histoire Des Institutions Et Des Régimes Politiques De La France Moderne 1789-1958, 6é édition, 1967, paris.
- Chevalier Louis, Le Problème Démographique Nord-Africain, Paris, PUF, 1947.
- Chouraqui André, Les Juifs De L'Afrique Du Nord, Marche Vers L'Occident, Paris, PUF, 1952
- Chouraqui André, Les Juifs D'Afrique Du Nord, PUF, 1 ER Edition, 1952, Imprim Fenech Maje neuve
- Chouraqui André, La Saga Des Juifs De L'Afrique Du Nord, Paris, Librairie Hachette, 1972.
- Cote Marc, Paysages Et Patrimoine Guide D'Algérie, media plus, Algérie, 1996.
- Collection Mémoires, N°55-Mars 1999, Alger 1860-1939, Le Modèle Ambigu Du Triomphe Colonial, dirigée par henry Dougier.

- Cuttoli Paul, Centenaire de Philippeville 1838-1938 ; Imp.Constantini, Philippeville, 1939.
- Collot Claude, Les Institutions De l'Algérie durant La Période Coloniale 1830-1962, Edition Du CNRS, Paris ,OPU, Alger, 1987.
- Collot Claude, Le Régime juridique De La Presse Musulmane Algérienne, Sommaire De La Revue Algérienne, 1964-1991.
- Collectif, Représenter La Ville, Paris Editions Communica, 1995.
- Crespo Gérard : les Italiens En Algérie, A.Grurel, Les Pêches Maritimes En Algérie.
- Crespo Gérard, Stora Une Localité Italienne De L'Est Algérien Au 19<sup>e</sup> Siècle.
- Ciavaldini Jean, Brugirard R, Monographie D'El Harrouch 1956
- D
- De Castellane Maréchal (Lettres), Campagne D'Afrique 1835-1848, Librairie Plon Et Cie Imprimeurs Editeurs, Paris, 1898.
- Depont Octave, Les Délégations Financières Algérienne, R.A, 1930.
- Djabi Nasser, Kaidi Lakhder, Une Histoire Du Syndicalisme Algérien, , Chihab Editions, Alger.
- Djeghloul Abdelkader, Huit Etude Sur L'Algérie, Colonisation et syndicalisme, SNED, S.D.
- Duverger Maurice, (Sous Sa Direction), Partis Politiques Et Classes Sociales En France. Cahiers de La Fondation National Des Sciences Politique, Partis Et Elections N° 74. Librairie Armand Colin, Paris 1955.
- De Marcilly, Notice Sur Les Vestiges De l'Occupation Romaine Dans le Cercle de Philippeville, R.S.A.C, 1853,
- Donato Marc, L'Emigration Des Maltais En Algérie Au 19<sup>e</sup>me siècle, Editions Africa Nostra, Montpellier, 1985.
- F
- Fanny Colonna, les Instituteurs Algériens, 1883- 1939, Alger, OPU, 1975,
- Féraud Charles, Histoire des villes de Province de Constantine, Philippeville, Jourdan, 1878.
- Fenech E.Y, Histoire De Philippeville, Imp-Philippeville, 1852.
- Fillias A, Notices Sur Les Produits Maritimes Du Littoral Algérien, Cursah, Alger, 1878.
- G
- Gardet I, La Cité Musulmane, Vie Sociale Et Politique, Librairie Philosophique, Paris, 1954.
- Gaston Loth, Le Peuplement Italien En Algérie Et En Tunisie, A. Colin, Paris, 1905.
- Gani Léon, Syndicats Et Travailleurs Immigrés, Editions Sociales Paris, 1972.
- Gallisot René, Algérie Colonisée Algérie Algérienne 1870-1962,
- Gérard Jules, L'Afrique Du Nord ,2<sup>e</sup>me Ed, Dentu Editeur, Paris, 1861
- Germain Tillon, Les Ennemis Complémentaires, Ed De Minuit, Paris, 1957.
- Guechi Fatima Zohra, Sous Sa Direction, Constantine Une Ville, Des Héritages, Media plus, Algérie, 2004.
- Gilbert Attard, Philippeville Ses Souvenirs, T 3, Les Premiers jours de Philippeville, Bordeaux, 1983.
- Gistove M.S.D, Rapport Sur L'Etablissement De L'Armée D'Afrique Près De Stora Par Le Colonel Vaillant, Directeur Des Fortifications D'Algérie, 10 Octobre 1838.
- Gsell Stéphane, Atlas Archéologique De L'Algérie, T2, 2<sup>e</sup>me, Alger, 1997.
- Gendarme René, L'Economie De L'Algérie Sous Développement Et Politique de Croissance, Librairie Armand Colin, Paris, 1959
- Grenier A, Note Sur la Topographie Et Quelques Monuments Antiques De Rusicade, Bulletin De S.A.C.
- Gurvitch Georges Sous Sa Direction, Traité De Sociologie, T1, PUF, Paris, 1967,
- H
- Harbi Mohamed, L'Algérie Et Son Destin, Croyants Et Citoyens, Alger, Media Associes, 1994.
- Hadad Mostefa, L'Emergence De L'Algérie Moderne, Le Constantinois Entre Les Deux Guerres 1919-1939, Essai D'Histoire Economique Et Sociale, T2, 2001
- I
- Ihaddadane Zahir, Histoire de la Presse Indigène En Algérie Des Origines Jusqu'En 1930, 2<sup>e</sup>me Ed, Les Editions Ihaddadane Alger, 2003.
- Ichebouden Larbi, Alger: Histoire et Capitale de Destin National, Casbah Edition, Alger, 1997.
- J

- Julien Charles André, Histoire de L'Afrique du Nord, Des Origines à La Conquête Arabe, Alger, SNED, 1978,
- Julien Charles André, L'histoire de L'Algérie contemporaine 1827-1871, PUF, Paris, 1964.
- Jeanson Francis Et Colette, l'Algérie Hors La Loi, ENAG Editions 1993
- K
- Kadache Mahfoud, Histoire D'Alger 1919-1939, SNED, Alger, 1970.
- Kadache Mahfoud, Histoire Du Nationalisme Algérien, 2é, T1, ENAL, ENI, Alger, 1993.
- Kaddache Mahfoud, L'Algérie Des Algériens De La Préhistoire à 1954, Editions Méditerrané Paris, 2003
- L
- Lieussou M.A, Etudes Sur Les Ports D'Algérie, Imprimerie Administrative De Paul Dubond, Paris, 1850,
- Lalumiere Marc, Histoire De L'Algérie Illustrée de 1830 à Nos Jours, Ed Cnotue, Paris, 1962.
- La Revue Africain, Numéros : 12, 53 , 50, 115,116 ; 374.
- Lederman Emile, Philippeville Et Ses Environs, Histoire Et Tourisme, Edition Du Syndicat D'Initiative, Philippeville, 1935.
- Léonard Roger, "Industrialisation De l'Algérie" Doc Al, 1954, Imprimeries Officielles, Alger.
- Léon L'Africain, Description de L'Afrique, Poularde, T2, Paris, 1952.
- M
- Manoni Pierre, Les Français D'Algérie, Vie Moeurs Mentalité, Paris, Edition L'Harmattan, 1999.
- Marre Alain, Etude Géo Morphologique Des Vallées Des Oueds Guebli Et Safsaf Dans Le Tell Nord Constantinois, Thèse 3 éme Cycle, Aix Marseille 2, 1983.
- Mazouni Abdallah; Culture Et Enseignement En Algérie: Edition Maspero, Paris, 1969.
- Merad Ali, Le Réformisme Musulman En Algérie De 1925 à 1940, Essai D'histoire Religieuse Et Sociale, Mouton, Paris, 1967.
- Mercier Ernest, Histoire De Constantine, Ed J.Marle Et F.Biron, Constantine, 1903.
- Montoy, la presse dans le Département de Constantine (1879-1918), 2 V, thèse d'Etat, 1982.
- Morinaud Emile Mes mémoires, 50 Ans D'Histoire Politique Du Département De Constantine, Alger :Ed Baconniers Frères, 1941.
- Menleman Johan Hendrik,
- N
- Nasser Djabi, Kaid Lakhdar, Une histoire Du Syndicalisme Algérien, Entretien, Chihab Editions Alger, 2005.
- Nouschi Andre, La Naissance Du Nationalisme Algérien, Les Editions De Minuit, paris, S.D..
- Nouschi Andre; L'Algérie Amère 1914-1995, Editions De La Maison De Science De L'Homme, Paris ,1995.
- Nouschi André, Enquête Sur le Niveau de la Vie du Population Rurale Constantinoise De la Conquête Jusqu'en 1919 d'Histoire économique et Sociale, PUF, paris, 1961.
- P
- Pline, Histoire naturelle, V, 22, Texte Etabli Et Traduit Par Jehan Desange, Paris, Les Belles Lettres ,1980
- Ptolemée, Géographie, IV, 3, Paris, Ed .Muller, 1901.
- Peyrhimoff De, Enquête Sur Les Résultat De La Colonisation Officielle 1871-1895, T1, Alger, 1905.
- Perville Guy, Les Etudiants Algériens De L'Université française 1880-1962, Ed Casbah, Alger, 1997
- R
- Rachet M, Rome Et Les Berbères, Un Problème Militaire D'Auguste à Dioclétien, Note 3 Bruxelles, Latomus, 1978. Remaoun Hassan
- Sous Sa Ouvrage Collectif, L'Algérie Histoire, Société Et Culture, Casbah Editions, Alger ,2000.
- Recueil Des Actes du Gouvernement de l'Algérien (1930-1854).
- Rotman Patrick, L'Ennemi Intime, Chihab Editions, Algérie, 2002
- Rédiger Angelina Prieur, Philippeville, Ma Bien Aimée, USA
- Ricoux René, Les Démographie Figurée De L'Algérie Etude Statistique Des Populations Européenne Qui Habitent L'Algérie, G. Masson éditeur, Paris, 1880.
- Roger Joseph, Conservateur Du musée Archéologique de P/V, R A, T9,N ;53, 1865.
- Renier L, L'Inscriptions Romaines de L'Algérie , N° 2174.

S

Sekfali Abdelrahim, Les Maîtres Des Ecoles Primaires de L'Enseignement Public Dans Le Département de Constantine 1890-1939, Thèse de Doctorat d'état, Sous La Direction de Jean Luis Miege, Université de Provence D'Aix ,1993.

Solal Edouard, Philippeville Et Sa Région 1837-1870, Edi. La Maison Des Livres Alger, 1957.

Soulier I, Espace Vert Et Urbanisme, Edition Cru, Paris, 1968 .

Stora Benjamin, Dictionnaire Biographique Des Militants Nationalistes Algeriens ENA , PPA,MTLD 1926-1954, Paris, L'Harmattan, 1985.

Souriau Hoebrechts Christiane, La Presse Maghrébine, Paris, CNRS, 1975.

Skikda Art Et Monument, Wilaya Skikda, Alger

T

Turin Yvonne, Affrontements Culturels Dans L'Algérie Coloniale 1830-1880; Maspero, Paris, 1971.

Thuriez Danielle, Les Journaux De Philippeville Et Le Problème De La Sécurité 1890-1914, Mémoire Maîtrise, Sous La Direction De M.Guiral.

Tillon Germain, les Ennemis Complémentaires; Ed de Minuit, Paris, 1957

V

Var Charles, Stora Rusicade Philippeville, Imp., Constantine , 1895.

Vatin J.C, L'Algérie, Politique, Histoire Et Société, Armande Colin , Paris, 1974.

Y

Yahyaoui-Merabet Messaouda, Société Musulmane Et Communautés Européennes Dans L'Algérie Du 20 é Siècle, T 1 et 2, Editions Houma, Alger, 2005.

Yacono X, Un Siècle De Franc-maçonnerie Algérienne, Maisonneuve Et Larose, Paris, 1969.

Z

Zannetacci H, Les Pécheurs D'Origines Italiens Du Golfe De Philippeville , Philippeville, 1928.

المعاجم باللغة الفرنسية:

Le Petit Larousse Illustré 2006, Paris,

Le Petit Robert Dictionnaire Illustré, Noms Propres, Paris, 1996,

Le Robert Des Noms Propres ; paris France, 1996.

Le Petit Larousse Illustré, Paris, Cedex, 2005.

الدوريات باللغة الفرنسية:

Cirta Revue Historique Sociologique, Institut Des Sciences Sociales de L'université de Constantine, 2 éme Année, N ; 3, Mai 1980. Et 5 éme Année, n ; 8/9, Déc. 1983.

Paris Match,N ; 336, du 3 au 10 septembre 1955.

Le Philippeville,31 mars 1934, 1 Avril et 10 Juillet 1934.

La Dépêche de Constantine,n ;16474 du 24/11/1955.

Courrier de Philippeville ;15/03/1848,n,104.

El watan Algérie , Roger Roth, 7/11/2004.

المرجع بالإنترنت :

Wikipédia, L'Encyclopédie Libre.

AFN ; Illustré 1930.

Internet ; Impulsions Italiens

Crespo Gérard, stora Une Localité Italienne De L'Est Algérien Au 19é Siècle.

Edgar Scoti - Joseph Palomba, La Pêche et Les Pêcheurs en Algérie Mémoire Voir aussi ; Gérard Crespo : les Italiens En Algérie, A.Grurel, Les Pêches Maritimes En Algérie.

CLICK FR R, Réseau Francophone site Philippeville Skikda Rusicada il était une fois p-v - La dépêche de constantine30/03/1936

Tocqueville (A), Notes Sur L'Algérie.

Pasteur Georges Tartar, N ;28 Septembre 1992. PNHA,

Un Article de L'Encyclopédie Libre, Louis Philippe 1ére

Jean Benoît, Les Pieds Noirs D'Hier Et D'Aujourd'hui—Revue Ensemble1999, Amicale Des Jemmapes

Charles Nadjer, Journal De L'Expédition Des Portes De Fer, Constantine.1839.

[Agyaal.doc-EI-http://www.eltamir.net/mortgageRealEstate/Seraa](http://www.eltamir.net/mortgageRealEstate/Seraa)

Sasso Bernard, Conte Et Récit D'un Village D'Algérie Stora, Edition Montet, Régusse, 1980.

Scoti Edgar - Palomba Joseph, La Pêche et Les Pêcheurs en Algérie Mémoire;

Un Pasteur Protestant, Témoignage D'Un Français, Philippeville, 20 Août 1955

- Cercle Algerianiste, , Conférence 15 Juin 2002, Hubert Groud, L'Histoire Du Barrage Des Zardezas.  
 Xavier yacono, In L'Algerianiste, N:17/18, 15 Mars Et 15 Juin 1982.  
 Dimech Pierre ; La Revue De L'Association France Malte  
 Dictionnaire historique de la suisse25/04/2001 Algérie <http://www.hls-dhs-dss.ch>  
 In L'Encyclopédie coloniale Et Maritime, Paris, 1946  
 Acep, Ensemble, N.225, Octobre 2000.  
 Bernard Brando, Promenade D'un Enfant Philippeville, Internet.  
 Wikipedia.Org.Encyclopédie.Cd.Rom  
Easy Designer, Bataille de Wagram1809  
 SuZette Granger, La Rue Des Aurès, Philippeville, Algérie, Skikda, 2005.  
 Le Web De L'Humanité, Torture Le Pêché Originel, Article Paru Le 5-1-2001, Par Aktiv Multumédia.  
 Il Etait Une Fois Philippeville, Marcel Duclos.

المراجع باللغة العربية:

- التازي عبد الهادي، الفكر الجغرافي عند المغاربة، في الاسم الجغرافي تراث وتواصل، أعمال الندوة الوطنية الأولى حول الأعلام الجغرافية، 15-17 أبريل 1992، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب.  
 الخطيب أحمد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي في الجزائر، ENL، الجزائر، 1985.  
 الخطيب أحمد، الثورة الجزائرية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1958.  
 الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسى، ENL، الجزائر، 1983.  
 العربي إسماعيل، التنمية الاقتصادية في الدول العربية، SNED، ط2، 1980، الجزائر.  
 الزبيري العربي، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط1، دار البعث، الجزائر، 1984.  
 الزبيري محمد العربي، تاريخ الجزائر المعاصر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ج1، ج2، مكتبة الأسد الوطنية، 1999.  
 العمري أحمد سويلم، الرأي العام والدعاية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965.  
 العروي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، ج3، المركز الثقافي العربي، ط1، 1999، بيروت لبنان.  
 القباري محمد، علم الاجتماع الحضري ومشكلات التهجير والتغيير والتنمية، الناشر دار المعارف، مصر، د.ت.  
 العقاد صلاح، المغرب العربي، ط3، مكتبة أنجلو المصرية، 1969.  
 المركز الثقافي العربي، عصر النهضة، مقدمات ليبرالية للحدثة، بيروت لبنان ط1 - مؤسسة رينه معوض وفريد ريش ناومان الدار البيضاء، 2000.  
 الحاج حسن حسين، علم الاجتماع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت.  
 الكعك عثمان وآخرون، موجز التاريخ العام للجزائر، مراجعة شنيبي محمد البشير وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003.  
 أندري نوشي وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطنبولي رايح، ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.  
 أيف لاکوست وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تعريب رايح اسطنبولي وآخرون، المطبوعات الجامعية باريس، 1960.  
 أوزين روبير، فن تخطيط المدن، ترجمة بهيج شعبان، مراجعة زغيب هنري، منشورات عويدات، بيروت لبنان، ط1، 1974.  
 أبو عياش عبد الله، أزمة المدينة العربية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980.  
 أجبرون شارل، تاريخ الجزائر المعاصرة، 1830-1976، ترجمة عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، 1982.  
 أبوضيف، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبن مرين 1130-1472، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط2، 1982.  
 أزغيدي محمد لحسن، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الجزائرية 1956-1962، ENL، الجزائر، 1989.  
 إدريس الهادي روجر، الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقيا في عهد بني زيدي، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، 1992، الجوهري يسرى، جغرافيا المغرب العربي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 2001.  
 ب  
 بو طالب محمد نجيب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 2002  
 بومالي أحسن، إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954-1962، من منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر.  
 بو حوش عمار: التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997.  
 بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، SNED، 1981.  
 ت  
 تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ط5، ANEP، 2001، الجزائر.  
 تركي رايح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931-1956، ط1، SNED، الجزائر، 1981.  
 تراون جان فرنسوا، المغرب العربي، الإنسان والمجال، تعريب علي التومي وآخرون، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1997.  
 تواتي موسى، ورايح عواد، هجوم 20 أوت 1955، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1992.

## المجتمع والعمران في مدينة سكيكدة 1838-1962

تومي إسماعيل، العمارة والعمران في ظلال القرآن، دار الهدى، عين مليلة، 2004.  
توني يوسف، معجم المصطلحات الجغرافية، دار الفكر العربي، دار الثقافة العربية، ممفيس، مصر، د.ت،

ج  
جوان جيليس، ثورة الجزائر، ترجمة عبد الرحمن صدقي، مراجعة راشد البراوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، د.ت.  
جوان غليسي، الجزائر الثائرة، تعريب خيرى حماد، ط1، دار الطليعة، 1961.

جلال يحيى، السياسة الفرنسية في الجزائر 1830-1959، ط1، دار المعرفة، 1959.  
جفلول عبد القادر، تاريخ الجزائر الحديث، دراسة سوسولوجية، ط3، دار الحداثة بالتعاون مع OPU، الجزائر، 1983.

ح  
حارش محمد الهادي، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1995،

حسن أحمد رشوان، المدينة: دراسة في علم الاجتماع الحضري، ط6 مزودة ومنقحة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر 1998.

حليمي عبد القادر علي، جغرافية الجزائر، طبيعية-بشرية-اقتصادية، ط1، مطبعة الإنشاء، دمشق، سوريا، 1968.  
حسنين محمد، الاستعمار الفرنسي، دار النصر للطباعة، ط3، القاهرة، مصر، 1962.  
حماد مجدي، النظام السياسي الاستيطاني، دار الوحدة، بيروت، لبنان، 1981.

خ  
خوف علي، السلطة في الأرياف الشمالية لبابلك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي، مطبعة العناصر، الجزائر، 1999.

ر  
رزاق عبد الرحمان، تجارة الجزائر الخارجية، صادرات الجزائر فيما بين الحربين العالميتين، S.N.E.D، الجزائر، 1976.

ز  
زوزو عبد الحميد، تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وأسيا، OPU، الجزائر، 1997.

س  
سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح، دراسة في تاريخ الحركة الوطنية والثورة المسلحة الجزائرية، ترجمة محمد الجمالي، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، وزارة لمجاهدين، الجزائر 2002.

ساحلي محمد الشريف، تخلص التاريخ من الاستعمار، ترجمة محمد هناد، محمد بن دالي، منشورات وزارة المجاهدين، دار القصة، 2002.

سعد الله أبو القاسم، أبحاث آراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1996.

سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1990.

سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في الحركة الوطنية، SNED، الجزائر، 1978.

سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، الجزائر، 1981.

سعيدوني ناصر الدين، الجزائر، منطلقات وآفاق، مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2000.

سعيدوني نصر الدين، أساسيات منهجية التاريخ، ورفات في إشكالية البحث التاريخي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2000.  
سلامة بيبير وبرهان غليون وآخرون، جدلية الدولة والمجتمع بالمغرب، مطابع إفريقيا الشرق، ط2، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1994.

ش  
شريط عبدالله، مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الإيديولوجي في الجزائر، ENL، الجزائر، 1986.  
شنيبي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج1، OPU، الجزائر، 1999.  
شاثليه فرنسوا وآخرون معجم المؤلفات السياسية، ترجمة صاصيلا محمد عرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1997، ص.116.

ط  
طنجة في التاريخ المعاصر 1800-1956، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط، بالتعاون مع جامعة عبد المالك السعدي ومدرسة الملك فهد العليا للترجمة طنجة، 1951.

ع  
عميرواي حميدة، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط2 دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2004

عميرواي حميدة، من الملتقيات التاريخية الجزائرية، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 2000.

عميرواي حميدة، من تاريخ الجزائر الحديث، ط2، دار النهضة، الجزائر، 2004.



## المجتمع والعمران في مدينة سكيكدة 1838-1962

- عميرواي احميدة، السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة 1838-1858، دار الهدى الجزائر، 2004.
- عياد مصطفى، العام والخاص في التسمية الواقعية في الاسم الجغرافي، تراث وتواصل، المغرب، 1992
- عباد صالح، الجزائر بين فرنسا والمستوطنين 1830-1930، OPU، الجزائر، 1999.
- عيساوي أحمد، منارات من شهاب البصائر للشيخ العربي التبسي 1891-1957، مطبعة الوليد، الجزائر، 2006.
- عيناد ثابت رضا، 8 ماي 1945 في الجزائر، ترجمة عيناد ثابت ومغيلي، OPU، ENL، الجزائر، 1986.
- غ
- غانم محمد الصغير، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، منشورات جامعة منتوري، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2003.
- غانم محمد الصغير، التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط، جامعة منتوري قسنطينة، ط 4، دار الهدى عين مليلة، 2003.
- غانم محمد الصغير، المملكة النوميدية و الحضارة البونية، الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 1998.
- ف
- فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2002.
- فون مالتسان هاينريش، ثلاث سنوات في شمال إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، SNED، الجزائر، 1979.
- فاعور علي، جغرافية تاريخية المدينة العربية، نشأتها وموقعها في كتابات الجغرافيين العرب.
- ق
- قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة في عهد صالح باي، منشورات ميديا بلو قسنطينة، الجزائر، 2005.
- قنان جمال، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ANEP، الجزائر، 1994.
- قداش محفوظ، صاري الجيلالي، الجزائر في التاريخ المقاومة السياسية 1900-1954، ترجمة بن حراث عبد القادر، ENL، الجزائر، 1987.
- قدورة زاهية، تاريخ العرب الحديث، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1967.
- ك
- كواندت وليم ب. ، الثورة والقيادة السياسية في الجزائر 1954-1968، مركز الدراسات والأبحاث العسكرية، دمشق، 1981.
- ل
- لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، SNED، الجزائر، 1979.
- م
- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988.
- ن
- ناصر محمد، المقالة الصحفية الجزائرية 1903-1931، ج2، الجزائر.
- نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، بيروت، 1981.
- هـ
- هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، OPU، الجزائر، 1995.
- هاينريش فون مالتسان، ثلاثة سنوات في شمال إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، ج 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
- و
- وطبان عبد العزيز، الاقتصاد الجزائري ماضيه وحاضره: 1830-1985، منظمة العمل العربية، المعهد العربي للثقافة وبحوث العمل بالجزائر، د.ت.
- ي
- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
- المصادر:**
- القرآن الكريم، سورة سبأ، الآية 17.
- الجنرال أوساريس، شهادتي حول التعذيب، مصالحي خاصة الجزائر، ترجمة: مصطفى فرحات، دار المعرفة، الجزائر، 2004.
- العنثري محمد الصالح ، تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، OPU، الجزائر، 1991.
- القيرواني الدقيق، تاريخ إفريقيا والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي، نشر رفيق السقطي، مطبعة الوسيط، د.ت.
- أيت أحمد حسين، مذكرات مكافح 1942-1952، ترجمة سعيد جعفر، منشورات البرزخ، الجزائر، 2002.
- ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم الرعين، المؤنس في أخبار إفريقيا.
- ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، مطبوع ضمن السلسلة السابقة، ج7.
- عباس محمد، ثوار عظماء، دار هومة للطباعة والنشر، 2003، الجزائر.
- مذكرات الرئيس علي كافي، من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، دار هومة، الجزائر.
- كافي علي: (مذكرات الرئيس)، من النضال السياسي إلى القائد العسكري 1946 - 1962، دار القصبة، الجزائر: 1999.
- كشيدة عيسى، مهندسو الثورة، تقديم عبد الحميد مهري، منشورات الشهاب، باتنة، الجزائر.

## المجتمع والعمران في مدينة سكيكدة 1838-1962

- محساس أحمد، الحرة الوطنية الثورية في الجزائر، من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، 2002، الجزائر.
- عباس فرحات، ليل الاستعمار، ثورة الجزائر المباركة، ANEP، الجزائر، 2005.
- يوسفي محمد، الجزائر في ظل المسيرة النضالية: المنظمة الخاصة، ترجمة محمد الشريف بن دالي حسين، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2002.
- عباس محمد، رواد الوطنية، دار هومة، الجزائر، 2004.
- قديد محمد، الرد الوافي على مذكرات كافي، دار هومة، الجزائر، 2001.
- قليل عمار، ملحمة الجزائر الجديدة، ط1، ج2، دار البعث، الجزائر، 1991.
- حربي محمد، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، موفم للنشر، ترجمة نجيب عياد وصالح المثلوثي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1994.
- حربي محمد، سنوات التمرن، حياة تحد و صمود، مذكرات سياسية 1945-1962، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2004 .
- قناش محمد، ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، دار القصبه للنشر، 2007.
- طالبي محمد، الدولة الأغلبية 909/800 م، التاريخ السياسي، ترجمة المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، 1985.
- صاحب الاستبصار، المغرب في وصف بلاد إفريقيا.
- الملتقيات والندوات:
- عبد القادر صحراوي، مقال سكيكدة خلال عهد الاحتلال الروماني، أشغال الملتقى الوطني الثاني سكيكدة عبر العصور، المنعقد أيام 18-19-20 أوت 2004، من تنظيم جمعية روسيكادا الثقافية لولاية سكيكدة.
- بلوفة جيلالي، مقال التيار الوطني الاستقلالي في سكيكدة، أشغال الملتقى الوطني الثالث حول الحركة الوطنية الجزائرية في منطقة سكيكدة، 27-28 ديسمبر 2005، من تنظيم جمعية روسيكادا الثقافية لولاية سكيكدة.
- ابراهيم لونيسي، مقال 20 أوت 1955، الملتقى الوطني الثالث حول الحركة الوطنية الجزائرية في منطقة سكيكدة، ديسمبر 2005.
- شخوم سعدي، سكيكدة في العهد الحفصي، أشغال الملتقى الوطني الثاني سكيكدة عبر العصور، المنعقد أيام 18-19-20 أوت 2004.
- ابراهيم فكايير، سكيكدة في العهد العثماني، الملتقى الوطني الثاني سكيكدة أوت 2004، تنظيم جمعية روسيكادا الثقافية لولاية سكيكدة.
- أحمد شريط، محاضرة في ندوة أوراق أدبية مارس 2007، حول شعراء سكيكدة، أحسن شبلي، مديرية الثقافة لولاية سكيكدة.
- الدوريات والمجلات:
- الشروق، العدد 1445، الاثنين 01 أوت 2005، استطلاع عن كئاس الشرق الجزائري.
- وثائق مديرية الشؤون الدينية لولاية سكيكدة.
- الشروق اليومي 2007/06/03 مقال: الملتقى الدولي حول الهجرة: عبد المالك صياد أحسن من بحث في الهجرة والغربة
- الشروق، العدد: 1469، مذكرات محمد الميلي، الاثنين 29 أوت 2005،
- جريدة لوموند ليوم 2002/01/25 ص 01، العدد 17729.
- فضة مصطفى، حول مفهوم القبيلة في علم الاجتماع الاستعماري، الثقافة الجديدة، المغرب، العدد 29، 1983
- جريدة الزمان، العدد 1601، التاريخ 7 و 8 ديسمبر 2003.
- جريدة المبشر، عدد 433، تاريخ: 22 أوت 1864.
- علي لزعر، التقنيات الديمغرافية والتنظيم المدني، مجلة دفاتر العلوم الاجتماعية، وحدة البحث والتنشيط العلمي، العدد 5، السنة 1986، جامعة عنابة، أعمال اليومين الدراسي المنظم 25/26 ديسمبر 1983،
- حربي محمد، الوطنية الشعبية بمدينة سكيكدة، مجلة إنسانيات، عدد 16، جانفي - أبريل 2002،
- شنيبي محمد بشير، تاريخ الجزائر القديم من خلال المصادر الفرنسية، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، 1985، العدد 20، الجزائر.
- احدادن زهير، مدخل العلوم والإعلام والاتصال، OPU، الجزائر، 1991.
- بوزة صالح، وسائل الإعلام في الجزائر من الثورة إلى الاستقلال، مجلة الثقافة، عدد 108، ماي-جوان 1995، الجزائر.
- مريوش أحمد، مجلة الرؤية، العدد 2، 1996، الجزائر.
- كريمة بن حسين، ترجمة لويس بيبير مونطوا، الصحافة، وثيقة الخدمة التاريخ الريفي في مقاطعة قسنطينة، مجلة سيرتا، العدد 1، ماي 1979، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة.
- سلامي مليكة، الصحافة الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي دراسة تاريخية، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، 1986،
- داود محمد، المدينة في الرواية الجزائرية، الفضاء القسنطيني في رواية الزلزال، مجلة إنسانيات، العدد 13، جانفي - أبريل 2001.
- مجلة المدينة العربية، العدد 44، السنة التاسعة، ذو الحجة 1410 هجري، 1990، منظمة المدن العربية، مقال أثر المرافق في تطوير وتنظيم المدن الساحلية، مدينة اللاذقية نموذجا، عادل عوض.
- مجلة المدينة العربية، العدد 34، السنة السابعة، نوفمبر 1988، ربيع أول 1409 هجري، مقال التخطيط الحضري في العالم، سعيد محمد الحفار.
- مجلة المدينة العربية، العدد 31، السنة السابعة، ماي 1988، رمضان 1408 هجري، منظمة المدن العربية، الكويت.

## المجتمع والعمران في مدينة سكيكدة 1838-1962

- مجلة المدينة العربية، العدد 66، ماي يونيو 1995، منظمة المدن العربية، الكويت، مقال رائحة التاريخ وأنف الواقع، الأهرام المصرية بتاريخ 18 جانفي 2002.
- سعيدوني نصر الدين، مجلة الثقافة، العدد 77، سبتمبر - أكتوبر 1983، وزارة الثقافة، الجزائر، عويضي عادل، المدينة العربية الإسلامية والمدينة الأوروبية، مجلة العلم والتكنولوجيا، عدد 27، جانفي 1992.
- جريدة النجاح، العدد: 1410 بتاريخ: 27 جانفي 1933.
- جريدة النجاح، العدد 1288، بتاريخ: 01 أبريل 1932..
- مجلة الثقافة، العدد 95، الطاهر زرهوني، التعليم في الجزائر، السنة 16، سبتمبر - أكتوبر 1986، عمار بوحوش، مجلة الثقافة، العدد 13-14، 1973، وزارة الإعلام والثقافة: (دراسة أسباب الهجرة إلى فرنسا).
- مياسي إبراهيم، المصادر، العدد الخامس، 2001، الاستيطان الفرنسي في الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، العدد الخامس، 2001.
- جريدة النجاح 2 أوث 1936 المرافق 24 جمادي الأول 1355 هجري.
- حربي محمد، إنسانيات عدد 16، جانفي-أفريل 2002.
- جريدة البيان الإماراتية، 18 يونيو 2001.
- علي كافي، يوم 20 أوث 1955 أسبابه ونتائجه، الذاكرة، مجلة الدراسات التاريخية للمقاومة والثورة، السنة الأولى، العدد الثالث، 1995، المطبعة الجزائرية للمجلات، الجزائر.
- مجلة المصادر، العدد 3، 2000.
- جريدة الشروق، العدد: 709، محمد عباس، في كواليس التاريخ، الاثنين 03 مارس 2003.
- مقال عبد الكريم سكفالي، مدرسو التعليم والماسونيون، الحوار الفكري، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، التغييرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، أفريل 2001.
- عميرواي أمينة، مقال الماسونية نموذجاً، الندوة العلمية الأمير عبد القادر والتيارات فكرية غير عربية إسلامية، منشورات مخبر البحث في الدراسات الأدبية والإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، 2006.
- الرسائل الجامعية: والبحوث الأكاديمية باللغة العربية:
- عرجون ساميمنة وعلوة سهيلة، الطباعة والمطابع بمدينة قسنطينة ما بين 1830 و1922، دراسة تحليلية، مذكرة لنيل شهادة ليسانس في علم المكتبات والمعلومات، إشراف بن الشريف عبد الكريم، جامعة قسنطينة، 1992.
- جلبير غرانغيوم، اللغة والسلطة و الجماعة في المغرب العربي، ترجمة محمد أسليم، دكتوراه الدولة من جامعة السوربون باريس، 1983، العلاقة بين التحولات اللغوية والدينامية الاجتماعية في المغرب العربي المعاصر، مقاربة أنثروبولوجية.
- بورعدة رمضان، الجزائريون والعدالة الاستعمارية في عمالة قسنطينة في القرن 19م، ماجستير، 1999، جامعة منتوري.
- بيلاك نورة، المجال الحضري والقيم السوسيو - ثقافية للمدينة الجزائرية، الدراسة الميدانية بمدينة قسنطينة، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الحضري، إشراف دليمي عبد الحميد، 2006.
- حمادة صالح، رسالة ماجستير: مدينة سكيكدة في جغرافية الحضر، جامعة عين الشمس، 1979.
- بوشامة ليديا، شبكة المراكز في وادي الصفصاف بولاية سكيكدة، فوارق النمو وتنوع وتكامل في الوظائف، رسالة ماجستير، كلية علوم الأرض، جامعة منتوري، 2002.
- بوحة سهيلة ودلال زهرة ولعباني مليكة، بحث جماعي، تنظيم وإعادة هيكلة المراكز القديمة حالة مركز مدينة سكيكدة، مذكرة مهندس دولة في التهيئة الحضرية، إشراف حمادة صالح، معهد علوم الأرض، جامعة قسنطينة، -1996-1997.
- نذير حسيني، سليم براقدي، مشروع مقدم لنيل شهادة مهندس دولة في التهيئة الحضرية، حول مدينة سكيكدة: مشكلة التوسع الحضري والتوجهات المستقبلية، إشراف: صالح حمادة، جامعة قسنطينة، 2001.
- فيلاي سمير وجمال، عزيزي عثمان، رباح السعيد، إشراف بن ميسي أحسن بحث جماعي: إعادة تنظيم وتطوير مدينة سكيكدة، مشروع مهندس دولة في التهيئة الحضرية والإقليمية، جامعة منتوري، 1991.
- بوالطمين عبد السلام وحمادة لزهرة، إشكالية النمو الحضري في مدينة سكيكدة، جامعة منتوري، 1992.
- حركات محمد، شبكة الكهرباء والغاز في الجزائر بين 1946 - 1962، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف قشي فاطمة الزهراء، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، 2005.
- دليمي عزوز، الصحافة الاستعمارية في عمالة قسنطينة خلال فترة ما بين الحربين 1919-1939، بطاقة تعريفية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، 2001-2002.
- العمرى الطاهر، دور بنى المجتمع الجزائري في مقاومة الاستعمار 1830-1900، بحث ماجستير في التاريخ، إشراف أحمد صاري، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2002.
- قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة المدينة والمجتمع من أواخر القرن 18م إلى منتصف القرن 19م، رسالة دكتوراه الدولة في التاريخ، إشراف الشريف محمد الهادي، جامعة تونس، 1999.
- بن حسين كريمة، الحياة السياسية في قسنطينة 1930-1939، دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ، إشراف توفيق برو، جامعة قسنطينة، 1984.
- بن حسين كريمة، الحياة السياسية في قسنطينة من سنة 1930 إلى سنة 1945، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ والمعاصر، إشراف حماد حسين، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة.

## المجتمع والعمران في مدينة سكيكدة 1838-1962

حسينة حماميد، المستوطنون الأوروبيون و الثورة الجزائرية 1954-1962، رسالة مرقونة، جامعة باتنة، 2001-2002،  
بلهادف صورية، مظاهرات 11 ديسمبر بين الذاكرة والتاريخ، ماجستير في التاريخ المعاصر، 2005.  
خمري الجمعي، حركة الشبان الجزائريين 1900-1930، ماجستير في التاريخ، إشراف حماد حسين، جامعة قسنطينة 1994.  
فركوس صالح، احتلال ومقاومة المكاتب العربية بمقاطعة قسنطينة 1844-1871، ج1، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة  
في التاريخ المعاصر، جامعة قسنطينة، 2001.  
بولعابيز جمال، السياسة الفرنسية بالشرق الجزائري 1900-1939، ماجستير، إشراف محمد حسن صبحي، الإسكندرية 1993.  
عميرواي أميده، السياسة الفرنسية والمقاومة الوطنية في الشرق الجزائري 1837-1857، دكتوراه دولة، جامعة منتوري، 1999.  
زمولي ياسمين، الألقاب العائلية في الجزائر قانون الأحوال النسية في الجزائر 1870-1900، قسنطينة نموذجاً، ماجستير في  
التاريخ، إشراف قشي فاطمة الزهراء، جامعة منتوري، 2003.

### المعاجم: والقواميس:

المنجد في اللغة والإعلام، منشورات دار المشرق، بيروت، ط31، 1991.  
المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط42، 2007.  
معجم العلوم الاجتماعية، الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة (يونيسكو)، تصدير ومراجعة إبراهيم مذكور، الهيئة المصرية العامة  
للكتاب، القاهرة، 1975.  
لسان العرب، المحيط العلامة معجم لغوي علمي، قدم له العلامة العلابي عبد الله، إعداد وتصنيف يوسف، دار لسان العرب، ج1،  
بيروت، د.ت.

### - وسائل سمعية بصرية:

cd-rom, Le Monde diplomatique 1978-2004.

### الدوريات باللغة الفرنسية:

Cirta Revue Historique Sociologique, Institut Sciences Sociales, Université de Constantine, 2<sup>ème</sup> Année, N ; 3, Mai 1980. Et 5<sup>ème</sup> Année, N; 8/9, Déc. 1983.

Paris Match, N ; 336, du 3 au 10 septembre 1955.

Le Philippeville, 31 mars 1934, 1 Avril et 10 Juillet 1934.

La Dépêche de Constantine, N ; 16474 du 24/11/1955.

Courrier de Philippeville ; 15/03/1848, N, 104.

El watan Algérie , Roger Roth, 7/11/2004.

Le quotidien D'Oran, N ; 3268, Jeudi 22/09/2005

Sekfali Abderrahim, Maître D'Ecole Et franc-Maçonnerie Dans Le Constantinois De L'entre Deux guerres, Op. Cit.

Revue Municipale De Philippeville, Trimestrielle : Avril Mai Juin 1955 ; Série N ; 01,

N :110, Mars 1875, Documents Pour Servir L'Histoire De 19 Année, Feraud Charles, R.A, Philippeville, Alger, Journal Des Travaux De La Société Historique Algérienne

Cirta, Revue historique sociologique, institut des sciences Sociales de L'université de Constantine, 2<sup>ème</sup> année, n : 3, mai 1980 .

Le Philippevillois, 31 mars 1934, 1 avril, 10 juillet 1934.

Roger Roth, Ancien Membre de L'Exécutif Provisoire Algérien, El Watan Algérie, Edition 7 Novembre 2004 La Revue Ensemble N ; 313, Le 18/05/2001, P.F.

Montoy Louis, Députés et Sénateurs Du Département de Constantine 1870-1940, Cirta Revue Historique Et Sociologie De Constantine, 5Année, N;8/9, Dec1983.

### المصادر الأرشيفية:

Archives W. Constantine, Répertoire Numérique Détaillé, Série n : 1, Communes de L'Est.

Bulletin Du Gouvernement Général, 1879

Arrêté Préfectoral, Actes De La Préfecture, 1870.

F80506 ;Cercle de Philippeville ,Rapport du 4 e Trimestre ;1857

F80 510 Cercle De Philippeville, Rapport De La Quinzaine De Novembre 1848.

Courrier de Philippeville ; 15 mars 1848, n : 104

G.G.A, Recensement de La Population 1936-1948.

.Les Recensements de 1931 et 1936, Annuaire Statistique de L'Algérie

Le Philippevillois, 23 Mars 1935, Article Nécrologique sur Teissier Albert.

Recueil Officiel Des Actes De la Préfecture De Constantine

PROPER Alquier, Notices Concernant les Communes Du Département De Constantine 1927, Maréchal De Castellane (Lettres), Campagne D'Afrique 1835-1848, Librairie Plon Et Cie Imprimeurs .Editeurs, Paris, 1898

## المجتمع وال عمران في مدينة سكيكدة 1838-1962

المعاجم باللغة الفرنسية:

Le Petit Larousse Illustré 2006, Paris,

Le Petit Robert Dictionnaire Illustré, Noms Propres, Paris, 1996,

Le Robert Des Noms Propres ; paris France, 1996.

Le Petit Larousse Illustré, Paris, Cedex, 2005.

	فهرس الموضوعات:
ص أ-	- المقدمة.
	- الفصل التمهيدي:
18 ص	- المبحث الأول:
31 ص	- المبحث الثاني:
32 ص	- المبحث الثالث:
33 ص	- المبحث الرابع :
50 ص	- الفصل الأول: المجتمع في مدينة سكيكدة
52 ص	المبحث الأول:
57 ص	-المبحث الثاني:
74 ص	- المبحث الثالث: ديموغرافية المدينة
102 ص	الفصل الثاني: العمارة والعمران في مدينة سكيكدة
102 ص	- المبحث الأول: تطور العمارة والعمران في مدينة سكيكدة.
111 ص	- المبحث الثاني: المؤسسات ومعالم العمران في سكيكدة.
120 ص	- المبحث الثالث: توزيع الأحياء الأوروبية والعربية بالمدينة
133 ص	-المبحث الرابع: شوارع مدينة سكيكدة ودلالات أسمائها.
149 ص	الفصل الثالث:
151 ص	- المبحث الأول:
165 ص	-المبحث الثاني:
194 ص	- المبحث الثالث:
204 ص	الفصل الرابع: الحياة السياسية في مدينة سكيكدة
208 ص	- المبحث الأول:
208 ص	- المبحث الثاني:
210 ص	- المبحث الثالث:
211 ص	-المبحث الرابع: النشاط الثوري بسكيكدة
213 ص	الفصل الخامس: الحياة الجموعية والتعليمية والصحفية في سكيكدة
ص.	المبحث الأول:
ص.	المبحث الثاني:
ص.	المبحث الثالث:الصحافة في مدينة سكيكدة
216 ص	الخاتمة
220 ص	الجداول
	الملاحق:.
220 ص	ملحق رقم 1:
224 ص	ملحق رقم 2
226 ص	ملحق رقم 3
231 ص	ملحق رقم 4
232 ص	ملحق رقم 5
233 ص	ملحق رقم 6:
234 ص	ملحق رقم 7:
235 ص	ملحق رقم 8:
236 ص	ملحق رقم 9:
ص	ملحق رقم 10
238 ص	ملحق رقم 11
239 ص	ملحق رقم 12:
243 ص	ملحق رقم 16:
244 ص	ملحق رقم 17:
245 ص	ملحق رقم 18:
246 ص	ملحق رقم 19:
247 ص	ببليوغرافية البحث .....
255 ص	الفهارس.....



A

*Algérie 1956, Livre blanc Sur La Répression, Texte Et Document Réunis Par Denis Et Robert Barrot, Préface Pierre Vidal Naquet, Post face Daho Djerbal, Edition Barzakh, Alger*

Arti Louis, *El Halia, Le Sable D'El Halia, oman Autobiographique, Editions Camps' Act, Collection Par-dessus La Marché, France, 1996*

Agéron Charles Robert, *Les Algériens Musulmans Et La France 1871-1919, T1, 1é Ed, PUF Paris, 1968.*

Agéron Charles Robert, *L'histoire de L'Algérie contemporaine 1871-1919, T2, PUF, Paris ,1979.*

Ageron Charles Robert, *Histoire de L'Algérie Contemporaine, PUF, Paris, 1974.*

Ageron Charles Robert, *Histoire de l'Algérie Contemporaine (1830-1973), Collection "Que Sais-je?" N° 400, 5éme Edition, P U F, Paris, 1974.*

Ageron Charles Robert, *Politique Coloniale Au Maghreb, PUF, Paris, 1972*

Ainad-Tabet Redouane, *Le 8 Mai 1945 En Algérie, OPU, Alger, S.D.*

Antoine Laurent F, *Constantine, Centre Economique Marché De Grains Et De Tissus, Toulouse : Imprimerie Du Centre, 1930.*

Alquer M, *Notices Concernant Les Communes Du Département De Constantine, Ed Braham, Constantine, Extrait Du Recueil Des Actes De La Préfecture De Constantine, N2, 1927.*

Abdelghani M, *La Paysannerie Algérienne Face à La colonisation, SNED, Alger, 1973.*

B

Bachtarzi Mahieddine, *mémoires 1919-1939, Suivi D'Etudes Sur Le Théâtre Dans Les Pays Islamiques, SNED, Alger, 1969.*

Benhabyles Cherif, *L'Algérie Française Vue Par Un Indigène, Alger :Imprimerie Orientale, 1914.*

Berque Jacques, *Le Maghreb, Histoire Et Société De L'Impérialisme à La Décolonisation, Belgique, Ed Ducolot, Alger, SNED, 1974.*

Berque Jacques, *Le Maghreb Histoire Et Société,*

Bouveresse Jacques, *Les Délégations Financières Algériennes 1898-1945, T2, Edition Université De Nancy 2, France 1979, Thèse non Editée.*

Bertrand Louis, *Catalogue Du Musée Archéologique De Philippeville, 1914.*

Breil T, *La Population En Algérie, Etude De Démographie Quantitative, Paris, 1957.*

Boucif Mekhaled, *Chroniques D'Un Massacre Sétif, Guelma, Kherrata. ; Alger,*

Beethaut P, *Les Caractéristiques De L'Economie Rurale Nord Africaine, Casablanca ; IMP, Réunion, 1931.*

C

Carlier Omar Et D'Autres, *Lettrés Intellectuels Et Militants En Algérie 1880-1950, CRAS Oran, OPU, Alger, S.D.*

Carlonal Jules, *L'Algérie Et Ses Produits, Imprimeur Libraire Editeur, Alger, 1922.*

Crespo Gérard, *Les Italiens En Algérie 1830-1960, Histoire Et Sociologie d'une Migrations Edition Gandini, 1994*

Clerc Denis, *Economie De L'Algérie, Les Cahiers De La Formation Administrative ; imprimerie centrale de Annaba, 1975.*

Chapsal Jacques, *La Vie Politique En France Depuis 1940, 2 éme Edition, PUF, Paris, 1966*

Chevallier J.J, *Histoire Des Institutions Et Des Régimes Politiques De La France Moderne 1789-1958, 6é édition, 1967, paris.*

Chevalier Louis, *Le Problème Démographique Nord-Africain, Paris, PUF, 1947.*



- Chouraqui André, Les Juifs De L'Afrique Du Nord, Marche Vers L'Occident, Paris, PUF, 1952*  
 Chouraqui André, Les Juifs D'Afrique Du Nord, PUF, 1 ER Edition, 1952, Imprimerie Fenech Maje neuve  
*Chouraqui André, La Saga Des Juifs De L'Afrique Du Nord, Paris, Librairie Hachette, 1972.*  
*Cote Marc, Paysages Et Patrimoine Guide D'Algérie, media plus, Algérie, 1996.*  
*Collection Mémoires, N°55-Mars 1999, Alger 1860-1939, Le Modèle Ambigu Du Triomphe Colonial, dirigée par henry Dougier.*  
*Cuttoli Paul, Centenaire de Philippeville 1838-1938 ; Imp.Constantini, Philippeville, 1939.*  
*Collot Claude, Les Institutions De l'Algérie durant La Période Coloniale 1830-1962, Edition Du CNRS, Paris ,OPU, Alger, 1987.*  
*Collot Claude, Le Régime juridique De La Presse Musulmane Algérienne, Sommaire De La Revue Algérienne, 1964-1991.*  
*Collectif, Représenter La Ville, Paris Editions Communica, 1995.*  
 Crespo Gérard : les Italiens En Algérie, A.Grurel, Les Pêches Maritimes En Algérie.  
*Crespo Gérard, Stora Une Localité Italienne De L'Est Algérien Au 19é Siècle.*  
*Ciavaldini Jean, Brugirard R, Monographie D'El Harrouch 1956*

D

- Depont Octave, Les Délégations Financières Algérienne, R.A, 1930.  
*Djabi Nasser, Kaidi Lakhder, Une Histoire Du Syndicalisme Algérien, Entretiens, Chihab Editions, Alger.*  
*Djeghloul Abdelkader, Huit Etude Sur L'Algérie, Colonisation et syndicalisme, SNED, S.D.*  
 Duverger Maurice, (Sous Sa Direction), Partis Politiques Et Classes Sociales En France. Cahiers de La Fondation National Des Sciences Politique, Partis Et Elections N° 74. Librairie Armand Colin, Paris 1955  
 Donato Marc, L'Emigration Des Maltais En Algérie Au 19éme siècle, Editions Africa Nostra, Montpellier, 1985

E

F

- Fanny Colonna, les Instituteurs Algériens, 1883- 1939, Alger, OPU, 1975,*  
*Féraud Charles, Histoire des villes de Province de Constantine, Philippeville, Jourdan, 1878.*  
*Fenech E.Y, Histoire De Philippeville, Imp-Philippeville, 1852.*  
*Fillias A, Notices Sur Les Produits Maritimes Du Littoral Algérien, Cursah, Alger, 1878.*

G

- Gardet I, La Cité Musulmane, Vie Sociale Et Politique, Librairie Philosophique, Paris, 1954.*  
*Gaston Loth, Le Peuplement Italien En Algérie Et En Tunisie, A. Colin, Paris, 1905.*  
*Gani Léon, Syndicats Et Travailleurs Immigrés, Editions Sociales Paris, 1972.*  
*Gallisot René, Algérie Colonisée Algérie Algérienne 1870/1962,*  
*Gérard Jules, L'Afrique Du Nord ,2éme Ed, Dentu Editeur, Paris, 1861*  
*Germain Tillon, Les Ennemis Complémentaires, Ed De Minuit, Paris, 1957.*  
*Guechi F.Z, Sous Sa Direction, Constantine Une Ville, Des Héritages, Media plus, Algérie, 2004.*  
*Gilbert Attard, Philippeville Ses Souvenirs, T 3, Les Premiers jours de Philippeville, Bordeaux, 1983.*  
*Gsell Stéphane, Atlas Archéologique De L'Algérie, T2, 2 éme, Alger, 1997 .*  
*Gendarme René, L'Economie De L'Algérie Sous Développement Et Politique de Croissance, Librairie Armand Colin, Paris, 1959*  
 Grenier A, Note Sur la Topographie Et Quelques Monuments Antiques De Rusicade, Bulletin De S.A.C.

H

Harbi Mohamed, *Une Vie Debout, Mémoires Politiques 1945- 1962, T1 ; Casbah ED, Alger, 2001.*

Harbi Mohamed, *L'Algérie Et Son Destin, Croyants Et Citoyens, Alger, Media Associes, 1994.*  
Hadad Mostefa,

I

Ihaddadane Zahir, *Histoire de la Presse Indigène En Algérie Des Origines Jusqu'En 1930, 2ème Ed, Les Editions Ihaddadane Alger, 2003.*

Ichebouden Larbi, *Alger: Histoire et Capitale de Destin National, Casbah Edition, Alger, 1997.*

J

Julien Charles André, *L'histoire de L'Algérie contemporaine 1827-1871, PUF, Paris, 1964.*

Jeanson Francis Et Colette, *l'Algérie Hors La Loi, ENAG Editions 1993*

K

Kadache Mahfoud, *Histoire D'Alger 1919-1939, SNED, Alger, 1970.*

Kadache Mahfoud, *Histoire Du Nationalisme Algérien, 2é, T1, ENAL, ENI, Alger, 1993.*

L

Lalumiere Marc, *Histoire De L'Algérie Illustrée de 1830 à Nos Jours, Ed Cnotue, Paris, 1962.*

*La Revue Africain, Numéros : 12, 53, 50, 115, 116 ; 374.*

Lederman Emile, *Philippeville Et Ses Environs, Histoire Et Tourisme, Edition Du Syndicat D'Initiative, Philippeville, 1935.*

Léonard Roger, *"Industrialisation De l'Algérie" Doc Al, 1954, Imprimeries Officielles, Alger.*

M

Manoni Pierre, *Les Français D'Algérie, Vie Moeurs Mentalité, Paris, Edition L'Harmattan, 1999.*

Marre Alain, *Etude Géo Morphologique Des Vallées Des Oueds Guebli Et Safsaf Dans Le Tell Nord Constantinois, Thèse 3 éme Cycle, Aix Marseille 2, 1983.*

Mazouni Abdallah; *Culture Et Enseignement En Algérie: Edition Maspero, Paris, 1969.*

Merad Ali, *Le Réformisme Musulman En Algérie De 1925 à 1940, Essai D'histoire Religieuse Et Sociale, Mouton, Paris, 1967.*

Mercier Ernest, *Histoire De Constantine, Ed J.Marle Et F.Biron, Constantine, 1903.*

Montoy, *la presse dans le Département de Constantine (1879-1918), 2 V, thèse d'Etat.*

Morinaud Emile *Mes mémoires, 50 Ans D'Histoire Politique Du Département De Constantine, Alger :Ed Baconniers Frères, 1941.*

Menleman Johan Hendrik

N

Nasser Djabi, Kaid Lakhdar, *Une histoire Du Syndicalisme Algérien, Entretien, Chihab Editions Alger, 2005.*

Nouschi Andre, *La Naissance Du Nationalisme Algérien, Les Editions De Minuit, paris, S.D..*

Nouschi Andre; *L'Algérie Amère 1914-1995, Editions De La Maison De Science De L'Homme, Paris, 1995.*

Nouschi André, *Enquête Sur le Niveau de la Vie du Population Rurale Constantinoise De la Conquête Jusqu'en 1919 d'Histoire économique et Sociale, PUF, paris, 1961.*

O

P

Peyerimoff E, *Enquête Sur Les Résultats De la Colonisations Officielle, De 1871 à 1895, Alger, 1906.*

*Peyrhimoff De, Enquête Sur Les Résultat De La Colonisation Officielle 1871-1895, T1, Alger, 1905.*

*Perville Guy, Les Etudiants Algériens De L'Université française 1880-1962, Ed Casbah, Alger, 1997*

Q

R

*Remaoun Hassan Sous Sa Ouvrage Collectif, L'Algérie Histoire, Société Et Culture, Casbah Editions, Alger ,2000.*

*Rotman Patrick, L'Ennemi Intime, Chihab Editions, Algérie, 2002*

*Rédiger Angelina Prieur, Philippeville, Ma Bien Aimée, USA*

*Ricoux René, Les Démographie Figurée De L'Algérie Etude Statistique Des Populations Européenne Qui Habitent L'Algérie, G. Masson éditeur, Paris, 1880.*

*Roger Joseph, Conservateur Du musée Archéologique de P/V, La Revue Africain, T9,N ;53, 1865.*

S

*Sekfali Abdelrahim, Les Maîtres Des Ecoles Primaires de L'Enseignement Public Dans Le Département de Constantine 1890-1939, Thèse de Doctorat d'état, Sous La Direction de Jean Luis Miege, Université de Provence D'Aix ,1993.*

*Solal Edouard, Philippeville Et Sa Région 1837-1870, Editions La Maison Des Livres Alger, S.D.*

*Soulier I, Espace Vert Et Urbanisme, Edition Cru, Paris, 1968 .*

*Stora Benjamin, Dictionnaire Biographique Des Militants Nationalistes Algeriens ENA , PPA,MTLD 1926-1954, Paris, L'Harmattan, 1985.*

*Souriau Hoebrechts Christiane, La Presse Maghrébine, Paris, CNRS, 1975.*

*Skikda Art Et Monument, Wilaya Skikda, Alger*

T

*Turin Y , Affrontements Culturels Dans L'Algérie Coloniale 1830-1880 ; Maspero, Paris, 1971.*

*Thuriez Danielle, Les Journaux De Philippeville Et Le Problème De La Sécurité 1890-1914, Mémoire Maîtrise, Sous La Direction De M.Guiral.*

*Tillon Germain, les Ennemis Complémentaires; Ed de Minuit, Paris, 1957*

U

V

*Var Charles, Stora Rusicade Philippeville, Imp., Constantine , 1895.*

*Vatin J.C, L'Algérie, Politique, Histoire Et Société, Armande Colin , Paris, 1974.*

W

X

Y

*Yahyaoui-Merabet Messaouda, Société Musulmane Et Communautés Européennes Dans L'Algérie Du 20 é Siècle, T 1 et 2, Editions Houma, Alger, 2005.*

*Yacono X, Un Siècle De Franc-maçonnerie Algérienne, Maisonneuve Et Larose, Paris, 1969.*

Z

*Zannetacci H, Les Pécheurs D'Origines Italiens Du Golfe De Philippeville , Philippeville, 1928.*

*Carlonal Jules, L'Algérie Et Ses Produits, Imprimeur Libraire Editeur, Alger, 1922,*

*Jules Gérard, L'Afrique Du Nord ,2éme Ed, Dentu Editeur, Paris, 1861, P.91.*

*Abdelkader Djeghloul, Huit Etude Sur L'Algérie, Colonisation et syndicalisme .*

المعاجم باللغة الفرنسية:

Le Petit Larousse Illustré 2006, Paris,  
Le Petit Robert Dictionnaire Illustré, Noms Propres, Paris, 1996,  
*Le Robert Des Noms Propres ; paris France, 1996.*  
*Le Petit Larousse Illustré, Paris, Cedex, 2005.*

المجلات والدوريات:

المصادر، مجلة المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الأعداد 02-2000، 03-2000، 05-2001.  
مجلة العكر العربي المعاصر، العدد 12 ايار 1981  
مجلة الذاكرة، مجلة الدراسات التاريخية للمقاومة والثورة، السنة الأولى، العدد 03، 1995.  
مجلة الذاكرة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، العدد 07، أوث 2001.  
مجلة إنسانيات، العدد 05-12-16.  
مجلة المجاهد، العدد 1123-1982، العدد 1306-1985.  
مجلة الثقافة، العدد 95، الطاهر زرهوني، التعليم في الجزائر، السنة 16، سبتمبر - أكتوبر 1986، سعيدوني ناصر الدين، العدد 77، سبتمبر - أكتوبر 1983، وزارة الثقافة، الجزائر  
الأهرام المصرية بتاريخ 18 جانفي 2002 .  
جريدة لوموند ليوم 25/01/2002 ص 01، العدد 17729.  
جريدة الشعب، العدد 1986، مقال محمد عباس.  
جريدة الشروق، العدد 709، محمد عباس، في كواليس التاريخ، 03 مارس 2003.

الدوريات باللغة الفرنسية:

Cirta Revue Historique Sociologique, Institut Des Sciences Sociales de L'université de Constantine, 2 éme Année, N ; 3, Mai 1980. Et 5 éme Année, n ; 8/9, Déc. 1983.  
Paris Match, N ; 336, du 3 au 10 septembre 1955.  
Le Philippeville, 31 mars 1934, 1 Avril et 10 Juillet 1934.  
La Dépêche de Constantine, n ; 16474 du 24/11/1955.  
Courrier de Philippeville ; 15/03/1848, n, 104.  
El watan Algérie , Roger Roth, 7/11/2004.

المراجع بالإنترنت :

Wikipédia, L'Encyclopédie Libre.  
AFN ; Illustré 1930.  
Hubert Groud, Le Barrage de Zardézas.  
Il Etait Une Fois Philippeville Cd.  
*Internet ; Impulsions Italiens*

المراجع باللغة العربية:

أ

التازي عبد الهادي، الفكر الجغرافي عند المغاربة، في الاسم الجغرافي تراث وتواصل، أعمال الندوة الوطنية الأولى حول الأعلام الجغرافية، 15-17 أبريل 1992، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب.  
الخطيب أحمد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي في الجزائر، ENL، الجزائر، 1985.  
الخطيب أحمد، الثورة الجزائرية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1958.  
الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسى، ENL، الجزائر، 1983.

- العربي إسماعيل، التنمية الاقتصادية في الدول العربية، SNED، ط2، 1980، الجزائر.
- الزيربي العربي، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط1، دار البعث، الجزائر، 1984.
- الزيربي محمد العربي، تاريخ الجزائر المعاصر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ج1، ح2، مكتبة الأسد الوطنية، 1999.
- العمرى أحمد سويلم، الرأي العام والدعاية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965.
- العروي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، ج3، المركز الثقافي العربي، ط1، 1999، بيروت لبنان.
- العقاد صلاح، المغرب العربي، ط3، مكتبة أنجلو المصرية، 1969.
- المركز الثقافي العربي، عصر النهضة، مقدمات ليبرالية للحدثة، بيروت لبنان ط1 - مؤسسة رينه معوض و فريد ريش ناومان الدار البيضاء، 2000.
- الحاج حسن حسين، علم الاجتماع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت.
- أندري نوشي وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطنبولي رايح، ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
- أيف لاکوست وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تعريب رايح اسطنبولي وآخرون، المطبوعات الجامعية باريس، 1960.
- أوزين روبر، فن تخطيط المدن، ترجمة بهيج شعبان، مراجعة زغيب هنري، منشورات عويدات، بيروت لبنان، ط1، 1974.
- روبير اوزيل، فن تخطيط المدن، ترجمة بهيج شعبان مراجعة هنري زغيب منشورات عويدات - بيروت - لبنان ط1 - 1973.
- أبو عياش عبد الله، أزمة المدينة العربية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980.
- أحيرون شارل، تاريخ الجزائر المعاصرة، 1830-1976، ترجمة عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، 1982.
- أزغيد محمد لحسن، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الجزائرية 1956-1962، ENL، الجزائر، 1989.
- الجوهري يسرى، جغرافيا المغرب العربي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 2001.

## ب

- بو طالب محمد نجيب، سوسولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 2002.
- بومالي أحسن، إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954-1962، من منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر.
- بوحوش عمارة: التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997.
- بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، SNED، 1981.

## ت

- تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ط5، ANEP، 2001، الجزائر.
- تركي رايح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931-1956، ط1، SNED، الجزائر، 1981.
- تركي رايح، التعليم القومي والشخصية الوطنية (1931-1955)، دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، SNED، الجزائر، 1975.
- تراون جان فرنسوا، المغرب العربي، الإنسان والمجال، تعريب علي التومي وآخرون، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1997.
- تواتي موسى، ورايح عواد، هجوم 20 أوت 1955، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1992.

## ث

- جوان جيليس، ثورة الجزائر، ترجمة عبد الرحمن صدقي أبو طالب، مراجعة راشد البراوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، د.ت.
- جوان غليسي، الجزائر النائرة، تعريب خيري حماد، ط1، دار الطليعة، 1961.
- جلال يحيى، السياسة الفرنسية في الجزائر 1830-1959، ط1، دار المعرفة، 1959.
- جغلول عبد القادر، تاريخ الجزائر الحديث، دراسة سوسولوجية، ط3، دار الحدثة بالتعاون مع OPU، الجزائر، 1983.

## ح

- حسن أحمد رشوان، المدينة: دراسة في علم الاجتماع الحضري، ط6 مزودة ومنقحة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر 1998.
- حليمي عبد القادر علي، جغرافية الجزائر، طبيعية- بشرية- اقتصادية، ط1، مطبعة الإنشاء، دمشق، سوريا، 1968.
- حسنيين محمد، الاستعمار الفرنسي، دار النصر للطباعة، ط3، القاهرة، مصر، 1962.

حماد مجدي، النظام السياسي الاستيطاني، دار الوحدة، بيروت، لبنان، 1981.

## خ

خروف علي، السلطة في الأرياف الشمالية لبابلك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي، مطبعة العناصر، الجزائر، 1999.

## د

## ذ

## ر

رزاق عبد الرحمان، تجارة الجزائر الخارجية، صادرات الجزائر فيما بين الحربين العالمين، S.N.E.D، الجزائر، 1976.

## ز

زوزو عبد الحميد، تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وأسيا، OPU، الجزائر، 1997.

## س

سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح، دراسة في تاريخ الحركة الوطنية والثورة المسلحة الجزائرية، ترجمة محمد الجمالي، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، وزارة لمجاهدين، الجزائر 2002.

ساحلي محمد الشريف، تخلص التاريخ من الاستعمار، ترجمة محمد هناد، محمد بن دالي، منشورات وزارة المجاهدين، دار القصبه، 2002.

سعد الله أبو القاسم، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1996.

سعد الله أبو القاسم، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1990.

سعد الله أبو القاسم، أبحاث وأراء في الحركة الوطنية، SNED، الجزائر، 1978.

سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، الجزائر، 1981.

سعيدوني ناصر الدين، الجزائر، منطلقات وآفاق، مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2000.

سعيدوني نصر الدين، أساسيات منهجية التاريخ، ورفات في إشكالية البحث التاريخي، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2000.

سلامة بيبير وبرهان غليون وآخرون، جدلية الدولة والمجتمع بالمغرب، مطابع إفريقيا الشرق، ط2، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1994.

## ش

شريط عبدالله، مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الإيديولوجي في الجزائر، ENL، الجزائر، 1986.

شنيبي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج1، OPU، الجزائر، 1999.

## ص

## ض

## ط

طنجة في التاريخ المعاصر 1800-1956، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط، بالتعاون مع جامعة عبد الملك السعدي ومدرسة الملك فهد العليا للترجمة طنجة، 1951.

## ظ

## ع

عميرواي أمحمدة، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط2 دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2004

عميرواي أمحمدة، من الملتقيات التاريخية الجزائرية، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 2000.

- عميرواي أمحمد، من تاريخ الجزائر الحديث، ط2، دار النهضة، الجزائر، 2004.
- عميرواي أمحمد، السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة 1838-1858، دار الهدى الجزائر، 2004.
- عباد مصطفى، العام والخاص في التسمية الموقعية في الاسم الجغرافي، تراث وتواصل، المغرب، 1992
- عباد صالح، الجزائر بين فرنسا والمستوطنين 1830-1930، OPU، الجزائر، 1999.
- عيساوي أحمد، منارات من شهاب البصائر للشيخ العربي التبسي 1891-1957، مطبعة الوليد، الجزائر، 2006.
- عيناد ثابت رضا، 8 ماي 1945 في الجزائر، ترجمة عيناد ثابت ومغيلي، OPU، ENL، الجزائر، 1986.

## غ

- غانم محمد الصغير، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، منشورات جامعة منتوري، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2003.
- غانم محمد الصغير، التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط، جامعة منتوري قسنطينة، ط4، دار الهدى عين مليلة، 2003.

## ف

- فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقين إلى خروج الفرنسيين، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2002.
- فون مالتسان هاينريش، ثلاث سنوات في شمال إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، SNED، الجزائر، 1979.
- فاعور علي، جغرافية تاريخية المدينة العربية، نشأتها وموقعها في كتابات الجغرافيين العرب.

## ق

- قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة في عهد صالح باي، منشورات ميديا بلو قسنطينة، الجزائر، 2005.
- قنان جمال، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994.
- قنان جمال، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ANEP، الجزائر، 1994.
- قداش محفوظ، صاري الجليلي، الجزائر في التاريخ المقاومة السياسية 1900-1954، ترجمة بن حراث عبد القادر، ENL، الجزائر، 1987.
- قدورة زاهية، تاريخ العرب الحديث، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1967.

## ك

- كواندت وليم ب.، الثورة والقيادة السياسية في الجزائر 1954-1968، مركز الدراسات والأبحاث العسكرية، دمشق، 1981.

## ل

- لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية النشر والتوزيع، الجزائر، 1979

## م

- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988.

## ن

- ناصر محمد، المقالة الصحفية الجزائرية 1903-1931، ج2، الجزائر.

## هـ

- هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، OPU، الجزائر، 1995.

## و

- وطبان عبد العزيز، الاقتصاد الجزائري ماضيه وحاضره: 1830-1985، منظمة العمل العربية، المعهد العربي للثقافة وبحوث العمل بالجزائر، د.ت.

## ي

- يجي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- يجي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

**المصادر:**

- العنتري محمد الصالح ، تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز ، OPU، الجزائر، 1991.
- أيت أحمد حسين، مذكرات مكافح 1942-1952، ترجمة سعيد جعفر، منشورات البرزخ، الجزائر، 2002.
- عباس محمد، ثوار عظماء، دار هومة للطباعة والنشر، 2003، الجزائر.
- مذكرات الرئيس علي كافي، من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، دار هومة، الجزائر.
- كافي علي: (مذكرات الرئيس)، من النضال السياسي إلى القائد العسكري 1946 - 1962، دار القصة، الجزائر: 1999.
- كشيدة عيسى، مهندسو الثورة، تقدم عبد الحميد مهري، منشورات الشهاب، باتنة، الجزائر.
- محساس أحمد، الحرة الوطنية الثورية في الجزائر، من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، 2002، الجزائر.
- عباس فرحات، ليل الاستعمار، ثورة الجزائر المباركة، ANEP، الجزائر، 2005.
- يوسف محمد، الجزائر في ظل المسيرة النضالية: المنظمة الخاصة، ترجمة محمد الشريف بن دالي حسين، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2002.
- عباس محمد، رواد الوطنية، دار هومة، الجزائر، 2004.
- قديد محمد، الرد الوافي على مذكرات كافي، دار هومة، الجزائر، 2001.
- قليل عمار، ملحمة الجزائر الجديدة، ط1، ج2، دار البعث، الجزائر، 1991.
- الجنرال أوساريس، شهادتي حول التعذيب، مصالح خاصة الجزائر، 1957-1959، ترجمة:مصطفى فرحات، دار المعرفة، الجزائر، 2004.
- حري محمد، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، سلسلة صاد، موفم للنشر، ترجمة نجيب عباد وصالح المتلوئي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1994.
- حري محمد، سنوات التمرن، حياة تحد وصمود، مذكرات سياسية 1945-1962، دار القصة للنشر، الجزائر، 2004 .
- قناش محمد، ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، دار القصة للنشر، 2007.

**الدوريات والمجلات:**

- الشروق، العدد 1445، الاثنين 01 أوت 2005، ص.06، استطلاع عن كنانس الشرق الجزائري، وثائق مديريةية الشؤون الدينية .
- الشروق اليومي 2007/06/03 مقال: الملتقى الدولي حول الهجرة: عبد المالك صياد أحسن من بحث في الهجرة والغربة
- الشروق، العدد: 1469، مذكرات محمد الميلي، الاثنين 29 أوت 2005،
- جريدة لوموند ليوم 2002/01/25 ص 01، العدد 17729.
- فضة مصطفى، حول مفهوم القبيلة في علم الاجتماع الاستعماري، الثقافة الجديدة، المغرب، العدد 29، 1983
- جريدة الزمان، العدد 1601، التاريخ 7 و8 ديسمبر 2003.
- جريدة المشرق، عدد 433، تاريخ:22 أوت 1864.
- علي لزعر، التقنيات الديمغرافية والتنظيم المدني، مجلة دفاتر العلوم الاجتماعية، وحدة البحث والتنشيط العلمي، العدد 5، السنة 1986، جامعة عنابة،
- أعمال اليومين الدراسيين المنظمة 26/25 ديسمبر 1983،
- حري محمد، الوطنية الشعبوية بمدينة سكيكدة، مجلة إنسانيات، عدد 16، جانفي - أبريل 2002،
- شنيبي محمد بشير، تاريخ الجزائر القديم من خلال المصادر الفرنسية، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، 1985، العدد 20، الجزائر.
- احدادن زهير، مدخل العلوم والإعلام والاتصال، OPU، الجزائر، 1991،
- بوزة صالح، وسائل الإعلام في الجزائر من الثورة إلى الاستقلال، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، عدد 108، ماي-جوان 1995، الجزائر.
- مريوش أحمد، مجلة الرؤية، العدد 2، 1996،
- كريمة بن حسين، ترجمة "لويس بيير مونطوا"، الصحافة، وثيقة الخدمة التاريخ الريفي في مقاطعة قسنطينة، مجلة سيرتا، العدد 1، ماي 1979، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة.
- سلامي مليكة، الصحافة الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي دراسة تاريخية، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، 1986، الجزائر.
- داود محمد، المدينة في الرواية الجزائرية، الفضاء القسنطيني في رواية الزلزال، مجلة إنسانيات، العدد 13، جانفي - أبريل 2001.



- مجلة المدينة العربية، العدد 44، السنة التاسعة، ذو الحجة 1410 هجري، 1990، منظمة المدن العربية، مقال أثر المرافق في تطوير وتنظيم المدن الساحلية، مدينة اللاذقية نموذجاً، عادل عوض.
- مجلة المدينة العربية، العدد 34، السنة السابعة، نوفمبر 1988، ربيع أول 1409 هجري، مقال التخطيط الحضري في العالم، سعيد محمد الحفار.
- مجلة المدينة العربية، العدد 31، السنة السابعة، ماي 1988، رمضان 1408 هجري، منظمة المدن العربية، الكويت.
- مجلة المدينة العربية، العدد 66، ماي يونيو 1995، منظمة المدن العربية، الكويت، مقال رائحة التاريخ وأنف الواقع، أميرة حواسك.
- الأهرام المصرية بتاريخ 18 جانفي 2002.
- سعيدوني نصر الدين، مجلة الثقافة، العدد 77، سبتمبر - أكتوبر 1983، وزارة الثقافة، الجزائر،
- عويضي عادل، المدينة العربية الإسلامية والمدينة الأوروبية، مجلة العلم التكنولوجي، عدد 27، جانفي 1992.
- جريدة النجاح، العدد: 1410 بتاريخ: 27 جانفي 1933.
- جريدة النجاح، العدد 1288، بتاريخ: 01 أبريل 1932..
- مجلة الثقافة، العدد 95، الطاهر زرهوني، التعليم في الجزائر، السنة 16، سبتمبر - أكتوبر 1986،
- عمار بوحوش، مجلة الثقافة، العدد 13-14، 1973، وزارة الإعلام والثقافة: (دراسة أسباب الهجرة إلى فرنسا).
- مياسي إبراهيم، المصادر، العدد الخامس، 2001، الاستيطان الفرنسي في الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، العدد الخامس، 2001.
- جريدة النجاح 2 أوث 1936 المرافق 24 جمادى الأول 1355 هجري.
- حري محمد، إنسانيات عدد 16، جانفي - أبريل 2002.
- جريدة البيان الإماراتية، 18 يونيو 2001.
- علي كافي، يوم 20 أوث 1955 أسبابه ونتائجه، المذكرة، مجلة الدراسات التاريخية للمقاومة والثورة، السنة الأولى، العدد الثالث، 1995، المطبعة الجزائرية للمجلات، الجزائر.
- مجلة المصادر، العدد 3، 2000.
- جريدة الشروق، العدد: 709، محمد عباس، في كواليس التاريخ، الاثنين 03 مارس 2003.
- مقال عبد الكريم سكفالي، مدرسو التعليم والماسونيون، الحوار الفكري، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، التغييرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، أبريل 2001.
- عميراي أمحمد، مقال الماسونية نموذجاً، الندوة العلمية الأمير عبد القادر والتيارات فكرية غير عربية إسلامية، منشورات مخبر البحث في الدراسات الأدبية والإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، 2006.

#### الرسائل الجامعية: والبحوث الأكاديمية باللغة العربية:

- عرجون سالمينة وعلوة سهيلة، الطباعة والمطابع بمدينة قسنطينة ما بين 1830 و1922، دراسة تحليلية، مذكرة لنيل شهادة ليسانس في علم المكتبات والمعلومات، إشراف بن الشريف عبد الكريم، جامعة قسنطينة، 1992.
- جلبير غرانغيوم، اللغة والسلطة و الجماعة في المغرب العربي، ترجمة محمد أسليم، مقتبسة من أطروحة لنيل دكتوراه الدولة من جامعة السوربون باريس، نوقشت فيفري 1983، تحت عنوان العلاقة بين التحولات اللغوية و الدينامية الاجتماعية في المغرب العربي المعاصر، مقارنة أنثروبولوجية. بورغدة رمضان، العدالة
- حمادة صالح، رسالة ماجستير: مدينة سكيكدة في جغرافية الحضر، جامعة عين الشمس، 1979.
- بوشامة ليديا، شبكة المراكز في وادي الصفصاف بولاية سكيكدة، فوارق النمو وتنوع وتكامل في الوظائف، رسالة ماجستير، كلية علوم الأرض، جامعة منتوري، 2002.
- بوحة سهيلة ودلال زهرة ولعباني مليكة، بحث جماعي، تنظيم وإعادة هيكلة المراكز القديمة حالة مركز مدينة سكيكدة، مذكرة مهندس دولة في التهيئة الحضرية، إشراف حمادة صالح، معهد علوم الأرض، جامعة قسنطينة، -1996-1997،
- نذير حسيني، سليم براقدي، مشروع مقدم لنيل شهادة مهندس دولة في التهيئة الحضرية، حول مدينة سكيكدة: مشكلة التوسع الحضري والتوجهات المستقبلية، إشراف: صالح حمادة، جامعة قسنطينة، 2001،

- فيلالي سمير وجمال، عزيزي عثمان، رباح السعيد، إشراف بن ميسي أحسن بحث جماعي: إعادة تنظيم وتطوير مدينة سكيكدة، مشروع مهندس دولة في التهيئة الحضرية والإقليمية، جامعة منتوري، 1991.
- بوالظمين عبد السلام وحمادة لزهري، إشكالية النمو الحضري في مدينة سكيكدة، جامعة منتوري، 1992.
- حركات محمد، شبكة الكهرباء والغاز في الجزائر بين 1946 - 1962، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف قشي فاطمة الزهراء، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، 2005.
- ديلمي عزوز، الصحافة الاستعمارية في عمالة قسنطينة خلال فترة ما بين الحربين 1919-1939، بطاقة تعريفية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، 2001-2002.
- العمرى الطاهر، دور بني المجتمع الجزائري في مقاومة الاستعمار 1830-1900، بحث ماجستير في التاريخ، إشراف أحمد صاري، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2002.
- قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة المدينة والمجتمع من أواخر القرن 18م إلى منتصف القرن 19م، رسالة دكتوراه الدولة في التاريخ، إشراف الشريف محمد الهادي، جامعة تونس، 1999.
- بن حسين كريمة، الحياة السياسية في قسنطينة 1930-1939، دبلوم الدراسات العميقة في التاريخ، إشراف توفيق برو، جامعة قسنطينة، 1984.
- بن حسين كريمة، الحياة السياسية في قسنطينة من سنة 1930 إلى سنة 1945، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ المعاصر، إشراف حماد حسين، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة.
- حسينة حماميد، المستوطنون الأوروبيون و الثورة الجزائرية 1954-1962، رسالة مرقونة، جامعة باتنة، 2001-2002،
- بلهاف صورية، مظاهرات 11 ديسمبر بين الذاكرة والتاريخ، ماجستير في التاريخ المعاصر، 2005.
- خمري الجمعي، حركة الشبان الجزائريين 1900-1930، بحث مقدم لنيل الماجستير في التاريخ المعاصر، إشراف حماد حسين، جامعة قسنطينة 1994.
- فركوس صالح، احتلال ومقاومة المكاتب العربية بمقاطعة قسنطينة 1844-1871، ج1، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ المعاصر، جامعة قسنطينة، 2001.
- بولبايز جمال، السياسة الفرنسية بالشرق الجزائري 1900-1939، رسالة ماجستير، إشراف محمد حسن صبحي، الإسكندرية 1993.
- عميرايي أحميده، السياسة الفرنسية والمقاومة الوطنية في الشرق الجزائري 1837-1857، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة منتوري، 1999.
- زمولي ياسمين، الألقاب العائلية في الجزائر قانون الأحوال النسبية في الجزائر 1870-1900، قسنطينة نموذجاً، ماجستير في التاريخ، إشراف قشي فاطمة الزهراء، جامعة منتوري، 2003.
- الرسائل الجامعية: والبحوث الأكاديمية باللغة الأجنبية:**
- المعجم والقواميس:**
- المنجد في اللغة والإعلام، منشورات دار المشرق، بيروت، ط31، 1991.
- معجم العلوم الاجتماعية، الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو)، تصدير ومراجعة إبراهيم مذكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975.
- لسان العرب، المحيط العلامة معجم لغوي علمي، قدم له العلامة العلايلي عبد الله، إعداد وتصنيف يوسف، دار لسان العرب، ج1، بيروت، د.ت.
- الملتقيات:**
- جيلالي بلوفة، مقال مكانة سكيكدة في النضال الثوري الوطني من خلال كتابات المؤرخين الجزائريين، ملتقى سكيكدة عبر العصور، سكيكدة، أوت 2004، من تنظيم جمعية روسيكادا الثقافية لولاية سكيكدة.
- لونيسى إبراهيم، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس ملتقى سكيكدة الوطني حول المسيرة النضالية لمنطقة سكيكدة عبر العصور أوت 2004.

Le quotidien D'Oran, N ;3268, Jeudi 22/09/2005

Sekfali Abderrahim, Maître D'Ecole Et franc-Masonnerie Dans Le Constantinois De L'entre Deux guerres, Op. Cit.

Revue Municipale De Philippeville, Trimestrielle : Avril Mai Juin 1955 ; Série N ; 01, N :110, Mars 1875, Documents Pour Servir L'Histoire De 19 Année, Feraud Charles, R.A, Philippeville, Alger, Journal Des Travaux De La Société Historique Algérienne Cirta, Revue historique sociologique, institut des sciences Sociales de L'université de Constantine, 2 éme année, n : 3, mai 1980 .

Le Philippevillois, 31 mars 1934, 1 avril, 10 juillet 1934.

Roger Roth, Ancien Membre de L'Exécutif Provisoire Algérien, El Watan Algérie, Edition 7 Novembre 2004 La Revue Ensemble N ; 313, Le 18/05/2001, P.F.

Montoy Louis, Députés et Sénateurs Du Département de Constantine 1870-1940, Cirta Revue Historique Et Sociologie De Constantine, 5Année, N;8/9, Dec1983

Archives W. Constantine, Répertoire Numérique Détaillé, Série n : 1, Communes de L'Est. Bulletin Du Gouvernement Général, 1879

Arrêté Préfectoral, Actes De La Préfecture, 1870.

F80506 ;Cercle de Philippeville ,Rapport du 4 e Trimestre ;1857

Courrier de Philippeville ; 15 mars 1848, n : 104

G.G.A, Recensement de La Population 1936-1948.

Les Recensements de 1931 et 1936, Annuaire Statistique de L'Algérie.

Le Philippevillois, 23 Mars 1935, Article Nécrologique sur Teissier Albert.

Recueil Officiel Des Actes De la Préfecture De Constantine

PROPER Alquier, Notices Concernant les Communes Du Département De Constantine1927,

Crespo Gérard, stora Une Localité Italienne De L'Est Algérien Au 19é Siècle.

Edgar Scoti - Joseph Palomba, La Pêche et Les Pêcheurs en Algérie Mémoire Voir aussi ;

Gérard Crespo : les Italiens En Algérie, A.Grurel, Les Pêches Maritimes En Algérie.

CLICK FR R, Réseau Francophone site Philippeville Skikda Rusicada il était une fois p-v - La dépêche de constantine30/03/1936

Tocqueville (A), Notes Sur L'Algérie.

PNHA, Pasteur Georges Tartar, N ;28 Septembre 1992.

Un article de Wikipédia, l'encyclopédie libre

Un Article de L'Encyclopédie Libre, Louis Philippe 1ère

Jean Benoît, Les Pieds Noirs D'Hier Et D'Aujourd'hui-Revue Ensemble1999, Amicale Des Jemmapes

Charles Nadjer, Journal De L'Expédition Des Portes De Fer, Constantine.1839.

<http://www.eltamir.net/mortgageRealEstate/Seraa-El-Agyaal.doc>

Sasso Bernard, Conte Et Récit D'un Village D'Algérie Stora, Edition Montet, Régusse, 1980.

Scoti Edgar - Palomba Joseph, La Pêche et Les Pêcheurs en Algérie Mémoire;

Un Pasteur Protestant, Témoignage D'Un Français, Philippeville, 20 Août 1955

Cercle Algerianiste, Free, FR, Conférence 15 Juin 2002, Hubert Groud, L'Histoire Du Barrage Des Zardezas.

Xavier yacono, In L'Algerianiste, N:17/18, 15 Mars Et 15 Juin 1982.

Dimech Pierre ; La Revue De L'Association France Malte

Dictionnaire historique de la suisse25/04/2001 Algérie <http://www.hls-dhs-dss.ch>

In L'Encyclopédie coloniale Et Maritime, Paris, 1946

ACEP ENSEMBLE

Internet, Bernard Brando, Promenade D'un Enfant Philippeville

Wikipedia.Org.Encyclopédie.Cd.Rom

Easy Designer, Bataille de Wagram1809

SuZette Granger, La Rue Des Aurès, Philippeville, Algérie, Skikda, 2005.

Le Web De L'Humanité, Torture Le Pêché Originel, Article Paru Le 5-1-2001, Par Aktiv Multumédia.

Pline, Histoire naturelle, V, 22, Texte Etabli Et Traduit Par Jehan Desange.Paris, Les Belles Lettres ,1980

De Marcilly, Notice Sur Les Vestiges De l'Occupation Romaine Dans le Cerle de Philippeville, R.S.A.C., 1853

Gsell Stephane, Atlas Archéologique De l'Algerie, Paris, 1911

Vars Charles, Rusicade Et Stora, Au Philippeville Dans L'Antiquité, Constantine,1896,

Lieussou (M.A), Etudes Sur Les Ports D'Algerie, Imprimerie Administrative De Paul Dubond, Paris, 1850,

Feraud ( L.ch) , Documents pour servir l'histoire de Philippeville R.Af., 1875

Renier (L), L'Inscriptions Romaines de L'Algérie , N° 2174

Bertrand (L), Monographie du Théâtre Romain de Philippeville, R.S.A.C ., 1908,

Ptolemée, Geographie, IV, 3, Paris, ed .Muller, 1901

Julien (Ch.A), Histoire de L'Afrique du Nord, Des Origines à La Conquête Arabe, Alger, SNED, 1978,

Kaddache Mahfoud, L'Algerie Des Algeriens De La Préhistoire à 1954, Editions Paris Méditerranée, 2003, P.P.30-31.

Benabou (M), La Résistance Africaine A La Romanisation, Paris, Maspero, 1976, P.407.

Leon L'Africain, Description de L'Afrique, Poularde, T2, Paris, 1952,

Recueil Des Actes du Gouvernement de l'Algérien (1930-1854), P. 276.

Mercier Ernest, Histoire De Constantine, Marle Et Biron Imprimeurs Editeurs, Constantine, S.D

Cette étude est une Approche monographique d'un espace local d'une ville méditerranéen skikda et monographie d'histoire urbaine, mouvement politique dans le contexte colonial. ainsi que les importantes étapes qu'il a connu en milieux urbain et périphérique de la ville de Skikda.

Cette Thèse se Compose d'un préambule, d'une introduction, de cinq Chapitres comportant des subdivisions, d'une conclusion, des annexes, d'une bibliographie et d'une table des matières

L'importance du thème, Problématique posée et la conception des solutions nous ont amené à adopter les méthodes scientifiques et les documents de référence fondamentaux

### **Introduction:**

Urbanisme et Société de Skikda Entre 1838-1962 traite d'une partie de l'histoire Sociale de l'algérie car on y étudie une des villes algériennes ou Le Colonialisme a Longtemps dominé; il S'agit de l'approche monographique d'une ville maritime qui a connu une Profonde transformation durant la période coloniale; elle révèle, En effet, des faits historiques qui éclairent l'évolution de skikda.

On note que la ville, construite et occupée par la communauté Européenne, a vu le développement démographique des natifs mais aussi, leur vie Dans des habitations Précaires ou les autochtones se sont rabattus sur les baraques et les gourbis.

Toutefois, Les musulmans ont pu vivre aux alentours de la ville et ils s'implanter dans les quartiers arabes et se côtoyer dans les cafés maures, phénomène qui a permis au mouvement nationaliste de multiplier ses activités.

Malgré Son importance Skikda n'a pas Fait l'objet d'étude exceptés les quelques rares écrits français sur la colonisation et la communauté européenne, par conséquent, Il reste beaucoup à faire pour mettre en exergue le rôle prépondérant de cette ville qui vécu les événements du 20/08/1955, qui ont marqué la rupture entre les deux communautés musulmans et européens.

Il est certain qu'il est nécessaire de réécrire l'histoire d'algérie selon de nouvelles méthodes et loin Des Conceptions coloniales

Skikda est devenue sous Le règne du capitalisme un centre touristique complexe qui associe modernité et ruralité du fait l'origine rural de ses habitants musulmans, cela a conduit à un melting culturel méditerranéenne maghrébine et andalouse, cependant la topographie de la ville a entravé quelque peu son expansion et a conduit à l'implantation des quartiers sur les hauteurs et a laissé les vallées pour les places publiques, les jardins, les rues, les administrations et les casernes.

Notre étude prend en considération la période coloniale 1838-1962 Comme objet d'étude afin de nous permettre de faire connaître dans perspective globale des événements importants l'histoire locale.

**L'Introduction** contient le rappel historique de la ville de skikda depuis l'époque phénicienne puis romaine jusqu'à l'époque ottomane.

Nous avons ensuite concentré notre travail sur la période coloniale depuis l'occupation de la ville en octobre 1838 par les troupes français.

Dans **la 1<sup>e</sup> Chapitre** nous avons considéré sociologiquement le caractère tribal de la région skikda et la composition des tissus social en Archs, et nous avons analysé les relations qu'entretenaient les communautés de la ville qui avantageait principalement les européens mais les musulmans ont pris une avance démographique par la suite.

le **2<sup>e</sup> Chapitre** traite de l'urbanisme de cette coloniale qui se caractérise par ses quartiers construits selon une architecture moderne qui adopté une structure d'échiquier qui correspond à la situation de la ville.

La ville se divise en deux parties : une partie orientale réservée aux militaires où il y a des tours et des casernes, des hôpitaux et des administrations, tandis que la second partie civil,

elle regroupe les quartiers bien organisés. Une lecture de la ville coloniale, ville de pouvoir, urbanisme et contrôle racial, l'urbanisme de la ville de skikda, de l'aménagement à l'extension, crise du logement et choix des grands ensembles, l'aménagement de la ville dans le cadre de plusieurs plans, et la gestion urbaine de la commune, et les aménagements touristiques coloniaux : le cas plage Jean d'Arc, appropriation symbolique et connaissance de la ville par la toponymie.

Dans le 3<sup>e</sup> **Chapitre**, la ville a connu deux modes de vie différents dans ses activités économiques de skikda pendant la colonisation, le mode capitaliste des européens dans les villages agricoles de colonisation et le mode de vie des autochtones qui ont occupé les montagnes puisque les terres fertiles ont été conquises par les colons, ces terres ont été exploitées dans la production et l'exploitation vers la métropole et l'Europe surtout après avoir créé les chemins de fer qui relient Constantine à skikda et le port ; tandis que l'économie indigène a chuté surtout après les catastrophes naturelles, la famine, les épidémies qui se sont produites. La participation massive des ouvriers algériens, agricoles et mineurs aux côtés des dockers, des cheminots, des tramwayistes, des postiers, est venue ainsi renforcer, en tout temps, les mouvements du nationalisme algérien.

Nous avons consacré dans le 4<sup>e</sup> **Chapitre**, à la vie politique et les activités des partis politiques français dans cette ville qui est marquée par certains noms qui ont laissé leurs empreintes dans l'histoire de skikda. Ce sont principalement des européens puisque les musulmans ont été privés de toute représentativité, ceux-ci n'ont trouvé que le mouvement national algérien pour défendre leurs droits ainsi est née une conscience politique qui a vu des gens tels Hocine Lahouel, Moussa Boulkeroua et d'autres se distinguer du lot. Cette prise de conscience a marqué la rupture entre les deux communautés surtout les événements du nord constantinois et précipité les choses vers l'indépendance du pays.

Enfin, dans le 5<sup>e</sup> **Chapitre**, on traite des modes de vie associative, éducative, et journalistique dans cette ville, sans nul doute a été dominés par les européens. L'étude se caractérise par sa richesse (archives diverses, travaux universitaires, documents écrits et témoignages d'anciens militants, des articles).

La période étudiée ici (1838-1962) est à ce sujet très significative, l'objectif était d'étudier l'occupation de skikda en octobre 1838, et la construction d'une nouvelle ville Type coloniale, habitée par les colons, jusqu'à le déclenchement de la lutte nationale de libération du pays et faire rupture avec l'Algérie coloniale.

Notre recherche se termine par une conclusion dans laquelle nous exposons les résultats auxquels nous sommes arrivés selon les méthodes adoptées et l'assistance très précieuse du professeur encadreur.

**Les Mots clés** : Approche, monographie, ruscade, Stora, Constantine, skikda, Philippeville, vallée, négrier, galbois, le roi Louis Philippe, Paul Cuttoli, l'occupation française 1838-1962, colonisation, sociétés indigènes et européens, mémoires coloniales, urbanisme, plans, rue, économie capitaliste, exode rural, syndicat, association, enseignement, presse.

فهرس الموضوعات:

- المقدمة.
- الفصل التمهيدي:
- المبحث الأول: مفهوم المدينة:
- المبحث الثاني: التطور التاريخي
- المبحث الثالث: الاحتلال الفرنسي
- الفصل الأول: المجتمع في المدينة
- المبحث الأول: الأعراش والقبائل
- المبحث الثاني: الجاليات الأوروبية
- المبحث الثالث: التطور الديموغرافي
- الفصل الثاني: العمارة والعمران في مدينة سكيكدة
- المبحث الأول: التطور العمراني
- المبحث الثاني: معالم المدينة
- المبحث الثالث: الأحياء الأوروبية والعربية
- المبحث الرابع: شوارع المدينة ودلالات أسمائها.
- الفصل الثالث: الأنشطة الاقتصادية في مدينة سكيكدة
- المبحث الأول: الحرف والمهن
- المبحث الثاني: النشاط الزراعي
- المبحث الثالث: النشاط الصناعي
- المبحث الرابع: النشاط التجاري
- المبحث الخامس: الحركة النقابية

ص 209	الفصل الرابع: الحياة السياسية في المدينة
ص 210	- المبحث الأول: الأحزاب الفرنسية
ص.221	- المبحث الثاني: الشخصيات الفرنسية
ص 227	- المبحث الثالث: النشاط الوطني
ص 243	- المبحث الرابع: النشاط الثوري
ص 256	الفصل الخامس: الحياة الجموعية والتعليمية والصحفية
ص.257	المبحث الأول: النشاط الجموعي
ص.272	المبحث الثاني: الحياة التعليمية والثقافية
ص.288	المبحث الثالث: الصحافة
ص.301	الخاتمة
ص.361	الجدول
ص.313	الملاحق
ص.346	البيبلوغرافية
ي	المختصرات
ص.307	فهرس الأعلام
ص.362	الفهارس.....